

# علوم القرآن عند المفسرين

المجلد الثاني

مركز الثقافة والتعارف القرآني

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



موضوع:  
علوم قرآن: ۲۱ (قرآن: ۵۳)

گروه محاطب:

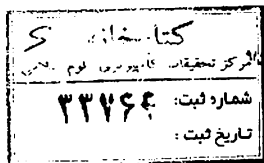
- تخصصی (پژوهشگران و اساتید حوزه و دانشگاه)

۳۲۰

شماره انتشار کتاب: ۱۳۸۶

۲۸۲۰

عناصیر انتشار: احاطب اول و ثان چاپ



مکتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية، مركز الثقافة والمعارف القرآنية.  
علوم قرآن عند المفسرين / مركز الثقافة والمعارف القرآنية التابعة لمكتب الإعلام الإسلامي - قم: مؤسسة  
بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ۱۳۷۶.  
ج ۳ - (مؤسسه بوستان كتاب، ۳۲۰ - كتابهای مرکز فرهنگ و معارف قرآن، ۹) (علوم قرآن، ۲۱ -  
قرآن، ۵۳)

۶۰۰۰۰ ريال، (ج ۲) - 7 - 175 - 964 - 978 - ISBN (دوره) 1 - 177 - 948 - 964 - 978 - ISBN

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات اینها.

Markaz-u l-Tablighat-il-Islamiyyah wa l-Ma'arif-i-Qur'āniyyah.

ص - ج - به انگلیسی:

'Ulūm-u l-Qur'ān 'ind al-Muḥāsirīn (Qur'ānic Sciences and Emaglets)

کتابنامه به صورت زیر نویس.

چاپ دوم: ۱۳۸۶

۱. قرآن - علوم قرآنی. الف. دفتر تبلیغات اسلامی حوزة علمية قم. مرکز فرهنگ و معارف قرآن.

ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزة علمية قم. مؤسسه بوستان كتاب. ج. عنوان.

۲۹۷/۱۵

ع ۷ م ۶۷ BP

۱۳۸۶

# علوم القرآن عند المفسرين

الجزء الثاني

مركز الثقافة و المعارف القرآنية

بوستان کتب  
۱۳۸۶

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

## علوم القرآن عند المفسرين / ج ٢

- تأليف: مركز الثقافة والمعارف القرآنية
- الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
- المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ● الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ ق، ١٣٨٦ ش
- الكمية: ١٠٠٠ ● السعر: ٦٠٠٠ تومان ● السعر الدورة: ١٧٠٠٠ تومان

جميع الحقوق © محفوظة

printed in the Islamic Republic of Iran

- ✓ العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧، الهاتف: ٧-٧٧٤٢١٥٥، الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٣٦
- ✓ المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء، يتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب
- ✓ المعرض القرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (پهن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
- ✓ المعرض القرعي (٣): مشهد المقدسة، تقاطع خسروي، مجتمع ياس، الهاتف: ٢٢٢٣٦٧٢
- ✓ المعرض القرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرمان، گلستان كتاب، الهاتف: ٣٧٠-٢٢٢٠٣٧٠
- ✓ المعرض القرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينا ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
- ✓ وكالات بيع كتب المؤسسة في البلد وخارجه (النتختم إلى رقة الاستطلاع للأثار في نهاية الكتاب)

البريد الإلكتروني: [E-mail:bustan@bustaneketab.com](mailto:bustan@bustaneketab.com)

استلام الرسالة (SMS) بالبحروف اللاتينية: ١٠٠٠٢١٥٥

الأثار الحديثة في المؤسسة والتعرف إليها هي «وب سايت»:

<http://www.bustaneketab.com>

مع جزيل الشكر والتقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:  
● أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ● أمين لجنة الكتاب: جواد آمنگر ● الملخص الإنجليزي: عبدالجيد مطوريان ● الملخص العربي: سهيله خانق ● فنيا: مصطفى محفوظي ● الإشراف والمراقبة: عبدالهادي اشرفي ● تصميم الغلاف: حسن محمودي ● الإعداد: حسين محمودي ● طلبات الطبع: علي عليزاده و امير حسين مقدمينش ● شؤون الطباعة: سيد رضا محمدى وبقيّة الزملاء في قسم الليتوغرافيا، الطباعة والتجليد.

سيد محمد كاظم النمس

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان، وسلك به سبل الهدى بعلم الدليل ومنه البرهان، واحتج على عباده برسله واوصيائهم ليخرجوهم من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الهداية والإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ الذي نور الله به صدور أنبيائه واصفيائه بلوامع العرفان وعلى اخيه ووصيه ووارث علمه وآيته العظمى امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام، وعلى أولادهما الأطهرين وذريتهما الأكرمين، لا سيما مؤسس الجمهورية الاسلامية وقائد الثورة الكبير الامام الخميني (قدس سره الشريف) وخلفه آية الله السيد الخامني ولي أمر المسلمين وقائد ثورتنا الاسلامية ادام الله ظله.

أما بعد، إن الإهتمام والعناية الخاصة، التي أبداها المسلمون منذ بداية نزول آيات القرآن الكريم، بتعلمهم وتعليمهم وحفظهم وقراءتهم للقرآن الكريم، قد أسفر عن إعطاء أهمية من الدرجة الاولى للقرآن الكريم، وتفسيره وكل ما يتعلق به، وكان للاشتغال بهذه العلوم مكانة مقدسة لا توصف ومغفرة عظيمة للمجتمع لا توازي.

ومع اتساع نفوذ الاسلام في العالم منذ القرن الثاني بدأت أسس التأليف ودونت الكتب في مجال التفسير والكتب التي تختص بموضوع معين من مسائل العلوم القرآنية نظير: القراءات، إعراب القرآن، أسباب النزول وغيرها وفي القرن الثامن وأواخر القرن التاسع دُوت المؤلفات التي تتضمن مجموعة من المباحث المهمة لعلوم القرآن الكريم نظير (البرهان في علوم القرآن) لعبد الله الزركشي و(الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي. ومن بعده صُنفت كتب عديدة في علوم القرآن باللغة العربية وغيرها، ونحن في غنى عن ذكر نماذج أخرى لئلا يجزنا ذلك الى تفاصيل أخرى. وأيضا لقد قُدم الكثير من المفسرين المتقدمين والمتأخرين مباحث من علوم القرآن في مقدمات تفاسيرهم أو في مستنها بصيغة الاستدلال والمطلوب رجحانه، والبعض منهم بحثها بشكل اجمالي ومختصر، والبعض تعرض الى بحث المطالب بالتفصيل. وعلى أي حال؛ فإن مجيء هذه المباحث كان بشكل مندمج في التفاسير وغير مستقل، وعليه



فقد تعرّضت وكذلك تتعرض الى غفلة المحققين. وصعوبة التتبع والتحقيق في بطون هذه الكتب التفسيرية المتفرقة والعديدة من جهة وأهمية وقديسية مباحث علوم القرآن بين سائر العلوم الاسلامية من جهة اخرى وعدم الاكتفاء بالكتب الخاصة بعلوم القرآن لأجل البحث والتحقيق الكامل من قبل الباحثين من جهة ثالثة، كان من الضروري الإقدام على تنسيق وتوحيد هذه المجاميع القيمة والنفسية، ومع ان هذا العمل لم يكن ميوسراً كى يتسع ويشمل جميع مؤلفات وكتب العلوم القرآنية إلا أنه فى هذا المشروع يبدو ممكناً فيما يخص مقدمة الكتب التفسيرية، فى خلق الدافع البدائى لجمع وتنظيم هذه المباحث، وقد أقدم مركز الثقافة والمعارف القرآنية على ملء هذه الفجوة، فانطلقت خطوة - مع قصرها - لتهيئة موطىء قدم فى مجال التحقيق فى العلوم القرآنية.

والجدير بالذكر، أنه منذ بداية هذا المشروع كان من المقرر أن نجعل فى نهاية كل مبحث خلاصة للتحقيق المعد، وننتخب الرأي الأفضل، ومن خلال العمل توصلنا الى أنه من الأفضل أن تناط المهمة هذه الى المحققين المستفيدين من هذه المجموعة، ولذا اكتفينا بنقل أقوال المفسرين المذكورة فى مقدمات تفاسيرهم - عدا تفسير الميزان، فقد تم استخراج بحوث العلوم القرآنية الموجودة فى متن التفسير والاستفادة منها، للمكانة المتميزة التى حظي بها تفسير الميزان فى العالم الاسلامى، ولوجازة مقدمته - ومن البديهي أن تقع مسؤولية صحة المواضيع الواردة على عاتق المؤلفين الأفاضل وبذلك فقد برنت ذمتنا.

فها هو ذا الجزء الثانى من كتاب علوم القرآن عند المفسرين بعد الفراغ من الجزء الاول منه، وفيه أبحاث القراءات، وحديث الأحرف السبعة، والتلاوة، وإعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ. وسيأتى انشاء الله الجزء الثالث بعون الله تعالى.

شكر وتقدير:

بدأ التحقيق والإعداد لهذا المشروع فى النصف من محرم الحرام عام ١٤١٤ هـ، من قبل حجة الاسلام الشيخ على رضا إيمانى ثم قام مشكوراً السيد محمد الفاطمى الأبهري بتحقيقه وإعداده فبسيه تم بعون الله تعالى هذا المشروع و ننتقدم بالشكر الى الفاضل المكرم مسلم النجفى على مساعدته فى هذا المشروع، كما ونشكر السيد الحسينى واسرة الكمبيوتر على جهودهم فى انضاج هذا الكتاب.

مسؤول مركز الثقافة والمعارف القرآنية

مكتب الاعلام الاسلامى للحوزة العلمية فى قم المقدسة

عبدالرضا ايزد پناه

# القراءات

- علم القراءات
- نشأة علم القراءات وسببها.
- ضابط لبول القراءات.
- وجوه اختلاف القراءات.
- القراءة الشاذة والمدرج.
- لمرّة اختلاف القراءات.
- هل تجوز القراءة بالشاذ؟
- أعداد القراءات.
- هل تصح الصلاة بالشاذة؟
- القراء المشهورون وروايتهم.
- هل يجوز جمع القراءات.
- الآراء حول تواتر القراءات؟
- أحسن القراءات.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## علم القراءات

قال المحققان<sup>(١)</sup>: «القراءات؛ جمع قراءة، وهي في اللغة: مصدر سماعي لقرأ. وفي الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها.

وفي منجد المقرنين لابن الجزري<sup>(٢)</sup> مانصه:

«القراءات؛ علم بكيفيات أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقل<sup>(٣)</sup>...»

والمقرىء: العالم بها رواها مشافهة، فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرىء بما فيه إن لم يشافهه من شؤفة به مسلسلاً، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة، والقارىء المبتدىء من شرع في الأفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات، والمنتهي من نقل

١. ها: الشيخ عادل احمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض.

٢. هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي المعروف بابن الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر قرب الموصل. ولد سنة ٧٥١ هـ بدمشق ونشأ بها، وأخذ القراءات عن جماعة بها وبالقاهرة والاسكندرية، واشتد شغفه بالقراءات وتولى القضاء في شيراز ثم مات بها سنة ٨٢٣ هـ. انظر: البدر الطالع للشوكاني: ج ٢ ص ٢٥٧-٢٥٩.

٣. في المصدر: معزو لناقله. منجد المقرنين ص ٦١.

من القراءات أكثرها وأشهرها ، (١) هـ .

#### ١ . مقدمة البحر المحيط ج ١ ص ٧٧ .

وفي تعريف علم القراءات فصل الشافعي - هو احمد بن محمد بن احمد البناء الدمايطي الشافعي ، صنف تصانيف متعددة وجاور بالمدينة حتى توفي بها سنة ١١١٦ هـ فقال : « علم القراءة علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتنكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة التلقين والإبدال وغيره ، من حيث السماع » انظر : إتحاف فضلاء البشر ص ٥ .

القول : إن علم القراءة الذي تصدّر لتدوينه الأئمة الاعلام من المتقدمين علم يميّز به بين الصحيح المتواتر والشاذ النادر ، ويتقرر به ما تسوغ القراءة به وما لا تسوغ وقايةً لكلياته من التحريف ودفعاً للخلاف بين أهل القرآن ، أو أن القراءة هي التلقين بالفاظ القرآن كما نطقها النبي ﷺ أو كما نُطِقت أمامه فأقرّها ، سواء كان التلقين باللفظ المنقول عن النبي ﷺ أو تقريراً ، واحداً وامتداداً . ويعنى التعريف - هنا - أن القراءة قد تأتي سماعاً لقراءة النبي ﷺ بفعله ، أو نقلاً لقراءة قرئت أمامه ، فأقرّها ، وإن القراءة قد تروى لفظاً واحداً وهو ما يبرهنه بالمنطق عليه بين القراء ، وقد تروى أكثر من لفظ واحد ، وهي ما يبرهنه بالمتلف فيه بين القراء . وسرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة قطعها ضمن مراحل شتى ، متداخل بعضها في بعض ، حتى استقرت علماً بين علوم القرآن الكريم وبمجالاً من مجالات الدراسات النحوية واللغوية بشكل عام .

ولا يخفى أنه أقدم العلوم في الاسلام نشأةً وهدىً ، حيث أن أول ما تعلّمه المسلمون من علوم الدين كان حفظ القرآن وقراءته ، ثم لما اختلف الناس في قراءة القرآن وضبط الفاظه مسّت الحاجة الى علم قراءة القرآن . والحق أن تدوين علم القراءة أفاد المسلمين فائدة لم تحظ بها أمة سواهم ، وذلك ان البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجوهها الصحيحة لتيسير تلاوة كلمات القرآن على الفصح وجه وأبينه ، كان من المبلغ العوامل في هناية الأئمة بدقائق اللغة العربية وقواعدها ودقائنها ، وبما يؤيد ذلك ان الكثيرين من قدماء النحويين كالقراء كانوا مبرزين في علم القراءة ، وايضاً أهميته تتضح في بيان مدى تعلق علماء هذه الأمة بكتاب ربها واستفراغهم الوسع في تعلّمه وتعليمه ، وأدائه أداةً صحيحاً مضبوطاً لمن بعدهم غير مغرطين ولا مهذلين .

## نشأة علم القراءات وسببها

قال المحققان : « اعلم أن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ، ثقة عن ثقة ، وإماماً عن إمام ، إلى النبي ﷺ ، وأن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب . إنما هي مرجع جامع للمسلمين ، على كتاب ربهم ، ولكن في حدود ما تدل عليه وتعيينه ، دون ما لا تدل عليه ولا تعيينه ، والمصاحف لم تكن منقوطة ولا مشكولة ، وأن صورة الكلمة فيها كانت محتمة لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة ، وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف ، ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جرا . فلا غرو ان كان التعويل على الرواية والتلقي هو العمدة في باب القراءة والقرآن . واعلم أن عثمان رضي الله عنه حين بعث المصاحف إلى الأفاق أرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب ، وهذه القراءة قد تخالف الذائع الشائع في القطر الآخر عن طريق المبعوث الآخر بالمصحف الآخر .

ثم إن الصحابة - رضوان الله عليهم - قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذه عنه بحرفين ، ومنهم من زاد . ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال . فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين عن التابعين ، وهلم جرا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وبشرها .

قال النووي - رحمه الله - : « والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ . ولذلك أرسل أي :

عثمان كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر وليس بلازم . وقرأ كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ . ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبطها ، وأتعبوا نهارهم في نقلها ، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء . وأنجماً للاهتداء ، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم . ولتصديهم للقراءة نسب إليهم ، وكان المعول فيها عليهم .

ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا ، وفي البلاد انتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، وعرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المحصل لوصف واحد . ومنهم المحصل لأكثر من واحد ، فكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل منهم الائتلاف .

فقام عند ذلك جهازة الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل ، وميزوا بين الصحيح والباطل ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الأوجه والروايات ، وبينوا الصحيح والشاذ ، والكثير والفاذ بأصول أصولها ، وأركان فصلوها ، الخ اهـ .<sup>(١)</sup>  
قال ابن تيمية : « أما قول السائل : ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف ؟

فهذا مرجعه إلى النقل واللغة العربية ، لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله ، إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه ؛ بل القراءة سنة متبعة ، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي<sup>(٢)</sup> وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف .

ومما يوضح ذلك أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء أو تاء ، ويتنوعون في بعض ، كما اتفقوا في قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾<sup>(٣)</sup> في موضع وتنوعوا في موضعين ، وقد بينا أن القراءتين كالأيتين ، فزيادة القراءات كزيادة الآيات ، لكن إذا كان الخط واحداً واللفظ محتملاً كان ذلك أخصر في الرسم .

١ . مقدمة البحر المحيط ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

٢ . نسبة إلى عثمان بن عفان . وهذا المصحف إمام لكل ما يكتب بعده من المصاحف .

٣ . سورة البقرة : الآية ٨٥ و ١٤٠ و ١٤٩ ، سورة آل عمران : الآية ٩٩ .

والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربي قال لي أن قم في قريش فأنذرهم. فقلت: أي رب! إذا يئلفوا رأسي - أي يشدحوا - فقال: انبي مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظانا، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك<sup>(١)</sup>» فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال كما جاء في نعت أمته: «أنا جيلهم في صدورهم» بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرأونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب ... وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويغه ذلك لهم، إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع، لا إلى الرأي والابتداع.

أما إذا قيل: أن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر. وكذلك بطريق الأولى إذا قيل: إن ذلك حرف من الأحرف السبعة، فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوع الأحرف في الرسم، فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى، وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة، لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين، فإن أصحاب رسول الله ﷺ تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٢)</sup> - وهو الذي روى عن عثمان بن عفان<sup>(٣)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(٤)</sup>.

١. ورد هذا الحديث في: ابن حنبل ج ٤ ص ٦٢، مسلم (كتاب الجنة).

٢. عبد الله بن حبيب بن ربيعة (أبو عبد الرحمن السلمي) الضرير. مقرأ الكوفة. ولد في حياة النبي ﷺ وثبت لأبيه شرف الصحة، انتهت إليه القراءة تجويداً وضبطاً. أخذ عن عثمان بن عفان وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت. أخذ عنه عاصم والحسن والحسين رضي الله عنهما. توفي سنة ٧٣ أو ٧٤. انظر: غياة النهاية في طبقات القراء للجزمي ج ١ ص ٤١٣ - ٤١٤، مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢١ - ٢٢.

٣. «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أورده البخاري بروايات مختلفة وفي مواضع مختلفة، انظر (كتاب فضائل القرآن). باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ج ٦ ص ٢٣٦، وأورده أبو داود (كتاب الوتر) والترمذي (كتاب ثواب القرآن) وابن ماجه (المقدمة)، والدارمي (فضائل القرآن)، ابن حنبل ج ١ ص ٥٧.



كما رواه البخارى في صحيحه ، وكان يقرأ القرآن اربعين سنة .  
قال - حدثنا الذين كانوا يقرئوننا - عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما :  
انهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من  
العلم والعمل .

قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً . ولهذا دخل في معنى قوله : «خيركم من  
تعلم القرآن وعلمه»؛ تعليم حروفه ومعانيه جميعاً ، بل تعلم معانيه هو المقصود الاول  
بتعليم حروفه ، وذلك هو الذي يزيد الايمان ، كما قال جندب بن عبدالله وعبدالله بن عمر  
وغيرهما :

تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً ، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون  
الإيمان ...

وتجوز القراءة في الضلأة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف ،  
كما ثبتت هذه القراءات ، وليست شاذة حينئذ . والله أعلم .<sup>(١)</sup>

قال القاسمي : «لما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد ، وأمر بأن يرسل للفاق  
مصاحف على ما جمعه ، كما تقدم ، وكانت كتابتها مجردة من الشكل والنقط ، فقرأ أهل كل  
مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في  
النبي ﷺ .

وأول من نطق المصحف وشكله الحجاج ، بأمر عبد الملك بن مروان . وقيل  
أبو الأسود الدؤلي . وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر . ثم لما كثرت الاختلاف فيما  
يحتمله الرسم ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته وفاقاً لبدعهم . كمن قال  
من المعتزلة : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، بنصب الهاء - رأى المسلمون أن يجمعوا  
على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم . فاختاروا من كل مصر ، وجه  
إليه مصحف ، أئمة مشهورين بالثقة والأمانة بالنقل وحسن كمال الدين ، وكمال العلم .  
أفتوا عمرهم في القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم

٢ . سورة النساء : الآية ١٦٤ .

١ . دقائق التفسير ج ١ ص ١٥ - ١٩ .

فيما نقلوا، والثقة بهم فيما قرأوا، ولم تخرج قراءاتهم عن خط مصحفهم. فمنهم بالمدينة أبو جعفر وشيبة، ونافع. وبمكة عبدالله بن كثير وابن محيصن والأعرج. والكوفة يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود، والأعمش، وحمزة، والكسائي. وبالشام عبدالله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، ويحيى بن الحارث الزماری. وبالبصرة عبدالله بن أبي إسحق، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري، ويعقوب الحضرمي.

ثم إن القراء بعد ذلك تفرقوا في البلاد وخلفهم أمم بعد أمم. إلا أنهم كان فيهم المتفق وغيره، فلذا كثرت الاختلاف وعسر الضبط، وشق الائتلاف، وظهر التخليط، وانتشر التفريط، واشتبه متواتر القراءات بفاذاها، ومشهورها بشاذها<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي في ورود القراءات عن أئمة الأمصار على موافقة مصحفهم الثمانية :

ثبت أحرف في بعض المصاحف العثمانية المرسله إلى البلاد المتقدمة لم توجد في البقية. فاتبع أئمة كل مصر منها مصحفهم، فمن ذلك قراءة ابن عامر: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾<sup>(٢)</sup> بغير واو في البقرة، ﴿ وَيَالِئُذِي وَيَالِئُذِي ﴾<sup>(٣)</sup> بزيادة الباء في الاسمين. ونحو ذلك. فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي. وكقراءة ابن كثير: ﴿ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾<sup>(٤)</sup> في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة (من) فإن ذلك ثابت في المصحف المكي. وكذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ ﴾<sup>(٥)</sup> في سورة الحديد بحذف (هو)، وكذا: ﴿ سَارِعُوا ﴾<sup>(٦)</sup> بحذف (الواو) وكذا: ﴿ مِنْهُمَا مَثَلًا ﴾<sup>(٧)</sup> بالثنية في الكهف. إلى غير ذلك في مواضع كثيرة في القرآن. اختلفت المصاحف فيها فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار في موافقة مصحفهم. كذا في النشر.<sup>(٨)</sup>

قال القاسمي في موافقة القراءات لرسم المصحف العثماني تحقيقاً أو تقديرًا :

قال ابن الجزري، في النشر: موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهي الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرًا، وهي الموافقة احتمالاً. فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع

- |                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| ٢. سورة البقرة: الآية ١١٦.   | ١. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٥.  |
| ٤. سورة التوبة: الآية ١٠٠.   | ٣. سورة آل عمران: الآية ١٨٤. |
| ٦. سورة آل عمران: الآية ١٣٣. | ٥. سورة الحديد: الآية ٢٤.    |
| ٨. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٧.  | ٧. سورة الكهف: الآية ٣٦.     |

إجماعاً نحو: ﴿ السُّمُوتِ ، وَالزُّبُرِ ﴾ ونحو: ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَجِئْنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> حيث كتب بنون واحدة ، وبألف بعد الجيم في بعض المصاحف .

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ، وتوافق بعضها تقديراً نحو: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ <sup>(٣)</sup> فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف . فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ <sup>(٤)</sup> وقراءة الألف تحتمله تقديراً كما كتب: ﴿ مَالِكِ الْمُلْكِ ﴾ <sup>(٥)</sup> فتكون الألف حذفت اختصاراً . وكذلك ﴿ النَّشْأَةِ ﴾ <sup>(٦)</sup> حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقاً ، ووافقت قراءة القصر تقديراً ، إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمزة على غير قياس . وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً نحو: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، و ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ و ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ <sup>(٨)</sup> . مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته ، على فضل عظيم للصحابة رضى الله عنهم في علم الهجاء خاصة ، وفهم ناقب في تحقيق كل علم .

وقال أيضاً بعد أوراق : ثم إن الصحابة رضى الله عنهم لم يكن بينهم فيها إلا الخلاف اليسير المحفوظ بين القراء ، ثم إنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرصة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ .

وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين ، شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين . فإن الصحابة ، رضوان الله عليهم ، تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن ، لفظه ومعناه جميعاً ، ولم يكونوا يسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عن النبي ﷺ ، ولا يمتنعوا من القراءة به <sup>(٩)</sup> .

قال القاسمي في ذكر من ذهب إلى أن مرجع القراءات ليس هو السماع بل الاجتهاد :

١. سورة يونس: الآية ١٤ .
٢. سورة الزمر: الآية ٦٩ ، وسورة الفجر: الآية ٢٣ .
٣. سورة الفاتحة: الآية ٤ .
٤. سورة الناس: الآية ٢ .
٥. سورة آل عمران: الآية ٢٦ .
٦. سورة العنكبوت: الآية ٢٠ ، وسورة النجم: الآية ٤٧ ، وسورة الواقعة: الآية ٦٢ .
٧. سورة آل عمران: الآية ٣٦ .
٨. سورة يوسف: الآية ٢٣ .
٩. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

يفهم من مواضع من الكشف اعتماده؛ أن مرجع القراءات اجتهاد الأئمة القارئين .  
ولذلك جاء في سورة الكهف عند آية: ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ <sup>(١)</sup> ما مثاله ، وقرأه  
عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد، كقولك : هذا عبد الله الحق لا الباطل . وهي قراءة  
حسنة فصيحة ، وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم . فكتب الناصر في  
الانصاف يتعقبه ما مثاله : قد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول ، فإنه يوهم أن القراءات  
موكولة إلى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء ، فتنفوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها ، وهذا  
منكر شنيع . والحق أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلاً بقلق  
فيه ﷻ ، منزلاً كذلك من السماء ، فلا وقع لفصاحة الفصيح . وإنما هو ناقل كغيره . ولكن  
الزمخشري لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة . فإن عمرو بن عبيد أول مصمم  
على إنكار القدر ، وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية . فمن ثم أتى عليه اهـ . يعنى  
بما تقدم له ، ما ذكره في سورة الأنعام في آية: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ  
أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وذلك أن الزمخشري قال هناك : وأما قراءة ابن عامر : قَتَلَ  
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ . برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء، على إضافة القتل إلى  
الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر ، لكان  
سمجاً مردوداً كما سمح ورُدُّ :

### زج القلوص أبي مزادة

فكيف به في الكلام المتثور ؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟،  
والذى حملة على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء .  
فكتب الناصر عليه ما ملخصه: إن الزمخشري ركب متن عمياء ، فإنه تخيل أن القراء ،  
أئمة الوجوه السبعة ، اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً ، لا نقلاً وسماعاً . فلذلك غلط ابن  
عامر في قراءته هذه . وأخذ يبين أن وجه غلظه رؤيته الياء ثابتة فى شركائهم ، فاستدل  
بذلك على أنه مجرور ، وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس ، إذ لا يضاف المصدر إلى  
أمرين معاً . فقرأ منصوباً - إلى أن قال : فهذا كله كما ترى ظنُّ من الزمخشري أن ابن عامر قرأ

١ . سورة الكهف: الآية ٤٤ .

٢ . سورة الأنعام: الآية ١٣٧ .

قراءته هذه رأيا منه ، وكان الصواب خلافه ، والفصيح سواء . ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة ، ينصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها ، يعلم - ضرورة - أن النبي ﷺ قرأها على جبريل كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبي ﷺ على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرأون بها خلفا عن سلف . إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضا كما سمعها . فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة ، جملة وتفصيلا ، عن أفصح من نطق بالضاد ﷻ . فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري ولا يقول أمثاله ، ممن لحن ابن عامر ، وظن أن القراءة تثبت بالرأى ، غير موثوقة على النقل . والحامل هو التغالي في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية . فظننها قطعية حتى يرد ما خالفها . انتهى .

فتأمل ، والأمر يحتاج إلى كلام من خالف بحروفه ، وتمحيص بالنظر في أطرافه وما برهنوا عليه <sup>(١)</sup> .

قال القاسمي في التراقي اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء :

«قال ابن الجزري ، بعد ما تقدم : وبهذا؛ افرق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القراء كله حق و صواب نزل من عند الله وهو كلامه لا شك فيه . واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي ، والحق في نفس الأمر واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق و صواب في نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به» <sup>(٢)</sup> .

قال القاسمي في معنى إضافة القراءة إلى من قرأ بها :

«ثم قال ابن الجزري ، بعد ما تقدم : ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم ، إنما هو من حيث أنه كان أضيف له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلا إليه ولا غير ذلك . وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم . المراد بها أن ذلك القارئ ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به . فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف

٢. ماسن التأويل ج ١ ص ٣١١ .

١. ماسن التأويل ج ١ ص ٣٠٢-٣٠٣ .

به ، وقصد فيه وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء . وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد<sup>(١)</sup> .

قال وجدي في القراءات : «لما نزل القرآن وحفظه الناس في صدورهم كانوا يقرأونه على وجوه مختلفة بحسب لغاتهم وللعرب لغات ، متعددة افسحها سبعة وارجحها كلها لغة قريش ، ورخص للناس ان يقرأوا القرآن بلغاتهم ، فوقع الخلاف بين الصحابة في بعض الآيات باختلاف وجوه القراءة ، فقال النبي ﷺ : ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف . فصارت وجوه القراءة في الامصار مختلفة باختلاف لغاتهم مع اختلاف مأخذهم ، فأهل البصرة اخذوا القرآن من أبي موسى الاشعري . واهل الكوفة قرأوه بقراءة عبدالله بن مسعود واهل دمشق قرأوا بقراءة أبي بن كعب واهل حمص أخذوا القرآن من المقداد وقرأوا بقراءته وكان كل قطر يدهي انه اهدى سبيلا في قراءته ، فخشى عثمان هذا الاختلاف فجعل القراءة بلغة قريش دون غيرها . ولكن لم يمض على امره هذا غير زمن قصير حتى عاد الناس الى ما كانوا عليه من الاختلاف في القراءة يتبع كل قطر قارنا ويثق به ، ثم استقر امر الناس على سبع قراءات معينة تواتر نقلها من القراء . واصحاب هذه القراءات هم : نافع بن ابي رؤيم ويزيد بن القعقاع في المدينة ، وعبدالله بن كثير في مكة . وابو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي في البصرة . وعاصم بن ابي النجود وحمزة بن حبيب الزيات وعلى الكسائي وخلف البراز في الكوفة»<sup>(٢)</sup> .

قال ابن هاشور : «فأئمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرانئهم في الأمصار التي وزعت عليها المصاحف : المدينة ، ومكة ، والكوفة والبصرة ، والشام ، قيل : واليمن والبحرين ، وكان في هذه الأمصار قراؤها من الصحابة قبل ورود مصحف عثمان إليهم ، فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الأداء ، لا في زيادة الحروف ونقصها ، ولا في اختلاف الإعراب دون مخالفتهم مصحف عثمان ، ويحتمل أن يكون القارئ الواحد قد قرأ بوجهين ليرى صحتهما في العربية قصداً لحفظ اللغة مع حفظ القرآن الذي أنزل بها ، ولذلك يجوز أن يكون كثير من اختلاف القراء في هذه الناحية

٢. صفوة العرفان ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ .

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٣١٢ .

اختياراً، وعليه يحمل مايقع في كتابي الزمخشري وابن العربي من نقد بعض طرق القراء، على أن في بعض نقدهم نظراً، وقد كره مالك رحمه الله القراءة بالإمالة مع ثبوتها عن القراء، وهي مروية عن مقرئ المدينة نافع من رواية ورش عنه، وانفرد بروايته أهل مصر، فدللت كراهته على أنه يرى أن القارئ بها ماقراً إلا بمجرد الاختيار.

وفي تفسير القرطبي في سورة الشعراء عن أبي إسحاق الزجاج: «يجوز أن يقرأ «طسين ميم» بفتح النون من «طسين» وضم الميم الأخيرة، كما يقال: هذا معد يكرب» اهـ مع أنه لم يقرأ به أحد. قلت: ولا ضير في ذلك مادامت كلمات القرآن وجمله محفوظة على نحو ما كتب في المصحف الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله، إلا نفراً قليلاً شذوا منهم، كان عبدالله بن مسعود منهم، فإن عثمان لما أمر بكتب المصحف على نحو ماقرأ رسول الله ﷺ، وأثبت كتأب المصحف، رأى أن يحمل الناس على اتباعه وترك قراءة ما خالفه، وجمع جميع المصاحف المخالفة له وأحرقها ووافق جمهور الصحابة على ما فعله.

قال شمس الدين الأصفهاني في المقدمة الخامسة من تفسيره: «كان عليّ طول أيامه يقرأ مصحف عثمان ويتخذه إماماً». وقلت: إنما كان فعل عثمان إتماماً لما فعله أبو بكر من جمعه القرآن الذي كان يقرأ في حياة الرسول، وأن عثمان نسخه في مصاحف لتوزع على الأمصار، فصار المصحف الذي كتب لعثمان قريباً من المجمع عليه وعلى كل قراءة توافقه، وصار ما خالفه متروكاً بما يقارب الإجماع.

وقال الأصفهاني في تفسيره: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، وهي قراءة العامة التي قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل في العام الذي قبض فيه، ويقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل اهـ». وبقي الذين قرأوا قراءات مخالفة لمصحف عثمان يقرأون بما رووه لا ينهاهم أحد عن قراءتهم ولكن يعدونهم شذاذاً، ولكنهم لم يكتبوا قراءتهم في مصاحف بعد أن أجمع الناس على مصحف عثمان.

قال البغوي في تفسير قوله تعالى: «وطلع منضود» عن مجاهد وفي الكشاف

والقرطبي - قرأ على بن أبي طالب: « وطلع منضود » بعين في موضع الحاء ، وقرأ قارىء بين يديه : وطلع منضود، فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو « وطلع »، وقرأ: « لها طلع نضيد »، فقالوا: أفلا نحولها؟ فقال: إن آى القرآن لاتجاه اليوم ولا تحول، أى لاتغير حروفها ولا تحول عن مكانها، فهو قد منع من تغيير المصحف، ومع ذلك لم يترك القراءة التى رواها، وممن نسبت إليهم قراءات مخالفة لمصحف عثمان، عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة، إلى أن ترك الناس ذلك تدريجاً.

ذكر الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> من سورة النور: أن سفيان، قال سمعت: أمى تقرأ: « إذ تلتفونوه بألسنتكم » وكان أبوها يقرأ بقراءة ابن مسعود، ومع ذلك فقد شذت مصاحف بقيت مغفولاً عنها بأيدي أصحابها، منها ما ذكره الزمخشري في الكشاف في سورة الفتح: أن الحارث بن سويد صاحب عبد الله بن مسعود كان له مصحف دفنه في مدة الحجاج، قال في الكشاف: لأنه كان مخالفاً للمصحف الإمام، وقد أفرط الزمخشري في توهين بعض القراءات لمخالفتها لما اصطلاح عليه النحاة، وذلك من إعراضه عن معرفة الأسانيد<sup>(٢)</sup>.

قال المدرس: « ومما يستحسن التنبيه عليه: أنه كان كل من الأحرف مما نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وألقاه إليه ليقرأه على أصحابه، فتوسع لهم دائرة القراءة للقرآن الكريم. ففي تفسير القرطبي: قال ابن عطية: أباح الله تعالى لنيه عليه السلام هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز، وجودة الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: « فاقروا ما تيسر منه » بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً لأن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله. وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبى عليه السلام ليوسع بها على أمته فأقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً. وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان، وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول

٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٥١-٥٣.

١. سورة النور: الآية ١٥.



النبي ﷺ في كل قراءة منهما، وقد اختلفا: « هكذا أقرأني جبريل »؟ هل ذلك إلا أنه أقرأه مرة بهذه، ومرة بهذه؟ وعلى هذا يحمل قول أنس حين قرأ: (إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأصوب قبلاً). فقيل له: إنما تقرأ: (وأقوم قبلاً)، فقال أنس: (وأصوب قبلاً، وأقوم قبلاً وأهياً) واحدة، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون﴾<sup>(١)</sup> (٢).

قال المدرس: «... قال محمد بن عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان: إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد. ثم تفرقوا في البلاد، وهم على هذه الأحوال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم. وأخذ تابع التابعين عن التابعين. وهم جرا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها، ويعنون بها، وينشرونها - كما يأتي - هذا منشأ علم القراءات واختلافها، وإن كان الاختلاف يرجع في الواقع إلى أمور يسيرة بالنسبة إلى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم. ومهما يكن الأمر فإن اختلاف القراء في حدود السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن كلها من عند الله لا من عند الرسول ولا أحد من القراء وغيرهم»<sup>(٣)</sup>.

قال الخفاجي: «أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة، فقد أجاب عنه بعضهم: بأن القرآن قد تواتر عن النبي ﷺ بلغات العرب على الوجه الذي تقدم، ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة، فتواتر نقله بلغات متعددة، فلما كتب المصحف العثماني وبعث به إلى تلك الجهات التي كان بها بعض القراء من الصحابة، عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف، فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف.

٢. مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٥ - ٢٦.

١. سورة الحجر: الآية ٩.

٣. مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٣.

قال الحافظ ابن حجر في هذا البحث: «إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها؛ أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، قال: فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط امثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، لما رأوا في ذلك من الاحتياطات للقرآن، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار».

وقد يكون عثمان رضي الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التي تواترت عن رسول الله ﷺ إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين، فكتب مصحفه ليكون مرجعاً يرجع إليه الناس عند الاختلاف، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عليها الأخرى، أمكنهم الرجوع إلى الأصل. وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف، وذلك يحصل حتماً بالاجتماع على التمسك بنص ما كتب في مصحفه، أما غيره من المد والتسهيل والإدغام والإظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير في نص القرآن فذلك مالا ضرر فيه البتة، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ لعمر: «يا عمر: القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة».

ويروى أن عمر سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان، فإذا هو على حروف لم يتلقنها عمر من رسول الله، قال: فكادت أساوره في الصلاة وتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله، فسمع مني وسمع منه، وقال لكل منا: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه»<sup>(١)</sup>.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## وجوه اختلاف القراءات

قال اللطوسي (ره) : «.... قال بعضهم<sup>(١)</sup> : وجه الاختلاف في القراءات سبعة : أولها - اختلاف اعراب الكلمة او حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله : ﴿ هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ﴾<sup>(٢)</sup> بالرفع والنصب. ﴿ وهل يجازي إلا الكفور ؟ ﴾<sup>(٣)</sup> بالنصب والنون، وهل يجازي إلا الكفور؟ بالياء والرفع. و ﴿ بالبخل ﴾<sup>(٤)</sup> والبُخْل والبُخْل برفع الباء ونصبها. و ﴿ ميسرة ﴾<sup>(٥)</sup> وميسرة بنصب العين ورفعها .

والثاني - الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها، مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة، مثل قوله : ﴿ وينا باهد بين اسفارنا ﴾<sup>(٦)</sup> على الخبر . رينا باعد على الدعاء . ﴿ واذا تلقونه بالستكم ﴾<sup>(٧)</sup> بالتشديد، وتلقونه بكسر اللام والتخفيف .  
والوجه الثالث - الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى : ﴿ كيف ننشزها ﴾<sup>(٨)</sup> بالزاء المعجمة وبالراء غير المعجمة .

١. الصحيح : وجوه .

٢. سورة سبأ : الآية ١٧ .

٣. سورة النساء : الآية ٣٦ ، وسورة الحديد : الآية ٢٤ وبالخجل بالرفع مصدر بخجل ، وبالخجل بالفتح مصدر بخجل .

٤. سورة البقرة : الآية ٢٨ .

٥. سورة البقرة : الآية ١٥ .

٦. سورة سبأ : الآية ١٩ .

٧. سورة البقرة : الآية ٢٥٩ .

والرابع - الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها، نحو قوله: ﴿ان كانت إلا صبيحة واحدة﴾<sup>(١)</sup>، وإلأ زقية . وكالصوف المنفوش، و﴿كالمهن المنفوش﴾<sup>(٢)</sup> .  
والخامس - الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها، نحو: ﴿وطلح منضود﴾<sup>(٣)</sup> وطلع .

السادس - الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾<sup>(٤)</sup> ، وجاءت سكرة الحق بالموت .

السابع - الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله: ﴿وما عملت ايديهم﴾<sup>(٥)</sup> وما عملته<sup>(٦)</sup>؛ باسقاط الهاء واثباتها . ونحو قوله: ﴿فان الله هو الغني الحميد﴾ ، وان الله الغني الحميد . في سورة الحديد<sup>(٧)</sup> .

قال ابن جزى: «واعلم! أن اختلاف القراء على نوعين: أصول، وفرش الحروف . فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد، ولا قانون كلى، وهو على وجهين: اختلاف في القراء باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى .

وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهي ترجع إلى ثمان قواعد: الأولى: الهمزة، وهي فى حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين .

الثانية: وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه: إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط .

الثالثة: الإدغام، والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام فى المثلين أو المتقاربين، وفى كلمة، وفى كلمتين، وهو نوعان: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو: وهو إدغام المتحرك . وإدغام صغير لجميع القراء: وهو إدغام الساكن .

الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح،

١. سورة يس: الآية ٢٩ - ٤٩ - ٥٣، وسورة ص: الآية ١٥ .

٢. سورة القارعة: الآية ٥٠ .

٣. سورة ق: الآية ١٩ .

٤. سورة يس: الآية ٣٥ .

٥. سورة ق: الآية ١٩ .

٦. سورة يس: الآية ٢٥ .

٧. التبيان ج ١ ص ٨ - ٩ .

ويوجب الإمالة الكسرة والياء .

الخامسة : الترقيق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام: يفخم في كل حال ، وهي حروف الاستعلاء السبعة ومفخم تارة ومرقق أخرى، وهي الراء واللام والألف؛ فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف .  
السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : سكون جازئ في الحركات الثلاث ، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة .

السابعة : مزاعة الخط في الوقف .

الثامنة : إثبات الياءات وحذفها<sup>(١)</sup> .

قال ابن عاشور في القراءات : « ... أرى أن للقراءات حالتين : إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال ، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة .

أما الحالة الأولى : فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحفيق والجهر والهمس والغنة ، مثل : عذابي بسكون الياء، وعذابي بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب مثل : ﴿ حتى يقول الرسول ﴾<sup>(٢)</sup> بفتح لام يقول وضمها .

ونحو : ﴿ لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾<sup>(٣)</sup> برفع الأسماء الثلاثة أو فتحها، أو رفع بعض وفتح بعض ...

وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ و ﴿ ملك يوم الدين ﴾ ، و ﴿ ننشرها ﴾ و ﴿ ننشزها ﴾ ، و ﴿ ظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ «بتشديد الدال» أو قد كذبوا بتخفيفه، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل، كقوله : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ نافع بضم الصاد وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم

٢. سورة البقرة: الآية ٢١٤ .

٤. سورة الزخرف: الآية ٥٧ .

١. التسهيل ج ١ ص ١٢ .

٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٤ .

في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم، وهى من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير؛ لأن ثبوت أحد اللفظين فى قراءة قد يبين المراد من نظيره فى القراءة الأخرى، أو يشير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات فى ألفاظ القرآن يكثُر المعانى فى الآية الواحدة، نحو: ﴿حَتَّى يَطْهَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، ويسكون الطاء وضم الهاء مخففة، ونحو ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾<sup>(٢)</sup> ولمستم النساء، وقراءة «وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا» مع قراءة ﴿الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيراً للمعاني إذا جزمنا بأن جميع الوجوه فى القراءات المشهورة هى مأثورة عن النبي ﷺ، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى ليقراً بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعانى، فيكون وجود الوجهين فأكثر فى مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين فى استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه فى البديع، ونظير مستبعات التراكيب فى علم المعانى، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء فى اللفظ الواحد من القرآن قد يكون معه اختلاف المعنى، ولم يكن حمل أحد القراءتين على الأخرى متعيّناً ولا مرجحاً، وإن كان قد يؤخذ من كلام أبى على الفارسي فى كتاب «الحجة»؛ أنه يختار حمل معنى إحدى القراءتين على معنى الأخرى، ومثال هذا قوله - فى قراءة الجمهور - قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٤)</sup> فى سورة الحديد، وقراءة نافع وابن عامر «فإن الله الغنى الحميد» بإسقاط هو: «إن من أثبت هو؛ يحسن أن يعتبره ضمير فصل لا مبتدأ، لأنه لو كان مبتدأ لم يجز حذفه فى قراءة نافع وابن عامر.

قال أبو حيان: «وما ذهب إليه ليس بشيء لأنه بنى ذلك على توافق القراءتين وليس كذلك، ألا ترى أنه قد تكون قرأتان فى لفظ واحد لكل منهما توجيه يخالف الآخر، كقراءة ﴿وَاللَّهُ أَهْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾<sup>(٥)</sup> بضم التاء أو سكونها.

وأنا أرى: أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن فى اختلافها توفيراً

١. سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

٢. سورة النساء: الآية ٤٣ وسورة المائدة: الآية ٦.

٣. سورة الزخرف: الآية ١٩.

٤. سورة الحديد: الآية ٢٤ وسورة المتحنة: الآية ٦.

٥. سورة آل عمران: الآية ٣٦.

لمعاني الآية غالباً، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن<sup>(١)</sup>.

قال المحققان في القراءات القرآنية: «وللقراءات حالتان:

الأولى: وهي التي تتعلق بوجوه النطق والتلاوة والترتيل، كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس، والغنة والإدغام والإخفاء، إلى غير ذلك مما يتعلق بعلم التجويد، وهذا لا علاقة له بالتفسير لا من قريب ولا من بعيد.

الثانية: وهي التي تتعلق بحروف الكلمات القرآنية وحركاتها، بحيث يختلف المعنى لاختلاف الحرف أو الحركة.

وهذه الجهة هي التي لها مزيد التعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، بسكون الطاء وضم الهاء، والقراءة المتواترة الأخرى: ﴿حَتَّى يَطْهَرُونَ﴾، بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وأيضاً كقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ تُنْمِ السَّاءُ﴾<sup>(٣)</sup>، والقراءة المتواترة الأخرى: ﴿أَوْ لَمْ تُنْمِ السَّاءُ﴾.

فتعدد وجوه القراءة للآية الواحدة تكثر معانيها، فيعين بعضها على تفسير بعض. ولا يشترط في القراءات التي يستعان بها على إيضاح معاني الآيات القرآنية أن تكون متواترة، فالقراءة المشهورة أو الشاذة مقبولة في التفسير، بل هي أقوى من الأحاديث الأحاد الصحيحة، في هذا الشأن.

ولهذا ترى المفسرين يكترون من إيرادها، والاستشهاد بمعانيها ودلالات ألفاظها...<sup>(٤)</sup>

٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٥١ و ٥٨ و ٥٩.

٤. مقدمة معالم التنزيل للبهوي ج ١ ص ١٤ - ١٥.

٣. سورة النساء: الآية ٤٣.





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## ثمرة اختلاف القراءات

قال القاسمي: «قال في النشر: «وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة. فمنها: ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز، لأن كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات. ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

ومنها: سهولة حفظه، وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة. فإن من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه، وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لا سيما في ما كان خطه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً، وأيسر لفظاً.

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة - من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم - في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام؛ من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره، وخفي إشاراته بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم، والأجر على قدر

المشقة .

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظه لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وتحرير تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطفيان والتطيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات، وتفاوت الإمالات، وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بالهام باري السم.

ومنها: ما ذخره الله تعالى من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة، من إسناده كتاب ربها واتصال هذا السبب الإلهي بسببها، فكل قارىء يوصل حرفه بالنقل إلى أصله، ويرفع أرتياب الملحد قطعاً بوصله.

ومنها: ظهور سر الله تعالى فى توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإنه تعالى لم يخل عصراً من الأعصار، ولو فى قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم فى المصاحف والصدور «انتهى»<sup>(١)</sup>.

قال ابن هاشور: «ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها؛ وهو تحديد كفيات نطق العرب بالحروف فى مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب فى لهجات النطق بتلقى ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرض مهم جداً لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره فى اختلاف معانى الآى، ولم أر من عرف لفظ القراءات حقه من هذه الجهة، وفيها أيضاً سعة من بيان وجوه الإعراب فى العربية، فهى لذلك مادة كبرى لعلوم اللغة العربية»<sup>(٢)</sup>.

قال المدرس: «من فوائد اختلاف القراءة وتعدد الحروف: التخفيف والتيسير على هذه الأمة، فإن كل إنسان متعود على لهجته: من الفتح، أو الإمالة، أو غيرها من سائر

٢. التحرير والتنوير ج ١ ص ٥١.

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٣١٣-٣١٤.

## الأحرف والأوجه .

ومنها : جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها؛ وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة . فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا ، ويختارون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحذب . ثم يهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المَرِنة التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة ، وعقدوا لها راية الإمامة . ومنها صح أن يقال : إنه نزل بلغة قريش . لأن لغات العرب تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى<sup>(١)</sup> .



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## أعداد القراءات

قال المحققان: «... ثم اشتهرت عبارات تحمل أعداد القراءات، فقبل: القراءات السبع، والقراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة. وأحظى الجميع بالشهرة بالقراءات السبع. وهي القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة المعروفين، وهم: نافع وعاصم وحمزة وعبدالله بن عامر وعبدالله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء وعلي الكسائي. والقراءات العشر؛ هي هذه السبع، وزيادة قراءات هؤلاء الثلاثة: أبي جعفر ويعقوب وخلف»<sup>(١)</sup>.

قال الخفاجي: والقراء السبعة الذين رووا القراءات السبع هم:

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ هـ عبدالله بن كثير م ١٢٠ هـ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ عبدالله بن عامر اليحصبي م ١١٨ هـ

عاصم بن بهدلة الأسدي م ١٢٨ هـ حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ

علي بن حمزة الكسائي م ١٨٩ هـ

وهناك سبع روايات تم عليها الأجماع، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى الإجماع، وأربع أخرى بين القوة والضعف، فجملة ذلك كله: أربع عشرة قراءة»<sup>(٢)</sup>.

١. مقدمة البحر المحيط ج ١ ص ٧٩ وقد نقل عين هذه العبارة المدرس في مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٥.

٢. تفسير القرآن الحكيم (الخفاجي) ج ١ ص ٢١ - ٢٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## القراء المشهورون ورواتهم

قال الطبرسي (ره) :

« أما المدني : فأبو جعفر يزيد بن القعقاع ؛ وليس من السبعة ، وذكر أنه قرأ على عبد الله بن عباس وعلى مولاة عبد الله بن عباس بن أبي المخزومي ، وهما قرأ على أبي بن كعب ، وقرأ أبي على النبي ﷺ وله رواية واحدة .

ونافع بن عبد الرحمن ؛ وقرأ على أبي جعفر ومنه تعلم القرآن ، وعلى شيبه بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وقرأ على ابن عباس ، وله ثلاث روايات : رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ، ورواية قالون وهو عيسى بن مينا ، ورواية إسماعيل بن جعفر .

وأما المكّي : فهو عبد الله بن كثير - لا غير - وقرأ على مجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عباس ، وله ثلاث روايات : رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية أبي الحسين القواس . وإذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل : حجازي .

وأما الكوفي : فأولهم عاصم بن أبي النجود بهدلة ؛ وله روايتان : رواية حفص بن سليمان البزاز ، ورواية أبي بكر بن عياش . ولأبي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية أبي يوسف الأعشى ، وأبي صالح البرجمي ، ويحيى بن آدم ولحفص أربع روايات : رواية أبي شعيب القواس ، وهبيرة التمار ، وعبيد بن الصباح ، وعمرو بن الصباح .

ثم حمزة بن حبيب الزيات ؛ وله سبع روايات : رواية العجلي عبد الله بن صالح ،



ورواية رجاء بن عيسى، ورواية حماد بن أحمد، ورواية خلاد بن خالد، ورواية أبي عمر الدوري، ورواية محمد بن سعدان النحوي، ورواية خلف بن هشام.

ثم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي؛ وله ست روايات رواية: قتيبة بن مهران، ورواية نصير بن يوسف النحوي، ورواية أبي الحارث، ورواية أبي حمدون الزاهد، ورواية حمدون بن ميمون الزجاج، ورواية أبي عمر الدوري.

ثم خلف بن هشام البزاز؛ وليس من السبعة، وله اختيار.

فأما عاصم؛ فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام، وقرأ أيضاً على زر بن حبيش، وهو قرأ على عبد الله بن مسعود.

وأما حمزة؛ فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وقرأ أيضاً على الأعمش سليمان بن مهران، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وهو قرأ على علقمة ومسروق والأسود بن يزيد، وقرأوا على عبد الله بن مسعود. وقرأ حمزة على حمران بن أعين أيضاً، وهو قرأ على أبي الأسود الدؤلي، وهو قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الكسائي؛ فقرأ على حمزة، ولقي من مشايخ حمزة ابن أبي ليلي وقرأ عليه وعلى إبان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم.

وأما البصري؛ فأبو عمرو بن العلاء؛ وله ثلاث روايات: رواية شجاع بن أبي نصير، ورواية العباس بن الفضل، ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك. ولليزيدي ست روايات: رواية أبي حمدون الزاهد، وأبي عمر الدوري، وأوقية، وأبي نعيم غلام شحادة، وأبي أيوب الخياط، وأبي شعيب السوسي.

ومن البصرة؛ يعقوب بن إسحاق الحضرمي وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليس من السبعة. فأما يعقوب؛ فله ثلاث روايات: رواية روح، وزيد، ورويس، وإذا اجتمع أهل البصرة والكوفة قيل: عراقي.

وأما الشامي؛ فهو عبد الله بن عامر اليحصبي، لا غير وقرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان، وله روايتان: رواية ابن ذكوان، ورواية هشام بن عمار.

قالوا: وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين .  
 أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة عملهم، ومن كان  
 قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ  
 لم يتجرد لذلك تجردهم، وكان الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم .  
 والآخر: أن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره،  
 مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن، فإذا قد تبين ذلك .  
 فاعلم! أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء  
 بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة  
 ....» (١)

قال النيشابوري في ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات :  
 وأبو عمرو - زيان بن العلاء البصرى . روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبيرة عن ابن  
 عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، ومات سنة أربع وخمسين ومائة . ورواه ثلاثة :  
 أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي؛ روى عنه أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز  
 الدورى طريق أبي الزعراء عبدالرحمن بن عبدوس، وأبو الفتح عامر بن صالح الموصلى  
 المعروف بأوقية طريق أبي قبيصة حاتم بن إسحق الموصلى، وأبو شعيب صالح بن زياد  
 السوسى طريق أبي الحارث محمد بن أحمد الرقى، وأبو إسحق إبراهيم بن حماد طريق  
 أبي عيسى موسى بن عبدالله الهاشمى .  
 وأبو نعيم شجاع بن أبي نصر الخراسانى؛ روى عنه أبو جعفر محمد بن غالب طريق  
 أبي على الحسن بن الحسين الصواف .  
 وعباس بن فضل الأنصارى . روى عنه أبو عمرو محمد بن عمر بن رومى طريق  
 أبي إسحق إبراهيم بن كعب الموصلى، وطريق شباب بن خليفة وهو الأصح، وطريق  
 أبي إسحق أيضا عن أوقية .  
 ابن كثير - هو أبو محمد عبدالله بن كثير المكى؛ روى عن مجاهد بن جبر عن ابن

عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ. وتوفى سنة عشرين ومائة، ورواته أربعة :  
 أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة  
 البزى، وبينه وبين ابن كثير رجال، لأنه يروى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبيل بن  
 عباد، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير. وروى عن البزى أبو ربيعة محمد  
 بن إسحق بن أعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي، وطريق أبي بكر محمد بن الحسن  
 المعروف بالنقاش الموصلي. وأبو محمد إسحق بن أحمد الخزاعي المكي طريق ابن  
 شنبوذ، وطريق الهاشمي. وطريق أبي بكر أحمد بن محمد الطوابقي وطريق أبي القاسم  
 السرنديبي وطريق أبي الحسن علي بن زوابة القزاز وطريق أبي بكر محمد بن عيسى بن  
 بندار الجصاص، وأبو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزى.

عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير، ورجاله: محمد بن سبعون، وداود بن شبيل  
 عن إسماعيل بن عبد الله عن ابن كثير. وروى عن ابن فليح أبو علي الحداد طريق النقاش  
 وطريق الهاشمي، وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ.

أبو الحسن أحمد بن محمد بن عون القواس، وبينه وبين ابن كثير أيضا رجال، لأنه  
 يروى عن أبي الإخريط وهب بن واضح عن إسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عامر  
 الأموي، ومعروف ابن مشكان وشبيل بن عباد عن ابن كثير وروى عن القواس قبل، طريق  
 الزينبي، طريق أبي ربيعة، طريق أبي نجاح، طريق ابن أبي عون القاضي، طريق ابن شنبوذ،  
 طريق أبي القاسم السرنديبي.

زمعة بن صالح عن ابن كثير، طريق عبد الله بن مسعود وطريق شعيب بن مرة.  
 نافع بن أبي نعيم المدني - قرأ على أبي جعفر القاري، وعلى سبعين من التابعين :  
 علي ابن عباس، وأبي هريرة، علي أبي بن كعب، علي النبي ﷺ. وتوفى سنة تسع  
 وستين ومائة، ورواته ثلاثة :

إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري؛ روى عنه أبو الزعراء وأبو بكر الحسن بن علي  
 بن بشار النحوي وأبو جعفر أحمد بن فرج الضرير.

ورث: اسمه عثمان بن سعيد المصري. روى عنه محمد بن عبد الرحيم الأصفهاني

طريق أبي الحسن محمد بن أحمد المروزي وطريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم ، وأبو عبدالله محمد بن إسحق البخاري ، طريق أبي الأسد أحمد بن إبراهيم الفقيه ، وطريق أبي بكر محمد بن مرثد التميمي .

قالون : واسمه عيسى بن مينا النحوي . روى عنه أبو علي الحسن بن عباس الرازي طريق أبي بكر أحمد بن حماد المقرئ . وأبو إبراهيم مصعب بن إبراهيم الزهري طريق أبي بكر محمد بن عبدالله بن فليح . وأبو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق أبي حسان محمد بن أحمد بن الأشعث الجيزي . وأبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني طريق الحسن بن العباس الرازي ، وطريق أبي عون القاضي .

عبدالله بن عامر اليحصبي الشامي - قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة . وله راويان : روى عنه من رجاله أبو محمد عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي . ورجاله أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر . روى عنه أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبدالله المقرئ ، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبدالله أيضا ، وأبو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الأخرم ، عن الأخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار ، عن رجاله عن ابن عامر . ورجاله أيوب بن تميم ، وسويد بن عبدالعزيز عن يحيى ابن الحارث . روى عنه البخاري عن الحلواني عن هشام طريق أبي علي الحسن بن مهران ، وأبو الحسين أحمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق أبي عبدالله الحسين بن علي بن حماد الأزرق ، وأبو إسحق إبراهيم بن يونس الرازي طريق البخاري .

عاصم بن بهدلة الأسدي - قرأ عاصم على زر بن حبيش ، على عبدالله بن مسعود ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقرأ أيضاً على أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمى معلم الحسن والحسين علي بن علي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة . ورواته أربعة :

أبو عمر حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة البزاز الأسدي وكان شريك أبي حنيفة .

روى عنه أبو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق أحمد بن على الخراز، وأبو حفص عمرو بن الصباح طريق عبدالصمد بن محمد.

أبو بكر شعبة بن عياش. روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب اليشكري وأبو زكريا يحيى بن آدم القرشي طريق أبي حمدون الطيب بن إسماعيل وطريق شعيب بن أيوب ابن زريق الصريفي، وأبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى. وله راويان: روى عنه أبو جعفر محمد بن غالب، ومحمد بن حبيب الشموني.

حماد بن أبي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الأنصاري رحمه الله تعالى.

المفضل بن محمد الضبي. روى عنه جبلة بن مالك النضري طريق أبي زيد عمرو بن شيبه، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري طريق محمد بن يحيى القطفي رحمه الله تعالى. حمزة بن حبيب الزيات العجلي - قرأ على سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن أبي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي ﷺ وتوفى سنة ست وخمسين ومائة. ورواه أربعة:

أبو إسحاق إبراهيم بن زربي طريق أبي المستنير رجاء بن عيسى بن رجاء الجوهري. عبدالرحمن قلوفا طريق أبي المستنير أيضا.

أبو محمد عبدالله بن صالح العجلي طريق أبي حمدون الطيب بن إسماعيل وطريق أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عبدالعزيز المقرئ، ويروى نصير بن عبدالله المقرئ، وهو الأصح.

سنين بن عيسى الحنفي. روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القاسم بن زيد الوزان وأبو محمد خلف بن هشام البزار طريق أبي الحسين إدريس بن عبدالكريم الحداد، وأبو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان وطريق أبي واصل أحمد بن واصل وأبو عمرو الدوري طريق أبي الزعراء.

على بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر

بن حبيش على عثمان وعلى وابن مسعود على النبي ﷺ . توفي سنة تسع وثمانين ومائة هـ .

وله ستة رواة : أبو عبدالرحمن قتيبة بن مهران الأزاذاني . روى عنه أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم المقرئ ، طريق أبي الفضل العباس بن الوليد بن مرداس ، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران طريق أحمد بن حدى .

أبو المنذر نصر بن يوسف النحوى . روى عنه محمد بن إدريس الأشعري المعروف بالديداني طريق أبي عبدالله الحسين بن علي بن حماد المعروف بالأزرق ، وأبو عبدالله محمد بن عيسى الأصفهاني طريق أبي علي الحسن بن عباس الرازي ، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن أحمد المقرئ ، وأبو جعفر علي بن أبي نصير النحوى طريق الأزرق المذكور .

أبو الحارث الليث بن خالد طريق أبي عبدالله محمد بن يحيى الكسائي .  
حمدويه بن ميمون الزجاج طريق أبي العباس أحمد بن يعقوب السمسار .  
أبو حمدون الطيب بن إسماعيل طريق أبي علي الحسن بن محمد بن الحسين الصواف .  
أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز الدورى . روى عنه أبو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوى طريق أبي الفرج بن محمد بن إبراهيم ، وأبو الزعراء طريق أبي بكر بن مجاهد ، وأبو الحسن علي بن سليم طريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر ، وطريق إبراهيم بن أحمد الخرقى ، وأبو جعفر أحمد بن فرح الضرير طريق أبي بكر النقاش الموسلى .

### - ذكر الأئمة المختارين وتسمية رواتهم

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى المدنى . وقار : موضع من المدينة . ورواه اثنان : أبو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن مينا النحوى . وأبو مسلم سليمان بن مسلم الجمازى الزهرى طريق أبي عبدالرحمن قتيبة بن مهران .

أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمى توفي في ذى الحجة سنة خمس ومائتين ، وقرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وأبي عمر . ورواه ثلاثة : روح بن عبدالملك طريق أحمد بن يحيى المعدل ، أبو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤى الملقب

برويس طريق أبي بكر محمد بن هرون وطريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه، أبو أحمد زيد بن أحمد بن إسحاق طريق المعدل أيضاً وطريق محمد بن هرون.

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار طريق أبي الحسن إدريس بن عبدالكريم، ونقله أبو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار، وقرأ خلف على سليم على حمزة. أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق أبي علي الحسن بن تميم وطريق أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم. وقرأ سهل على يعقوب وأيوب بن المتوكل، فهذا هو المعول عليه من القراءات. وأما انشواذ فلا نتعرض منها إلا لما فيه نكتة أو غرابة، وذلك في أثناء التفسير لا في خلال القراءات، والله أعلم بالصواب»<sup>(١)</sup>.

قال ابن جزى: «في جوامع القراءة، وهو على نوعين: مشهورة، وشاذة، فالمشهورة القراءات السبع، وهو حرف نافع المدني وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصرى، وابن عامر الشامى، وعاصم، وابن حمزة والكسائى الكوفيين. ويجرى مجراهم فى الصحة والشهرة: يعقوب الخضرى<sup>(٢)</sup> بن محيىصن، ويزيد بن القعقاع. والشاذة ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها فى النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوياً المعنى»<sup>(٣)</sup>.

قال أبو حيان: «قرأت القرآن برواية ورش؛ وهى الرواية التى نشأ عليها ببلادنا وتعلمها أولاً فى المكتب على المسند المعثر العدل أبى طاهر اسمعيل بن هبة الله بن على الملبجى بمصر. وقرأتها على أبى الجود غياث بن فارس بن مكى المنذرى بمصر. وقرأتها على أبى الفتوح ناصر بن الحسن بن اسمعيل الزيدى. وقرأتها على أبى الحسن يحيى بن على بن أبى الفرج الخشاب بمصر. وقرأتها على أبى الحسن أحمد بن سعيد بن نفيس بمصر. وقرأتها على ابن عدى عبدالعزيز بن على بن محمد، عرف بابن الامام بمصر. وقرأتها على أبى بكر بن عبد الله بن مالك بن سيف بمصر. وقرأتها على أبى يعقوب بن يوسف بن عمرو بن سيار، ويقال يسار الأزرق، بمصر. وقرأتها على أبى عمرو عثمان بن

٢. كذا والصحيح: الحضرمي.

١. غرائب القرآن ج ١ ص ١١-١٥.

٣. التسهيل ج ١ ص ١١.

سعید بن عدی الملقب بورش بمصر . وقرأتها على أبي عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم بمدينة رسول الله ﷺ . وقرأ نافع على أبي جعفر يزيد بن القعقاع بمدينة رسول الله ﷺ . وقرأ يزيد على عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي بمدينة رسول الله ﷺ . وقرأ عبدالله على أبي المنذر أبي بن كعب بمدينة رسول الله ﷺ . وقرأ أبي على رسول الله ﷺ ، هذا اسناد صحيح دائر بين مصرى ومدنى ، فمن شيخى الى ورش مصريون ، ومن نافع الى من بعده مدنيون ، ( ومثل هذا الاسناد عزيز الوجود بينى وبين رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلا ) وهذا من أعلى الاسانيد التى وقعت لى ، وقد وقع لى فى بعض القراءات أن بينى وبين رسول الله ﷺ اثنى عشر رجلا ، وذلك فى قراءة عاصم ؛ وهى القراءة التى ينشأ عليها أهل العراق ، وهو اسناد أعلى ما وقع لا مثالا . وقرأت القرآن على أبي الطاهر ابن المليجي . قال : قرأت على أبي الجود ، قال : قرأت على أبي الفتوح الزيدى ، قال : قرأت على أبي الحسن على بن أحمد الابهرى ، قال : قرأت على أبي الحسن بن ابراهيم الاهوازى ، قال : قرأت على أبي الحسن بن على بن الحسين بن عثمان الغضائري وقرأ الغضائري على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطى ، قال : قرأت على أبي محمد يحيى بن محمد بن قيس الأنصارى العليمى الكوفى ، قال : قرأت على أبي بكر بن عياش ، قال : قرأت على عاصم . وقرأ عاصم على أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمى . وقرأ السلمى على أبي بن كعب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت . وقرأ هؤلاء الخمسة على رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> .

قال المحققان:

المقرئون من الصحابة : «فالمشهورون من الصحابة بإقراء القرآن عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسائر أولئك الذين أرسلهم عثمان بالمصاحف إلى الآفاق الإسلامية .

المقرئون من التابعين :

والمشهورون من التابعين : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبدالعزيز ، وسليمان بن يسار ، وأخوه عطاء ، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن جندب ، وابن شهاب الزهري ،



وعبدالرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القاريء . ( وكل هؤلاء كانوا بالمدينة ) .

وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة وابن أبي مليكة وعبيد بن عمير وغيرهم ( وهؤلاء كانوا بمكة ) .

وعامر بن عبدالقيس ، وأبو العالية ، وأبورجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وغيرهم . ( هؤلاء كانوا بالبصرة ) .

وعلقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، والربيع بن خثيم ، والحارث بن قيس ، وعمر بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبدالرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضلة ، وأبو زرعة بن عمرو ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، والشعبي ، ( وهؤلاء كانوا بالكوفة ) .

والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان ، وخليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء ، وغيرهما . ( وهؤلاء كانوا بالشام ) .

ثم تفرغ قوم للقراءات يضبطونها ويعنون بها ، فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبه بن نصاح ، ثم نافع بن أبي نعيم .

وكان بمكة عبدالله بن كثير ، وحמיד بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصة . وكان بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائي .

وكان بالبصرة عبدالله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي .

وكان بالشام عبدالله بن عامر وعطية بن قيس الكلبي وإسماعيل بن عبدالله بن المهاجر . ثم يحيى بن الحارث الذماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي .

وقد لمع في سماء هؤلاء القراء نجوم عدة ، مهروا في القراءة والضبط حتى صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم ويؤخذ عنهم <sup>(١)</sup> .

١ . مقدمة البحر المحيط ج ١ ص ٧٨ وقد ذكرت عين هذه العبارات في مقدمة سواهب الرحمان وقد صرح بنقله عن كتاب مناهل العرفان الا ان المدرس لم يذكر اسامي قراء مكة وذكر عنوان قراء مكة عقب اسامي قراء المدينة .

## أحسن القراءات

قال هود بن محكم :

« ذكروا أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وآله ، فيعرض عليه القرآن كل عام عرضة ، وأنه أتاه في العام الذي قبض فيه فعرضه عليه عرضتين . فقال بعضهم : فكانوا يرون العرضة الآخرة قراءة ابن عفان . وقال بعضهم : فكانوا يرون العرضة الآخرة قراءة تنا هذه .

ذكروا عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أبي أقرأكم للقرآن »<sup>(١)</sup> .

ذكروا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن أرفأ أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر بن الخطاب ، وأصدقهم حديثاً عثمان بن عفان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفضهم زيد بن ثابت ، والأمين أبو عبيدة بن الجراح »<sup>(٢)</sup> .

ذكروا: أن عمر بن الخطاب قال : « أقرأنا أبي ، وأقضانا علي بن أبي طالب » .

ذكر الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرنك القرآن » .

١ . أخرجه مسلم بمعناه ضمن حديث في كتاب فضائل الصحابة (٢٤٦٤) عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة » .

٢ . أخرجه أبو يعلى في مسنده عن ابن عمر . وفيه بعد ذكر عثمان : « وأقضاهم علي » .

قال: «أَوْ قد ذكرت ثم وسماني الله لك؟» قال: «نعم». قال: «فبكي أبي» (١).  
 ذكروا أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يقرأ القرآن [غصاً] (٢) جديداً فليقرأه على  
 قراءة ابن مسعود» (٣)، (٤).

قال ابن جزي:

«ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة. وشاذة. فالمشهورة: هي القراءات السبع  
 وما جرى مجراها: كقراءة يعقوب. وابن محيصين (٥). والشاذة ما سوى ذلك. وإنما بنينا  
 هذا الكتاب على قراءة نافع، لوجهين: أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس  
 وسائر بلاد المغرب. والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة. وقال  
 مالك بن أنس: قراءة نافع سنة. وذكرنا من سائر القراء ما فيها فائدة في المعنى والاعراب  
 وغير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة» (٦).

قال الفيض الكاشاني:

«... وبإسناده عن عبدالله بن فرقد والمعلّى بن خنيس قالوا: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام  
 ومعنا ربيعة الرأي فذكر القرآن، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إن كان ابن مسعود لا يقرأ على  
 قراءة تنا فهو ضال. قال (٧): ربيعة ضال؟. فقال: «نعم ضال». ثم قال أبو عبدالله عليه السلام:  
 «أما نحن فنقرأ على قراءة أبي».

ولعل آخر الحديث ورد على المسامحة مع ربيعة مراعاة لحرمة الصحابة وتداركاً  
 لما قاله ابن مسعود؛ ذلك لأنهم عليه السلام لم يكن يتبعون أحداً سوى آباؤهم عليه السلام، لأن علمهم  
 من الله وفي هذا الحديث اشعار بأن قراءة أبي كانت موافقة لقراءتهم عليه السلام أو كانت أوفق لها

١. أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب أبي بن كعب. وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من  
 فضائل أبي بن كعب. (٢٤٦٥). كلاهما يرويه عن أنس بن مالك، وفي الحديث: «وإن الله أمرني أن أقرأ عليك بكري  
 الذين كفروا» سورة البينة: الآية ١.

٢. في بياض قدر كلمة أثبت فيه كلمة «غصاً» كما وردت في بعض كتب الحديث. نسخة

٣. حديث صحيح أخرجه أحمد والحاكم، وأخرجه ابن ماجه في مقدمته سننه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ  
 (١٣٨) بلفظ: «عن عبدالله بن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراء أن رسول الله ﷺ قال: من أحب أن يقرأ القرآن

غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

٤. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٥.

٥. الصحيح ابن محيصين.

٦. التسهيل ج ١ ص ٧.

٧. في نسخة: فقال.

من قراءة غيره من الصحابة .

... وأما نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير، أحسن القراءات كانت قراءة من كانت كالأخف على اللسان والأوضح في البيان، والآنس للطبع السليم والأبلغ لذي الفهم القويم، والأبعد عن التكلف في إفادة المراد والأوفق لأخبار المعصومين . فان تساوت أو أشبهت فقراءة الأكثرين في الأكثر»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور: « وقد سئل ابن رشد عما يقع في كتب المفسرين والمعربين من اختيار إحدى القراءتين المتواترتين وقولهم: « هذه القراءة أحسن » أذاك صحيح أم لا ؟ فأجاب: « أما ما سألت عنه مما يقع في كتب المفسرين والمعربين من تحسين بعض القراءات واختيارها على بعض لكونها أظهر من جهة الإعراب ، وأصح في النقل وأيسر في اللفظ فلا ينكر ذلك ، كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا أي بالأندلس .

فكان الإمام في الجامع لا يقرأ إلا بها لما فيها من تسهيل النبرات وترك تحقيقها في جميع المواضع، وقد يؤول ذلك فيما روي عن مالك من كراهية النبر في القرآن في الصلاة . وفي كتاب الصلاة الأول من العتبية: « سئل مالك عن النبر في القرآن فقال: إنى لأكرهه وما يعجبني ذلك » .

قال ابن رشد في البيان: « يعنى بالنبر ههنا إظهار الهمزة في كل موضع على الأصل » فكره ذلك واستحب فيه التسهيل على رواية ورش ، لما جاء من أن رسول الله ﷺ لم تكن لغته الهمز ، أى: إظهار الهمز في الكلمات المهموزة بل كان ينطق بالهمزة مسهلة إلى أحرف علة من جنس حركتها، مثل ياجوج وماجوج بالألف دون الهمزة ، ومثل الذيب في الذئب - ومثل مؤمن في مؤمن .

ثم قال: « ولهذا المعنى كان العمل جارياً في قرطبة - قديماً - أن لا يقرأ الإمام بالجامع الصلاة إلا برواية ورش ، وإنما تغير ذلك وتركت المحافظة عليه منذ زمن قريب » ، اهـ .

وهذا خلف بن هشام البزار راوى حمزة ، قد اختار لنفسه قراءة من بين قراءات الكوفيين ، ومنهم شيخه حمزة بن حبيب وميزها قراءة خاصة ، فعدت عاشرة القراءات

العشر وما هي إلا اختيار من قراءات الكوفيين ، ولم يخرج عن قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم إلا في قراءة قوله تعالى: ﴿وحرّام على قرية﴾<sup>(١)</sup> قرأها بالألف بعد الراء مثل حفص والجمهور .

فإن قلت : هل يفضى ترجيح بعض القراءات على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة ، فيفضى إلى أن المرجوحة أضعف في الإعجاز؟

قلت : حد الإعجاز مطابقة الكلام للمعجز مشتقاً على لطانف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن؛ كالجناس والمبالغة ، أو تتعلق بزيادة الفصاحة ، أو بالتفنن ، مثل : «أمّ تسألهم خرجا فخراج ربك خير» .

على أنه يجوز أن تكون إحدى القراءات نشأت عن ترخيص النبي ﷺ للقارىء أن يقرأ بالمرادف تيسيراً على الناس ، كما يشعر به حديث تنازع عمر مع هشام بن حكيم ، فتروى تلك القراءة للخلف فيكون تمييز غيرها عليها بسبب أن المتميزة هي البالغة غاية البلاغة وأن الأخرى توسعة ورخصة ، ولا يعكز ذلك على كونها أيضاً بالغة الطرف الأعلى من البلاغة وهو ما يقرب من حد الإعجاز .

وأما الإعجاز؛ فلا يلزم أن يتحقق في كل آية من آي القرآن لأن التحدى إنما وقع بسورة مثل سور القرآن ، وأقصر سورة ثلاث آيات فكل مقدار يتنظم من ثلاث آيات من القرآن يجب أن يكون مجموعه معجزاً .

تنبيه: أنا أقتصر في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات العشر المشهورة ، خاصة في أشهر روايات الراويين عن أصحابها لأنها متواترة ، وإن كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في أقطار الإسلام .

وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون ، لأنها القراءة المدينة إماماً وروياً ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس ، ثم أذكر خلاف بقية القراء العشرة خاصة .

والقراءات التي يُقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام من هذه القراءات العشر، هي قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي ليبيا، وبرواية ورش في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي جميع القطر الجزائري وجميع المغرب الأقصى وما يتبعه من البلاد، والسودان.

وقراءة عاصم برواية حفص عنه في جميع الشرق من العراق والشام، وغالب البلاد المصرية والهند وباكستان وتركيا وأفغان.

وبلغني أن قراءة أبي عمرو البصري يُقرأ بها في السودان المجاور مصر<sup>(١)</sup>.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## ضابط قبول القراءات

قال ابن جزى: «ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاثة شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفان، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات، ونقله نقلاً متواتراً أو مستفيضاً»<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي: «... واشتبه متواتر القراءات بفأذها ومشهورها بشأذها، فمن ثم وضع الأئمة لذلك ميزاناً يرجع إليه، ومعياراً يُعَوَّل عليه. وهو السند والرسم والعربية. فكل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية، ووافق لفظه خط مصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة، فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات على سبعة، كانوا<sup>(٢)</sup> لولاه سبعة آلاف، ومتى سقط شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ. هذا لفظ الكواشى فى أول تفسيره.

إلا أن بعضهم لم يكتف بصحة السند فقط، بل اشترط معها التواتر. ذاهباً إلى أن ما جاء مجيء الأحاد لا يثبت به قرآن، وقواه أبو القاسم النويرى؛ بأن عدم اشتراط التواتر قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلاً متواتراً. وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر.

ثم قال النويرى: ولم يخالف من المتأخرين إلا مكى، وتبعه بعض المتأخرين: يعنى



فى الاكتفاء بالمعيار الذى ذكره الكواشى .

قال القسطلانى فى اللطائف : وهذا ( يعنى اشتراط التواتر ) بالنظر لمجموع القرآن .  
وإلا فلو اشترطنا التواتر فى كل فرد فرد من أحرف الخلاف انتفى كثير من القراءات  
الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم . كذا فى اللطائف للقسطلانى<sup>(١)</sup> .

قال القاسمى : «قال فى النشر بعد ما تقدم : على أن مخالف صريح الرسم فى حرف  
مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك ، لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به ووردت  
مشهورة مستفاضة . ألا تسرى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد ، وحذف ياء  
﴿ تَسْأَلُنِي ﴾<sup>(٢)</sup> فى الكهف ، وقراءة ﴿ وَأَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، والطاء من  
﴿ يَهْنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ونحو ذلك ، من مخالف الرسم المردود . فإن الخلاف فى ذلك يغتفر ، إذ  
هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشية صحة القراءة وشهرتها وتلقيتها بالقبول . وذلك  
بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى لو كانت حرفا من حروف المعانى ،  
فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه . وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة  
اتباع الرسم ومخالفته»<sup>(٥)</sup> .

قال القاسمى : مدار القراءات على صحة النقل لا على الأتيس ، عربية :

قال الدانى فى جامع البيان : أئمة القراءة لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على  
الأقضى فى اللغة والأقيس فى العربية . بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية .  
إذا ثبتت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة . لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها  
والمصير إليها»<sup>(٦)</sup> .

قال القاسمى فى بحث القراءات الشاذة :

قال الحافظ ابن الجزرى فى النشر : قال الإمام أبو محمد مكى : إن جميع ما روى فى  
القرآن على ثلاثة أقسام :

قسم يقرأ به اليوم . وذلك ما اجتمعت فيه ثلاث خلال . وهى أن ينقل عن الثقات عن

١ . محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .  
٢ . سورة الكهف : الآية ٧٠ .  
٣ . سورة المنافقون : الآية ١٠ .  
٤ . سورة التكاوير : الآية ٢٤ .  
٥ . محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠١ .  
٦ . محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠٠ .

النبي ﷺ ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغا ، ويكون موافقا لخط المصحف . فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرىء به ، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه . لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف . وكفر من جحدته .

#### القسم الثاني :

ما صح نقله عن الأحاد ، وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه المصحف . فهذا يقبل ولا يقرأ به . لعلتين : إحداهما : أنه لم يؤخذ بإجماع ، إنما أخذ بأخبار الأحاد . ولا يثبت قرآن ، يقرأ به ، بخبر الواحد . والعللة الثانية : أنه مخالف لما قد أجمع على مغيبه وصحته ، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ولا يكفر من جحدته . ولبس ما صنع ، إذا جحدته .

#### القسم الثالث :

هو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية ، فهذا لا يقبل ، وإن وافق خط المصحف .

قال ابن الجزرى : مثال القسم الأول : مالك ، وملك . يخدعون ، ويخادعون . وأوصى ، ووصى . وتطوع ، ويطوع . ونحو ذلك من القراءات المشهورة . ومثال القسم الثاني : قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء (والذكر والأنثى) في ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ ، وقراءة ابن عباس « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » ، « وأما الغلام فكان كافرا » ونحو ذلك مما ثبت برواية الثقات .

واختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في الصلاة . فأجازها بعضهم ، لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرأون بهذه الحروف في الصلاة . وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعى وأبى حنيفة . وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد . وأكثر العلماء على عدم الجواز . لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ . وإن ثبتت بالنقل ، فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني . أو أنها لم تنقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن . أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة .

ومثال القسم الثالث : مما نقله غير ثقة :- كثير مما في كتب الشواذ - مما غالبه إسناده

ضعيف . كقراءة ابن السميعف وأبى السمال وغيرهما فى ﴿ننحيك ببدنك﴾<sup>(١)</sup> ننحيك بالحاء المهلمة . وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبى حنيفة التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ونقلها عنه أبو القاسم الهذلى وغيره ، فإنها لا أصل لها . ومنها : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(٢)</sup> برفع الهاء ونصب الهمزة . وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه وتكلف توجيهها .

قال ابن الجزرى : وإن أبى حنيفة ليرىء منها .

ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له فى العربية ، ولا يصدر مثله إلا على وجه السهو والغلط ، وعدم الضبط . يعرفه الأئمة المحققون ، والحفاظ الضابطون ، وهو قليل جدا ، بل لا يكاد يوجد ، وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع (ومعاش) - بالهمزة - وما رواه ابن بكار عن أيوب عن يحيى عن ابن عامر من فتح باء ﴿أدرى أقرىب﴾<sup>(٣)</sup> ، مع إثبات الهمزة ، وهى رواية زيد وأبى حاتم عن يعقوب ، وما رواه أبو على العطار عن العباس عن أبى عمرو (ساحران تظاهرا) بتشديد الظاء ، والنظر فى ذلك لا يخفى .

ثم قال ابن الجزرى :

وبقى قسم مردود أيضاً ، وهو ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل أئمة ، فهذا رده أحق ، ومنعه أشد . وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادى المقرئ النحوى ، وكان بعد الثلاثمائة . قال الإمام أبو طاهر بن أبى هاشم فى كتابه «البيان» : وقد نبغ نابغ فى عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف ، فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها . فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل .

قلت : وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد ، حضره الفقهاء والقراء ، وأجمعوا على منعه ، وأوقف للضرب فتاب ورجع ، وكتب عليه بذلك محضر ، كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد .

قلت : ونقله القاضى أبو بكر فى الانتصار ، ورده . وعبارته : وقال قوم من المتكلمين :

٢ . سورة فاطر : الآية ٢٨ .

١ . سورة يونس : الآية ٩٢ .

٣ . سورة الجن : الآية ٢٥ .

إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف، إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية وإن لم يثبت أن النبي ﷺ قرأ بها. قال: وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطأوا من قال به اهـ.

قال ابن الجزرى: ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق، وهو الذى ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، كما روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وكثير من التابعين، أنهم قالوا: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، فاقروا كما علمتوه.

ثم قال ابن الجزرى:

أما إذا كان القياس على إجماع انعقد، أو عن أصل يعتمد، فيصار إليه عند عدم النص، وغموض وجه الأداء، فإنه مما يسوغ قبوله، ولا ينبغي رده، لا سيما فيما تدعو إليه الضرورة، وتمس الحاجة، كمثل ما اختير في تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء، وفي إثبات البسمة وعدمها لبعض القراء، ونقل «كتابه انى» وإدغام «ماليه هلك» قياساً عليه، وكذلك قياس «قال رجلان»، وقال رجل «على» قال رب «في الإدغام، كما ذكره الدانى وغيره. ونحو ذلك مما لا يخالف نصاً، ولا يرد إجماعاً ولا أصلاً، مع أنه قليل جداً. وإلى ذلك أشار مكى بن أبى طالب رحمه الله في كتابه «التبصرة»، حيث قال: «فجميع ما ذكرنا في هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام: قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص في الكتب موجود، وقسم قرأت به وأخذته لفظاً أو سماعاً وهو غير موجود في الكتب، وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب، ولكن قسته على ما قرأت به، إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرؤية في النقل والنص، وهو الأقل».

وقال ابن الجزرى:

وقد زل بسبب ذلك قوم وأطلقوا قياس ما لا يروى على ما روى، وماله وجه ضعيف على الوجه القوي، كأخذ بعض الأغبياء بإظهار الميم المقلوبة من النون والتنوين<sup>(١)</sup>. قال القاسمى في بيان أن كل قراءة صحت عن النبي ﷺ وجب قبولها والإيمان بها:

«قال الحافظ ابن الجزرى فى النشر: كل ما صح عن النبى ﷺ من القراءات، فقد وجب قبوله، ولم يسع أحداً من الأمة رده، ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض، وإلى ذلك أشار عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: «لا تختلفوا فى القرآن ولا تتنازعوا فيه، فإنه لا يختلف ولا يتساقط. ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر، كان ذلك الاختلاف. ولكنه جامع ذلك كله، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها، فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله».

قال ابن الجزرى: قلت: وإلى ذلك أشار النبى ﷺ حيث قال لأحد المختلفين: «أحسنتم» وفى الحديث الآخر: «أصعبت» وفى الآخر: «هكذا أنزلت» فصوب النبى ﷺ قراءة كل من المختلفين، وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله <sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور: «... من أجل ذلك اتفق علماء القراءات والفقهاء على أن كل قراءة وافقت وجهاً فى العربية ووافقت خط المصحف - أى مصحف عثمان - وصح سند راويها، فهى قراءة صحيحة لا يجوز ردها.

قال أبو بكر ابن العربى: «ومعنى ذلك عندى أن تواترها تبع لتواتر المصحف الذى وافقته وما دون ذلك فهو شاذ، يعنى وأن تواتر المصحف ناشئ عن تواتر الألفاظ التى كتبت فيه».

قلت - وهذه الشروط الثلاثة، هى شروط فى قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبى ﷺ، فإن كانت صحيحة السند إلى النبى ولكنها لم تبلغ حد التواتر فهى بمنزلة الحديث الصحيح، وأما القراءة المتواترة فهى غنية عن هذه الشروط لأن تواترها يجعلها حجة فى العربية، ويغنيها عن الاعتراض بموافقة المصحف المجمع عليه، ألا ترى أن جمعاً من أهل القراءات المتواترة قرأوا قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ <sup>(٢)</sup> بظاء

٢. سورة التكويد: الآية ٢٤.

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٣١٠.

مشألة أى: بمتهم، وقد كتبت فى المصاحف كلها بالضاد الساقطة .

على أن أبا على الفارسى صنف كتاب الحجة للقراءات ، وهو معتمد عند المفسرين وقد رأيت نسخة منه فى مكاتب (الآستانه) . فالقراءات من هذه الجهة لا تفيد فى علم التفسير ، والمراد بموافقة خط المصحف موافقة أحد المصاحف الأنمة التى وجه بها عثمان بن عفان إلى أمصار الإسلام إذ قد يكون اختلاف يسير نادر بين بعضها ، مثل زيادة الواو فى ﴿ وسارعوا إلى مفطرة ﴾ <sup>(١)</sup> فى مصحف الكوفة، ومثل زيادة الفاء فى قوله ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾ <sup>(٢)</sup> فى سورة الشورى، ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً - أو إحساناً ﴾ <sup>(٣)</sup> فذلك اختلاف ناشىء عن القراءة بالوجهين بين الحفاظ من زمن الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبى ﷺ ، لأنه قد أثبتة ناسخو المصحف فى زمن عثمان فلا ينافى التواتر إذ لا تعارض ، إذا كان المتقول عنه قد نطق بما نقله عنه الناقلون فى زمانين أو أزمنة ، أو كان قد أذن للناقلين أن يقرأوا بأحد اللفظين أو الألفاظ ، وقد انحصر توفر الشروط فى الروايات العشر للقراء ، وهم : نافع بن أبى نعيم المدنى ، وعبدالله بن كثير المكى ، وأبو عمرو المازنى البصرى وعبدالله بن عامر الدمشقى ، وعاصم بن أبى النجود الكوفى ، وحمزة بن حبيب الكوفى ، والكسائى على بن حمزة الكوفى ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمى البصرى ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى ، وخلف البزار ( بزأى فألف فراء مهمله ) الكوفى ، وهذا العاشر ليست له رواية خاصة ، وإنما اختار لنفسه قراءة تناسب قراءات أنمة الكوفة ، فلم يخرج عن قراءات قراء الكوفة إلا قليلا ، وبعض العلماء يجعل قراءة ابن محيصن واليزيدى والحسن والأعمش ، مرتبة دون العشر ، وقد عد الجمهور ما سوى ذلك شاذاً لأنه لم ينتقل بتواتر حفاظ القرآن .

والذى قاله مالك والشافعى : إن ما دون العشر لا تجوز القراءة به ولا أخذ حكم منه لمخالفته المصحف الذى كتب فيه ما تواتر ، فكان ما خالفه غير متواتر فلا يكون قرأنا وقد تروى قراءات عن النبى ﷺ بأسانيد صحيحة فى كتب الصحيح مثل: صحيح البخارى

٢ . سورة الشورى : الآية ٣٠ .

١ . سورة آل عمران : الآية ١٢٣ .

٣ . سورة العنكبوت : الآية ٨ .

ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي ﷺ القراءة بها، لأنها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر للأحاد، وإذا كان راويها قد بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ما رواه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بالمروية تواتراً، وقد اصططح المفسرون على أن يطلقوا عليها قراءة النبي ﷺ، لأنها غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات، ويكثر ذكر هذا العنوان في تفسير محمد بن جرير الطبري وفي الكشف وفي المحرر الوجيز لعبد الحق بن عطية، وسبقهم إليه أبو الفتح ابن جنى، فلا تحسبوا أنهم أرادوا بنسبتها إلى النبي ﷺ، أنها وحدها المأثورة عنه ولا ترجيحها على القراءات المشهورة لأن القراءات المشهورة قد رويت عن النبي ﷺ بأسانيد أقوى، وهي متواترة على الجملة كما سنذكره، وما كان ينهى إطلاق وصف قراءة النبي عليها لأنه يوهم من ليسوا من أهل الفهم الصحيح أن غيرها لم يقرأ به النبي ﷺ، وهذا يرجع إلى تبجح أصحاب الرواية بمروياتهم»<sup>(١)</sup>.

قال المحققان في ضابط قبول القراءات :

«لعلماء القراءات ضابط مشهور يزنون به الروايات الواردة في القراءات، فيقولون: كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو تقديراً، ووافقت العربية، ولو بوجه، وصح إسنادها ولو كان عمن فوق العشرة من القراء فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن.

وهذا الضابط نظمه صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة» <sup>(٢)</sup>

## القراءة الشاذة والمدرج

قال القاسمى : «قال أبو عبيد فى فضائل القرآن : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها . كقراءة عائشة وحفصة : «والصلاة الوسطى صلاة العصر» ، وقراءة ابن مسعود : «فاقطعوا أيمانها» ، وقراءة جابر : «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم» .

قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن . وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين فى التفسير فيستحسن . فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار فى نفس القراءة ، فهو أكثر من التفسير وأقوى ؟ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل . انتهى .

وقال القراب فى الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر ، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد . انتهى .

ومن القراءات ما يشبه من أنواع الحديث المدرج . وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير . كقراءة سعد بن أبى وقاص «وله أخ أو أخت من أم» ، أخرجها سعيد بن منصور ، وقراءة ابن عباس : «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج» أخرجها



البخارى<sup>(١)</sup>، وقراءة ابن الزبير: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم» قال عمرو: فما أدرى أكانت قراءته أم فسر - أخرج سعيدي بن منصور وأخرجه الأنباري، وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: «وإن منكم إلا واردها الورد الدخول» قال الأنباري: قوله: «الورد الدخول» تفسير من الحسن لمعنى الورد، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن.

قال ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً. لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرأنا. فهم آمنون من الالتباس. وربما كان بعضهم يكتبه معه. وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب وساء - كذا في الإتيان<sup>(٢)</sup>.

قال وجدي: «وكان يوجد غير هؤلاء من يقرأ قراءات كثيرة المخالفة، سميت بالقراءات الشاذة. على أن القراءات السبع قد اصعدت إلى عشر وعدت كلها أصولاً للقراءة. وهي كلها جائزة يصلئ بها على السواء بخلاف الشاذة.

واختلاف القراءات العشر منحصرة في اختلاف الالفاظ في الحروف أو في كيفيتها من تخفيف أو تشديد وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾<sup>(٣)</sup> قرأها ابن ذكوان بتشديد النون على أنها للتوكيد ولا ناهية، وقرأ غيره بتخفيفها على أنها للرفع ولا ناهية. وكقراءتهم قوله تعالى: ﴿لتكون لمن خلقت آية﴾<sup>(٤)</sup>، وابدال بعضهم الفاء بقاء فقرأوها: ﴿لتكون لمن خلقت آية﴾، أما القراءة الشاذة فتكون بتغيير ذات الالفاظ في بعض المواطن مما يغير معنى الآية ولا تجوز بها الصلاة<sup>(٥)</sup>.

١. صحيح البخارى في: ٦٥ - كتاب التفسير، ٢ - سورة البقرة، ٢٤ - باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم.  
عن ابن عباس رضى الله عنها قال: كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية.. فتأتموا أن يستجروا في المواسم.  
فنزلت: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ. في مواسم الحج.

٢. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٨ - ٣٩.

٣. سورة يونس: الآية ٨٩.

٤. سورة يونس: الآية ٩٢.

٥. صفوة العرفان ج ١ ص ١٨١.

قال المحققان في الكلام على القراءات الشاذة :

«أجمع الأصوليون والفقهاء وأكثر القراء وكل من قال بالتواتر ، على أن الشاذ ليس بمتواتر ، بل نقل أحاد ، سواء كان بثقة عن ثقة أم لا ، حصل مع الثقة شهرة واستفاضة أم لا ؟ وعلى قول مكّي ومن وافقه ، هو ما خالف الرسم أو العربية ، ونقل ولو بثقة عن ثقة ، أو وافقهما ، ونقل بغير ثقة أو بثقة لكن لم يشتهر .

وأما قرآنية الشاذ ، فأجمع الأصوليون أيضاً والفقهاء والقراء وغيرهم على أن مطلق الشاذ يقطع بكونه ليس بقرآن ، فكل ما صدق عليه عند قوم أنه شاذ فهو عندهم ليس بقرآن ، وإن كان قرآناً عند غيرهم ، كالصحيح السند المشهور إذا لم يتواتر ليس هو قرآناً عند الجمهور ، وإن صدق عليه أنه عند مكّي وأتباعه ، والضابط - حينئذ - ما صدق عليه أنه شاذ ، وذلك لعدم صدق حد القرآن عليه وهو التواتر . وصرح بذلك الغزالي وابن الحاجب في كتابيه ، والقاضي عضد الدين ، وابن الساعاتي ، والنووي ، وغيرهم ، ممن لا فائدة في عده لكثرتة .

قال ابن الحاجب في منتهاه : « مسألة ما نقل أحاداً فليس بقرآن ، لأن القرآن مما تتوفر الدواعي على نقل تفاصيله متواتراً ، لما تضمنه من الإعجاز ، وأنه أصل جميع الأحكام ، فما لم ينقل متواتراً قطع بأنه ليس بقرآن » .

وقال ابن الساعاتي في بديعه : « مسألة ما لم ينقل متواتراً قطع بأنه ليس بقرآن » .  
وقال الإمام أبو الحسن السخاوي : « الشاذ ليس بقرآن ، لأنه لم يتواتر » . قال : « فإن قيل : لعله كان مشهوراً متواتراً ثم ترك حتى صار شاذاً ، قلت : « هو كالمستحيل ، لما تحققناه من أحوال هذه الأمة ، واتباعها عن نبيها وحرصها على امتثال أوامره ، وقال لهم ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » وأمرهم باتباع القرآن . والحرص عليه ، وحضهم على تعلمه وتعليمه ، فكيف استجازوا تركه وهجروا القراءة به ، حتى صار قرآناً شاذاً بتضييعهم إياه ، وانحرافهم عنه » .

ثم قال : « فإن قيل : منعوا من القراءة به وحرقت مصاحفه . قلت : هذا من المحال ، وليس في قدرة أحد من البشر أن يرفع ما أطبقت عليه الأمة واجتمعت عليه الكافة ، وأن

يختم على أفواههم فلا ينطق به ، ولا أن يمحوه من صدورهم بعد وعيه وحفظه ، ولو تركوه في المألم يتركوه في الخلوة ، ولكان ذلك كالحامل لهم على إذاعته والجد في حراسته ، كي لا يذهب من هذه الأمة كتابها ، وأصل دينها ، ولو أراد بعض ولاة الأمر في زماننا أن ينزع القرآن من أيدي الأمة أو شيئاً منه ، ويعفى أثره ، لم يستطع ذلك ، فكيف يجوز ذلك في زمن الصحابة والتابعين ، وهم هم ونحن نحن ؟ ، على أنه قد روي أن عثمان قد قال لهم بعد ذلك لما أنكروا عليه تحريق المصاحف وأمرهم بقراءة ما كتب : «إقرأوا كيف شئتم» ، إنما فعلت ذلك لئلا تختلفوا<sup>(١)</sup>.

## هل تجوز القراءة بالشاذ؟

قال المحققان :

« أما الأولى فالذي استقرت عليه المذاهب أنه إن قرأ بها غير معتقد أنها قرآن ولا موهم ذلك، بل لما فيها من الأحكام الشرعية عند من يحتج بها أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها، ولهذا نقلت ودونت في الكتب، وتكلم على مافيهما من فقه ولغة وغير ذلك، وإن قرأها باعتقاد قرآنتها أو بإيهام قرآنتها حرم ذلك، ونقل ابن عبد البر في (تمهيده) إجماع المسلمين عليه، وأنه لا يصلى خلف من يصلي بها، وقال العلامة محيي الدين النووي رحمه الله رحمه الله في شرح المذهب: قال أصحابنا وغيرهم: ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءات الشاذة لأنها ليست قرآناً، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر. هذا هو الصواب الذي لا يعدل عنه، ومن قال غيره فغالط أو جاهل، وأما الشاذة فليست بمتواترة، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه سواء قرأ بها في الصلاة أو غيرها، وقد اتفق فقهاء بغداد على استنابة من قرأ بالشواذ، ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها، وكذا قال في الفتاوى والتبيان. قال: وقال العلماء: من قرأ بها إن كان جاهلاً بالتحريم عرف، فإن عاد عزز تعزيراً بليغاً إلى أن ينتهي عن ذلك. ويجب على كل مكلف قادر على الإنكار أن ينكر عليه، وقال الإمام فخر الدين في تفسيره: اتفقوا على أنه لا يجوز في الصلاة القراءة بالوجه الشاذة، وقال ابن

الصلاح في فتاويه فيما زاد على العشر: وهو ممنوع من القراءة به منع تحريم لamen كراهة، في الصلاة وخارجها، عرف المعنى أم لا، ويجب على كل أحد إنكاره، ومن أصر عليه وجب منعه وتأنيمه وتعزيره بالحبس وغيره، وعلى المتمكن من ذلك أن لا يهمله، وكذلك صرح بالتحريم السبكي والإسنوي والأذرعى والزركشي والدميري وغيرهم.

وقول الرافعي: وتسوغ القراءة بالشاذ ليس فيه تعرض للجواز ابتداءً، كما سيأتي بسطه.

وأما المالكية فيكفي نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك. وقال الإمام أبو عمرو بن الحاجب في جواب فتيا، وردت عليه من بلاد العجم، صورتها: هل تجوز القراءة بالشواذ أم لا؟ لا يجوز أن يقرأ بالشاذ في الصلاة ولا غيرها عالماً كان بالعربية أو جاهلاً، وإذا قرأ قارئاً فإن كان جاهلاً بالتحريم عرف به، وأمر بتركها، وإن كان عالماً أدب بشرطه، وإن أصر على ذلك أدب على إصراره وحبس إلى أن يرتد عن ذلك. وقال التونسي في تفسيره: اتفقوا على منع القراءة بالشواذ، فإن قيل: قد ذكر ابن عبد البر في تهذيبه، قراءات من الشواذ منسوبة إلى الصحابة مثل: «فامضوا إلى ذكر الله» لعمر وابنه، وعلي وابن مسعود، وابن عباس وابن الزبير، وأبي العالية والسلمي، ومسروق وطاوس، وغيرهم، ومثل قراءة ابن مسعود: «نعجة أنثى». وقراءة ابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر»، وقراءة من قرأ: «عسى الله أن يكف بين بأس الذين كفروا»، وقراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: «والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى»، وقال: قال سفيان: وقرأ ابن مسعود: «وأقيموا الحج والعمرة لله» وقال أيضاً: قال ابن وهب: قيل لمالك: أتري أن تقرأ بمثل ما قرأ عمر: «فامضوا إلى ذكر الله»؟ قال: ذلك جائز. قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وقال أيضاً: وأخبرني مالك قال: أقرأ ابن مسعود رجلاً: ﴿طعام الأثيم﴾<sup>(١)</sup>، فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فقال له ابن مسعود: طعام الفاجر، فقلت لمالك: أتري أن تقرأ بذلك؟ قال: نعم أرى ذلك واسعاً. قيل: قد ذكر ابن عبد البر الجواب عقب هذا، فقال: وذلك محمول عند أهل العلم على القراءة في غير الصلاة على وجه التعليم، والوقوف على ما روي في ذلك من علم الخاصة - والله أعلم -.

أما الحنفية فمذهبهم أيضاً: التحريم، كما أفتى به أهل العصر منهم، كما سيأتي كلامهم، وكذلك الحنابلة.

أما تعزير من قرأ - بالشواذ فلا يحتاج إلى نقل، لأن قاعدة الحرام تعزير صاحبه، وقد نص على التعزير ابن الصلاح، وابن الحاجب والنووي وغيرهم، وأفتى به الشيخ العلامة سعد الدين الدبري وغيرهم، ممن لافائدة في ذكره - والله أعلم -.

وقال: عزز من المتقدمين على قراءة الشواذ جماعة منهم: ابن مقسم، قال فيه عبد الواحد بن أبي هاشم: وقد تبع تابع في عصرنا هذا، فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القراءات يوافق خط المصحف فقراءته به جائزة في الصلاة وفي غيرها فابتدع بدعة ضل بها عن سواء السبيل، وكان الإمام أبو بكر بن مجاهد أعظم القراء - حينئذ - فقام عليه واستتابه عن بدعته، ومنه الإمام العلامة ابن شنبوذ ضرب في تعزيره سبع درر وكتب عليه محضر بواقعة، والقائم عليه ابن مجاهد أيضاً، كما ذكر قصته الحافظ شمس الدين الذهبي، ومنهم: الإمام العلامة ابن بضحان قدم إلى مصر وأقرأ بإدغام مثل: الحمير لتركبوها - لأبي عمرو فرفع إلى القاضي وحكم عليه بالمنع من ذلك، مع نهايته في العلم لا سيما علم النحو والقراءة.

وأما كلام القراء - رحمهم الله - فقال السجاوندي رحمه الله: لا تجوز القراءة بشيء من الشواذ، لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كان موافقاً للعربية وخط المصحف، لأنه جاهل من طريق الآحاد، وإن كان نقلته ثقات فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن، ومنها ما نقله من لا يعتمد على نقله، ولا يوثق بخبره، فهذا أيضاً مردود، ولا تجوز القراءة به، ولا يقبل، وإن وافق العربية وخط المصحف، ولقد نبغ قوم يطالعون كتب الشواذ، ويقرؤون بها فيها، وربما صحفوا ذلك فيزداد الأمر ظلمة.

وأما قول الشيخ برهان الجعبري - رحمه الله -: وحكم الشاذ الجواز فمحمول على جواز النقل والرواية لا مطلقاً، بل بشرط عدم اعتقاد القرآنية كما تقدم في كلام ابن عبد البر، لأن المقرء من حيث كونه مقرئاً وظيفته مجرد النقل والرواية، وكذلك كل من وقع في

كلامه الجواز ، يحتمل أن يكون مراده بشرط أن لا يعتقد قرآنيته - والله أعلم - .  
 وأما قول الهذلي : ما من قراءة قرئت ولا رواية إلا وهي صحيحة . فهذا إن كان ظاهره  
 عدم الاحتياج إلى التواتر فقد قيده بقول : إذا لم يخالف الإجماع ، وبه صار موافقاً عليه  
 الأئمة - والله أعلم <sup>(١)</sup> .

قال النهاوندي : «يكون اختلاف الروايات في كيفية القراءة من التعارض الذي ليس فيه  
 جمع دلالي، بناء على ما هو الحق المحقق من بطلان القول بتعدد القراءات التي نزل بها  
 جبرئيل، وفساد القول بان القراءات السبع متواترة عن النبي ﷺ، وإن الحق؛ ان القرآن  
 نزل على حرف واحد من عند آله واحد كما نطقت به بعض الروايات الواردة عن  
 اهل البيت عليهم السلام، ولكن لا يمكن اثبات كيفية القراءة بخبر الواحد كما لا يمكن اثبات الآية  
 به، نعم يترتب عليه - على تقدير استجماعه شرايط الحجية - الحكم الشرعي الذي يكون  
 لمؤداه أن لم تكن القراءة المشهورة متواترة، والا فلا بد من طرح تلك الروايات والقراءة،  
 والعمل بالقراءة المشهورة، وعند ذلك لا فائدة في تلك الأخبار - خصوصاً مع قولهم -  
 صلوات الله عليهم : «اقرأ كما يقرأ الناس» فلا تجوز قراءة السور بالقراءات غير المشهورة  
 في الصلاة الفريضة ولو كانت مروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بسند صحيح معتبرة» <sup>(٢)</sup> .

## هل تصح الصلاة بالشاذة؟

قال النيشابوري: «اتفقوا على أنه لا تجوز القراءة في الصلاة بالوجوه الشاذة لأن الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا، لأنها لو كانت من القرآن لبلغت في الشهرة إلى حد التواتر. وعدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلاة للاحتمال، فوجب أن تبقى قراءتها في الصلاة على أصل المنع»<sup>(١)</sup>.

قال المحققان: «... واما المسألة الثانية هي صحة الصلاة إذا قرئ بالشواذ فيها، فأما الحنفية، فالذي أفتى به أهل العصر منهم فساد الصلاة إن غيرت المعنى كما سيأتي، وقال شمس الدين السرخسي في أصوله: لما قرر أن القرآن لا بد من تواتره، ولهذا قالت الأئمة: لو صلى بكلمات تفرد بها ابن مسعود لم تجز صلاته، لأنه لم يوجد فيه النقل المتواتر، وباب القرآن باب يقين وإحاطة، فلا يثبت بدون النقل المتواتر كونه قرآنا، وما لم يثبت أنه قرآن فتلاوته في الصلاة كتلاوة خبير، فيكون مفسداً للصلاة، وظاهر هذا الإفساد سواء قرأ معه غير شاذ أم لا، وسواء غير المعنى أم لا، وفي شرح الهداية للسكاكي - رحمه الله - وفي الكافي: لو قرأ بقراءة شاذة لا تفسد صلاته بالاتفاق. وفي فتاوى الظهيرية: لو قرأ ما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى كقوله: «الصوم لي وأنا أجزي به» وما أشبهه لا يجوز، ولو قرأ بقراءة ليست في مصحف العامة، كقراءة ابن مسعود وأبي تفسد صلاته عند أبي يوسف،



والأصح أنه لا تفسد ولكن لا يعتد به من القراءة، وفي الشامل للسراج الهندي: ويقرأ بما في مصحف عثمان، ولو قرأ بما ليس في مصحف العامة تفسد صلاته عند الشيخين، والأصح؛ أنه لو قرأ بما في مصحف ابن مسعود وأبي لا يعتد به ولا تفسد، وقاله الفارابي في شرح الهداية<sup>(١)</sup>.



## هل يجوز جمع القراءات؟

قال ابن تيمية: «... وسئل أيضاً: عن «جمع القراءات السبع» هل هو سنة أم بدعة؟ وهل جمعت على عهد رسول الله ﷺ أم لا؟ وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا؟. فأجاب: الحمد لله. أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءة التي كان النبي ﷺ يقرأ بها، أو يقرهم على القراءة بها، أو يأذن لهم وقد أقروا بها سنة. والعارف في القراءات الحافظ لها، له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف الإقراء واحدة.

وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره في جواز القراءة بها في الصلاة:

«ذهب الجمهور من علماء الفريقين إلى جواز القراءة بكل واحدة من القراءات السبع في الصلاة، بل ادعى على ذلك الإجماع في كلمات غير واحد منهم. وجوز بعضهم القراءة بكل واحدة من العشر. وقال بعضهم بجواز القراءة بكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، ولم يحصرها في عدد معين.

والحق: ان الذي تقتضيه القاعدة الأولية، هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي الأكرم ﷺ أو من أحد أوصيائه المعصومين ﷺ لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن فلا يكفي قراءة شيء لم يحرز كونه قرآناً، وقد استقل العقل بوجوب احراز الفراغ اليقيني بعد العلم باشتغال الذمة. وعلى ذلك فلا بد من تكرار الصلاة بعدد القراءات المختلفة أو تكرار مورد الاختلاف في الصلاة الواحدة، لاحراز الامتثال القطعي. ففي سورة الفاتحة يجب الجمع بين قراءة «مالك»، وقراءة «ملك». أما السورة التامة التي تجب قراءتها بعد الحمد - بناء على الأظهر - فيجب لها إما اختيار سورة ليس فيها اختلاف في القراءة، وإما التكرار على النحو المتقدم.

وأما بالنظر الى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين ﷺ شيعتهم على القراءة، بأية واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم، فلا شك في كفاية كل واحدة منها. فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل الينا بالتواتر، ولا أقل من نقله بالأحاد، بل ورد عنهم ﷺ إمضاء هذه القراءات بقولهم: «اقرأ كما يقرأ الناس. اقرأوا كما علمتم»<sup>(١)</sup>. وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر. نعم يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة، غير ثابتة بنقل الثقات عند علماء أهل السنة، ولا موضوعة. أما الشاذة فمثالها قراءة «ملك يوم الدين» بصيغة الماضي ونصب يوم، وأما الموضوعة فمثالها قراءة «إنما يخشى الله من عباده العلماء» برفع كلمة الله ونصب كلمة العلماء على قراءة الخزاعي عن أبي حنيفة.

وصفوة القول: أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٢. البيان ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣.

١. الكافي: باب التواتر كتاب فضل القرآن.

## الآراء حول تواتر القراءات

قال النيشابوري: «المسألة الأولى: القراءات السبع متواترة، لا بمعنى أن سبب تواترها إطباق السبعة عليها، بل بمعنى أن ثبوت التواتر بالنسبة إلى المتفق على قراءته من القرآن كثبوته بالنسبة إلى كل من المختلف في قراءته، ولا مدخل للقارىء فى ذلك إلا من حيث أن مباشرته لقراءته أكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت إليه، وإنما قلنا: إن القراءات متواترة؛ لأنه لو لم تكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر، كملك ومالك ونحوهما، إذ لا سبيل إلى كون كليهما غير متواتر، فإن أحدهما قرآن بالاتفاق، وتخصيص أحدهما بأنه متواتر دون الآخر تحكم باطل لإستوائهما فى النقل فلا أولوية، فكلاهما متواتر، وإنما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الأداء كالمدة والإمالة وتخفيف الهمزة ونحوها»<sup>(١)</sup>.

قال الفيض الكاشانى: «... ثم الظاهر أن الاختلاف المعتبر ما يسرى من اللفظ إلى المعنى، مثل: مالك وملك، دون ما لا يجاوز اللفظ أو يجاوزه ولم يخل بالمعنى المقصود، سواء كان بحسب اللغة، مثل: كفوًا بالهمزة ومخففًا ومثقلًا، أو بحسب الصرف، مثل: يرتد ويرتد، أو بحسب النحو، مثل: ﴿ما لا يقبل منها شفاة﴾ بالياء، وما يسرى إلى المعنى ولم يخل بالمقصود، مثل: الريح والرياح للجنس والجمع، فإن فى امثال هذه موسع علينا القراءات المعروفة.

وعليه يحمل ما ورد عنهم رضي الله عنهم من اختلاف القراءة في كلمة واحدة ما ورد أيضاً في تصويبههم القراءتين جميعاً - كما يأتي في مواضعه - أو يحمل على أنهم لما لم يتمكنوا أن يحملوا الناس على القراءة الصحيحة جوزوا القراءة بغيرها، كما أشير إليه بقولهم رضي الله عنهم : «اقرأوا كما تعلمتم» فسبجيتكم من يعلمكم، وذلك كما جوزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس دون ما هو محفوظ عندهم وعلى التقديرين في سعة منها جميعاً، وقد اشتهر بين الفقهاء وجوب التزام عدم الخروج عن القراءات السبع أو العشر المعروفة لتواترها وشذوذ غيرها.

والحق: أن المتواتر من القرآن اليوم ليس إلا القدر المشترك بين القراءات جميعاً دون خصوص أحداها، إذ المقطوع به ليس إلا ذلك فان المتواتر لا يشبهه بغيره»<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي في بحث أسانيد الأئمة السبعة هل هي متواترة أم آحاد:

قال الزركشي، في البرهان: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز. والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها، من تخفيف وتشديد وغيرهما. والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل هي مشهورة، ثم قال الزركشي: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة. أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات، السبعة موجودة في كتب القراءات. وهي نل الواحد عن الواحد. نقله في الإتيان.

ونقل السروجي الحنفي في «باب الصوم» من كتاب «الغاية شرح الهداية» عن المعتزلة: «السبع آحاد. وعن جميع أهل السنة، أنها متواترة. و مراده بالجميع المجموع. وإلا وقد اختار صاحب البدائع، من متأخري الحنفية، فيما نقله الكمال بن أبي شريف، أن السبع مشهورة. حكاه القسطلاني في اللطائف. ثم قال:

فإن قلت: الأسانيد إلى الأئمة السبعة وأسانيدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على ما في كتب القراءات، آحاد. لا يبلغ عدد التواتر. فمن أين جاء التواتر؟.

أجيب بأن انحصار الأسانيد المذكورة في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم.

وإنما نسبت القراءات إلى الأئمة. ومن ذكر في أسانيدهم، والأسانيد إليهم، لتصديقهم لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها. ومع كل منهم في طبقة ما يبلغها عدد التواتر. لأن القرآن قد تلقاه من أهل كل بلد، بقراءة إمامهم، الجهم الغفير عن مثلهم. وكذلك دائماً، مع تلقى الأمة لقراءة كل منهم بالقبول اهـ.

وقال السخاوى: ولا يقدح في تواتر القراءات السبع إذا أسندت من طريق الأحاد. كما لو قلت: أخبرني فلان عن فلان أنه رأى مدينة سمرقند، (وقد علم وجودها بطريق التواتر) - لم يقدح ذلك فيما سبق من العلم بها. فقراءة السبع كلها متواترة<sup>(١)</sup>.

قال القاسمى: «نقل ابن الجزرى فى النشر، عن الإمام الكبير أبى شامة، فى مرشده، أنه قال: قد شاع عن ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين، أن القراءات السبع كلها متواترة. أى كل فرد فرد مما روى عن هؤلاء الأئمة السبعة، قالوا: والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب. ونحن بهذا نقول. ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق من غير تكبير له. مع أنه شاع واشتهر واستفاض. فلا أقل من اشتراط ذلك إذ لم يتفق التواتر فى بعضها اه»<sup>(٢)</sup>.

وقال القاسمى فى رأى ابن الحاجب وغيره فى تواتر ما ليس من قبل الأداء:

«قال ابن الحاجب: القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الأداء. كالمد والإمالة وتحقيق الهمزة ونحوه، أى فإنه غير متواتر.

قالوا: ليس المراد من قوله: كالمد، أصل المد فإنه متواتر. بل مقدار المزيد فيه على أصله. هل يقتصر فيه على مقدار ألف ونصف، كما قدر به مد الكسائى؟ أو ثلاثة كما قدر به مد ورش وحمزة؟ وكل هذه الهيئات غير متواترة عند ابن الحاجب وأبى حنيفة. كما صرح به غير واحد من أئمة التحقيق (كذا فى اللطائف).

وقال القاضى ابن خلدون فى مقدمة تاريخه، فى بحث علوم القرآن من التفسير والقراءات، ما مثاله:

القرآن كلام الله المنزل على نبيه، المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة.

٢. محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠٥.

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٣٠٤.

إلا أن الصحابة رَوَوْه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفيات الحروف في أداؤها . وتنوّل ذلك واشتهر . إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة . تواتر نقلها أيضاً بأدائها . واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجُم الغفير . فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة . وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر أُحقت بالسبع . إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل .

وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها . وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لأنها عندهم كيفيات للأداء ، وهو غير منضبط . وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن . وآباء الأكثر . وقالوا بتواترها . وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمد والتسهيل . لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع . وهو الصحيح اهـ<sup>(١)</sup> .

وقال القاسمي في إجمال المباحث المتقدمة في تواتر القراءات وعدمها :

« قال السيد محمد الطباطبائي - أحد أعلام الإمامية - في كتابه « مفاتيح الأصول » في :  
باب أدلة الأحكام في القول في الكتاب الكريم . ما مثاله :

اختلفوا في أن القراءات السبع المشهورة ، هل هي متواترة ، أو لا ؟ على أقوال :  
الأول : إنها متواترة مطلقاً ، وإن الكل مما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين . وهو للعلامة ابن المطهر ، وابن فهد ، والمحقق الثاني في المعالم ، والشهيد الثاني في المقاصد العلية ، والمحدث الحر العاملي ، والمحكي عن الفاضل الجواد . وفي شرح الوافية للسيد صدر الدين : معظم المجتهدين من أصحابنا حكموا بتواتر القراءات السبع . وفي التفسير الكبير للرازي : ذهب إليه الأكثرون .

الثاني : إن القراءات السبع منها : ما هو من قبيل الهيئة كالمد واللين وتخفيف الهمزة والإمالة ونحوها ، وذلك لا يجب تواتره وغير متواتر . ومنها : ما هو من جوهر اللفظ ؛ كملك ومالك وهذا متواتر . وهذا للفاضل البهائي ، وابن الحاجب في مختصره ، والعضدي في شرحه .

الثالث : إنها ليست بمتواترة مطلقاً ولو كانت من جوهر اللفظ ، وهو للشيخ في « التبيان

« ونجم الأئمة في شرح الكافية »، وجمال الدين الخونساري، والسيد نعمة اللّه الجزائري، والشيخ يوسف البحراني، والسيد صدر الدين، والمحكي عن ابن طاووس في كتاب « سعد السعود »، والرازي، والزمخشري، وإليه يعميل كلام الحرفوشي .  
للقول الأول وجوه :

منها: تضمن جملة من العبارات، الإجماع على تواتر السبع: وقد يناقش فيه :  
أولاً: بأن غاية ما يستفاد -مما ذكر- الظن بتواتر السبع، ومحل الكلام حصول العلم به .  
وثانياً: باحتمال أن يريدوا ما ذكره الشهيد الثاني في «المقاصد العلية»، وولد الشيخ البهائي فقالا: « ليس المراد أن كل ما ورد من هذه القراءات متواتر، بل المراد انحصار المتواتر الآن فيما نقل من هذه القراءات، فإن بعض ما نقل عن السبعة شاذ فضلاً عن غيرهم » انتهى .  
وباحتمال أن يريدوا جواز القراءة بالسبع . وفي هذين الاحتمالين نظر لبعدهما عن ظاهر العبارة فتأمل ! وثالثاً: بالمعارضة بما ذكره الشيخ في «التبيان» من أن المعروف من مذهب الإمامية، والتطلع في أخبارهم ورواياتهم، أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد . فتأمل !

ومنها: ما روى عن النبي ﷺ قال: « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ وافي » فإن المراد من الأحرف القراءات . وقد يناقش فيه :  
أولاً: بضعف السند . سلمنا الصحة . ولكنه خبر واحد، فلا يفيد العلم بالمدعى .  
وثانياً: بضعف الدلالة، لعدم الدليل على إرادة القراءات من الأحرف . وقد اختلفوا في تفسيرها .

ومنها: أن القراءات السبع لو لم تكن متواترة ومن القرآن المنزل، لوجب أن يتواتر ذلك، ويعلم عدم كونها منه، والثالي باطل فالمقدم مثله . أما الملازمة فلأن العادة قاضية بأنه يجب أن يكون ما ليس بقرآن معلوماً أنه ليس بقرآن لتوفر الدواعي على تمييز القرآن عن غيره، وهو مستلزم لذلك . وفيه نظر .

ومنها: ما تمسك به العلامة في «نهاية الأصول»، والحاجبي في «مختصره»، والمعضدي في «شرحه» من أن القراءات السبع « لو لم تكن متواترة لخرج بعض القرآن عن



كونه متواتراً - كمالك وملك وأشباههما - والتالي باطل فالمقدم مثله . بيان الشرطية؛ أنهما وردا عن القراء السبعة ، وليس تواتر أحدهما أولى من تواتر الآخر ، فإما أن يكونا متواترين وهو المطلوب ، أو لا يكون شئء منهما بمتواتر وهو باطل ، وإلا يخرج عن كونه قرآناً ، وهذا خلف . « وأورد عليه جمال الدين الخونساري فقال : « لا يخفى أن دليل وجوب تواتر القرآن - وهو توفر الدواعي على نقله - لو تم إنما يدل على وجوب تواتره إلى زمان الجمع . وأما بعده ، فالظاهر أنهم اكتفوا فيه بتكثير نسخ هذا الكتاب الذي جمع ، بحيث يصير متواتراً في كل زمان ، واستغنوا به عن جعل أصل القرآن المنزل متواتراً بالحفظ من خارج ، كيف وقد عرفت أن الظاهر أنه لم يقع التواتر في كثير من أبعاض القرآن إلا بهذا الوجه ، وهو وجوده في هذا الكتاب المتواتر ، على هذا ، فالاستدلال على تواتر القراءات السبع بما ذكره العضدي ضعيف جداً ، إذ بتواتر ذلك الكتاب - على الوجه المذكور - لا يعلم إلا تواتر إحدى القراءات لا بعينها . لا خصوص بعضها ولا جميعها . فالظاهر أنه لا بد - في إثبات تواترها - من التفحص والتفتيش في نقلتها ورواتها ، فإن ظهر بلوغهم إلى حد التواتر فهو متواتر وإلا فلا . والذي ظهر لنا من خارج ، شهرة القراءات السبع دون ما عداها ، وأما بلوغ الجميع أو بعضها حد التواتر فكأنه لا يظهر في هذه الأعصار .

وللقول الثاني : على تواتر ما هو من جوهر اللفظ ، الوجه الأخير الذي تمسك به الجماعة - المتقدم إليهم - الإشارة لإثبات تواتر السبع ، وعلى عدم تواتر ما هو من قبيل الهيئة - كالمد واللين والإمالة وغيرها - ما ذكره بعض من أن القرآن هو الكلام ، وصفات الألفاظ - أعنى الهيئة - ليست كلاماً . وأورد عليه الباغوي فقال : « ههنا بحث ، وهو أنه لا شك أن القرآن ههنا عبارة عن اللفظ . وكما أن الجوهر جزء مادي له ، كذلك الهيئة جزء صوري له . فإذا ثبت أن القرآن لا بد أن يكون متواتراً ثبت أن الهيئة لا بد أن تكون متواترة أيضاً . ولو سلم أن الهيئة ليست جزءاً للفظ فلا شك أنها من لوازمه . ولا يمكن نقله بدون نقلها ، فإذا تواتر نقله تواتر نقلها . فإن قلت : نقله لا يستلزم نقلها بخصوصها ، بل إنما يستلزم نقل إحداهما لا بعينها ، فاللازم تواتر القدر المشترك بين تلك الهيئات ، والظاهر أن الهيئات المنصوصة لا يوجب تواترها ، فلا منافاة . قلت : ما ذكر من توفر الدواعي على

نقل القرآن لايجرى فى الجواهر المخصوصة أيضاً، إذ كما أن اختلاف بعض الهيئات لا يؤثر فى صلاحية كون القرآن متحدى به، وفى كونه من أصول الأحكام، كذلك اختلاف بعض الجواهر لا يؤثر فى ذلك، فلم يلزم أن كل ما هو من قبيل الجوهر لا بد أن يكون متواتراً، فليتأمل...! انتهى.

واعترض عليه جمال الدين الخونسارى فقال - بعد الإشارة إليه -: «لا يخفى أن ما ذكر من دليل وجوب تواتر القرآن - وهو توفر الدواعى على نقله للتحدى به، ولكونه أصل سائر الأحكام - لا يدل إلا على وجوب تواتر مادته وهيئته التى يختلف باختلافها المعنى والفصاحة والبلاغة. وأما ما يكون من قبيل الأداء بالمعنى الذى ذكر، فلا يدل على وجوب تواتره، إذ لا مدخل له فيما هو مناط توفر الدواعى. أما استنباط الأحكام فظاهر. وأما التحدى والإعجاز؛ فلأنهما لا يوجبان إلا نقل أصل الكلام الذى وقعا به من مادته وصورته التى لهما مدخل فيهما. وأما الهيئة التى لا مدخل لها فى ذلك - كالممد واللين مثلاً - فلا حاجة إلى تواترهما، بل يكفى فيهما الحوالة إلى ما هو دأب العرب فى كلامهم فى المد فى مواضعه، واللين فى مواقعه، وكذا فى أمثالهما».

ثم قال: «لا يخفى أنه إذا جوز تغيير بعض الجواهر، مما يكون من هذا القبيل، فقد يؤدي - خطأ - إلى تغيير ما يختلف ويختل به المعنى والفصاحة والبلاغة، فلا بد من سد ذلك الباب بالكلية، حذراً من أن ينتهى إلى ذلك، وأما تحريف النقل فى المد واللين وأمثالهما فلا يخل بشيء، إذ يكفى فيهما الرجوع إلى قوانين العرب فيهما. فإذا نقل إلينا متواتراً جوهر الكلام وهيئته التى لها دخل فى المعنى والفصاحة والبلاغة، فلنرجع فى المد واللين وأمثالهما إلى قوانين العرب، ولا حاجة إلى أن يتواتر عندنا أنه فى أى موضع مد، وفى أى موضع قصر، وهو ظاهر».

وللقول الثالث وجوه:

منها: خبر الفضيل بن يسار قال: «قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: نزل القرآن على سبعة أحرف، فقال: بل نزل على حرف واحد من عند واحد». ويؤيده خبر زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: «إن القرآن واحد نزل من عند الواحد» ولكن الاختلاف يجىء من قبل

الرواة .

ومنها : ما ذكره السيد نعمة الله من أن كتب القراءة والتفسير مشحونة من قولهم : قرأ حفص وعاصم كذا، وفي قراءة علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام كذا، بل ربما قالوا: وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله كذا. يظهر من الاختلاف المذكور في قراءة: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ <sup>(١)</sup>. والحاصل: أنهم يجعلون قراءة قسيمة لقراءة المعصومين عليهم السلام فكيف تكون القراءات السبع متواترة عن الشارع تواتراً يكون حجة على الناس؟

ومنها : ما ذكره السيد المذكور أيضاً: من أن القراء السبعة استندوا بالقراءات بأرائهم ، وإن أسندوا بعض قراءاتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فلا يجوز أن يدعى تواتر قراءاتهم . وذلك لأن المصحف الذي وقع إليهم حال من الإعراب والنقط . كما هو الآن موجود في المصاحف التي هي بخط مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده . وقد شاهدنا عدة منها في خزنة الرضا عليه السلام . نعم ذكر جمال الدين السيوطي في كتابه الموسوم بالمطالع السعيدة : أن أبا الأسود الدؤلي أعرب مصحفاً واحداً في خلافة معاوية . وبالجملة : لما وقعت إليهم المصاحف على ذلك الحال تصرفوا في إعرابها ونقطها وإدغامها وإمالتها، ونحو ذلك من القوانين المختلفة بينهم على ما يوافق مذهبهم في اللغة والعربية ، كما تصرفوا في النحو ، وصاروا إلى ما دونوه من القواعد المختلفة .

قال محمد بن بحر الرهني : « إن كل واحد من القراء قبل أن يتجدد القارىء الذي بعده كانوا لا يجيزون لإقراءته ، ثم لما جاء القارىء الثاني انتقلوا عن ذلك المنع إلى جواز قراءة الثاني ، وكذلك في القراءات السبع . فاشتمل كل واحد على إنكار قراءته ، ثم عادوا إلى خلاف ما أنكروه ، ثم اقتصروا على هؤلاء السبعة ، مع أنه قد حصل في علماء المسلمين والعالمين بالقرآن أرجح منهم ، مع أنه في زمان الصحابة ما كان هؤلاء السبعة ... الخ » .

ومنها : ما ذكره الرازي في تفسيره الكبير، فإنه قال : « اتفق الأكثرون على أن القراءات المشهورة منقولة بالتواتر ، وفيه إشكال ، وذلك لأننا نقول: هذه القراءات ، إما أن تكون منقولة بالنقل المتواتر ، أو لا تكون ، فإن كان الأول - فحيثئذ - قد ثبت بالنقل المتواتر: أن

اللَّهُ قد خير المكلفين بين هذه القراءات وسوى بينها بالجواز، وإذا كان كذلك كان ترجيح بعضها على بعض واقعاً، على خلاف الحكم الثالث بالتواتر. فيجب أن يكون الداهيون إلى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للفسق إن لم يلزمهم الكفر، كما ترى أن كل واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة، ويحمل الناس عليه ويمنعهم عن غيره. وأما إن قلنا: إن هذه القراءات ما ثبتت بالتواتر، بل بطريق الأحاد - فحينئذ - يخرج القرآن عن كونه مفيداً للجزم والقطع وذلك باطل بالإجماع. ثم قال: « ولقائل أن يجيب عنه، فيقول: بعضها متواتر، ولا خلاف بين الأمة فيه، وفي تجويز القراءة بكل واحدٍ منها: وبعضها من باب الأحاد، وكون بعض القراءات من باب الأحاد لا يقتضى خروج القرآن بالكلية عن كونه قطعياً » انتهى.

ومنها: أنها لو كانت متواترة لكان ترك البسمة من أوائل السور، عدا الحمد، متواتراً. لأنه من قراءة بعض السبعة، فيلزم جواز تركها في الصلاة، وهو باطل للأدلة الدالة على عدمه، وقد بيناها في المصابيح.

ومنها: ما ذكره العلامة الشيرازي - فيما حكى عنه - من: « إن الذين يستند إليهم القراء سبعة. والتواتر لا يحصل بسبعة فضلاً فيما اختلفوا فيه - ثم قال - أجيب عنه أولاً: بأننا لا نسلم أن التواتر لا يحصل بسبعة لأنه لا يتوقف على حصول عدد معين، بل المعتبر فيه حصول اليقين. وثانياً: بأن التواتر ما حصل من هؤلاء السبعة لأن القارئ لكل واحدة من القراءات السبع كانوا بالغين حد التواتر، إلا أنهم استندوا - كل واحد منهم - إلى واحدٍ منهم، إما لتجرده بهذه القراءة، أو لكثرة مباشرته بها، ثم أسندوا الرواية عن كل واحد منهم إلى اثنين لتجردهما لروايتها » انتهى.

وفي جميع الوجوه المذكورة نظر.

والتحقيق أن يقال: إنه لم يظهر دليل قاطع على أحد الأقوال في المسألة. نعم، يمكن استظهار القول الأول للإجماعات المحكية المعتضدة بالشهرة العظيمة بين الخاصة والعامه، والمؤيدة بالمروى عن الخصال - كذا - المتقدم إليه الإشارة وغيره مما ذكر حجة عليه. ولا يعارضها خبر الفضيل وزرارة لقصور دلالتهما جداً. فإن المناقشة في حديث:

« نزل القرآن على سبعة أحرف » جار فيهما كما لا يخفى . ولا يقدح فيها ما ذكره السيد نعمة الله والرازي وغيرهما مما ذكر ، حجة على القول الثالث ، كما لا يخفى على المتدبر .  
وينبغي التنبيه على أمور :

الأول : قال العلامة الشيرازي فيما حكى عنه : « السبع متواترة بشرط صحة إسنادها إليهم ، واستقامة وجهها في العربية ، وموافقة لفظها خط المصحف المنسوب إلى صاحبها كذلك - كمالك بالألف ، ومالك بغير الألف - المنسوب أولهما إلى الكسائي وعاصم بـ » إسناد صحيح ، مع كونه مكتوباً بالألف في مصحفهما ، واستقامة وجهه في العربية . ثم قال : « وفيه نظر ، لأن المتواتر ما يفيد العلم ، فإذا حصل ثبت أنه قرآن ، والعربية ينبغي أن تكون متبعة بالقرآن دون العكس . ثم إنه لا مدخل لموافقة الخط وعدمها عند ثبوت التواتر . الثاني : اعلم أنه إذا قلنا : بأن القراءات السبع كلها متواترة يقيناً ، فيتفرع عليه أمور : منها : جواز استفادة الأحكام الشرعية من كل منها . ومنها : وجوب الاجتناب من كل منها أصالة إذا كان محدثاً . ومنها : لزوم الجمع بين القراءات عند تعارضها ، كما يجب الجمع بين الآيات عند تعارضها . وإن قلنا : بأن تواترها غير ثابت يقيناً ، فيتفرع عليه أمور : منها : عدم وجوب الاجتناب عن جميع القراءات أصالة إذا كان محدثاً ، بل يجب من باب المقدمة على القول بأن المنهى عنه - إذا كان مشتبهاً بغيره وكان محصوراً - وجب الاجتناب عن الجميع . وأما على القول بعدم وجوب ذلك فلا يجب الاجتناب - عما ذكر - لا أصالة ولا مقدمة . ومنها : عدم جواز الاستدلال بشيء من القراءات ، ولزوم الجمع بينها عند التعارض . لكن هذا إنما يصح إذا منعنا الظن بتواترها ، وأما إذا قلنا به ، فيجوز الاستدلال بكل منها ، ويجب الجمع بينها ، كما إذا علم به . بناء على أن الأصل في كل ظن الحجية ، فإن منع منه ، ففي الأمرين نظر ..! » انتهى بحروفه ملخصاً<sup>(١)</sup> .

قال البلاغي قدس سره : « ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين ، جيل بعد جيل ، استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد ، فلم يؤثر شيئا على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبعة

المعروفين وغيرهم، فلم تسبغر على صورته قراءة أحدهم اتباعاً له ولو في بعض النسخ، ولم يسيطر عليه أيضاً ما روي من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته في الكتب؛ كجامع البخاري ومستدرک الحاكم مسندة عن النبي ﷺ وعلي عليه السلام وابن عباس وعمر وأبي وابن مسعود وابن عمر وعائشة وأبو الدرداء وابن الزبير، وانظر اقلاً الى الجزء الأول من كنز العمال صفحة ٢٨٤-٢٨٩.

نعم، ربما اتبع مصحف عثمان على ما في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة؛ كزيادة الألف بين الشين والياء من قوله تعالى: ﴿لشيء﴾ من سورة الكهف، وزيادتها أيضاً في: ﴿لأذبحنه﴾ من سورة النمل، ونحو ذلك في قليل من الكلمات.

وان القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً. فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة. وان كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته، يروي عن آحاد - حال غالبهم مثل حاله - ويروي عنه آحاد مثله. وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه، فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم، وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع، وكذا قنبل والبيزي في روايتهما عن اصحابهما عن ابن كثير، وكذا رواية ابي عمر وابي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن ابي عمر، وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن اصحابهما عن ابن عامر، وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة، وكذا رواية ابي عمر وابي الحارث عن الكسائي، مع ان اسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتصف واحد منها بالصحة - في مصطلح اهل السنة - في الاسناد فضلاً عن الإمامية، كما لا يخفى ذلك على من جلس خلال الديار، فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة. هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين، وربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة، إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين في اجيالهم الى خصوصيات هذه القراءات. مضافاً

الى انا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس، أي نوع المسلمين وعامتهم .  
ولعلما تقول : ان غالب القراءات السبع او العشر ناشيء من سعة اللغة العربية في وضع  
الكلمة وهيئتها، نحو: عليهم واليهم ولديهم بكسر الهاء أو ضمها مع سكون الميم أو  
ضمهما . ونحو: تظاهرون بفتح الظاء او تشديدها . فعلى أي قراءة قرئت اكون قارنا على  
العربية . ولكن كيف يخفى عليك ان تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحقيقها ان تتبع  
ما أوحى الى الرسول وخطب به عند نزوله عليه؟ وهو واحد، فعليك أن تتحراه بما يثبت  
به وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة<sup>(١)</sup> .

قال ابن عاشور في مراتب القراءات الصحيحة :

« قال أبو بكر بن العربي في كتاب العواصم : اتفق الأئمة على أن القراءات التي  
لا تخالف الألفاظ التي كتبت في مصحف عثمان هي متواترة، وإن اختلفت في وجوه الأداء  
وكيفيات النطق، ومعنى ذلك أن تواترها تبع لتواتر صورة كتابة المصحف، وما كان نطقه  
صالحا لرسم المصحف واختلف فيه، فهو مقبول وما هو بمتواتر؛ لأن وجود الاختلاف  
فيه مناف لدعوى التواتر، فخرج بذلك ما كان من القراءات مخالفا لمصحف عثمان، مثل  
ما نقل من قراءة ابن مسعود، ولما قرأ المسلمون بهذه القراءات من عصر الصحابة ولم  
يغير عليهم، فقد صارت متواترة على التخيير، وإن كانت أسانيد المعينة أحادا، وليس  
المراد ما يتوهمه بعض القراء من: أن القراءات كلها بما فيها من طرائق أصحابها ورواياتهم  
متواترة، وكيف وقد ذكروا أسانيدهم فيها فكانت أسانيد أحاد، وأقواها سندا ما كان له  
راويان عن الصحابة، مثل: قراءة نافع بن أبي نعيم وقد جزم ابن العربي، وابن عبد السلام  
التونسي أبو العباس ابن إدريس فقيه بجاية من المالكية، والأبياري من الشافعية بأنها غير  
متواترة، وهو الحق لأن تلك الأسانيد لا تقتضى إلا أن فلانا قرأ كذا وأن فلانا قرأ بخلافه،  
وأما اللفظ المقروء فغير محتاج إلى تلك الأسانيد لأنه ثبت بالتواتر كما علمت أنفا، وإن  
اختلفت كيفيات النطق بحروفه فضلا عن كيفيات أدائه . وقال إمام الحرمين في البرهان :  
هي متواترة ورده عليه الأبياري، وقال المازري في شرحه : هي متواترة عند القراء وليست

متواترة عند عموم الأمة، وهذا توسط بين إمام الحرمين والأبيارى، ووافق إمام الحرمين ابن سلامة الأنصارى من المالكية، وهذه مسألة مهمة جرى فيها حوار بين الشيخين ابن عرفة التونسي وابن لب الأندلسى ذكرها الونشريسي فى المعيار .

وتنتهى أسانيد القراءات العشر إلى ثمانية من الصحابة وهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبى بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، فبعضها ينتهى إلى جميع الثمانية وبعضها إلى بعضهم وتفصيل ذلك فى علم القرآن .

وأما وجوه الإعراب فى القرآن فأكثرها متواتر، إلا ما ساغ فيه إعرابان مع اتحاد المعانى، نحو: ﴿ولات حين مناص﴾<sup>(١)</sup> بنصب حين ورفع، ونحو: ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول﴾<sup>(٢)</sup> بنصب يقول ورفع، ألا ترى أن الأمة أجمعت على رفع اسم الجلالة فى قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾<sup>(٣)</sup> وقراه بعض المعتزلة بنصب اسم الجلالة لئلا يشبوا الله كلاماً، وقراه بعض الرافضة: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾<sup>(٤)</sup> بصيغة التثنية، وفسروها بأبى بكر وعمر وحاشاهما .

وأما ما خالف الوجوه الصحيحة فى العربية ففيه نظر قوى، لأننا لاثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار إلى نحاة البصرة والكوفة، وبهذا نبطل كثيراً مما زيفه الزمخشري من القراءات المتواترة بعله أنها جرت على وجوه ضعيفة فى العربية، لا سيما ما كان منه فى قراءة مشهورة؛ كقراءة عبدالله بن عامر قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثرين من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾<sup>(٥)</sup> بيناء زين للمفعول وبرفع قتل، ونصب أولادهم وخفض شركائهم، ولو سلمنا أن ذلك وجه مرجوح فهو لا يعدو أن يكون من الاختلاف فى كيفية النطق التى لا تتأكد التواتر - كما قدمناه آنفاً - على ما فى اختلاف الإعرابين من إفادة معنى غير الذى يفيدته الآخر، لأن لإضافة المصدر إلى المفعول خصائص غير التى لإضافته إلى فاعله، ولأن لبناء الفعل للمجهول نكتاً غير التى لبنائه للفاعل، على أن أباعلى الفارسى ألف كتاباً

١. سورة ص: الآية ٣.

٢. سورة البقرة: الآية ٢١٤.

٣. سورة النساء: الآية ١٦٤.

٤. سورة الكهف: الآية ٥١.

٥. سورة الانعام: الآية ١٣٧.



سماه «الحجة» احتج فيه للقراءات المأثورة احتجاجاً من جانب العربية .

ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة ، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة ، وهو تمايز متقارب ، وقل أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحاناً ، على أن كثيراً من العلماء كان لا يرى مانعاً من ترجيح قراءة على غيرها ، ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري ، والعلامة الزمخشري وفي أكثر ما رجح به نظر سنذكره في مواضعه<sup>(١)</sup> .

قال المحققان في نواتر القراءات العشر<sup>(٢)</sup> :

«التحقيق الذي يؤيده الدليل - هو :- أن القراءات العشر كلها متواترة ، وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء ، كابن السبكي ، وابن الجزري ، والنويري .

قال ابن الجزري - رحمه الله - في كتابه منجد المقرئين :

«الفصل الثاني ، في أن القراءات العشر متواترة فرشاً وأصولاً حال اجتماعهم وافتراقهم وحل مشكل ذلك» اعلم : أن العلماء بالغوا في ذلك نفيًا وإثباتاً ، وأنا أذكر أقوال كل ، ثم أبين الحق من ذلك . أما من قال بتواتر الفرش دون الأصول ، فابن الحاجب . قال في مختصر الأصول له : « القراءات السبع : متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتخفيف الهمزة ونحوه » فزعم أن المد والإمالة وما أشبه ذلك من الأصول كالإدغام ، وترقيق الراءات ، وتخفيف اللامات ، ونقل الحركة ، وتسهيل الهمزة ، من قبيل الأداء ، وأنه غير متواتر . وهذا قول غير صحيح .

وأما المد فأطلقه ، وتحت ما يسكب العبرات ، فإنه إما أن يكون طبيعياً أو عرضياً . والطبيعي : هو الذي لا تقوم ذات حروف المد بدونه ، كالألف من قال ، والواو من يقول ، والياء من قيل . وهذا لا يقول مسلم بعدم تواتره ، إذ لا تمكن القراءة بدونه . والمد العرضي هو الذي يعرض زيادة على الطبيعي ، لموجب ، إما سكون أو همز . فأما السكون فقد يكون لازماً كما في فواتح السور ، وقد يكون مشدداً نحو : ( الم ، ق ، ن ، ولا الضالين ) ونحوه ،

١ . التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٠ - ٦٢ .

٢ . هذا الفصل استندناه من كتاب الشيخ الزرقاني من كتابه مناهل العرفان فارجع إليه إن شئت .

فهذا يلحق بالطبيعي لا يجوز فيه القصر ، لأن المد قام مقام حرف توصلًا للنطق بالساكن . وقد أجمع المحققون من الناس على مده قدرًا سواء ، وأما الهمز فعلى قسمين : الأول : إما أن يكون حرف المد في كلمة والهمز في أخرى وهذا يسميه القراء منفصلاً ، واختلفوا في مده وقصره ، وأكثرهم على المد . فادعاه عدم تواتر المد فيه ترجيح بلا مرجح ، ولو قال العكس لكان أظهر ، لشبهته ، لأن أكثر القراء على المد .

الثاني : أن يكون حرف المد والهمز في كلمة واحدة ، وهو الذي يسمى متصلاً . وقد أجمع القراء سلفاً وخلفاً من كبير وصغير ، وشريف وحقير ، على مده ، لا خلاف بينهم في ذلك . إلا ما روي عن بعض من لا يعول عليه بطريق شاذة ، فلا تجوز القراءة به . حتى أن إمام الرواية أبا القاسم الهذلي - الذي دخل المشرق والمغرب وأخذ القراءة عن ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً ، قال : رحلت من آخر الغرب إلى فرغانة يميناً وشمالاً ، وجبلاً وبحراً ، وألف كتابه الكامل ، الذي جمع فيه بين الذرة وأذن الجرة ، من صحيح وشاذ ، ومشهور ومنكر - قال في باب المد في فصل المتصل : ولم يختلف في هذا الفصل ، أنه ممدود على وتيرة واحدة فالقراء فيه على نمط واحد ، وقدره بثلاثة ألفات - إلى أن قال :- وذكر العراقي : أن الاختلاف في مد كلمة واحدة ، كالاختلاف في مد كلمتين ، ولم أسمع هذا لغيره . وطالما مارست الكتب والعلماء ، فلم أجد من يجعل مد الكلمة الواحدة ، كمد الكلمتين إلا العراقي ، قلت : والعراقي هو منصور بن أحمد المقرئ ، كان بخراسان ، ولقد أخطأ في ذلك ، وشيوخه ، الذين قرأ عليهم نعرفهم : الإمام أبو بكر بن مهران ، وأبو الفرج الشنبوذي ، وإبراهيم بن أحمد المرزوي ، ولم يرو عنهم شيء من ذلك في طريق من الطرق .

فإذا كان ذلك يجسر ابن الحاجب أو من هو أكبر منه على أن يقدم على ما أجمع عليه ، فيقول : هو غير متواتر فهذه أقسام المد العرضي أيضاً متواترة لا يشك في ذلك إلا جاهل . وكيف يكون المد غير متواتر وقد أجمع عليه الناس خلفاً عن سلف ؟ .

فإن قيل : قد وجدنا القراء في بعض الكتب كالتيسير للمحافظ الداني وغيره ، جعل لهم فيما مد للهمز مراتب في المد إشباعاً وتوسطاً ، وفوقه ودونه ، وهذا لا ينضببط إذ المد

لا حذله . وما لا ينضبط كيف يكون متواتراً ؟ قلت : نحن لا ندعي أن مراتبه متواترة ، وإن كان قد ادعاه طائفة من القراء والأصوليين . بل نقول : إن المد العرضي من حيث هو متواتر مقطوع به ، قرأه النبي ﷺ ، وأنزله الله تعالى عليه ، وأنه ليس من قبيل الأداء ، فلا أقل من أن نقول : القدر المشترك متواتر . وأما ما زاد على القدر المشترك كعاصم ، وحمزة ، وورش ، فهو إن لم يكن متواتراً فصحيح مستفاض متلقى بالقبول . ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك فليبين .

وأما الإمامة على نوعيها ، فهي وضدها لغتان فاشيتان من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، مكتوبتان في المصاحف ، متواترتان ، وهل يقول أحد لغةً أجمع الصحابة والمسلمون على كتابتها في المصاحف : إنها من قبيل الأداء ؟ . وقد نقل الحافظ الحجة أبو عمرو الداني في كتابه إيجاز البيان ، الإجماع على أن الإمامة لغة لقبائل العرب ، دعاهم إلى الذهاب إليها التماس الخفة . وقال الإمام أبو القاسم الهذلي في كتاب الكامل : إن الإمامة والتفخيم لغتان ليست إحداهما أقدم من الأخرى ، بل نزل القرآن بهما جميعاً - إلى أن قال - : والجملة بعد التطويل من قال : إن الله تعالى لم ينزل القرآن بالإمالة أخطأ وأعظم القرية على الله تعالى ، وظن بالصحابة خلاف ما هم عليه من الورع والتقوى .

قلت : كأنه يشير إلى كونهم كتبوا بالإمالة في المصاحف نحو ( يحيى ، وموسى ، وهدي ، ويسمى ، والهدى ، ويفشيها ، وجليها ، وآسى ، وآتينكم ) وما أشبه ذلك مما كتبه بالياء على لغة الإمامة ، وكتبوا مواضع تشبه هذا بالألف على لغة الفتح ، منها : قوله عز وجل في سورة إبراهيم : ﴿ ومن عصاني فإنيك غفور رحيم ﴾ <sup>(١)</sup> ، حتى إنهم كتبوا ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ <sup>(٢)</sup> في البقرة بالياء ، وكتبوا ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ <sup>(٣)</sup> بالألف . وأي دليل أعظم من ذلك ؟

قال الهذلي : وقد أجمعت الأمة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، على الأخذ والقراءة والإقراء بالإمالة والتفخيم ، وذكر أشياء ثم قال : وما أحد من القراء إلا رويت

٢ . سورة البقرة : الآية ٢٧٣ .

١ . سورة إبراهيم : الآية ٢٨ .

٢ . سورة البقرة : الآية ٢٩ .

إمالة قلت أو كثرت - إلى أن قال :- وهي ( يعني الإمالة ) لغة هوازن ، وبكر بن وائل ، وسعد بن بكر .

وأما تخفيف الهمزة ونحوه من النقل والإدغام ، وترقيق الرءاءات ، وتفخيم اللامات ، فتواتر قطعاً ، معلوم أنه منزل من الأحرف السبعة ، ومن لغات العرب ، الذين لا يحسنون غيره ، وكيف يكون غير متواتر ، أو من قبيل الأداء؟ ،

وقد أجمع القراء في مواضع على الإدغام في مثل : ( مذكر ، أنقلت ، دعوا الله ربهما ، مالك لا تأمنا على يوسف ) ، وكذلك أجمع القراء في مواضع على تخفيف الهمز ، نحو : ( الآن ، الله ، أذكركم ) في الاستفهام وفي مواضع على النقل ، نحو ( لكننا هو الله ربي ) و ( يرى ، ونرى ) وعلى ترقيق الرءاءات في مواضع ، نحو ( فرعون ، ومرية ) وعلى تفخيم اللامات في مواضع ، نحو اسم الجلالة بعد الضمة والفتحة .

وأجمع الصحابة - رضوان الله عليهم - على كتابة الهمزة الثانية من قوله تعالى - في آل عمران :- ﴿ أُوْبِنِكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> بواو . قال أبو عمرو الداني وغيره : إنما كتبوا ذلك على إرادة تسهيل الهمزة بين بين اهـ . وكيف يكون ما أجمع عليه القراء أمماً عن أمم غير متواتر؟ . وإذا كان المد وتخفيف الهمز والإدغام غير متواتر على الإطلاق ، فما الذي يكون متواتراً؟ أقصر ( ألم ، ودابة ، وأولئك ) الذي لم يقرأ به أحد من الناس؟ أم تخفيف همزة ( أذكركم ، الله ) الذي أجمع الناس على أنه لا يجوز ، وأنه لحن؟ أم إظهار ( مذكر ) الذي أجمع الصحابة والمسلمون على كتابته وتلاوته بالإدغام؟؟ فليت شعري من الذي تقدمه قبل بهذا القول ، فقفى أثره ، والظاهر أنه لما سمع قول الناس : إن التواتر فيما ليس من قبيل الأداء ، ظن أن المد والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه من قبيل الأداء ، فقال غير مفكر فيه . وإلا فالشيخ أبو عمرو لو فكر فيه ، لما أقدم عليه ، أو لو وقف على كلام إمام الأصوليين من غير مدافعة القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني في كتاب الانتصار ، حيث قال : « جميع ما قرأ به الأمصار مما اشتهر عنهم استفاض نقله . ولم يدخله في حكم الشذوذ ، بل رآه سائغاً جائزاً من همز وإدغام ، ومد وتشديد ، وحذف وإمالة ، أو ترك ذلك كله ، أو شيء منه ،

أو تقديم، أو تأخير، فإنه كله منزل من عند الله تعالى، ومما وقف الصحابة على صحته، وخير بينه وبين غيره، وصوب للجميع القراءة به. قال: لو سوغنا لبعض القراء إمالة ما لم يمله الرسول ﷺ والصحابة أو غير ذلك لسوغنا لهم مخالفة جميع قراءة الرسول ﷺ. ثم أطال - رحمه الله - الكلام على تقدير ذلك، وجوز أن يكون النبي ﷺ أقرأ واحداً بعض القرآن بحرف، وبعضه بحرف آخر، على ما قد يراه أيسر على القارئ. اهـ.

قلت: وظهر من هذا أن اختلاف القراء في الشيء الواحد مع اختلاف المواضع قد أخذه الصحابي كذلك من رسول الله ﷺ، وأقرأه كذلك إلى أن اتصل بالقراء. نحو قراءة حفص: (مجريها) بالإمالة فقط، ولم يمل في القرآن غيره، وقراءة ابن عامر: (إبراهام) في مواضع محصورة، وقراءة أبي جعفر: (يُخزِن) في الأنبياء فقط بضم الياء وكسر الزاي وفي باقي القرآن بفتح الباء وضم الزاي، وقراءة نافع عكسه في جميع القرآن بضم الياء وكسر الزاي، إلا في الأنبياء فإنه فتح الياء وضم الزاي، وشبه ذلك مما يقول القراء عنه: جمع بين اللغتين. وليت الإمام ابن الحاجب أدخل كتابه من ذكر القراءات وتواترها، كما أدخل غيره كتبهم منها. وإذا ذكرها فليته لم يتعرض إلى ما كان من قبيل الأداء. وإذا قد تعرض فليته سكت عن التمثيل، فإنه إذا أثبت أن شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي ﷺ كتقسيم وقف حمزة، وهشام، وأنواع تسهيله، فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله ﷺ، فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك. وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء.

ولما قال ابن السبكي في كتابه جمع الجوامع: «والسبع متواترة قيل: فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتخفيف الهمز ونحوه»، وسئل عن زيادته على ابن الحاجب قيل: المقتضية لاختياره أن ما هو من قبيل الأداء كالمد والإمالة إلى آخره متواتر فأجاب - رحمه الله - في كتابه منع الموانع: اعلم: أن السبع متواترة والمد متواترة والإمالة متواترة كل هذا بين لا شك فيه. وقول ابن الحاجب: (فيما ليس من قبيل الأداء) صحيح لو تجرد عن قوله: كالمد والإمالة. لكن تمثيله بهما أو جب فساد، كما سنوضحه من بعد، فلذلك قلنا: قيل: ليتبين أن القول بأن المد والإمالة والتخفيف غير متواتر ضعيف عندنا، بل هي متواترة، ثم

أخذ يذكر المد والإمالة والتخفيف - إلى أن قال - : فإذا عرفت فكلامنا قاض بتواتر السبع ومن السبع مطلق المد والإمالة وتخفيف الهمز بلا شك .

أما من قال : إن القراءات متواترة حال اجتماع القراء لا حال افتراقهم ، فأبو شامة قال في المرشد الوجيز في الباب الخامس منه : « فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح في قراءتهم ، تركز النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما نقل عن غيرهم . فمما نسب إليهم وفيه إنكار أهل اللغة وغيرهم ، الجمع بين الساكتين في تاءات البزي ، وإدغام أبي عمرو ، وقراءة حمزة : ﴿ فما استطاعوا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وتسكين من أسكن : ﴿ بارئكم ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ونحوه : ( وسبأ ، ويابني ، ومكر السياء ) ، وإشباع الياء في : ( يرتقي ، يتقي ، يبصر ، وأئندة من الناس ) ، وقراءة ( ملائكة ) بفتح الهمزة ، وهمز : ( ساقها ) ، وخفض : ( والأرحام ) في أول النساء ، ونصب : ( كن فيكون ) ، والفصل بين المتضاميين في الأنعام ، وغير ذلك ، إلى أن قال : فكل ذلك محمول على قلة ضبط الرواة فيه ، ثم قال : وإن صح النقل فيه فهو من بقايا الأحرف السبعة التي كانت القراءة المباحة عليه ، على ما هو جائز في العربية ، فصيحاً كان أو دون ذلك . وأما بعد كتابة المصاحف على اللفظ المنزل ، فلا ينبغي قراءة ذلك اللفظ إلا على اللغة الفصحى من لغة قريش وما ناسبها ، حملاً لقراءة النبي ﷺ والسادة من أصحابه على ما هو اللائق ، فإنهم إنما كتبوه على لغة قريش ، فكذا قراءتهم به ، قال : وقد شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين : أن القراءات السبع كلها متواترة ، أي في كل فرد ممن روى عن هؤلاء الأئمة السبعة . قالوا : والقطع بأنها منزلة من عند الله تعالى واجب ، قال : ونحن بهذا نقول ، لكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق ، واتفقت عليه الفرق من غير تكبير له ، مع أنه شاع واشتهر واستفاض ، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها .

فانظر - يا أخي - إلى هذا الكلام الساقط ، الذي خرج من غير تأمل ، المتناقض في غير موضع في هذه الكلمات اليسيرة أو وقفت عليه شيخنا الإمام - ولي الله تعالى - أباً محمد بن

محمد بن محمد الجمالي رحمته الله، فقال: ينبغي أن يعدم هذا الكتاب من الوجود ولا يظهر البتة، وإنه طعن في الدين. قلت: ونحن - يشهد الله - أننا لا نقصد إسقاط الإمام أبي شامة، إذ الجواد قد يعثر ولا يجهل قدره. بل الحق أن يتبع، ولكن نقصد التنبيه على هذه الزلة المزلة ليحذر منها من لا معرفة له بأقوال الناس، ولا اطلاع له على أحوال الأئمة.

أما قوله: «فمما نسب إليهم وفيه إنكار أهل اللغة الخ» فغير لائق بمثله أن يجعل ما ذكره منكرأ عند أهل اللغة. وعلماء اللغة والإعراب الذين عليهم الاعتماد سلفاً وخلفاً يوجهونها ويستدلون بها. وأنى يسمهم إنكار قراءة تواترت أو استفاضت عن رسول الله ﷺ؟ إلا نؤيس لا اعتبار بهم، لا معرفة لهم بالقراءات ولا بالأثار جمداً وعلى ما عملوا من القياسات، وظنوا أنهم أحاطوا بجميع لغات العرب أفصحها وفصحها، حتى لو قيل لأحدهم شيء من القرآن على غير النحو الذي أنزل الله يوافق قياساً ظاهراً عنده ولم يقرأ بذلك أحد، لقطع له بالصححة. كما أنه لو سئل عن قراءة متواترة لا يعرف لها قياساً لأنكرها ولقطع بشذوذها، حتى أن بعضهم قطع في قوله عز وجل: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنُ﴾<sup>(١)</sup> بأن الإدغام الذي أجمع عليه الصحابة - رضي الله عنهم - والمسلمون لحن، وأنه لا يجوز عند العرب، لأن الفعل الذي هو تأمن مرفوع، فلا وجه لسكونه حتى يدغم في النون التي تليه.

فانظر - يا أخي - إلى قلة حياء هؤلاء من الله تعالى. يجعلون ما عرفوه من القياس أصلاً والقرآن العظيم فرعاً أحاشا العلماء المقتدى بهم من أئمة اللغة والإعراب من ذلك. بل يجيئون إلى كل حرف مما تقدم ونحوه يبالغون في توجيهه والإنكار على من أنكره. حتى إن إمام اللغة والنحو أبا عبد الله محمد بن مالك قال في منظومته الكافية الشافية في الفصل بين المتضايقين:

«وعديتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر»

ولولا خوف الطول وخروج الكتاب عن مقصوده لأوردت ما زعم أن أهل اللغة أنكروه، وذكرت أقوالهم فيها، ولكن إن مد الله في الأجل لأضعن كتاباً مستقلاً في ذلك، يشفي

القلب، ويشرح الصدر، أذكر فيه جميع ما أنكره من لا معرفة له بقراءة السبعة والعشرة. ولله در الإمام أبي نصر الشيرازي حيث حكى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾<sup>(١)</sup> كلام الزجاجي في تضعيف قراءة الخفض.

ثم قال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به. وهذا مقام محظور لا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو. ولعلمهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح منه، فإننا لاندعي أن كل ما في القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة. وقال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه جامع البيان عند ذكر اسكان (بارئكم، ويأمركم) لأبي عمرو بن العلاء: «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأثني في اللغة والأقيس في العربية. بل على الأثني في الأثر والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة فلزم قبولها والمصير إليها».

قلت: ثم لم يكف الإمام أبا شامة حتى قال: «فكل ذلك (يعني ما تقدم) محمول على قلة ضبط الرواية» لا والله. بل كله محمول على كثرة الجهل ممن لا يعرف لها أوجهاً وشواهد صحيحة تخرج عليها، كما سنبينه إن شاء الله تعالى في الكتاب الذي وعدنا به آنفاً، إذ هي ثابتة مستفاضة، وروايتها أئمة ثقات. وإن كان ذلك محمولاً على قلة ضبطهم فليت شعري أكان الدين قد هان على أهله؟ حتى يجيء شخص في ذلك الصدر يدخل في القراءة بقلة ضبطه ما ليس منها فيسمع منه ويؤخذ عنه، يقرأ به في الصلاة وغيرها، ويذكره الأئمة في كتبهم، ويقرأون به ويستفاض، ولم يزل كذلك إلى زماننا هذا، لا يمنع أحد من أئمة الدين القراءة به، مع أن الإجماع منعقد على أن من زاد حركة أو حرفاً في القرآن، أو نقص من تلقاء نفسه مصرأ على ذلك يكفر، والله جل وعلا تولى حفظه: ﴿لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾<sup>(٢)</sup>.

وأعظم من ذلك تنزله إذ قال: «وعلى تقدير صحتها وأنها من الأحرف السبعة لا ينبغي قراءتها حملاً لقراءة النبي ﷺ وأصحابه على ما هو اللائق بهم) فإذا كان



النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم لم يقرأوا بها مع تقدير صحتها ، وأنها من الأحرف السبعة ، فمن أوصلها إلى هؤلاء الذين قرأوا بها ؟ .

ثم يقول : « فلا أقل من اشتراط ذلك » يعني : اشتراط الشهرة والاستفاضة . قلت : ألا تنظرون إلى هذا القول ؟ ثم أحد في الدنيا يقول : إن قراءة ابن عامر وحمزة وأبي عمرو ومن اجتمع عليه أهل الحرمين والشام وأبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ، وقراءة البرزي وقنبل وهشام ، ان تلك غير مشهورة ولا مستفاضة ، وإن لم تكن متواترة ؟ . هذا كلام من لم يدر ما يقول حاشا الإمام أبا شامة منه . وأنا من فرط اعتقادي فيه أكاد أجزم بأنه ليس من كلامه في شيء . ربما يكون بعض الجهلة المتعصبين ألحقه بكتابه أو أنه ألف هذا الكتاب أول أمره ، كما يقع لكثير من المصنفين وإلا فهو في غيره من مصنفاته كشرحه على الشاطبية بالغ في الانتصار والتوجيه لقراءة حمزة : ( والأرحام ) بالخفض والفصل بين المتضايقين . ثم قال في الفصل : ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام مثله ، لأنه ناف ، ومن أسند هذه القراءة مثبت . والإثبات مرجح على النفي بالإجماع قال : ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في الشر لرجع عن قوله : فما باله ما يكتفي بناقلي القراءة من التابعين عن الصحابة رضی اللہ عنهم ثم أخذ في تقرير ذلك ، قلت : هذا الكلام مباين لما تقدم وليس منه في شيء . وهو الأليق بمثله رحمه الله .

ثم قال أبو شامة في المرشد بعد ذلك القول : « فالحاصل : أنا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها » قلت : ونحن كذلك لكن في القليل منها كما تقدم في الباب الثاني .

قال : « وغاية ما يبديه مدعي تواتر المشهور منها كإدغام أبي عمرو ، ونقل الحركة لورش ، وصلة ميم الجمع ، وهاء الكناية لابن كثير ، أنه متواتر عن ذلك الإمام الذي نسبت تلك القراءة إليه ، بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة ، إلا أنه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام إلى النبي ﷺ في كل فرد فرد من ذلك . ومن ثم تسكب العبرات فإنها من ثم لم ينقلها إلا آحاد إلا اليسير منها » .

قلت : هذا من جنس ذلك الكلام المتقدم . أوقفت عليه شيخنا الإمام واحد زمانه شمس

الدين محمد بن أحمد الخطيب ببيرود الشافعي فقال لي : معذور أبو شامة ؛ حيث إن القراءات كالحديث مخرجها كمنخرجه ، إذا كان مدارها على واحد ، كانت أحادية ، وخفي عليه أنها نسبت إلى ذلك الإمام اصطلاحاً ، وإلا فكل أهل بلدة كانوا يقرأونها أخذوها أمماً عن أمم . ولو انفرد واحد بقراءة دون أهل بلده لم يوافقه على ذلك أحد بل ، كانوا يجتنبونها ويأمرون باجتنابها .

قلت : صدق . ومما يدل على هذا ما قال ابن مجاهد : قال لي قنبل : قال القواس في سنة سبع وثلاثين ومائتين : لَقِيَ هذا الرجل ( يعني البري ) فقل له : هذا الحرف ليس من قراءة تنا . يعني (وما هو بميت) مخفياً . وإنما يخفف من الميت من قدمات ومن لم يمت فهو مشدد . فلقيت البري فأخبرته ، فقال له : قد رجعت عنه ... وقال محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو : كيف تقرأ ﴿ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ <sup>(١)</sup> ؟ فقال : لا يعذب بالكرس . فقال له الرجل : كيف ؟ وقد جاء عن النبي ﷺ ( لا يعذب ) بالفتح . فقال له أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي ﷺ ما أخذته عنه . أو تدري ما ذاك ؟ لأنني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة .

قال الشيخ أبو الحسن السخاوي : وقراءة الفتح أيضاً ثابتة بالتواتر . قلت : صدق ، لأنها قراءة الكسائي ، قال السخاوي : وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم . وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر .

قلت : وهذا كان من شأنهم على أن تعيين هؤلاء القراء ليس بلازم ، ولو عين غير هؤلاء لجاز . وتعيينهم إما لكونهم تمعدوا للإقراء أكثر من غيرهم ، أو لأنهم شيوخ المعين كما تقدم . ومن ثم كره من كره من السلف أن تنسب القراءة إلى أحد . روى ان داود عن إبراهيم النخعي قال : كانوا يكرهون سند فلان وقراءة فلان . قلت : وذلك خوفاً مما توهمه أبو شامة من القراءة إذا نسبت إلى شخص تكون أحادية . ولم يدر أن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها في هذا الزمن وأضعافهم . ولو لم يكن انفرد القراء متواتراً لكان بعض القرآن غير متواتر ، لأننا نجد في القرآن أحرفاً تختلف

القراء فيها وكل منهم على قراءة لا توافق الآخر، كأرجه وغيرها، فلا يكون منها متواتراً. وأيضاً قراءة من قرأ (مالك، ويخادعون) فكثير من القرآن غير متواتر لأن التواتر لا يثبت بانين ولا بثلاثة.

قال الإمام الجعبري في رسالته: وكل وجه من وجوه قراءته كذلك (يعني متواتراً) لأنها أبعاضه. ثم قال: فظهر من هذا فساد قول من قال: هو متواتر دونها، إذ هو عبارة عن مجموعها.

ثم قال ابن الجزري: ومما يحقق لك أن قراءة أهل كل بلدة متواترة بالنسبة إليهم؛ أن الإمام الشافعي جعل البسمة من القرآن مع أن روايته عن شيخه مالك تقتضي عدم كونها من القرآن، لأنه من أهل مكة، وهم يشتون البسمة بين السورتين، ويعدون منها من أول الفاتحة آية، وهو قرأ قراءة ابن كثير على إسماعيل القسط عن ابن كثير فلم يعتمد في روايته عن مالك في عدم البسمة، لأنها أحاد واعتمد على قراءة ابن كثير لأنها متواترة. وهذا لطيف فتأمله فإنني كنت أجد في كتب أصحابنا يقولون: إن الشافعي روى حديث عدم البسمة عن مالك، ولم يعول عليه، فدل على أنه ظهرت له فيه علة، وإلا لما ترك العمل به، قلت: ولم أر أحداً من أصحابنا بين العلة، فبيناً أنا ليلية مفكر، إذ فتح الله تعالى بما تقدم - والله أعلم - أنها هي العلة. مع أنني قرأت القرآن برواية إمامنا الشافعي عن ابن كثير كالبري وقنبل. ولما علم بذلك بعض أصحابنا من كبار الأئمة الشافعية قال لي: أريد أن أقرأ عليك القرآن بها.

ومما يزيدك تحقيقاً ما قاله أبو حاتم السجستاني قال: أول من تتبع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتبع الشاذ منها هارون بن موسى الأعمور قال: وكان من القراء. فكره الناس ذلك وقالوا: قد أساء حين ألفها. وذلك أن القراءة إنما يأخذها قرون وأمة عن أفواه أمة ولا يلتفت منها إلى ما جاء من راو راو. قلت: يعني أحاداً أحاداً.

وقال الحافظ العلامة أبو سعيد خليل كيكليدي العلائي في كتابه المجموع المذهب: وللشيخ شهاب الدين أبي شامة في كتابه المرشد الوجيز وغيره كلام في الفرق بين القراءات السبع والشاذة منها. وكلام غيره من متقدمي القراء ما يوهم؛ أن القراءات السبع

ليست متواترة كلها، وأن أعلاها ما اجتمع فيه صحة السند وموافقة خط المصحف الإمام والفصيح من لغة العرب، وأنه يكفي فيها الاستفاضة وليس الأمر كما ذكر هؤلاء. والشبهة دخلت عليهم من انحصار أسانيدنا في رجال معروفين وظنوها كاجتهاد الأحاد.

قلت: وقد سألت شيخنا إمام الأئمة أبا المعالي - رحمه الله تعالى - عن هذا الموضوع، فقال: انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم. فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرؤه منهم الجرم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائماً، والتواتر حاصل لهم. ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف، وحفظوها من شيوخهم، وجاء السند من جهتهم، وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة ممن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر فهذه كذلك. وقال: هذا موضع ينبغي التنبيه له. انتهى والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره :

« لقد اختلفت الآراء حول القراءات السبع المشهورة بين الناس، فذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواترها عن النبي ﷺ وربما ينسب هذا القول إلى المشهور بينهم. ونقل عن السبكي القول بتواتر القراءات العشر<sup>(٢)</sup>. وأفرط بعضهم فزعم أن من قال إن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقله كفر. ونسب هذا الرأي إلى مفتي البلاد الاندلسية أبي سعيد فرج ابن لب<sup>(٣)</sup>.

والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القاريء وبين ما هو منقول بخبر الواحد. واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد أن يكون هذا هو المشهور بينهم - كما ستعرف ذلك - وهذا القول هو الصحيح. ولتحقيق هذه النتيجة لا بد لنا من ذكر أمرين :

الأول: قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أن ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر. واستدل كثير من علماء السنة والشيعة على ذلك: بأن القرآن تتوفر

٢. مناهل العرفان للزرقاني ص ٤٣٣.

١. مقدمة البحر المحيط ج ١ ص ٨١-٨٧.

٣. نفس المصدر ص ٤٢٨.

الدواعي لنقله، لأنه الأساس للدين الإسلامي، والمعجز الإلهي لدعوة نبي المسلمين. وكل شيء تتوفر الدواعي لنقله لا بد وأن يكون متواتراً. وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الآحاد لا يكون من القرآن قطعاً.

نعم ذكر السيوطي: «أن القاضي أبابكر قال في الانتصار: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن حكماً لاعلماً بخبر الواحد دون الاستفاضة، وكره ذلك أهل الحق، وامتنعوا منه»<sup>(١)</sup>.

وهذا القول الذي نقله القاضي واضح الفساد - نفس الدليل المتقدم - وهو أن توفر الدواعي للنقل دليل قطعي على كذب الخبر إذا اختص نقله بواحد أو اثنين. فإذا أخبرنا شخص أو شخصان بدخول ملك عظيم إلى بلد، وكان دخول ذلك الملك إلى ذلك البلد مما يمتنع في العادة أن يخفى على الناس، فانا لانشك في كذب هذا الخبر إذا لم ينقله غير ذلك الشخص أو الشخصين، ومع العلم بكذبه كيف يكون موجباً لاثبات الآثار التي ترتب على دخول الملك ذلك البلد<sup>١٤</sup>. وعلى ذلك، فإذا نقل القرآن بخبر الواحد، كان ذلك دليلاً قطعياً على عدم كون هذا المنقول كلاماً إلهياً، وإذا علم بكذبه، فكيف يمكن التعبد بالحكم الذي يشتمل عليه؟.

وعلى كل حال فلم يختلف المسلمون في أن القرآن ينحصر طريق ثبوته والحكم بأنه كلام إلهي بالخبر المتواتر.

وبهذا يتضح أنه ليست بين تواتر القرآن، وبين عدم تواتر القراءات أية ملازمة، لان أدلة تواتر القرآن وضرورته لا تثبت - بحال من الأحوال - تواتر قراءاته، كما أن أدلة نفي تواتر القراءات لا تتسرب إلى تواتر القرآن بأي وجه. وسيأتي بيان ذلك - في بحث «نظرة في القراءات» على وجه التفصيل.

الثاني: إن الطريق الأفضل إلى إثبات عدم تواتر القراءات هو معرفة القراء أنفسهم، وطرق روايتهم، وهم سبعة قراء. وهناك ثلاثة آخرون تتم بهم العشرة. نذكرهم عقيب هؤلاء. واليك تراجمهم، واستقراء أحوالهم واحداً بعد واحد.

## ١. عبدالله بن عامر الدمشقي

هو أبو عمران اليحصبي . قرأ القرآن على المغيرة بن أبي شهاب . قال الهيثم بن عمران : « كان عبدالله بن عامر رئيس أهل المسجد زمان الوليد بن عبد الملك ، وكان يزعم أنه من حمير ، وكان يغمز في نسبه » . وقال العجلي والنسائي : « ثقة » . وقال أبو عمرو الداني : « ولي قضاء دمشق بعد بلال بن أبي الدرداء ... اتخذته أهل الشام إماماً في قراءته واختياره »<sup>(١)</sup> ، وقال ابن الجزري : « وقد ورد في اسناده تسعة اقوال أصحها أنه قرأ على المغيرة » . ونقل عن بعض أنه قال : « لا يدري على من قرأ » . ولد سنة ثمان من الهجرة . وتوفي سنة ١١٨<sup>(٢)</sup> .

ولعبدالله راويان رويًا قراءته - بوسائط - وهما : هشام ، وابن ذكوان .

أما هشام : فهو ابن عمار بن نصير بن ميسرة ، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم . قال يحيى بن معين : « ثقة » . وقال النسائي : « لا بأس به » . وقال الدار قطني : « صدوق كبير المحلل » . ولد سنة ١٥٣ و توفي سنة ٢٤٥<sup>(٣)</sup> . وقال الآجري عن أبي داود : « إن أبا أيوب - يعني سليمان بن عبد الرحمن - خير منه ، حدث هشام بأربعمائة حديث مسند ليس لها أصل » . وقال ابن وارة : « عزمنا أن أمسك عن حديث هشام ، لأنه كان يبيع الحديث » . وقال صالح بن محمد : « كان يأخذ علي الحديث ، ولا يحدث مالم يأخذ ... قال المروزي : ذكر أحمد هشاماً فقال : « طياش خفيف » وذكر له قصة في اللفظ بالقرآن أنكروا عليه أحمد حتى أنه قال : « إن صلوا خلفه ، فليعيدوا الصلاة »<sup>(٤)</sup> .

أقول : فيمن روي القراءة عنه خلاف ، فليراجع كتاب الطبقات وغيره .

وأما ابن ذكوان : فهو عبدالله بن أحمد بن بشير ، ويقال : بشير بن ذكوان . أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم . قال أبو عمرو الحافظ : « قرأ على الكسائي حين قدم الشام » . ولد يوم عاشوراء سنة ١٧٣ ، وتوفي سنة ٢٤٢<sup>(٥)</sup> .

أقول : والحال في من روى القراءة عنه كما تقدم .

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٤٠٤ .

١. تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٤ .

٤. تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٥٢ - ٥٤ .

٣. طبقات القراء ج ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٦ .

٥. طبقات القراء ج ١ ص ٤٠٤ .

## ٢. ابن كثير المكي

هو عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز المكي الداري، فارسي الأصل. أخذ القراءة عرضاً - على مافي كتاب التيسير - عن عبدالله بن السائب فيما قطع به الحافظ أبو عمرو الداني وغيره، وضعف الحافظ - أبو العلاء الهمداني - هذا القول، وقال: «إنه ليس بمشهور عندنا» وعرض أيضاً على مجاهد بن جبر، ودرباس مولى عبدالله بن عباس. ولد بمكة سنة ٤٥ وتوفي سنة ١٢٠<sup>(١)</sup>. قال علي بن المديني: «كان ثقة». وقال ابن سعد: «ثقة». وذكر أبو عمرو الداني أنه: «أخذ القراءة عن عبدالله بن السائب المخزومي». والمعروف أنه إنما أخذها عن مجاهد<sup>(٢)</sup>.

ولعبدالله بن كثير راويان - بوسائط - هما البري. وقنبل.

أما البري: فهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، اسمه بشار، فارسي من أهل همدان، أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي. قال ابن الجزري: «استاد محقق ضابط متقن». ولد سنة ١٧٠ وتوفي ٢٥٠<sup>(٣)</sup>. قرأ البري على ابي الحسن أحمد بن محمد بن علقمة المعروف بالقواس، وعلى أبي الاخريط وهب بن واضح المكي، وعلى أبي القاسم عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر المكي، وعلى عبدالله بن زياد بن عبدالله بن يسار المكي<sup>(٤)</sup>. قال العقيلي: «منكر الحديث»، وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث لا أحدث عنه»<sup>(٥)</sup>.

أقول: الكلام في من أخذ القراءة عنه كما تقدم.

وأما قنبل: فهو محمد بن عبدالرحمن بن خالد بن محمد أبو عمرو المخزومي مولا هم المكي. أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبال، وهو الذي خلفه بالقيام بها بمكة، وروى القراءة عن البري. انتهت الى قنبل رئاسة الإقراء بالحجاز... وكان على الشرطة بمكة. ولد سنة ١٩٥ وتوفي ٢٩١<sup>(٦)</sup>. ولي الشرطة فخرجت سيرته، وكبر سنه

٢. تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧.

٤. النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٢٠.

٦. طبقات القراء ج ٢ ص ١٠٥.

١. نفس المصدر ص ٤٤٢ - ٤٤٥.

٣. طبقات القراء ج ١ ص ١١٩.

٥. لسان الميزان ج ١ ص ٢٨٢.

وهرم، وتغير تغيراً شديداً، فقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين<sup>(١)</sup>.  
أقول: الكلام في رواية قراءته كما تقدم.

### ٣. عاصم بن بهدلة الكوفي

هو ابن أبي النجود أبو بكر الأسدي مولا هم الكوفي. أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني. قال أبو بكر بن عياش: «قال لي عاصم: ما قرأني أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر». وقال حفص: «قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وما كان من القراءة التي أقرأتها بأب بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود»<sup>(٢)</sup>. قال ابن سعد: «كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه». وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: «كان خيراً ثقة، والأعمش أحفظ منه». وقال العجلي: «كان صاحب سنة وقراءة، وكان ثقة رأساً في القراءة... وكان عثمانياً». وقال يعقوب بن سفيان: «في حديثه اضطراب وهو ثقة». وقد تكلم فيه ابن عليه، فقال: «كان كل من اسمه عاصم سيء الحفظ». وقال النسائي: «ليس به بأس». وقال ابن خراش: «في حديثه نكرة». وقال العجلي: «لم يكن فيه إلا سوء الحفظ». وقال الدار قطني: «في حفظه شيء». وقال حماد بن سلمة: «خلط عاصم في آخر عمره». مات سنة ١٢٧ أو سنة ١٢٨<sup>(٣)</sup>.

ولعاصم بن بهدلة راويان بغير واسطة هما: حفص، وأبو بكر:

أما حفص: فهو ابن سليمان الأسدي، كان ربيب عاصم. قال الذهبي: أما القراءة فتثقة ثبت ضابط لها. بخلاف حاله في الحديث. وذكر حفص: «أنه لم يخالف عاصماً في شيء من قراءته إلا في حرف، الروم سورة ٣ آية ٥٤: ﴿لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾. قرأه بالضم وقرأ عاصم بالفتح. ولد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٨٠<sup>(٤)</sup>. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله عن أبيه: «متروك الحديث». وقال عثمان الدارمي وغيره عن ابن معين: «ليس بثقة». وقال ابن

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٢٤٨.

٤. طبقات القراء ج ١ ص ٢٥٤.

١. لسان الميزان ج ٥ ص ٢٤٩.

٣. تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٩.



المديني: «ضعيف الحديث، وتركته على عمد». وقال البخاري: «تركوه». وقال مسلم: «متروك». وقال النسائي: «ليس بثقة، ولا يكتب حديثه». وقال صالح بن محمد: «لا يكتب حديثه وأحاديثه كلها مناكير». وقال ابن خراش: «كذاب متروك يضع الحديث». وقال ابن حبان: «كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل». وحكى ابن الجوزي في الموضوعات عن عبدالرحمن بن مهدي قال: «والله ماتجل الرواية عنه». وقال الدار قطني: «ضعيف» وقال الساجي: «حفص ممن ذهب حديثه، عنده مناكير<sup>(١)</sup>».

أقول: الحال فيمن روى القراءة عنه كما تقدم.

وأما أبو بكر: فهو شعبة بن عياش بن سالم الحنات الأسد الكوفي، قال ابن الجزري: «عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري وعمر دهرأ، إلا أنه قطع الاقراء قبل موته بسبع سنين، وقيل بأكثر، وكان إماماً كبيراً عالماً، وكان يقول: «أنا نصف الإسلام». وكان من أئمة السنة. ولما حضرته الوفاة بكت اخته فقال لها: ما يبكيك؟ انظري الى تلك الزاوية فقد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة». ولد سنة ٩٥ وتوفي سنة ١٩٣، وقيل ١٩٤<sup>(٢)</sup>. قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: «ثقة وربما غلط». وقال عثمان الدارمي: «وليس بذاك في الحديث». وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عن أبي بكر بن عياش، وأبي الأحوص فقال: ما أقربهما». وقال ابن سعد: «كان ثقة صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم، إلا أنه كثير الغلط». وقال يعقوب بن شيبة: «في حديثه اضطراب». وقال أبو نعيم: «لم يكن في شيوخنا أحد أكثر غلطاً منه». وقال البزار: «لم يكن بالحافظ»<sup>(٣)</sup>.

٤. أبو عمرو البصري

هو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري. قيل إنه من فارس. توجه مع أبيه لما هرب من الحجاج، فقرأ بمكة والمدينة، وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه. ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر الى حدود الخمسمائة فتركوا ذلك، لأن شخصاً قدم من أهل العراق، وكان يلقن الناس بالجامع

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٣٢٥-٣٢٧.

١. تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٠١.

٢. تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٥-٣٧.

الأموي على قراءة أبي عمرو، فاجتمع عليه خلق، واشتهرت هذه القراءة عنه. قال الأصمعي: سمعت أبا عمرو يقول: «ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني».

ولد سنة ٦٨ وقال غير واحد: مات سنة ١٥٤<sup>(١)</sup>. قال: الدوري عن ابن معين: «ثقة». وقال أبو خيثمة: «كان أبو عمرو بن العلاء رجلاً لا بأس به ولكنه لم يحفظ». وقال نصر بن علي الجهضمي عن أبيه: قال لي شعبة: «انظر ما يقرأ به أبو عمرو، فما يختاره لنفسه فاكتبه، فإنه سيصير للناس استاذاً». وقال أبو معاوية الأزهرى في التهذيب: «كان من أعلم الناس بوجوه القراءات، والفاظ العرب، ونوادير كلامهم، وفصيح أشعارهم»<sup>(٢)</sup>.

ولقراءة أبي عمرو راويان بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي. هما الدوري، والسوسي. أما يحيى بن المبارك: فقال ابن الجزري: «نحوي مقريء، ثقة علامة كبير». نزل بغداد وعرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدب ولده. أخذ القراءة عرضاً عن أبي عمرو، وهو الذي خلفه بالقيام بها وأخذ أيضاً عن حمزة. روى القراءة عنه أبو عمرو الدوري، وأبو شعيب السوسي، وله اختيار خالف فيه أبا عمرو في حروف بسيرة. قال ابن مجاهد: «وإنما عولنا على اليزيدي - وإن كان سائر أصحاب أبي عمرو أجل منه - لأجل أنه انتصب للرواية عنه، وتجرد لها، ولم يشتغل بغيرها، وهو أضبطهم». توفي سنة ٢٠٢ بمرو. وله أربع وسبعون سنة. وقيل: بل جاوز التسعين، وقارب المائة<sup>(٣)</sup>.

وأما الدوري: فهو حفص بن عمرو بن عبد العزيز الدوري الأزدي البغدادي، قال ابن الجزري: «ثقة ثبت كبير ضابط أول من جمع القراءات». توفي في شوال سنة ٢٤٦<sup>(٤)</sup>. قال الدارقطني: «ضعيف». وقال العقيلي: «ثقة»<sup>(٥)</sup>.

أقول: الكلام فيمن أخذ القراءة عنه كما تقدم.

وأما السوسي: فهو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله. قال ابن الجزري: «ضابط محرر ثقة». أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، وهو من أجل أصحابه.

٢. تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٧٨ - ١٨٠.

٤. نفس المصدر ج ١ ص ٢٥٥.

١. طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩٢.

٣. طبقات القراء ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٧.

٥. تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٠٨.

مات أول سنة ٢٦١، وقد قارب السبعين<sup>(١)</sup>. قال أبو حاتم: «صدوق». وقال النسائي: «ثقة». وذكره ابن حبان في الثقات. وذكر أبو عمرو الداني: أن النسائي روى عنه القراءات، وضعفه مسلم بن قاسم الأندلسي بلا مستند<sup>(٢)</sup>.  
أقول: الكلام فيمن أخذ القراءة عنه كما تقدم.

### ٥. حمزة الكوفي

هو ابن حبيب بن عمارة بن اسماعيل أبو عمارة الكوفي التميمي، أدرك الصحابة بالسن. أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين، وفي كتاب «الكفاية الكبرى والتيسير» عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مصرف، وفي كتاب «التيسير» عن مغيرة بن مقسم ومنصور وليث بن أبي سليم، وفي كتاب «التيسير والمستنير» عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قالوا: «استفتح حمزة القرآن من حمران، وعرض على الأعمش وأبي اسحاق وابن أبي ليلى، واليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان إماماً حجة ثقة ثبتاً عديم النظير». قال عبد الله العجلي: قال أبو حنيفة لحمزة: «شيثان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما القرآن والفرائض». وقال سفیان الثوري: «غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض». وقال عبدالله بن موسى: «وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول هذا حبر القرآن». ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٦<sup>(٣)</sup>. قال ابن معين: «ثقة». وقال النسائي: «ليس به بأس». وقال العجلي: «ثقة رجل صالح». وقال ابن سعد: «كان رجلاً صالحاً عنده أحاديث وكان صدوقاً صاحب سنة». وقال الساجي: «صدوق سيء الحفظ ليس بمتقن في الحديث». وقد ذمه جماعة من أهل الحديث في القراءة. وأبطل بعضهم الصلاة باختياره من القراءة. وقال الساجي أيضاً: الأزدي: «يتكلمون في قراءته وينسبونه إلى حالة مذمومة فيه». وقال الساجي أيضاً: «سمعت سلمة بن شبيب يقول: كان أحمد يكره أن يصلي خلف من يصلي بقراءة حمزة». وقال الأجرى عن أحمد بن سنان: «كان يزيد - يعني ابن هرون - يكره قراءة حمزة كراهية

٢. تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٩٢.

١. طبقات القراء ج ١ ص ٣٣٢.

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٢٦١.

شديدة». قال أحمد بن سنان: سمعت ابن مهدي يقول: «لو كان لي سلطان على من يقرأ قراءة حمزة لأوجعت ظهره وبطنه». وقال أبو بكر بن عياش: «قراءة حمزة عندنا بدعة». وقال ابن دريد: «إني لأشتهي أن تخرج من الكوفة قراءة حمزة»<sup>(١)</sup>.

ولقراءة حمزة راويان بواسطة هما: خلف بن هشام، وخلاد بن خالد:

أما خلف: فهو أبو محمد الأسدي بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي. قال ابن الجزري: «أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً». قال ابن اشته: «كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً». ولد سنة ١٥٠، ومات سنة ٢٢٩<sup>(٢)</sup>. قال اللالكائي: «سئل عباس الدوري عن حكاية عن أحمد بن حنبل في خلف ابن هشام. فقال: لم أسمعها، ولكن حدثني أصحابنا أنهم ذكروه عند أحمد، فقيل: إنه يشرب. فقال: قد انتهى البنا علم هذا، ولكنه - والله - عندنا الثقة الأمين» وقال النسائي: «بغدادى ثقة». وقال الدار قطني: «كان عابداً فاضلاً». قال: «أعدت صلاة أربعين سنة كنت أتناول فيه الشراب على مذهب الكوفيين». وحكى الخطيب في تاريخه عن محمد بن حاتم الكندي قال: «سألت يحيى بن معين عن خلف البزار فقال: لم يكن يدري أيش الحديث»<sup>(٣)</sup>.

أقول: وسيجيء الكلام فيمن روى قراءة ته.

وأما خلاد بن خالد: فهو أبو عيسى الشيباني الكوفي. قال ابن الجزري: «إمام في القراءة ثقة عارف محقق استاذ». أخذ القراءة عرضاً عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم. توفي سنة ٢٢٠<sup>(٤)</sup>.

أقول: والكلام في رواية قراءة ته كما تقدم.

## ٦. نافع المدني

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم. قال ابن الجزري: «أحد القراء السبعة والاعلام

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٢٧٢.

٤. طبقات القراء ج ١ ص ٢٧٤.

١. تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧.

٢. تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٥٦.

ثقة صالح، أصله من اصبهان». أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة. وقال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: «قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم». وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: «سألت أبي: أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة. قلت: فان لم يكن قال: قراءة عاصم». مات سنة ١٦٩<sup>(١)</sup> قال أبو طالب عن أحمد: «كان يؤخذ عنه القرآن، وليس في الحديث بشيء». وقال الدوري عن ابن معين «ثقة». وقال النسائي: «ليس به بأس». وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الساجي: «صدوق... اختلف فيه أحمد ويحيى. فقال أحمد: منكر الحديث. وقال يحيى: ثقة»<sup>(٢)</sup>.

ولقراءة نافع راويان بلا واسطة. هما قالون، وورش:

أما قالون: فهو عيسى بن مينا بن وردان أبو موسى. مولى بني زهرة، يقال: إنه ربيب نافع، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، فان قالون باللغة الرومية جيد. قال عبدالله بن علي: «إنما يكلمه بذلك لأن قالون أصله من الروم، كان جد جده عبدالله من سبي الروم»، أخذ القراءة عرضاً عن نافع. قال ابن أبي حاتم: «كان أصم، يقرئ القرآن ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة». ولد سنة ١٢٠، وتوفي سنة ٢٢٠<sup>(٣)</sup>. قال ابن حجر: «أما في القراءة فثبت، وأما في الحديث فيكتب حديثه في الجملة». سئل أحمد بن صالح المصري عن حديثه فضحك وقال: «تكتبون عن كل أحد»<sup>(٤)</sup>.

أقول: والكلام فيمن روى القراءة عنه كما تقدم.

وأما وورش: فهو عثمان بن سعيد. قال ابن الجزري: «انتهت إليه رئاسة الاقراء في الديار المصرية في زمانه، وله اختيار خالف فيه نافعاً، وكان ثقة حجة في القراءة». ولد سنة ١١٠ بمصر، وتوفي فيها سنة ١٩٧<sup>(٥)</sup>.

أقول الكلام في رواية قراءته كما تقدم.

٢. تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٠٧.

٤. لسان الميزان ج ٤ ص ٤٠٨.

١. طبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٠.

٣. طبقات القراء ج ١ ص ٦٦٥.

٥. طبقات القراء ج ١ ص ٥٠٢.

## ٧. الكسائي الكوفي

هو علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي ، مولاهم من أولاد الفرس . قال ابن الجزري : « الامام الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات . أخذ القراءة عرضاً عن حمزة اربع مرات وعليه اعتماد » . وقال أبو عبيد في كتاب القراءات : « كان الكسائي : يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً » . واختلف في تاريخ موته ، فالصحيح الذي أرّخه غير واحد من العلماء والحفاظ سنة ١٨٩<sup>(١)</sup> . أخذ القراءة عن حمزة الزيات مذاكرة ، وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعيسى بن عمرو الأعمش ، وأبي بكر بن عياش ، وسمع منهم الحديث ، ومن سليمان بن أرقم ، وجعفر الصادق عليه السلام ، والعزرمي ، وابن عيينة ... وعلم الرشيد ، ثم علم ولده الأمين<sup>(٢)</sup> وحدث المرزباني فيما دفعه الي ابن الأعرابي ، قال : « كان الكسائي أعلم الناس على رفق فيه ، كان يديم شرب النبيذ ، ويجاهر ب... إلا أنه كان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً<sup>(٣)</sup> .

وللكسائي راويان بغير واسطة هما الليث بن خالد ، وحفص بن عمر .

أما الليث : فهو أبو الحارث بن خالد البغدادي . قال ابن الجزري : « ثقة معروف حاذق ضابط » . عرض على الكسائي وهو من اجلة أصحابه . مات سنة ٢٤٠<sup>(٤)</sup> .

أقول : الكلام في رواية قراءته كما تقدم .

وأما حفص بن عمر الدوري فقد تقدمت ترجمته عند ترجمة عاصم .

هذا ما أردنا نقله من ترجمة القراء السبعة ، ورواة قراءاتهم ، وقد نظم أسماءهم ، وأسماء روايتهم « القاسم بن فيره » في قصيدته اللامية المعروفة بالشاطبية .  
وأما الثلاثة المتممة للعشرة فهم : خلف ، ويعقوب ، ويزيد بن القعقاع .

## ٨. خلف بن هشام البزار

تقدمت ترجمته عند ترجمة حمزة ، ولقراءته راويان هما اسحاق ، وادريس :

أما اسحاق : فقال فيه ابن الجزري : « اسحاق بن ابراهيم بن عثمان بن عبدالله

٢. تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣١٢ .

٤. طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤ .

١. طبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ .

٣. معجم الأدباء ج ٥ ص ١٨٥ .

أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي ، وراق خلف ، وراوي اختياره عنه ، ثقة « توفي سنة ٢٨٦ (١) .

أقول : الكلام فيمن قرأ عليه كما تقدم .

وأما ادريس : فقال فيه ابن الجزري : « ادريس بن عبد الكريم الحداد أبو الحسن البغدادي ، امام ضابط ، متقن ثقة . قرأ على خلف بن هشام » . سئل عنه الدار قطني فقال : « ثقة وفوق الثقة بدرجة » . توفي سنة ٢٩٢ (٢) .

أقول : الكلام فيمن روى القراءة عنه كما تقدم .

#### ٩ . يعقوب بن اسحاق

هو يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد الحضرمي ، مولاهم البصري . قال ابن الجزري : « أحد القراء العشرة » . قال يعقوب : « قرأت على سلام في سنة ونصف ، وقرأت على شهاب بن شرنقة المجاشعي في خمسة أيام ، وقرأ شهاب على مسلمة بن محارب المحاربي في تسعة أيام ، وقرأ مسلمة على أبي الاسود الدؤلي على علي بن أبي طالب » مات في ذي الحجة سنة ٢٠٥ ، وله ثمان وثمانون سنة (٣) . قال أحمد وأبو حاتم : « صدوق » . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن سعد : « ليس هو عندهم بذلك الثبت » (٤) .

ولي يعقوب راويان هما رويس ، وروح .

أما رويس : فهو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري . قال ابن الجزري : « مقريء ، حاذق ضابط مشهور أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي » . قال الدانسي : « وهو من أحذق أصحابه » . روى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار ، والامام أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري الشافعي . توفي سنة ٣٣٨ (٥) .

وأما روح : فهو أبو الحسن بن عبد المؤمن الهذلي ، مولاهم البصري النحوي . قال ابن الجزري : « مقريء جليل ثقة ضابط مشهور » عرض على يعقوب الحضرمي ، وهو من أجلة أصحابه ، توفي سنة ٢٣٥ أو ٢٣٤ (٦) .

٢ . نفس المصدر ص ١٥٤ .

٤ . تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٢ .

٦ . نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٥ .

١ . طبقات القراء ج ١ ص ١٥٥ .

٣ . طبقات القراء ج ٢ ص ٢٨ .

٥ . طبقات القراء ج ٢ ص ٢٣٤ .

أقول: الكلام فيمن عرض القراءة عليه كما تقدم.

### ١٠. يزيد بن القعقاع

قال ابن الجزري: «يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القاريء. أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر». عرض القرآن على مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، قال يحيى بن معين: «كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القاريء بذلك، وكان ثقة قليل الحديث». وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه فقال: صالح الحديث». مات بالمدينة سنة ١٣٠<sup>(١)</sup>.

ولأبي جعفر راويان هما: عيسى، وابن جماز.

أما عيسى: فهو أبو الحارث عيسى بن وردان المدني الحذاء. قال ابن الجزري: «إمام مقريء حاذق، وراو محقق ضابط». عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع. قال الداني هو: «من أجلة أصحاب نافع وقدمائهم، وقد شاركه في الاسناد». مات - فيما أحسب - في حدود سنة ١٦٠<sup>(٢)</sup>.

أقول: الكلام فيمن عرض عليه كما تقدم.

وأما ابن جماز: فهو سليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع الزهري مولا هم المدني. قال ابن الجزري: «مقريء جليل ضابط». عرض على أبي جعفر، وشيبة على مافي كتابي «الكامل والمستنير»، ثم عرض على نافع على مافي «الكامل». مات بعد سنة ١٧٠ فيما أحسب<sup>(٣)</sup>.

إن من ذكرناهم من رواة القراء العشرة هم المعروفون بين أهل التراجم. وأما القراء المروية بغير ما ذكرناهم من الطرق فغير مضبوطة. وقد وقع الخلاف بين المترجمين في رواية أخرى لهم. وقد أشرنا إلى هذا - فيما تقدم - ولذلك لم نتعرض - هنا - لذكرهم<sup>(٤)</sup>.

قال الخوئي قدس سره: قد أسلفنا في التمهيد من بحث «أضواء على القراء» بعض الآراء حول تواتر القراءات وعدمه، وأشرنا إلى ما ذهب إليه المحققون من نفي تواتر

٢. طبقات القراء ج ١ ص ٦٦٦.

٤. البيان ص ١٣٧-١٦١.

١. طبقات القراء ج ٢ ص ٣٨٢.

٣. نفس المصدر ج ١ ص ٣٦٥.



القراءات، مع أن المسلمين قد أطبقوا على تواتر القرآن نفسه. والآن نبدأ بالاستدلال على ما اخترناه من عدم تواترها بأمور:

الأول: ان استقراء حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نقلت إلينا باخبار الأحاد. وقد اتضح ذلك - فيما أسلفناه - في تراجمهم فكيف تصح دعوى القطع بتواترها، عن القراء. على أن بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

الثاني: ان التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية على أن هذه القراءات إنما نقلت إليهم بطريق الأحاد.

الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كان روايتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فان كل قارئ إنما ينقل قراءته بنفسه.

الرابع: احتجاج كل قارئ من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضاً، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وأرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي ﷺ لم يحتج في اثبات صحتها إلى الاستدلال والاحتجاج.

الخامس: ان في انكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الانكار. فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة ابن عامر، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة حمزة، وبعضهم على قراءة أبي عمرو، وبعضهم على قراءة ابن كثير. وإن كثيراً من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللغة العربية وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء<sup>(١)</sup>، وقد تقدم في ترجمة حمزة إنكار قراءته من إمام الحنابلة أحمد، ومن يزيد بن هارون، ومن ابن مهدي<sup>(٢)</sup>، ومن أبي بكر بن عياش، ومن ابن دريد.

١. التبيان ص ١٠٦ للمتصم بالله طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري. طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٣٤.

٢. هو عبد الرحمن بن مهدي. قال في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٨٠: قال أحمد بن سنان: سمعت علي بن المهدي يقول: «كان عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس». قالها مراراً. وقال الخليلي: «هو امام بلا مدافعة». وقال الشافعي: «لا أعرف له نظيراً في الدنيا».

قال الزركشي : - بعد ما اختار أن القراءات توقيفية - خلافاً لجماعة منهم الزمخشري ، حيث ظنوا أنها اختيارية ، تدور مع اختيار الفصحاء ، واجتهاد البلغاء ، ورد على حمزة قراءة « والارحام » بالخفض ، ومثل ما حكى عن أبي زيد ، والأصمعي ، ويعقوب الحضرمي : أنهم خطأوا حمزة في قراءته « وما انتم بمصرخي » بكسر الياء المشددة ، وكذلك أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء في اللام في « يغفر لكم » . وقال الزجاج : « إنه غلط فاحش » (١) .

تصريحات نفاة تواتر القراءات :

وقد رأينا من المناسب أن نذكر من كلمات خبراء الفن ممن صرح بعدم تواتر القراءات ليظهر الحق في المسألة بأجلى صورته :

١ - قال ابن الجزري : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الإحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة اطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، أو باطلة سواء كانت من السبعة أم عن أكبر منهم » .

هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف . صرح بذلك الامام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ونص عليه في غير موضع الامام أبو محمد مكّي بن أبي طالب ، وكذلك الامام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ، وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة ، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

٢ - وقال أبو شامة في كتابه المرشد الوجيز : « فلا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة ، وانها هكذا أنزلت ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذ لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عن

غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب اليه ، فان القراءات المنسوبة الى كل قاريء من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم ، وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم : تركز النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم»<sup>(١)</sup>.

٣- وقال ابن الجزري أيضاً : « وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند ، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وان ماجاء مجيء الأحاد لا يثبت به قرآن . وهذا مما لا يخفى مافيه ، فان التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه الى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره ، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله ، وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم خالفه ، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم . ولقد كنت - قبل - اجنح الى هذا القول ، ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف ».

٤- وقال الامام الكبير أبو شامة في مرشده : « وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين ، وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة ؛ أي كل فرد فرد ما روي عن هؤلاء السبعة . قالوا : والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب . ونحن بهذا نقول ، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق واتفقت عليه الفرق ، من غير تكبير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض ، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها »<sup>(٢)</sup>.

٥- وقال السيوطي : « واحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزري . قال في أول كتابه - النشر - كل قراءة وافقت العربية ... فنقل كلام ابن الجزري بطوله الذي نقلنا جملة منه آنفاً . ثم قال : قلت : أتقن الامام ابن الجزري هذا الفصل جداً »<sup>(٣)</sup>.

٢. النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١٣ .

١. النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٩ .

٣. الاقان النوع ٢٢-٢٧ ج ١ ص ١٢٩ .

٦- وقال أبو شامة في كتاب البسمة: «إنا لسنا ممن يلتزم بالتواتر في الكلمات المختلف فيها بين القراء، بل القراءات كلها منقسمة الى متواتر وغير متواتر، وذلك بين لمن انصف وعرف، وتصفح القراءات وطرقها»<sup>(١)</sup>.

٧- وذكر بعضهم: «انه لم يقع لأحد من الأئمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات، وقد صرح بعضهم بأن التحقيق؛ ان القراءات السبع متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فان اسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد»<sup>(٢)</sup>.

٨- وقال بعض المتأخرين من علماء الأثر: «ادعى بعض أهل الأصول تواتر كل واحد من القراءات السبع، وادعى بعضهم تواتر القراءات العشر وليس على ذلك إثارة من علم... وقد نقل جماعة من القراء الاجماع على أن في هذه القراءات ما هو متواتر، وفيها ما هو آحاد، ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضلاً عن العشر، وإنما هو قول قاله بعض أهل الأصول. وأهل الفن اخبر بفنهم»<sup>(٣)</sup>.

٩- وقال مكّي في جملة ما قال: «وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه عاصم ونافع فان قراءة هذين الامامين أولى القراءات، وأصحها سنداً، وأفصحها في العربية»<sup>(٤)</sup>.

١٠- وممن اعترف بعدم التواتر حتى في القراءات السبع: الشيخ محمد سعيد العريان في تعليقاته، حيث قال: «لاتخلوا إحدى القراءات من شواذ فيها حتى السبع المشهورة فان فيها من ذلك اشياء». وقال أيضاً: وعندهم أن اصح القراءات، من جهة توثيق سندها نافع وعاصم، وأكثرها توكيلاً للوجوه التي هي أفصح أبو عمرو، والكسائي»<sup>(٥)</sup>.  
ولقد اقتصرنا في نقل الكلمات على المقدار اللازم، وستقف على بعضها الآخر أيضاً بعيد ذلك.

تأمل بربك. هل تبقى قيمة لدعوى التواتر في القراءات بعد شهادة هؤلاء الأعلام كلهم بعدمه؟ وهل يمكن اثبات التواتر بالتقليد، واتباع بعض من ذهب الى تحقيقه من غير أن

٢. نفس المصدر ص ١٠٥.

٤. نفس المصدر ص ٩٠.

١. التبيان ص ١٠٢.

٢. التبيان ص ١٠٦.

٥. اعجاز القرآن للرافعي الطبعة الرابعة ص ٥٣، ٥٢.

يطلب بدليل ، ولا سيما إذا كانت دعوى التواتر مما يكذبها الوجدان ؟ وأعجب من جميع ذلك أن يحكم مفتي الديار الأندلسية أبو سعيد بكفر من أنكر تواترها !!!  
 لنفرض أن القراءات متواترة ، عند الجميع ، فهل يكفر من أنكر تواترها إذا لم تكن من ضروريات الدين ، ثم لنفرض أنها بهذا التواتر الموهوم أصبحت من ضروريات الدين ، فهل يكفر كل أحد بانكارها حتى من لم يثبت عنده ذلك ؟! اللهم ان هذه الدعوى جراءة عليك ، وتعد لحدودك وتفریق لكلمة أهل دينك !!!

#### أدلة تواتر القراءات :

واما القائلون بتواتر القراءات السبع فقد استدلوا على رأيهم بوجوده :

الأول : دعوى قيام الاجماع عليه من السلف الى الخلف . وقد وضع للقاريء فساد هذه الدعوى ، على أن الاجماع لا يتحقق باتفاق أهل مذهب واحد عند مخالفة الآخرين . وسنوضح ذلك في الموضع المناسب إن شاء الله تعالى .

الثاني : ان اهتمام الصحابة والتابعين بالقرآن يقضي بتواتر قراءته ، وإن ذلك واضح لمن أنصف من نفسه وعدل .

#### الجواب :

ان هذا الدليل إنما يثبت تواتر نفس القرآن ، لا تواتر كيفية قراءته ، وخصوصاً مع كون القراءة عند جمع منهم مبتنية على الاجتهاد ، أو على السماع ولو من الواحد ، وقد عرفت ذلك مما تقدم ، ولولا ذلك لكان مقتضى هذا الدليل أن تكون جميع القراءات متواترة ، ولا وجه لتخصيص الحكم بالسبع أو العشر . وسنوضح للقاريء ان حصر القراءات في السبع إنما حدث في القرن الثالث الهجري ، ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا أثر ، ولازم ذلك أن نلتزم إما بتواتر الجميع من غير تفرقة بين القراءات ، وإما بعدم تواتر شيء منها في مورد الاختلاف ، والاول باطل قطعاً فيكون الثاني هو المتعين .

الثالث : ان القراءات السبع لو لم تكن متواترة لم يكن القرآن متواتراً ، والتالي باطل بالضرورة فالمقدم مثله ووجه التلازم أن القرآن إنما وصل الينا بتوسط حفاظه والقراء المعروفين ، فان كانت قراءاتهم متواترة فالقرآن متواتر ، وإلا فلا . واذن فلا محيص من

القول بتواتر القراءات .

الجواب :

١- ان تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ، لأن الإختلاف في كيفية الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها ، ولهذا نجد ان إختلاف الرواة في- بعض الفاظ قصائد المتنبى - مثلاً - لا يصادم تواتر القصيدة عنه وثبوتها له ، وان إختلاف الرواة في خصوصيات هجرة النبي لا ينافي تواتر الهجرة نفسها .

٢- ان الواصل الينا بتوسط القراء إنما هو خصوصيات قراءاتهم ، وأما أصل القرآن فهو واصل الينا بالتواتر بين المسلمين ، وينقل الخلف عن السلف . وتحفظهم على ذلك في صدورهم وفي كتاباتهم ، ولادخل للقراء في ذلك أصلاً ، ولذلك فان القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا أن هؤلاء القراء السبعة أو العشرة لم يكونوا موجودين أصلاً . وعظمة القرآن أرقى من أن تتوقف على نقل اولئك النفر المحصورين .

الرابع : ان القراءات لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر مثل « ملك » و« مالك » ونحوهما ، فان تخصيص أحدهما تحكماً باطل . وهذا الدليل ذكره ابن الحاجب وتبعه جماعة من بعده .

الجواب :

١- ان مقتضى هذا الدليل الحكم بتواتر جميع القراءات ، وتخصيصه بالسبع أيضاً تحكماً باطل ، ولا سيما أن في غير القراء السبعة من هو أعظم منهم وأوثق ، كما اعترف به بعضهم ، وستعرف ذلك . ولو سلمنا أن القراء السبعة أوثق من غيرهم ، واعرف بوجوده القراءات ، فلا يكون هذا سبباً لتخصيص التواتر بقراءاتهم دون غيرهم . نعم ذلك يوجب ترجيح قراءاتهم على غيرها في مقام العمل ، وبين الأمرين بعد المشركين ، والحكم بتواتر جميع القراءات باطل بالضرورة .

٢- ان الإختلاف في القراءات إنما يكون سبباً لالتباس ما هو القرآن بغيره ، وعدم تمييزه من حيث الهيئة أو من حيث الاعراب ، وهذا لا ينافي تواتر أصل القرآن ، فالمادة متواترة وإن اختلفت في هيئتها أو في اعرابها ، واحدى الكيفيتين أو الكيفيات من القرآن قطعاً وإن

لم تعلم بخصوصها .

تعقيب :

ومن الحق إن تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات . وقد اعترف بذلك الزرقاني حيث قال : يبلغ بعضهم في الاشادة بالقراءات السبع ، ويقول: من زعم ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقله كفر ، لأنه يؤدي الى عدم تواتر القرآن جملة ، ويعزى هذا الرأي الى مفتي البلاد الأندلسية الاستاذ أبي سعيد فرج بن لب ، وقد تحمس لرأيه كثيراً وألف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه والرد على من رد عليه . ولكن دليله الذي استند اليه لا يسلم له ، فان القول بعدم تواتر القراءات السبع لا يستلزم القول بعدم تواتر القرآن ، كيف؟ وهناك فرق بين القرآن والقراءات السبع ، بحيث يصح أن يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع ، أو في القدر الذي اتفق عليه القراء جميعاً . أو في القدر الذي اتفق عليه عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب قراءً كانوا أو غير قراء (١) .

وذكر بعضهم : أن تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ، وانه لم يقع لأحد من أنمة الاصوليين تصريح بتواتر القراءات وتوقف تواتر القرآن على تواترها ، كما وقع لابن الحاجب (٢) .

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف الفاظ الوحي المذكور في الحروف ، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما ، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل بل هي مشهورة . وقال أيضاً : والتحقيق انها متواترة عن الأنمة السبعة . أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر ، فان اسنادهم بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد (٣) .

القراءات والأحرف السبعة :

قد يتخيل أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي القراءات السبع ، فيتمسك لإثبات كونها من القرآن بالروايات التي دلت على أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فلا بد لنا أن

٢ . التبيان ص ١٠٥ .

١ . مناهل العرفان ص ٤٢٨ .

٣ . الايمان النوع ٢٢ - ٢٧ ج ١ ص ١٢٨ .

نبيه على هذا الغلط ، وان ذلك شيء لم يتوهمه أحد من العلماء المحققين . هذا إذا سلمنا ورود هذه الروايات ، ولم نتعرض لها بقليل ولا كثير . وسيأتي الكلام على هذه الناحية . والأولى أن نذكر كلام الجزائري في هذا الموضوع . قال :

« لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها ، حتى قام الامام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد - وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد - فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام ، وهم : نافع ، وعبدالله بن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، وعلي الكسائي . وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة ، وليس الأمر كذلك ... وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة ، لما فيه من الإيهام ... قال أحمد بن عمار المهدي : لقد فعل مسيع هذه السبعة مالا ينبغي له ، واشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة ... » . وقال الاستاذ اسماعيل بن ابراهيم بن محمد القراب في الشافي :

« التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، لم يكن قرأ بأكثر من السبع ، فصنف كتاباً ، وسماه كتاب السبعة ، فانتشر ذلك في العامة ... » .

وقال الامام أبو محمد مكي :

« قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة ، وأجل قدراً من هؤلاء السبعة ... فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين ، قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها - هذا تخلف عظيم - أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك ؟ وكيف يكون ذلك ؟ والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأس في أيام المأمون وغيره - وكان السابع يعقوب الحضرمي - فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب » <sup>(١)</sup> .

وقال الشرف المرسي :

« وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها الأحرف السبعة - القراءات السبع - وهو جهل



قبيح» (١).

وقال القرطبي:

«قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي سفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع، التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء» (٢).

وتعرض ابن الجزري لإبطال توهم من زعم أن الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن مستمرة إلى اليوم. فقال:

«وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة، والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول، قل من كثر، ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك؛ أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم، كانوا أمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جرا، فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدئ بعض الأئمة لضبط مارواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم - فيما أحسب - خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة ٢٢٤. وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، جمع كتاباً في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد. وتوفي سنة ٢٥٨. وكان بعده القاضي اسماعيل بن اسحاق المالكي صاحب قالون، ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة. توفي سنة ٢٨٢. وكان بعده الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً حافلاً سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة. توفي سنة ٣١٠. وكان بعينه أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، جمع كتاباً في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة.

٢. تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٦.

١. نفس المصدر ص ٦١.

وتوفي سنة ٣٢٤، وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضاً. وتوفي سنة ٣٢٤.

ثم ذكر ابن الجزري جماعة ممن كتب في القراءة. فقال:

«وإنما أطلنا هذا الفصل، لما بلغنا - عن بعض من لا علم له - أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في «الشاطبية والتيسير»، وأنها هي المشار إليها بقوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً، وربما كان كثير مما لم يكن في «الشاطبية والتيسير»، وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وسمعوا قراءات السبعة، فظنوا أن هذه السبع هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة. ثم نقل ابن الجزري - بعد ذلك - عن ابن عمار المهدي، وأبي محمد مكي ماتقدم نقله عنهما أنفاً<sup>(١)</sup>.

قال أبو شامة:

«ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا الاستعراض قد استبان للقارئ، وظهر له ظهوراً تاماً أن القراءات ليست متواترة عن النبي ﷺ ولا عن القراء أنفسهم، من غير فرق بين السبع وغيرها، ولو سلمنا تواترها عن القراء فهي ليست متواترة عن النبي ﷺ قطعاً. فالقراءات إما أن تكون منقولة بالأحاديث، وإما أن تكون اجتهادات من القراء أنفسهم، فلا بد لنا من البحث في موردين.

١. النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣٣-٣٧.

٢. الاتقان النوع ٢٢-٢٧ ج ١ ص ١٢٨.

## ١ - حجية القراءات :

ذهب جماعة الى حجية هذه القراءات، فجوزوا أن يستدل بها على الحكم الشرعي ، كما استدل على حرمة وطء الحائض بعد نقائها من الحيض وقبل أن تغتسل ، بقراءة الكوفيين - غير حفص - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ <sup>(١)</sup> بالتشديد .  
الجواب :

ولكن الحق عدم حجية هذه القراءات ، فلا يستدل بها على الحكم الشرعي . والدليل على ذلك أن كل واحد من هؤلاء القراء يحتمل فيه الغلط والاشتباه ، ولم يرد دليل من العقل ، ولا من الشرع على وجوب اتباع قارىء منهم بالخصوص ، وقد استقل العقل ، وحكم الشرع بالمنع عن اتباع غير العلم . وسيأتي توضيح ذلك إن شاء الله تعالى .  
ولعل أحدا يحاول أن يقول : إن القراءات - وإن لم تكن متواترة - إلا أنها منقولة عن النبي ﷺ ، فتشملها الأدلة القطعية التي أثبتت حجية الخبر الواحد ، وإذا شملتها هذه الأدلة القطعية خرج الاستناد اليها عن العمل بالظن بالورود ، أو الحكومة ، أو التخصيص .  
الجواب :

أولاً : إن القراءات لم يتضح كونها رواية ، لتشملها هذه الأدلة ، فلعلها اجتهادات من القراء ، ويؤيد هذا الإحتمال ما تقدم من تصريح بعض الأعلام بذلك ، بل إذا لاحظنا السبب الذي من أجله اختلف القراء في قراءاتهم - وهو خلو المصاحف المرسلة الى الجهات من النقط والشكل - يقوى هذا الإحتمال جداً .  
قال ابن أبي هاشم :

« إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها . إن الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل . قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة ، بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط ... فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار » <sup>(٢)</sup> .  
وقال الزرقاني :

« كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله ، مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف ، وخوفاً من ان يؤدي ذلك الى التغيير فيه ... ولكن الزمان تغير - كما علمت - فاضطر المسلمون الى إعجام المصحف وشكله لنفس ذلك السبب ، أي للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف ، وخوفاً من أن يؤدي تجرده من النقط والشكل الى التغيير فيه »<sup>(١)</sup>.

ثانياً : ان رواية كل قراءة من هذه القراءات ، لم تثبت وثاقتهم أجمع ، فلا تشمل أدلة حجية خبر الثقة روايتهم . ويظهر ذلك مما قدمناه في ترجمة احوال القراء وروايتهم .

ثالثاً : انا لو سلمنا ان القراءات كلها تستند الى الرواية ، وان جميع رواياتها ثقات ، الا انا نعلم علماً اجمالياً ان بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبي ﷺ قطعاً . ومن الواضح أن مثل هذا العلم يوجب التعارض بين تلك الروايات وتكون كل واحدة منها مكذبة للأخرى ، فتسقط جميعها عن الحجية ، فان تخصيص بعضها بالاعتبار ترجيح بلا مرجح ، فلا بد من الرجوع الى مرجحات باب المعارضة ، وبدونه لا يجوز الاحتجاج على الحكم الشرعي بواحدة من تلك القراءات .

وهذه النتيجة حاصلة أيضاً إذا قلنا تواتر القراءات . فان تواتر القراءتين المختلفتين عن النبي ﷺ يورث القطع بأن كلاً من القراءتين قرآن منزل من الله ، فلا يكون بينهما تعارض بحسب السند ، بل يكون التعارض بينهما بحسب الدلالة . فاذا علمنا - اجمالاً - أن أحد الظاهرين غير مراد في الواقع فلا بد من القول بتساقطهما ، والرجوع الى الأصل اللفظي أو العملي ، لأن أدلة الترجيح ، أو التخيير تختص بالأدلة التي يكون سندها ظنياً . فلا نعم ما يكون صدوره قطعياً . وتفصيل ذلك كله في بحث «التعادل والترجيح» من علم الأصول .

٢ - جواز القراءة بها في الصلاة<sup>(٢)</sup> ،<sup>(٣)</sup> :

١ . مناهل العرفان ص ١٠٢ الطبعة الثانية .

٢ . انظر ص ٧٨ من الكتاب المحاضر .

٣ . البيان ج ١ ص ١٦٥ - ١٨٢ .



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

# حديث الأُحرف السبعة

□ أهل السنة والأحرف السبعة

□ الإمامية والأحرف السبعة



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## أهل السنّة والأحرف السبعة<sup>(١)</sup>

قال هود بن محكم : «ذكروا عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل وميكائيل ، فقعده جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : بسم الله» ، في حديث الحسن . وفي حديث غيره : «يا محمد ، اقرأ القرآن على حرف» .

«فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقلت : زدني . فقال : اقرأه على حرفين . فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقلت : زدني . فقال : اقرأه على ثلاثة أحرف . فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقلت : زدني . فقال : اقرأه على أربعة أحرف . فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقلت : زدني . فقال : اقرأه على خمسة أحرف . فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقالت : زدني . فقال : اقرأه على ستة أحرف . فالتفت إليّ ميكائيل فقال : استزده ، فقلت : زدني . فقال : اقرأه على سبعة أحرف . كلها شاف كاف ، ما لم تختتم آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بمغفرة» ، في حديث الحسن . وفي حديث غيره : «ما لم يختتم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة»<sup>(٢)</sup> .

١ . ان مسألة الأحرف السبعة مما ينبغي ذكرها في مبحث القراءات ، وأما جعلناها مستقلة لأهميتها وطول مباحثها .  
٢ . أخرجه أحمد في مسنده ، وأخرجه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره مختصراً عن عبدالرحمن بن أبي بكرة ، ومن طرق كثيرة عن أبي بن كعب ، انظر مقدمة تفسير الطبري ، «القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لسان العرب» ج ١ ص ٢١ - ٥٠ . فقد استوفى المؤلف هناك أسانيد الحديث المختلفة .



ذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سمعت القراء - فرأيتهم قد اختلفت قراءتهم - (١)، فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتشطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم هلم ، أو تعال . وذكروا عن عبد الله بن مسعود أنه قال : نزل القرآن على سبعة أحرف ، كقولك : هلم ، تعال ، أقبل .

ذكروا عن بعض السلف أنه قال : ليس من لغة إلا وقد نزل القرآن عليها ، غير حي واحد (٢) (٣).

قال هود بن محكم : « ذكروا عن أبي العالية الرياحي (٤) أنه إذا قرئ عليه حرف على غير ما يقرأ لم يقل : ليس هكذا ، وقال : أما أنا فأقرأه كذا وكذا . فبلغ ذلك إبراهيم

١. في المخطوطة بياض قدر كلمتين . وكتب على الهامش بجداد معاني : « لعل هذا البياض : قد اختلفت قراءتهم » . فأثبت ما على الهامش ، وهو الصواب إن شاء الله .

٢. كذا في نسخة : « غير حي واحد » . ولست مطمئنا لصحة العبارة ، ولم أر لهذا الاستثناء وجها ولم أجدها هذا الخبر بهذا الاستثناء فيما بين يدي من المصادر .

أما موضوع لغة القرآن ، وهل كل لغته عربية ، أم وردت فيه كلمات من غير لغات العرب ، فهو موضع اختلاف بين العلماء . فذهب فريق منهم ، أمثال الشافعي ، وأبي عبيدة والطبري ، وابن فارس ، إلى أنه ليس في القرآن شيء غير عربي ، حتى قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن ج ١ ص ١٧ : « من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول » .

وذهب آخرون إلى وجود ألفاظ في القرآن من غير لسان العرب . فقد روي عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد أنهم قالوا : إن في القرآن كلمات بالفارسية والحبشية والنبطية .

ويعتبر ما ذهب إليه أبو عبيد القاسم بن سلام من التوفيق بين الرأيين حين ذهب إلى أن اختلاف الفريقين راجع إلى اختلاف في وجهة النظر .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « فهؤلاء - يعني ابن عباس وعكرمة ومجاهد - أعلم بالتأويل من أبي عبيدة - يعني شيخه أبا عبيدة معمر بن المثنى - ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هذا إلى غيره . وكلاهما مصيب إن شاء الله . وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال أولئك على الأصل . ثم لفظت به العرب بألستها ، فصرته ، فصار عربياً بتعريبها إياه . فهي عربية في هذه الحال ، أعجمية الأصل » .

قال أبو منصور الجواليقي بعد أن ذكر قول أبي عبيد هذا : « فهذا القول يصدق الفريقين جميعا » . انظر الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . ص ٥٢ - ٥٣ . ٣ . تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٢ - ٦٤ .

٤ . هو أبو العالية رافع بن مهران الرياحي ، مولى امرأة من بني رياح ، بطن من بطون تميم . كان من التابعين ، توفي سنة تسعين للهجرة . قال عنه أبو بكر بن داود : « ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي الصالية » . ثم سعيد بن جبير . انظر الداودي ، طبقات المفسرين ج ١ ص ١٧٣ . تحقيق علي محمد عمر ، نشر مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٣٩٢ - ١٩٧٢ .

[بن سعد<sup>(١)</sup>] فقال: كأنه قد سمع أنه من كفر بحرف فقد كفر به أجمع.

وذكروا: أن أول من كتب المصاحف أبو بكر الصديق حين قتل أهل اليمامة، وأول من جمع الناس على مصحف واحد عثمان بن عفان. وذكروا أن حذيفة بن اليمان قال: لعثمان بن عفان: ما كنت صانعاً إذا قيل: قراءة فلان وقراءة فلان وقراءة فلان، كما صنع أهل الكتاب فاصنعه الآن<sup>(٢)</sup>. فجمع عثمان الناس على هذا المصحف، على حرف واحد. [وهو حرف زيد]<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب:

قال أبو جعفر:

قد دللنا، على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه، على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها.

فنقول الآن - إذ كان ذلك صحيحاً - في الدلالة عليه، بأي السن العرب أنزل ألسن جميعها أم بألسن بعضها؟ إذ كانت العرب، وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، فقوم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو المنطق والكلام. وإذ كان ذلك كذلك - وكان الله جل ثناؤه قد أخبر عباده؛ أنه قد جعل القرآن عربياً بأنه أنزل بلسان عربي مبين - ثم كان ظاهره محتملاً - خصوصاً وعموماً - لم يكن لنا النسيب إلى العلم بما عن الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه، إلا ببيان من جعل إليه بيان القرآن، وهو رسول الله ﷺ.

فإذ كان ذلك كذلك - وكانت الأخبار قد نظمت عنده ﷺ:

١ - بما حدثنا ابن خلاد بن أسلم، قال: حدثنا أنس بن عياض: عن أبي هريرة، عن أبي سلمة، قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن لغة أهل الحجاز، فالحرف في القرآن كقرء - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فاعلموا به. وما لم تعرفتم منه فاعلموا به».

١. زيادة وردت بعد ما قبل، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف. نزل، بنه، أن كان فقياً متشدداً في الحديث. مات بهتداد سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة.

٢. كذا في مخطوطي «فاصنعه الآن» ولم أهد لتحقيق الصواب في العبارة.

٣. تفسير كتاب الله العزيز ج ١ ص ٦٤.

فردّوه إلى عالمه .»

٢- حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليهم حكيم، غفور رحيم».

٣- حدثنا أبو كريب، قال: حدثني عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله.

٤- حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن واصل بن حيان، عن ذكره، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع».

٥- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ مثله.

٦- حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي ﷺ. وقال هذا: أقرأني النبي ﷺ. فأتى النبي ﷺ فأخبر بذلك، قال فتغير وجهه، وعنده رجل فقال: «أقرأوا كما علمتم - فلا أدري أبشيء أم أم شيء ابتدعه من قبل نفسه - وإنما أهلك من كان قبلكم اختلفهم على أنبيائهم». قال: فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه. نحو هذا ومعناه.

٧- حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش - وحدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش - عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فوجدنا عليّاً يناجيه، قال: فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة. قال: فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم». قال: ثم أسر إلى علي شيناً، فقال لنا علي: «إن

رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم».

٨- حدثنا أبو كرييب ، قال : حدثنا عبيدالله بن موسى ، عن عيسى بن قرطاس ، عن زيد القصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقراني عبدالله بن مسعود سورة ، أقرانيها زيد وأقرانيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم أخذ ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ، قال : وعلي إلى جنبه ، فقال علي : ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل حسن جميل .

٩- حدثني يونس بن عبدالأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال أخبرني عروة بن الزبير : أن المشور بن مخزومة وعبدالرحمن بن عبدالقاري أخبراه : أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ ، فكذت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلما سلم ليبتته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرانيها رسول الله ﷺ ! فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقراني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ! فانطلقت به أفوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها ، وأنت أقراني سورة الفرقان ! قال : فقال رسول الله ﷺ : « أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام » . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرأ يا عمر » . فقرأت القراءة التي أقراني رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منها » .

١٠- حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عبدالصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا حرب بن ثابت من بني سليم ، قال : حدثنا إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فغير عليه ، فقال : لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير علي . قال : فاختصما عند النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ألم تفرني آية كذا وكذا؟ قال : « بلى ! » قال : فوقع في صدر عمر شيء ، فعرف النبي ﷺ ذلك

في وجهه، قال: فضرب صدره وقال: «أبعد شيطاناً» - قالها ثلاثاً - ثم قال: «يا عمر، إن القرآن كله صواب، ما لم تجعل رحمةً عذاباً أو عذاباً رحمةً».

١١ - حدثنا عبيدالله بن محمد الفريابي، قال: حدثنا عبد الله بن ميمون، قال: حدثنا عبيدالله<sup>(١)</sup> - يعني ابن عمر - عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ القرآن، فسمع آية على غير ما سمع من النبي ﷺ، فأتى به عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا قرأ آية كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ».

١٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني هشام بن سعد، عن علي بن أبي علي، عن زبيد، عن علقمة النخعي، قال: لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم، ثم قال: لا تنازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف ولا يتلاشى، ولا يتغير لكثرة الرد. وإن شريعة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر، كان ذلك الاختلاف. ولكنه جامع ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض، ولا شيء من شرائع الإسلام. ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ، فإمرنا فنقرأ عليه، فيخبرنا أن كلنا محسن. ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبت، حتى أزداد علمه إلى علمي. ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان، حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أنني محسن. فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة منها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة منه، فإنه من جحد بأية جحد به كله.

١٣ - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس - وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا رشدين بن سعد، عن عقيل بن خالد - جميعاً عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيدالله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه: أن رسول الله ﷺ

١. هو عبيدالله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وليس هو ابن عمر بن الخطاب. (حاشية طبعة دارالمعارف ج ١ ص ٢٧).

قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعت، فلم أزل أستزيده فيزيديني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف». قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة أحرف، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام.

١٤ - حدثني محمد بن عبدالله بن أبي منخلد الواسطي، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبيدالله، أخيره أبوه: أن أم أيوب أخبرته أن النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، أيها قرأت أصبت».

١٥ - حدثنا إسماعيل بن موسى السدي، قال: أنبأنا شريك، عن أبي إسحق، عن سليمان بن صرد، يرفعه، قال: أتاني ملكان، فقال أحدهما: اقرأ. قال: على كم؟ قال: على حرف، قال: زده. حتى انتهى به إلى سبعة أحرف.

١٦ - حدثنا ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا نافع بن يزيد، قال: حدثني عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل القرآن على حرف، فاستزدته فزادني، ثم استزدته فزادني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

١٧ - حدثني الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا سفيان، عن عبيدالله بن أبي يزيد، عن أبيه، أنه سمع أم أيوب تحدث عن النبي ﷺ، فذكر نحوه - يعني نحو حديث ابن أبي منخلد.

١٨ - حدثنا الربيع، قال: حدثنا أسد، قال: حدثنا أبو الربيع السمان، قال: حدثني عبيدالله بن أبي يزيد، عن أبيه، عن أم أيوب، أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «نزل القرآن على سبعة أحرف، فما قرأت أصبت».

١٩ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثني يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق، عن فلان العبدي - قال أبو جعفر: ذهب عني اسمه -، عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب، قال: رحت إلى المسجد، فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ فقال: رسول الله ﷺ. فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: استقرئ هذا. قال: فقرأ، فقال: «أحسنت». قال فقلت: إنك أقرأني كذا وكذا فقال: «وأنت قد أحسنت». قال: فقلت: قد

أحسنت! قد أحسنت! قال، فضرب بيده على صدري، ثم قال: «اللهم أذهب عن أبي الشك». قال: ففضت عرفاً، وامتلاً جوفي فرقاً. ثم قال: «إن الملكين أتياي، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف. وقال الآخر: زده. قال: «فقلت: زدني. قال: اقرأه على حرفين. حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأ على سبعة أحرف».

٢٠ - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي - وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني - جميعاً عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب، قال: ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت، إلا أني قرأت آيةً، فقرأها رجل غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ. وقال الرجل: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: أقرأني آية كذا وكذا؟ قال: «بلى». قال الرجل: ألم تقرني آية كذا وكذا؟ قال: «بلى»، إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياي، فقعده جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد. وقال ميكائيل: استزده، قال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين. فقال ميكائيل: استزده. «حتى بلغ ستة أو سبعة - الشك من أبي كريب - وقال ابن بشار في حديثه: حتى بلغ سبعة أحرف - ولم يشك فيه - وكل شافٍ كافٍ». ولفظ الحديث لأبي كريب.

٢١ - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ بنحوه. وقال في حديثه: حتى بلغ ستة أحرف، قال: «اقرأه على سبعة أحرف، كل شافٍ كافٍ».

٢٢ - حدثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

٢٣ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا حسين بن علي، وأبو أسامة، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن أبي، قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرء، فقال: «إني بُعثتُ إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز»، فقال جبريل: فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف. ولفظ الحديث لأبي أسامة.

٢٤ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن نمير ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد - وحدثنا عبد الحميد بن بيان القناد ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن إسماعيل - عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده ، عن أبي بن كعب ، قال : « كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل رجل آخر ، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فدخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ ، قال : فقلت : يا رسول الله ، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه . فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ ، فحسن رسول الله ﷺ شأنهما ، فوقع في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية ! فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ، ضرب في صدري ، ففضت عرقاً ، كأنما أنظر إلى الله فرقاً . فقال لي : « يا أباي ، أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه : أن هون على أمتي ، فرد علي في الثانية : أن أقرأ القرآن على حرف . فرددت عليه أن هون على أمتي ، فرد علي في الثالثة : أن أقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم . إلا أن ابن بيان ، قال في حديثه : فقال لهم النبي ﷺ : « قد أصبتم وأحسنتم » . وقال أيضاً : « فارتفضت عرقاً » .

٢٥ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، بإسناده عن النبي ﷺ بنحوه ، وقال : قال لي : « أعيذك بالله من الشك والتكذيب » . وقال أيضاً : « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف ، فقلت : اللهم رب خفف عن أمتي . قال : اقرأه على حرفين . فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف ، من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ » .

٢٦ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى - [ و ] عن ابن أبي ليلى عن الحكم - عن ابن أبي ليلى ، عن أبي قال : دخلت المسجد فصليت ، فقرأت النحل ، ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ، ثم جاء رجل آخر فقرأ خلاف قراءتنا ، فدخل نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، استقرى هذين .



فقرأ أحدهما، فقال: «أصبت». ثم استقرأ الآخر، فقال: «أصبت». فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب، فضرب رسول الله ﷺ صدري، وقال: «أعاذك الله من الشك، وأخسأ عنك الشيطان». قال إسماعيل: فضضت عرقاً - ولم يقبله ابن أبي ليلى - قال: فقال: «أتاني جبريل فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: إن أمتي لا تستطيع. حتى قال سبع مرات، فقال لي: اقرأ على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة. قال: فاحتاج إلي فيها الخلائق، حتى إبراهيم ﷺ».

٢٧ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الله، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبي، عن النبي ﷺ، بنحوه.

٢٨ - حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن جحادة، عن الحكم - هو ابن عتيبة - عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن أبي بن كعب، قال: أتى جبريل النبي ﷺ وهو عند أضاة بني غفار، فقال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ.

٢٩ - حدثنا محمد بن المشني، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فاتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف. قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك». قال: ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين. قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. قال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأیما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا.

٣٠ - حدثنا محمد بن المشني، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، قال: أتى جبريل النبي ﷺ عند أضاة بني غفار - فذكر نحوه.

٣١ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا شعبة - وحدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا شعبة - عن الحكم، عن مجاهد، عن

ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ ، بنحوه .

٣٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، أنه قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك ، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذين يقرأان في سورة النحل ، فسألتهما : من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله ﷺ . فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ ، إذ خالفتما ما قرأني رسول ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما : « اقرأ » . فقرأ ، فقال : « أحسنت » . ثم قال للآخر : « اقرأ » . فقرأ ، فقال : « أحسنت » . قال أبي : فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان ، حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي ، فضرب بيده في صدري ، ثم قال : « اللهم أحسب الشيطان عنه ! يا أباي ، أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : (رب خفف عني) . ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن نقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : « رب خفف عن أمتي » . ثم أتاني الثالثة ، فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة . فقلت : « يارب اغفر لأمتي » ، يارب اغفر لأمتي . واختبأت الثالثة شفاعاً لأمتي يوم القيامة » .

٣٣ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبيد الله بن عمر ، عن سيار أبي الحكم ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، رفعه إلى النبي ﷺ ، ذكر : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، وكل يزعم أن النبي ﷺ أقرأه ، فتقارأ إلى أبي ، فخالفهما أبي ، فتقارأوا إلى النبي ﷺ ، فقال : يا نبي الله ، اختلفنا في آية من القرآن ، وكلنا يزعم أنك أقرأته . فقال لأحدهما : « اقرأ » . قال : فقرأ ، فقال : « أصبت » . وقال للآخر : « اقرأ » . فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه ، فقال : « أصبت » . وقال لأبي : « اقرأ » . فقرأ فخالفهما ، فقال : « أصبت » . قال أبي : فدخلني من الشك في أمر رسول الله ما دخل في من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله ﷺ الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدري ، وقال : « استعذ بالله من الشيطان الرجيم » ، قال : ففضت عرقاً ، وكانني

أنظر إلى الله فرقاً. وقال: «إني أتاني آت من ربي فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: (رب خفف عن أمتي). قال: ثم جاء، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: (رب خفف عن أمتي). قال: ثم جاء الثالثة، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: (رب خفف عن أمتي). قال: ثم جاءني الرابعة، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة - قال: - قلت: «رب اغفر لأمتي»، رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعاً لأمتي، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليرغب فيها».

٣٤- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبدالرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل: اقرأوا القرآن على حرف. فقال ميكائيل: استزده. فقال: على حرفين. حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، ما لم يختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب. كقولك هلم وتعال».

٣٥- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن يزيد بن خصيفة، عن بسر بن سعيد: أن أبا جهيم الأنصاري أخبره: أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ. وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ، فسألا رسول الله ﷺ عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن المرء فيه كفر».

٣٦- حدثنا يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار، قال: قال النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف».

٣٧- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، أخبرني سليمان بن بلال، عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup>: أن

١. قال الاستاذ أحمد محمد شاكر في حاشية طبعة دار المعارف (ج ١ ص ٤٥): هذا إسناد مشكل لم أجده له وجهاً يعرف. فظاهره أن أبا عيسى بن عبد الله بن مسعود يروي عن أبيه عن جدّه. فالجد ظاهر أنه «مسعود» ولكنه صرح بأنه «عبد الله بن مسعود» فيكون «أبو عيسى» ليس ابن «عبد الله بن مسعود» بل ابن ابنته نسب إلى جدّه، ولا بأس بذلك إن كان له أصل. ولكن ليس في الرواة الذين تراجمهم عندنا من يسمى أو يكتفى «أبا عيسى» من ذرية ابن مسعود.

رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقرأه القرآن على سبعة أحرف، كل كافي شاف» .

٣٨- حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا أبو خلدَةَ، قال: حدثني أبو العالية، قال: قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمسين رجلاً، فاختلَفوا في اللغة، فرفض قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم أعرب القوم.

٣٩- حدثنا عمرو بن عثمان العثماني، قال: حدثنا ابن أبي أويس، قال: حدثنا أخي، عن سليمان بن بلال، عن محمد بن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقْرأوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة».

٤٠- حدثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا محمد بن جحادة عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب، قال: أتى النبي ﷺ جبريل، وهو بأصاة بني غفار، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد. قال: فقال: «أسأل الله مغفرته ومعافاته» أو قال: معافاته ومغفرته - سل الله لهم التخفيف، فإنهم لا يطيقون ذلك». فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين. قال: «أسأل الله مغفرته ومعافاته» أو قال: معافاته ومغفرته - إنهم لا يطيقون ذلك، فسل الله لهم التخفيف». فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: «أسأل الله مغفرته ومعافاته» أو قال: معافاته ومغفرته - إنهم لا يطيقون ذلك، فسل الله لهم التخفيف». فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ.

قال أبو جعفر: صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة، بما يعجز عن إحصائه. فإن قال: وما برهانك على أن معنى قول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»، وقوله: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف»، هو ما ادّعت - من أنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن - دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك، من: أنه نزل بأمر

وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الأقوال ؟ فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة .

قيل له : إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرناها ، هو مازعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره ، فيكون ذلك لقولنا مخالفاً ، وإنما أخبروا : أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه . والذي قالوه من ذلك كما قالوا .

وقد رَوَيْنَا - بمثل الذي قالوا من ذلك - عن النبي ﷺ ، وعن جماعة من أصحابه ، أخباراً قد تقدم ذكرنا بعضها ، ونستقصي ذكر باقيها بيانه ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله .

فأما الذي تقدم ذكرناه من ذلك ، فخبير أبي بن كعب ، من رواية أبي كريب ، عن ابن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، الذي ذكر فيه عن النبي ﷺ أنه قال : «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ، من سبعة أبواب من الجنة» .

والسبعة الأحرف : هو ما قلنا : من أنه الألسن السبعة . والأبواب السبعة من الجنة : هي المعاني التي فيها ، من الأمر والنهي والترغيب والترهيب [والجدل] <sup>(١)</sup> والقصاص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل ، وانتهى إلى حدودها المنتهي ، استوجب بها الجنة . وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين ، خلافٌ لشيء مما قلناه .

والدلالة على صحة ما قلناه - من أن معنى قول النبي ﷺ : «نزل القرآن على سبعة أحرف» ، إنما هو أنه بسبع لغات ، كما - تقدم - ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ؛ عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وسائر من قدمنا الرواية عنه ، عن النبي ﷺ ، في أول هذا الباب ؛ أنهم تماروا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني ، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي ﷺ ، فاستقرأ كل رجل منهم ، ثم صوب جميعهم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال ﷺ للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم : (إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف) .

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك ، لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه

تلاواتهم من التحليل والتحرير والوعد والوعيد وما أشبه ذلك ، لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم ، ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه ؛ لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحاً ، وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه وفرضه في تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ، ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فعله ، ولمن شاء منهم أن يتركه تركه ، في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير !.

وذلك من قائله إن قاله ، إثبات ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup>.

وفي نفي الله جل ثناؤه ذلك عن حكم كتابه ، أوضح الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد ﷺ إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه ، لا بأحكام فيهم مختلفة . وفي صحة كون ذلك كذلك ، ما يبطل دعوى من ادعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » للذين تخاصموا إليه عند اختلافهم في قراءتهم . لأنه ﷺ قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته ، ورضي قراءة كل قارىء منهم - على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها - وصوبها . ولو كان ذلك منه تصويماً فيما اختلفت فيه المعاني ، وكان قوله ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إعلماً منهم ؛ أنه نزل بسبعة أوجه مختلفة ، وسبعة معانٍ مفترقة - كان ذلك إثباتاً لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف ، ونفياً لما قد أوجب له من الائتلاف . مع أن في قيام الحجة بأن النبي ﷺ لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين ، ولا أذن بذلك لامته - ما يغني عن الإكثار في الدلالة على أن ذلك منفي عن كتاب الله .

وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله ، وجوب صحة القول الذي قلناه ، في معنى قول النبي ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، عند اختصام المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ماتلوه من القرآن ، وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك .

وأحرى؛ أن الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا إلى النبي ﷺ، لم يكن منكراً عند أحد منهم أن يأمر الله عباده جل ثناؤه في كتابه وتنزيله بما شاء، وينهى عما شاء، ويعد فيما أحب من طاعته، ويوعده على معاصيه، ويحتم لنبيه ويعظه فيه، ويضرب فيه لعباده الأمثال - فيخاصم غيره على إنكاره سماع ذلك من قارنه، بل على الإقرار بذلك كله كان إسلام من أسلم منهم. فما الوجه الذي أوجب له إنكار ما أنكر، إن لم يكن كان ذلك اختلافاً منهم في الألفاظ واللغات؟.

وبعد، فقد أبان صحة ما قلنا الخبر عن رسول الله ﷺ نصاً. وذلك الخبر الذي ذكرنا:

٤١- أن أبان كريب حدثنا قال: حدثنا زيد بن الحباب، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبرئيل: اقرأ القرآن على حرف». قال ميكائيل ﷺ: استزده، فقال: على حرفين. حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شافٍ كافٍ، ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك: هلم وتعال.»

فقد أوضح نص هذا الخبر: أن اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك: «هلم وتعال» باتفاق المعاني، لا باختلاف معاني موجبة اختلاف أحكام. وبمثل الذي قلنا في ذلك، صححت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف.

٤٢- حدثني أبو السائب سلم بن جنادة السوائي، قال: حدثنا أبو معاوية - وحدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة - جميعاً عن الأعمش، عن شقيق، قال: قال عبد الله: إني قد سمعت إلى القزاة، فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال.

٤٣- وحدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحق، عن سمع ابن مسعود يقول: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله لأتيته.

٤٤- وحدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن عابس، عن رجل من أصحاب عبد الله، عن عبد الله بن مسعود، قال:

من قرأ على حرف فلا يتحولنُ منه إلى غيره .

فمعلوم؛ أن عبد الله لم يعن بقوله هذا: من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي فلا يتحولنُ منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد، ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولنُ منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل . وإنما عنى رحمة الله عليه: أن من قرأ بحرفه - وحرفه: قراءته، وكذلك تقول العرب لقراءة رجل: حرف فلان، وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة: حرف، كما تقول لقصيدة من قصائد الشاعر: كلمة فلان - فلا يتحولنُ عنه إلى غيره رغبة عنه . ومن قرأ بحرف أبي، أو بحرف زيد، أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله ﷺ ببعض الأحرف السبعة - فلا يتحولنُ عنه إلى غيره رغبة عنه، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعة، والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعة. يعنى بالحرف ما وصفنا من قراءة من قرأ ببعض الأحرف السبعة .

٤٥ - وقد حدثنا يحيى بن داود الواسطي، قال: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، قال: قرأ انس هذه الآية: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَصْوَبٌ قِيلًا﴾<sup>(١)</sup>. فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي «أقوم»، فقال: «أقوم وأصوب وأهياً، واحد»

٤٦ - حدثني محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد: أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف .

٤٧ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن سالم: أن سعيد بن جبيرة كان يقرأ القرآن على حرفين .

٤٨ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، قال: كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف .

أفتري الزاعم أن تأويل قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، إنما هو أنه أنزل على الأوجه السبعة التي ذكرنا، من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل - كان يرى أن مجاهداً وسعيد بن جبيرة لم يقرأ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوه الخمسة دون سائر معانيه؟ لئن كان ظن ذلك بهما، لقد ظن بهما غير



الذي يعرفان به من منازلهما من القرآن، ومعرفتهما بأي الفرقان!

٤٩- وحدثنني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليّة، قال: حدثنا أيوب، عن محمد، قال: نبئت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي ﷺ، فقال له جبرائيل: اقرأ القرآن على حرفين. فقال له ميكائيل: استزده. فقال: اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف. فقال له ميكائيل: استزده. قال: حتى بلغ سبعة أحرف، قال محمد: لا تختلف في حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى، هو كقولك: تعال وهلم وأقبل، قال: وفي قراءة لنا: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾<sup>(١)</sup>، في قراءة ابن مسعود (إن كانت إلا زقية واحدة).

٥٠- وحدثنني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّة، قال: حدثنا شعيب - يعني بن الحبحاب - قال: كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل: «ليس كما يقرأ» وإنما يقول: «أما أنا فأقرأ كذا وكذا». قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: أرى صاحبك قد سمع: «أن من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله».

٥١- حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب، قال: حدثنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أن الذي ذكر الله تعالى ذكره [أنه قال] ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾<sup>(٢)</sup> إنما افتتن أنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ: سميعٌ عليم، أو عزيزٌ حكيم، أو غير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ فيقول: أعزيرٌ حكيم، أو سميع عليم أو عزيز عليم؟ فيقول له رسول الله ﷺ: «أي ذلك كتبت فهو كذلك». ففتنه ذلك، فقال: إن محمداً وكل ذلك إلي، فأكتب ما شئت. وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة.

٥٢- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: من كفر بحرف من القرآن، أو بآية منه، فقد كفر به كله.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: فإذا كان تأويل قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن فهو على سبعة أحرف» عندك، ما وصفت، بما عليه استشهدت، فأوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات، فنحقق بذلك قولك. وإلا، فإن لم تجد ذلك كذلك: كان معلوماً - بعدد

١. سورة يس: الآية ٢٩.

٢. سورة النحل: الآية ١٠٢.

مِكةً - صحة قول من زعم أن تأويل ذلك: أنه نزل بسبعة معان، وهو الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل - وفساد قولك . أو تقول في ذلك : إن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع ، متفرقة في جميعه ، من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن - كما كان يقوله بعض من لم ينعم النظر في ذلك . فتصير بذلك إلى القول بما لا يجهل - فساده ذو عقل ، ولا يلتبس خطؤه على ذي لب .

وذلك: أن الأخبار التي بها احتججت لتصحيح مقالتك في تأويل قول النبي ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»، هي الأخبار التي رويتها عن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، رحمة الله عليهم، وعمن رويت ذلك عنه من أصحاب رسول الله ﷺ - بأنهم تماروا في تلاوة بعض القرآن، فاختلفوا في قراءته دون تأويله . وأنكر بعض قراءة بعض ، مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها: أن رسول الله ﷺ أقرأه ما قرأ بالصفة التي قرأ . ثم احتكموا إلى رسول الله ﷺ ، فكان من حكم رسول الله بينهم: أن صوب قراءة كل قارئ منهم ، على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها ، وأمر كل امرئ منهم أن يقرأ كما علم ، حتى خالط قلب بعضهم الشك في الإسلام . لما رأى من تصويب رسول الله ﷺ قراءة كل قارئ منهم على اختلافها . ثم جلاه الله عنه ببيان رسول الله ﷺ له: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» .

فإن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، عندك - كما قال هذا القائل - متفرقة في القرآن، مثبتة اليوم في مصاحف أهل الإسلام، فقد بطلت معاني الأخبار التي رويتها عمّن رويتها عنه من أصحاب رسول الله ﷺ: أنهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ ، فأمر كلاً أن يقرأ كما علم . لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن، فغير موجب حرف من ذلك اختلافاً بين تاليه ، لأن كل تال فإنما يتلو ذلك الحرف تلاوةً واحدةً على ما هو به في المصحف ، وعلى ما أنزل .

وإذا كان ذلك كذلك ، بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة ، وفسد معنى أمر النبي ﷺ: كل قارئ منهم أن يقرأ على ما علم . إذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافاً في لفظ ، ولا افتراقاً في معنى . وكيف يجوز أن يكون هنالك

اختلاف بين القوم، والمعلم واحد، والعلم واحد غير ذي أوجه؟. وفي صحة الخبر عن الذي روي عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله ﷺ - بأنهم اختلفوا وتحاكموا إلى رسول الله ﷺ في ذلك، على ما تقدم وصفناه - أبين الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن، لأنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني.

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل - في تأويله قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وادعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن، ثم جمع بين قبله ذلك، واعتلاله لقيه ذلك بالأخبار التي رويت عن من روي ذلك عنه من الصحابة والتابعين، أنه قال: هو بمنزلة قولك: تعال وهلم وأقبل، وأن بعضهم، قال: هو بمنزلة قراءة عبد الله «الإزقية»، وهي في قراءتنا «الإصيحة»، وما أشبه ذلك من حججه - علم أن حججه مفسدة في ذلك مقالته، وأن مقالته فيه مضادة حججه.

لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين -: إما «صيحة» وإما «زقية»، وإما «تعال» أو «أقبل» أو «هلم» - لا جميع ذلك. لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الأخرى.

وإذ كان ذلك كذلك، بطل اعتلاله لقوله بقول من قال: ذلك بمنزلة «هلم» و«تعال» و«أقبل»، لأن هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة، يجمعها في التأويل معنى واحد. وقد أبطل قائل هذا القول - الذي حكينا قوله - اجتماع اللغات السبع في حرف واحد من القرآن. فقد تبين بذلك إفساد حجته لقوله بقوله، وإفساد قوله لحجته.

قيل له: ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت، بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هن لغات سبع، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإلي، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضرور من المنطق، وتتفق فيه المعاني وإن اختلفت بالبيان به الألسن، كالذي روينا أنفاً عن رسول الله ﷺ، وعن روينا ذلك عنه من الصحابة، أن ذلك بمنزلة قولك: «هلم، وتعال، وأقبل» وقوله: «ما ينظرون إلا زقية»،

و«الأصيحة».

فإن قال: ففي أي كتاب الله نجد حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ، متفقات المعنى، فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل في ذلك؟

قيل: إننا لم ندع أن ذلك موجود اليوم، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، على نحو ما جاءت به الأخبار التي تقدم ذكرناها. وهو ما وصفنا، دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك، للعلل التي قد بينا.

فإن قال: فما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفت، وقد أقرأهن رسول الله ﷺ أصحابه، وأمر بالقراءة بهن، وأنزلهن الله من عنده على نبيه ﷺ؟ أتسخت فرفعت، فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسبتها الأمة، فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصة في ذلك؟

قيل له: لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها. ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت، إذا هي حثت في يمين وهي موسرة، أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت: إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة. فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث، دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر، كانت مصيبة حكم الله، مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله. فكذلك الأمة، أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت. فرأت - لعله من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه، بما أذن له في قراءته به<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: فإن قال: وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف دون سائر الأحرف الستة الباقية؟

٥٣ - قيل: حدثنا أحمد بن عبدة الصُّبَبي، قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد الدرَّازُدي، عن عمارة بن غزيرة، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه

زيد، قال: لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رحمه الله فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة تهافتوا تهافت الفرائس في النار، وإني أخشى أن لا يشهدوا مواطناً إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا - وهم حملة القرآن - فيضيع القرآن وينسى، فلو جمعته وكتبته! فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ! فتراجعا في ذلك. ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، قال زيد: فدخلت عليه وعمر محزئ<sup>(١)</sup>، فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه، وأنت كاتب الوحي. فإن تكن معه اتبعتمكما، وإن توافقتي لا أفعل. قال: فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك وقلت: نفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ! إلى أن قال عمر كلمة: «وما عليكم لو فعلتما ذلك؟» قال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء والله! ما علينا في ذلك شيء! قال زيد: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب. فلما هلك أبو بكر وكان عمر، كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده. فلما هلك، كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ﷺ. ثم إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها بمرج أرمينية، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين: أدرك الناس! فقال عثمان: «وما ذاك؟» قال غزوت مرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فتكفرهم أهل العراق. وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فتكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان أكتب له مصحفاً، وقال: إني مدخل معك رجلاً ليبأ فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إلي. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص، قال: فلما بلغنا: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾<sup>(٢)</sup> قال زيد: فقلت: «التابوت»، وقال أبان بن سعيد: «التابوت»، فرفعنا ذلك إلى عثمان، فكتب: «التابوت»، قال: فلما فرغت عرضته عرضة، فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، قال:

١. احزأل الرجل: اجتمع ونحفر ورفع صدره كالمتهيب، لأمر، فهو محزئ: منضم بعضه إلى بعض، جالس جلسة المستوفز.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

٣. سورة الاحزاب: الآية ٢٣.

فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها عند خزيمه بن ثابت، فكتبتها، ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجدها فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup> فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها مع رجل آخر يدعى خزيمه أيضاً، فأثبتها في آخر «براءة» ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة. ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجدها فيه شيئاً، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء. فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف. فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبدالله بن عمر في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها فغسلت غسلًا. ٥٤ - وحدثني أيضاً يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد، عن عمارة بن غزوية، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد، عن أبيه زيد بن ثابت، بنحوه سواء.

٥٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابه، قال: لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين - قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال -: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض. فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: «أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً. اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً». قال أبو قلابه، فحدثني أنس بن مالك، قال: كنت فيمن يعملي عليهم، قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، حتى يجيء أو يرسل إليه، فلما فرغ من المصحف، كتب

عثمان إلى أهل الأمصار: «إني قد صنعت كذا وكذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم».

٥٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس قال: قال ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري: أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن، واختلفوا فيه حتى كادت تكون بينهم فتنة. فركب حذيفة بن اليمان - لما رأى اختلافهم في القرآن - إلى عثمان، فقال: «إن الناس قد اختلفوا في القرآن، حتى أني والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف». قال: ففرغ لذلك فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة فاستخرج المصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق.

٥٧ - حدثني سعيد بن الربيع، قال: حدثنا هفيان بن عيينة، عن الزهري، قال: قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع، وإنما كان في الكرايف والعسب.

٥٨ - حدثنا سعيد بن الربيع، قال: حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن صعصعة: أن أبا بكر من ورث الكلاله وجمع المصحف.

قال أبو جعفر: وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب، والآثار الدالة على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين - نظراً منه لهم، وإشفاقاً منه عليهم، ورأفة منه بهم، حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهي عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أن المرء فيها كفر - فحملهم رحمة الله عليه، إذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره، ولحدائث عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله ﷺ إياهم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد.

وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه. وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم

عليه ، أن يخرقه . فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها ، لدثورها وعفو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها ، من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح ، دون ما عدها من الأحرف الستة الباقية .

فإن قال بعض من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ ، وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة . لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم ، لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة ، عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قرأوة الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين ، بعد أن يكون في نقله القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع ، تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا . إذ كان الذي فعلوا من ذلك ، كان هو النظر للإسلام وأهله . فكان القيام بفعل الواجب عليهم ، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه ، كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك .

وأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف . . . » بمعزل . لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن - مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى - يوجب المرء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمرء فيه الكفر ، من الوجه الذي تنازع فيه



المتنازعون إليه ، وتظاهرت عنه بذلك الرواية ، على ما قد قدمنا ذكرها في أول هذا الباب .  
فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن ؟ وأي الألسن  
هي من ألسن العرب ؟ .

قلنا : أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها ، فلا حاجة بنا إلى معرفتها ، لأنها  
لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها . وقد قيل إن خمسة منها لعجز  
هوازن ، واثنين منها لقريش وخزاعة . روي جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية  
عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك أن الذي روى عنه : « أن خمسة منها من  
لسان العجز من هوازن » ، الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روى عنه : « أن اللسانين  
الأخرين لسان قريش وخزاعة » ، قتادة ، وفتادة لم يلقه ولم يسمع منه .

٥٩ - حدثني بذلك بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعي ، قال :  
حدثنا الهيثم بن عدي ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : نزل  
القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة .

٦٠ - وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن  
قتادة ، عن أبي الأسود الدؤلي ، قال : نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو وكعب  
بن لؤي . فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم : ألا تعجب من هذا الأعجمي ! يزعم أن  
القرآن نزل بلسان الكعبين ، وإنما أنزل بلسان قريش ؟ !

قال أبو جعفر : والعجز من هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ،  
وتعيف . وأما معنى قول النبي ﷺ ، إذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف : إن كلها شاف  
كاف - فإنه كما قال جل ثناؤه في صفة القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، جعله الله للمؤمنين شفاء ، يستشفون  
بمواظبه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته ، فيكفيهم  
ويغنيهم عن كل ما عدها من المواعظ ببيان آياته .

قال الطبري في البيان عن معنى قول رسول الله ﷺ : « أنزل القرآن من سبعة أبواب

الجنة ، ، وذكر الأخبار الواردة بذلك :

قال أبو جعفر : اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ :

٦١- فروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجرٌ وأمْرٌ ، وحلالٌ وحرامٌ ، ومحكمٌ ومتشابهٌ ، وأمثالٌ ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا به كل من عند ربنا . »

حدثني بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ .

وروي عن أبي قلابة عن النبي ﷺ مرسلًا غير ذلك :

٦٢- حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عباد بن زكريا ، عن عوف ، عن أبي قلابة ، قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أمرٌ وزجرٌ وترغيبٌ وترهيبٌ وجدلٌ وقصصٌ ومثلٌ . »

٦٣- وروي عن أبي ، عن رسول الله ﷺ في ذلك ، ما حدثني به أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي بن كعب ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتي . قال : اقرأه على حرفين . فقلت : رب خفف عن أمتي . فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ . »

وروي عن ابن مسعود من قبله خلاف ذلك كله :

٦٤- وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربي ، عن الأحوص بن حكيم ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف : حلالٌ وحرامٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ وأمثالٌ . فأحل الحلال ،

وحرم الحرام، واعمل بالمحكم، وآمن بالمتشابه، واعتبر بالأمثال.  
 وكل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ، متقاربة المعاني، لأن قول القائل:  
 فلان مقيم على باب من أبواب هذا الأمر، وفلان مقيم على وجه من وجوه هذا الأمر،  
 وفلان مقيم على حرف من هذا الأمر - سواءً. ألا ترى أن الله جل ثناؤه وصف قوماً عبده  
 على وجه من وجوه العبادات، فأخبر عنهم أنهم عبده على حرف، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ  
 مَن يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾<sup>(١)</sup> يعني أنهم عبده على وجه الشك، لا على اليقين والتسليم  
 لأمره.

فكذلك رواية من روى النبي ﷺ أنه قال: «نزل القرآن من سبعة أبواب»، «نزل على  
 سبعة أحرف» سواءً، معناهما مؤتلف، وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه.  
 ومعنى ذلك كله، الخبر منه ﷺ عما خصه الله به وأمه، من الفضيلة والكرامة التي  
 لم يؤتها أحداً في تنزيله.

وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه  
 عليهم، وإنما نزل بلسان واحد، متى حول إلى غير اللسان الذي نزل به، كان ذلك له  
 ترجمة وتفسيراً، لا تلاوة له على ما أنزله الله.

وأنزل كتابنا بالسن سبعة، بأي تلك الألسن السبعة تلاه التالي، كان له تالياً على  
 ما أنزله الله لا مترجماً ولا مفسراً، حتى يحوله عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها،  
 فيصير فاعل ذلك حينئذٍ - إذا أصاب معناه - مترجماً له. كما كان التالي لبعض الكتب  
 التي أنزلها الله بلسان واحد - إذا تلاه بغير اللسان الذي نزل به - له مترجماً، لا تالياً على  
 ما أنزله الله به.

فذلك معنى قول النبي ﷺ: «كان الكتاب الأول، نزل على حرف واحد، ونزل القرآن  
 على سبعة أحرف».

وأما معنى قوله ﷺ: «إن الكتاب الأول نزل من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة  
 أبواب»، فإنه ﷺ عنى بقوله: «نزل الكتاب من باب واحد»، والله أعلم، ما نزل من كتب الله

على من أنزله من أنبيائه، خالياً من الحدود والأحكام والحلال والحرام؛ كزبور داود، الذي إنما هو تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسى، الذي هو تمجيد ومحامد وحض على الصفع والإعراض - دون غيرها من الأحكام والشرائع - وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا، الذي خص الله به نبينا محمداً ﷺ وأُمَّته. فلم يكن المتعبدون بإقامته يجدون لرضى الله تعالى ذكره مطلباً ينالون به الجنة، ويستوجبون به منه القُرْبَى، إلا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم، وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب.

وخص الله نبينا محمداً ﷺ وأُمَّته، بأن أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله، ويدركون بها الفوز بالجنة، إذا أقاموها، فكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة التي نزل منها القرآن. لأن العامل بكل وجه من أوجهه السبعة، عامل في باب من أبواب الجنة، وطالب من قبله الفوز بها. والعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه، باب من أبواب الجنة، وترك ما نهى الله عنه فيه، باب آخر ثانٍ من أبوابها، وتحليل ما أحل الله فيه، باب ثالث من أبوابها، وتحريم ما حرم الله فيه، باب رابع من أبوابها، والإيمان بمحكمه المبين، باب خامس من أبوابها، والتسليم لمتشابهه الذي أستاذت الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والإقرار بأن كل ذلك من عنده، باب سادس من أبوابها، والاعتبار بأمثاله والاعتاظ بعظاته، باب سابع من أبوابها.

فجميع ما في القرآن - من حروفه السبعة، وأبوابه السبعة التي نزل منها - جعله الله لعباده إلى رضوانه هادياً، ولهم إلى الجنة قائداً. فذلك معنى قوله ﷺ: «نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة».

وأما قوله ﷺ في القرآن: «إن لكل حرف منه حداً»، يعني لكل وجه من أوجهه السبعة حد حده الله جل ثناؤه، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه.

وقوله ﷺ: «وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً، فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله».

وقوله: «وإن لكل حد من ذلك مُطْلَعاً» فإنه يعني أن لكل حدٍ من حدود الله التي

حدها فيه - من حلالٍ وحرامٍ، وسائر شرائعه - مقداراً من ثواب الله وعقابه، يعاينه في الآخرة، ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة. كما قال عمر بن الخطاب: «لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لا فتديت به من هول المطلع»، يعني بذلك ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته<sup>(١)</sup>.

قال الصاوري: «وروى أبو حازم<sup>(٢)</sup>، عن أبي سلمة<sup>(٣)</sup>، عن أبي هريرة<sup>(٤)</sup>، أن رسول الله ﷺ قال: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، وَالْجِزَاءُ فِي الْقُرْآنِ كَقُرْ (ثلاث مرات)، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَزُدُّوه إِلَى عَالِمِهِ»<sup>(٥)</sup>. وروى محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>(٦)</sup>.

اختلف المفسرون في تأويل السبعة الأحرف، التي نزل القرآن بها على أربعة أقاويل: أحدها: معناه على سبعة معانٍ، وهي أمر ونهي ووعيد وجدل وقصص ومثل.

١. جامع البيان ج ١ ص ٤٨ - ٥٥.

٢. هو أبو حازم الأشجعي صاحب أبي هريرة محدث اسمه سليمان الكوفي، حدث عن أبي هريرة فأكثر وعن ابن عمر، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز قريباً من سنة مئة أنظر: طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٩٤. تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٧٣. سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٧.

٣. هو عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف، وقيل: اسمه اسماعيل كان فقيهاً. كثير الحديث من الطبقة الثانية من التابعين توفي رحمه الله في المدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد. أنظر: طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٥. تاريخ ابن عساکر ج ٩ ص ١٤٩. تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٧٦.

٤. هو عبدالرحمن بن صفر السدوسي من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة سبع وخمسين وقيل: سنة ثمان. أنظر:

طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٦٢، ج ٤ ص ٣٢٥. الإستيعاب ج ٤ ص ١٧٦٨. حلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٦. الإصابة ج ٤ ص ٦٣. سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧٨ وغيرها.

٥. رواه ابن حبان ج ١ ص ١٤٦ وأحمد ج ١ ص ٣٠٠ وابن جرير ج ١ ص ٢٢ والبخاري مختصراً ج ٣ ص ٩٠ وأبو يعلى والنسائي كما أفاده ابن كثير في التفسير ج ٢ ص ١٠٢ وزاد السيوطي نسبته في الدرر ج ٢ ص ١٥٤ لأبي داود ونصر المقدسي في كتاب الحجّة، وقال الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ١٥٦: رواه البزار وفيه محمد بن عمر وهو حسن الحديث وثقة رجاله رجال الصحيح.

تنبيه: نسبة الحديث للنسائي إنما هو له في كتاب فضائل القرآن.

٦. رواه أحمد ج ٢ ص ٣٣٢. ص ٤٠٠ وابن حبان ج ٢ ص ٦٢، ابن جرير في التفسير ج ١ ص ٢٢. وقال الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ١٥١: رواه كله أحمد باسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه.

روى عون<sup>(١)</sup>، عن أبي قلابة<sup>(٢)</sup> قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ: أَمْرٍ، وَنَهْيٍ، وَتَرْغِيبٍ، وَتَرْهِيْبٍ، وَجَدَلٍ، وَمِثْلِ، وَقِصَصٍ»<sup>(٣)</sup>.

والثاني: يعني سَبْعَ لغات مختلفة، لا مما يغير حكماً في التحليل ولا تحريم، مثل هلم وتعال وأقبل، هي مختلفة ومعانيها مؤتلفة، فكانوا في صدر الإسلام مخيرين فيها ثم اجتمعت الصحابة<sup>(٤)</sup>، عند جمع القرآن على أحدها، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه.

والثالث: يريد على سبع لغات من اللغات الفصيحة، لأن بعض قبائل العرب أفصح من بعض لبعدهم من بلاد العجم، فكان من نزل القرآن بلغتهم من فصحاء العرب سبع قبائل.

والرابع: يريد على سبع لغات للعرب في صيغة الألفاظ، وإن وافقه في معناه، كالذي اختلف القراء فيه من القراءات والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عطية في معنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تيسر منه»<sup>(٦)</sup>.

١. وهو عوف بن عبدالله بن مسعود كان من أدب أهل المدينة وأفقههم، حدث عن ابن المسيب وابن عباس، وعبدالله بن عمرو وغيرهم. توفي سنة بضع عشرة ومئة. أنظر: طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢١٣، تاريخ البخاري الكبير ج ٧ ص ١٣٠، تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٢٨٧ حلية الأولياء ج ٤ ص ٢٤٠.
٢. هو عبدالله بن زيد بن مالك، أبو قلابة كان محباً للسنة، قاماً للبدعة. ترك من الكتب حمل بغل، وكان كثير الحديث. حدث عن أنس، مالك بن الحويرث، عبدالله بن عباس، وأبي هريرة وغيرهم وأدرك خلافة عمر بن عبدالعزيز ثم توفي في الشام سنة أربع ومئة. أنظر: طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٨٣، البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٣١، تاريخ البخاري ج ٥ ص ٩٢ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٨٨، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٤.
٣. رواه ابن جرير ج ١ ص ٦٩. قال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث مرسل لا تقوم به حجة.
٤. وذلك في عهد عثمان بن عفان لما بلغه أن الناس قد اختلفوا في قراءته فخصي تفرق الأمة واختلافهم في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى فجمعهم على قراءة واحدة.
٥. التكت والعيون ج ١ ص ٢٨ - ٣٠.
٦. انظر عمدة القاري ج ٢ ص ٢١، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٢، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٧٦، ووسطاً الإسماء مالك ج ٢ ص ١٠، والمنتخب من السنة المجلد الثاني ص ١٧٤، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٧.

اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً، فذهب فريق<sup>(١)</sup> من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال: على سبعة أوجه فما دونها، كتعال، وأقبل، وإلبي، ونحوى، وقصدى، وأقرب، وجىء، وكاللغات التي في «أف»، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة، وهذا قول ضعيف.

قال ابن شهاب في كتاب مسلم: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام<sup>(٢)</sup>. وهذا كلام محتمل.

وقال فريق من العلماء: إن المراد بالسبعة الأحرف معانى كتاب الله تعالى وهي: أمر ونهى، ووعد ووعد، وقصص ومجادلة وأمثال. وهذا أيضاً ضعيف، لأن هذه لا تسمى أحرفاً، وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا في تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء. وقد حكى نحوه القاضي أبو بكر بن الطيب<sup>(٣)</sup> قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة، منها: ما تتغير<sup>(٤)</sup> حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿هَنْ أَطَهَّرُ﴾<sup>(٥)</sup> و﴿أَطَهَّرَ﴾ ومنها: ما لا<sup>(٦)</sup> تتغير صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف: ﴿تَشْرِبُهَا﴾<sup>(٧)</sup> و﴿تَنْشِرُهَا﴾. ومنها: ما لا<sup>(٨)</sup> تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلَعَ مَنْظُورٌ﴾<sup>(٩)</sup>. و﴿وَطَلَعَ مَنْظُودٌ﴾. ومنها<sup>(١٠)</sup>: بالتقديم والتأخير كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١١)</sup> و﴿سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾.

١. وهم سفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب والطبري وغيرهم. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٦.

٢. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٤. وتفسير الطبري ج ١ ص ١١.

٣. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلافي، البصرى المتكلم، كان على مذهب أبي الحسن البصرى وسزياً اعتقاده وصنف تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، وكان في علمه أوجد زمانه مات سنة ٣٠٤هـ وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٠٠.

٤. انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٨، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٩.

٥. سورة هود: الآية ٧٨.

٦. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٧. انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٩، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٩ سورة الواقعة: الآية ٢٩.

٨. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

٩. انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٩، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٩ سورة ق: الآية ١٩.

١٠. سورة ق: الآية ١٩.

ومنها<sup>(١)</sup>: بالزيادة والنقصان كقوله: (تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجْعَةٌ أَنْتَى).

وذكر القاضي أبو بكر بن الطيب في معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن من سبعة أبواب، على سبعة أحرف؛ نهى وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وانتعروا، وانتهوا، واعتبروا بمحكمه، وأمنوا بمتشابهه»<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي أبو بكر: «فهذا تفسير منه ﷺ للأحرف السبعة، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة، والطريقة، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَمِيدُ اللَّهُ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾<sup>(٣)</sup>. أي على وجه وطريقة، هي شك وريب، فكذلك معنى هذا الحديث على سبغ طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك».

وذكر القاضي أيضاً: «أن أبيتاً روى عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أباي إني أقرئت القرآن على حرف أو حرفين، ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلا شافٍ كاف، إن قلت: غفور رحيم، سميع عليم، أو عليم حلِيم، وكذلك، ما لم تختم عذاباً برحمة أو رحمة بعدذاب»<sup>(٤)</sup>. قال القاضي أبو محمد: وقد أسند ثابت بن قاسم<sup>(٥)</sup> نحو هذا الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وذكر من كلام ابن مسعود نحوه».

قال القاضي ابن الطيب: «وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرائق وغير السبعة التي هي قراءات ووسع فيها، وإنما هي سبعة أوجه من أسماء الله تعالى. وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً، ثم نسخ فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسما لله في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه».

قال القاضي: «وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة بها فإنها على سبعة أوجه وإلا

١. انظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٩، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٩. سورة ص: الآية ٢٣.

٢. قال أبو جعفر: اختلفت الثقل في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله. انظر تفسير الطبري ج ١ ص ٢٣، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦.

٣. سورة الملعج: الآية ١١.

٤. انظر سنن أبي داود ج ٢ ص ٧٢، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٧.

٥. في نسخة قاسم بن ثابت. وفي البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢١٩ هو قاسم بن ثابت بن عبدالمعز الأنديسي. صاحب كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث ومعانيه. وانظر جذوة المقتبس ص ٣١٢، وإنباه الرواة ج ١ ص ٣١٢.



بطل معنى الحديث، قالوا: وتعرف بعض الوجوه لمجىء الخبر به، ولا تعرف بعضها إذ لم يأت به خبر، قال: وقال قوم: ظاهر الحديث يوجب أن يوجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرأن على سبعة أوجه، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث.

قال القاضي أبو بكر بن الطيب: «وقد زعم قوم أن معنى الحديث أنه أنزل على سبع لغات مختلفات، وهذا باطل إلا أن يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة، والدليل على ذلك: أن لغة عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب<sup>(١)</sup>، وهشام بن حكيم<sup>(٢)</sup>، وابن مسعود<sup>(٣)</sup> واحدة، وقراءتهم مختلفة، وخرجوا فيها إلى المناكرة. فأما الأحرف السبعة التي صوب الرسول ﷺ القراءة بجمعها وهي التي راجع فيها فزاده، وسهل عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات، فإنها سبعة أوجه وسبع قراءات مختلفات، وطرائق يقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن [أ] ومعظمه حسب ما تقتضيه العبارة في قوله: أنزل القرآن، فإنما يريد به الجميع أو المعظم، فجاز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها. ويدل على ذلك قول الناس: حرف أبي، وحرف ابن مسعود. ونقول في الجملة: إن القرآن منزل على سبعة أحرف من اللغات والإعراب وتغيير الأسماء والصور، وأن ذلك مفترق في كتاب الله ليس بموجود في حرف واحد وسورة واحدة يقطع على اجتماع<sup>(٤)</sup> ذلك فيها».

١. أبي بن كعب بن قيس كان من أصحاب العقبة الثانية أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم وعنده مسروق من أصحاب الفتيا وأثبت الأقاليل أنه مات في خلافة عثمان سنة ٢٢ هـ. الإصابة ج ١ ص ١٦. وأسد الغابة ج ١ ص ٧١.

٢. هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد ثبت ذكره في الصحيح من رواية الزهري عن عمر قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأني الرسول. وفيه أنه أحضره للرسول فأستقرأها فصوبها وقال: «نزل القرآن على سبعة أحرف» استشهد بأجنادين. الإصابة ج ٦ ص ٢٨٥.

٣. هاجر المجرتين. وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. ولازم النبي. وحدث عنه بالكثير. وكان يقول: أخذت من في - بتشديد الياء وكسرهما - الرسول سبعين سورة. وهو أول من جهر بالقرآن في مكة. مات بالمدينة ٣٢ هـ. الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٢٩.

٤. ذهب آرثر جفرى في المقدمة المطبوعة إلى أن هذا خطأ وجعل الصواب «هاجتماع» وأرى أنه ليس في هذا الاستعمال أي خطأ. ففي مخني اللبيب ما نصه: إن من بين معاني على: «موافقتها الباء نحو: حقيق على أن لا أقول. وقد قرأه أبي بالياء وقالوا: اركب على اسم الله. راجع مخني اللبيب ج ١ ص ١١٧. ومقدمتان في علوم القرآن ص ٢٦٩ لأرثر جفرى.

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية رضى الله عنه : «انتهى ما جمعت من كلام القاضي أبي بكر عليه السلام ، وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه ، فيه نظر ، لأن المذهب الصحيح الذي قرره آخراً من قوله . ونقول في الجملة: إنما صح وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في الأكثر ، وإنما هو أن قريشاً استعملت في عبارتها شيئاً ، واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئاً غيره ، وسعد بن بكر غيره ، والجميع كلامهم - في الجملة - ولغتهم . واستدلال القاضي عليه السلام بأن لغة عمر ، وأبي ، وهشام ، وابن مسعود واحدة ، فيه نظر ، لأن ما استعملته قريش في عباراتها ، ومنهم : عمر وهشام ، وما استعملته الأنصار ، ومنهم : أبي ، وما استعملته هذيل ، ومنهم : ابن مسعود قد يختلف . ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله . فليست لغتهم واحدة في كل شيء . وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن يفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة لما كان اختلافهم حجة على من قال : إن القرآن أنزل على سبع لغات ، لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكر سمع ما ليس في لغته فأنكره ، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي صلى الله عليه وسلم وعساه <sup>(١)</sup> قد أقرأه ما ليس من لغته ، واستعمال قبيلته . فكان القاضي رحمه الله إنما أبطل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد في قوله : على سبعة أحرف عد اللغات التي تختلف بجملتها ، وأن تكون سبعة متباينة لسبع قبائل ، وتقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ، ولا تدخل عليه لغة غيرها ، بل قصد النبي عليه السلام عنده عد الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة ، ومرة من جهة إعراب ، وغير ذلك ، ولا مرية أن هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لإختلاف في العبارات بين الجملة التي نزل القرآن بلسانها ، وذلك يقال فيه : اختلاف لغات . وصحيح أن يقصد صلى الله عليه وسلم عد الأنحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات . وصحيح أن يقصد عد الجماهير والرؤوس من الجملة التي نزل القرآن بلسانها وهي : قبائل مضر ، فجعلها سبعة . وهذا القول أكثر توسعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الأنحاء تبقى غير محصورة فعسى أن

١ . هكذا في نسخة : «وعسى» .

الملك قرأ قراءة بأكثر من سبع طرائق ووجوه.

قال القاضي رحمته في كلامه المتقدم: فجاز أن يقرأ بهذه الوجوه: على اختلافها.

قال القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية رحمته: والشرط الذي يصح به هذا القول هو أن تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومال كثير من أهل العلم كأبي عبيد وغيره إلى أن معنى الحديث المذكور؛ أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل أثبت فيه من كل لغة منها، وهذا القول هو المتقرر من كلام القاضي رضي الله عنه. وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب روماً منهم أن يعينوا السبع التي يحسن أن تكون مراده صلى الله عليه وسلم. نظروا في ذلك بحسب القطر، ومن جاور منشأ النبي صلى الله عليه وسلم، واختلفوا في التسمية وأكثروا. وأنا ألخص الغرض جهدي بحول الله، فأصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قرشي، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وعتقت<sup>(١)</sup> ثمانمه، وهو يخالط في اللسان: كنانة، وهدبلا، وثقيفا، وخزاعة، وأسدأ، وضبة، وألفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها، ثم بعد هذه تميماً وقيساً ومن انضاف إليهم من وسط جزيرة العرب. فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه أمر الأحرف، أنزل عليه القرآن بلفظة هذه الجملة المذكورة وهي التي قسمها على سبع لها السبعة الأحرف، وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم.

قال ثابت بن قاسم: لو قلنا: من هذه الأحرف لقريش، ومنها: لكنانة، ومنها: لأسد، ومنها: لهذيل، ومنها: لتميم، ومنها: لضبة وألفافها، ومنها: لقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبع تستوعى اللغات التي نزل بها القرآن. وهذا نحو ما ذكرناه. وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخيل، وسيرها الله لذلك ليظهر آية نبيه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب، فسي الحجاز، ونجد، وتهامة، فلم تطرقها الأمم، فأما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فأفسدت كلام عربيه خلطة الحبشة والهنود، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام<sup>(٢)</sup> وأبا العباس المبرد<sup>(٣)</sup> قد ذكرا: أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن

١. يقال للصبي إذا نشأ مع حى حتى شب وقوى فهم: عقت قيمته في بني فلان. لسان العرب مادة عقت.

٢. اشتغل بالحديث والأدب والفقه. يقول ابن خلكان: ٧ أعلم أحناً طعن عليه في شيء من أمر دينه وهو أول من صنف في غريب الحديث. مات سنة ٢٢٢ هـ. ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٢٢. ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٥.

٣. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. الأزدي البصري النحوي، كان إماماً في اللغة والتحوّل له التواليف النافعة في

بلسانها .

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية رضى الله عنه : وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن، كالعرم والفتاح<sup>(١)</sup> . فأما ما انفردوا به كالزخبيخ<sup>(٢)</sup> والقلوب ونحوه فليس في كتاب الله منه شيء . وأما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة ، وشرقي الجزيرة، فأفسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ، ونصارى الحيرة وغير ذلك . وأما الذي يلي الشام ، وهو شمالي الجزيرة ، وهي بلاد آل جفنة وابن الرافلة وغيرهم ، فأفسدها مخالطة الروم وكثير من بني إسرائيل . وأما غربي الجزيرة ، فهي جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم .

ويقوى هذا المنزع؛ أنه لما اتسع نطاق الإسلام ، وداخلت الأمم العرب ، وتجرد أهل المصريين : البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها ، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة ومن كان معها ، وتجنبوا اليمن والعراق والشام ، فلم يكتب عنهم حرف واحد . وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز ، مكة والمدينة والطائف ، لأن السبي والتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة، وكانت هذه الحواضر في مدة النبي ﷺ سليمة لقلّة المخالطة . فمعنى قول النبي ﷺ : «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي فيه عبارات سبع قبائل ، بلغة جملتها نزل القرآن . فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش مرة ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأوضح والأوجز في اللغة . ألا ترى أن «فطر» معناها عند غير قريش : ابتدأ خلق الشيء ، فجاءت في القرآن ، فلم تتجه لابن عباس

➤ في الأدب ، منها : كتاب الكامل . أخذ الأدب عن المازني . توفي ٢٨٥ هـ بغداد . وفيه الأعيان ج ٣ ص ٤٤١ . ضحى الإسلام ج ١ ص ٣١٤ .

١ . العرم : السيل الذي لا يطاق . الفتاح : القاضي . انظر اللسان مادة هرم ، ومادة فتح .  
٢ . الزخبيخ : النار يمانية ، وقيل : شدة هريق الجمر والحمر والحمرير ، لأن الحمرير يبرق من الثياب . اللسان مادة زخبيخ .  
والقلوب «بكسر القاف وتشديد اللام مع الكسر» . والقلوب «بفتح القاف وتشديد اللام مع الضم» . والقلوب «بكسر القاف وتشديد اللام مع الفتح» . والقلوب «بفتح القاف وضم اللام» . والقلوب : «بكسر القاف وفتح اللام» : الذئب . يمانية . اللسان .

حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما. قال ابن عباس: فهيمت حينئذ معنى قوله تعالى: ﴿ فَاسْطِرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(١)</sup> وقال أيضاً: ما كنت أدري معنى قوله: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> حتى سمعت بنت ذى يزن<sup>(٣)</sup> تقول لزوجها: تعال أفاتحك. أى أحاكمك، وكذلك قال عمر بن الخطاب: وكان لا يفهم معنى قوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾<sup>(٤)</sup> فوقف به فتى، فقال: إن أبى يتخوفنى حتى، فقال: عمر: الله أكبر: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أى على تنقص لهم. وكذلك اتفق لقطبة<sup>(٥)</sup> بن مالك إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾، ذكره مسلم<sup>(٦)</sup> في باب القراءة في صلاة الفجر إلى غير هذا من الأمثلة، فأباح الله تعالى لنيبه هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز، وجودة الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله ﷺ: «فأقرأوا ما تيسر منه». بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة لنيبه ﷺ ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»<sup>(٧)</sup>. وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان. وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول ﷺ في كل قراءة منها وقد اختلفنا: هكذا أقرأني جبريل؟ هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذا مرة وبهذا

١. انظر اللسان مادة فطر. سورة الشورى: الآية ١١. ٢. سورة الأعراف: الآية ٨٩.

٣. في اللسان مادة فتح، وعمدة القارى ج ١٨ ص ٢٢٢، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٨ حتى سمعت بنت ذى يزن، وكذلك في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٢٨، وفي نسخة «في حذق»، وترك آرثر جفرى الاسم في المقدمة المطبوعة بدون تصحيح متغنياً مع ما جاء في النسخ المخطوطة، والأصح ما ورد في المصادر الأربعة الأولى.

٤. سورة النحل: الآية ٤٧. وانظر اللسان مادة خوف.

٥. قطبة بن مالك الثعلبي، قال البخاري وابن حاتم: له صعبة. الإصابة في تمييز الصحابة ج ٥ ص ٢٤٣.

٦. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٩. سورة ق: الآية ١٠.

٧. انظر عمدة القارى ج ٢٠ ص ٢٠، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٢، ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١١٦، ومسند

أبي داود ج ٢ ص ٧٥.

مرة ؟ . وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَضْوَبٌ قِيلاً ﴾ <sup>(١)</sup> . فقيل له : إنما تقرأ (وأقوم) ، فقال أنس : أقوم ، وأصوب ، وأهياً . واحد <sup>(٢)</sup> . فإنما معنى هذا : أنها مروية عن النبي ﷺ وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله عليه السلام ، وافترق الصحابة في البلدان ، وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من غير العرب ، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكر حذيفة بن اليمان <sup>(٤)</sup> رضى الله عنه ، وذلك أنهم اجتمعوا في غزوة أرمينية فقرأت كل طائفة بما روى لها ، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض : أنا كافر بما تقرأ به ، فأشفق حذيفة مما رأى منهم ، فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري وغيره : دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته ، فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك . قال : فيماذا ؟ قال : في كتاب الله : إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق ومن الشام ومن الحجاز ، فوصف له ما تقدم ، وقال : إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى . قال عثمان ﷺ : افعل . فتجرد للأمر واستتاب الكفاة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله وأفصح اللغات . وقال لهم : إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش <sup>(٥)</sup> . فمعنى هذا إذا اختلفتم فيما روى ، وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلاف من قبلهم ، لأنه وضع قرآن ، فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع مرة من هذه ومرة من هذه ، وذلك مقيد بأن الجميع مما روى عن النبي ﷺ ، وقرئ عليه ، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ما خرج عنه مما كان كتب ، كقراءة عمر بن الخطاب :

١ . انظر تفسير الطبري ج ١ ص ١٨ . سورة المزمل : الآية ٦ .

٢ . أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الحزرجي ، خادم الرسول ، وأحد الكثيرين من الرواية عنه . كانت إقامته مع النبي ﷺ بالمدينة . وشهد الفتح . ثم طعن البصرة وتوفي بها ٩١ هـ . أسد الغابة ج ١ ص ١٥٧ .

٣ . سورة الحجر : الآية ٩ .

٤ . أبو عبد الله العباسي ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن . توفي بعد عثمان بأربعين يوماً ٣٦ هـ . طبقات القراء ج ١ ص ٢٠٣ .

٥ . الحديث المذكور بطوله في عمدة القاري ج ٢٠ ص ١٧ . وتفسير الطبري ج ١ ص ٢١ .

«فَأْمُضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، ونحوها، سداً للذريعة وتخلياً لمصلحة الألفة، وهي المصاحف التي أمر عثمان بها أن تحرق أو تخرق، فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك، ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة ولأنه روي أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير، فظننا قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيها، ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القرآن. لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أثبت. ثم إن القراءة في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات، لا سيما فيما وافق خط المصحف المتخير فقرأوا بذلك حسب اجتهاداتهم، فلذلك ترتب أمر القراء السبعة وغيرهم، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع. وأما شاذ القراءات فلا يصلى به، وذلك لأنه لم يجمع الناس عليه، أما أن المروى منه عن الصحابة رضى الله عنهم، وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم روه. وأما ما يؤثر عن أبي السمال ومن قاربه فلا يوثق به، وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل والله المستعان»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية في جوابه عن معنى الأحرف السبعة :

« هذه » مسألة كبيرة « قد تكلم فيها أصناف العلماء من الفقهاء والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشراح الغريب وغيرهم، حتى صنف فيها التصنيف المفرد، ومن آخر ما أفرده في ذلك ما صنفه الشيخ أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي، المعروف بابن أبي شامة، صاحب « شرح الشاطبية » .

فأما ذكر أقاويل الناس وأدلتهم وتقريب الحق منها مبسوطاً فيحتاج من ذكر الأحاديث الواردة في ذلك، وذكر ألفاظها، وسائر الأدلة، إلى ما لا يتسع له هذا المكان، ولا يليق بمثل هذا الجواب، ولكن نذكر النكت الجامعة، التي تنبه على المقصود بالجواب .

فنقول: لانزاع بين العلماء المعتبرين أن « الأحرف السبعة » التي ذكر النبي ﷺ أن

١ . نقلها ابن شهاب عنه . انظر موطأ الإمام مالك ج ١ ص ٢١٩ . وتيسير الوصول ج ١ ص ١٩٢ .

٢ . المرور الوجيز ج ١ ص ٥١ - ٦٣ .

القرآن عليها ليست هي «قراءات القراء السبعة المشهورة»، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد<sup>(١)</sup>، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام، إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره، والحديث والفقه، من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة<sup>(٢)</sup> لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين. ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقاً أو متقارباً، كما قال عبدالله ابن مسعود: إنما هو كقول أحدكم أقبل، وهلم، وتعال.

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ في هذا، حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، إن قلت: غفوراً رحيماً، أو قلت: عزيزاً حكيماً فالله كذلك، ما لم تختتم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة».

وهذا كما في القراءات المشهورة (ربنا باعد وبعاد) (إلا أن يخافا ألا يقيما). و (إلا أن

١. هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التيمي المحافظ البغدادي شيخ القراء في عصره. أول من سبغ السبعة. قرأ على ابن عبدوس وأخذ عنه. كما قرأ على قنبر المكسي. ولد سنة ٢٤٥ و توفي ٣٢٤ هـ. انظر طبقات القراء ج ١ ص ١٣٩.

٢. حمزة بن حبيب بن عمار بن اسماعيل الزيات التيمي أحد القراء السبعة المشهورين. كان من موالى تميم فنسب إليهم، كان يحضر الزيت من الكوفة إلى حلوان. ولد سنة ٨٠ هـ ومات بحلوان مما يلي بلاد الجليل بالعراق سنة ١٥٦ هـ انتقد الاجماع على تلقى قراءته بالقبول. قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر. انظر غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ج ١ ص ٢٦١ و ٢٦٢، الفهرست ص ٤٤، مفتاح السعادة ج ٢ ص ٣٩.



يخافا إلا يقوما) و(إلا كان مكرهم لتزول . وليزول منه الجبال) و (بل عجبت . وبل عجبت) ونحو ذلك .

ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقاً من وجه متبائناً من وجه، كقوله : (يخدعون ويخادعون) و ( يكذبون ويكذبون ) و ( لمستم ، ولا مستم ) و( حتى يطهرون ، ويظهرن ) ونحو ذلك ، فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق ، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها ، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ، لا يجوز ترك موجب احدهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض ، بل كما قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

وأما ما اتحد لفظه ومعناه وإنما يتنوع صفة النطق به ، وكالهمزات ، والممدات ، والامالات ، ونقل الحركات ، والاظهار ، والادغام ، والاختلاس ، وترقيق اللامات والراءات أو تغليظها ونحو ذلك مما يسمى القراء عامته الاصول، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى ، إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ، ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه ، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه ، ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها من أول ما يتنوع فيه اللفظ أو المعنى ، وإن وافق رسم المصحف وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل ...

... وهذا النزاع لا بد أن يبنى على الأصل الذي سأل عنه السائل ، وهو أن القراءات السبع هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا ؟ فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة ، بل يقولون : إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة ، وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل ، والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول . وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة ، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام ، كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره ، بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة ، وقد انفقوا على نقل هذا المصحف الإمام

العثماني وترك ما سواه، حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبها القرآن فيها، ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف وأمر بترك ما سوى ذلك.

قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة. ومن نصر قول الأولين يجيب تارة بما ذكر محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الأحرف السبعة، لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كانت جائزة لهم مرخصاً لهم فيها، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه، كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، بل مفوضاً إلى اجتهادهم، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب مصحف زيد، وكذلك مصحف غيره.

وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم، كما قدموا سورة على سورة، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم، قالوا: فكذلك الأحرف السبعة، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور.

ومن هؤلاء من يقول: بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذلت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم وهو أرفق بهم، أجمعوا على الحرف الذي كان في العريضة الآخرة. ويقولون: إنه نسخ ما سوى ذلك.

وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول: إن حروف أبي بن كعب، وابن مسعود وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة.

ثم من جوز القراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال: يجوز ذلك، لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها، ومن لم يجوزه فله ثلاثة مآخذ، تارة يقول: ليس هو من الحروف السبعة وتارة يقول: هو من الحروف المنسوخة، وتارة يقول:

هو مما انعقد إجماع الصحابة على الإعراض عنه، وتارة يقول: لم ينقل إلينا نقلاً بثبت بمثله القرآن. وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين.

ولهذا كان في المسألة «قول ثالث» وهو اختيار جدى أبو البركات إنه إن قرأ بهذه القراءات في القراءة الواجبة - وهى الفاتحة عند القدرة عليها - لم تصح صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يوجب لم تبطل صلاته: لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التى أنزل عليها.

وهذا القول يبنى على «أصل» وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة، فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟ فالذى عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعاً<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي في معنى قول النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»:

روى مسلم عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كان عند أضاة<sup>(٢)</sup> بنى غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم اتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين؛ فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا. وروى الترمذى عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذى لا يقرأ كتاباً قط فقال لى يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال هذا: حديث صحيح. وثبت في الأمهات: البخارى ومسلم والمواطأ

١. دقائق التفسير ج ١ ص ٤ - ١٤.

٢. الأضاة (كحضاة): غدير صغير. وقيل: هو مسيل الماء إلى الغدير وهو موضع قريب من مكة فوق سرف.

وغفار: قبيلة من كنانة.

وأبى داود والنسائي وغيرها من المصنفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم، وسيأتي بكماله في آخر الباب مبينا إن شاء الله تعالى.

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال:

الأول - وهو الذى عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب والطبرى والطحاوى وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو أقبل وتعال وهلم. قال الطحاوى: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبى بكره قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكل شافٍ كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل. وروى ورفاء عن ابن أبى نجيج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>: للذين آمنوا أهملونا، للذين آمنوا آخرون، للذين آمنوا أرقبونا. وبهذا الإسناد عن أبى أنه كان يقرأ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْ فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>: مَرَّو فِيهِ، سَعَوْ فِيهِ. وفي البخارى ومسلم قال الزهرى: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام.

قال الطحاوى: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذى لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولورام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأون بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم أرتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٠.

١. سورة الحديد: الآية ١٣.

روى أبو داود عن أبي قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا إني أقرئت القرآن فقبل لي: على حرف أو حرفين، فقال الملك الذي معي قل: على حرفين، فقبل لي: على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ إن قلت سميعاً عليهما عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب». وأسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه. قال القاضي ابن الطيب<sup>(١)</sup>: وإذا ثبتت هذه الرواية - يريد حديث أبي - حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف.

القول الثاني - قال قوم: هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها، بمنها ونزارها، لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئاً منها، وكان قد أوتى جوامع الكلم، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن. قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿أُرْسِلُ مَعَنَا هَذَا يُرْتَعُ وَيَلْمَبُ﴾<sup>(٣)</sup> وذكر وجوها، كأنه يذهب إلى أن بعضه أنزل على سبعة أحرف لأكله. وإلى هذا القول - بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، على سبع لغات - ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وأختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس: أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم أنتم وزيد فأكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلغتهم. ذكره البخاري وذكر حديث ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكعبيين، كعب قريش وكعب خزاعة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة. قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

قال القاضي ابن الطيب: معنى قول عثمان: فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه

١. هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاضي أبو بكر الباقلاني.

٢. سورة يوسف: الآية ١٢.

٣. سورة المائدة: الآية ١٢.

وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup> ولم يقل: قرشياً، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول: إنه أراد قريشا من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول: أراد لغة عدنان دون قحطان، أو ربيعة دون مضر، لأن أسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحداً.

وقال ابن عبد البر: قول من قال إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب والله أعلم، لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز. وقال ابن عطية: معنى قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأوضح والأوجز في اللفظ، ألا ترى أن «فطر» معناه عند غير قريش: ابتداء [خلق الشيء وعمله] <sup>(٢)</sup>، فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس، حتى أختصم إليه أعرابيان في بشر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، قال ابن عباس، ففهمت حيثئذ موضع قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقال أيضاً: ما كنت أدرى معنى قوله تعالى: ﴿وَبِنَا أُنشِئْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها: تعال أفاتخك، أي أحاكمك. وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾<sup>(٤)</sup> أي على تنقص لهم. وكذلك أتفق لقطبة بن مالك إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَالنَّخْلِ بِاسْقَاتٍ﴾<sup>(٥)</sup> ذكره مسلم في باب (القراءة في صلاة الفجر) إلى غير ذلك من الأمثلة.

القول الثالث: أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر، قاله قوم، وأحتجوا بقول عثمان. نزل القرآن بلغة مضر، وقالوا: جائز أن يكون منها لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتيم، ومنها لضبة، ومنها لقيس، قالوا: هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب، وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين

١. سورة الزخرف: الآية ٣.

٢. زيادة عن ابن عطية.

٣. سورة الأعراف: الآية ٨٩.

٤. سورة النحل: الآية ٤٧.

٥. سورة ق: الآية ١٠.

يكتبون المصاحف من مضر. وأنكر آخرون أن تكون كلها من مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها، مثل كَشَكَشَة قَيْسٍ وَتَمْتَمَة تَمِيمٍ، فأما كَشَكَشَة قَيْسٍ فإنهم يجعلون كاف المؤنث شيناً، فيقولون في: ﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾<sup>(١)</sup>: جعل ريش تحتش سرياً، وأما تمتمة تميم فيقولون في الناس: النات، وفي أكياس: أكيات. قالوا: وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء.

وقال آخرون: أما إبدال الهمزة عينا وإبدال حروف الحلق بعضها من بعض فمشهور عن الفصحاء، وقد قرأ به الجلة، وأحتجوا بقراءة ابن مسعود: ليسجننه عتي حين، ذكرها أبو داود، ويقول ذى الرمة:

فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا وَجَيْدُكَ جَيْدُهَا  
وَلَوْ نُؤْتِكُ إِلَّا عَنَّا غَيْرُ طَائِلٍ  
يريد إلا أنها.

القول الرابع: ما حكاه صاحب الدلائل عن بعض العلماء، وحكى نحوه القاضى ابن الطيب قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة: منها ما تتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هَنْ أَطَهَّرُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وأطهر، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾<sup>(٣)</sup> ويضيق. ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾<sup>(٤)</sup> وباعد. ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل قوله: ﴿تَنْشِزْهَا﴾<sup>(٥)</sup> ونشزها. ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه: ﴿كَأَلْفَنِينِ السَّمْفُونِشِ﴾<sup>(٦)</sup> وكالصوف المنفوش.

ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلَّحَ مَنضُودٍ﴾<sup>(٧)</sup> وطلع منضود. ومنها بالتقديم والتأخير كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٨)</sup> [سكره] الحق بالموت. ومنها بالزيادة والنقصان، مثل قوله: تسع وتسعون نعجة أنثى، وقوله: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، وقوله: فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم.

٢. سورة هود: الآية ٧٨.

٤. سورة سبأ: الآية ١٩.

٦. سورة القارعة: الآية ٢٩.

٨. سورة ق: الآية ١٩.

١. سورة مريم: الآية ٢٤.

٣. سورة الشعراء: الآية ١٣.

٥. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٧. سورة الواقعة: الآية ٢٩.

القول الخامس: إن المراد بالأحرف السبعة معانى كتاب الله تعالى، وهي أمرٌ ونهى ووعد ووعد وقصص ومجادلة وأمثال. قال ابن عطية. وهذا ضعيف، لأن هذا لا يسمى أحرفاً، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ولا في تغيير شيء من المعانى. وذكر القاضى ابن الطيب في هذا المعنى حديثاً عن النبى ﷺ، ثم قال: ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾<sup>(١)</sup> فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك. وقد قيل: إن المراد بقوله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبعة، لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي.

قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره. وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه، وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر، وكل صحيح. وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما روه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب، وعلى هذا، الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضى أبى بكر بن الطيب والطبرى وغيرهما. قال ابن عطية: ومضت الأعصار والأعصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به لأنه لم يجمع الناس عليه، أما أن المراد منه عن الصحابة رضی الله



عنهم وعن علماء التابعين فلا يعتقد فيه إلا أنهم رووه، وأما ما يؤثر عن أبي السمال<sup>(١)</sup> ومن قارنه فإنه لا يوثق به. قال غيره: أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن، ولا يعمل بها على أنها منه، وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود: فصيام ثلاثة أيام متتابعات. فأما لو صرح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين: النفي والإثبات، وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، ولم يثبت فلا يثبت. والوجه الثاني أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الأحاد.

في ذكر معنى حديث عمر وهشام: قال ابن عطية: أباح الله تعالى لنيبه ﷺ هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل ﷺ في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الوصف، ولم تقع الإباحة في قوله ﷺ: فأقرأوا ما تيسر منه بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته، فأقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً، وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة «الفرقان»، وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما وقد اختلفا: «هكذا أقرأني جبريل»؟ هل ذلك إلا أنه أقرأه مرة بهذه ومرة بهذه؟، وعلى هذا يحمل قول أنس حين قرأ: «إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب قبلاً» فقيل له: إنما تقرأه وأقوم قبلاً. فقال أنس: وأصوب قبلاً، وأقوم قبلاً وأهياً، واحد، فإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup> روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة

١. أبو السمال (بفتح السين وتشديد الميم وباللام): هو قنص بن أبي قنص العدوي البصري. له اختيار في القراءات

شاذ عن العامة. والتصويب عن طبقات القراء. ٢. سورة الحجر: الآية ٩.

«الفرقان» على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فكذت أن أعجل عليه، ثم أمهلت حتى انصرف ثم لبيتته<sup>(١)</sup>، فجنحت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة «الفرقان» على غير ما أقرأتيها! فقال رسول الله ﷺ: أرسله<sup>(٢)</sup> اقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ فقرأت فقال: هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه.

قلت: وفي معنى حديث عمر هذا، مارواه مسلم عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما النبي ﷺ فقرأاً، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى النبي ﷺ ما قد غشيتني، ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً، فقال لي: يا أباي أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة ردذتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام.

قول أبي رضى الله عنه: «فسقط في نفسي» معناه اعترتني حيرة ودهشة، أي أصابته نزعة من الشيطان ليشوش عليه حاله، ويكدر عليه وقته، فإنه عظم عليه من اختلاف القراءات ما ليس عظيماً في نفسه، وإلا فأى شيء يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم ذلك والحمد لله في النسخ الذي هو أعظم، فكيف بالقراءة!

ولما رأى النبي ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر نيهه بأن ضربه في صدره، فأعقب ذلك بأن انشرح صدره وتنور باطنه، حتى آل به الكشف والشرح إلى حالة المعاينة، ولما ظهر له

١. قوله: لبيتته بردائه. أي جمعت ثيابه عند صدره ونحوه ثم جرته.

٢. أرسل الشيء: أطلقه.

قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى ، فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ - حين سأله: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به - قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان . أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة . وسيأتي الكلام عليه في سورة «الأعراف» إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup> .  
قال البغدادي : في كون القرآن نزل على سبعة أحرف، وما قيل في ذلك :

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكادت أساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلبيته بردائه ، قلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال قرأنيها رسول الله ﷺ قلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد قرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت»، ثم قال النبي ﷺ: «اقرأ يا عمر» فقرأت بقراءة التي قرأني فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»<sup>(٢)</sup> .

قوله : «فكادت أساوره في الصلاة» أى أوثبه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت، وقوله : «فلبيته بردائه» هو بتشديد الباء الأولى ومعناه أخذت بمجامع ردايه في عنقه وجذبه به مأخوذ من اللبة، وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوزه العربية، وأما أمر النبي ﷺ عمر بإرساله فلأنه لم يثبت عنده ما يقتضى تعزيره، ولأن عمر إنما نسبه إلى مخالفته في القراءة، والنبي ﷺ كان يعلم من جواز القراءة ووجوبها مالا يعلمه عمر، ولأنه إذا قرأ وهو ملب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق .

١. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٤١-٤٩.

٢. وقد نقل النيشابورى هذه الرواية في غرائب القرآن ج ١ ص ١٠.

قوله : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه»، قال العلماء : سبب إنزاله على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل، واختلفوا في المراد بسبعة أحرف، فقيل : هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر، وقال الأكثرون : هو حصر العدد في سبعة أحرف، ثم قيل : هي في سبعة من المعاني : كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي ، وقيل : هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ومدوقصر وإمالة ، لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيفسر الله تعالى عليهم ليقرا كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه .

وقال أبو عبيدة : هي سبع لغات من لغات العرب تميمها ومعدها وهي أفصح العرب لغات وأعلاها ، وقيل : هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن، وقيل : السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة، وقيل : بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى : وعبد الطاغوت، وترتع ونلعب، وباعديين أسفارنا، وبعباب بنيس وقيل : هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث ؛ لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي ﷺ وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف، وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً؛ وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة . فأما من قال : إن المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض ؛ لأن النبي ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد تقر إجماع المسلمين على أنه يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام، وقول من قال : إن المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا ، وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) . عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «أقراني جبريل على حرف فراجعتة فزادني ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف ، معنى الحديث : لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عز وجل الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل

فيزيده حتى انتهى إلى السبعة .

عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ ، فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسى من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيتنى ضرب في صدري، ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال لي : يا أباي أرسل إلى أن اقرأ على حرف واحد، فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية أن اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها؛ فقلت : اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى وأخرت الثالثة ليوم ترغب إلى الناس كلهم حتى إبراهيم . قوله : «فسقط في نفسى من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية» معناه : وسوس لى الشيطان تكذيباً للنبوة أشد ما كنت عليه في الجاهلية؛ لأنه كان في الجاهلية غافلاً ومشككاً فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب . وقيل معناه : أنه اعترته حيرة ودهشة ونزع الشيطان فى قلبه تكذيباً لم يعتقده ، وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها الإنسان لا يؤاخذ بها ، وقوله : «ضرب في صدري ففضت عرقاً» قال القاضى عياض : ضربه ﷺ في صدره تثبيتاً له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قوله : «وكانما أنظر إلى الله تعالى فرقا» الفرق بالتحريك الخوف والخشية . والمعنى : أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر . قوله تعالى : ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها « معناه : مسئلة مجابة قطعاً ، وأما باقى الدعوات فمرجوة الإجابة وليست قطعية الإجابة والله أعلم .

روى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « إن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه - ويروى لكل حرف منه - ظهر وبطن ولكل حد مطلع » . قيل في معناه : الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله . وقيل في معناه : الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خير وفي الباطن عظة . وقيل : الظهر التلاوة باللسان كما أنزل

والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب، فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض، وقوله: «ولكل حد مطلع» معناه: مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. وقيل: المطلع: الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره، وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قال النيشابوري: السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن في قوله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع»، عند أكثر العلماء أنها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد، بل هي متفقة المعنى، وغير جائز عندهم أن يكون في القرآن لغة لا تعرفها قريش، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، وذلك أن قريشاً تجاور البيت، وكانت أحياء العرب تأتي إليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة أحسنها. فصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم. ومما يدل على أن السبعة الأحرف هي سبع لغات متفقة المعنى، ما روي عن ابن سيرين أن ابن مسعود قال: «اقرأوا القرآن على سبعة أحرف وهو كقول أحدكم هلم وتعال وأقبل. وقال بعضهم: إنها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل وأسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا، وقيل سبع لغات من أي لغة كانت من لغات العرب، ومختلفة الألفاظ متفقة المعاني لقوله ﷺ: «إنه قد وسع لي أن أقرىء كل قوم بلغتهم» وقيل معناه أن يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله: (عَفُوراً رَجِيماً، عَزِيزاً حَكِيماً سَمِيعاً بَصِيراً)، لما روي أنه ﷺ قال: «اقرأوا القرآن على سبعة أحرف ما لم تختموا مغفرة بعداب أو عذاباً بمغفرة أو جنة بنار أو ناراً بجنة»، وقيل: إن لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل، لأنه لو جاء في كلمة أكثر من سبع قراءات جاز أن يقرأ بها. وعن مالك بن أنس أنه كان يذهب في معنى السبعة الأحرف إلى أنه كالجمع والتوحيد في مثل: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾<sup>(٣)</sup> وكلمات ربك، وكالتذكير، والتأنيث في مثل: (لَا يُقْبَلُ) ولا تقبل،

٢. سورة إبراهيم: الآية ٤.

١. لهاب التأويل (خازن) ج ١ ص ٨-١٠.

٢. سورة الانعام: الآية ١١٥.

وكوجوه الإعراب في مثل ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> وغير الله، وكوجوه التصريف في مثل (يعرشون) ويعرشون، وكاختلاف الأدوات في مثل قوله ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> بالتشديد ونصب ما بعدها، وبالتخفيف والرفع، وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو (تعلمون) بالتاء والياء، (وننشرها) بالراء والزاي، وكالتخفيف والتفخيم، والإمالة والمد والقصر والهمز وتركه، والإظهار والإدغام ونحوها. وذهب جماعة إلى حملها على المعاني والأحكام التي ينتظمهما القرآن دون الألفاظ من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وأمر ونهى، ومواعظ وأمثال، واحتجاج وغير ذلك. واستبعده المحققون من قبل: أن الأخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على أن اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى. قال بعض العلماء: إني تدبرت الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص، ويجمع ذلك نزل القرآن.

الوجه الأول: إبدال لفظ كالحوت بالسّمك وبالعكس: ﴿ وَكَأَلَيْهِنَّ الْمَتْفُوشِ ﴾<sup>(٣)</sup> قرأها ابن مسعود كالصوف المنفوش. الثاني: إبدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه. الثالث: تقديم وتأخير، إما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد، وإما في الحروف نحو: ﴿ أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>، وأفلم يابس. الرابع: زيادة حرف أو نقصانه نحو: ﴿ مَالِيهِ ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿ سُلْطَانِيهِ ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ ﴾<sup>(٧)</sup>. الخامس: اختلاف حركات البناء نحو: ﴿ تحسبن ﴾<sup>(٨)</sup> بفتح السين وكسرها. السادس: اختلاف الإعراب نحو: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾<sup>(٩)</sup> وقرأ ابن مسعود بشر بالرفع. السابع: التفخيم والإمالة، وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة، والتفخيم أعلى وأشهر عند فصحاء العرب، فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه، ليعلم بذلك أن من زل عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذر عليه ترك عاداته

١. سورة البقرة: الآية ١٠٢.  
٢. سورة الزعد: الآية ٣٦.  
٣. سورة الحاقة: الآية ٢٩.  
٤. سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

١. سورة فاطر: الآية ٣.  
٢. سورة الفارعة: الآية ٥.  
٣. سورة الحاقة: الآية ٢٨.  
٤. سورة هود: الآية ١٠٩.  
٥. سورة يوسف: الآية ٣٦.

فخرج إلى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه، وكل هذا فيما إذا لم تختلف فيه المعاني.

فإن قيل: فما قولكم في القراءات التي تختلف بها المعاني؟ قلنا: إنها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الأحرف، وليس يجوز أن يكون فيما أنزل الله من الألفاظ التي تختلف معانيها ما يجرى اختلافها مجرى التضاد والتناقض، لكن مجرى التباين الذي لا تضاد فيه.

ثم إنها تتجه على وجوه: فمنها أن يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة قوله: ﴿وَأَزْجَلِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> بالجر والنصب جميعا، وإحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والأخرى فرض الغسل، وقد بينهما رسول الله ﷺ، فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل الحاسر الرجل، وهذا الضرب هو الذي لا تجوز قراءته إلا إذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه، وليس يعذر من زل في مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع إلى الاستغفار، وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الأمرين بمنزلة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾<sup>(٢)</sup> مِنَ الطُّهْرِ وَ: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ مشددة الطاء من التطهر، فإن القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما، وذلك أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال، ولا تجوز القراءة في أمثال هذه إلا بالنقل الظاهر، ومن زل في مثله إلى ما يقتضى أمرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ به لم يلزمه فيه حرج كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا﴾<sup>(٣)</sup> لو صحفه أحد فقراءه الربا بالراء والباء من الربا في المال فإنه منهي عنه كالزنا، فإن كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك، وأما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله، والنسخ ليس من هذا القبيل، لأن اتحاد الزمان شرط التنافي، وعند ورود النسخ ينتهي المنسوخ ويتبين أن في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا إلى ورود النسخ، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٢.  
٤. غرائب القرآن ج ١ ص ٢٤-٢٦.

١. سورة المائدة: الآية ٦.  
٣. سورة الاسراء: الآية ٣٢.



قال الثعالبي : « واختلف الناس في معنى قوله ﷺ : « انزل القرآن على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه »، ثم قال ابن عطية - بعد كلام - : والذي مال إليه كثير من اهل العلم كابي عبيد وغيره ان معنى الحديث انه... انظر المحرر الوجيز<sup>(١)</sup> .

قال الآلوسي : في بيان المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن أقول: روى واحد وعشرون صحابياً<sup>(٢)</sup> حديث نزول القرآن على سبعة أحرف حتى نص أبو عبيدة على تواتره ، وفي مسند أبي يعلى أن عثمان رضي الله عنه قال على المنبر: أذكر الله رجلا سمع النبي ﷺ قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال : وأنا أشهد معهم ، واختلف في معناه على أقوال :  
احداها - انه من المشكل الذي لا يدري لاشتراك الحرف<sup>(٣)</sup> ، وفيه أن مجرد الاشتراك لا يستدعي ذلك اللهم إلا أن يكون بالنظر إلى هذا القائل .

ثانيها - ان المراد التكميل لا حقيقة العدد وقد جروا على تكثير الأحاد بالسبعة والعشرات بالسبعين والمئات بسبعمائة، وسر التسبيع لا يخفى واليه جنح عياض، وفيه مع عدم ظهور معناه ؛ أن حديث أبي كما رواه النسائي : « أن جبريل وميكائيل أتيا نبي ففقد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف »، ونحوه من الأحاديث ، لا سيما حديث أبي بكر الذي في آخره: فنظرت إلى ميكائيل فكت فعملت أنه قد انتهت العدة ، أقوى دليل على إرادة الانحصار، بل في جمع القلة نوع إشارة إلى عدم الكثرة كما لا يخفى .

ثالثها - ان المراد بها سبع قراءات وفيه : أن ذلك لا يوجد في كلمة واحدة إلا نادراً<sup>(٤)</sup> ، والقول : أنه كلمة تقرأ بوجه أو وجهين إلى سبع يشكل عليه ما قرىء على

١. جواهر المسانج ١ ص ١٤-١٦ .

٢. وهم أبي بن كعب وانس وحذيفة وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسلمان بن صيرة وابن عباس وابن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمر بن أبي سلمة وعمر بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو بكر وأبو جهم وأبو سعيد الخدري وأبو طلحة الانصاري وأبو هريرة وأم أيوب اهدمه .

٣. أي لفة بين الكلمة والمعنى والمهمة . قاله ابن سعدان النحوي اهدمه .

٤. مثل ( عبد الطاغوت ) ( ولا تقل لها أف ) اهدمه .

أكثر، اللهم إلا أن يقال: ورد ذلك مورد الغالب وفيه ما لا يخفى، حتى قال السيوطي: «قد ظن كثير من القوم: أن المراد بها القراءات السبع. وهو جهل قبيح فتدبر.

رابعها - أن المراد بها سبعة أوجه من المعانى المتفقة على أنفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، واليه ذهب ابن عيينة وجمع وأيد برواية حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كلها شاف كاف مالم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، وبما حكى: أن ابن مسعود أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ﴾<sup>(١)</sup> فقال الرجل: طعام اليمين، فردها عليه، فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل. وفيه أن ذلك كان رخصة لعسر تلاوته بلفظ واحد على الأيمن، ثم نسخ والألجازات روايته بالمعنى ولذهب التعبد بلفظه ولاتسع الخرق ولفات كثير من الاسرار والاحكام وهذا يستدعى نسخ الحديث وفيه: بعد بل لا قائل به.

خامسها - أن المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق، وفيه: أن ذلك ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى، واللفظ الواحد بهذه الصفات باق على وحدته فليس فيه حينئذ جليل فائدة

سادسها - أن المراد سبعة أصناف وعليه كثيرون ثم اختلفوا في تعيينها، فقيل: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص، وقيل: إظهار الربوبية وإثبات الوجدانية وتعظيم الألوهية والتعبد لله ومجانبة الاشتراك والترغيب في الثواب والترهيب من العقاب. وقيل: أمر ونهى ووعد ووعيد وإباحة وإرشاد واعتبار. وقيل: غير ذلك. والكل محتمل، بل وأضعاف أمثاله إلا أنه لا مستند له ولا وجه للتخصيص.

سابعها - أن المراد سبع لغات، وإليه ذهب ثعلب وأبو عبيد. والأزهري، وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقي. واعترض بأن لغات العرب أكثر. وأجيب: بأن المراد أفصحها وهي لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعه وهوازن وسعد بن بكر. واستنكره ابن قتيبة، قائلًا: لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش بدليل: ﴿وما أرسلنا من رسول

إلا بلسان قومه ﴿١﴾، وعليه يلتزم كون السبع في بطون قريش، وبه جزم أبو علي الأهوازي، وليس المراد: أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل أنها مفارقة فيه، ولعل بعضها أسعد من بعض وأكثر نصيباً. وقيل: السبع في مضر خاصة، لقول عمر: نزل القرآن بلغة مضر، وقال بعضهم: إنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتميم الريباب وأسيد بن خزيمة وقريش، وقيل: أنزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من الفصحاء، ثم أبيع للعرب أن تقرأ بلغاتها دفعاً للمشقة ولما كان فيهم من الحمية، ولم يقع ذلك بالتشهي، بل المرعى فيه السماع من النبي ﷺ، وكيفية نزول القرآن على هذه السبع: أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله ﷺ في كل عرصة بحرف إلى أن تمت. قال السيوطي بعد نقل هذا القول وذكر ما له وما عليه وبعد هذا كله: هو مردود بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات انتهى.

وياليت شعري ادعى أحد من المسلمين أن معنى إنزال القرآن على هذه السبع من لغات هؤلاء العرب؛ أنه أنزل كيفما كان وأنهم هم الذين هذبوه بلغاتهم ورشحوه بكلماتهم بعد الاذن لهم بذلك، فإذا لا تختلف أهل قبيلة واحدة في كلمة ولا يتنازع اثنان منهم فيها أبداً، أم أن الله تعالى شأنه يظهر كلامه في مزايا هذه اللغات على حسب ما فيها من المزايا والنكات. فنزل بها وحيه. وأدأها نبيه ﷺ. ووعاها أصحابه، فكم صحابي هو من قبيلة وعى، كلمة نزلت بلغة قبيلة أخرى وكلاهما من السبع وليس له أن يغير ما وعى بل كثيراً ما يختلف صحابيان من قبيلة في الرواية عن رسول الله ﷺ وكل من روايتهما على غير لغتهما، كل ذلك اتباعاً لما أنزل الله تعالى وتسليماً لما جاء به رسول الله ﷺ، وقد ينفي صحابي غير روايته وينكر رواية غيره وكل ذلك يدل على أن مرجع السبع الرواية لا الدراية، فرد الامام السيوطي لا أدري ماذا أرد منه وما الذي أسكت عنه؟، فها هو بين يديك، فاعمل ما شئت فيه، وسلام الله تعالى عليك، ومما ذكرناه علمت أن القلب يميل إلى هذا السابع فافهم، وقد حققنا بعض الكلام في هذا المقام في كتابنا

الاجوبة العراقية، عن الأسئلة الايرانية فارجع اليه إن أردته والله سبحانه وتعالى أعلم»<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي في الرخصة بقراءة القرآن على سبعة أحرف في العهد النبوي :

ورد عن النبي ﷺ من رواية جمع من الصحابة أنافوا على العشرين - كما في الإبتقان -  
 وعد أبو عبيد الحديث المروى فيه متواتراً<sup>(٢)</sup> : «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» .  
 ومما خرجه رواة الصحاح من طرقه : ما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>  
 وتلميذه هشام بن حكيم بردائه ، وانطلاقه به يقوده إلى رسول الله صلوات الله عليه ،  
 وقوله : يا رسول الله سمعت هشاماً يقرأ على حرف لم تقرئنيه . فاستقرأه ﷺ فقرأ عليه .  
 فقال : «كذلك أنزلت» . ثم استقرأ عمر فقرأ . فقال له ﷺ : «كذلك أنزلت» . ثم قال  
 صلوات الله عليه : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه» ، زيد في  
 رواية : «كلها شاف كاف»<sup>(٤)</sup> ، وفي رواية أم أيوب رضي الله عنها<sup>(٥)</sup> : «أبها قرأت  
 أصبت» ، وصح من رواية أبي بن كعب ، أن النبي ﷺ استزاد جبريل لما قرأه على حرف  
 حتى بلغ سبعة أحرف ، وفي رواية لأبي<sup>(٦)</sup> قال : قال النبي لجبريل ﷺ : «إني بعثت إلى  
 أمة أميين . منهم الغلام والخادم والشيخ الغاني والعجوز» ، فقال جبريل : «فليقرأوا القرآن  
 على سبعة أحرف» . زاد في رواية : «فأبها حرف قرأوا عليه فقد أصابوا» .

١. روح المعاني ج ١ ص ٢٠ - ٢٦ .

٢. من حديث عمر بن الخطاب الطويل الذي أخرجه البخاري في : ٤٤ - كتاب المنصومات ، ٤ - باب كلام المنصوم  
 بعضهم في بعض .

٣. أخرجه البخاري في ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٦ - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف :

٤. أبو داود في : ٨ - كتاب الوتر ، ٢٣ - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث ١٤٧٧ :

عن أبي بن كعب قال : قال النبي ﷺ «يا أيُّ إني أقرئت القرآن فقبل لي : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك  
 الذي معي : على حرفين . فقبل لي : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي : قل : على ثلاثة . قلت : على  
 ثلاثة . حتى بلغ سبعة أحرف . ثم قال : ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سمعاً علياً ، عزيزاً حكماً . ما لم تحتم آية  
 عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب» .

٥. مسند الإمام أحمد ، جزء سادس ، ص ٤٢٣ و ٤٦٢ عن أم أيوب قالت : إن رسول الله ﷺ قال : «نزل القرآن على  
 سبعة أحرف أبها قرأت أجزاءك» .

٦. الترمذي في : ٤٣ - كتاب القراءات ، ٩ - باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف :

عن أبي بن كعب قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل . فقال «يا جبريل . إني بعثت إلى أمة أميين . منهم العجوز والشيخ الكبير  
 والغلام والمجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط» فقال : يا محمد . إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

أخرج ابن جرير عن الأعمش، قال: قرأ أنس هذه الآية: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبٌ قِيلًا﴾<sup>(١)</sup> فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة! إنما هي أقوم. فقال: أقوم وأصوب وأهنا واحد.

وعن شقيق قال: قال عبدالله بن مسعود: إنني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم. وإياكم التنطع. فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال.

وقال ابن سيرين: لا تختلف السبع في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى: هو كقولك: تعال وهلم وأقبل. كذا في ابن جرير.

قال الإمام ابن قتيبة في كتاب المشكل: كان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهذلي يقرأ: (عَتَى حين) يريد (حتى) كذا يلفظ بها ويستعملها، والتميمي يهمز. والقرشى لا يهمز. والآخر يقرأ: «قيل وغيض» باشمام الضم مع الكسر و«بضاعتنا ردت» باشمام الكسر مع الضم.

ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لفته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً. لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين.

قال أبو شامة: معنى قول كثير من الصحابة والتابعين: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول، فاقرأوا كما علمتم. هو أن السنة المشار إليها ما ثبتت عن رسول الله ﷺ أنه قرأه، أو أذن فيه على ما صح عنه: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» فلاجل ذلك كثر الاختلاف في القراءة في زمانه وبعده. إلى أن كان ما كان في عهد عثمان وجمعهم على حرف واحد - كما سيأتى بيانه مفصلاً.

معنى السبع في حديث «أنزل على سبعة أحرف»:

ليس المراد بالسبع حقيقة العدد المعلوم، بل كثرة الأوجه التي تقرأ بها الكلمة، على

سبيل التيسير والتسهيل والسعة . ولفظ السبعة يطلق على الكثرة في الأحاد ، كما يطلق السبعون في العشرات ، والسبعمائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين . كذا في الإتيان . وحمل بعضهم العدد على ألسن سبعة . وحمل ابن قتيبة وغيره العدد المذكور في الحديث على الوجوه التي يقع بها التغيرات . كتغير الحركة مع بقاء المعنى والصورة . وتغير الفعل ماضياً أو أمراً . وتغير بإعجام حرف أو إهماله . وتغير بإبدال حرف قريب من مخرج حرف آخر . وتغير بالتقديم والتأخير ، وتغير بزيادة كلمة أو نقصانها ، وتغير بإبدال كلمة بكلمة ترادفها .

والأظهر ما ذكرنا من إرادة الكثرة من السبعة ، لا التحديد . فيشمل ما ذكره ابن قتيبة وغيره من تغير بإدغام أو إظهار أو تفخيم أو إسقام أو غيرها .

وقال ابن جرير : فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن ؟ وأي الألسن هي من ألسن العرب ؟ قلنا : أما الألسن التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا إلى معرفتها . لأننا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب المتقدمة - يعنى في كلامه من سبب الاقتصار على حرف واحد كما ستراه قريباً - وقد قيل : إن خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة . وروى ذلك عن ابن عباس . وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله .

قال ابن جرير : العجز من هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف . ثم قال ابن جرير :

أما معنى قول النبي ﷺ : إذا ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف : «إن كلها شاف كاف» ، فإنه كما قال جل ثناؤه في وصفه القرآن : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْهِبَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، شفاء يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته ، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ماعده من المواعظ ببيان آياته .

وقال الإمام أبو شامة : إن القرآن نزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب

الفصحاء ، ثم أبيع للعرب أن تقرأه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب . قال الطحاوي : إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد . لعدم علمهم بالكتابة والضبط ، وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة والحفظ اهـ . يعنى بالنسخ ما أقره عثمان في المصاحف التي كتبها .

### معنى الأحرف في الحديث :

قال الداني : الأحرف : الأوجه . أي إن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات . لأن الأحرف جمع في القليل . كفلس وأفلس . والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآية . فالمراد بالحرف الوجه . أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية . فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله . وإذا تغيرت عليه وامتنحه الله بالشدة والضرب ترك العبادة وكفر . فهذا عبد الله على وجه واحد . فلهذا سمي النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات ، أحرفاً . على معنى أن كل شئ ، منها وجه . وذكر الإمام ابن جرير في قول ابن مسعود : من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره - أنه عنى ، أن من قرأ بحرفه ، وحرفه قراءته قال : وكذلك تقول العرب لقراءة رجل : حرف فلان . وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة : حرف . كما تقول لقصيدة من قصائد الشاعر : كلمة فلان اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تحقيق أن المراد بالحرف الكلمة ، فيما نقله عنه الحافظ ابن الجزرى ، في أواخر النشر ، ما مثاله : واما تسمية الاسم وحده كلمة والفعل وحده كلمة والحرف وحده كلمة مثل : هل وبب فهذا اصطلاح محض لبعض النحاة . ليس هذا من لغة العرب أصلاً . وإنما سمي العرب هذه المفردات حروفاً . ومنه قول النبي ﷺ <sup>(٢)</sup> : «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات . أما إنى لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» . والذي عليه محققو العلماء أن المراد بالحرف

١-سورة الحج: الآية ١١ .

٢-الدارمى في: ٢٣-كتاب فضائل القرآن .١-باب فضل من قرأ القرآن .

الاسم وحده، والفعل وحده، وحرف المعنى وحده. لقوله: ألف حرف، وهذه اسم. ولهذا، لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد فقالوا: زاي. فقال: نطقتم بالاسم. وإنما الحرف زه اهـ. (١)

قال القاسمي في اقتصار عثمان، في جمعه، على الحرف المتواتر:

قال ابن الجزري في النشر: لما كان في حدود سنة ثلاثين من الهجرة، في خلافة عثمان رضي الله عنه، حضر حذيفة بن اليمان فتح إرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن. ويقول أحدهم: قراءتي أصح من قراءتك. فأقرعه ذلك. وقدم على عثمان وأشار إليه بأن يتدارك هذا الأمر. فأمر بالصحف الموجودة أن تنسخ في المصاحف. وأشار أن يكتب بلسان قريش؛ لأنه أنزل بلسانهم. فكتب منها عدة مصاحف. فوجه منها إلى مكة واليمن والبحرين والبصرة والكوفة والشام. وترك بالمدينة مصحفاً. وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال: له الإمام، وأجمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى. مما كان مأذوناً فيه، توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وقال الحارث المحاسبي: إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات. فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن. فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق.

وقال ابن التين: اقتصر عثمان، من سائر اللغات، على لغة قريش. محتجاً بأنه نزل بلغتهم. وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر. فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت. فاقصر على لغة واحدة.

وقال القاضي أبو بكر، في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم،



والغاء ما ليس كذلك . وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أنبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته ، كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة ، على ما يأتي بعد .

ينتج من ذلك مسألة وهى : هل الأحرف السبعة موجودة فى المصحف اليوم ؟ جوابه ما قاله ابن جرير : إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم . وإنما أخبرنا أن معنى قول النبى ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » على ما نحو ما جاءت به الأخبار التى تقدم ذكرناها ( يعنى عن ابن مسعود وغيره ) .

ثم قال ابن جرير :

فإن قال : فما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة وقد أقرهن رسول الله ﷺ أصحابه ، وأمر بقراءتهن . وأنزلهن الله من عنده على نبيه ﷺ : أنسخت فرقت ؟ فما الدلالة على نسخها ورفعها ؟ أم نسيتهن الأمة ؟ فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه . أم ما القصة فى ذلك ؟ قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الأمة ، وهى مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن . وخيرت فى قراءته وحفظه بأى تلك الأحرف السبعة شاءت . كما أمرت ، إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة ، أن تكفر بأى الكفارات الثلاث شاءت . إما بعق أو إطعام ، أو كسوة . فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأى الثلاث شاء المكفر ، كانت مصيبة حكم الله ، مؤدية فى ذلك ، الواجب عليها من حق الله . فكذلك الأمة . أمرت بحفظ القرآن وقراءته . وخيرت فى قراءته بأى الأحرف السبعة شاءت ، فرأت ، لعل من العلل أو جبت عليها الثبات على حرف واحد ، قراءته بحرف واحد . ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية . ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له فى قراءته به اهد يعنى ممن كان فى عهد النبوة متلقيا لذلك من الحضرة النبوية .

ثم قال ابن جرير :

لما جمع إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ على تلاوة القرآن بحرف واحد فى مصحف واحد ، رأت الأمة أن فيما فعل الرشد والهداية ، فتركت

القراءة بالأحرف الستة حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها. وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالأحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عدها من الأحرف الستة الباقية. فإن قال بعض من ضعفت معرفته: كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها الرسول صلوات الله عليه وأمرهم بقراءتها؟

قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة، لأن القراءة بها، لو كانت فرضاً عليهم، لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة، عند من تقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قراءة الأمة. وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين، بعد أن يكون في نقله القرآن من الأمة من تجيب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة.

وإذ كان ذلك كذلك، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع، تاركين ما كان عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذ كان الذي فعلوا من ذلك، كأن كان هو النظر للإسلام وأهله. فكان القيام بفعل الواجب عليهم، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة، من ذلك. أي: من الجناية على الإسلام»<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي في بيان أن اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه ونحوه ليس من السبعة الأحرف:

«قال ابن جرير: وأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة.. فمن معنى قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف» بمعزل. لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن - مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر الممارى به، في

قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه ، وتظاهرت عنه بذلك الرواية <sup>(١)</sup> .

قال عبد القادر :

« قالوا : ومعنى قوله ﷺ سبعة أحرف أي سبعة وجوه ، قال أبو عبيدة وغيره من الصحابة الكرام هي سبع لغات من العرب : ١ تميم ، ٢ ومعد ، ٣ ومضر ، ٤ وقريش ، ٥ وهوازن ، ٦ وهذيل ، ٧ وحمير أهل اليمن ، وقد جاءت متفرقة في القرآن العظيم الذي جاء بأحسن لغات قريش التي ذابت فيها لغات فرق العرب الآخرين ، فمن ذلك : ﴿ أنظرونا ﴾ <sup>(٢)</sup> فهي بمعنى أمهلونا وأخرونا وأرقبونا ، ومنه ﴿ مشوا فيه ﴾ <sup>(٣)</sup> فهو بمعنى مروا فيه وزادوا وذهبوا وسعوا وغيرها من لغات العرب ، لكن ما جاء في القرآن أبلغ معنى وأعظم إعجازاً ، ومنها ما جاء في القرآن من المد والقصر والإمالة والإشمام والإدغام وغيرها ، أحسن في الأداء وأتم في النظم من الكلمات العارية عنها في اللغات الأخرى ، وانظر إلى كلمة (هلم) التي هي بمعنى أقبل وتعال وإلي وقصدي ونحوي وقربي ، هل لهذه الكلمات التي بمعناها في اللغات الأخرى مكانتها من الحسن في اللفظ والمعنى ، كلاً ، وقس على ذلك .

وتوجد أقوال أخرى في معناها ، أعرضت عنها لعدم الثبوت من صحتها . والصحيح أنها قراءات سبع استفاضت عن حضرة الرسول الأعظم ، وضبطها عنه أصحابه وأثبتت في الصحف ، ثم في المصاحف على الوجه المار ذكره ، يؤيد هذا ، الحديثان الصحيحان المنوه بهما أعلاه ، والحكم الشرعي في ذلك جواز القراءات السبع المتداولة لمن يتقنها ويحسن قراءتها ، بالوقوف على أصولها والتلقي من أربابها العارفين بها ، فيقرأ كل بحسب لغته وما تيسر على لسانه مما تلقاه في هذه القراءات توسعة وتسهيلاً لهم ، وتحسيناً للفظ وتلذذاً للسمع وجودة النظم ، فتزداد القراءة رونقاً ويزداد السامع رغبة :

كلام قديم لا يمل سماعه  
تسره عن قول وفعل ونية  
به أشتفي من كل داء ونوره  
دليل لقلبي عند جهلي وحيرتي

٢. سورة الحديد: الآية ١٣.

١. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٩٤.

٣. سورة البقرة: الآية ٢٠.

فسياربٌ مستعني بسر حروفه  
ونور به قلبي وسمعي ومنهجتي

أجب اللهم دعانا بكرمك يا مولانا<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور: «وهذا يبين لنا أن اختلاف القراءات قد ثبت عن النبي ﷺ كما ورد في حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام. «ففي صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ في الصلاة سورة الفرقان في - حياة رسول الله - فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله، فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليبته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت فإن رسول الله أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله: أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: كذلك أنزلت، ثم قال: أقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه اهـ.

وفي الحديث إشكال، وللعلماء في معناه أقوال ترجع إلى اعتبارين: أحدهما اعتبار الحديث منسوخاً والآخر اعتباره محكماً.

فأما الذين اعتبروا الحديث منسوخاً وهو رأي جماعة منهم: أبو بكر الباقلاني وابن عبد البر وأبو بكر بن العربي والطحاوي، وينسب إلى ابن عيينة وابن وهب، قالوا: كان ذلك رخصة في صدر الإسلام أباح الله للعرب أن يقرأوا القرآن بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها، ثم نسخ ذلك بحمل الناس على لغة قريش، لأنها التي بها نزل القرآن وزال العذر لكثرة الحفظ وتيسير الكتابة، وقال ابن العربي: دامت الرخصة مدة حياة النبي ﷺ، وظاهر كلامه أن ذلك نسخ بعد وفاة رسول الله ﷺ، فإما نسخ بإجماع الصحابة أو بوصاية من النبي ﷺ، واستدلوا على ذلك بقول عمر: إن القرآن نزل بلسان قريش، وبنييه عبد الله بن مسعود أن يقرأ: «فتول عنهم عتي حين»، وهي لغة هذيل في حنى، ويقول عثمان لكتاب المصاحف: «فإذا اختلفتم في حرف فاكتبوه بلغة قريش فإنما

نزل بلسانهم»، يريد أن لسان قريش هو الغالب على القرآن، أو أراد أنه نزل بما نطقوا به من لغتهم وما غلب على لغتهم من لغات القبائل، إذ كان عكاظ بأرض قريش وكانت مكة مهبط القبائل كلها.

ولهم في تحديد معنى الرخصة بسبعة أحرف، ثلاثة أقوال: الأول أن المراد بالأحرف الكلمات المترادفة للمعنى الواحد، أي أنزل بتخيير قارئه أن يقرأه باللفظ الذي يحضره من المرادفات تسهيلاً عليهم حتى يحيطوا بالمعنى. وعلى هذا الجواب، فقيل: المراد بالسبعة حقيقة العدد وهو قول الجمهور، فيكون تحديداً للرخصة بأن لا يتجاوز سبعة مرادفات أو سبع لهجات أي من سبع لغات، إذ لا يستقيم غير ذلك؛ لأنه لا يتأتى في كلمة من القرآن أن يكون لها ستة مرادفات أصلاً، ولا في كلمة أن يكون فيها سبع لهجات إلا كلمات قليلة مثل -أف- وجبريل -وأرجه- وقد اختلفوا في تعيين اللغات السبع.

فقال أبو عبيدة وابن عطية وأبو حاتم والباقلاني: هي من عموم لغات العرب وهم: قريش، وهذيل، وتيم الرباب، والأزد، وربيعة، وهوازن وسعد بن بكر من هوازن، وبعضهم يعد قريشا وبنى دارم والغُليا من هوازن، وهم: سعد بن بكر، جُشم بن بكر، ونصر بن معاوية، ونقيف، قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عُليا هوازن وسفلى تميم، وهم بنو دارم.

وبعضهم يعد خزاعة ويطرح تميما، وقال أبو علي الأهوازي، وابن عبد البر وابن قتيبة: هي لغات قبائل من مضر وهم: قريش، وهذيل، وكنانة، وقيس، وضبة، وتيم الرباب، وأسدي بن خزيمة، وكلها من مضر.

القول الثاني: لجماعة منهم عياض: أن العدد غير مراد به حقيقته، بل هو كناية عن التعدد والتوسع، وكذلك المرادفات ولو من لغة واحدة، كقوله: ﴿كالمهن المنفوش﴾<sup>(١)</sup> - وقرأ ابن مسعود: كالصوف المنفوش، وقرأ أبي - كلما أضاء لهم مشوا فيه - مروا فيه - سعوا فيه، وقرأ ابن مسعود: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾<sup>(٢)</sup> - أخرونا - أمهلونا، وأقرأ ابن

٢. سورة الحديد: الآية ١٣.

١. سورة الفاتحة: الآية ٥.

مسعود رجلاً: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾<sup>(١)</sup>، فقال الرجل: طعام اليتيم، فأعاد له فلم يستطع أن يقول: الأثيم، فقال له ابن مسعود: أنتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟ قال نعم، قال فاقراً كذلك، وقد اختلف عمر وهشام بن حكيم ولقتهما واحدة.

القول الثالث: أن المراد التوسعة في نحو كان الله سميعاً عليماً أن يقرأ عليماً حكيماً ما لم يخرج عن المناسبة، كذكره عقب آية عذاب أن يقول: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾<sup>(٢)</sup> أو عكسه، وإلى هذا ذهب ابن عبد البر.

وأما الذين اعتبروا الحديث محكماً غير منسوخ فقد ذهبوا في تأويله مذاهب: فقال جماعة منهم: البيهقي وأبو الفضل الرازي: أن المراد من الأحرف أنواع أغراض القرآن كالأمر والنهي، والحلال والحرام. أو أنواع كلامه كالخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز. أو أنواع دلالاته كالعموم والخصوص، والظاهر والمؤول. ولا يخفى أن كل ذلك لا يناسب سياق الحديث على اختلاف رواياته من قصد التوسعة والرخصة. وقد تكلف هؤلاء حصر ما زعموه من الأغراض ونحوها في سبعة ذكروا كلاماً لا يسلم من النقص.

وذهب جماعة منهم: أبو عبيد وثعلب والأزهري وعزى لابن عباس: أن المراد؛ أنه أنزل مشتقاً على سبع لغات من لغات العرب مبثوثة في آيات القرآن لكن لا على تخيير القارىء، وذهبوا في تعيينها إلى نحو ما ذهب إليه القائلون بالنسخ، إلا أن الخلاف بين الفريقين في: أن الأولين ذهبوا إلى تخيير القارىء في الكلمة الواحدة، وهؤلاء أرادوا: أن القرآن مبثوثة فيه كلمات من تلك اللغات، لكن على وجه التعيين لا على وجه التخيير، وهذا كما قال أبو هريرة: ما سمعت السكين إلا في قوله تعالى: ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا﴾<sup>(٣)</sup> ما كنا نقول إلا المذبية<sup>(٤)</sup>، وفي البخاري إلا من النبي في قصة حكم سليمان بين المرأتين من قول سليمان: «أيتوني بالسكين أقطعها بينكما»، وهذا الجواب لا يلاقي مساق الحديث من التوسعة، ولا يستقيم من جهة العدد؛ لأن المحققين ذكروا أن في القرآن كلمات كثيرة من لغات قبائل العرب، وأنهاها السيوطي نقلاً عن أبي بكر الواسطي

٢. سورة النساء: الآية ٩٦.

١. سورة الدخان: الآية ٤٣.

٣. سورة يوسف: الآية ٣١.

٤. رواه ابن وهب عن مالك، وهو في أحاديث ابن وهب عنه في جامع التتبية.

إلى خمسين لغة.

وذهب جماعة أن المراد من الأحرف؛ لهجات العرب في كفيات النطق كالفتح والإمالة، والمد والقصر، والهمز والتخفيف، على معنى أن ذلك رخصة للعرب مع المحافظة على كلمات القرآن، وهذا أحسن الأجوبة لمن تقدمنا، وهناك أجوبة ضعيفة لا ينبغي للعالم التعرّيج عليها، وقد أنهى بعضهم جملة الأجوبة إلى خمسة وثلاثين جواباً.

وعندي: أنه إن كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن إفصاح راويه عن مقصد عمر فيما حدث به، بأن لا يكون مروياً بالمعنى مع إخلال بالمقصود؛ أنه يحتمل أن يرجع إلى ترتيب أى السور بأن يكون هشام قرأ سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرأ به عمر، فتكون تلك رخصة لهم في أن يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة، وقد ذكر الباقلائي احتمال أن يكون ترتيب السور من اجتهاد الصحابة، كما يأتي في المقدمة الثامنة. فعلى رأينا هذا تكون هذه رخصة. ثم لم يزل الناس يتوخون بقراءتهم موافقة قراءة رسول الله ﷺ حتى كان ترتيب المصحف في زمن أبي بكر على نحو العرصة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ، فأجمع الصحابة في عهد أبي بكر على ذلك لعلمهم بزوال موجب الرخصة:

ومن الناس من يظن المراد بالسبع في الحديث ما يطابق القراءات السبع التي اشتهرت بين أهل فن القراءات، وذلك غلط ولم يقله أحد من أهل العلم، وأجمع العلماء على خلافه كما قال أبو شامة، فإن انحصار القراءات في سبع لم يدل عليه دليل، ولكنه أمر حصل إما بدون قصد أو بقصد التيمن بعدد السبعة، أو بقصد إيهاً أن هذه السبعة هي المرادة من الحديث تنويهاً بشأنها بين العامة، ونقل السيوطي عن أبي العباس ابن عمار، أنه قال: لقد فعل جاعل عدد القراءات سبعا ما لا ينبغي، وأشكل به الأمر على العامة، إذ أوهمهم أن هذه السبعة هي المرادة في الحديث، وليت جامعها نقص عن السبعة أو زاد عليها.

قال السيوطي: وقد صنف ابن جبير المكي - وهو قبل ابن مجاهد - كتاباً في

القراءات، فاقصر على خمسة أمة من كل مصر إماما، وإنما اقتصر على ذلك؛ لأن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار كانت إلى خمسة أمصار.

قال ابن العربي في العواصم: أول من جمع القراءات في سبع، ابن مجاهد، غير أنه عد قراءة يعقوب سابعا ثم عوضها بقراءة الكسائي، قال السيوطي - وذلك على رأس الثلاثمائة - : وقد اتفق الأئمة على أن قراءة يعقوب من القراءات الصحيحة مثل بقية السبعة، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة، وإذا قد كان الاختلاف بين القراء سابقاً على تدوين المصحف الإمام في زمن عثمان، وكان هو الداعي لجمع المسلمين على مصحف واحد، تعين: أن الاختلاف لم يكن ناشئا عن الاجتهاد في قراءة ألفاظ المصحف فيما عدا اللهجات<sup>(١)</sup>.

قال الزحيلي في الأحرف السبعة والقراءات السبع :

«روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ما تيسر منه»<sup>(٢)</sup> أي سبعة أوجه، وهو سبع لغات ولهجات من لغات العرب ولهجاتهم، يجوز أن يقرأ بكل لغة منها، وليس المراد: أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه وإنما لا يخرج عنها، فإما أن تكون بلغة قريش، وهو الغالب، وإما أن تكون بلغة قبيلة أخرى، لأنها أفصح، وتلك اللغات التي كانت مشهورة شائعة عذبة اللفظ هي: لغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيع، وهوازن، وسعد بن بكر. وهذا هو الأشهر والراجح.

وفي رأي آخر: المراد بالسبعة: أوجه القراءات القرآنية، فاللفظ القرآني الواحد مهما يتعدد أدائه وتنوع قراءته لا يخرج التباين فيه عن الوجوه السبعة الآتية وهي<sup>(٣)</sup>:

١ - الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في

١. التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٦ - ٥٩.

٢. أخرجه الجماعة: البخاري ومسلم ومالك في الموطأ والترمذي وأبو داود والنسائي جامع الأصول: ج ٣ ص ٣١.

٣. تفسير القرطبي: ج ١ ص ٤٢ - ٤٧، تفسير الطبري: ج ١ ص ٢٣ وما بعدها. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ٢٨ وما بعدها. تاريخ الفقه الإسلامي للسائيس: ص ٢٠ وما بعدها. مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح: ص ١٠١ - ١١٦.



الكتاب ولا يغير معناها، أو يغير معناها، مثل: (فتلقى آدم) قرىء (آدم).

٢- الاختلاف في الحروف، إما بتغير المعنى مثل: (يعلمون وتعلمون)، وإما بتغير الصورة دون المعنى، مثل: (الصراط) و (السرط).

٣- اختلاف أوزان الأسماء في أفرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتأنيتها، مثل: (أماناتهم) و (أمانتهم).

٤- الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة يغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى مثل: ﴿كالمهن المنفوش﴾<sup>(١)</sup> أو (كالصوف المنفوش)، وقد يكون بإبدال حرف بآخر مثل: ﴿نشزها﴾<sup>(٢)</sup> و (نشرها).

٥- الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿فيقتلون ويقتلون﴾<sup>(٣)</sup> قرىء (فيقتلون ويقتلون).

٦- الاختلاف بالزيادة والنقص، مثل: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾<sup>(٤)</sup> قرىء (والذكر والأنثى).

٧- اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة، وقلب بعض الحروف، وإشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات، مثل: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾<sup>(٥)</sup>، و﴿بلى قادين على أن نسوي بسنانه﴾<sup>(٦)</sup> قرىء بإمالة: (أتى)، (وموسى)، (وبلى)، وقوله تعالى: ﴿خبيراً بصيراً﴾<sup>(٧)</sup> بترقيق الراءين، و (الصلاة) و (الطلاق) بتفخيم اللامين. وقوله تعالى: ﴿قد أفلح﴾<sup>(٨)</sup> بترك الهمزة، ونقل حركتها من أول الكلمة الثانية إلى آخر الكلمة الأولى، وهو ما يسمى (تسهيل الهمزة). وقوله تعالى: لقوم يعلمون، نحن نعلم، وتسود وجوه، ألم اعهد، بكسر حروف المضارعة في جميع هذه الأفعال. وقوله تعالى: ﴿حتى

٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٤. سورة الليل: الآية ٣.

٦. سورة القیامة: الآية ٤.

٨. سورة المؤمنون: الآية ٦.

١. سورة القارعة: الآية ٥.

٣. سورة التوبة: الآية ١١١.

٥. سورة طه: الآية ٩.

٧. سورة الاسراء: الآية ٣٠.

حين ﴿<sup>(١)</sup> قرأه الهذليون (عنى عين) بقلب الحاء عينا. وقوله تعالى: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ <sup>(٢)</sup> بإشباع ميم جمع الذكور. وقوله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾ <sup>(٣)</sup> بإشباع ضمة الغين مع الكسر.

والخلاصة: إن الأحرف السبعة: هي اللغات السبع التي اشتملت عليها لغة مضر في القبائل العربية، وليست هي القراءات السبع أو العشر المتواترة المشهورة، فهذه القراءات التي انتشرت كثيرا في عصر التابعين ثم اشتهرت في القرن الرابع بعد ظهور كتاب في القراءات للإمام المقرئ ابن مجاهد، تعتمد على غير الأصل الذي يتعلق بالأحرف السبعة، وتتفرع من حرف واحد من الأحرف السبعة، كما أبان القرطبي.

ثم إن الكلام على الأحرف السبعة أصبح تاريخياً، فقد كانت تلك الأحرف السبعة توسعة في النطق بها على الناس في وقت خاص للضرورة، لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، ثم زال حكم تلك الضرورة، وارتفع حكم تلك الأحرف السبعة، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد، ولم يكتب القرآن إلا بحرف واحد منذ عهد عثمان، مما قد تختلف فيه كتابة الحروف، وهو حرف قريش الذي نزل به القرآن، كما أوضح الطحاوي وابن عبد البر وابن حجر وغيرهم <sup>(٤)</sup>.

قال الخفاجي: «الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش، وهو معظمه، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضاً، وبعضه نزل بلغة هذيل، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتها، وهكذا. ولا يخفى أن القبائل التي نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة؛ لأن في نزول بعضه بلغتها ترخيصاً لها في قراءته جميعه بهذه اللغة، فالذى حصل في زمن أبي بكر رضى الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا، فجعل كل آية بجوار صاحبها طبقاً للمحفوظ عن رسول الله ﷺ بدون زيادة ولا نقص، فجعل كل سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاءً بترتيبه في صدور الحفاظ، على أنه لم يغير شيئا من المكتوب بل أبقاءه على حاله، وأما عثمان رضى الله عنه

١. سورة يوسف: الآية ٣٥.

٢. سورة الفتح: الآية ٦.

٣. سورة هود: الآية ٤٤.

٤. المنبرج ١ ص ٢٦-٢٨.

فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ .

فالأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد النبي ﷺ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل ، ولم يوجد منها شيء في مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش<sup>(١)</sup> .

قال الخفاجي : «وبعد فقبايل العرب التي نزل القرآن بلهجاتها هي :

قريش - سعد - ثقيف - خزاعة - هذيل - كنانة - أسد - ضبة - قيس - وأحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش ، واصبح القرآن يقرأ بلغة قريش»<sup>(٢)</sup> .

قال المدرس في نزول القرآن على سبعة أحرف ودليله وبيان معناه : أما دليله، فهو النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة . وقد روي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كثير من الصحابة . منهم : عمر ، وعثمان . وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وأبو بكر ، وأبو جهم ، وأبو سعيد الخدري ، وابن طلحة الأنصاري ، وأبي بن كعب ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلمان بن صرد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأنس ، وحذيفة ، وأم أيوب - امرأة أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنهم أجمعين - فهؤلاء جميعا رووا حديث نزول القرآن على سبعة أحرف .

وروى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير : أن عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - قال يوما - وهو على المنبر - : أذكر الله رجلا سمع النبي ﷺ قال : «ان القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام . فقاموا حتى لم يحصوا . فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : «أنزل القرآن على سبعة حروف كلها شاف كاف» . فقال عثمان - رضي الله عنه - : وأنا أشهد معهم .

وكانت هذه الجموع التي يؤمن تواطؤها على الكذب هي التي جعلت الامام أبا عبيد ابن سلام ، يقول بتواتر هذا الحديث . أي بالنسبة الى القرن الأول . وهناك طائفة من الأحاديث الشريفة نسوقها استدلالا على ثبوت المضمون المذكور :

١ . تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ٢٠ .

٢ . تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ٢١ .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقراني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في خلال ولا حرام.

وروى البخاري ومسلم أيضاً -واللفظ للبخاري-: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكذت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلم ثم لبيتته بردائه أو بردائي. فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرانيها رسول الله ﷺ أقراني هذه السورة التي سمعتك تقرأها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها. وأنت أقرأتني سورة الفرقان! فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعتها. قال رسول الله ﷺ: هكذا نزلت. ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه».

وروى الترمذي عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة، قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الغاني، والعجوز الكبيرة، والغلام، قال: فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف». قال الترمذي: حسن صحيح.

وأما معنى الحديث الشريف: ففيه نحو خمسة وثلاثين رأياً والمختار منها خمسة: الأول: وهو الذي عليه أكثر أهل العلم، كما في تفسير القرطبي، أن المراد: سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو: أقبل، وتعال، وهلم. قال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكر، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده. فقال: اقرأ على حرفين. فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ إلى سبعة أحرف. فقال: اقرأ. فكل شافٍ كافٍ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب على نحو: هلم، وتعال، وأقبل، واذهب، واسرع، وعجل.

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أنه كان يقرأ: ﴿ للذين آمنوا انظرونا ﴾ للذين آمنوا امهلونا ، للذين آمنوا أخرونا .

قال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام .  
قال الطحاوي : إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم ، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ ، إذ كان المعنى متفقاً ، حتى كثر منهم من يكتب ، وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله ﷺ فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه . فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها .  
فبان بهذا ؛ أن تلك الأحرف السبعة إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد .

القول الثاني : قال قوم : هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها : يمنية ، ونزارها . وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه . ولكنها متفرقة في القرآن . فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن .

القول الثالث : إن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر . وقالوا : جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكتانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل . ومنها لثيم ، ومنها لضبة ، ومنها لقيس .. قالوا : هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب .

القول الرابع : ما حكاه صاحب الدلائل عن بعض العلماء . قال : تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة ، فوجدتها سبعة . منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته . مثل : ﴿ هُنَّ أَطَهَّرْنَ لَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> . و ﴿ أَطَهَّرَ ﴾ . ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل : ﴿ رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ و ﴿ بَاعِدْ ﴾ . ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل : ﴿ ننشزها ﴾ و ﴿ ننشرها ﴾ . ومنها ما تتغير صورته ، ويبقى معناه كـ ﴿ كالعهن المنفوش ﴾ و ﴿ كالصوف المنفوش ﴾ . ومنها ما تتغير صورته ومعناه . مثل : ﴿ وطلح منضود ﴾

و « وطلع منضود ». ومنها بالتقديم والتأخير، كقوله: « وجاءت سكرة الموت بالحق » و « جاءت سكرة الحق بالموت ». ومنها بالزيادة والنقصان، مثل قوله تعالى: ﴿ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ﴾ أي بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ﴾<sup>(١)</sup>.

القول الخامس: إن المراد بالأحرف السبعة: معاني كتاب الله تعالى، وهي أمرٌ ونهيٌ. ووعدٌ ووعيدٌ. وقصصٌ ومجادلةٌ. وأمثالٌ.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً. وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ولا في تغيير شيء من المعاني. وقد قيل: إن المراد: القراءات السبع التي قرأ بها القراء. لأنها صحت عن رسول الله ﷺ. وهذا ليس بشيء لظهور بطلانها على ما يأتي.

والمختار من بين تلك المعاني؛ أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف نزوله على سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه. وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر. ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن.

فالأحرف بمعنى الأوجه؛ على معنى أن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه مهما كثر ذلك التعدد والتنوع في أداء اللفظ الواحد. ومهما تعددت القراءات وطرقها في الكلمة الواحدة. فكلمة: ﴿ ملك يوم الدين ﴾<sup>(٢)</sup> التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ سبعة أو العشرأ، وكلمة « وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ » التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة، وكلمة « أَفْ » التي أوصل الرماني لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة... كل ذلك لا يخرج التباير فيه على كثرته عن وجوه سبعة.

بقي أن نتساءل: ما هي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما تنوعت وتكثرت في الكلمة الواحدة؟ والذي اختاره المحققون من بين الآراء العديدة في الموضوع هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في اللوائح إذ يقول:

٢. سورة الفاتحة: الآية ٣.

١. سورة الكهف: الآية ٨٠.

الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

الأول: إختلاف الأسماء من أفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير وتأنيث ...

الثاني: إختلاف تصريف الأفعال من: ماضٍ، ومضارع، وأمرٍ.

الثالث: إختلاف وجوه الإعراب .

الرابع: الإختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس: الإختلاف بالتقديم والتأخير .

السادس: الإختلاف بالإبدال .

السابع: إختلاف اللغات ( يعني اللهجات ) كالفتح ، والإمالة ، والشرقيق ، والتفخيم ،

والإظهار ، والإدغام وغير ذلك ... غير أن النقل لم يشفع بتمثيل لما ذكر .

وقال الزرقاني: ويمكن التمثيل للوجه الأول منه ، وهو إختلاف الأسماء بقوله

سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> قرئ هكذا (لأماناتهم) جمعا ،

وقريء (لأمانتهم) بالإفراد .

ويمكن التمثيل للوجه الثاني ، وهو إختلاف تصريف الأفعال ، بقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا

بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> قرئ هكذا بنصب لفظ ربنا ، على أنه منادى . وبلفظ باعد فعل

أمر ، وبعبارة أنسب فعل دعاء . وقريء هكذا: (رَبُّنَا بَعُدْ) برفع ربنا على أنه مبتدأ .

و بلفظ (بَعُدْ) فعلا ماضيا مضعف العين وجملته خبر .

ويمكن التمثيل للوجه الثالث ، وهو إختلاف وجوه الإعراب ، بقوله سبحانه:

﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾<sup>(٣)</sup> قرئ بفتح الراء وضمها . فالفتح على أن لا نهاية فالفعل

مجزوم بعدها . والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثليين ، أما الضم فعلى أن

لا نافية فالفعل مرفوع بعدها .

ويمكن التمثيل للوجه الرابع ، وهو الإختلاف بالنقص والزيادة . بقوله تعالى: ﴿ وَمَا

خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾<sup>(٤)</sup> قرئ بهذا اللفظ ، وقريء أيضا ( والذكر والأنثى ) بنقص كلمة

٢. سورة سبأ: الآية ١٩ .

١. سورة المؤمنون: الآية ٨ .

٤. سورة الليل: الآية ٣ .

٣. سورة البقرة: الآية ٢٨٢ .

( ما خلق ) .

ويمكن التمثيل للوجه الخامس ، وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير . بقوله سبحانه : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقريء : ( وجاءت سكرة الحق بالموت ) .

ويمكن التمثيل للوجه السادس ، وهو الاختلاف بالإبدال ، بقوله سبحانه : ﴿ وانظر إلى المظالم كيف ننشيزها ﴾ <sup>(٢)</sup> بالزاي ، وقريء ( ننشرها ) بالراء .

ويمكن التمثيل للوجه السابع ، وهو اختلاف اللهجات ، بقوله سبحانه : ﴿ وهَلْ أتاك حديثٌ موسى ﴾ <sup>(٣)</sup> تقرأ بالفتح والإمالة في ( أتى ) ولفظ ( موسى ) <sup>(٤)</sup> .

قال المدرس : « ومن الجدير بالإتباء إليه : أن القراءات السبع المعروفة ليست هي الأحرف السبعة التي ذكرناها ، ولكنها ليست خارجة عنها البتة . قال القرطبي في تفسيره : قال كثير من علمائنا ، كالداودي ، وابن أبي صفرة ، وغيرهما : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها ، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف . ذكره ابن النحاس وغيره . وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء . وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى . فالتزمه طريقة ورواه ، وأقرأ به ، واشتهر عنه ، وعرف به ، ونسب إليه . فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره ، بل سوغه وجوزه . وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختيران أو أكثر وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الأعماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة من رواه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات . فاستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب . وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون ، كالقاضي أبي بكر ابن الطيب ، والطبري . وغيرهما ...

قال ابن عطية : ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة . وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع . وأما شاذ القراءات فلا يصلى به لأنه لم يجمع الناس عليه <sup>(٥)</sup> .

٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

٤. مواهب الرحمن ج ١ ص ١٥ - ٢١.

١. سورة ق: الآية ١٩.

٣. سورة طه: الآية ٩.

٥. مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٢ - ٢٣.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## الإمامية والأحرف السبعة

قال العياشي (ره): «عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثم قال: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنُ أَوْ أُسَبِّحْ بِحِسَابِ ﴾ <sup>(١)</sup>». <sup>(٢)</sup>

قال الطوسي (ره): «واعلموا أن العرف من مذهب اصحابنا والشائع من اخبارهم ورواياتهم: ان القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد، غير انهم اجتمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وأن الانسان مخير باي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجويد قراءة بعينها، بل اجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر. وروى المخالفون لنا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف» وفي بعضها: «على سبعة ابواب» وكثرت في ذلك رواياتهم. ولا معنى للتشاغل بايرادها.

واختلفوا في تأويل الخبر، فاختر قوم: ان معناه على سبعة معان؛ أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وجدل، وقصص، وأمثال.

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر،

١. البحار ج ١٩ ص ٢٢ و ٣٠ والبرهان ج ١ ص ٢١-٢٢ وسورة ص: الآية ٣٩.

٢. الماشق ج ١ ص ٢٤.

وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. »  
وروى أبو قلابه عن النبي ﷺ أنه قال: « نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر،  
وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، وأمثال. ».

وقال آخرون: « نزل القرآن على سبعة أحرف. » أي سبع لغات مختلفة، مما لا يغير  
حكماً في تحليل وتحريم، مثل: هلم. ويقال: من لغات مختلفة، ومعانيها مؤتلفة.  
وكانوا مخيرين في أول الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها. ثم أجمعوا على حدها،  
فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما عرضوا عنه.

وقال آخرون: « نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة، لأن القبائل بعضها أفصح  
من بعض » وهو الذي اختاره الطبري.

وقال بعضهم: « هي على سبعة أوجه من اللغات، متفرقة في القرآن، لأنه لا يوجد  
حرف قرئ على سبعة أوجه » (١).

قال الطبرسي (وه): « ... والشائع في أخبارهم: أن القرآن نزل بحرف واحد، وما روته  
العامة عن النبي ﷺ أنه قال: « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » اختلف  
في تأويله، فأجرى قوم لفظ الأحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين.

أحدهما: أن المراد: سبع لغات مما لا يغير حكماً في تحليل ولا تحريم، مثل: هلم  
واقبل وتعال. وكانوا مخيرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها، ثم أجمعوا  
على أحدها وإجماعهم حجة، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما عرضوا عنه.

والآخر: أن المراد: سبعة أوجه من القراءات، وذكر: أن الاختلاف في القراءة على  
سبعة أوجه.

أحدها - إختلاف إعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها  
نحو قوله: ﴿ قِيضَاهُ ﴾ بالرفع والنصب.

والثاني - الإختلاف في الإعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله:  
﴿ إِذْ تَلَقَوْهُ ﴾ وإذا تلقونه.

والثالث - الإختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله: ﴿كيف ننشزها﴾ ونشرها بالزاء والراء.

والرابع - الإختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله: ﴿إن كانت إلا صيحة﴾ والأزقية.

والخامس - الإختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو: ﴿طلع منضود﴾ وطلع.

والسادس - الإختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ وجاءت سكرة الحق بالموت.

والسابع - الإختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله: ﴿وما عملت أيديهم﴾ وما عملت أيديهم.

وقال الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه: هذا الوجه أملح لماروي عنهم عليه السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه، وحمل جماعة من العلماء الأحرف على المعاني والأحكام التي ينتظمها القرآن دون الألفاظ، واختلفت أقوالهم فيها. فمنهم من قال: ﴿إنها وعدٌ ووعدٌ وأمرٌ ونهيٌ وجدلٌ وقصصٌ ومثلٌ﴾.

وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف؛ زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال».

وروى أبو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف؛ أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل».

وقال بعضهم: «ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، ومجمل ومفصل، وتأويل لا يعلمه إلا الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

قال الفيض الكاشاني (ره): في نبد مما جاء في أقسام الآيات واشتمالها على البظون والتأويلات وأنواع اللغات والقراءات، والمعتبرة منها:

«قد اشتهرت الرواية من طريق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نزل القرآن على سبعة

أحرف كلها كاف شاف». وقد ادعى بعضهم تواتر أصل هذا الحديث، إلا أنهم اختلفوا في معناه على ما يقرب من أربعين قولاً. وروى العامة عنه رضي الله عنه أيضاً انه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف؛ أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل». وفي رواية أخرى: «زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال»، والمستفاد من هاتين الروایتين: أن الأحرف إشارة إلى أقسامه وأنواعه.

ويؤيده ما رواه أصحابنا عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام، كل قسم منها كاف شاف وهي: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص».

وروى العامة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله: «أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع».

وفي رواية أخرى: «أن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن».

وربما يستفاد من هاتين الروایتين: أن الأحرف إشارة إلى بطونه وتأويلاته ولا نص فيهما على ذلك، لجواز أن يكون المراد بهما: أن لكل من الأقسام ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً<sup>(١)</sup> إلى سبعة أبطن.

ومن طريق الخاصة ما رواه في الخصال بإسناده عن حماد قال: قلت لأبي عبد الله رضي الله عنه: إن الأحاديث تختلف منكم، قال: فقال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للامام أن يفتي على سبعة وجوه. ثم قال: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا نص في البطون والتأويلات. ورووا في بعض ألفاظ هذا الحديث: «أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا بما تيسر منه».

وفي بعضها قال النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل رضي الله عنه: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني والمعجوز الكبيرة والغلام. قال: فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف».

ومن طريق الخاصة ما رواه في الخصال بإسناده عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني آت من الله عز وجل فقال: إن الله يأمرك

٢. سورة ص: الآية ٣٩.

١. في نسخة: بطن.

أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: يارب وسع على أمتي. فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف».

ويستفاد من هذه الروايات أن المراد بسبعة أحرف: اختلاف اللغات، كما قاله ابن الأثير في نهايته، فإنه قال في الحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف» أراد بالحرف: اللغة، يعني على سبع لغات من لغات العرب أي أنها متفرقة<sup>(١)</sup> في القرآن، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة الهوازن<sup>(٢)</sup> وبعضه بلغة اليمن.

قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود: إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فأقرأوا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم: هلم تعال واقبل.

وقال في مجمع البيان: إن قوما قالوا إن المراد بالأحرف: اللغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم، مثل: هلم تعال واقبل وتعال.

وقالوا: وكانوا مخيرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها، ثم أجمعوا على أحدها وإجماعهم حجة، فصار ما أجمعوا عليه مانعا مما عرضوا عنه.

أقول: والتوفيق بين الروايات كلها أن يقال: إن القرآن سبعة أقسام من الآيات وسبعة بطون لكل آية. ونزل على سبع لغات. وأما حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات، ثم التكلف في تقسيم وجوه القراءات على هذا العدد - كما نقله في مجمع البيان عن بعضهم - فلا وجه له، مع أنه يكذبه ما رواه في الكافي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».

ويأسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: «كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد»، ومعنى هذا الحديث معنى سابقه، والمقصود منهما واحد وهو: أن القراءة الصحيحة واحدة، إلا أنه عليه السلام لما علم أنهم فهموا من الحديث الذي رووه صحة القراءات جميعاً مع اختلافها كذبهم. وعلى هذا فلا تنافي بين هذين الحديثين وشيء

١. في نسخة: مفرقة.

٢. في نسخة: هوازن.

من أحاديث الأحرف أيضاً<sup>(١)</sup>.

قال البحراني (ره) : « ١ - عن حماد بن عثمان ، قال : قلت : لابي عبد الله عليه السلام : ان الاحاديث تختلف عنكم ، قال : فقال : « ان القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى للامام ان يفتى على سبعة وجوه ، ثم قال : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ - محمد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشا ، عن جميل بن دراج ، عن محمد بن مسلم ، عن زرارة ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : « ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة .

٣ - وعنه ، عن على بن ابراهيم ، عن ابن ابي عمير ، عن عمر بن اذينة ، عن الفضيل<sup>(٣)</sup> بن يسار قال : قلت : لابي عبد الله عليه السلام : ان الناس يقولون : ان القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال : « كذبوا اعداء الله ولكنه نزل على حرف واحدة من عند الواحد .  
ومن طريق الجمهور ؛

٤ - من كتاب حلية الاولياء يرفعه الى عبد الله بن مسعود ، انه قال : القرآن نزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف الأوله ظهر ويطن . إن على بن ابي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن<sup>(٤)</sup> .

قال الجنابذي في تحقيق ان القرآن ذو وجوه :

« روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه ، وهذا الخبر كالقرآن ذو وجوه ، وهو مراد بكل الوجوه ، فان القرآن يجوز ان يكون ذا وجوه بحسب مواد الفاظه او هيئاتها وتصريفها او اعرابها وتركيبها وسيجيء تحقيق ذلك في الفصل الآتي ، ويجوز ان يكون ذا وجوه بحسب دلالة الفاظه ومصاديقها . وهذه الدلالة وكثرة المصاديق ؛

اما ان تكون في الطول : بمعنى ان كل لفظ من القرآن يدل على مفهوم واحد ، له مصاديق بحسب النشآت الطولية ، يكون كل عال من المصاديق مع الداني بمنزلة الروح

١ . الصافي ج ١ ص ٥٩ - ٦١ .

٢ . سورة ص : الآية ٣٩ .

٣ . البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٦ .

٤ . في نسخة : الفضل .

والجسد ومُتحدداً معه اتحاد الرّوح مع الجسد، وهذا هو معنى التنزيل والتأويل والظهور والبطن، وقد مضى: أنّ القرآن له مصاديق متعددة بحسب النشآت، وإن مصاديقه الطبيعيّة ظهوره وتنزيله، ومصاديقه الرّوحانية بطونه وتأويله، فهذا الوجه جارٍ في القرآن ومراد من هذا الخير.

وأما أن تكون في العرض: بمعنى أنّ كلاً من المصاديق يكون مغايراً للآخر ومقابلاً له لا مُتحدداً معه وروحاً له مثل لفظ يزكّي في قوله تعالى: ﴿بل الله يزكّي من يشاء﴾<sup>(١)</sup>، فإنّه يجوز أن يكون بمعنى ينمي ويطهر ويخرج الزكاة وينمّ ويطهر النماء أو الطهارة أو الثنم، والقرآن يكون ذا وجوه بهذا المعنى أيضاً، فإنّه ورد في الاخبار تفسير الآيات بالمعاني المتخالفة المتغايرة، بل المتضادة، مثل تفسير الأمانة في قوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان﴾<sup>(٢)</sup>، فإنّها فسرت بمطلق التّكليف وبالصّلاة مخصوصة، وبالولاية وبخلافة علي بن ابي طالب عليه السلام، وبالخلافة الظاهرية وبشهادة الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ولا شك أنّ الخلافة الظاهرية والوصاية مغايرتان معاً وهما مغايرتان للشّهادة، والكلّ مغايرة للتّكليف والصّلاة، ولا شك أنّ الكل كانت مندرجة في لفظ الامانة حين نزوله على محمد صلى الله عليه وآله، والألزم أن يكون تفسيرهم عليهم السلام بغير ما كان مندرجاً في اللفظ مراداً منه، ولا امتناع من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى من اندراج المعاني العديدة في اللفظ الواحد، وسعة المخاطب والمخاطب واحاطتهما بجميع المعاني المحتملة. وجواز اندراجها بالقوّة في اللفظ الواحد يجوز لحاظ الجميع فيه، وهذا الاندراج بنحو عموم الاشتراك أو عموم المجاز أو دخول الجزئيات في المفهوم الكلّي، أو بنحو نحاط الصور العديدة في المرآة الواحدة من غير اعتبار معنى كلّي بنحو عموم الاشتراك والمجاز أو بنحو الوضع للمعنى الكلّي.

فإن اللفظ إذا صح اطلاقه على معان عديدة بنحو الحقيقة والمجاز أو بنحو الاشتراك اللفظي أو الاشتراك المعنوي، جاز للمحيط أن يلاحظ في اللفظ جميع تلك المعاني

٢. سورة الاحزاب: الآية ٧٢.

١. سورة النساء: الآية ٤٩.



بالفعل من غير اعتبار معنى كلى فيه أولاً ثم اعتبار تلك المعانى .

نعم، لا يمكن للمناقص اعتبار معان عديدة متناهية او غير متناهية بالفعل في لفظ واحد من غير اعتبار معنى كلى، يكون هو مناط اعتبار تلك الجزئيات، بل يعتبر معنى كلياً بالفعل تكون تلك الجزئيات معتبرة فيه بالقوة لا بالفعل.

والأخبار المشيرة الى سعة وجوه القرآن كثيرة، مثل ما روى عن النبي ﷺ بطريق العامة: «ان القرآن نزل على سبعة احرف كلها كاف شاف»، وهذا الخبر، كما يجوز حملة على ما روى عنه ﷺ ايضاً انه قال: «نزل القرآن على سبعة احرف؛ أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل»، وما روى في رواية اخرى انه قال: «زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال»، من جعل الاحرف عبارة من أقسام الآيات، يجوز ان يحمل على سعة الوجوه في اللفظ باعتبار اللغات او باعتبار القراءات، ويجوز ان يحمل على سعة الوجوه باعتبار المعانى المتعددة طولاً او عرضاً.

وعن الصادق عليه السلام: أنه قيل له: ان الاحاديث تختلف منكم، فقال: «ان القرآن نزل على سبعة احرف، وادنى ما للامام ان يفتى على سبعة وجوه، ثم قال: ﴿ هذا عطائونا فامنن او أمسك بغير حساب ﴾<sup>(١)</sup>»، وفي هذا الخبر اشعار بان المراد بالاحرف: الوجوه المعتبرة في المعنى بحسب العرض، وانها أكثر من سبعة وادناها السبعة، وان كان يجوز ان يراد به الوجوه اللفظية او المعنوية الطولية، ويجوز ان يراد به الوجوه التكيلفية من: الوجوب والاستحباب والاباحة والكراهة والحرمة والصحة والبطلان من الوجوه المعنوية العرضية. ولفظ الذلول في الخبر الاول؛ يدل على كثرة الوجوه المحتملة العرضية، فإن الذلول معناه: أنه يتقاد وينطبق على اى معنى اريد منه، كالجمل الذلول الذى يتقاد ويناخ كلما انخته .

وقد ورد عنهم عليه السلام في تفسير الآيات اخبار مختلفة بوجوه متخالفة عرضية، لا يمكن حملها على الثبوتية، بل لا بد وان تحمل على صحة التفسير بمعان مختلفة مندرجة في اللفظ باحد الوجوه المذكورة سابقاً، والمراد بالاحسن في قوله: «فاحملوه على احسن

الوجوه؛ الاحسنية الاضافية، فان المخاطبين في هذا الخطاب كل قراء القرآن والمتدبرين فيه، والاحسن الحقيقي بحسب البطون غير ميسر ادراكه لغير الاثمة ﷺ، والاحسن الحقيقي بحسب الوجوه المختلفة من المعاني العرضية غير معلوم لكل احد، ولو كان معلوما لما صح الامر بالحمل عليه في كل مقام، بل يأتي النهى عن الحمل عليه في مقام يقتضى غيره، مثل مقام التقية وغيرها، وكذا الحال في الوجوه المختلفة بحسب اللفظ؛ فانه قد يقتضى المقام النهى عن الاحسن لو كان معلوما اذا كان تقية او يقتضى حال السامع غيره .

مثال النهى عن الحمل على احسن الوجوه بحسب المعنى : آية الوضوء بنصب ﴿ ارجلكم ﴾، فانه يجوز جعله عطفاً على ﴿ وجوهكم ﴾ حتى يدل على غسل الرجل، وعطفاً على محل رؤوسكم حتى يدل على مسحها، والثاني احسن لعدم لزوم الفصل بالاجنبى بين المعطوف والمعطوف عليه، ولموافقة لقراءة جزّ الرجل، لكنّ الحمل عليه والعمل به في مقام التقية يكون حراماً .

ومثال النهى عن الحمل على احسن الوجوه بحسب اللفظ : هذه الآية، فانه قد قريء بالرجل بالجر والنصب، والجر قد عرفت انه احسن القراءتين لعدم لزوم الفصل بالاجنبى حيث يبين المعطوف والمعطوف عليه، لكن قد يقتضى المقام التجنب عن القراءة به، والقراءة بما قرأوا وعلى الاحسنية الاضافية بحمل ماورد عنهم مختلفاً في تفسير الآيات، وهكذا الحال في القراءات المختلفة الواردة عنهم<sup>(١)</sup> .

قال الجنابدى في جواز نزول القرآن بوجوه مختلفة في الفاظه :

«اعلم! ان القرآن نزل به جبرئيل عليه السلام من طريق الباطن على بشرية نبينا ﷺ، لكن من جهة مداركه الاخروية لا من جهة مداركه الدنيوية، والمدارك الدنيوية لضيقها لاسعة لها بان تدرك الا وجهاً واحداً وهيئة واحدة من اللفظ المسموع، واللسان الدنيوى لا يجرى عليه الا وجه واحد من اللفظ، واما اللسان والسمع الاخرويان؛ فيجوز ان يجرى ويسمع في اجزاء واحد وسماع واحد وجوهاً عديدة من اللفظ، لسعتهما وعدم ضيقهما عن

تزامم الكثرات، ولجواز النزول بالوجوه المختلفة او للتوسعة بعد النزول، ورد عنهم عليهم السلام قراءات مختلفة مخالفة لقراءات العامة، وورد عنهم تصويب القراءتين المختلفتين، ولولا ذلك لكان بعض قراءتهم مخالفة لما نزل على محمد عليه السلام من غير تقيّة.

نسب الى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «اتاني آت من الله عز وجل فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت: «يارب وسع على امتي» فقال: ان الله عز وجل يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة أحرف. وهذه الرواية كما يجوز ان يكون المراد سبع لغات متفرقة في القرآن فيكون: بعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة الهوازن، وبعضه بلغة الحجاز، وبعضه بلغة العراق، وبعضه بلغة اليمن، يجوز ان يكون المراد قراءته في كلمة واحدة ومقام واحد بسبع لغات، مثل هلم وتعال واقبل وجسى، وكلما يجوز ان تكون هذه التوسعة بعد النزول يجوز ان تكون حين النزول؛ لسعة المنزل ولسانه والمنزل عليه ومداركة، وكما يجوز ان يكون المراد بسبعة احرف سبع لغات، يجوز ان يراد بها سبعة اوجه في اللفظ بحسب القراءات والاعراب في لفظ واحد للتوسعة على القارئ بعد النزول او حين النزول، ويجوز ان يراد بها سبعة اوجه في المعنى للتوسعة في العمل على العباد كما مضى.

وماورد عن ابي جعفر عليه السلام: «ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».

وماورى عن الفضل بن يسار انه قال: قلت: لابي عبدالله عليه السلام: ان الناس يقولون: «ان القرآن نزل على سبعة احرف» فقال: «كذبوا اعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد». يجوز ان يراد به: ان القرآن نزل من عند واحد احد حقيقى بنحو الوحدة الظلية والبساطة الجمعية، وبعد تنزله الى الكثرات جاءت الكثرة والتفصيل فيه من جهة تعلقه بالكثرات المتعددة المتخالفة، ويكون التّكذيب راجعاً الى وهمهم الكاسد من؛ انه صدر من مقام الوحدة الحقيقية بنحو التفصيل والكثرة في الفاظه وقراءاته، وقد عرفت - فيما مضى - انه بحسب الفاظه في ابعاد المراتب من الله وانه بحسب ذلك آخر

مراتب وجوده .

والحاصل : انه يجوز ان يكون اختلاف القراءات والوجوه المروية بحسب الالفاظ من القراء انفسهم، ويجوز ان يكون توسعة من الله تعالى حين النزول او بعد النزول<sup>(١)</sup> .

قال البلاغى قدس سره :

«ولا تشبث لذلك بما روي من : ان القرآن نزل على سبعة احرف» فبانه تشبث واهن .

اما اولاً - فقد قال في الاتقان في المسألة الثانية من النوع السادس عشر: اختلف في معنى السبعة احرف على اربعين قولاً، وذكر منها عن ابن حيان خمسة وثلاثين . وما ذاك إلا لو هن روايتها واضطرابها لفظاً ومعنى . وفي الاتقان ايضاً في اواخر النوع السادس عشر: وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح .

واما ثانياً - فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : «نزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف : زاجراً وأمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وامثالاً فأحلوا حلاله» .

وروى ابن جرير مرسلًا عن أبي قلابة عن النبي ﷺ : «أنزل القرآن على سبعة احرف : أمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل» .

وروى ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الانباري عن ابن عباس عنه ﷺ : «ان القرآن على اربعة احرف حلال وحرام» الحديث .

واسند السنجري في الابانة عن علي عليه السلام : «انزل القرآن على عشرة احرف : بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام» .

واما ثالثاً - فقد جاء في روايات السبعة احرف بأسانيد جياد في مصطلحهم ما يعرفك وهنأا والحاقتها بالخرافة، ففي رواية احمد من حديث ابي بكر أن النبي ﷺ : استزاد من جبرئيل في احرف القراءة حتى بلغ سبعة احرف، قال - يعني جبرئيل - : كلها شاف كاف مالم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب . وزاد في حديث آخر : نحو قولك :

تعال واقبل وهلم واذهب واسرع واعجل . ونحوه في رواية الطبراني عن ابي بكر . وفي الاتقان اخرج نحوه احمد والطبراني عن ابن مسعود واخرج ابو داود في سننه عن أبي عن رسول الله ﷺ الى قوله : «حتى بلغ سبعة احرف» ، ثم قال : «ليس منها الا شاف كاف، ان قلت: سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختتم آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب» . وفي كنز العمال فيما اخرجاه احمد وابن منيع والغساني وابن ابي منصور وابويعلی عن أبي عن النبي ﷺ : «ان قلت: غفورا رحيمًا او قلت: سميعا عليما او عليما سميعا، فانه كذلك ما لم تختتم آية عذاب برحمة او رحمة بعذاب» . واخرج ابن جرير عن ابي هريرة عنه ﷺ : «ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فقرأوا ولا حرج، ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة» . واخرج احمد من حديث عمر : «القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا او عذابا مغفرة» . فانظر الى هذه الروايات المفسرة للسبعة احرف، كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهي التالي ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس .

واما رابعا - ففي الروايات ما يقطع مسند القراءات السبع، فعن ابن الأنباري في المصاحف مسندا عن عبدالرحمن السلمی، قال : «كانت قراءة ابي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة» . وعن ابن أبي داود مسندا عن أنس قال : «صليت خلف النبي ﷺ وابي بكر وعمر وعثمان وعلي وكلهم كان يقرأ مالك يوم الدين» . وروى ايضا: أن أول من قرأ مالك يوم الدين هو مروان ابن الحكم .

واما خامسا - وهو فصل الخطاب فقد روي من طرق الشيعة في الكافي مسندا عن أبي جعفر الباقر ﷺ : «ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الروايات» . وارسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادق ﷺ وفي الكافي ايضا في الصحيح عن الفضيل بن يسار قال : قلت لأبي عبدالله ﷺ : ان الناس يقولون : ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال ﷺ : «كذبوا . ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» . ويؤيد ما ذكرناه رواية السيارى له ايضا عن الباقر والصادق ﷺ (١) .

قال الطباطبائي (ره) : « وفي الحديث المروي من طرق الفريقين عن النبي ﷺ :  
«انزل القرآن على سبعة أحرف» .

اقول : والحديث وإن كان مرويا باختلاف ما في لفظه ، لكن معناها مروي مستفيضا  
والروايات متقاربة معنى ، وروتها العامة والخاصة . وقد اختلف في معنى الحديث  
اختلافا شديدا ربما انهي إلى أربعين قولا ، والذي يهون الخطب أن في نفس الأخبار  
تفسير لهذه السبعة الأحرف ، وعليه التعويل .

ففي بعض الأخبار : «نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب  
وجدل وقصص ومثل» ، وفي بعضها : «زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه  
وأمثال» .

وعن علي عليه السلام : «أن الله أنزل على سبعة أقسام ، كل منها كاف شاف وهي: أمر وزجر  
وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص» .

فالمتمتعين حمل السبعة الأحرف على أقسام الخطاب وأنواع البيان ، وهي سبعة على  
وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى صراطه المستقيم ، ويمكن ان يستفاد من هذه الروايات  
حصر اصول المعارف الإلهية في الأمثال ، فإن بقية السبعة لا ثلاثهما إلا بنوع من العناية  
على ما لا يخفى<sup>(١)</sup> .

قال الخوئي قدس سره : «لقد ورد في روايات أهل السنة : أن القرآن انزل على سبعة  
أحرف ، فيحسن بنا أن نتعرض إلى التحقيق في ذلك بعد ذكره هذه الروايات :

١- أخرج الطبري عن يونس وأبي كريب ، باسنادهما عن ابن شهاب ، باسناده عن  
ابن عباس ، حدثه أن رسول الله ﷺ :

قال : «أقراني جبرئيل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزیده فيزیدني حتى انتهى  
إلى سبعة أحرف» .

ورواها مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس<sup>(٢)</sup> ، ورواها البخاري بسند آخر<sup>(٣)</sup> ،

١. الميزان ج ٣ ص ٧٤-٧٥ .

٢. صحيح مسلم باب ان القرآن انزل على سبعة أحرف ج ٢ ص ٢٠٢ طبعة محمد علي صبيح بمصر .

٣. صحيح البخاري باب انزل القرآن على سبعة أحرف ج ٦ ص ١٠٠ طبعة دار الخلافة . المطبعة العامرة .

وروي مضمونها عن ابن البرقي، بإسناده عن ابن عباس

٢- وأخرج عن أبي كريب، بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن جده عن أبي

بن كعب:

قال: «كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ قال: فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأاً، فحسّن رسول الله ﷺ شأنهما، فوقع في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما غشيني ضرب في صدري، ففضت عرفاً كأنما أنظر إلى الله فرقا. فقال لي: يا أباي أرسل إلي: أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت عليه أن هون على أمتي، فرد علي في الثانية: أن أقرأ القرآن على حرف<sup>(١)</sup>، فرددت عليه: أن هون على أمتي، فرد علي في الثالثة: أن أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمي. اللهم اغفر لأمي، واخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام».

وهذه الرواية، رواها مسلم أيضاً بأدنى اختلاف<sup>(٢)</sup>. وأخرجها الطبري عن أبي كريب بطرق أخرى باختلاف يسير أيضاً. وروي ما يقرب من مضمونها عن طريق يونس بن عبد الأعلى، وعن طريق محمد بن عبد الأعلى الصنعابي، عن أبي.

٣- وأخرج عن أبي كريب، بإسناده عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب:

قال: «رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ. فقلت: من أقرأك؟ فقال: رسول الله ﷺ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: استقرئ هذا فقرأ. فقال: أحسنت. قال: فقلت: إنك أقرأتني كذا وكذا، فقال: وأنت قد أحسنت. قال: فقلت: قد أحسنت قد أحسنت. قال: فضرب بيده على صدري، ثم قال: اللهم أذهب عن أبي الشك، قال: ففضت عرفاً وامتلاً جوفي فرقا، ثم قال ﷺ: ان الملكين أتياي. فقال أحدهما: أقرأ القرآن على

١. هكذا في النسخة، وفي صحيح مسلم: على حرفين.

٢. صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٣.

حرف، وقال الآخر: زده، قال: فقلت: زدني. قال: اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف. فقال: اقرأه على سبعة أحرف.»

٤- وأخرج عن أبي كريب، بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي بكره عن أبيه:

قال: «قال رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده. فقال: على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف - والشك من أبي كريب - فقال: كلها شاف كافي. ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، كقولك: هلم وتعال.»

٥- وأخرج عن أحمد بن منصور، بإسناده عن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده:

قال: «قرأ رجل عند عمر بن الخطاب فغير عليه، فقال: لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير عليّ، قال: فاخصما عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألم تقرني آية كذا وكذا؟ قال: بلى. فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي ﷺ ذلك في وجهه. قال: فضرب صدره. وقال: أبعد شيطاناً، قالها ثلاثاً ثم قال: يا عمر إن القرآن كله سواء، ما لم تجعل رحمةً عذاباً وعذاباً رحمةً.»

وأخرج عن يونس بن عبد الأعلى، بإسناده عن عمر بن الخطاب قضية مع هشام بن حكيم تشبه هذه القصة. وروى البخاري ومسلم والترمذي قصة عمر مع هشام بإسناد غير ذلك، واختلاف في الفاظ الحديث<sup>(١)</sup>.

٦- وأخرج عن محمد بن المنثى، بإسناده عن ابن أبي ليلى عن أبي كعب: إن النبي ﷺ كان عند أضاء بني غفار: قال: «فأتاه جبرئيل. فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. قال: ثم أتاه الثانية. فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. قال: ثم جاء الثالثة. فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك،

١- صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٢، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٩٠، وج ٦ ص ١٠٠، ١١١، ج ٨ ص ٢١٥، ٥٣، وصحيح الترمذي بشرح ابن العربي باب ما جاء انزل القرآن على سبعة أحرف ج ١١ ص ٦٠.



ثم جاء الرابعة . فقال : إن الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأیما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا .»

ورواها مسلم أيضا في صحيحه <sup>(١)</sup> . وأخرج الطبري أيضا نحوها عن أبي كريب ، باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب . وأخرج أيضاً بعضها عن أحمد بن محمد الطوسي ، باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب باختلاف يسير . وأخرجها أيضاً عن محمد بن المثنى ، باسناده عن أبي بن كعب .

٧- وأخرج عن أبي كريب باسناده عن زر عن أبي :

قال : «لقي رسول الله ﷺ جبرئيل عند أحجار المرء . فقال : إني بعثت إلى أمة آيين منهم الغلام والخادم ، وفيهم الشيخ الفاني والمعجوز . فقال جبرئيل : فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف» <sup>(٢)</sup> .

٨- وأخرج عن عمرو بن عثمان العثماني ، باسناده عن المقبري عن أبي هريرة أنه قال :

«قال رسول الله ﷺ : إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف ، فاقروا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة .»

٩- وأخرج عن عبيد بن اسباط ، باسناده عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ : «انزل القرآن على سبعة أحرف . عليم . حكيم . غفور . رحيم» .  
وأخرج عن أبي كريب ، باسناده عن أبي سلمة عن أبي هريرة مثله .

١٠- وأخرج عن سعيد بن يحيى ، باسناده عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود : قال : «تأرينا في سورة من القرآن ، فقلنا : خمس وثلاثون ، أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه . قال : قلنا : إنما اختلفنا في القراءة . قال : فاحمّر وجه رسول الله ﷺ ، وقال : إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أسرّ إلى علي شيناً . فقال لنا علي : «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم» <sup>(٣)</sup> .

١. صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠٣ .

٢. هذه الروايات كلها مذكورة في تفسير الطبري ج ١ ص ٩-١٥ .

٣. ورواها الترمذي أيضاً بأدنى اختلاف ج ١١ ص ٦٢ .

١١- وأخرج القرطبي عن أبي داود عن أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أباي إني قرأت القرآن. فقيل لي: على حرف أو حرفين. فقال الملك الذي معي: قل على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة. فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت سمياً، عليمياً، عزيزاً، حكيمياً، ما لم تخلط آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب» (١).

هذه أهم الروايات التي رويت في هذا المعنى، وكلها من طرق أهل السنة، وهي مخالفة لصحيحة زارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة» (٢).

وقد سأل الفضيل بن يسار أبا عبد الله عليه السلام فقال: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «كذبوا - أعداء الله - ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» (٣).

وقد تقدم - إجمالاً - أن المرجع بعد النبي ﷺ في أمور الدين، إنما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وسيأتي توضيحه مفصلاً بعد ذلك إن شاء الله تعالى، ولا قيمة للروايات إذا كانت مخالفة لما يصح عنهم. ولذلك لا يهمنا أن نتكلم عن أسانيد هذه الروايات. وهذا أول شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجية. ويضاف إلى ذلك ما بين هذه الروايات من التخالف والتناقض، وما في بعضها من عدم التناسب بين السؤال والجواب.

تهافت الروايات:

فمن التناقض؛ أن بعض الروايات دل على أن جبرئيل أقرأ النبي ﷺ على حرف، فاستزاده النبي ﷺ، فزاده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف، وهذا يدل على أن الزيادة كانت على التدرج، وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة، وفي بعضها أن الله أمره في المرة الثالثة أن يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف، وكان الأمر بقراءة

١. تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٣.

٢. أصول الكافي كتاب فضل القرآن - باب النوادر، الرواية: ١٢.

٣. أصول الكافي كتاب فضل القرآن - باب النوادر، الرواية: ١٣.

سبعة في المرة الرابعة.

ومن التناقض؛ أن بعض الروايات يدل على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد، وأن طلب النبي ﷺ الزيادة كان بإرشاد ميكانيل، فزاده جبرئيل حتى بلغ سبعة، وبعضها يدل على أن جبرئيل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة.

ومن التناقض أن بعض الروايات يقول: إن أبي دخل المسجد، فرأى رجلاً يقرأ على خلاف قراءته، وفي بعضها أنه كان في المسجد، فدخل رجلان وقرأ على خلاف قراءته. وقد وقع فيها الاختلاف أيضاً فيما قاله النبي ﷺ لأبي .. إني غير ذلك من الاختلاف.

ومن عدم التناسب بين السؤال والجواب، ما في رواية ابن مسعود من قول علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم». فان هذا الجواب لا يرتبط بما وقع فيه النزاع من الاختلاف في عدد الآيات. أضف إلى جميع ذلك: أنه لا يرجع نزول القرآن على سبعة أحرف إلى معنى معقول، ولا يتحصل للناظر فيها معنى صحيح.

وجوه الأحرف السبعة:

وقد ذكر وافي توجيه نزول القرآن على سبعة أحرف وجوهاً كثيرة نتعرض للمهم منها، مع مناقشتها وبيان فسادها:

١- المعاني المتقاربة: إن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو «عجل، وأسرع، وأسع» وكانت هذه الأحرف باقية إلى زمان عثمان فحصرها عثمان بحرف واحد، وأمر باحراق بقية المصاحف التي كانت على غيره من الحروف الستة. واختار هذا الوجه الطبري<sup>(١)</sup> وجماعة. وذكر القرطبي: أنه مختار أكثر أهل العلم<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال أبو عمرو بن عبد البر<sup>(٣)</sup>.

واستدلوا على ذلك برواية ابن أبي بكرة. وأبي داود، وغيرهما مما تقدم. وبرواية يونس بإستاده عن ابن شهاب. قال: «أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله تعالى

٢. تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٢.

١. تفسير الطبري ج ١ ص ١٥.

٣. التبيان ص ٣٩.

ذكره: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

إنما افتتن أنه كان يكتب الوحي ، فكان يعمل عليه رسول الله ﷺ سميع عليهم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله ﷺ فيقول : «عزيز حكيم ، أو سميع عليهم ، أو عزيز عليهم ؟ فيقول له رسول الله ﷺ : «أي ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك . فقال : إن محمداً أوكل ذلك الي فاكتب ما شئت .»

واستدلوا أيضاً بقراءة أنس : «إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلاً» . فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة إنما هي « وأقوم » ، فقال : «أقوم ، وأصوب ، وأهدى واحد» . وبقراءة ابن مسعود : «ان كانت إلأ زقية واحدة»<sup>(٢)</sup> . وبقراءة الطبري عن محمد بن بشار ، وأبي السائب بإسنادهما عن همام : أن ابا الدرداء كان يقرئ ، رجلاً : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْتِمِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال : فجعل الرجل يقول : «إن شجرة الزقوم طعام اليتيم» قال : فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم . قال : «إن شجرة الزقوم طعام الفاجر»<sup>(٤)</sup> . واستدلوا أيضاً على ذلك بما تقدم من الروايات الدالة على التوسعة : «الملم تختم آية رحمة بعذاب ، أو آية عذاب برحمة» .

فان هذا التحديد لامعنى له ، إلا أن يراد بالسبعة أحرف ؛ جواز تبديل بعض الكلمات ببعض . فاستثنى من ذلك ختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . وبمقتضى هذه الروايات لابد من حمل روايات السبعة أحرف على ذلك بعدد مجملها الي مبيتها . إن جميع ما ذكر لها من المعاني أجنبي عن مورد الروايات وستعرف ذلك وعلى هذا فلا بد من طرح الروايات ، لأن الالتزام بمفادها غير ممكن . والدليل على ذلك :

أولاً : ان هذا إنما يتم في بعض معاني القرآن ، التي يمكن أن يعبر عنها بألفاظ سبعة

١. سورة النحل : الآية ١٠٣ .

٢. تفسير الطبري ج ١ ص ١٨ .

٣. سورة الدخان : الآية ٤٣ و ٤٤ .

٤. تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٧٨ عند تفسير الآية المباركة .

متقاربة. ومن الضروري أن أكثر القرآن لا يتم فيه ذلك، فكيف تتصور هذه الحروف السبعة التي نزل بها القرآن؟.

ثانياً: إن كان المراد من هذا الوجه: أن النبي ﷺ قد جوز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أخرى تقاربها في المعنى - ويشهد لهذا بعض الروايات المتقدمة - فهذا الاحتمال يوجب هدم أساس القرآن، المعجزة الأبدية، والحجة على جميع البشر، ولا يشك عاقل في أن ذلك يقتضى هجر القرآن المنزل، وعدم الاعتناء بشأنه. وهل يتوهم عاقل ترخيص النبي ﷺ أن يقرأ القارىء: يس، والذكر العظيم، إنك لمن الأنبياء، على طريق سوي، إنزال الحميد الكريم، لتخوف قوماً ما خوف أسلافهم فهم ساهون. فلتقر عيون المجوزين لذلك. سبحانك اللهم إن هذا إلا بهتان عظيم. وقد قال الله تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُتِّعَ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (١)

وإذا لم يكن للنبي أن يبدل القرآن من تلقاء نفسه، فكيف يجوز ذلك لغيره؟. وإن رسول الله ﷺ علم براء بن عازب دعاء كان فيه: «ونبيك الذي أرسلت» فقرأ براء: «ورسولك الذي أرسلت»، فأمره ﷺ أن لا يضع الرسول موضع النبي (٢)، فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟. وإن كان المراد من الوجه المتقدم: أن النبي ﷺ قرأ على الحروف السبعة - ويشهد لهذا كثير من الروايات المتقدمة - فلا بد للقاتل بهذا أن يدل على هذه الحروف السبعة التي قرأ بها النبي ﷺ؛ لأن الله سبحانه قد وعد بحفظ ما أنزله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣).

ثالثاً: أنه صرحت الروايات المتقدمة بأن الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي التوسعة على الأمة، لأنهم لا يستطيعون القراءة على حرف واحد، وأن هذا هو الذي دعا النبي إلى الاستزادة إلى سبعة أحرف. وقد رأينا أن اختلاف القراءات أوجب أن يكفر بعض المسلمين بعضاً. حتى حصر عثمان القراءة بحرف واحد، وأمر باحراق بقية المصاحف.

٢. التبيان ص ٥٨.

١. سورة يونس: الآية ١٥.

٢. سورة الحجر: الآية ٩.

ويستنتج من ذلك أمور:

١- إن الاختلاف في القراءة كان نقمة على الأمة. وقد ظهر ذلك في عصر عثمان، فكيف يصح ان يطلب النبي ﷺ من الله ما فيه فساد الأمة، وكيف يصح على الله أن يجيبه الى ذلك؟ وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الاختلاف. وان فيه هلاك الأمة. وفي بعضها أن النبي ﷺ تغير وجهه واحمر حين ذكر له الاختلاف في القراءة. وقد تقدم جملة منها، وسيجيء بعد هذا جملة أخرى.

٢- قد تضمنت الروايات المتقدمة أن النبي ﷺ قال: إن أمتي لا تستطيع ذلك القراءة على حرف واحد، وهذا كذب صريح، لا يعقل نسبه الى النبي ﷺ، لأننا نجد الأمة بعد عثمان على اختلاف عناصرها ولغاتها قد استطاعت أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فكيف يكون من العسر عليها أن تجتمع على حرف واحد في زمان النبي ﷺ، وقد كانت الأمة من العرب الفصحى!؟

٣- أن الاختلاف الذي أوجب لعثمان أن يحصر القراءة في حرف واحد قد اتفق في عصر النبي ﷺ، وقد أقر النبي ﷺ كل قارئ على قراءته، وأمر المسلمين بالتسليم لجميعها، وأعلمهم بأن ذلك رحمة من الله لهم، فكيف صح لعثمان، ولتابعيه سد باب الرحمة، مع نهى النبي ﷺ عن المنع عن قراءة القرآن، وكيف جاز للمسلمين رفض قول النبي ﷺ، وأخذ قول عثمان وإمضاء عمله، أفهل وجدوه أرفق بالأمة من نبيها، أو أنه تنبه لشيء قد جهله النبي ﷺ من قبل وحاشاه، أو أن الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف!؟

وخلاصة الكلام: أن بشاعة هذا القول تغني عن التكلف عن رده، وهذه العمدة في رفض المتأخرين من علماء أهل السنة لهذا القول. ولأجل ذلك قد التجأ بعضهم كأبي جعفر محمد بن سعدان النحوي، والحافظ جلال الدين السيوطي الى القول: بأن هذه الروايات من المشكل والمتشابه، وليس يدري ما هو مفادها<sup>(١)</sup>، مع انك قد عرفت أن مفادها أمر ظاهر، ولا يشك فيه الناظر اليها، كما ذهب اليه واختاره أكثر العلماء.

## ٢ - الأبواب السبعة :

ان المراد بالأحرف السبعة هي الأبواب السبعة التي نزل منها القرآن، وهي: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال.

واستدل عليه بما رواه يونس، بإسناده عن ابن مسعود عن النبي :

انه قال : « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب، وعلى سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: أمنا به كل من عند ربنا»<sup>(١)</sup>.

ويرد على هذا الوجه :

١- أن ظاهر الرواية كون الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن غير الأبواب السبعة التي نزل منها، فلا يصح أن يجعل تفسيراً لها، كما يريد أصحاب هذا القول.

٢- أن هذه الرواية معارضة برواية أبي كريب، بإسناده عن ابن مسعود. قال : « إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن الرواية مضطربة في مفادها، فإن الزجر والحرام بمعنى واحد، فلا تكون الأبواب سبعة، على أن في القرآن أشياء أخرى لا تدخل في هذه الأبواب السبعة، كذكر المبدأ والمعاد، والقصص، والاحتجاجات والمعارف، وغير ذلك. وإذا أراد هذا القائل أن يدرج جميع هذه الأشياء في المحكم والمتشابه، كان عليه أن يدرج الأبواب المذكورة في الرواية فيهما أيضاً، ويحصر القرآن في حرفين «المحكم والمتشابه» فإن جميع ما في القرآن لا يخلو من أحدهما.

٤- أن اختلاف معاني القرآن على سبعة أحرف لا يناسب ما دلت عليه الأحاديث المتقدمة من التوسعة على الأمة، لأنها لا تتمكن من القراءة على حرف واحد.

٥- أن في الروايات المتقدمة ما هو صريح في أن الحروف السبعة هي الحروف التي

١. تفسير الطبري ج ١ ص ٢٣.

٢. تفسير الطبري ج ١ ص ٢٤.

كانت تختلف فيها القراء، وهذه الرواية إذا تمت دلالتها لا تصلح قرينة على خلافها.

### ٣- الأبواب السبعة بمعنى آخر :

ان الحروف السبعة هي : الأمر، والزجر، والترغيب، والترهيب، والجدل، والقصص، والمثل. واستدل على ذلك برواية محمد بن بشار، بإسناده عن أبي قلابة. قال : «بلغني أن النبي ﷺ قال : انزل القرآن على سبعة أحرف : أمر، وزجر، وترغيب، وقرهيب، وجدل، وقصص، ومثل»<sup>(١)</sup>.

وجوابه يظهر مما قدمناه في جواب الوجه الثاني .

### ٤- اللغات الفصيحة :

ان الأحرف السبعة هي اللغات الفصيحة من لغات العرب، وأنها متفرقة في القرآن؛ فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وبعضه بلغة كنانة، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة ثقيف. نسب هذا القول الى جماعة منهم : البيهقي، والأبهري، وصاحب القاموس .

ويرده :

١- ان الروايات المتقدمة قد عينت المراد من الأحرف السبعة، فلا يمكن حملها على أمثال هذه المعاني التي لا تنطبق على موردها.

٢- ان حمل الأحرف على اللغات يناهي ما روي عن عمر من قوله : نزل القرآن بلغة مضر<sup>(٢)</sup>. وانه أنكر على ابن مسعود قراءته «عتى حين» أي حتى حين، وكتب اليه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرىء الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل<sup>(٣)</sup>.

وما روي عن عثمان أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانما نزل بلسانهم»<sup>(٤)</sup>.

وما روي من : «أن عمر وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان، فقرأ هشام قراءة، فقال رسول الله ﷺ : «هكذا انزلت»، وقرأ عمر قراءة غير تلك القراءة. فقال

١. تفسير الطبري ج ١ ص ٢٤.

٢. التبيان ص ٦٤.

٣. نفس المصدر ص ٦٥.

٤. صحيح البخاري باب نزل القرآن بلسان قريش ص ١٥٦.



رسول الله ﷺ: «هكذا انزلت»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف».

فان عمر وهشام كانا كلاهما من قريش، فلم يكن حينئذ ما يوجب اختلافهما في القراءة، ويضاف الى جميع ذلك أن حمل الأحرف على اللغات قول بغير علم، وتحكم من غير دليل.

٣- أن القائلين - بهذا القول - إن أرادوا أن القرآن اشتمل على لغات اخرى، كانت لغة قريش خالية منها، فهذا المعنى خلاف التسهيل على الأمة، الذي هو الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف، على ما نطقت الروايات بذلك، بل هو خلاف الواقع، فان لغة قريش هي المهيمنة على سائر لغات العرب، وقد جمعت من هذه اللغات ما هو أفصحها، ولذلك استحقت أن توزن بها العربية. وأن يرجع اليها في قواعدها. وإن أرادوا أن القرآن مشتمل على لغات اخرى، ولكنها تتحد مع لغة قريش، فلا وجه للحصر بلغات سبع، فان في القرآن ما يقرب من خمسين لغة. فعن أبي بكر الواسطي: في القرآن من اللغات خمسون لغة، وهي لغات قريش، وهذيل، وكنانة، وخثعم، والخزرج، واشعر، ونمير... (١)

٥- لغات مضر:

ان الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات مضر خاصة. وانها متفرقة في القرآن، وهي: لغات قريش، وأسد، وكنانة، وهذيل، وتميم، وضبة، وقيس. ويرد عليه جميع ما أوردناه على الوجه الرابع.

٦- الاختلاف في القراءات:

ان الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات. قال بعضهم: إنني تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة. فمنها - ما تشفير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (٢) بضم أظهر وفتحته.

٢. سورة هود: الآية ٧٨.

١. راجع الاقتان ج ١ النوع ٣٧ ص ٢٣٠.

ومنها - ما تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾<sup>(١)</sup> بصيغة الأمر والماضي .

ومنها - ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل «ننشزها وننشرها» بالزاي والراء .

ومنها - ما تتغير صورته ويبقى معناه مثل: «كالمهن المنفوش» وكالصوف المنفوش .

ومنها - ما تتغير صورته ومعناه مثل: «وطلح منضود»، وطلع منضود .

ومنها - بالتقديم والتأخير مثل: «وجاءت سكرة الموت بالحق»، وجاءت سكرة الحق بالموت» .

ومنها - بالزيادة والنقصان: «تسع وتسعون نعجة انثى . وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . فان الله من بعد اكرههن لهن غفور رحيم» .  
ويرده :

١ - أن ذلك قول لا دليل عليه ، ولا سيما أن المخاطبين في تلك الروايات لم يكونوا يعرفون من ذلك شيئاً .

٢ - أن من وجوه الاختلاف المذكورة ما يتغير فيه المعنى وما لا يتغير ، ومن الواضح أن تغير المعنى وعدمه لا يوجب الانقسام الى وجهين ، لأن حال اللفظ والقراءة لا يختلف بذلك ، ونسبة الإختلاف الى اللفظ في ذلك من قبيل وصف الشيء بحال متعلقه . ولذلك يكون الإختلاف في «طلح منضود ، وكالمهن المنفوش» قسماً واحداً .

٣ - أن من وجوه الإختلاف المذكورة بقاء الصورة للفظ ، وعدم بقائها . ومن الواضح أيضاً أن ذلك لا يكون سبباً للإنقسام ، لأن بقاء الصورة إنما هو في المكتوب لا في المقروء ، والقرآن اسم للمقروء لا للمكتوب ، والمنزل من السماء إنما كان لفظاً لا كتابة . وعلى هذا يكون الإختلاف في «وطلح . وننشزها» وجهاً واحداً لا وجهين .

٤ - ان صريح الروايات المتقدمة أن القرآن نزل في ابتداء الأمر على حرف واحد . ومن البين أن المراد بهذا الحرف الواحد ليس هو أحد الإختلافات المذكورة ، فكيف

يمكن أن يراد بالسبعة مجموعها ١؟.

٥- أن كثيراً من القرآن موضع اتفاق بين القراء ، وليس مورداً للإختلاف ، فإذا أضفنا موضع الإتفاق الى موارد الإختلاف بلغ ثمانية . ومعنى هذا أن القرآن نزل على ثمانية أحرف .

٦- أن مورد الروايات المتقدمة هو اختلاف القراء في الكلمات ، وقد ذكر ذلك في قصة عمر وغيرها . وعلى ما تقدم فهذا الإختلاف حرف واحد من السبعة ، ولا يحتاج رسول الله ﷺ في رفع خصومتهم الى الاعتذار بأن القرآن نزل على الأحرف السبعة ، وهل يمكن أن يحمل نزول جبرائيل بحرف ، ثم بحرفين ، ثم بثلاثة . ثم بسبعة على هذه الاختلافات ؟! وقد انصف الجزائري في قوله : «والأقوال في هذه المسألة كثيرة ، وغالبها بعيد عن الصواب» . وكأن القائلين بذلك ذهبوا عن مورد حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فقالوا ما قالوا<sup>(١)</sup> .

٧- اختلاف القراءات بمعنى آخر :

ان الأحرف السبعة هي وجوه الإختلاف في القراءة ، ولكن بنحو آخر غير ما تقدم . وهذا القول اختاره الزرقاني ، وحكاه عن أبي الفضل الرازي في اللوائح . فقال : الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف .

الأول : اختلاف الأسماء من أفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ، ومضارع ، وأمر .

الثالث : اختلاف الوجوه في الاعراب .

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس : اختلاف اللغات «اللهجات» كالفتح ، والامالة ، والترقيق ، والتفخيم ،

والاظهار ، والادغام ، ونحو ذلك .

ويرد عليه :

ما أوردناه على الوجه السادس في الإشكال الأول والرابع والخامس منه ، ويرده أيضاً :

أن الاختلاف في الأسماء يشترك مع الاختلاف في الأفعال في كونهما اختلافاً في الهيئة ، فلا معنى لجعله قسماً آخر مقابلاً له . ولو راعينا الخصوصيات في هذا التقسيم لوجب علينا أن نعد كل واحد من الاختلاف في: التثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، والماضي ، والمضارع ، والأمر قسماً مستقلاً . ويضاف الى ذلك أن الاختلاف في الادغام ، والاظهار ، والروم ، والاشمام ، والتخفيف ، والتسهيل في اللفظ الواحد لا يخرج عن كونه لفظاً واحداً . وقد صرح بذلك ابن قتيبة على ما حكاه الزرقاني عنه (١) .

والصحيح أن وجوه الاختلاف في القراءة ترجع الى ستة أقسام :

الأول : الاختلاف في هيئة الكلمة دون مادتها ، كالاختلاف في لفظة «باعد» بين صيغة الماضي والأمر ، وفي كلمة «أمانتهم» بين الجمع والافراد .

الثاني : الاختلاف في مادة الكلمة دون هيئتها ، كالاختلاف في لفظة «نشرها» بين الرء والزاي .

الثالث : الاختلاف في المادة والهيئة ، كالاختلاف في «العهن والصوف» .

الرابع : الاختلاف في هيئة الجملة بالاعراب ، كالاختلاف في «وأرجلكم» بين النسب والجر .

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير ، وقدم تقدم مثال ذلك .

السادس : الاختلاف بالزيادة والنقيصة ، وقد تقدم مثاله أيضاً .

٨ - الكثرة في الأحاد :

ان لفظ السبعة يراد منه الكثرة في الأحاد ، كما يراد من لفظ السبعين والسبعمان الكثرة في العشرات أو المئات . ونسب هذا القول الى القاضي عياض ومن تبعه . ويردّه :

ان هذا خلاف ظاهر الروايات ، بل خلاف صريح بعضها . على أن هذا لا يعد قولاً مستقلاً عن الوجوه الاخرى ، لأنه لم يعين معنى الحروف فيه ، فلا بد وان يراد من

الحروف احد المعاني المذكورة في الوجوه المتقدمة، ويرد عليه ما يرد من الأشكال على تلك الوجوه .

#### ٩- سبغ قراءات :

ومن تلك الوجوه ان الأحرف السبعة «موضوعة البحث» هي سبغ قراءات .  
ويرده :

ان هذه القراءات السبغ إن اريد بها السبغ المشهورة ، فقد أوضحنا للقارىء بطلان هذا الاحتمال في البحث عن تواتر القراءات - وقد تقدم ذلك - في باب «نظرة في القراءات» .

وان اريد بها قراءات سبغ على اطلاقها ، فمن الواضح أن عدد القراءات اكثر من ذلك بكثير ، ولا يمكن أن يوجه ذلك بأن غاية ما ينتهي اليه اختلاف القراءات أكثر من ذلك بكثير ، الواحدة هي السبغ ، لأنه إن اريد أن الغالب في كلمات القرآن أن تقرأ على سبعة وجوه فهذا باطل ، لأن الكلمات التي تقرأ على سبعة وجوه قليلة جداً . وإن اريد أن ذلك موجود في بعض الكلمات وعلى سبيل الإيجاب الجزئي ، فمن الواضح أن في كلمات القرآن ما يقرأ بأكثر من ذلك . فقد قرأت كلمة ﴿وعبد الطاغوت﴾<sup>(١)</sup> باثنين وعشرين وجهاً ، وفي كلمة «أف» أكثر من ثلاثين وجهاً ، ويضاف الى ما تقدم ان هذا القول لا ينطبق على مورد الروايات ، ومثله أكثر الأقوال في المسألة .

#### ١٠- اللهجات المختلفة :

ان الأحرف السبعة يراد بها اللهجات المختلفة في لفظ واحد . اختاره الرافعي في كتابه<sup>(٢)</sup> .

وتوضيح القول : أن لكل قوم من العرب لهجة خاصة في تأدية بعض الكلمات ، ولذلك نرى العرب يختلفون في تأدية الكلمة الواحدة حسب اختلاف لهجاتهم ، فالقاف في كلمة «القول» مثلا يبدلها العراقي بالكاف الفارسية ، ويبدلها الشامي بالهمزة ، وقد انزل القرآن على جميع هذه اللهجات للتوسعة على الامة ، لأن الالتزام بلهجة خاصة من هذه اللهجات فيه تضيق على القبائل الأخرى التي لم تألف هذه اللهجة ، والتعبير

٢. اعجاز القرآن ص ٧٠.

١. سورة المائدة: الآية ٦.

بالسبع إنما هو رمز الى ما الفوه من معنى الكمال في هذه اللفظة ، فلا ينافي ذلك كثرة اللهجات العربية ، وزيادتها على السبع .

الرد :

وهذا الوجه - على أنه أحسن الوجوه التي قيلت في هذا المقام - غير تام أيضاً :

١ - لأنه ينافي ما ورد عن عمر وعثمان من أن القرآن نزل بلغة قريش ، وأن عمر منع ابن مسعود من قراءة «عتي حين» .

٢ - ولأنه ينافي مخاصمة عمر مع هشام بن حكيم في القراءة ، مع أن كليهما من قريش .

٣ - ولأنه ينافي مورد الروايات ، بل وصراحة بعضها في ان الاختلاف كان في جوهر اللفظ ، لا في كيفية أدائه ، وان هذا من الأحرف التي نزل بها القرآن .

٤ - ولأن حمل لفظ السبع - على ما ذكره خلاف - ظاهر الروايات ، بل وخلاف صريح بعضها .

٥ - ولأن لازم هذا القول جواز القراءة فعلاً باللهجات المتعددة ، وهو خلاف السيرة القطعية من جميع المسلمين ، ولا يمكن أن يدعي نسخ جواز القراءة بغير اللهجة الواحدة المتعارفة ، لأنه قول بغير دليل ، ولا يمكن لقائله أن يستدل على النسخ بالاجماع القطعي على ذلك ، لأن مدرك الإجماع إنما هو عدم ثبوت نزول القرآن على اللهجات المختلفة ، فاذا فرضنا ثبوت ذلك كما يقوله أصحاب هذا القول ، فكيف يمكن تحصيل الاجماع على ذلك ؟ مع ان إصرار النبي ﷺ على نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كان للتوسعة على الأمة ، فكيف يمكن أن يختص ذلك بزمان قليل بعد نزول القرآن ، وكيف يصح أن يقوم على ذلك إجماع أو غيره من الأدلة ؟ ! ومن الواضح أن الأمة - بعد ذلك - أكثر احتياجاً الى التوسعة ، لأن المعتنقين للإسلام في ذلك الزمان قليلون . فيمكنهم أن يجتمعوا في قراءة القرآن على لهجة واحدة ، وهذا بخلاف المسلمين في الأزمنة المتأخرة . ولتقتصر على ما ذكرناه من الأقوال فان فيه كفاية عن ذكر البقية والتعرض لجوابها وردها .

وحاصل ما قدمناه : أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع الى معنى صحيح ، فلا بد من طرح الروايات الدالة عليه ، ولا سيما بعد أن دلت أحاديث الصادقين عليهما السلام

على تكذيبها، وأن القرآن إنما نزل على حرف واحد، وإن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة»<sup>(١)</sup>.

قال المدرسي في القرآن الحكيم والأحرف السبعة :

جاء في حديث شريف : « نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل »<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث آخر : « ان الله تبارك وتعالى انزل القرآن على سبعة اقسام كل قسم منها كاف شاف وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص »<sup>(٣)</sup> ..  
وقد تظافرت الأحاديث، التي تقول: ان القرآن نزل على سبعة احرف. وذهب فريق من المسلمين إلى تفاسير بعيدة لهذه الكلمة، فقد قال بعضهم: ان الله اوحى سبع مرات، سبعة كتب كلها قرآن.

بيد ان الجانب التربوي الذي يهدفه سياق ظاهر القرآن بحاجة إلى هذه الأحرف - السبعة - فقسم منه امر بالخير وقسم نهى عن شر. وقسمان منه ترغيب لمن عمل بالخير ووعد له بالجنة - والفلاح - وترهيب لمن اقترف الشر ووعد له بالنار والشقاء. كل ذلك ليكون قوة تنفيذية - نابعة من ذات الآية.

يبقى الجدل، وهو ضروري في كتاب يحمل سمة العقيدة، لأن هناك شبهات راسخة في قلوب البسطاء يجب تصفيتها - قبل البدء بتزكية النفس - وطريقة التصفية، الجدل والمناقشة الهادفة.

وللقرآن سمة هامة تطبع جميع مناحيها. وهي سمة الحيوية التي تجعل من الفكرة واقعا - يتحرك أمام أعين الناس - وتحقق هذه السمة بوحدة من اثنتين: إما القصص التاريخية التي لها حقيقة مضت، وإما الأمثال التي لا حقيقة خارجية لها.

وهذا التقسيم في القرآن الحكيم - سيعطينا فرصة لفهم كتاب الله، إذ أن مجرد تقسيم نص - اي نص كان - يعطي الفرد قدرة هائلة على اكتشاف خفاياه<sup>(٤)</sup>.

٢. تفسير الصافي ج ١ ص ٣٩.

١. البيان ج ١ ص ١٨٧ - ٢١١.

٣. نفس المصدر.

٤. من هدى القرآن ج ١ ص ٤٧ - ٤٨.

# التلاوة

- فضل تلاوة القرآن
- خواص تلاوة الآيات والسور
- الأحاديث الموضوعة في فضل التلاوة
- فضل تعليم القرآن
- فضل حفظ القرآن
- حكم ترك تلاوة القرآن لحافظه
- آداب التلاوة
- علم التجويد
- مخارج الحروف
- صفات الحروف
- أحوال الحروف واحكامها
- أقسام الوقف





مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

## فضل تلاوة القرآن

قال البغوي :

« أنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعاني، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية ثنا إسحاق بن عيسى، قال: سمعت ابن لهيعة يقول: ثنا مسرح بن عاهان قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار»، قيل معناه: من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة .

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية، ثنا جعفر بن عوف، أنا إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: إن هذا القرآن مآذبة الله، فتعلموا من مأذبه ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين والشفاء النافع، وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنفضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول: ألم ولكن الألف واللام والميم. رواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً: أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مقوية، أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إلي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجددي، ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن

الصدلي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ بمعناه.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن القاضي، ثنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن ناموية الأصفهاني، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن يحيى القاضي الزهري بمكة، أنا محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ، أنا سليمان بن داود الهاشمي، ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن وائلة بن الطفيل: أن نافع بن عبدالحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعسفان وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أزي، قال: ومن ابن أزي؟ قال: مولى من موالي، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل قارىء القرآن عالم بالفرائض قاض بالكتاب، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «إن الله يرفع بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين»، صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب.

أنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن سعد الترابي، أنا أبو بكر بن محمد بن عبدالصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم، أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلثمائة، أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد، أنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي، أنا جرير يعني ابن عبد الحميد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن.

أنا عبدالواحد بن أحمد بن المليحي، أنا أبو محمد، أنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم البغوي، ثنا علي بن الجعد، أنا شعبة، عن قتادة، عن ذرارة بن أبي أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو عليه شاق له أجران»، صحيح.

وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد: «الذي يقرأ وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة».

أنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو عمر بكر بن محمد بن عبدالله حفيد

العباس بن حمزة، ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي، ثنا عفان، ثنا أبان بن يزيد، ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»، صحيح أخرجه البخاري عن قتبية عن أبي عوانة عن قتادة.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، ثنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية، ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان عن عاصم - يعني - ابن بهدلة عن زر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «قال يعني لصاحب القرآن إقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها»، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية، ثنا النضر بن شميل، ثنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة، أنه حدثه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إقرأ القرآن فإنه يأتي شافعاً لأصحابه، اقرأ الزهراوين: البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما، اقرأ البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة». صحيح.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية، ثنا أبو نعيم، ثنا بشير بن مهاجر العنوي، ثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعت يقول: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوين وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، وأن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول له: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك بالهواجر وأسهرت ليلتك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من ورائي كل تجارة فيعطي

الملك بيمينه والنخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقول لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأوا واصعدوا في درج الجنة وغرفها فهو في صعودها مادام يقرأ هزراً كان أو ترتيلاً، غريب<sup>(١)</sup>.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية ثنا أيوب الدمشقي، ثنا اسماعيل بن عباس، ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة، ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة».

أخبرنا الإمام أبو علي حسين بن محمد القاضي، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي، أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أ يحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات<sup>(٢)</sup> عظام سمان؟» قلنا: نعم يا رسول الله! قال: «ثلاث آيات يقرأهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان». صحيح.

أنا عبدالواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الزياتي، ثنا حميد بن زنجوية، ثنا أبو الأسود، ثنا ابن لهيعة عن زيان هو ابن فائد عن سهل هو ابن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ألبس والده يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به؟».

أنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أنا محمد بن عبدالله الصفار، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البولي، ثنا أبو حذيفة، ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن حثيمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل: يقرأ على قوم،

١. قوله: (غريب) هو اصطلاح المحدثين عن الحديث الذي ينفرد بروايته واحد من التابعين أو من اتباع التابعين.

٢. خَلْفَات: جمع الخَلْف بوزن: اكتف، وهي بنت الخاض الحامل من النوق.

فلما قرأ، سأله فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به»، رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الأعمش عن حثيمة عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: وقال محمد بن إسماعيل هو حثيمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي، وليس هو حثيمة بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية :

« وقال ابن مالك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾<sup>(٢)</sup>. قال: هي القرآن.

وقال رسول الله ﷺ: «من أراد علم الأولين والآخرين فَلْيَتَوَرَّ الْقُرْآنَ»<sup>(٣)</sup>. وقال ﷺ: «اتلوا هذا القرآن فإن الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات، أما أني لا أقول ألم حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف»<sup>(٤)</sup>.

وقيل لجعفر بن محمد الصادق: لم صار الشعر والخطب يُمَلُّ ما أعيد منها، والقرآن لا يُمَلُّ؟ فقال: «لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثاني كما هو حجة على أهل الدهر الأول، فكل طائفة تتلقاه غضا جديدا، ولأن كل امرئ في نفسه متى أعاده، وفكر فيه، تلقى منه في كل مرة علوما غضة؛ وليس هذا كله في الشعر والخطب».

وقيل لحميد بن سعيد: ما هذا التردد للقصص في القرآن؟ فقال: ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار.

« وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله».

وقال ﷺ: «ما من شفيح أفضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك».

وقال ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن».

١. معالم التنزيل للبخارى ج ١ ص ٣٣-٣٤. ٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٣. تنوير القرآن قراءته والبحث عن معانيه وعلمه. اللسان مادة ثور. وانظر البحر المحيط ج ١ ص ١٢.

٤. صحيح الترمذي ج ١١ ص ٣٤. وتيسير الوصول ج ١ ص ٨٢، وسنن الدارمي ٤٢٢ وفيها حديثان مرويان عن أبي الأحوص عن عبد الله بلفظ مختلف.

وقال عبدالله<sup>(١)</sup> بن عمرو بن العاص: «من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه».

وحدث مالك بن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ ثلثمائة آية لم يحاجه القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أشرف أمتي حملة القرآن». وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْهَا﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخر الآية. فقال: «سابقكم سابق ومقتصدكم ناج، وظالمكم مغفور له».

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله»<sup>(٤)</sup>. وروى أنس أن رسول الله ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق، من شفع له القرآن نجا، ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله لوجهه في النار، وأحق من شفع له القرآن أهله وحملته، وأول من محل به، من عدل عنه وضيعه»<sup>(٥)</sup>. وقال ﷺ: «إن الذي يتعاهد هذا القرآن ويشتد عليه له أجران، والذي يقرأه وهو خفيف عليه مع السفارة الكرام البررة»<sup>(٦)</sup>.

١. وفي نسخة «عبدالحق» وهو خطأ من الناسخ. وفي طبقات القراء ج ١ ص ٤٣٩، والقراءات القرآنية ٤٣٧، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١١١، عبدالله بن عمرو بن العاص أبو محمد السهمي الصحابي الجليل وردت عنه الرواية في حروف القرآن العظيم وهو أحد الذين حفظوه في حياة النبي توفي ٦٥ هـ.
٢. انظر سنن الدارمي ٤٣٨ فيها الحديث بلفظ مختلف. واتفق أبو حيان مع ابن عطية في نص الحديث. انظر البحر المحيط ج ١ ص ١٢، وانظر المنهل المذنب المورود في شرح سنن أبي داود ج ٨ ص ١٥.
٣. سورة فاطر: الآية ٣٢.
٤. اتفق أبو حيان مع ابن عطية في نص الحديث. راجع البحر المحيط ج ١ ص ١٢، وفي سنن الدارمي ٤٢٢ الحديث بلفظ مختلف.
٥. في صحيح ابن حبان ١٢٤ حديث مروى عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن شافع مشفع وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار». قال أبو عبيد: جعله يحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه وإذا هو ضيعه. قال ابن الأثير: أي خصم بمجادل مصدق، وقيل: ساع مصدق من قولهم: محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان، يعني أن من اتبعه وعمل بما فيه فإنه شافع له مقبول الشفاعة ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به. انظر اللسان.
٦. صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٥، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٧٠، وصحيح الترمذي ج ١١ ص ٢٩، وتيسير الوصول ج ١ ص ٨٣، وسنن الطيالسي ج ٦ ص ٢٦٠، وسنن الدارمي ٤٢٩.

وقال ابن مسعود <sup>(١)</sup>: ملُّ أصحاب رسول الله ملة فقالوا: يا رسول الله، حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابَهُ تَتَشَابَهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ <sup>(٢)</sup>. الآية. ثم ملوا ملة أخرى فقالوا: قص علينا يا رسول الله. فأنزل الله تعالى: ﴿تَنحَنُّ نَفْسٌ عَلَىٰ حَبْلِكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ <sup>(٣)</sup> [فأرادوا الحديث، فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص].

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه» <sup>(٤)</sup>.

وقال عبدالله بن مسعود: «إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه وإن أدب الله القرآن» <sup>(٥)</sup>. ومر أعرابي على عبدالله بن مسعود وعنده قوم يقرأون القرآن فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال له ابن مسعود: «يقتسمون ميراث محمد ﷺ».

ومرت امرأة على عيسى بن مريم ﷺ فقالت: «طوبى لبطن حملك، ولثديين رضعت منهما» فقال عيسى: «طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبع ما فيه».

وقال محمد بن كعب القرظي <sup>(٦)</sup> في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ <sup>(٧)</sup> قال: «هو القرآن ليس كلهم رأى النبي ﷺ».

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ <sup>(٨)</sup> قال: «الإسلام والقرآن». وقيل لعبدالله بن مسعود: إنك لتقل الصوم فقال: «إنه يشغلني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحب إلي منه». وقال قوم <sup>(٩)</sup> من الأنصار للنبي ﷺ: ألم تر يا

١. هكذا في جميع النسخ. وفي المنتخب من السنة، المجلد الثاني ١٦٨ حل أصحاب رسول الله حلة .... ثم حلوا حلة .... وأشير إلى أنه منقول من البداية والنهاية ج ٢ ص ٤٦٧ ولم أسطع العثور عليه في البداية والنهاية. والمقصود من طلبهم الحديث إزالة ملل أصابع قلوبنا من الرسول أن يسرى عنهم.

٢. سورة الزمر: الآية ٢٣. ٣. سورة يوسف: الآية ٣.

٤. انظر عمدة القاري ج ٢٠ ص ٤٢، ومسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣٣٦، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٧٠، وصحيح ابن حبان ص ٢٢. ٥. سنن الدارمي ص ٤٢٤.

٦. تاهي مشهور، قال الترمذي: سمعت قتبية بن سعيد يقول: إن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي ﷺ. وذهب بعضهم: إلى أنه ولد سنة (٤٠ هـ) في آخر خلافة علي ﷺ. ومات (١٠٨ هـ) الإصابة ج ٦ ص ١٩٧.

٧. سورة آل عمران: الآية ١٩٣. ٨. سورة يونس: الآية ٥٨.

٩. عمدة القاري ج ٢٠ ص ٣٥، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٩٤، والحديث مروى عن أبي سعيد الخدري. البحر المحیط ج ١ ص ١٢، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٢.



رسول الله ثابت بن قيس<sup>(١)</sup> لم تنزل داره البارحة يزهر فيها وحولها أمثال المصابيح؟ فقال لهم: «فلعله قرأ سورة البقرة». فمثل ثابت بن قيس فقال: نعم، قرأت سورة البقرة. وفي هذا المعنى حديث صحيح عن أسيد بن حضير<sup>(٢)</sup> في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة. خرّجه البخاري<sup>(٣)</sup>.

وذكر أبو عمر الداني<sup>(٤)</sup>، عن علي الأثرم<sup>(٥)</sup> قال: كنت أتكلم في الكسائي وأقع فيه فرأيت في النوم وعليه ثياب بياض ووجهه كالقمر، فقلت: يا أبا الحسن. ما فعل الله بك؟ غفر لي بالقرآن.

وقال عقبه بن عامر<sup>(٦)</sup>: عهد إلينا رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «عليكم بالقرآن». وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن من أسراط الساعة أن يبسط القول، ويخزن الفعل، ويرفع الأشرار، ويوضع الأخيار، وأن تقرأ المشناة على رؤوس الناس لا تتغير. قيل: وما المشناة؟ قال: ما استكتب من غير كتاب الله. قيل له: فكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أخذتموه ممن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه، وعليكم بالقرآن<sup>(٧)</sup> فتعلموه، وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل».

١. خطيب الأنصار، وخطيب النبي صلى الله عليه وسلم، شهد أحدا وما بعدها. قتل يوم البمامة في خلافة أبي بكر شهيدا. الإصابة ج ١ ص ٢٠٣، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٧٣.
٢. ابن سبأ بن الأوس الأنصاري، كان إسلامه بعد العقبة الأولى، روى عنه كعب بن مالك وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك، وأخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن. توفى (٢٠ هـ). أسد الغابة ج ١ ص ١١٨.
٣. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، البخاري، الجعفي، إمام المحدثين، رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار. توفى (٢٥٦ هـ). وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٩، وانظر عمدة القاري، ج ٢ ص ٣٥.
٤. عثمان بن سعيد بن عثمان، المقرئ، روى كتاب السبعة لابن مجاهد سماعا عن أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب لسامعة منه، وانتقل إلى كثير من البلاد الإسلامية. توفى (٤٤٤ هـ). معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٢٤.
٥. علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن، لقي أبا عبيدة والأصمعي، وأخذ عنها، له من الكتب كتاب «النوادر» وكتاب «حديث الغريب». مات (٢٣٢ هـ). معجم الأدباء ج ١٥ ص ٣٧.
٦. البحر المحیط ج ١ ص ١٢. وعقبه، صحابي مشهور، روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين: منهم ابن عباس، وهو أحد من جمع القرآن. توفى (٥٨ هـ). الإصابة ج ٣ ص ٢٥٠.
٧. هكذا في نسخة وهو الأصح وفي نسخة أخرى «بالقول».

وقال رجل لأبي الدرداء<sup>(١)</sup>: إن إخواننا لك من أهل الكوفة يقرأونك السلام ويأمرونك أن توصيهم. فقال: أقرنهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائهم<sup>(٢)</sup>، فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويجنبهم الجور والحزونة.

وقال رجل لعبد الله بن مسعود: أوصني. فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٣)</sup> فأعرها سمعك فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه.

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتاً بالقرآن. فقال: «الذي إذا سمعته رأيت يخشى الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن قبل أن يجيء قوم - يقيمونه كما يقام القدح، ويضعون معانيه - يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»<sup>(٥)</sup>.

ويروى أن أهل اليمن لما قدموا أيام أبي بكر الصديق سمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّالَهُ مِنْ دَالِجٍ﴾<sup>(٦)</sup>. فأن أنه عيد منها عشرين يوماً.

وقال الحسن بن أبي الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً تركيبونه فتقطعون به المراحل، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: أنزل عليهم القرآن فلم يعملوا به فاتخذوا درسه عظة، إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به.

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية رضي الله عنه: قال الله تعالى:

١.. انظر سنن الدارمي ٤٣٥.

٢. وهو جمع خزامة. يريد به الاتقياء لحكم القرآن والقائه الأمانة إليه. انظر اللسان.

٣. سورة البقرة: الآية ١٠٤ ومثلها كثير.

٤. في سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٠٨ عن جابر ويلفظ مختلف «الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله». وفي سنن الدارمي ص ٤٤٢ عن طاوس.

٥. في سنن أبي داود ج ١ ص ٢٢٠ عن جابر بن عبد الله ويلفظ مختلف فليتنظر. وانظر تيسير الوصول ج ١ ص ١٨٧.

٦. سورة الطور: الآيتان ٨٠٧.

﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. أى علم معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسر وتركوا الثقيل، وهو المطلوب منهم<sup>(٣)</sup>.

قال الطبرسي في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله:

«انس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

وعنه انه قال ﷺ: «افضل العبادة قراءة القرآن».

وعنه انه قال ﷺ: «القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده»<sup>(٤)</sup>.

قال القرطبي:

«.... وأسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري النحوي اللغوي

في كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» عن عبد الله بن مسعود قال: قال

رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن جبل

اللّه، وهو النور المبين والشفاء النافع، عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه،

لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعيب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن

اللّه يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنى لا أقول الم حرف، ولا ألفين

أحدكم واضعاً إحدى رجله يدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان يفر من البيت الذي

تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله».

قال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله، قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو

آمن. قال: وتأويل الحديث: أنه مثل، شبه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم

فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال: مأدبة ومأدبة؛ فمن قال: مأدبة؛ أراد الصنيع يصنعه

الإنسان فيدعو إليه الناس. ومن قال: مأدبة؛ فإنه يذهب به إلى الأدب، يجعله مفعلة من

الأدب، ويحتج بحديثه الآخر: «إن هذا القرآن مأدبة الله عز وجل فتعلموا من مأدبته».

وكان الأحمر يجعلهما لغتين بمعنى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره. [قال:]

٢. سورة المزمل: الآية ٥.

١. سورة القمر: الآية ١٧.

٣. المهر الوجيز ج ١ ص ٢٣-٤١ وقد نقل عين هذه العبارة أبو حيان في البحر المحیط ج ١ ص ١٢.

٤. مجمع البيان ج ١ ص ٨٤.

والتفسير الأول أعجب إلي.

وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وروى مسلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل لا ريح لها وطعمها مر». وفي رواية: «مثل الفاجر» بدل «المنافق». وقال البخاري: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة...» وذكر الحديث.

وذكر أبو بكر الأنباري: وقد أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا هشيم،<sup>(١)</sup> ح. وأنبأنا إدريس، حدثنا خلف، حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب: أن أبا عبد الرحمن السلمي كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه، وقال له: يا هذا، اتق الله! فما أعرف أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت. وروى الدارمي عن وهب الذماري قال: من أتاه الله القرآن فقام به أثناء الليل وأثناء النهار، وعمل بما فيه ومات على الطاعة، بعثه الله يوم القيامة مع السفارة والأحكام. قال سعيد<sup>(٢)</sup>: السفارة الملائكة،

١. جرت العادة بالاختصار على الرمز في حديثنا وأخبرنا، واستمر الاصطلاح عليه من قديم الأعمار إلى زماننا. واشتهر ذلك بحيث لا يعني: فيكتبون من حديثنا «ثنا» وهي التاء والنون والألف، وربما حذفوا التاء. ويكتبون من أخبرنا «أنا» ولا تحسن زيادة الباء قبل «نا»؛ وإذا كان للحديث إسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى إسناد «ح» وهي حاء مهملة؛ والمختار أنها مأخوذة من التحول، لتحوّله من إسناد إلى إسناد. وأنه يقول القاري: إذا انتهى إليها: «ح» ويستمر في قراءة ما بعدها. وقيل: إنها من حال بين الشئين إذا حجز، لكونها حالت بين الاسنادين وأنه لا يلفظ عند الانتهاء إليها بشيء؛ بل وليست من الرواية. وقيل: إنها رمز إلى قوله: «الحديث». وأن أهل المغرب كلهم يقولون إذا وصلوا إليها: الحديث. ثم هذه الحاء توجد في كتب المتأخرين كثيرا، وهي كثيرة في صحيح مسلم، قليلة في صحيح البخاري. (عن مقدّمه النووي على صحيح مسلم).

٢. سعيد هذا، هو سعيد بن عبدالعزيز أبي يحيى التنوخي، أحد رجال سند هذا الحديث. وفي الأصول: «سعد» وهو تحريف.

والأحكام<sup>(١)</sup> الأنبياء.

وروى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران». التتعتع: التردد في الكلام عيا وصعوبة؛ وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة؛ ودرجات الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن متعتعا عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة والله أعلم.

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول المّ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف». قال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي موقوفاً.

وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة؛ فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين<sup>(٢)</sup> في غير إثم ولا قطع رحم» فقلنا: يا رسول الله، كلنا نحب ذلك؛ قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم<sup>(٣)</sup> أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه». وروى أبو داود والنسائي والدارمي والترمذي عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة».

١. هكذا في نسخ الأصل وسنن الدارمي. ولصل الفرض وذوو الأحكام، أو هو جمع حكيم كشريف وأشرف أو حكم كبطل وأبطال.

٢. «كوماوين» تنية كوما؛ أي مشرفة السنام عاليته.

٣. قوله: فيعلم. ضبط بنصب الفعل ورفعه ويشديد اللام من التعليل، وتخفيفها من العلم.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجيء القرآن<sup>(١)</sup> يوم القيامة فيقول يا رب حلة فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة». قال: حديث صحيح.

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه».

وأسنده أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة الحمصي، قال رسول الله ﷺ: «من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ومن أعطى ثلثي القرآن فقد أعطى ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه، ويقال له يوم القيامة: اقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له: اقبض فيقبض، ثم يقال له: أتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم».

حدثنا إدريس بن خلف، حدثنا إسماعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ ثلث القرآن وعمل به فقد أخذ أمر ثلث النبوة ومن أخذ نصف القرآن وعمل به فقد أخذ أمر نصف النبوة ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها». قال: وحدثنا محمد بن يحيى المروزي، أنبأنا محمد وهو ابن سعدان، حدثنا الحسين بن محمد عن حفص عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له النار».

وقالت أم الدرداء: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن. ذكره

١. الذي في نسخ الأصل: «يجيء». صاحب القرآن». والتصويب عن سنن الترمذي.

أبو محمد مكي.

وقال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ذكره مكي أيضا. وقال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. و«لَعَلَّ» من الله واجبة.

وفي مسند أبي داود الطيالسي - وهو أول مسند ألف في الإسلام - عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين». والآثار في معنى هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي في ما جاء في حامل القرآن ومن هو، وفيمن عاداه:

«قال أبو عمر: روى من وجوه فيها لين عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط وذو الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه». وقال أبو عمر: وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه، وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه. وروى أنس: أن النبي ﷺ قال: «القرآن أفضل من كل شيء فمن قرأ القرآن فقد وفر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله تعالى، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله، فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

قال البغدادي: «عن عثمان عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (ق) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»، قوله: «الماهر بالقرآن» يعني الحاذق الكامل

٢. سورة الأعراف الآية ٢٠٤.  
٤. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٦.

١. سورة طه الآية ١٢٣.  
٣. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤-٩.

الحفظ الجيد للتلاوة، وقوله: مع السفارة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لأنه يسفر برسالات الله الى أنبيائه، وقيل: السفارة الكتبة من الملائكة، والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به.

ومعنى كونه مع الملائكة؛ أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقاً لهم، وقوله: يستمتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، له أجران يعني يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبها فيها والمشقة التي تحصل له فيها، وليس معناه: أن له أجراً أكثر من الماهر، بل الماهر أفضل منه وأكثر أجراً (ق)، عن أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريع لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريع لها، فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن» واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه.

عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله أي الأعمال أحب الى الله تعالى؟ قال: «الحال المرتحل»، قال: وما الحال المرتحل، قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل» أخرجه الترمذي.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال: لصاحب القرآن أقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند الله آخر آية تقرؤها» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حلة فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال: أقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن.



عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا» أخرجه أبو داود.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب وليس له إسناد صحيح .  
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» معنى أذن في اللغة: استمع ولا نحمله على الاصغاء، فانه يستحيل على الله تعالى، بل هو كناية عن تقريبه قارىء القرآن واجزال ثوابه في ذلك، وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث، وقوله: «يتغنى بالقرآن» أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة، وقيل معناه: يستغني به عن الناس والقول الأول أولى ويدل عليه سياق الحديث، وهو قوله: «يجهر به» .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(١)</sup>.  
قال النيشابوري في فضل القراءة والقاريء:

«عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار».

وعنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الاعمال أحب الي الله؟ قال: «الحال المرتحل»، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «يضرب من أول القرآن الي آخره، كلما حل ارتحل».

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر في القرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

وعن سهل بن معاذ الجهني: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل به أبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟».

وفي الصحيحين عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «انما مثل صاحب القرآن مثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت».

وفيها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنّى بالقرآن».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: «يقال: لصاحب القرآن اقرأ وأرق، وترتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأ»<sup>(١)</sup>.

قال الفيض الكاشاني في نبذ مما جاء في تمثل القرآن لأهله يوم القيامة، وشفاعته لهم، وثواب حفظه وتلاوته:

« روى في الكافي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجيء القرآن في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين<sup>(٢)</sup>، فيقولون: هذا رجل منا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا، حتى يستهي إلى رب العزة جل وعز، فيقول: يا رب فلان بن فلان أضمت هواجره وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان بن فلان لم أظمء هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم، فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وأرق، قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها».

وإسناده عن يونس بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ان الدواوين يوم القيامة ثلاثة:

١. غرائب القرآن ج ١ ص ٩ - ١٠.

٢. لما كان المؤمن في نيته أن يعبد الله حق عبادته ويتلو كتابه حق تلاوته ويسهر ليله بقراءته والتدبر في آياته، وينصب بدنه بالقيام به في صلواته إلا أنه لا يتيسر له ذلك كما يريد ولا يأتي به كما ينبغي.

ديوان فيه النعم وديوان فيه الحسنات وديوان فيه السيئات، فيقابل ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات، فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يارب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتغيض عيناه إذا تهجد فارضه كما أَرْضاني. قال: فيقول العزيز الجبار عبدي ابسط يمينك فيملاها من رضوان الله العزيز الجبار ويملاً شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقراً واصعد فاذا قرأ آية صعد درجة.

أقول: وفي هذا المعنى أخبار كثيرة ومنها ما هو أبسط من هذا، وقد أوردنا نبداً منها في كتابنا الوافي وشرحناها هناك.

بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحافظ للقرآن . العامل به مع السفرة الكرام البررة» .

وبإسناده عن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: أي الأعمال أفضل قال: «الحال المرتحل» . قلت: وما الحال المرتحل؟ قال: «فتح القرآن وختمه كلما جاء بأوله ارتحل في آخره» .

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعطاه الله القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطى فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً» .

أقول: يشبه أن يكون قوله جاء بأوله كان حل بأوله فصحف.

وبإسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرأة المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية» .

وبإسناده عن محمد بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام ومرسلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قالاً: «من استمع حرفاً من كتاب الله تعالى من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكل حرف حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات» .

قال: « لا أقول بكل آية ولكن بكل حرف باء او ياء أو شبههما ». قال: « ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاته كتب الله له خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع الله له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة » قال: قلت: جعلت فداك ختمه كله. قال: « ختمه كله ».

وبإسناده عن ليث بن أبي سليم رفعه قال: قال النبي ﷺ: « نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم، فإن البيت إذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثر خيرُه واتسع أهله واطمأن أهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»<sup>(١)</sup>.

قال الكاشاني (ره): وقد ورد الحث الأكيد، والحض الشديد، على تلاوته. في الكافي<sup>(٢)</sup>، عن النبي ﷺ: « من قرأ عشر آيات في ليلة، لم يكتب من الغافلين. ومن قرأ خمسين آية، كتب من الذاكرين. ومن قرأ مائة آية، كتب من القانتين. ومن قرأ مائتي آية، كتب من الخاشعين. ومن قرأ ثلاث مائة آية، كتب من الفائزين. ومن قرأ خمس مائة آية، كتب من المجتهدين. ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من بر<sup>(٣)</sup>، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً، أصغرُها مثل جبل أحد، وأكبرها ما بين السماء والأرض ». (انتهى).

وعن السجادة عليه السلام<sup>(٤)</sup> قال: « من استمع حرفاً ..... »<sup>(٥)</sup>.

قال البحراني (ره):

١ - عن انس قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا امسيت ، فان القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر ».

١. الصافي ج ١ ص ٦٧-٦٩.  
 ٢. أصول الكافي، ج ٢، باب ثواب قراءة القرآن، ص ٦١٢، ح ٥٥. والمجزة البيضاء ج ٢ ص ٢١٤، عنه، وبحار الأنوار ج ١١ ص ٢٥٠. نقلاً عن أمالي الصدوق ص ٣٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.  
 ٣. المصدر: «تبر». وفي هامشه: «في بعض النسخ: من بر». وفي الهجاء: أيضاً: بر.  
 ٤. الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب ثواب قراءة القرآن، ح ٦. وتقدم في ص ٢٥٨ من الكتاب الحاضر.  
 ٥. تفسير المعين ج ١ ص ٣-٤.

٢ - الشيخ في التهذيب باسناده عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن علي، عن غياث بن ابراهيم، عن ابي عبدالله، عن ابيه، عن امير المؤمنين عليه السلام قال: « ثلاث يذهبن بالبلغم ويزدن في الحفظ: السواك والصوم وقراءة القرآن »<sup>(١)</sup>.

قال الجنائذي في فضل قراءة القرآن وفضل التوسل به بأى نحو كان :

« اعلم ان القرآن كما سلف الاشارة اليه قرين العترة وهما الحبلان الممدودان من الله الى الخلق، وان التوسل بالعترة بأى نحو كان من الخدمة وقضاء الحاجة والتوقير والمجبة لهم، والنظر اليهم والجلوس عندهم والانس بهم والتأمل في شؤونهم والتدبر في افعالهم والاستماع الى اقوالهم، وسماع اسمائهم ومناقبتهم واحوالهم، وتذكر شمائلهم واوصافهم من غير عناد معهم عبادة بل كانت من اعظم العبادات ومن اسباب دخول الجنات، كذلك النظر الى سطور القرآن والاستماع الى حروفه وقراءة كلماته وكتابة سوره وآياته، وتعظيمه وتوقير قارئه، وتصور مفاهيمه وتدبر معانيه، والنظر في اشاراته والالتذاذ بلطائفه، وامثال اوامره ونواهيه والاعتبار بحكاياته وامثاله والاتعاظ بمواعظه ونصائحه عبادة، بل كانت من اعظم العبادات، وكفى في فضل التوسل به قوله تعالى : **«اِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»**<sup>(٢)</sup>. وعن علي بن الحسين عليهما السلام وجعفر بن محمد عليهما السلام انهما قالا : « من استمع .... »<sup>(٣)</sup>.

واسحق بن عمار عن ابي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك اني احفظ القرآن عن ظهر قلبي فاقرأه عن ظهر قلبي افضل او انظر في المصحف، فقال لي : « بل اقرأه وانظر في المصحف ؛ فهو افضل، اما علمت ان النظر في المصحف عبادة ». ونسب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « افضل العبادات قراءة القرآن ».

وعنه عليه السلام : « القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، ان هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعجب، ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه

٢. سورة الاعراف: الآية ٢٠٤.

١. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٩.

٢. تقدم في ص ٢٥٨ من الكتاب الحاضر.

فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، اما اني لا اقول: ألم عشر ، ولكن اقول: الف عشر ولام عشر وميم عشر .»

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « ان القرآن عهد الله الى خلقه فقد ينبغي للمراء المسلم ان ينظر في عهده ، وان يقرأ في كل يوم خمسين آية .»

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى ، صلوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم ، فان البيت اذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثر خيرُه واتسع اهله وأضاء لاهل السماء كما تضيء نجوم السماء لاهل الدنيا .»

وعن السجاد عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اعطاه الله القرآن فرأى ان احدأ اعطى افضل مما أعطى فقد صغر عظيمأ وعظم صغيرأ » (١)

قال النهاوندي في ثواب تلاوة القرآن العظيم (٢):

« لتلاوة الكتاب الكريم ثواب عظيم وفضل جسيم .»

عن الصادق عليه السلام في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام قال : « عليك بتلاوة القرآن على كل حال .»

وعنه عليه السلام في حديث : « ومن قرأ نظراً من غير صلاة كتب الله له بكل حرف حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة » الى ان قال : « ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع له خمسين درجة ، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة ، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة او معجلة » قال : قلت : جعلت فداك ختمه كله ، قال : « ختمه كله .»

وعنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية قال : « يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون ، فيقول له : انا القرآن الذي كنت اسهرت الليل واضمات واجففت ريقك واسبلت دمعتك » الى ان قال : « فابشر فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى

٢. نفعات الرحمن ج ١ ص ٣٥ .

١. بيان السعادة ج ١ ص ٧-٨ .

الامان بيمينه والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ وارق فكلما قرأ آية صعد درجة « الخبر .

وعن الكليني رحمه الله بسنده عن حفص قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول في حديث: «ان درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يقال له: اقرأ وارق فيقرأ ثم يرقى». وعن الصادق عليه السلام قال : « عليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارى القرآن: اقرأ وارق فكلما قرأ آية رقى درجة « الى غير ذلك، ولعل السر في ذلك؛ ان في كل آية علم ونور ومعرفة وهداية ودعوة الى الله، فبالتمسك بكل منها والمعرفة بها والتخلق بموجيها والعمل بها تحصل للعبد درجة في كمال النفس والقرب الى الله، وبالتمسك بجميعها نهاية الكمال ومتهى القرب اليه سبحانه، ولما كانت درجات الجنة على حسب مراتب كمال العبد وقربه ومطابقا لها، بل هي معانيها وارواحها واثارها المترتبة عليها كانت درجات الجنة بعدد الآيات.

عن الزهري قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : اي الاعمال افضل؟ قال : « الحال المرتحل »، قلت : وما الحال المرتحل، قال : « فتح القرآن وختمه كلما جاء باوله ارتحل بآخره ».

وعن الصادق عليه السلام قال : « من قرأ مائة آية يصلّى بها في ليلة كتب الله له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة الليل كتب الله له في اللوح قنطاراً من الحسنات والقنطار الف ومائتا اوقية والاوقية اعظم من جبل أحد ».

وعن علي بن بابويه بسنده عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين ومن قرأ ثلثمائة آية لم يحاجّه القرآن ».

وعن المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « افضل العبادة قراءة القرآن ».

وعن ابي عبدالله عليه السلام عن ابائه صلوات الله عليهم في رواية : « ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقه في الدين كان له من الثواب مثل ما اعطى الملائكة والانبياء والمرسلون ».

وعن ابي عبدالله عليه السلام في حديث قال : « ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلواته قائماً أو له بكل حرف مائة حسنة ولا قرأ في صلواته جالساً أو له بكل حرف خمسون

حسنة، ولا في غير صلاة الأوله بكل حرف عشر حسنات» الى غير ذلك من الروايات، ولعل اختلاف مراتب الثواب باختلاف مراتب الايمان والمعرفة والتدبر، ففي مرتبة يكون ثواب كل حرف حسنة وفي مرتبة عشر حسنات. هذا مضافاً الى ان لذة تلاوة كتاب الله للمؤمن العارف المتدبر اعلى واتم من كل لذة، فانه يرى نفسه حاضراً في مجلس القرب فيخاطبه ربه ومليكه ويشافهه باحسن كلام والطف بيان، ثم ان لكل سورة من السور ثواب خاص وفضيلة مخصوصة<sup>(١)</sup>.

قال عبدالقادر:

« فقد روى ابن ابي شيبة في سنده ومحمد بن نصر وابن الأنباري في كتاب المصاحف والحاكم في المستدرک - وصححه - والبيهقي في حديث ابن مسعود في الوعاء أن النبي ﷺ قال: « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » قال الحاكم: هذا صحيح الاسناد ولم يخرجه البخاري ومسلم بسبب ما قيل في صالح بن عمر الذي هو في سنده وليس كذلك، فإن صالحاً قد خرج له مسلم وانما تركاه بسبب شيخه ابراهيم بن مسلم الحجري الذي ضعفه الجمهور، وما ضعفوه بطمن في صدقه أو حفظه وانما وجدوا له رفع عدة أحاديث إلى النبي ﷺ هي موقوفة على عبدالله بن مسعود وعلي وعمر رضي الله عنهم، ولكن خرج سفيان بن عتيبة بأنه جاز ابراهيم هذا فأعطاه كتبه فصحح له المرفوع والموقوف، بقوله هذا عن النبي ﷺ، وهذا عن عبدالله بن مسعود، وهذا عن عمر، وهذا عن علي، والظاهر أن هذا الحديث مما رفعه سفيان، ولذلك خرج ابن ابي شيبة، ومن ذكرنا مرفوعاً، وروي نحوه من حديث علي كرم الله وجهه، واعتمده القاضي الباقلاني في كتابه اعجاز القرآن<sup>(٢)</sup>.

١. نفعات الرحمن ج ١ ص ٣٥.

٢. بيان المعاني ج ١ ص ١٦ - ١٧.



قال البازوري :

« عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: « الناس أربعة، رجل أوتي الايمان ولم يؤت القرآن، ورجل أوتي القرآن ولم يؤت الايمان، ورجل أوتي القرآن، وأوتي الايمان، ورجل لم يؤت القرآن ولا الايمان .. أما الذي أوتي الايمان ولم يؤت القرآن فمثلته كمثل التمرة طعمها حلو ولا ريح لها، وأما الذي أوتي القرآن ولم يؤت الايمان فمثلته كمثل الأس ريحه طيب وطعمه مرّ، وأما من أوتي القرآن والايمان فمثلته كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، وأما الذي لم يؤت الايمان ولا القرآن فمثلته كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها ».

قال النبي صلى الله عليه وآله: «نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن، فإن البيت إذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثر خيرُه، واتسع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض».

عن أبي جعفر عليه السلام قال: « من قرأ القرآن في صلواته قائماً كتب الله له بكل حرف مئة حسنة، ومن قرأه في صلواته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأه في غير صلواته كتب له الله بكل حرف عشر حسنات ».

وعن أبي عبدالله، قال: « ما يمنع التاجر منكم، المشغول في سوقه، إذا رجع إلى منزله، أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فتكتب له لقاء كل آية يقرأها عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيئات »<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره في فضل قراءة القرآن :

« القرآن هو الناموس الإلهي الذي تكفل للناس باصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والاولى، فكل آية من آياته منبع فياض بالهداية ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالذي تروقه السعادة الخالدة والنجاح في مسالك الدين والدنيا - عليه أن يتعاهد كتاب الله العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكيره، ليسير على ضوء الذكر الحكيم الى نجاح غير منصرم وتجارة لن تبور.

وما أكثر الأحاديث الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام وعن جدهم الأعظم عليه السلام في فضل

## تلاوة القرآن.

منها: ما عن الإمام الباقر عليه السلام. قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قطار من تير... ».

ومنها: ما عن الإمام الصادق عليه السلام. قال: « القرآن عهد الله الى خلقه، فقد ينبغي للمراء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية ». وقال: « ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع الى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات ؟ ». وقال: « عليكم بتلاوة القرآن، فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن: إقرأ وارق، فكلما قرأ آية رقى درجة ».

وقد جمعت كتب الأصحاب من جوامع الحديث كثيراً من هذه الآثار الشريفة من أروادها فليطلبها. وفي التاسع عشر من كتاب بحار الأنوار الشيء كثير من ذلك .

وقد دلت جملة من هذه الآثار على فضل القراءة في المصحف على القراءة عن ظهر القلب. ومن هذه الأحاديث قول اسحق بن عمار للصادق عليه السلام: « جعلت فداك إنني احفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف قال: فقال لي: لا بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت ان النظر في المصحف عبادة؟ ». وقال: « من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره، وخفف عن والديه وإن كانا كافرين »<sup>(١)</sup>.

وفي الحث على القراءة في نفس المصحف نكتة جلييلة ينبغي الإلتفات اليها، وهو الإلجاع الى كلاءة القرآن عن الاندراس بتكثر نسخه، فانه لو اكتفي بالقراءة عن ظهر القلب لهجرت نسخ الكتاب، وأدى ذلك الى قتلها، ولعله يؤدي أخيراً الى انمحاء آثارها. على ان هناك آثاراً جزيلة نصت عليها الأحاديث لا تحصل إلا بالقراءة في المصحف، منها قوله: « متع ببصره » وهذه الكلمة من جوامع الكلم، فيراد منها أن القراءة في

١. هذه الروايات في اصول الكافي، كتاب فضل القرآن، وفي الوسائل طبعة عين الدولة ج ١ ص ٣٧٠.

المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد، أو يراد منها ان القراءة في المصحف سبب لتمتع القارئ بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة، لأن الإنسان عند النظر الى ما يروقه من المرئيات تبتهج نفسه، ويجد انتعاشاً في بصره وبصيرته. وكذلك قارئ القرآن إذا سرح بصره في ألفاظه، وأطلق فكره في معانيه وتعمق في معارفه الراقية وتعاليمه الثمينة يجد في نفسه لذة الوقوف عليها، ومتعة الطموح اليها، ويشاهد هشّة من روحه وتطلعاً من قلبه.

وقد أرشدتنا الأحاديث الشريفة الى فضل القراءة في البيوت. ومن اسرار ذلك إذاعة أمر الإسلام، وانتشار قراءة القرآن، فان الرجل إذا قرأه في بيته قرأته المرأة، وقرأه الطفل، وذاع أمره وانتشر. أما إذا جعل لقراءة القرآن أماكن مخصوصة فان القراءة لا تنتهي لكل أحد، وفي كل وقت، وهذا من أعظم الأسباب في نشر الإسلام. ولعل من أسراره ايضاً اقامة الشعار الألهي، إذا ارتفعت الأصوات بالقراءة في البيوت بكرة وعشياً، فيعظم أمر الإسلام في نفوس السامعين لما يعرفهم من الدهشة عند ارتفاع أصوات القراء في مختلف نواحي البلد.

ومن آثار القراءة في البيوت ما ورد في الأحاديث:

«ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّي لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله تعالى فيه نقل بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين» (١)، (٢).

قال الصادق :

«فلنخضع للقرآن كما لله فانه خير كلام لله، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق عليه ولم يغش حزناً أو وجلأ في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً، فقارئ القرآن يحتاج الى ثلاثة اشياء: قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال، فاذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرغ نفسه من

الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأنس روحه وسره بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم، بقبول كراماته، وبدائع اشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً وعلى ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب اوامره ونواهي، وكيف تمثل حدوده، فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعه حدوده<sup>(١)</sup>.

فالاصل في كل شارد ووارد هو القرآن، يرد اليه غير الضروري من الدين، ليعرف به المارد عن الوارد، ويميز به الغث عن السمين والخائن عن الأمين<sup>(٢)</sup>.

قال البازوري «قال رسول الله ﷺ: «أهل القرآن أهل الله وخاصته من خلقه».

وقال ابن مسعود: لا على أحدكم أن يسأل عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله.

وقال سهل: من علامة الايمان حب الله عز وجل، ومن علامة حب الله حب القرآن، ومن علامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي اتباعه، وعلامة اتباعه الزهد في الدنيا.

قال بعض المريدين: كنت في جدّة إرادتي قد لهجت بتلاوة القرآن، ثم رهقني فترة فبقيت أياماً لا أقرأ، فهتف بي هاتف من قبل الله عز وجل: إن كنت تحبني فلم جفوت كتابي؟ أما ترى ما فيه من لطيف عتابي؟

وقال بعض العارفين: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد.

١. عن مصباح الشريعة المنسوب الى الامام الصادق عليه السلام.

٢. الفرقان ج ١ ص ١٢-١٦.

قال سفيان في قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾<sup>(١)</sup>، أي أصرف عنهم فهم القرآن.

وكان ابن مسعود يقول: أنزل عليهم القرآن ليعلموه ويعملوا به، وإن أحدهم لیتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به.

قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «اقرأ» فقال: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: «إني أحب أن أسمع من غيري، فكان يقرأ وعينار رسول الله تفيضان، وذلك عند قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن»..<sup>(٤)</sup>

٢. سورة النساء: الآية ٤١.

١. سورة الاحراف: الآية ١٤٦.

٣. قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ج ١ ص ١٢٦/٩٥.

٤. الغيب والشهادة ج ١ ص ٢٧.

## خواص تلاوة الآيات والسور

قال النهاوندي (ره) : في ان للقرآن العظيم خواص وآثاراً دنيوية مضافاً الى الآثار الاخروية :

« مضافاً الى ان للقرآن العظيم فضائل وآثاراً كبيرة اخروية له خواص وآثار دنيوية .  
عن ابن مسعود رضي الله عنه : عليكم بالشفائين العسل والقرآن .  
وعن وائلة بن اسقع ان رجلاً شكى الى النبي ﷺ وجع حلقه قال : « عليك بقراءة القرآن » .

وعن ابي سعيد الخدري قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : اني اشتكى صدري قال :  
« اقرأ القرآن يقول الله تعالى : ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وعن النبي ﷺ : « القرآن مادبة الله فتعلموا من مادبة الله ما استطعتم ، انه الفوز  
المبين والشفاء النافع تعلموه فان الله يشرفكم بتعلمه » .

عن علي بن خلف قال : شكى رجل الى محمد بن حميد الرازي الرمد ، فقال له : آدم  
النظر في المصحف فانه كان بي رمد فشكوت ذلك الى جرير بن عبد الحميد فقال لي :  
أدم النظر الى المصحف فانه كان بي رمد فشكوت ذلك الى الاعمش فقال لي : آدم النظر  
في المصحف فانه كان بي رمد فشكوت ذلك الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال

لي : آدم النظر في المصحف فانه كان بي رمد فشكوت ذلك الى رسول الله ﷺ فقال لي : « آدم النظر في المصحف » ، فانه كان بي رمد فشكوت ذلك الى جبرئيل فقال لي : « آدم النظر في المصحف » .

ومر في بعض الروايات في فضائل القرآن : « انه الشفاء الاشفي » ومقتضى اطلاقه انه شفاء لجميع الامراض الظاهرية والباطنية ، بل كما انه لا يكون اشفى منه فى الامراض القلبية لا يكون شيء اشفى منه فى الامراض الجسمانية ، عن الزهري قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : « لومات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي » .

وعن الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام : « ثلاثة يزدن في الحفظ ويذهبن بالبلغم قراءة القرآن والعلل واللبان » .

وعنه صلوات الله عليه يرفعه الى النبي ﷺ قال : « اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن فان البيت اذا قرئ فيه القرآن يسر على اهله وكثر خيره وكان سكانه في زيادة، واذا لم يقرأ فيه ضيق على اهله وقل خيره وكان سكانه في نقصان » .  
وعن معاوية بن عمار عن ابي عبدالله عليه السلام : « من قرأ القرآن فهو غنى ولا فقر بعده والآخر ما به غنى » .

وفي رواية ما يقرب من هذا المضمون : « من اوتى القرآن فظن ان احداً اوتي خيراً منه حقر عظيماً وعظم حقيراً » .

اقول : لان القرآن جامع لجميع الخيرات الدنيوية والاخروية، عن ابن عباس قال : اذا فقدنا عقالتنا كنا نجده بالقرآن <sup>(١)</sup> .

قال النهاوندي في ان لبعض سور القرآن خواص مخصوصة :  
« قد رويت خواص خاصة لبعض سور القرآن عن العالم عليه السلام : « من نالته علة فليقرأ في جيبه ام الكتاب سبع مرات فان سكنت والا فليقرأ سبعين مرة فانها تسكن » .  
وعن الصادق انه دخل عليه رجل من مواليه وقد وعك ، فقال له : « مابى اراك مستغير

اللون» فقال: جعلت فداك وعكت وعكاً شديداً منذ شهر ثم لم تنقل الحمى عني، وقد عاجت بكل ما وصفه لي المترقون فلم انتفع بشيء من ذلك، فقال له الصادق عليه السلام: «حل ازار قميصك وادخل رأسك في قميصك وأذن وأقم واقرأ سورة الحمد سبع مرات» قال: ففعلت ذلك فكانما نشطت من عقال.

وفي رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انها شفاء من كل داء الا السام» يعني الموت. عن الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كسل او اصابته عين او صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح بها وجهه فيذهب عنه ما كان يجد». وعن سلمة بن محرز قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: «من لم تبرئه سورة الحمد وقل هو الله احد لم يبرئه شيء، وكل علة تبرئها هاتان السورتان».

عن معاوية بن عمار عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً».

وعنه عليه السلام: «من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات فان ذهب العلة والا فليقرأها سبعين مرة وانا الضامن له العافية».

وعنه عليه السلام قال: «من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء».

وعن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «اذا كانت لك حاجة فاقرأ المثنائي وسورة اخرى وصل ركعتين وادعوا الله» قلت: اصلحك الله وما المثنائي قال: «فاتحة الكتاب».

وعن العالم عليه السلام انه قال: «اذا بدئت بك علة تخوفت على نفسك منها فاقرأ الانعام فانه لا ينالك من تلك العلة ما تكره».

وعن سلامة بن عمرو والهمداني قال: دخلت المدينة فاتيت ابا عبدالله عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله اعتللت على اهل بيتي بالحج واتيكت مستجيراً مستسراً من اهل بيتي من علة اصابتنني وهي الداء الخبيثة، قال: «اقم في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي حرمة وأمنه واكتب سورة الانعام بالعسل واشربه فانه يذهب عنك».

وعن ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام يقول: «من قرأ سورة يوسف في كل ليلة بعثه الله



يوم القيامة وجماله على جمال يوسف « الى ان قال : « و أو من فى الدنيا ان يكون زانياً فحاشاً » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « من اكثر قراءة سورة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابدأ ولو كان ناصباً » .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم فى الدنيا وسبعين نوعاً من انواع البلاء اهونها الجنون والجذام والبرص » .

عن ابي جعفر عليه السلام قال : « من قرأ سورة المائدة في كل خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولم يشرك به ابدأ » .

وعن ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « من قرأ سورة الانفال وسورة براءة كل شهر لم يدخله نفاق وكان من شيعة امير المؤمنين عليه السلام » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه ان يكون من الجاهلين » الخبير .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « من قرأ سورة بني اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يموت حتى يدرك القائم عجل الله فرجه فيكون من اصحابه » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « من قرأ سورة الكهف كل ليلة جمعة لم يموت الا شهيد » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام : « قال من ادمن قراءة سورة مريم لم يموت حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده » .

وعنه عليه السلام قال : « من قرأ سورة الانبياء حبا لها كان ممن يرافق النبيين اجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً فى اعين الناس فى الحياة الدنيا » .

وعنه عليه السلام : « من قرأ سورة الحج فى كل ثلاثة ايام لم تخرج سنة حتى يخرج الى بيت الله الحرام » الخبير .

وعن ابن مسكان عنه عليه السلام : « من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة اذا كان يدمن قراءتها فى كل جمعة » الخبير .

وعنه عليه السلام قال : « حصنوا اموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم

فان من ادمن قراءتها في كل يوم او في كل ليلة لم يزن احد من اهل بيته ابداً حتى يموت .

وعنه عليه السلام قال : « من قرأ الطواسين الثلاثة في ليلة الجمعة كان من اولياء الله وفي جوار الله وكنفه ولم يصبه في الدنيا بؤس ابداً . »

وعنه عليه السلام قال : « من قرأ الحمدین حمد سباً وحمد فاطر من قرأهما في ليلة واحدة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته ومن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطى من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه . »

وعنه عليه السلام قال : « لكل شيء قلب وقلب القرآن يس من قرأها قبل منامه او في نهاره قبل ان يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليلة قبل ان ينام وكل الله به الف ملك يحفظونه من شر كل شيطان رجيم ومن كل آفة » الخبر .  
وعن ابي جعفر عليه السلام في رواية ذكر ثواب تلاوة يس الى ان قال : « ولم يصبه فقر ولا غرم ولا هدم ولا نصب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولاداء يضره » الى ان قال : « وكان ممن يضمن الله له السعة في معيشته والفرج عند لقائه . »

وروى : « ان يس تقرأ للدنيا والآخرة وللحفظ من كل آفة وبليّة في النفس والاهل والمال، وانه من كان مغلوباً على عقله قرأ عليه او كتبه وسقاه وان كتبه بماء الزعفران على اناء من زجاج فهو خير فانه ببراً . »

وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي اقرأ يس فان في يس عشر بركات ما قرأها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روي ولا عار الا كسى ولا عزب الا تزوج ولا خائف الا أمن ولا مريض الا برىء ولا مجبوس الا اخرج ولا مسافر الا عين على سفر ولا يقرأونها عند ميت الا خفف الله عنه ولا قرأها رجل له ضالة الا وجدها . »

وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في سورة يس قال : « وتدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة » الى ان قال : « ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة ونزعت عنه كل غل وداء . »

وعن عطاء بن ابي رباح قال : بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ يس في صدر

النهار قضيت حوائجه « وفي رواية عامية قال : « ما من ميت يقرأ عنده سورة يس الا هون الله عليه » .

وعن ابي قلابة قال : من قرأ يس غفر له ومن قرأها وهو جائع شبع ومن قرأها وهو ضال هدى ومن قرأها وله ضالة وجدها ومن قرأها عند طعام خاف قلته (بورك فيه) ومن قرأها عند ميت هون عليه ومن قرأها عند امرأة عسر عليها الوضع سهل عليها - الخبر .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من قرأ يس ووالصافات يوم الجمعة ثم سأل الله اعطاه سؤله » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال: « من قرأ سورة والصفات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في الحياة الدنيا مرزوقاً في الدنيا باوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبار عنيد » الخبر .

وفي رواية : « انها تقرأ للشرف والجاه في الدنيا والاخرة » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال: « من قرأ سورة الزمر استحقها من لسانه اعطاه الله شرف الدنيا والاخرة واعزه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه » الخبر .

عن ابي عبدالله عليه السلام : « من قرأ سورة حم السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مد بصره وسروراً وعاش في الدنيا محموداً مغبوطاً » .

وروى في حم الدخان ما يقرب من خواص سورة يس .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : « من قرأ سورة الذين كفروا لم يذنب ابداً ولم يدخله شك في دينه ولم يبتله الله بفقر ابداً ولا خوف من سلطان ابداً ولم يزل محفوظاً من الشك والكفر ابداً حتى يموت » الخبر .

وعنه عليه السلام : « حصنوا اموالكم ونساءكم وما ملكت ايمانكم من التلف بقراءة انا فتحنا لك » الخبر .

وعنه عليه السلام قال من أدمن في فرائضه ونوافله قراءة سورة ق وسع الله عليه رزقه » الخبر .

وعن الصادق عليه السلام قال : « من قرأ سورة والذاريات في يومه او في ليلته اصلح الله له

معيشته واتاه برزق واسع « الخبير.

وعن الباقر عليه السلام: « من قرأ سورة والطور جمع الله له خير الدنيا والاخرة ».

وعن ابي عبدالله عليه السلام: « من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محموداً بين الناس » الخبير.

وعنه عليه السلام من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة احبه الله واحبه الى الناس ولم ير في الدنيا بؤساً ابداً ولا فقراً ولا فاقة ولا آفة من آفات الدنيا « الخبير.

وفي رواية اخرى: « من قرأ الواقعة في كل جمعة لم ير بؤساً » الخبير.

وعن ابي عبدالله عليه السلام: « قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة لم يعذبه الله حتى يموت ابداً ولا يرى في نفسه ولا في اهله سوءاً ابداً ولا خصاصة في بدنه ».

وعن الشمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: « من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للايمان ونور له بصره ولا يصيبه فقر ابداً ولا جنون في بدنه ولا في ولده ».

وفي رواية اخرى: « ويكون محموداً عند الناس ».

وعن ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام قال: « من قرأ تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل ان ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة ».

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل تلك السورة المباركة وقراءتها عند النوم قال: « وبعث الله اليه ملكاً من الملائكة يسط عليه جناحه ويحفظه من كل سوء حتى يستيقظ ».

وعن الصادق عليه السلام: « من قرأ سورة ن والقلم في فريضة او نافلة آمنه الله عز وجل ان يصيبه فقر ابداً واعاذه الله اذا مات من ضمة القبر ».

وعن الصادق عليه السلام: « اكثروا من قراءة الحاقة فان قراءتها في الفرائض والنوافل من الايمان بالله ورسوله لانها نزلت في امير المؤمنين عليه السلام ومعاوية لعنه الله ولم يسلب قاريها دينه حتى يلقي الله عز وجل ».

وعنه عليه السلام: « من اكثر قراءة قل اوحى الى لم يصبه في الحياة الدنيا شىء من اعين الجن ولا نفثهم ولا من سحرهم ولا من كيدهم » الخبر.

وعنه عليه السلام في رواية في فضل تلاوة سورة المزمل في العشاء الاخرة وفي آخر الليل قال: « واحياء حياة طيبة واماته ميتة طيبة ».

وعن الباقر عليه السلام في فضل قراءة سورة المدثر في الفريضة قال: « في جملته ولا يدركه شقاء ابداً انشاء الله ».

وعن ابي عبدالله عليه السلام في تلاوة سورة عم في كل يوم قال: « لم يخرج سنة حتى يزور البيت » وفي تلاوة سورة والنازعات قال: « لم يممت الا ديانا ».

وفي رواية اخرى قال: « لا يدركه شقاء ابداً ».

وعنه عليه السلام في قراءة اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت: « من قرأهما وجعلهما نصب العين في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه الله من حاجة ».

وفي رواية: « من سقى سما او لذعته ذو حمة من ذوات السموم يقرأ على الماء والسماء ذات البروج ويسقى فانه لا يضره انشاء الله ».

وعن ابي عبدالله عليه السلام انه اوصى اصحابه واوليائه: « من كان به علة فليأخذ قلة جديدة وليجعل فيها الماء وليسقى الماء بنفسه وليقرأ على الماء انا انزلناه على الترتيل ثلاثين مرة ثم يشرب من ذلك الماء وليتوضأ وليمسح به وكلما نقص زاد فيه فانه لا يظهر ذلك ثلاثة ايام الا ويعافيه الله تعالى من ذلك الداء ».

وعن اسمعيل بن سهل قال: كتبت الى ابي جعفر عليه السلام اني قد لزميني دين فادح فكتب:  
« اكثر الاستغفار ورطب لسانك بقراءة انا انزلناه ».

وروى: « انه من اخذ قدحاً وجعل فيه ماء وقرأ فيه انا انزلناه خمساً وثلاثين مرة ورش ذلك الماء على ثوبه لم يزل في سعة حتى يبلى ذلك الثوب ».

وفي رواية: « من قرأها حبيب الى الناس فلو طلب من رجل ان يخرج من ماله بعد قراءتها حتى يقابله لفعل، ومن خاف سلطاناً فقرأها حين ينظر الى وجهه غلب له ومن قرأها يريد الخصومة اعطي الظفر، ومن يشفع بها الى الله شفعه واعطاه سؤله ».

وفي رواية عن امير المؤمنين عليه السلام قال: «رحم الله من قرأنا انزلناه» الى ان قال: «لكل شيء عون وعون الضعفاء انا انزلناه ولكل شيء يسر ويسر المعسرين انا انزلناه ولكل شيء عصمة وعصمة المؤمنين انا انزلناه ولكل شيء هدى وهدى الصالحين انا انزلناه» الخبر.

وعنه صلوات الله عليه في رواية اخرى: «هي نعم رفيق المرء بها يقضى دينه ويعظم دينه ويظهر فلجه ويطول عمره ويحسن حاله» الخبر.

وفي رواية: «أبى الله ان يسخط على قاريها ويسخطه» قيل: فما معنى يسخطه قال: «لا يسخطه بمنعه حاجته» الى ان قال: «وأبى الله ان ينام قاريها حتى يحفه بالف ملك يحفظونه حتى يصبح وبالف ملك حتى يمسي» الخبر.

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «لا تملؤا قراءة اذا زلزلت الارض فان من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله عز وجل بزلزلة ابداً ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بأفة من آفات الدنيا» الخبر.

وعنه عليه السلام: «من قرأ ويل لكل همزة في فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء».

ونقل عن خط الشهيد رضوان الله عليه عن الصادق صلوات الله عليه انه قال: «يقرأ في وجه العدو سورة الفيل».

ونقل عن الراوندي رضي الله عنه في اخبار المعمرين انه ذكر بعضهم ان والده كان لا يعيش له ولد قال: ثم ولدت له على كبره ففرح به ثم مضى ولى سبع سنين فكفمني عمي فدخل بي يوماً على النبي صلى الله عليه وآله وقال له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ان هذا ابن اخي وقد مضى لسبيله فعلمني عوذة اعيدته بها فقال: «ابن انت من ذات القلائل» قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وقل اهوذ برب الفلق وقل اهوذ برب الناس».

وفي رواية: قل اوحى، قال المعمر: وانا الى اليوم اتعوذ بها ما اصبت بولد ولا مال ولا مرضت ولا افتقرت وقد انتهى بي السن ما ترون.

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: «لذعت النبي صلى الله عليه وآله عقرب وهو يصلي فلما فرغ قال:

« لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره ثم دعا بماء ملح وجعل يمسح عليها ويقرأ ﴿ قل يا ايها الكافرون وقل اهوذ برب الفلق وقل اهوذ برب الناس ﴾ » .

وعن جبير بن مطعم قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اتحب يا جبير اذا خرجت سرفراً ان تكون مثل اصحابك هيئة واكثرهم زاداً » فقلت : نعم بابي انت وامي قال : « فاقراً هذه السور الخمس : ﴿ قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله احد وقل اهوذ برب الفلق وقل اهوذ برب الناس ﴾ وافتتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم واختتم قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم » . قال جبير بن مطعم : وكنت غنياً كثير المال فكنت اخرج في سفر فاكون من ايدهم هيئة واقلمهم زاداً فما زلت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأت بهن اكون من احسنهم هيئة واكثرهم زاداً حتى ارجع من سفرى .

وعن الصادق عليه السلام قال : « من قرأ ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ﴾ في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه » الى ان قال : « ويفتح له في الدنيا من اسباب الخير ما لم يتمن ولم يخطر على قلبه » .

وفي رواية اخرى : « نصره الله على جميع اعدائه وكفاه المههم » .

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : « من أوى الى فراشه فقرأ قل هو الله إحدى عشرة مرة حفظ في داره وفي حوله » .

وعنه عليه السلام قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في دبر الفريضة ﴿ قل هو الله احد ﴾ فانه من قرأها جمع له خير الدنيا والاخرة » .

وعنه عليه السلام قال : « من مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله احد ثم مات مات على دين ابي لهب » .

وعن رجل سمع ابي الحسن عليه السلام يقول : « من قدم قل هو الله احد بينه وبين جبار منعه الله عنه يقرأها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره » .

وعن مفضل بن عمر قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : « يا مفضل احتجز من الناس كلهم ببسم الله الرحمن الرحيم وقل هو الله احد اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين

يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك فاذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر اليه ثلاث مرات واعقد بيدك اليسرى ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده». وعنه عليه السلام انه قال: «من قرأ قل هو الله احد نفت عنه الفقر واشتدت اساس دوره ونفعت جيرانه».

وعن ابي جعفر عليه السلام: «من لم تبرئه سورة الحمد وقل هو الله احد لم يبرئه شيء وكل علة تبرئها هاتان السورتان».

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ قل هو الله نظرا لله اليه الف نظرة بالآية الاولى وبالآية الثانية استجاب الله له الف دعوة وبالآية الثالثة اعطاه الله الف مسأله وبالآية الرابعة قضى الله له الف حاجة كل حاجة خير من الدنيا والآخرة».

وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اراد سفراً فاخذ بعضادتي منزله فقرأ احد عشر<sup>(١)</sup> مرة قل هو الله احد كان الله تعالى له حارثاً<sup>(٢)</sup> حتى يرجع».

وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه وعلى اهل بيته ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى اهل بيته وجيرانه».

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من اتى منزله وقرأ الحمد وقل هو الله احد نفى الله عنه الفقر وكثر خير بيته حتى يفيض على جيرانه».

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال: «كان سبب المعوذتين انه وعك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بهاتين السورتين فعوذ بهما».

وعن الرضا عليه السلام انه رأى مصروعاً فدعاه بقدر فيه ماء ثم قرأ عليه الحمد والمعوذتين ونفت في القدر ثم امر بصب الماء على وجهه ورأسه فافاق وقال لا يعود اليك ابداً<sup>(٣)</sup>.

قال النهاوندي في ان لبعض الآيات خواص وأثاراً دنيوية:

٢. كذا والصحيح: حارساً.

١. كذا والصحيح: احدى عشر.

٢. صفحات الرحمن ج ١ ص ٤١-٤٢.



« قد نطقت الروايات ببيان خواص وأثار لكثير من الآيات، عن النبي ﷺ من حزنه امر تعاطاه فقال: « بسم الله الرحمن الرحيم وهو مخلص لله ويقبل بقلبه لم ينفك من احدى اثنتين اما بلوغ حاجته في الدنيا واما يعد له عند ربه ويدخر لديه وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين » .

وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه عن النبي ﷺ عن الله عز وجل: « كل ذي بال لم يذكر فيه بسم الله فهو ابتر » .

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: « ان العبد اذا اراد ان يقرأ او يعمل عملاً فيقول ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فانه يبارك له فيه » .

وعن الصادق عليه السلام في رواية: « ولربما ترك في افتتاح امر بعض شيعةنا بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبئه على شكر الله » الخبير .

روى انه سئل النبي ﷺ هل يأكل الشيطان مع الانسان قال: « نعم كل مائدة لم يذكر بسم الله عليها يأكل الشيطان معهم ويرفع الله البركة عنها » .

وعن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء اعرابي فقال: يا نبي الله ان لي أخا وبه وجع قال: « وما وجعه » قال: به لم قال: « فأتني به » فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب واربع آيات من اول سورة البقرة وهاتين الآيتين والهكم اله واحد وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو وآية من الاعراف إن ربكم الله وآخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وانه تعالى جد ربنا وعشر آيات من اول الصفات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله احد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قط .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه موقوفاً: من قرأ أربع آيات من اول سورة البقرة وآية الكرسي وأيتين بعد آية الكرسي وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا اهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على مجنون الا افاق .

وعنه رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ﷺ علمني شيئاً ينفعني الله به قال: « اقرأ آية الكرسي فانه ينفعك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك » .

وروى : « انه من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن ، اربع من اولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث من آخرها » .

وعن الباقر عليه السلام : « من قرأ آية الكرسي مرة صرف عنه الف مكروه من مكروه الدنيا والف مكروه من مكروه الآخرة ايسر مكروه الدنيا الفقر وايسر مكروه الآخرة عذاب القبر » .

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ اربع آيات من اول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه ولا يقربه شيطان ولا ينسى القرآن » .

وعن امير المؤمنين عليه السلام : « ليقرأ احدكم اذا خرج من بيته الآيات من آل عمران وآية الكرسي وانا انزلناه وام الكتاب فان فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة » .

عن الرضا عليه السلام يقول : « من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج ومن قرأ دبر كل صلاة لم يضره ذوحمة » اي : ذو سم .

وفي حديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي من كان في بطنه ماء اصفر فكتب آية الكرسي وشرب ذلك الماء يبرأ باذن الله » .

وعن الصادق عليه السلام في رواية فاذا عاينت الذي تخافه فاقرأ آية الكرسي .

وعنه عليه السلام قال في سمك البيت : « اذا رفع فوق ثمانى أذرع صار مسكوناً فاذا زاد على ثمانى ازرع فيكتب على رأس ثمانى أذرع آية الكرسي » .

عن ابي جعفر عليه السلام : « ان العفاريت من اولاد الابالسة تتخلل وتدخل بين محامل المؤمنين فتتفر اليهم ابلهم فتعاهدوا ذلك بآية الكرسي » .

ونقل عن خط الشهيد رضوان الله عليه رواية عن الحسن عليه السلام : « انا ضامن لمن قرأ عشرين آية ان يعصمه الله من كل سلطان ظالم ومن كل شيطان مارد ومن كل لص عاد ومن كل سبع ضار وهي آية الكرسي وثلاث آيات من الاعراف ان ربكم الله الى المحسنين وعشر من اول الصافات وثلاث من الرحمن يا معشر الجن والانس الى تتصران وثلاث من آخر الحشر هو الله الذي الى آخرها » .

وفي رواية: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

واخرج ابن السني عن فاطمة صلوات الله عليها: «ان رسول الله ﷺ لمادنت ولادتها امرام سلمة وزينب بنت جحش ان تأتياها فتقرأ عندها آية الكرسي وان ربكم الله الآية ويعوداها بالمعوذتين».

وعن احدهما عليه السلام قال: «ايما دابة استصعب على صاحبها من لجام ونفار فليقرأ في اذنها او عليها ﴿اقير دين الله يبقون وله اسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون﴾<sup>(١)</sup>».

وروى ان زين العابدين صلوات الله عليه مر برجل وهو قاعد على باب رجل فقال له: ما يقعدك على باب هذا الرجل المترف الجبار فقال: البلاء فقال: «قم فارشدك الى باب خير من بابه والى رب خير لك منه» فاخذ بيده حتى انتهى الى المسجد مسجد النبي ﷺ قال: «استقبل القبلة وصل ركعتين ثم ارفع يديك الى الله عز وجل فأئن عليه وصل على رسوله ﷺ ثم ادع باخر الحشر وست آيات من اول الحديد وبالآيتين في آل عمران ثم سل الله فانك لا تسأل الا اعطاك».

اقول: الظاهر ان المراد بالآيتين في آل عمران آية شهد الله وآية قل اللهم. وعن النبي ﷺ: «يا علي امان لامتي من السرقة قال ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخرها ولقد جائتكم رسول من انفسكم الى آخرها» وفي رواية: «من قرأها تين الآيتين حين يأخذ مصحفه لم يزل في حفظ الله من كل شيطان مريد وجبار عنيد الى ان يصيح». وعن ابي عبدالله عليه السلام: «اذا دخلت مدخلا تخافه فاقراً هذه الآية: ﴿رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾».

وعن الرضا صلوات الله عليه قال: «دخل ابو المنذر هشام بن السائب الحلبي على ابي عبدالله عليه السلام فقال: «انت الذي تفسر القرآن» قال: نعم قال: اخبرني عن قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً

مستوراً<sup>(١)</sup> ما ذلك القرآن الذي اذا كان قرأه رسول الله ﷺ حجب عنهم؟ قال : لا ادري قال : « فكيف قلت انك تفسر القرآن؟ » قال : يا ابن رسول الله ان رأيت ان تنعم على وتعلمنهن قال : « آية في الكهف وآية في النحل وآية في الجاثية وهي : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وعلى بصره غشاوة فممن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »<sup>(٢)</sup> وفي النحل « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فممن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »<sup>(٣)</sup> وفي الكهف « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا »<sup>(٤)</sup>.

قال الكسروي : فعلمتها رجلاً من اهل همدان وكانت الديلم اسرته فمكث فيهم عشر سنين ثم ذكر الثلاث آيات قال فجعلت امر على محالهم وعلى مراصدهم فلا يروني ولا يقولون شيئاً حتى خرجت الى ارض الاسلام.

قال ابو المنذر : وعلمتها قوماً وخرجوا في سفينة من الكوفة الى بغداد وخرج معهم سبع سفن قطع على ست وسلمت السفينة التي قرئت فيها هذه الآيات.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في حديث : « امان لامتي من الغرق ان يقرأوا : « بسم الله مجريها ومرسها ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره » الآية.

وعن الليث قال : بلغني ان هؤلاء الآيات شفاء من السحر تقرأ على اناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور، الآية التي في سورة يونس : « فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيظلمه ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون »<sup>(٥)</sup>، وقوله : « فوقع الحق ويطل ما كانوا يعملون »<sup>(٦)</sup> الى اربع آيات، وقوله : « انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى »<sup>(٧)</sup>.

وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ : « ما لزمني امر الأتمثل لي جبرئيل فقال : يا محمد قل

- |                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| ١. سورة الإسراء: الآية ٤٥.   | ٢. سورة الجاثية: الآية ٢٣.  |
| ٣. سورة النحل: الآية ١٠٨.    | ٤. سورة الكهف: الآية ٥٧.    |
| ٥. سورة يونس: الآية ٨١ و ٨٢. | ٦. سورة الاعراف: الآية ١١٨. |
| ٧. سورة طه: الآية ٦٩.        |                             |

توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً» .

وعن ابن عباس رضي الله عنه : هذه الآية امان من السرقة ﴿قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا لله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾<sup>(١)</sup> .

وعن رزين بن حبيش : من قرأ آية آخر سورة الكهف لساعة يريد ان يقومها من الليل قامها ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾<sup>(٢)</sup> قال عبده فجربناء فوجدناه كذلك .

وعن سعد بن ابي وقاص دعوة ذى النون اذ دعا بها في بطن الحوت : ﴿لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾<sup>(٣)</sup> لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له .

وفي رواية عن النبي ﷺ : « اني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج عنه كلمة اخي يونس : ﴿فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين﴾<sup>(٤)</sup> .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : انه قرأ في أذن مبتلا فافاق ، فقال رسول الله ﷺ : « ما قرأت في اذنيه » قال : ﴿الحسبم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اهفر وارحم وانت خير الراحمين﴾<sup>(٥)</sup> ، فقال : « لو ان رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » .

عن الصادق عليه السلام : « من دخل على سلطان يخافه فقرأ عند ما يقابله كهيعص ويضم يده اليمنى كلما قرأ حرفاً ضم اصبعاً ثم يقرأ حمعسق ويضم اصابع يده اليسرى كذلك ثم يقرأ وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ويفتحها في وجهه كفى

٢ . سورة الكهف : الآية ١١٠ .

٤ . سورة الأنبياء : الآية ٨٧ .

١ . سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

٣ . سورة الأنبياء : الآية ٨٧ .

٥ . سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

شراء».

وعن النبي ﷺ: «من اشتكى ضرره فليضع اصبعه عليه وليقرأ هاتين الآيتين سبع مرات: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد بينا الآيات لقوم يفقهون﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وهو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون﴾<sup>(٢)</sup> فانه يبرأ باذن الله».

وعن ابن عباس موقوفاً في المرأة تعسر عليها ولادتها، قال: يكتب في قرطاس (بسم الله الذي لا اله الا هو الحليم الكريم سبحانه الله وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون).

وعنه رضي الله عنه: اذا وجدت في نفسك شيئاً يعني الوسوسة فقل: ﴿هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن انس بن مالك: ما انعم الله على عبد نعمة في اهل ولا مال او ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة الا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت.

ولا يذهب عليك ان تأثير القرآن العظيم وسوره وآياته في الآثار والخواص المرورية ليس على نحو العلية التامة بحيث لا يمكن تخلفها عنها، بل هو على نحو الاقتضاء الذي يعتبر فيه وجود الشرايط وعدم الموانع؛ كالدعاء الذي اتفقت الآيات والروايات، بل العقل على انه مؤثر في قضاء الحوائج وحصول المطلوب، وكالادوية المجربة المسطورة في كتب الطب، وكغالب مؤثرات العالم، ولا شبهة في ان من شرايطه الايمان بالله وبرسوله واليقين بان القرآن نازل من قبل الله وانه كلامه، ومن الموانع عن التأثير القضاء الحتمي وعصيان العبد وغير ذلك، فلا ينبغي للمؤمن ان يضعف اعتقاده بتلك التأثيرات عند مشاهدته التخلف والله العاصم»<sup>(٤)</sup>.

١. سورة الانعام: الآية ٩٨.

٢. سورة الملك: الآية ٢٣.

٣. سورة الحديد: الآية ٣.

٤. نفعات الرحمن ج ١ ص ٤٣ - ٤٥.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## الأحاديث الموضوعية في فضل التلاوة

قال القرطبي في التنبية على احاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره: « لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال؛ قد ارتكبتها جماعة كثيرة، اختلفت اغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها؛ فمن قوم من الزنادقة مثل: المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، وغيرهما، وضعوا أحاديث وحدثوا بها ليقعوا بذلك الشك في قلوب الناس؛ فمما رواه محمد بن سعيد عن أنس بن مالك في قوله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي إلا ما شاء الله»، فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.

قلت: وقد ذكره ابن عبد البر في كتاب (التمهيد) ولم يتكلم عليه؛ بل تأول الاستثناء على الرؤيا؛ فالله أعلم.

ومنهم: قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس إليه؛ قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً.

ومنهم: جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روى عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المرزوي، ومحمد بن عكاشة



الكرماني، وأحمد بن عبدالله الجوباري، وغيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق؛ فوضعت هذا الحديث حسبة. قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب (علوم الحديث) له: وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة؛ وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثير الوضع عليه لبيّن. وقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين في ابداعه تفاسيرهم.

ومنها: قوله من السّؤال والمكذّبين يقفون في الأسواق والمساجد، فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد؛ قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالاً: أنبأنا عبدالرزاق قال: أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله يخلق من كل كلمة منها طائر منقاره من ذهب وريشه مرجان. وأخذ في قصة نحو من عشرين ورقة؛ فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إلى أحمد؛ فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به إلا هذه الساعة؛ قال: فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين؛ فقال أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ، فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق، وما علمته إلا هذه الساعة؛ فقال له يحيى: وكيف علمت أنى أحق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال: فوضع أحمد كفه على وجهه وقال: دعه يقوم؛ فقام كالستهزىء بهما. فهؤلاء الطوائف كذبة على رسول الله ﷺ، ومن يجرى مجراهم. يذكر أن الرشيد كان يعجبه الحمام واللهو به؛ فأهدى

إليه حمام وعنده أبو البختری<sup>(١)</sup> القاضي فقال: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح» فزاد: أو جناح، وهي لفظة وضعها للرشد، فأعطاه جائزة سنينة؛ فلما خرج قال الرشيد: والله لقد علمت أنه كذاب، وأمر بالحمام أن يذبح؛ فقيل له: وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله ﷺ؛ فترك العلماء حديثه لذلك، ولغيره من موضوعاته، فلا يكتب العلماء حديثه بحال.

قلت: فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غنية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» الحديث. فتخويفه ﷺ أمته بالنار على الكذب، دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه. فحذرا مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين، في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك، وأعظمهم ضررا أقوام من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركونا إليهم، فضلوا وأضلوا<sup>(٢)</sup>.

قال صديق حسن خان: «وأما أحاديث فضائل القرآن سورة سورة فلا خلاف بين من يعرف الحديث إنها موضوعة مكذوبة، وقد أقر به واضعها أخزاه الله بأنه الواضع لها وليس بعد الاقرار شيء، ولا اغترار بمثل ذكر الزمخشري لها في آخر كل سورة؛ فإنه وإن كان امام اللغة والآلات على اختلاف أنواعها، فلا يفرق في الحديث بين أصح الصحيح وأكذب الكذب، ولا يقدر ذلك في علمه الذي بلغ فيه غاية التحقيق. ولكل علم رجال، وقد وزع الله سبحانه الفضائل بين عباد، والزمخشري نقل هذه الأحاديث عن تفسير الثعلبي، وهو مثله في عدم المعرفة بعلم السنة.

وقد أخطأ من قال: انه يجوز التساهل في الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال،

١. أبو البختری: هو وهب بن وهب بن كثير. انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد فولاه القضاء بمسكن المهدي (المحلة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد) ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول ﷺ بعد بكار الزبيرى وجعل إليه ولاية حربيا مع القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة مائتين.

٢. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٧٨ - ٨٠.

وذلك لأن الأحكام الشرعية متساوية الاقدام، لا فرق بين واجبها ومحرمها ومسئونها ومكروهها ومندوبها فلا يحل إثبات شيء منها إلا بما تقوم به الحجة؛ والا فهو من التقول على الله بما لم يقل ومن التجريء على الشريعة المطهرة بإدخال ما لم يكن منها فيها، وقد صح تواتراً أن النبي ﷺ قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup> فهذا الكذاب الذي كذب على رسول الله ﷺ محتسباً للناس بحصول الثواب لم يربح إلا كونه من أهل النار.

وأما الذي يقرأ القرآن ولا يعرف معناه كالعوام فالأجر على تلاوة القرآن ثابت، لكنه إذا كان يتدبر معانيه ويمكنه فهمها فأجره مضاعف، وأما أصل الثواب بمجرد التلاوة فلا شك فيه والله سبحانه لا يضيع عمل عامل، وتلاوة القرآن كتابه سبحانه من أشرف الأعمال لفاهم ولغير فاهم، وإذا أضاع أحداً ما اشتمل عليه القرآن من الأحكام أثم من جهة الاضاعة لا من جهة التلاوة والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

قال الخوئي قدس سره: «نعم قد ورد في الاحاديث في فضل القرآن، وفي الكرامات التي يختص الله بها قارئه ما يذهل العقول ويحير الألباب. وقد قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

وقد ورد هذا الحديث من طرق العامة، فقد نقله القرطبي<sup>(٣)</sup> عن الترمذي عن ابن مسعود، وروى الكليني قريباً منه عن الصادق عليه السلام. وإن الناظر في جوامع كتب الحديث ومفرداتها يرى من أمثال هذا الحديث الشيء الكثير في فضل القرآن وقراءته، وخواص سورة وآياته.

وهناك حثالة من كذبة الرواة، توهموا نقصان ما ورد في ذلك، فوضعوا من أنفسهم احاديث - في فضل القرآن وسوره - لم ينزل بها وحى ولم ترد بها سنة، وهؤلاء كأبي

١. البخاري ج ١ ص ٢٨ وانظر الى ما كتبه السيوطي حول هذا الحديث حيث جمع له اكثر من سبعين رواية في كتابه القيم تحذير الخواص من اكاذيب القصاص وقد صدر بتحقيق د. محمد الصباغ.

٢. فتح البهان ج ١ ص ٢٧-٢٨.

٣. تفسير القرطبي ج ١ ص ٧. وفي الكافي كتاب فضل القرآن.

عصمة فرج بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجوبارى.

وقد اعترف ابو عصمة المروزي بذلك ، فقد قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال:

«إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة، ومغازي محمد بن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة».

وقال ابو عمرو عثمان بن الصلاح في شأن الحديث الذي يروى عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في فضل القرآن سورة سورة:

«قد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى الى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه. وقد أخطأ الواحدي وجماعة من المفسرين حيث أودعوه في تفاسيرهم»<sup>(١)</sup>.

انظر الى هؤلاء المجترئين على الله كيف يكذبون على رسول الله ﷺ في الحديث؟ ثم يجعلون هذا الافتراء حسبة يتقربون به الى الله:

﴿كذلك زَيْنَ للمسرفين ما كانوا يعملون﴾<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

٢. سورة يونس: الآية ١٢.

١. نفس المصدر ج ١ ص ٧٨، ٧٩.

٣. البيان ص ٣٦-٣٧.



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های علوم اسلامی

## فضل تعليم القرآن

قال البغوي في فضائل القرآن وتعليمه :

« أنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبداللّه بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، ثنا عنى بن الجعد، أنا شعبة عن علقمة بن مرثد، قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان، قال شعبة: قلت: عن النبي ﷺ؟ قال: نعم، قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهال عن شعبة<sup>(١)</sup>.

قال الطبرسي (وه) :

« ثم ان أشرف العلوم وأسناها. وأبهرها وأبهاها. وأجلها وأفضلها وأنفعها وأكملها علم القرآن؛ فإنه لجميع العلوم الأصل منه تتفرع أفانينها. والعماد عليه تبنى قوانينها. وقد قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب ﷺ. « القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ». وقد روي عن عبداللّه بن مسعود أنه قال: « إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين ».

وعن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

قال: هو القرآن، وعن رجاء بن حياة قال: كنا يوماً وأنا وأبي عند معاذ بن جبل، فقال: من هذا يا حياة؟ فقال: هذا ابني رجاء، فقال معاذ: هل علمته القرآن؟ قال: لا، قال: فعلمه القرآن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما» ثم ضرب بيده على كتفي، فقال: يا بني إذا استطعت أن تكسو أبويك يوم القيامة حلتين فافعل. وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

قال النهاوندي في افضلية تعلم القرآن وتعليمه على سائر الاعمال والعبادات:

«قد ظهر مما ذكر في فضل القرآن ان تعليمه وتعلمه من افضل الاعمال. مضافاً الى روايات كثيرة دالة على فضلها وكثرة الثواب عليهما، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن» الى ان قال: «ويكسى ابواه حلتين ان كانا مؤمنين، ثم يقال لهما هذا لما علمتماه القرآن».

وفي حديث ابي ذر: «لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة».

وعن ابي هريرة: «ما من رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيامة بتاج في الجنة». وفي رواية عن عثمان: ان أفضلكم من تعلم القرآن وعمل به. وفي رواية عن ابي عبدالله عليه السلام: «من تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات» قال: «لا اقول بكل آية ولكن بكل حرف باء او ياء او شبههما».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب».

وعن سعد الخفاف عن ابي جعفر عليه السلام قال: «تعلموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيامة في احسن صورة نظر اليها الخلق» الى ان قال: «حتى ينتهي الى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتي في الارض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيعني شيئاً ومنهم من ضيعني واستخف بي وكذب بي، وانا حججتك على جميع خلقك، فيقول الله عز

وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن اليوم عليك احسن الثواب ولأعاقبن عليك اليوم اليم العقاب « الخير.

قيل: ان سجدة القرآن كناية عن فئانه في الله ورفع رأسه كناية عن بقائه به بعد فئانه فيه، وكما انه كان في الدنيا مقرباً للعباد الى الله وسبباً لشمول رحمته لهم ودفع عذابه عنهم، في الدنيا يكون شفيعاً لهم الى الله ووسيلة وسائلاً لثوابه العظيم عليهم ودفع عذابه عنهم في الآخرة.

عن الشيخ باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام: «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خياركم من تعلم القرآن وعلمه ».

وعن عقبه بن عمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يعذب الله قلباً وعى القرآن ». وعن النبي صلى الله عليه وسلم: « ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين ».

وعنه صلى الله عليه وسلم قال: « اذا قال المعلم للصبي، قل: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فقال الصبي: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ كتب الله براءة للصبي وبراءة لوالديه وبراءة لمعلمه من النار ». وعن المجمع عن معاذ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من رجل علم ولده القرآن الا توج الله ابويه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم يرَ الناس مثلهما ».

وفي نهج البلاغة عن امير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له: « وتعلموا القرآن فانه ربيع القلب ».

وعن علي بن ابراهيم عن ابي عبدالله عليه السلام قال: « ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتى يتعلم القرآن او ان يكون في تعليمه ».

والظاهر من جميع هذه الروايات تعلم عبارات آياته وكيفية قراءته، الا انه يحتمل شمول كثير منها لتعلم تفاسيرها وبطونها وجميع العلوم الراجعة اليها، فان تعلم جميعها تعلم القرآن، وقد صرح بعض اصحابنا بوجوب تعلم القرآن وتعليمه كفاية وهو الحق لا احتمال فيه خلافاً بين المسلمين <sup>(١)</sup>.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## فضل حفظ القرآن

قال الطبرسي (ره) :

« حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « حملة القرآن المخصوصون برحمة الله المعلمون كلام الله المقربون إلى الله، ومن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ويدفع عن قارىء القرآن بلاء الآخرة، يا حملة القرآن تحببوا إلى الله بتوقيع كتابه يزدكم حباً ويحببكم إلى عباده. »

وعن مكحول، قال أبوذر إلى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله إنني أخاف أن اتعلم القرآن ولا أعمل به، فقال: « لا يعذب الله قلباً أسكنه القرآن. »

وعن عقبة بن عامر الجهني أن النبي ﷺ قال: « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار. »

وعن عطاء عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة. »

وقال ﷺ: « لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أن أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها. »

وعن عيسى بن قاند، قال: حدثني من سمع سعد بن عباد، قال: قال رسول الله ﷺ:

« ما من احد تعلم القرآن ثم نسيه الألقى الله اجذم » .

عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « اشرف امتي حملة القرآن. وأصحاب الليل » .....

ابو سعيد الخدري عنه ﷺ قال: « حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة » .

وقال أمير المؤمنين ﷺ: « من دخل في الاسلام طائعاً وقرأ القرآن ظاهراً فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين، ان منع في الدنيا اخذها يوم القيامة وافية احوج ما يكون إليها » .

وهذه الاخبار يسير من كثير، وغيض من فيض، ونزر من غمر، اقتصرنا عليها ايثاراً للاختصار<sup>(١)</sup>.

قال النهاوندي: حفظ القرآن من اهم العبادات واوكد المستحبات في الوسائل عن عقبه بن عمار قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يعذب الله قلباً وعى القرآن » .

وعنه ﷺ: « من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار » .

وعن أبي عبدالله ﷺ قال: « من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه جعله الله مع السفارة الكرام البررة، وكان القرآن حجيلاً عنه يوم القيامة » .

أقول: لا يبعد ان يكون المراد من اختلاط القرآن باللحم والدم حفظه، كما قال ﷺ في رواية اخرى: « حافظ القرآن العامل به مع السفارة الكرام البررة ». ويحتمل ان يكون المراد: حفظ الفاظه مع حفظ معانيه والايمان به والعمل بموجبه والتخلق بما فيه من الاخلاق الالهية والآداب الشرعية، فيكون اهل القرآن.

كما في رواية الكليني بسنده عن السكوني عن ابي عبدالله ﷺ قال: « قال: رسول الله ﷺ: « ان اهل القرآن في اعلى درجة من آدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا اهل القرآن حقوقهم؛ فان لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً » .

وما رواه الطبرسي عن النبي ﷺ قال: «اهل القرآن هم اهل الله خاصة» .  
وفي حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ: «لو كان القرآن في اهاب ما اكلته النار» .  
قال ابو عبيدة: اراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن .  
وفي حديث عن امير المؤمنين عليه السلام: «من قرأ القرآن واستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» .  
اقول: الظاهر ان المراد من قوله: «فاستظهره»: حفظه وجعله في ظهر قلبه، كما ان الظاهر من حمل القرآن ذلك، عن الصدوق باسناده عن النبي ﷺ انه قال: «اشراف امتي حملة القرآن واصحاب الليل» والظاهر ان المراد باصحاب الليل: الذين يسهرون الليل بتلاوة القرآن والقيام بالعبادة .  
وعن تفسير الامام عليه السلام عن النبي ﷺ انه قال: «حملة القرآن المخصوصون برحمة الله الملبسون نور الله والمعلمون كلام الله المقربون عند الله، من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله» الخبر .  
اقول: لما كان حفظ القرآن عن معرفة وايمان مورثاً لنورانية القلب وانسراح الصدر وانسباط الروح وتهذيب النفس كان اجره متسانخاً له في القيامة؛ من كون الحافظ مغموراً في نور الله مخصوصاً برحمة الله موسوماً بكلام الله مقرباً عند الله، ثم لا شبهة ان حفظه بمشقة وكلفة اعظم اجراً من حفظه بسهولة لعموم قوله: «ان افضل الاعمال احمرها» ولخصوص ما روى عن الصادق عليه السلام قال: «ان الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظ له اجران» ومن الاسف ان هذه العبادة الفاضلة صارت متروكة في زماننا هذا بعد شيوعها في الازمنة السابقة، بحيث كان غير الحافظ له موهوناً بين المسلمين على ما قيل<sup>(١)</sup>.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## حكم ترك تلاوة القرآن لحافظه

قال البغدادي: «عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تغلثنا من الإبل في عقلها» (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن تعاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت الإبل المعقلة التي حبست بالعقال» وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن، ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لنلا ينسى (ق) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «بئسما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت، وكيت بل هو نسي، استذكروا القرآن فإنه أشد تقصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها» وفي رواية: «لا يقل أحدكم: نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي» قوله: «بئسما لأحدكم» أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه، قوله: «لا يقل أحدكم: نسيت آية كذا وكذا» معناه إنما كره النسيان إلى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر للأشياء كلها وهو الذي أنساه إياه، وقيل: أصل النسيان الترك، فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت إلى نسيانه، وقوله: «بل نسي» هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله: «أشد تقصياً» أي خروجاً من صدور الرجال، وفي معناه تغلثنا من الإبل في عقلها أي تخلصاً من العقال وهو الحبل الذي تربط به.

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجذم» أخرجه أبو داود. الأجدم قيل: هو مقطوع اليد، وقيل: هو مقطوع الحجة، وقيل: هو الذي به جذام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث غريب.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء» أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه، ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس بذلك لأن النبي ﷺ كتب الى هرقل ملك الروم: «يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم»<sup>(١)</sup> عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس» أخرجه الترمذي.

عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» أخرجه الترمذي، وقال: ليس إسناده بالقوي.

عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب<sup>(٢)</sup>.

قال عبدالقادر:

«وهذا القرآن هو الذي قرب اساطين العدل بين البشرية، لهذا أمرهم الرسول بالتمسك فيه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وحذرهم من نسيانه لما فيه من المفاسد المترتبة على عدم العمل به، روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري، قال: قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تقصياً من الإبل في عقلها».

٢. لهاب التأويل ج ١ ص ٥٦٠.

١. سورة آل عمران: الآية ٦٤.

وروي عن ابن عمر: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن تعاهدها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت، وروي عن عبدالله بن مسعود: بنسما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي، استذكروا القرآن فإنه أشد نقصاً من صدور الرجال من النعم في عقلها. إذاً يجب على المرء أن يحافظ على ما حفظه من كتاب الله تعالى ويتداوله ليل نهار، لئلا يدخل في هذا الوعيد. وقال العلماء: إنما يدخل في هذا الوعيد من ينساه قراءة لأنه يحرم منه، أما من ينساه عن ظهر الغيب ويقرأه في المصحف فلا يشمله، وعليه أن يحتفظ بالقرآن في بيته تبركاً، وإن كان وعاه عن ظهر الغيب، وإن يقرأه فيه لأن النظر إليه عبادة على حدة دون عبادة القراءة، وله أن يسافر به مع المحافظة عليه، على أن لا يضع شيئاً عليه إلا لأجل حفظه، وأن لا يمسه إلا طاهراً اتباعاً للأمر فيه، ويجب أن لا يسافر به إلى محل يخاف عليه التلف أو الإهانة، روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر قال: لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء، ومن ذلك السفر به إلى من يلتمسه بغير وضوء أن يتهاون به، قال تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾<sup>(١)</sup> ولهذا بحث ستبته في محله إن شاء الله<sup>(٢)</sup>.

قال النهاوندي (ره): «ذهب بعض العامة إلى أن ترك تلاوة القرآن لحافظه حتى يؤدي إلى نسيانه معصية كبيرة لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: عرضت على ذنوب امتي فلم أرَ ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أتيها رجل ثم نسيها» وما روى: «أنه من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة أجدم» وفي الصحيحين: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تغلثاً من الإبل في عقلها».

وعن أمالي الصدوق رضوان الله عليه في مناهي النبي ﷺ أنه قال: «الوا من تعلم القرآن ثم نسيه متعمداً لقي الله مغلولاً يسلبه الله عليه بكل آية فيها حية تكون قرينه إلى النار إلا أن يغفر له، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة اعمى﴾ قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتك آياتنا فنسيها وكذلك اليوم تنسى»<sup>(٣)</sup> هذا ما يمكن أن يستدل به لحرمة النسيان، ولم يحضرني في المسألة قول من أصحابنا، والوا

٢. بيان المعاني ج ١ ص ١٨ - ١٩.

١. سورة الواقعة: الآية ٧٩.

٢. سورة طه: الآية ١٢٤ - ١٢٦.



ظهر كراهة الترك المذكور ولضعف سند ماعدا رواية المناهي وعدم دلالة بعضها الاعلى الكراهة، كقوله: «لقى الله يوم القيامة اجذم»، بل دلالة ما في الصحيحين على الارشاد بقريئة ذيله وعدم ربط الآية بالمقام، لان المراد بالنسيان في قوله: فنسيها هو ترك الاعتناء بها، كما ان المراد من قوله: تنسى؛ ترك الاثابة، مع معارضة جميعها بما روى عن الهيثم بن عبيد عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن رجل قرأ القرآن ثم نسيه فرددت عليه ثلاثاً أعلىه فيه حرج؟ قال: «لا»، وبما رواه عبدالله بن مسكان عن يعقوب الاحمر، قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك انه قد اصابني هموم واشياء لم يبق من الخير الا تفلت مني منه طائفة، حتى القرآن لقد تفلت مني طائفة منه قال: «ففرغ عند ذلك حين ذكرت القرآن»، ثم قال: «ان الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات، فتقول: السلام عليك، فيقول: وعليك السلام من انت؟، فتقول انا سورة كذا وكذا ضيعتني وتركتني اما لو تمسكت بي بلغت بك هذه الدرجة» الخبير. فان دلالة على عدم الحرمة لدلالته على دخول الناسي في الجنة وسلام القرآن عليه وحرمانه عن الدرجات العالية واضحة، واما رواية المناهي فهي محمولة على تقدير صحة السند او وثاقته على النسيان المسبب عن الاعراض عن القرآن والتهاون، وعدم الاعتناء به والاستخفاف بشأنه؛ وهو من اشد المعاصي، بل هو في معنى الكفر، وعليه يحمل ايضاً أن لم يكن ظاهراً فيه ما رواه في البحار من كتاب الامامة والتبصرة عن سهل بن احمد، عن محمد بن محمد بن الاشعث، عن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر، عن ابيه عن ابيه عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرضت على الذنوب فلم اصب اعظم من ذنب رجل حمل القرآن ثم تركه».

ويؤيده انه اذا كان حفظ القرآن مستحباً فالظاهر ان تكون كثرة تعاهده وابقائه في الحفظ مستحباً وبعيداً غايته ان يكون واجباً، الا ان يدل دليل معتبر عليه من اجماع او نص ولو كان ذلك الدليل لعهده الفقهاء في الواجبات، ولم اجد في كتب اصحابنا رضوان الله عليهم من تعرض له <sup>(١)</sup>.

## آداب التلاوة

قال الطبرسي (ره) في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ، وتزيين الصوت بقراءة القرآن :

«البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» .  
حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونِ أَهْلِ الْفَسْقِ وَأَهْلِ الْكُتَابِ، وَسِيَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِي يَرْجِعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيحَ الْغَنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَةِ وَالنُّوحِ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ الَّذِينَ يَعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ» .  
علقمة بن قيس قال : كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبدالله بن مسعود يرسل إلي فاقراً عليه، فإذا فرغت من قراءتي، قال: زدنا من هذا فذاك أبي فإني سمعت رسول الله ﷺ : «يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن» .

انس بن مالك عن النبي ﷺ : «ان لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن» .  
عبدالرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبي وقاص فأتيته مسلماً عليه فقال : مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، قلت: نعم والحمد لله، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ان القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا» . وتأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا

به، وأكثر العلماء على أنه تزيين الصوت وتحزينه»<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي في كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يكره منها وما يحرم، وأختلاف الناس في ذلك:

«روى البُخَارِيُّ عن قتادة قال: سألت أنسًا عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا [إذا] قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمدُّ بسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم. وروى الترمذِيُّ عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يَقْطَعُ قِراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ثم يقف ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> ثم يقف، وكان يقرؤها ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup>. قال: حديث غريب. وأخرجه أبو داود بنحوه.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أحسن الناس صَوْتًا مَنْ إذا قرأ رأيتُه<sup>(٥)</sup> يخشى الله تعالى». وروى عن زياد التَّمِيمِيُّ أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك، فقيل له: اقرأ. فرفع صوته وطَرَّبَ، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقه سوداء، فقال: يا هذا، ما هكذا كانوا يفعلون! وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقه عن وجهه. وروى عن قيس بن عُبَاد أنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر. وممن روى عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المُسَيَّب وسعيد بن جُبَيْر والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنَّخَعِيُّ وغيرهم، وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل؛ كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه. روى عن سعيد بن المسيب: أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يؤم الناس فطَرَّبَ في قراءته؛ فأرسل إليه سعيد، يقول: أصلحك الله! إن الأئمة لا تقرأ هكذا. فترك عمر التطريب بعد.

وروى عن القاسم بن محمد: أن رجلا قرأ في مسجد النبي ﷺ فطَرَّبَ؛ فأنكر ذلك القاسم، وقال: يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ هَزِيرٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾<sup>(٦)</sup> الآية.

١. مجمع البيان ج ١ ص ٨٦.

٢. سورة الحمد: الآية ٢.

٣. سورة الحمد: الآية ٤.

٤. رأى هنا جمعي علم، وفي بعض النسخ: «رئيته» بالبناء للمجهول؛ ومعناه الظن.

٥. سورة فصلت: الآية ٤١ و٤٢.

وروى عن مالك أنه سئل عن الثُّبْرِ في قراءة القرآن في الصلاة؛ فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة، وأنكر رفع الصوت به. وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الألحان في الصلاة، فقال: لا تعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنَّون به ليأخذوا عليه الدراهم. وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به؛ وذلك لأنه إذا حَسَّن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب، واحتجَّوا بقوله ﷺ: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» رواه البراء بن عازب. أخرجه أبو داوود والنسائي، وبقوله ﷺ: «لَيْسَ مَنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» أخرجه مسلم. ويقول أبي موسى للنبي ﷺ: لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبَّرت لك تحبيراً. وبما رواه عبدالله بن مَعْقِل قال: قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجع في قراءته. وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك والنَّضْر بن شَمِيل، وهو اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن بن بَطَّال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

قلت: القول الأول أصح لما ذكرناه ويأتي. وأما ما احتجَّوا به من الحديث الأول فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب؛ أي زَيْنُوا أَسْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآنِ. قال الخطابي: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث: «زَيْنُوا أَسْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآنِ»؛ وقالوا هو من باب المقلوب؛ كما قالوا: عَرَضْتُ الْحَوْضَ عَلَى النَّاقَةِ، وإنما هو عرضت الناقة على الحوض. قال: ورواه مَعْمَر عن منصور عن طلحة؛ فقدَّم الأَصْوَاتَ عَلَى الْقُرْآنِ، وهو الصحيح.

قال الخطابي: ورواه طلحة عن عبدالرحمن بن عَوْسَجَةَ عن البراء أن رسول الله ﷺ قال: «زِينُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». أي ألَهَّجُوا بقراءته واشغَلُوا به أصواتكم واتخذوه شعاراً وزينة؛ وقيل: معناه الحوض على قراءة القرآن والدُّؤْب عليه. وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «زِينُوا أَسْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآنِ». وروى عن عمر أنه قال: «حَسَّنُوا أَسْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآنِ».

قلت: وإلى هذا المعنى يرجع قوله ﷺ: «لَيْسَ مَنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» أي ليس منا من لم يحسِّن صوته بالقرآن؛ كذلك تأوَّله عبدالله بن أبي مليكة. قال عبدالجبار ابن الورد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبدالله بن أبي يزيد: مرَّ بنا أبو لُبَّابة فاتبعناه حتى دخل

بيته ، فإذا رجل رَثَّ الهيئة ، فسمعتَه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن . قال فقلت لابن أبي مليكة : يا أبا محمد ، أرايت إذا لم يكن حسنَ الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع . ذكره أبو داود ، وإليه يرجع أيضا قول أبي موسى للنبي ﷺ : إني لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسنت صوتي بالقرآن ، وزينته ورتلته . وهذا يدل [على] أنه كان يَهْدُ<sup>(١)</sup> في قراءته مع حسن الصوت الذي جُبل عليه . والتجوير : التزيين والتحسين ؛ فلو علم أن النبي ﷺ كان يسمعه لمدَّ في قراءته ورتلها ؛ كما كان يقرأ على النبي ﷺ ؛ فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقراءة . ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله ﷺ أن يقول : إن القرآن يُزَيِّن بالأصوات أو بغيرها ؛ فمن تأول هذا فقد وقع أمرا عظيما أن يُخْرِج القرآن إلى من يزيِّنه ، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه . وقد قيل : إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءات وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك ، أي زينوا القراءة بأصواتكم ؛ فيكون القرآن بمعنى القراءة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي قراءة الفجر ، وقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> أي قراءته . وكما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان ﷺ ، ويوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا ؛ أي قراءة . وقال الشاعر<sup>(٤)</sup> في عثمان رضي عنه :

صَحُّوا بِأَشْمَطِ<sup>(٥)</sup> عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي قراءة . فيكون معناه على هذا التأويل صحيحا إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدِّها - على ما نبينه - فيمتنع . وقد قيل : إن معنى يتغنَّى به ، يستغنى به من الاستغناء الذي هو ضدُّ الافتقار ، لا من الغناء ؛ يقال : تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت . وفي الصحاح : تغنى الرجل بمعنى استغنى ، وأغناه الله . وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض . قال المغيرة بن حُبَّاء التميمي :

كَلَانًا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مَثْنَا أَشَدَّ تَغَانِيَا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عُيَيْنَةَ وَوَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ ، ورواه سفيان عن سعد بن

١. الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة . ٢. سورة الإسراء : الآية ٧٨ .

٣. سورة القيامة : الآية ١٨ . ٤. هو حسان بن ثابت .

٥. الشمط بالحريك: بياض شعر الرأس يخاطه سواده . وقيل : الشمط في الرجل شيب اللحية .

أبي وقاص. وقد روى عن سفيان أيضا وجه آخر، ذكره إسحاق بن زاهر، أي يستغنى به عما سواه من الأحاديث. وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم؛ قاله أهل التأويل. وقيل: إن معنى يتغنى به، يتحزن به؛ أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية؛ لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغاني به، ولم يقل يتغنى به. ذهب إلى هذا جماعة من العلماء: منهم الإمام أبو محمد ابن جبان البستي، واحتجوا بما رواه مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء. الأزيز (بزابين): صوت الرعد وغليان القدر. قالوا: ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزن؛ وعضدوا هذا أيضا بما رواه الأئمة عن عبدالله، قال: قال النبي ﷺ: «إقرأ عليّ» فقرأت عليه سورة «النساء» حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان. فهذه أربع تأويلات، ليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها. وقال أبو سعيد بن الأعرابي في قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن» قال: كانت العرب تُوع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هجيراهم<sup>(٣)</sup> مكان الغناء؛ فقال: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن».

التأويل الخامس - ما تأوله من استدلال به على الترجيع والتطريب؛ فذكر عمر بن سبّة قال: ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله: «يتغنّ» يستغنى؛ فقال: لم يصنع ابن عيينة شيئا. وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، لو أراد النبي ﷺ الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن لما قال «يتغنّ»، علمنا أنه أراد التغنى. قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التغنى إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع. وقال الشاعر:

٢. سورة النساء: الآية ٤١.

١. سورة النكحوت: الآية ٥١.

٣. هجيراهم: دأبهم وعادتهم.

تَغَنَّ بِالشَّعْرِ مَهْمَا كُنْتَ قَائِلَهُ  
 قَالَ : وَأَمَّا ادِّعَاءُ الزَّاعِمِ إِنْ تَغَنَّيْتَ اسْتَغْنَيْتَ فليس في كلام العرب وأشعارها ، ولا نعلم  
 أحداً من أهل العلم قاله ؛ وأما احتجاجه بقول الأعشى :

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَسْنَا بِالْعِرَاقِ  
 عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ الثُّغْنِ

وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه غلط منه ، وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الإقامة ، من  
 قول العرب : غَيَّيْتُ فُلَانًا بِمَكَانٍ كَذَا أَيْ أَقَامَ ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْتَنُوا  
 فِيهَا ﴾ <sup>(١)</sup> وأما استشهاده بقوله :

• ونحن إذا مثنا أشدُّ تغانينا •

فإنه إغفال منه ؛ وذلك أن التغاني تفاعل من نفسين إذا استغنى كل واحد منهما عن  
 صاحبه ؛ كما يقال : تضارب الرجلان ، إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه . ومن قال هذا في  
 فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله في الواحد ؛ فغير جائز أن يقال : تغانى زيد وتضارب  
 عمرو ؛ وكذلك غير جائز أن يقال : تغنَّى بمعنى استغنى .

قلت : ما ادِّعاه الطبري من أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى ، فقد ذكره  
 الجوهري كما ذكرنا ، وذكره الهروي أيضا . وأما قوله : إن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين  
 فقد جاءت من واحد في مواضع كثيرة ؛ منها قول ابن عمر : وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام .  
 وتقول العرب : طارقت النعلُ وعاقبت اللصُ ودأوت العليل ، وهو كثير ؛ فيكون تغانى  
 منها . وإذا احتمل قوله عليه الصلاة والسلام : « يتغنَّ الغناء والاستغناء فليس حمله على  
 أحدهما بأولى من الآخر ، بل حمله على الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره ، لأنه  
 مروى عن صحابي كبير كما ذكر سفيان . وقد قال ابن وهب في حق سفيان : ما رأيت أعلم  
 بتأويل الأحاديث من سفيان بن عيينة ، ومعلوم أنه رأى الشافعي وعاصره .

وتأويل سادس - وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع  
 رسول الله ﷺ يقول : « ما أذن الله <sup>(٢)</sup> لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر

١. سورة الأعراف : الآية ٩٢ .

٢. قوله : ما أذن ... الخ . قال النمازي : يعنى ما رضى الله من المسوعات شيئا هو أرضى عنده ولا أحب إليه من قول نبي  
 يتغنَّى بالقرآن . أى يجهر به ويمسح صوته بالقراءة بجلوع وترقيق وتحزن . وأراد بالقرآن ما يقرأ من الكتب المنزلة .

به». وقال الطبري: ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى. قلنا قوله: «يجهر به» لا يخلو أن يكون من قول النبي ﷺ، أو من قول أبي هريرة أو غيره، فإن كان الأول وفيه بُعد، فهو دليل على عدم التطريب والترجيح، لأنه لم يقل: يطرب به، وإنما قال: يجهر به، أي يسمع نفسه ومن يليه؛ بدليل قوله ﷺ للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل: «أيها الناس أربعوا<sup>(١)</sup> على أنفسكم فإنكم لستم تدعون أصم ولا غائبا...» الحديث، وسيأتي. وكذلك إن كان من صحابي أو غيره فلا حجة فيه على ما راموه؛ وقد اختار هذا التأويل بعض علمائنا فقال: وهذا أشبه، لأن العرب تسمى كل من رفع صوته والي به غائبا، وفعله ذلك غناء وإن لم يلحنه بتلحين الغناء. قال: وعلى هذا فسرته الصحابي، وهو أعلم بالمقال وأقعد بالحال.

وقد احتج أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعي فقال: وقد رفع الإشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن وعثّوا به واكتبوه فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصيّا<sup>(٢)</sup> من المخاض من العُمل». قال علماؤنا: وهذا الحديث وإن صحّ سنده فيردّه ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كفاية المشايخ، جيلا فجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المدّ والإدغام والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءات. ثم إن في الترجيح والتطريب همز ما ليس بهموز ومدّ ما ليس بمدود؛ فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات والشبهة<sup>(٣)</sup> الواحدة شبهات، فيؤدّي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير؛ إما ممدودة وإما مقصورة. فإن قيل: فقد روى عبدالله بن مَعْقِل قال: قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجع في قراءته، وذكره البخاري، وقال في صفة الترجيح: آء آء آء،

١. قوله: «أربعوا» أي كفّوا وارتقوا.

٢. التفضي: التلّت والمفروج.

٣. سيذكر المؤلف في باب (ذكر معنى السورة والآية) الخ: أن الشبهات هي الحروف؛ ولم أر هذا التعبير لغيره.



ثلاث مرات .

قلنا: ذلك محمول على إشباع المد في موضعه ، ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هزِّ الراحلة ؛ كما يعترى رافع صوته إذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب ؛ وإذا احتتمل هذا فلا حجة فيه .

وقد خرَّج أبو محمد عبدالغنى بن سعيد الحافظ من حديث قتادة . عن عبدالرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال : كانت قراءة رسول الله ﷺ المد ليس فيها ترجيع .

وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذن يُطْرَب ، فقال رسول الله ﷺ : «إن الأذان سهل سمح فإذا كان أذانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذَن» . أخرجه الدار قطنى فى سننه . فإذا كان النبى ﷺ قد منع ذلك فى الأذان فأخزى ألا يجوزهُ فى القرآن الذى حفظه الرحمن ، فقال وقوله الحق : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قلت : وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق ؛ كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرأون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز ؛ ضل سقئهم ، وخاب عملهم ، فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، يهونون على أنفسهم الاجترار على الله بأن يزيدوا فى تنزيله ما ليس فيه ، جهلاً بدينهم ، ومُرُوقاً عن سنَّة نبيهم ، ورَفْضاً لِسِرِّ الصالحين فيه من سَلَفهم ، ونزوعاً إلى ما يُزَيِّن لهم الشيطان من أعمالهم ؛ وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً ؛ فهم فى غيهم يترددون ، ويكتتاب الله يتلاعبون ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ! لكن قد أخبر الصادق أن ذلك يكون ، فكان كما أخبر ﷺ .

ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رزين وأبو عبدالله الترمذى الحكيم فى «نوادير الأصول» من حديث حُدَيْفَةَ : أن رسول الله ﷺ قال : «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع

٢ . سورة فصلت : الآية ٤٢ .

١ . سورة الحجر : الآية ٩ .

الفناء والنوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم. اللحن : جمع لحن، وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والفناء .

قال علماؤنا: ويشبه أن يكون هذا الذي يفعله قرّاء زماننا بين يدي الوعاظ وفي المجالس من اللحن الأعجمية التي يقرأون بها، ما نهى عنه رسول الله ﷺ. والترجيع في القراءة: ترديد الحروف كقراءة النصارى. والترتيل في القراءة هو الثاني فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل، وهو المشبه بنور الأحوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾<sup>(١)</sup>. وسئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؛ فقالت: مالكم وصلاته! [كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلى قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح<sup>(٢)</sup>] ثم نعتت قراءته، فإذا هي نعتت قراءة مفسرة خزفاً حرفاً. أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي في تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وهيره:

« قال الله تعالى: ﴿ وَاهْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: ﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٥)</sup>. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يَقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُجِبَ عَلَيَّ وَجْهِي حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَىٰ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ

١. سورة المزمل: الآية ٤.

٢. الزيادة عن سنن الترمذي وأبي داود.

٣. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠-١٧.

٤. سورة النساء: الآية ٣٦.

٥. سورة الكهف: الآية ١١.

فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار». وقال الترمذي في هذا الحديث: ثم ضرب رسول الله ﷺ على رُكبتي، فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة». أبو هريرة أسمه عبدالله، وقيل: عبدالرحمن، وقال: كُنيتُ أبا هريرة لأنني حملت هرة في كُمي، فرأني رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه؟ قلت: هرة، فقال: «يا أبا هريرة». قال ابن عبدالبر: وهذا الحديث فيمن لم يُرد بعمله وعلمه وجه الله تعالى. وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار». وخرَّج ابن المبارك في رقائقه عن العباس بن عبدالمطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى نحاض البحار بالخيال في سبيل الله تبارك وتعالى، ثم يأتي أقوام يقرأون القرآن فإذا قرأوه قالوا: من أقرأنا من أعلم منا» ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «هل ترون في أولئك من خير» قالوا: لا. قال: «أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار». وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علما مما يتقى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». يعني ربحها. قال الترمذي: حديث حسن. وروى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تعوذوا بالله من جَبِّ الحَرْنِ قالوا: يا رسول الله وما جب الحَرْن؟ قال: «وادي في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم مائة مرة» قيل: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: «الفرَّاء المرَّؤون بأعمالهم» قال: هذا حديث غريب. وفي كتاب أسد بن موسى أن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لواديًا إن جهنم لتتعوذ من شرِّ ذلك الوادي كل يوم سبع مرَّات، وإن في ذلك الوادي لَجَبًّا إن جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شرِّ ذلك الجَبِّ، وإن في الجَبِّ لحيَّةٌ وإن جهنم والوادي والجَبِّ ليتعوذون بالله من شرِّ تلك الحية سبع مرات، أعدّها الله للأشقياء من حَمَلَةِ القرآن الذين يعصون الله». فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقى الله في نفسه ويُخلص العمل لله؛ فإن كان تقدّم له شيء ما يكره فليبادر التوبة والإنابة، وليبتدئ بالإخلاص في الطلب وعمله. فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره. روى الترمذي عن أبي

الدُّرْدَاءُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزَلَ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ - أَوْ أُوحِيَ - إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ قُلٌّ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ لغيرِ الدِّينِ وَيَتَعَلَّمُونَ لغيرِ الْعَمَلِ وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسْوِكَ<sup>(١)</sup> الْكِبَاشِ وَقُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الذَّنَابِ، أَلَسْتُمْهُمْ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، إِيَّايَ يَخَادِعُونَ وَبِي يَسْتَهْزِئُونَ لِأَتِيحَنَ لَهُمْ فِتْنَةٌ تَدْرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانٌ».

وخرَجَ الطَّبْرِيُّ فِي كِتَابِ آدَابِ النَّفْسِ: حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ الْبَجَلِيِّ عَنْ ابْنِ صَدَقَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَنْ حَدَّثَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَخَادِعِ اللَّهَ فَإِنَّهُ مَنْ يَخَادِعِ اللَّهَ يَخْدَعِ اللَّهَ يَخْدَعُهُ اللَّهُ، وَنَفْسُهُ يَخْدَعُ لَوْ يَشْتُرُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَخَادِعُ اللَّهَ؟ قَالَ: «تَعْمَلُ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَتَطْلُبُ بِهِ غَيْرَهُ، وَاتَّقُوا الرِّبَا فَإِنَّهُ الشَّرْكُ وَإِنَّ الْمُرَائِي يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا؛ يَا كَافِرَ يَا خَاسِرَ يَا غَادِرَ يَا فَاجِرَ ضَلَّ عَمَلُكَ وَيَطَّلُ أَجْرُكَ فَلَا خَلَاقَ لَكَ الْيَوْمَ، فَالْتَمَسِ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ يَا مَخَادِعَ». وَرَوَى عَلْقَمَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَيْسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَزُبُّو لَهَا الصَّغِيرَ، وَيَهْرَمُ الْكَبِيرَ، وَتَتَّخِذُ سُنَّةَ مُبْتَدِعَةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا النَّاسُ، فَإِذَا خُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: قَدْ خُيِّرَتِ السُّنَّةُ. قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: إِذَا كَثُرَ قَرَأُوكُمْ، وَقَلَّ فَفَعَلَاؤُكُمْ، وَكَثُرَ أَمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّ أَمْنَاؤُكُمْ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتَفَقَّهَ لغيرِ الدِّينِ. وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: بَلَّغْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ أَخَذُوهُ بِحَقِّهِ وَمَا يَنْبَغِي لِأَحِبِّهِمْ اللَّهُ، وَلَكِنْ طَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا فَأَبْغَضَهُمُ اللَّهُ، وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ: قَوْمٌ وَصَفُوا الْحَقَّ وَالْعَدْلَ بِالسُّنَّتِمْ، وَخَالَفُوهُ إِلَى غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي مَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِهِ وَلَا يَفْغَلُ عَنْهُ:

«فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُخْلِصَ فِي طَلْبِهِ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ كَمَا ذَكَرْنَا، وَأَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ لثَلَاثِ نِسَاءٍ.

٢. سورة الشعراء: الآية ٩٤.

١. المسوك جمع مسك، يفتح ثم سكون، الجلد.

٢. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٧ - ٢٠.

روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلُ صاحبِ القرآنِ كمثلِ صاحبِ الإبلِ المعقَلةِ إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكَّره وإذا لم يقرأه لم يبق به نسيته».

وينبغي له أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا، وإليه راغبا، وبه معتصما؛ وللموت ذاكرا، وله مستعدا.

وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا غفوَ ربه؛ ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذا لا يعلم بما يُختم له؛ ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله.

قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِن بالله الظن». أي أنه يرحمه ويفغر له.

وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه، متحفظا من سلطانه، ساعيا في خلاص نفسه، ونجاة مُهَجَّته، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عَرْضِ دنياه، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكون أهمُّ أموره عنده الوَزَعُ في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

وقال ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليته إذا الناس نائمون، وينهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون، وبجزئه إذا الناس يفرحون.

وقال عبدالله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن؛ لأن في جوفه كلام الله تعالى.

وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاوت عن طُرُق الشُّبُهات، ويقبل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار.

وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والجرأ، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب.

وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شُرّه، ويُرزجى خيره ويُسلم من ضرّه، وألا يسمع ممن نَمَّ عنده؛ ويصاحب من يعاونه على الخير ويدلّه على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزيّنه ولا يثيبينه، وينبغي له أن يتعلّم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فيستفيع بما يقرأ ويعمل بما يتلو؛ فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه؛ فما مثّل من هذه حالته إلا كَمَثَل الحمار يحمل أسفارا.

وينبغي له أن يعرف المكيّ من المَدَنِيّ ليفرّق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أوّل الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أوّل الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره. فالمَدَنِيّ هو الناسخ للمكيّ في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكيّ المَدَنِيّ؛ لأنّ المنسوخ هو المتقدّم في النزول قبل الناسخ له.

ومن كماله أن يعرف الإعراب وللغريب، فذلك مما يسهّل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو. وقد قال أبو جعفر الطبريّ: سمعت الجرميّ يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفقّيت الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال محمد بن يزيد: وذلك أن أبا عمر الجرميّ كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلّم منه النظر والتفسير. ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله عزّ وجل في كتابه وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً؛ وقد قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١)</sup>. قال: حقّ على كل من تعلّم القرآن أن يكون فقيهاً.

وذكر ابن أبي الحواريّ قال: أتينا فضيل بن عيّاض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول؛ فقال بعض القوم: إن كان خارجاً لشيء فسيخرج لتلاوة القرآن؛ فأمرنا قارئاً فقرأ فاطلع علينا من كوة؛ فقلنا: السلام عليك ورحمة الله؛ فقال: وعليكم السلام؛ فقلنا: كيف أنت يا أبا عليّ، وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافية ومنكم في أذى، وإن ما أنتم فيه حدّث في الإسلام، فإن الله وإن إليه راجعون أما هكذا

كنا نطلب العلم ، ولكننا كنا نأتى المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم ، فنجلس دونهم ونسرق السمع ، فإذا مرَّ الحديث سألناهم إعادته وقيدناه ، وأنتم تطلبون العلم بالجهل ، وقد ضيعتم كتاب الله ، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون ؛ قال : قلنا قد تعلمنا القرآن ؛ قال : إن فى تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم ؛ قلنا : كيف يا أبا على ؟ قال : لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ، ومُحكّمه من مُتّشابهه ، وناسخه من منسوخه ؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فُصَيْلِ وابْنِ عَيْبَةَ ، ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

قلت : فإذا حصلت هذه المراتب لقارىء القرآن كان ماهراً بالقرآن ، وعالماً بالقرآن ؛ وهو قريب على مَنْ قَرَّبَهُ عليه ، ولا يتنفع بشيء مما ذكرنا حتى يُخلص النية فيه لله جل ذكره عند طلبه أو بعد طلبه كما تقدّم . فقد يتدبّر الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف فى الدنيا ، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين أنه على خطأ فى اعتقاده ، فيتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فيتنفع بذلك ويحسن حاله . قال الحسن : كنا نطلب العلم للدنيا فحجرتنا إلى الآخرة . وقاله سفيان الثوري . وقال حبيب بن أبى ثابت : طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نيّة ثم جاءت النية بعد « (٢) .

قال القرطبي فى ما جاء فى إعراب القرآن وتعليمه والنهت عليه ، وثواب من قرأ القرآن مُعرباً :

« قال أبو بكر بن الأنباري : جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم - من تفضيل إعراب القرآن ، والخصص على تعليمه ، وذم اللحن وكرهيته - ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد فى تعلمه .

من ذلك ما حدّثنا يحيى بن سليمان الضبيّ ، قال : حدّثنا محمد - يعنى ابن سعيد - قال : حدّثنا أبو معاوية عن عبدالله بن سعيد المقرئ عن أبيه عن جدّه عن أبى هريرة أن النبي ﷺ

قال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».

حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم ابن الهيثم قال: حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - قال: حدثنا أبو الطيب المَرْوَزِيُّ قال: حدثنا عبدالعزيز أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فلم يُعْرِبه وكُلَّ به مَلَكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات فإن أعرب بعضه وكُلَّ به مَلَكٌ يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكُلَّ به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة؟».

وروي جُوَيْرٍ عن الضحاك قال: قال عبدالله ابن مسعود: جَوَدوا القرآن وزَيَّنوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنه عربي، والله يحب أن يُعْرَبَ به.

وعن مجاهد عن ابن عمر قال: أعربوا القرآن.

وعن محمد بن عبدالرحمن ابن زيد قال: قال أبو بكر وعمر رضِيَ اللهُ عنهما: لَبَّعُضُ إعراب القرآن أحبَّ إلينا من حفظ حروفه.

وعن الشعبي قال: قال عمر رحمه الله: من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد. وقال مكحول: بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب. وروي ابن جُرَيْجٍ عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّوا العرب لثلاث لأنى عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي».

وروي سفيان عن أبي حمزة قال: قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية قال: أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ. وقيل للحسن: إن لنا إمامًا يلحن، قال: أخروه.

وعن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب فقال: مَنْ يُقرئني مما أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجلاً «براءة»؛ فقال: «إن الله بريء من المشركين ورسوله». بالجزء، فقال الأعرابي: أو قد برىء الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يُقرئني، فأقرأني هذا سورة «براءة»، فقال: «إن الله بريء من المشركين ورسوله»؛ فقلت: أو قد برىء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي؛ قال:



فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «إن الله برىء من المشركين ورسوله» فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألا يُقرىء الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود<sup>(١)</sup> فوضع النحو.

وعن علي بن الجعدي قال: سمعت شعبة يقول: مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه ميخلاة لا علف فيها. وقال حماد بن سلمة: من طلب الحديث ولم يتعلم النحو - أو قال العربية - فهو كمثل الحمار تعلق عليه ميخلاة ليس فيها شعير. قال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع.

قال ابن الأنباري: وجاء عن أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم رضوان الله عليهم، من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين في ذلك، وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم. من ذلك ما حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزاز قال: حدثنا ابن أبي مريم قال: أنبأنا ابن فروخ قال: أخبرني أسامة، قال: أخبرني عكرمة: أن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

وحدثنا إدريس بن عبدالكريم قال: حدثنا خلف قال: حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدهان قال: سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران يقولان: سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن؛ فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. وعن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن قول الله جل وعز: ﴿وَيَايَكَ فَطَهَّرُ﴾<sup>(٢)</sup> قال: لا تلبس ثيابك على غدر؛ وتمثل بقول غيلان الثقفي:

فإني بحمد الله لا توب غادر  
لبست ولا من سوء أتقن<sup>(٣)</sup>  
وسأل رجل عكرمة عن الزنيم قال: هو ولد الزنى؛ وتمثل بيت شعر:  
زنيم ليس يعرف من أبوه  
يغنى الأم ذو حسب لثيم

١. والثابت أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي، فوضع النحو.

٢. سورة المدثر: الآية ٤.

٣. أورد المؤلف في تفسير سورة المدثر ج ١٩ ص ٦٢ هذا البيت برواية أخرى هكذا:

فإني بحمد الله لا توب فاجر  
لبست ولا من غدره أتقن

وعنه أيضاً الزنيم: الدعوى الفاحش اللثيم، ثم قال:

زَنَسِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً      كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَوْدِيمِ الْأَكَارِعُ<sup>(١)</sup>

وعنه في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾<sup>(٢)</sup> قال: ذَوَاتَا ظِلٍّ وَأَعْصَانٍ؛ ألم تسمع إلى قول

الشاعر:

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَرْدِيلِ حَمَامَةٍ      تَدْعُوا عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامَا

تَدْعُوا أَبَا فَرَخِينَ صَادِفِ طَائِرَا      ذَا مِسْخَلِينَ مِنَ الصَّقُورِ قَطَامَا

وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾<sup>(٣)</sup> قال: الأرض؛ قاله

ابن عباس. وقال أمية بن أبي الصلت: «عندهم<sup>(٤)</sup> لحم بحر ولحم ساهرة». قال ابن

الأنباري: والرواة يروون هذا البيت:

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرَةٌ وَيَسْخِرُ      وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُتَقِيمٌ

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ

وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(٥)</sup> ما السنة؟ قال: الثُّعَاسُ؛ قال زهير بن أبي سلمى:

لَا سِنَّةٌ فِي طَوَالِ اللَّيْلِ تَأْخُذُهُ      وَلَا يَنَامُ وَلَا فِي أَمْرِهِ فَتَنَدُ<sup>(٦)</sup>،<sup>(٧)</sup>

قال القرطبي في ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمة:

«قال الترمذي الحكيم أبو عبدالله في نوادر الأصول: «فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا

طاهراً ومن حرمة أن يقرأه وهو على طهارة. ومن حرمة أن يستاك ويتحلل فيطيب فاه، إذ

هو طريقه. قال يزيد بن أبي مالك: إن أفواهكم طُرُقٌ من طرق القرآن، فطهروها ونظفوها

ما استطعتم. . . ومن حرمة أن يتلبس<sup>(٨)</sup> كما يتلبس للدخول على الأمير لأنه مناج. ومن

حرمة أن يستقبل القبلة لقراءته. . . وكان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل

١. كذا في اللسان والكمال للمبرد. وفي الأصول: «أكارعه».

٢. سورة الرحمن: الآية ٤٨. ٣. سورة النازعات: الآية ١٤.

٤. كذا في الأصول. ولعل ابن عباس يريد ما تضمنه البيت الذي قاله أمية والذي ذكره ابن الأنباري فيما يلي، وسيأتي

للمصنف في تفسير سورة النازعات ج ١٩ ص ١٩٧ هذا البيت.

٥. سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٦. الفند (بالثريك): ضف الرأى من الكبر. وقد يستعمل في غير الكبر.

٧. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٣-٢٥. ٨. يقال: تلبس بالثوب بمعنى لبسه.

القبلة . - ومن حرمة أن يتمضمض كلما تنزع <sup>(١)</sup> .

روى شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس : أنه كان يكون بين يديه ثُور <sup>(٢)</sup> إذا تنزع مضمض ، ثم أخذ في الذكر ، وكان كلما تنزع مضمض . ومن حرمة إذا تئاب أن يمسك عن القراءة لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج ، والتأوب من الشيطان . - قال مجاهد : إذا تئابت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القرآن تعظيماً حتى يذهب تأؤبك . وقال عكرمة . يريد أن في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن . - ومن حرمة أن يستعيز بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم ، ويقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ . ومن حرمة إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة . ومن حرمة أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه ؛ لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذي استعاذ في البدء . ومن حرمة أن يقرأه على تَوَدَّةٍ وترسيل وترتيل . ومن حرمة أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به . ومن حرمة أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله ، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه . ومن حرمة أن يقف على أمثاله فيمثلها . ومن حرمة أن يلتبس غرابته <sup>(٣)</sup> . ومن حرمة أن يؤدى لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً ، فإن له بكل حرف عشر حسنات . ومن حرمة إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ ، ويشهد على ذلك أنه حق ، فيقول : صدقت ربنا وبلغت رسلك ، ونحن على ذلك من الشاهدين ؛ اللهم اجعلنا من شهداء الحق ، القائمين بالقسط ؛ ثم يدعو بدعوات . ومن حرمة إذا قرأه ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها ؛ فإنه روى لنا عن رسول الله ﷺ : أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً ؛ فأمره أن يقرأ السورة كلها أو كما قال ﷺ . ومن حرمة إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً ، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب ، علماً كان أو غيره . ومن حرمة أن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض . ومن حرمة ألا يمحوه

١ . تنزع كتنخم وزنا ومعنى .

٢ . الثور ؛ بناء يشرب فيه .

٣ . في نوادر الأصول : «إعراجه» . وكلاهما مروى عن رسول الله ﷺ فقد روى أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال : «أعربوا القرآن واتمسوا غرابته» رواه الحاكم والبيهقي .

من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء . ومن حرمة إذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع، والمواقع التي تُوطأ، فإن لتلك الفسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته. ومن حرمة ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب؛ فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء. ومن حرمة ألا يخلى يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة؛ وكان أبو موسى يقول: إنى لأستحيى ألا أنظر كل يوم في عهد ربى مرة. ومن حرمة أن يعطى عينيه حظهما منه، فإن العين تؤذى إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر؛ فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فتؤذى إلى النفس، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأذى وذلك أوفر للأذى؛ وكانت قد أخذت العين حظها كالأذن. روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة» قالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه». وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً». ومن حرمة ألا يتأوله عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا. - حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي قال: حدثنا هشيم بن بشير عن المغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يتأول شيء من القرآن عند ما يعرض له شيء من أمر الدنيا، - والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك: جئت على قدر يا موسى؛ ومثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾<sup>(١)</sup> هذا عند حضور الطعام وأشبهه هذا. ومن حرمة ألا يقال: سورة كذا؛ كقولك: سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يُذكر فيها كذا. -

قلت: هذا يعارضه قوله ﷺ: «الآيات من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه» خرّجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود. - ومن حرمة ألا يُتلى منكوساً كفعل معلمى الصبيان، يلتمس أحدهم بذلك أن يري الجدق من نفسه والمهارة، فإن تلك مخالفة. ومن حرمة ألا يُقَرَّ في قراءته كفعل هؤلاء الهزبيين المبتدعين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفاً، فإن ذلك محدث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه

ومن حرمة ألا يقرأه بألحان الغناء كلكون أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ وقد تقدّم، ومن حرمة أن يُجَلَّلَ تخطيطه إذا خطه. وعن أبي حَكِيمَة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمرَّ على رضى الله عنه فنظر إلى كتابته فقال له: أجزَل قلمك؛ فأخذت القلم فقططته من طرفه قَطًّا، ثم كتبت وعلى رضى الله عنه قائم ينظر إلى كتابتي؛ فقال: هكذا، نُوزِه كما نُوزِه الله عزَّ وجلَّ. ومن حرمة ألا يجهر بعض على بعض فى القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة. ومن حرمة ألا يُمارى ولا يجادل فيه فى القراءات، ولا يقول لصاحبه: ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القرآن؛ فيكون قد جحد كتاب الله. ومن حرمة ألا يقرأ فى الأسواق ولا فى مواطن اللغو واللغو ومجمع السفهاء؛ ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراما، هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مرَّ بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء. ومن حرمة ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه، ولا يرمى به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله. ومن حرمة ألا يصفر المصحف؛ روى الأعمش عن إبراهيم عن على رضى الله عنه قال: «لا يصفر المصحف».

قلت: وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى مصحفا صغيرا فى يد رجل فقال: من كتبه؟ قال: أنا؛ فضربه بالدرة، وقال: عظِّموا القرآن. وروى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يقال: مُسْتَجِدُّ أو مُصْبِحُف. - ومن حرمة ألا يخلط فيه ما ليس منه. ومن حرمة ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا.

وروى مغيرة عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رؤوس الآى أو يصغَّر. وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زخر فرتم مساجدكم وحلَّيتم مصاحفكم فالدبار<sup>(١)</sup> عليكم». وقال ابن عباس وقد رأى مصحفا زَيْنَ بفضة: تُغرون به السارق وزينته فى جوفه. ومن حرمة ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل به فى المساجد المحدثه.

١. الدبار: الهلاك. وفى نوادر الأصول: «فالدمار» بالميم بدل الباء الموحدة.

حدَّثنا محمد بن علي الشقيق عن أبيه عن عبدالله بن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال: سمعت عمر بن عبدالعزيز يحدث قال: مرَّ رسول الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشاب من هُذَيل: «ما هذا؟» قال: من كتاب الله كتبه يهودي؛ فقال: «لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه».

قال محمد بن الزبير: رأى عمر بن عبدالعزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه. ومن حرمة أنه إذا اغتسل بكتابه مستشفيا من سقم ألا يصبه على كئاسة، ولا في موضع نجاسة، ولا على موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤه الناس، أو يحفر حفيرة في موضع طاهر حتى ينصب من جسده في تلك الحفيرة ثم يكبسها، أو في نهر كبير يختلط بمائه فيجري. ومن حرمة أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهينة المهجور؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات؛ لتلا يكون في هيئة المهجور. وروى ابن عباس قال جاء رجل فقال: يا رسول الله، أي العلم أفضل؟ قال: «عليك بالحال المرتحل» قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حلَّ ارتحل»..

قلت: ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله.

ذكر أبو بكر الأنباري: أنبأنا إدريس حدَّثنا: خلف حدَّثنا: وكيع عن مشعر عن قتادة: أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا.

وأخبرنا إدريس: حدَّثنا: خلف حدَّثنا جرير عن منصور عن الحكم، قال: كان مجاهد وعبد بن أبي لجابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا: أحضرونا، فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن.

وأخبرنا إدريس: حدَّثنا: خلف حدَّثنا: هشيم عن العوام عن إبراهيم التيمي قال: من ختم القرآن أول النهار صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختم أول الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يصبح؛ قال: فكانوا يستحبون أن يختموا أول الليل وأول النهار. ومن حرمة ألا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به في الخلاه، إلا أن يكون في غلاف من آدم أو فضة أو غيره؛ فيكون كأنه في صدرك. ومن حرمة إذا كتبه وشربه سُمِّي الله على كل نفس

وَعَظَّمَ النِّيةَ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُؤْتِيهِ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ. رَوَى لَيْثٌ عَنِ مَجَاهِدٍ قَالَ: لَا بَأْسَ أَنْ تَكْتُبَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَسْقِيهِ الْمَرِيضَ. وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: وَمَنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ قِسَاوَةً فَلْيَكْتُبْ «يَس» فِي جَامِ بَزْعُرَانَ ثُمَّ يَشْرِبْهُ.

قلت: ومن حرّمته ألاّ يقال: سورة صغيرة. وكرهه أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة؛ وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغر منها؛ وأما القرآن فكله عظيم؛ ذكره مكّي رحمه الله.

قلت: وقد روى أبو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنه قال: ما من المفضّل سورة صغيرة ولا كبيرة إلاّ قد سمعت رسول الله ﷺ يؤمّ بها الناس في الصلاة»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية: «عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «أنكحني أباي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد ابنته فيسألها عن يعلها فتقول: نعم الرجل لم يبطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كتفاً منذ أتيناها، فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ألقني به فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قلت: كل يوم. قال: متى - أو كيف - تختم؟ قلت: كل ليلة. قال: صم من كل شهر ثلاثة أيام، واقرأ القرآن في كل شهر. قلت: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم ثلاثة أيام من كل جمعة. قلت: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: أفطر يومين وصم يوماً، قال: قلت إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ القرآن في كل سبع ليال مرة. قال: فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذلك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، فإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصن وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ.

وقال بعضهم: في ثلاث وفي خمس، وأكثرهم على سبع. وفي لفظ: «اقرأ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوة. قال: فاقرأه في سبع ولا تزدد على ذلك»، رواه بكماله البخاري

وهذا اللفظ<sup>(١)</sup>. وروى مسلم الحديث بنحوه واللفظ الآخر مثله. وفي رواية: ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن في كل ليلة؟ فقلت: نعم يا نبي الله. وفيه قال: «اقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلت يا نبي الله إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه كل عشر، قال قلت يا نبي الله إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك<sup>(٢)</sup>». قال: فشددت فشدد على<sup>٣</sup> وقال لى النبي ﷺ: «إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرك، قال: فصرت إلى الذى قال النبي ﷺ»، وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «اقرأ القرآن في كل ثلاث» رواه أحمد وأبو داود.

قلت: هذه الرواية نبه عليها البخارى. وقال بعضهم: فى ثلاث، وهو معنى ما روى عن سعد بن المنذر الأنصارى أنه قال: يا رسول الله أقرأ القرآن فى ثلاث؟ قال: «نعم» وكان يقرؤه حتى توفى. رواه أحمد من طريق ابن لهيعة. وذكر أن بعضهم قال: فى خمس وأكثرهم على سبع، فالصحيح عندهم فى حديث عبدالله بن عمرو أنه انتهى به النبي ﷺ إلى سبع، كما أنه أمره ابتداء بقراءته فى الشهر، فجعل الحد ما بين الشهر إلى الأسبوع، وقد روى أنه أمره ابتداء أن يقرأه فى أربعين، وهذا فى طرف السعة يناظر التثليث فى طرف الاجتهاد.

وأما رواية من روى: «من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه»<sup>(٣)</sup> فلا تنافى رواية السبع فإن هذا ليس أمراً لعبدالله بن عمرو، ولا فيه أنه جعل قراءته فى ثلاث دائماً سنة مشروعه، وإنما فيه الإخبار بأن من قرأه فى أقل من ثلاث لم يفقه، ومفهومه مفهوم العدد.

١. انظر البخارى ج ٦ ص ٢٤٢ (كتاب فضائل القرآن. باب فى كم يقرأ القرآن) والحديث من رواية مجاهد عن عبدالله بن عمر. مع اختلاف فى بعض الألفاظ.

٢. ورد الحديث فى البخارى ج ٦ ص ٢٤٣ ولفظه: قال رسول الله ﷺ اقرأ القرآن فى شهر. قلت أى أجد قوة. حتى قال: فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك، ويقول ابن كثير مطلقاً على هذا النص: فهذا السياق يقتضى المنع من قراءة القرآن فى أقل من سبع. انظر: كتاب فضائل القرآن ج ٤ ص ٤٩ من التفسير.

٣. هى رواية قتادة عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «لا تنفقه فى قراءة فى أقل من ثلاث» يقول ابن كثير أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة: وقال عنه الترمذى: حسن صحيح، ورواية عمرة بنت عبدالرحمن قالت: سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يحتم القرآن فى أقل من ثلاث... ويعلق ابن كثير على هذا الحديث قائلاً: هذا حديث غريب جداً وفيه ضعف وضمفه الدارقطني.

انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٩ - ٥٠ (كتاب فضائل القرآن).



وهو مفهوم صحيح أن من قرأه في ثلاث فصاعداً فحكّمه نقيض ذلك ، والتناقض يكون بالمخالفة ، ولو من بعض الوجوه .

فإذا كان من يقرؤه في ثلاث أحياناً قد يفقهه حصل مقصود الحديث ، ولا يلزم إذا شرع فعل ذلك أحياناً لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك مستحبة ، ولهذا لم يعلم في الصحابة على عهده من داوم على ذلك ، أعنى على قراءته دائماً فيما دون السبع ، ولهذا كان الإمام أحمد - رحمه الله - يقرؤه في كل سبع <sup>(١)</sup> .

قال الثعالبي: « وقال رجل لعبدالله بن مسعود: اوصني فقال: اذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿ يا ايها الذين ءامنوا ﴾ فارعها سمعتك فانه خير يأمر به او شر ينهى عنه .

وروي ابو هريرة ان رسول الله ﷺ سئل عن احسن الناس قراءة او صوتاً بالقرآن ، فقال: الذى اذا سمعته يخشى الله تعالى، وقال ﷺ: أقرأوا القرآن قبل ان يجيء قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتمجلون اجره ولا يتأجلونه :

وروي ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرآن فجعلوا يبكون ، فقال ابوبكر : هكذا كنا ثم قست القلوب ، وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فأن أنة عيّد منها عشرين يوماً .  
قال القرطبي في التذكرة : وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بشيء مثل القرآن قال ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: « من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين » رواه الترمذى انتهى .

قلت : ولفظ الترمذى عن ابي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الرب عز وجل : « من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين » وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » قال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب .  
وعن عبدالله بن عمرو ان النبي ﷺ قال : « لم يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث » قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح انتهى .

وعمد الامر التدبر والتفهم فقلة القراءة مع التفهم افضل من كثرتها من غير تفهم ، وهذا

الذى عليه المحققون وهو الذى يدل عليه القرآن وصحيح الآثار ، ولولا الاطالة لاتيينا من ذلك بما يبلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح الرسالة فى الذى يقرأ القرآن من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر أم لا؟ قولان، وهذا الخلاف والله اعلم فى غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما حكاه عياض فى المدارك عن الشبلي فى قصته مع الامام المقرئ .

وبالجملة فالتدبر والتفهم هو الذى يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير، ونقل الباجى فى سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال : لئن أقرأ فى ليلى حتى اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا أزيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهد القرآن ليلى هذا او قال انشره نثرا، ونحوه عن مجاهد وغيره .

وعن ابن عباس قال: ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى . قال ابن ابي جمرة: والمرغب فيه التدبر فى القراءة وان قلت : وهو خير من كثرة القراءة بلا تدبر، وفائدة التدبر؛ هو ان تعرف معنى ما تتلوه من الآي انتهى .

وقال الحسن بن ابي الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا تركيبونه فتقطعون به المراحل وان كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار، وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول: انزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملاً إن احدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به .

قال ابن عطية: قال الله تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿ انا سنلقى عليك قولاً ثقیلاً ﴾ <sup>(٢)</sup> اى علم معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسر وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم، وقيل ليوסף بن اسباط : بأى شيء تدعو اذا ختمت القرآن فقال : استغفر الله من تلاوتى لانى اذا ختمته ثم تركت ما فيه من الاعمال خشيت المقته فاعدل الى الاستغفار والتسبيح، وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال : فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال لى : اتخذت القراءة على عملا اذهب فاقرأه على

٢. سورة المزمل: الآية ٥.

١. سورة القمر: الآية ١٧، ٢٢، ٢٤، ٤٠.

الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يفهمك منه .

قال الغزالي في كتاب التفكير : واما طريق الفك الذى تطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب احوال محمودة او التنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من تلاوة القرآن بالفكر، فانه جامع لجميع المقامات والاحوال، وفيه شفاء للعالمين، وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال المحمودة، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة، فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكير فيها مرة بعد اخرى ولو ليلة كاملة، فقراءة آية بتفكير وفهم خير من ختمه من غير تدبر وفهم، فان تحت كل كلمة منه اسرار لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة، وكذلك حكم مطالعة اخبار رسول الله ﷺ فقد اوتى ﷺ جوامع الكلم، فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره، وشرح أحاد الآيات والاخبار يطول، وانظر قوله ﷺ: ان روح القدس نفت في روعى احبب من احببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به» فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين، ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغفرتهم ولجالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية» انتهى من الاحياء»<sup>(١)</sup>.

قال الفيض الكاشانى (ره) في نبد ما جاء في كيفية التلاوة وأدائها :

«روى في الكافي باسناده عن اسحق بن عمار عن أبي عبدالله ﷺ قال : قلت له : جعلت فداك إني احفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأ عن ظهر قلبي أفضل أو انظر في المصحف ؟ فقال لي : « لا بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل أما علمت أن النظر في المصحف عبادة » .

وباسناده عن محمد بن عبدالله قال : قلت لأبي عبدالله ﷺ : أقرأ القرآن في ليلة؟ قال : « لا يعجبني أن تقرأ في أقل من شهر » .

وباسناده عن أبي بصير أنه قال : قلت لأبي عبدالله ﷺ : جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر

رمضان في ليلة؟ فقال: «لا» قال: ففي ليلتين قال: «لا» قال: ففي ثلاث؟ قال: «ها» وأشار بيده. ثم قال: «يا أبا محمد إن لرمضان حقاً وحرمة ولا يشبهه شيء من الشهور وكان أصحاب محمد ﷺ يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل. إن القرآن لا يقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلاً وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله تعالى الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار».

أقول: ها كلمة إجابة يعني بها نعم. ثم علل جواز الختم في ثلاث ليال في شهر رمضان بحق الشهر وحرمته، واختصاصه<sup>(١)</sup> من بين الشهور. والهدرمة: السرعة في القرآن.

وبإسناده عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>. قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بيئته تبييناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن فزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

أقول: الهدء: السرعة في القراءة، أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل، والمراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة والبطء المفرط.

وفي رواية أخرى: أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن ترتيل القرآن فقال: «هو حفظ الوقوف وبيان الحروف»، وفسر الأول بالوقف التام والحسن، والثاني بالإتيان بصفاتهما المعتبرة من الجهر والهمس والاطباق والاستعلاء وغيرها.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «هو أن تمكث وتحسن به صوتك».

وبإسناده عنه عليه السلام: «قال القرآن نزل بالحزن».

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «قال النبي ﷺ: لكل شيء حلية وحلية للقرآن الصوت الحسن».

وعنه عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن».

أريد به مطلق الاختصاص لا اختصاصه بزيادة القراءة ولذا لم يقل اختصاصه بذلك. منه قدس سره.  
حورة المرتل: الآية ٤.

وكان السقاءون يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته .

وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً .

وبإسناده عن علي بن محمد التوفلي عن أبي الحسن عليه السلام قال : ذكرت الصوت عنده فقال : « إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته . وإن الإمام عليه السلام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه .

قلت : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن فقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل الناس من خلفه <sup>(١)</sup> ما يطيقون .

وبإسناده عن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان ، فقال : إنما تراني بهذا أهلك والناس . قال : « يا أبا محمد اقرأ قراءة بين القراءتين تسمع أهلك ورجع بالقرآن صوتك فان الله تعالى يحب الصوت الحسن يرجع به ترجيحاً .

وبإسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر ، فانه سيجيء بعدي أقوام يرجعون القرآن بترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقبهم وقلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم .

وعنه عليه السلام : « إن القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به من لم يتغن بالقرآن فليس منا .

قال في مجمع البيان : تأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به ، وأكثر العلماء على أنه تزيين الصوت وتحزينه .

أقول : المستفاد من هذه الأخبار جواز التغني بالقرآن والترجيع به ، بل استحبابهما فما ورد من النهي عن الغناء - كما يأتي في محله إن شاء الله - ينبغي حمله على لحون أهل الفسق

١ . يحتمل كلمة من أن تكون إسماً موصولاً بدلاً من الناس ، يعني كان يحمل من كان يصلي خلفه من الناس على ما يطيقون معه إقامة الصلاة من غير أن يخرجوا عن حدود التكليف وذلك لمصالح تقتضيه فإنه عليه السلام كان مأموراً بالإقبال والادبار جميعاً . ويحتمل أن يكون حرفاً قيماً للناس أو متعلقاً بحمل فتدبر .

والكباثر، وعلى ما كان معهوداً في زمانهم عليه السلام في فساق الناس وسلاطين بني أمية وبني العباس من تغني المغنيات بين الرجال، وتكلمهن بالأباطيل ولعبهن بالملاهي من العيدان والقضيب ونحوها.

قال في الفقيه: سأل رجل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت؟ فقال: «ما عليك لو اشتريتها فذكرت لك الجنة». قال: «يغني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التي ليست بغناء فأما الغناء فمحظور».

وفي الكافي والتهذيب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس ليست بالتي تدخل عليها الرجال».

وفي معناه أخبار آخر، وكلام الفقيه يعطي أن بناء الحل والحرمة على ما يتغنى به .  
والحديث الأخير يعطي أن لسماع صوت الأجنبية مدخلاً في الحرمة فليتأمل .

وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق عليه ولم ينشئ حزنًا ووجلاً في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراً مبيناً، فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال. فإذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق - بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين - استأنس روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة؛ لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولا يتك وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده، فإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرثله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيدته وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده».

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون».

وقال أيضاً: وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خَرَّ مغشياً عليه فلما سرى<sup>(١)</sup> عنه، قيل له في ذلك، فقال: «ما زلت اردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته».

أقول: وللتلاوة آداب أخر منها ظاهرة؛ كالطهارة، والاستعاذة، وتعظيم المصحف، والدعاء أولاً وأخراً وغير ذلك، ومنها باطنة؛ كحضور القلب، والتدبر والتفهم، والتخلي عن موانع الفهم، وتخصيص نفسه بكل خطاب، وتأثر قلبه بآثار مختلفة، والترقي بقلبه إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، والتبري من حوله وقوته ومن الالتفات إلى نفسه بعين الرضا، واحضار عظمة الكلام والمتكلم بقلبه إلى غير ذلك...»<sup>(٢)</sup>.

قال الكاشاني (ره): «وللتلاوة آداب، منها ظاهرة؛ كالطهارة؛ والأستعاذة، وتعظيم المصحف؛ والدعاء أولاً وأخراً».

وفي الاثناء بما يأتي في الخاتمة.

والترتيل، وهو حفظ الوقوف، وبيان الحروف، كما ورد<sup>(٣)</sup>.

وفي خبر آخر في معناه<sup>(٤)</sup>: «بيّنه بياناً، ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تشره نثر الزمّل، ولكن أفرغ به القلوب القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة». وفي آخر<sup>(٥)</sup>: «هو ان تمكث، وتحسّن به صوتك».

وكان النظر في المصحف عند القراءة، فإن النّظر فيه عبادة، وهو أفضل من القراءة عن ظهر القلب<sup>(٦)</sup>، والبكاء، وتحسين القراءة وتزيينها بترديد الصّوت.

فمن الباقر<sup>(٧)</sup>: «إقرأ قراءة بين القراءتين، تسمع أهلك، وتُرَجِّع بالقرآن صوتك، فإن الله يحبّ الصّوت الحسن، يُرَجِّع به ترجيعاً، واختمه في شهر، ولا تختمه في أقلّ من ثلاثة أيام، وترك الاهتمام بأخر السورة وتكثير التلاوة، فإنّ القليل مع التدبر، خير من

١. في نسخة: سوى. ٢. الصافي ج ١ ص ٧٠-٧٤.

٣. تفسير الصافي، والمقدمة الحادية عشرة.

٤. البحار ج ١٩ ص ٣٠٠، رقم ١٧ و ٢٠ تقرأ عن تفسير القمي والنوادر للراوندي وجمع البيان.

٥. تفسير الصافي، المقدمة الحادية عشرة.

٦. الكافي، باب قراءة القرآن في المصحف، رقم ٥.

٧. الكافي، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، رقم ١٣.

الكثير هذرمة».

نعم، لا ينبغي تلاوة أقل من خمسين آية في كل يوم، واستماعه عند قراءة الغير، وكاد يكون واجباً، لورود الأمر به في الكتاب والسنة، والسجود عند قراءة آية السجدة أو سماعها من غيره.

ومنها باطنة؛ كحضور القلب؛ وترك حديث النفس؛ والتدبر بالتماس غرائبه؛ وطلب عجائبه؛ والتعمق في بطونه؛ والتفكير في تخومه؛ وجولان البصر فيه؛ وتبليغ النظر إلى معانيه؛ والتفهم بان يتوضح من كل آية ما يليق بها؛ والتخلي عن موانع الفهم؛ وتخصيص نفسه بكل خطاب؛ وتأثر قلبه بأثار مختلفه؛ والترقي بقلبه إلى ان يسمع الكلام من الله لا من نفسه، والتبري من حوله وقوته؛ ومن الالتفات إلى نفسه بعين الرضا؛ وإحضار عظمة الكلام والمتكلم بقلبه. والأخبار في بيان تلك الآداب، سيما التدبر والتفكير وذم تلاوة الغافلين كثيرة».

في مصباح الشريعة<sup>(١)</sup> عن الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن، ولم يخضع...»<sup>(٢)</sup>.  
وروي عن علي عليه السلام<sup>(٣)</sup> أنه قال: «لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها».  
وفي الكافي<sup>(٤)</sup> عن السجاد عليه السلام: «آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة، ينبغي لك ان تنظر ما فيها».

وكان علي عليه السلام<sup>(٥)</sup> إذا قرأ ﴿ملك يوم الدين﴾<sup>(٦)</sup>، يكررها حتى كاد أن يموت.  
وروي عن الصادق عليه السلام<sup>(٧)</sup> أنه قال: «والله لقد تجلنى الله لعباده في كلامه، ولكن لا يبصرون».

١. شرح فارسي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ج ١ ص ٩٦-١٠١ والمهجة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٩-٢٥٠.

٢. انظر قبل صفحتين.

٣. بحار الأنوار ج ١٩، من حديث ٤، نقلاً عن معاني الأخبار ٢٢٦. وفيه: ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر. إلا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه.

٤. أصول الكافي، ج ٢ باب في قراءته، ص ٦٠٩ ج ٢ والمهجة البيضاء ج ٢ ص ٢١٥، عنه.

٥. أصول الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، ح ١٣، عن علي بن الحسين عليه السلام.

والضمير في عليه السلام يرجع إليه - صلوات الله عليه. والمهجة البيضاء ج ٢ ص ٢١٥، عنه وبحار الأنوار ج ١٩، ح ٤٣ نقلًا عن العياشي ج ١ ص ٢٣.

٦. سورة الفاتحة: الآية ٤.

٧. المهجة البيضاء ج ٢ ص ٢٤٧، وقيل في هامشه: نقله الشهيد في أسرار الصلاة ص ٢٠٤.



وقال ﷺ<sup>(١)</sup> وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة، حتى خزر مغشياً عليه. فلمَّا سرى عنه، قيل له في ذلك. فقال: «ما زلت أردد الآية على قلبى وعلى سمعى، حتى سمعتها من المتكلم بها. فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته».

وفي الكافي<sup>(٢)</sup> عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾<sup>(٣)</sup> قال: «يرتلون آياته، ويتفهمون معانيه، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخشون وعيده، ويمثلون قصصه، ويعتبرون أمثاله، ويأتون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ما هو والله بحفظ آياته، وسرد حروفه، وتلاوة سورة، ودرس اعشاره واخماسه، وتدبر آياته. يقول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُذَكِّرَ بِهِ آيَاتِهِ﴾<sup>(٤)</sup>».

وفي الكافي<sup>(٥)</sup> عن الباقر ﷺ: «قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة، واستدبر به الملوك، واستطال به على الناس؛ ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه، وضيع حدوده، وأقامه مقام القدح<sup>(٦)</sup>، فلاكثر الله هؤلاء من حملة القرآن؛ ورجل قرأ القرآن، فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله، وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجاوفاً به عن فراشه. فأولئك يدفع الله - العزيز الجبار - البلايا. وأولئك يدبيل الله - عز وجل - من الأعداء. وأولئك ينزل الله الغيث من السماء. فوالله لهؤلاء في قراء القرآن، أعز من الكبريت الأحمر».

وروي أن في التوراة<sup>(٧)</sup>: «يا عبدي أما تستحي مني؟! يأتيك كتاب من بعض أخوانك وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقعده لأجله، وتقرأه وتدبره حرفاً حرفاً، حتى لا يفوتك منه شيء. وهذا كتابي، أنزلته إليك أنظر كم وصلت لك فيه من القول؟ وكم كرزت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه؟ ثم أنت معرض عنه. أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟».

١. نفس المصدر والمجلد، ص ٢٤٨.

٢. البرهان ج ١ ص ١٤٧ نقلاً عنه.

٣. سورة البقرة: الآية ١٢١.

٤. سورة ص: الآية ٢٩.

٥. الكافي ج ٢ باب النوادر، ح ١ والمحجة البيضاء ج ٢ ص ٢١٨، عنه.

٦. في نسخة: «أي: تبذه وراء ظهره إذا الركب قدمه من خلفه».

٧. المحجة البيضاء ج ٢ ص ٢١٩.

يا عبدي! يقعد إليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك. فإن تكلمت متكلم، أو شغلك شاغل عن حديثه، أو مات إليه: أن كَف! وها أنا ذا مقبل عليك، ومحدّث لك، وأنت معرض بقلبك عني، فجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك. إلى غير ذلك من الأخبار<sup>(١)</sup>.

قال الجنابذى في آداب القراءة وكيفيتها ومراتب القراء :

« اعلم! أن الكلام نحو ظهور للمتكلم بشأنه الذي هو فيه حين التكلم الا ترى أن الانسان حين الغضب لو اجهد نفسه في اخفاء غضبه يظهر لا محالة غضبه في كلامه، وأن كلام كل متكلم مناسب لمقامه لا لمقام السامع، ولذلك لا يمكن للبشر من حيث بشريته استماع كلام الملك او الجن ولو سمع هلك او جن او غشى عليه او تضرر بوجه آخر، وأن كلام الله تعالى لو ظهر في مقام اطلاقه لما قام له شيء من خلقه ولغنى الكل في كلامه، لكنه تعالى لغاية رحمته وكمال رأفته لخلقه نزل اسماء وصفاته وكلامه من مقام الاطلاق وألبسها ألبسة التعينات فصارت في مقام الارواح العالية موافقة لها، وفي مقام الارواح المضافة مرافقة لها، وفي مقام الاشباح العالية الثورية والسافلة الظلماتية مطابقة لها، وفي مقام الانسان ظاهرة بلباس الاصوات والعبارة والحروف والكتابة لتناسب اصماخهم وابصارهم كما اشار اليه المولوى بقوله:

خود طواف آنکه او شه بین بود	فوق قهر و لطف و کفر و دین بود
زان نیامد یک عبارت در جهان	بس نهانست و نهانست و نهان
زانکه این اسماء و الفاظ حمید	از گلابه آدمی آمد پدید
علم الاسماء بد آدم را امام	لیک نی اندر لباس عین و لام
چون نهاد آن آب و گل بر سر کلاه	گشت آن اسماء جانى روسیاه
که نقاب حرف دم در خود کشید	نا شود بر آب و گل معنی پدید

فعلى هذا كان القرآن بنقوشه والفاظه ظهوراً للحقّ الأوّل تعالى بأسمائه وصفاته فى كلامه وخطابه رافة بعباده، وعليهم ان يعظّموه ويطهّروا ظواهرهم عند قراءته من

الانجاس والابخاث ومما لا يرتضيه الانظار، وبواطنهم من الاحداث بالغسل والغسل او الوضوء او التيمم، ونفوسهم من الانانية ألتى هى ظهور الشيطان ومختفى فضلاته بالتواضع تحت كبرياء الرّحمن والخشوع تحت عظمته الظاهرة فى كلامه، وان يتحرّزوا لقراءته وسماعه، وترقّ نفوسهم عنده ويكوا ويزيدوا خشوعاً، وقوله تعالى: ﴿ لا يمسه الا المطهرون ﴾<sup>(١)</sup>، بالاخبار للاشعار بانّه لا ينبغى مسيس نقوشه وحرروفه الأبطهارة الظاهر من الابخاث والاحداث، ولا يمكن مسيس باطنه ومقصوده ولا الاتّصال بلطائفه وحقائقه ولا استفاضة علومه وبركاته الأبطهارة الباطن من الرذائل والارجاس والشكوك والرّيبة والوسواس، ومن العلوم العاديّة والمعاند العامية التقليديّة المأخوذة من الناس . وقوله: ﴿ إن الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾<sup>(٢)</sup> فى مقام المدح اشارة الى استحباب التواضع والبكاء والخشوع عند القراءة والاستماع للقرآن وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن». وقال الفيض قدّس سرّه فى تفسير الصّافى وفى مصباح الشريعة، عن الصادق عليه السلام: أنّه قال، عليه السلام قال النّبى ﷺ: « لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصّوت الحسن... »<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام أنّه قال: « والله لقد تجلّى الله لخلقه فى كلامه ولكن لا يبصرون ».

هذا ما اشير إليه فى الاخبار والآيات . لكن نقول لما كان الانسان بمنطوق قوله تعالى: ﴿ علم آدم الاسماء كلّها ﴾<sup>(٤)</sup> منطويّاً فيه جميع مراتب الموجودات بالقوة، وله بحسب كلّ مرتبة إذا صارت فيه بالفعل حال وحكم وتكليف؛ كان له بحسب تلك المراتب احوال مختلفة تختلف احكامها؛ وجملة المراتب منطوية فى الشيطانية والرّحمانية والحالة المتوسّطة بينهما؛ لأنّه ان كان مستخراً للشيطان بحيث لم يبق فيه تصرف الرّحمن كان مظهرّاً للشيطان، سواء كان الغالب عليه البهيمية بمراتبها او السبعية بمراتبها او الشيطنة بمراتبها او الحالة الحاصلة من تركيبها بمراتبها، وكان لسانه ويده وسمعه وبصره آلات

١. سورة الواقعة: الآية ٧٩.

٢. سورة الإسراء: الآية ١٠٧-١٠٩.

٤. سورة البقرة: الآية ٣١.

٣. انظر ص ٣٣٣ من الكتاب الحاخر.

للشيطان فكان لا يقرأ القرآن إلا بلسان الشيطان؛ وهو اللسان المضاف الى نفسه وانانيته، ولا يكتب ولا يسمع ولا يبصر إلا بيد وسمع وبصر كذلك؛ وفي حق امثاله ورد قوله تعالى: ﴿ يلوون السهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾<sup>(٢)</sup> يعني ان نقوش القرآن وإن كانت أمراً كلياً تصدق على كل مكتوب منها عند من لاخبرة له بمبادئ الافعال وكيفية صدق القرآن على مكتوب البنان، لكنّها لا تصدق في نفس الامر وعند من ينظر الى مبادئ الافعال الأ على مكتوب يد منسوبة ومسخرة للرّحمن، لا على كلّ نقش مشاكل لنقش القرآن صادر من كلّ بنان، سواء كانت مسخرة للشيطان او الرّحمن، وهكذا الحال في قراءة ألفاظ القرآن فأنه لا يكون كلّ ملوئى باللسان مشابه للقرآن مصداقاً له في نفس الامر إذا كان مقرّوا بلسان مضاف ومسخر للرّحمن، لا بلسان مضاف الى نفس القارئ ومسخر للشيطان، وصاحب هذه الحالة حكم قراءته أنّها لا تتجاوز حنجرته، بل تكون وبالأعلى، وهكذا حكم كتابته واستماعه آيات القرآن. وتكليفه التضرع الى الله والسؤال منه ان يبصره افات ما هو فيه، والاستغفار من الله والتوبة والانابة اليه، وأمثاله قال الانبياء عليهم السلام أول ما قالوا: ﴿ يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾<sup>(٣)</sup>. وان كان متوسطاً بين الرّحمانية والشيطانية كان له بحسب غلبة كلّ من الحالين حال وحكم وتكليف، وبحسب استواء الحالين فيه له حكم آخر، وصاحب هذه الحالة له عناء كثير وحزن طويل لا يسكن الى مقتضياته الحيوانية فيلتذّب بها ولا يلتذّب بمقتضياته العقلانية فيطمئنّ اليها؛ وفي حقّه نزل: ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾<sup>(٤)</sup>.

روزوشب در جنگ واندر كشمكش كرده چاليش اولش با آخرش  
وقد يغلب عليه الجهل والشيطانية فيلتحق في قراءته واستماعه بالصنف الاول، وقد تغلب عليه الرّحمانية فيلتحق بالصنف الآتي، وقد يبقى فيه اثر من الشيطان والرّحمن، فيكون مشركاً في قراءته كرجل فيه شركاء متشاكسون، وان كان مسخرّاً للرّحمن بحيث لم

١. سورة آل عمران: الآية ٧٨.

٢. سورة البقرة: الآية ٧٩.

٣. سورة هود: الآية ٥٢.

٤. سورة التوبة: الآية ١١١.

يبقى للأنانية وللشيطان في عباداته مداخلة، بل تكون عباداته بامر الله تعالى أو بفعله تعالى بحيث لا يكون الفاعل في وجوده إلا الله تعالى، كان لهذا الصنف من المسخر لله تعالى مراتب ودرجات؛ لأنّ منهم من هو محجوب عن الله وعن ملائكته وخلفائه ناظر الى امره الذي وصل اليه بتوسط خلفائه فاعل لفعله بامر الله تعالى لا بامر نفسه، فهو يرى الفعل من نفسه والفاعل نفسه، لكن يرى نفسه مسخرة لامر الله تعالى لا للأنانية وللشيطان، وكذلك اعضاؤه تكون مسخرة لامر الله وان كان يرى اضافتها الى نفسه، فهي من حيث الفعل مضافة الى امر الله لا الى نفسه، فلا يكون هذا القارئء ممن يلوى الكتاب بلسانه، بل بلسان امر الله، وهكذا حال الناظر والمستمع والكاتب للكتاب، لكن ليس شأنه في القراءة الأحكاية قول الله الصادر من لسان الرسول ﷺ، فهو في قرآته حاك عن الرسول ﷺ او عن جبرئيل او عن الله ان لم يكن له التفات الى وساطة الرسول ﷺ. ومنهم من يكون من اهل الشهود لكن لم يتجاوز شهوده عن مشاهدة خلفاء الله تعالى وملائكته، وهذا ان لم يبلغ شهوده الى مقام الحلول او بلغ لكن لم يبلغ حلول الحال الى نحو اتحاد مع المحل، كان مثل سابقه يرى الفعل من نفسه المسخرة للمشهود وحكمه مثل حكم سابقه، والفرق بينه وبين سابقه ان المشهود ان كان هو الرسول ﷺ او خليفته ﷺ او ملكاً من الملائكة كان القارئ حينئذ حاكياً لقول الرسول او قول الله وقارياً له على مشهوده، لحضوره عند مشهوده ولسانه من حيث القراءة لسان امر الله او امر مشهوده او كان المشهود امرأه بالقراءة، وان بلغ المشهود في الحلول الى نحو اتحاد مع الشاهد كان لسان القارئ حينئذ لسان المشهود وان كان ينسب الى نفسه ايضاً، لكن انتسابه الى نفسه عين انتسابه الى المشهود، وهكذا سمعه وبصره ويده، وهذا القارئ قد يرى القراءة من نفسه لبقاء نفسيته له وقد يراها من المشهود وقد يراها من مبدء هو نفسه ومشهوده، وهكذا الحال في نفس رؤيته القراءة. ورؤيته مشهوده وفي سماعه القراءة وفي حق هذا الاتحاد وواخر مراتب الحلول قيل بالفارسية:

در هم آمیخت رنگ جام و مدام  
یا مدام است و نیست گوئی جام

از صفای می و لطافت جام  
همه جام است و نیست گوئی می

وللاشارة الى مراتب الحلول قيل :

انا من اهوى ومن اهوى انا

وللاشارة الى مراتب الاتحاد قيل :

من كيم ليلي وليمي كيست من ما يكي روحيم اندر دو بدن

.... قد يترقى السالك من مقام التعينات ويشاهد فعل الحق اى مقام المشبة مطلقاً من جملة التعينات خارجاً عن وجوده او حالاً فى ملكه او متحداً معه، فيظن ان الفعل هو الله فيجربى عليه كل الاحوال التى ذكرت حين مشاهدة الرسول او الملك، فيظن القارىء انه يقرأ على الله او يسمع من الله وان القارىء هو الله، وقد يترقى عن رؤية نفسه فى الهين فلا يرى الا المشهود سواء كان المشهود هو الرسول ﷺ او الحق المضاف، وحينئذ يكون القارىء والسامع والنظر والكاتب هو المشهود، وهذا هو مقام الوحدة المشهودة لبعض السالك التى لا يجوز التفوه بها بعد الافاقة وظهور الكثرات، وهذه هى الوحدة الممنوعة والى هذا المقام اشار الشيخ رحمة الله عليه بقوله:

حلول واتحاد اينجا محال است كه در وحدت دونى عين ضلال است  
وقيل فى حقه .

أنجاكه توئى چو من نباشد كس محرم اين سخن نباشد

فينبغى للقارىء المسخر للشيطان ان يجهد نفسه فى الخروج من تسخير الشيطان حتى لا يصير بتعبير قوله تعالى: ﴿ يلوون الستهم بالكتاب ﴾<sup>(١)</sup> الآية مردوداً من باب الرحمن، ولذلك امر الله العباد بالاستعاذة من الشيطان حين قراءة القرآن حتى لا يصير لسانهم لسان الشيطان، وللقارىء الحاكي ان يتعب نفسه حتى يخرج من غيبته ويشاهد المحكى منه، وللمشاهد ان يعانى فى الخروج من محض المشاهدة حتى يدخل المشهود فى وجوده ويصير حالاً فيه، ولمن دخل فيه المشهود ان يبلغ فى الخروج من الحلول الى الاتحاد، وللمتحد ان يلتذ حتى يبقى المشهود وحده ولا يبقى غيره، وهذا آخر مراتب السلوك الى الله وهذا احد وجوه ما ورد فى اخبار كثيرة، انه يقال للقارىء القرآن يوم

القيامه: اقرأ وارق؛ لأنه ينبغي ان تكون القيامه بانموذجها حاضرة للسالك، ونسب الى الصادق عليه السلام انه لحقه الغشى في الصلاة فسئل عنه عليه السلام فقال: «ما زلت اردد الاية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته»، وللتنبيه على انه ينبغي ان يجاهد القارئ حتى يصير لسانه لسان الله ورد، الامر بالتلبية حين قراءة: ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ اجابة لندائه تعالى بتصوّر استماعه من الله، وأمر الله بالاستعاذة حين القراءة، وورد: كذلك الله ربّي؛ حين قراءة سورة التوحيد<sup>(١)</sup>.

قال مغنيّة: «الاستعاذة قبل قراءة القرآن مستحبة، وليست بواجبة، والأمر بها تماماً كالأمر بغسل اليد والتسمية قبل الطعام، ولو كانت واجبة لوجبت في الصلاة، لمكان الفاتحة والسورة، مع ان الاجماع قائم على عدم الوجوب، قال صاحب مفتاح الكرامة: «لم يخالف في ذلك إلا ابن الجنيد، وقد رموه -أي الفقهاء- بالشذوذ والغرابة»<sup>(٢)</sup>.

قال النهاوندي (ره) في آداب تلاوة الكتاب الكريم:

«آداب تلاوة الكتاب العزيز كثيرة.

أخذها -ان يكون التالي متطهراً خال التلاوة، عن ابن فهد رحمة الله قال: قال عليه السلام: «لقارئ القرآن لكل حرف يقرأه في الصلاة قائما مائة حسنة وقاعدأ خمسون، ومتطهراً في غير الصلاة خمس وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنات» الخبر، ولعل السر أن المتطهر اقرب الى الاستفاضة بانوار القرآن من المحدث كما أن طاهر القلب اقرب لفيوضاته.

ثانيها - ان لا يكون عرباناً لما روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه نهى عن قراءة القرآن عرباناً.

ثالثها - الاستعاذة قبلها.

عن تفسير العياشي عن الحلبي عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتحها، قال: «نعم فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

اقول: مقتضى اطلاق قوله تعالى: ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان

٢. الكاشف ج ١ ص ٢٠.

١. بيان السعادة ج ١ ص ٨-١١.

الرَّجِيمِ ﴿١﴾ استحبابه قبل تلاوة آية او بعض آية.

رابعها - التسمية قبل التلاوة، عن الصادق عليه السلام: « اغلقوا ابواب المعصية بالاستعاذة وافتحوا ابواب الطاعة بالتسمية ».

خامسها - التلاوة فى المصحف وان كان التالى حافظا.

عن ابى عبد الله عليه السلام: « من قرأ القرآن فى المصحف متع ببصره وخفف على والديه وان كانا كافرين »

وعن اسحق بن عمار عنه عليه السلام قال: جعلت فداك اني اخفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي افضل او انظر فى المصحف قال: فقال عليه السلام لى: « بل اقرأه وانظر فى المصحف فهو افضل اما علمت ان النظر فى المصحف عبادة؟ ».

وعن ابى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «النظر الى علي بن ابي طالب عليه السلام عبادة، والنظر الى الوالدين برأفة ورحمة والنظر فى الصحيفة يعنى صحيفة القرآن عبادة، والنظر الى الكعبة عبادة».

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء اشد على الشيطان من القراءة فى المصحف نظراً».

وعن ابى عبد الله عليه السلام قال: «قراءة القرآن فى المصحف تخفف العذاب عن الوالدين وان كانا كافرين» ولعل السر فى كون النظر اليه عبادة ان النظر الى كتابته يؤثر نورانية فى القلب، بل النظر الى جميع المقدسات الالهية والى وجه العالم والمؤمن له هذا الاثر، كما ان النظر الى وجه الكفار والعضاة وما هو مبغوض عند الله كالخمر والميسر والاصنام بل والزخارف الدنيوية يؤثر ظلمة فى القلب، وكدورة فى النفس، كانه يقتبس الروح من هذه الخبائث خبائة وشقاوة كما يقتبس من الطيبات والمقدسات طيبا وقداسة وسعادة، مع ان فى النظر الى المصحف زيادة توجه القلب اليه وصرف النفس عن شغلها بغيره.

سادسها - ترنيل القرآن وتلاوته بمكث وبطء بلا عجلة وسرعة.

عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ <sup>(٢)</sup> قال: « قال امير المؤمنين صلوات عليه: بينه تبيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الزمل، ولكن اقرعوا به قلوبكم

٢. سورة المزمل: الآية ٤.

١. سورة النمل: الآية ٩٨.



القاسية ولا يكن هم احدكم آخر السورة» .

وعن ابن عباس في تفسير الآية : بينه تبياناً وقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعاً وخمسا .

وقيل : الترتيل هو أن يقرأه على نظمه وتواليه ولا يغير لفظاً ولا يقدم مؤخرأ .

سابعها - تحسين الصوت به عن الصادق عليه السلام في تفسير الترتيل قال : « هو ان تتمكث فيه

وتحسن به صوتك » .

وعنه عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « نكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » .

وعن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت

الحسن يزيد القرآن حسناً » .

عن الصادق عليه السلام قال : « كان علي بن الحسين عليهما السلام احسن الناس صوتاً بالقران وكان

السقاةون يمزون فيقفون بناه يستمعون قراءته » .

وعن ابي الحسن عليه السلام قال ذكر الصوت عنده « فقال : « ان علي بن الحسين كان يقرأ

فربما مر به المار فصعق من حسن صوته » .

ثم لا يذهب عليك ان حسن الصوت مغاير للغناء الذي هو من الاصوات الملهية

المطربة المعهودة عند العرف ويرجع في تمييزها اليهم، وهو من الكبائر خصوصاً في

القران عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « اقرأوا القران بالحن العرب واصواتها، وإياكم ولحون اهل

الفسق واهل الكبائر، فانه سيجيء من بعدى اقوام يرجعون القران ترجيع الغناء والنوح

والزهبانية لا يجوز تراقبهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم » .

ثامتها - القراءة بالحزن عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « ان القران نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن » .

تاسعها - التلاوة كأن التالي يخاطب انساناً، عن الحنفص<sup>(١)</sup> : ما رأيت احداً أشد خوفاً

على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام الى ان قال : فاذا قرأ فكأنه يخاطب انساناً .

عاشرها - التفكير في معاني القران والاعتبار والانعاط بما يقتضى الاعتبار والانعاط

والتأثر، عن الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « ان هذا القران فيه منار الهدى ومصابيح

الذجن، فليجل جلال بصره ويفتح للضياء نظره فان التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي

المستير في الظلمات بالنور، وعن ابي جعفر عليه السلام قال: قال امير المؤمنين صلوات الله عليه: «الا اخبركم عن الفقيه حقاً» الى ان قال: «الأخير في علم ليس فيه تفهيم ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبر الا لاخير في عبادة ليس فيها تفقه».

خاديعشرها - ختم سورة شرع فيها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال رضى الله عنه: «اذا قرأت السورة فانفذاها».

ثاني عشرها - عدم خلط بعض سورة ببعض سورة اخرى، عن سعيد بن مسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال: «يا بلال مَررت بك وانت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة» قال خلطت الطيب بالطيب، فقال: «اقرأ السورة على وجهها» او قال: على نحوها.

ثالث عشرها - ان يقرأ السورة من اولها مستقيماً الى آخرها لأمن آخرها منكوساً الى اولها، عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً، قال: ذاك منكوس القلب.

رابع عشرها - حفظ الآداب العرفية كتوقفي الضحك والعبث ومكالمة الناس والنظر الى ما يلهيه، قال بعض العلماء: يكره قطع القراءة لمكالمة أحد لأن كلام الله لا ينبغي ان يؤثر عليه كلام غيره.

خامس عشرها - ترك الافراط في مقدار القراءة على ما يظهر من جملة الاخيار، عن الكليني رحمه الله بسنده عن محمد بن عبدالله، قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: اقرأ القرآن في ليلة قال: «لا يعجبني ان تقرأه في اقل من شهر» وعن الحسين بن خالد. عنه عليه السلام قال: قلت له: في كم اقرأ القرآن فقال: «اقرأه اخماساً اقرأه اسباعاً اما ان عندي مٌصحفاً مجزاً اربعة عشر اجزاء<sup>(١)</sup>».

عن علي بن ابي حمزة قال: سأل ابو بصير ابا عبدالله عليه السلام وانا حاضر، فقال له: جعلت فداك اقرأ القرآن في ليلة، فقال: «لا» فقال: ففى ليلتين، فقال: «لا» حتى بلغ ست ليال فاشار بيده، فقال: «ها» ثم قال: «يا ابا محمد ان من كان قبلكم من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن في شهر واقل، ان القرآن لا يقرأ هذمة ولكن يرتل ترتيلاً، اذا

مَزرت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذ بالله من النار، فقال له ابو بصير: أقرأ بالقرآن في رمضان في ليلة فقال: «لا» فقال: ففى ليلتين فقال: «لا» فقال: ففى ثلاث، قال: «ها»، وأوماً بيده. نعم شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور له حقٌّ وحُرمة أكثر من الصَّلَاة ما استطعت.

سادس عشرها - استشعار الرِّقَّة واللِّين والوجل والدِّمعة دون اظهار الغشبية، عن مصباح الشرعية عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق عليه ولم يشيء حُزناً ووجلاً في سَرِّه فقد استهان بعظم شأن الله وقد خسر خسراً مميئاً» فقال: «القرآن يحتاج الى ثلاثة أشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال».

عن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال: قلت: انَّ قومًا اذا اذكروا شيئًا من القرآن او حدَّثوا به صعق احدُهُم حتَّى ترى ان أخذهُم لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك فقال عليه السلام: «سُبْحان الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا انما هو اللين والرقة والوجل».

الطُّرفة الثانية والثُّلثون - يستحب سؤال الجنة بعد تلاوة آية فيها ذكر الجنة والتعوذ من النار عند تلاوة آية فيها ذكرها، والتسبيح عند آية فيها الامر به والسؤال عند آية فيها الامر به والدعاء بعد آية فيها ذكر الدعاء وذكر قول كان في الآية الامر به.

عن عرف بن مالك قال: قمت مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة وكان لا يمر بآية رحمة الأوقف سأل ولا يمر بآية عذاب الأوقف وتعوذ.

وعن حذيفة قال: صلَّيت مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ثم النساء فقرأها ثم آل عمران فقرأها فقرأ مترسلاً وكان اذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح واذا مرَّ بآية فيها سؤال سأل واذا مرَّ بآية فيها تعوذ تعوذ.

وعن جابر: ان النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ <sup>(١)</sup> الاية فقال: «اللَّهُمَّ امرت بالدعاء وتكفمت بالاجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والتعظيم لك والملك لا شريك لك أشهد أنك فردٌ أخذ صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن له كفواً أحدٌ وأشهد أن وعدك حقٌ ولقائك حقٌ والجنة حقٌ والنار حقٌ والساعة آتية

لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

وعن ابن عباس رضى الله عنه: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾** <sup>(١)</sup> قال: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» وعن امير المؤمنين **عليه السلام**: «إِذَا قَرَأْتُمْ مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ الْآخِرَةِ فَقُولُوا: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» الخبر.

وعن رجاء بن ضحاک <sup>(٢)</sup> قال: كَانَ الرَّضَا **عليه السلام** فِي طَرِيقِ خُرَاسَانَ يَكْثُرُ بِاللَّيْلِ فِي فِرَاشِهِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ بَكَى وَسَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنَ النَّارِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ <sup>(٣)</sup> قَالَ سِرًّا: «اللَّهُ أَحَدٌ»، قَالَ: وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ: «كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي ثَلَاثًا». وَكَانَ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ الْجَمْعِ قَالَ فِي نَفْسِهِ سِرًّا: «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فَإِذَا فَرَّغَ مِنْهَا قَالَ: «رَبِّي اللَّهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ» ثَلَاثًا وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> قَالَ عِنْدَ الْفِرَاقِ مِنْهَا: «بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿لَا إِقْسَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ <sup>(٥)</sup> قَالَ عِنْدَ الْفِرَاقِ، مِنْهَا: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَلَى» وَكَانَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنْ التَّجَارَةِ - لِلَّذِينَ اتَّقَوْا - وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ <sup>(٦)</sup> وَكَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنَ الْفَاتِحَةِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وَإِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ <sup>(٧)</sup> قَالَ سِرًّا: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» وَإِذَا قَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قَالَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ» سِرًّا.

اقول: لا يبعد أنه وقع في الرواية سهو من الراوى فإن قوله «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ انسب من ذكره بعد اللهو والتجارة. وعن امير المؤمنين **عليه السلام** أنه قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» وهو في الصلاة، فقليل له: اتزيد في القرآن، قال: «لا، أمرنا بشيء فعلته...».

أقول: يستفاد من هذه الرواية أن كل أمر في القرآن بقول؛ من اقرار بايمان او تسبيح او تحميد او توكل او تسليم او ذكر او دعاء كقوله تعالى: ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ <sup>(٨)</sup> او قوله: ﴿اذكُرْ اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٩)</sup>.

٢. الصحيح: الضحاک.

٤. سورة التين: الآية ١.

٦. سورة الجمعة: الآية ١١.

٨. سورة الفحل: الآية ٥٩.

١. سورة الاعلى: الآية ١.

٣. سورة الاخلاص: الآية ١.

٥. سورة القيامة: الآية ١.

٧. سورة الاعلى: الآية ١.

٩. سورة ابراهيم: الآية ١١.

وقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> وغير ذلك يستحب امتثاله عند تلاوة آيته، بان يقول القارىء: **أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَنْحَصِرُ مَوْرِدُ اسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ بِسُورَةِ الْأَعْلَى بَلْ يَسْتَحَبُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ فَتَسْبِحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَتُحْنُ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> بَلْ يَسْتَحَبُّ عِنْدَ ذِكْرِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ﴾ <sup>(٣)</sup> وَقَوْلِهِ: ﴿ تَسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْدُسُ لَكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> لِلزَّوَايَةِ المَرْوِيَةِ عَنِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَكَذَا يَسْتَحَبُّ <sup>(٥)</sup> الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عليه السلام عِنْدَ تَلَاوَةِ آيَةٍ فِيهَا الْأَمْرُ بِهَا لِلزَّوَايَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَلَمَّا رَوَى عَنْهُ عليه السلام فِي رِوَايَةٍ وَإِذَا قَرَأْتُمْ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ <sup>(٦)</sup> فَصَلُّوا عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ كُنْتُمْ أَوْ فِي غَيْرِهَا، وَكَذَا يَسْتَفَادُ مِنَ الزَّوَايَاتِ أَنْ كُلَّ سَوْأَلٍ يَنْسَبُ جَوَابُهُ مِنَ التَّالِيِ أَنْ يَجِيبَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ <sup>(٧)</sup>، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ <sup>(٨)</sup> بِأَنْ يَقُولَ: لَا نَكْفُرُ بَلْ نُؤْمِنُ بِالسُّنَنِ وَقُلُوبِنَا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْإِيمَانِ وَاعْتِقَادِ <sup>(٩)</sup> الْحَقِّ.**

عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّخَابَةِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجَنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُوداً مِنْكُمْ، كُنْتُ كَلِمَا أَنْتَبْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ <sup>(١٠)</sup> قَالُوا: وَلَا بَشَىءَ مِنْ نِعْمَتِكَ زَيْنًا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ.

وَعَنْ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي رِوَايَةٍ: «وَإِذَا قَرَأْتُمْ وَالتَّيْنِ، فَقُولُوا فِي آخِرِهَا: «وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

وَعَنِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ قَرَأَ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ <sup>(١١)</sup> فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ

- |                            |                                    |
|----------------------------|------------------------------------|
| ١. سورة البقرة: الآية ١٣٦. | ٢. سورة الحجر: الآية ٩٨.           |
| ٣. سورة الإسراء: الآية ١.  | ٤. سورة البقرة: الآية ٣٠.          |
| ٥. الصحيح تستحب.           | ٦. سورة الاحزاب: الآية ٥٦.         |
| ٧. سورة فصلت: الآية ٩.     | ٨. سورة آل عمران: الآية ١٠١.       |
| ٩. الصحيح: الاعتقاد.       | ١٠. سورة الزمزم: الآية ١٣ و١٦ و... |
| ١١. سورة التين: الآية ٨.   |                                    |

القيمة ﴿<sup>(١)</sup>﴾ فأنتهى الى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّرَ الْمُؤْتَمِرِينَ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ فليقل: بلى. ومن قرأ والمرسلات فبلغ بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ فليقل: آمنا بالله، وكذا يستحب قول آمين بعد آية فيها الدعاء للمؤمنين.

عن ابى ميسرة أن جبرئيل لقن النبي ﷺ عند خاتمة البقرة آمين.

وعن معاذ بن جبل أنه كان اذا ختم سورة البقرة قال: آمين.

وعن ابن عباس رضى الله عنه، قال كان: رسول الله ﷺ اذا تلا هذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ وقف، ثم قال: «اللهم ايت نفسى تقويها وزكها انت خير من زكيتها انت وليها ومولها» قال هو فى الصلاة.

اقول: ان هذه الروايات اما عامية او امامية ضعيفة لا يمكن ان يعتمد عليها فى اثبات حكم شرعى حتى يجوز قصد التعبد والورود بما تضمنتها خصوصا فى الصلاة اذا لم يكن من ذكر الله او من الدعاء، كقول يسا ايها الكافرون بعد قوله: ﴿قل يا ايها الكافرون﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾، نعم يمكن الحكم بالاستحباب بضميمة الروايات الدالة على ان من بلغه شىء من الثواب فعمله رجاء ذلك الثواب الخ، بناء على افادتها الاستحباب الشرعى كما هو الظاهر، فعليه لا اشكال فى ذكرها فى الصلاة بقصد التعبد والورود ولو لم يكن من الذكر والدعاء ﴿<sup>(٦)</sup>﴾.

قال النهاوندى (ره) فى كراهة ختم القرآن اقل من ثلاثة ايام لمنالته للتدبر والتفكر فى آياته:

«قد مر فى آداب التلاوة كراهة الافراط فى سرعة التلاوة، وقال جمع بكراهة ختم القرآن العظيم فى اقل من ثلاثة ايام.»

عن ابن مسعود قال: لا تقرأوا القرآن فى اقل من ثلاثة ايام.

وعن معاذ بن جبل أنه كان يكره ان يقرأ القرآن فى اقل من ثلاثة ايام.

وعن النبي ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن فى اقل من ثلاثة ايام.»

- |                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| ٢. سورة التهمة: الآية ٤٠.    | ١. سورة القيمة: الآية ١.    |
| ٤. سورة الشمس: الآية ٧-٨.    | ٣. سورة الاعراف: الآية ١٨٥. |
| ٦. فتحات الرحمن ج ١ ص ٣٦-٣٨. | ٥. سورة الكافرون: الآية ١.  |

اقول: مقتضى هذه الروايات عدم الكراهة في ثلاثة أيام فما فوقها.  
وعن سعيد بن المنذر، قال: قلت لرسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في ثلاث قال: «نعم ان استطعت».

وعن ابراهيم بن العباس قال كان الرضا عليه السلام يختم القرآن في كل ثلاث، ويقول:  
«لو اردت ان اختمه في اقل من ثلاث لختمته ولكن ما مَررت بآية قط إلا فكرت فيها، وفي  
أى شيء نزلت وفي أى وقت نزلت فلذلك صرت اختم في ثلاثة أيام».

ثم اعلم! ان الظاهر من الرواية ان تطويل المدة لرعاية التدبر والتفكير في الايات حيث  
ان تلاوتها من غير تدبر وتفكير فيها قليلة النفع، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ  
لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>، فانه تعالى جعل التدبر غاية للانزال، وقال تعالى توبيخاً:  
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup> الى غير ذلك من الآيات.

عن ابن مسعود رضى الله عنه: ان رجلاً قال له: انى أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال:  
هذا كهذه الشعر ان قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن اذا وقع في القلب فرسخ  
فيه نفع، وعنه رضى الله عنه قال: لا تشروه نثر الذقل ولا تهدؤوه هذه الشعر، قفوا عند  
عجائبه حرزكوا به القلوب ولا يكون هم احدكم آخر السورة.

وقدم ما يقرب من ذلك، ولذا روى عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «لا يعجبني ان يُقرأ القرآن  
في أقل من شهر» فبين من جميع ذلك ان مقدار افضلية تلاوة القرآن على مقدار تدبر  
القارىء، فان تلاوة جزء بتدبر وتفكير فيه افضل من قراءة جزءين او اكثر في قدر ذلك  
الزمان بلا تدبر وتفكير وترتيل، وحينئذ لفرضا قدرة القارىء على ختم القرآن في ليلة  
واحدة مع حق التدبر فيه كانت فضيلته ازيد من ختمه في ليلتين، فالأخبار الناهية عن  
ختمه في ليلة او ليلتين ناظرة الى حال نوع المؤمنين فانهم عاجزون عن اداء حق تلاوته في  
أقل من ثلاث، وعليهذا تختلف المدة باختلاف قدرة التالي على الختم مع التدبر ولذا  
اختلفت الاخبار في تقدير المدة على حسب اختلاف الاشخاص.

عن عبدالله بن عمر قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر» قلت: انى اجد قوة

٢. سورة محمد: الآية ٢٤.

١. سورة ص: الآية ٢٩.

قال: «اقرأه في عشر» قلت: أتى اجد قوة قال: «اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك». وفي رواية اخرى: قال: يا رسول الله في كم اقرأ القرآن؟ قال: «في خمسة عشر» قلت: أتى اقوى من ذلك، قال: «اقرأه في جمعة».

قيل: كان للسلف في قدر القراءة عادات مختلفة، فاكثر ما ورد في كثرة قراءتهم من كان يختم في اليوم والليلة ثمان ختمات؛ اربعاً في الليل واربعا في النهار ويليهِ من كان يختم في اليوم والليلة اربعاً ويليهِ ثلاث ويليهِ ختمتين ويليهِ ختمه، وقد ذمّت غايشة ذلك، نقل عن مسلم بن مخراق قال: قلت لعائشة: ان رجلاً لا يقرأ احدهم القرآن في ليلة مرتين او ثلاثاً، فقالت: قرأوا او لم يقرأوا كنت اقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يميز باية فيها استبشار الأدعا ورغب ولا باية فيها تخويف الأدعا واستعاذ.

وقال بعض العامة: أنه يكره تأخير ختمه اكثر من اربعين يوماً بلا عذر، حيث روى أن عبدالله بن عمر سأل النبي ﷺ في كم تختتم القرآن؟ قال: «في اربعين يوماً»<sup>(١)</sup>.

قال النهاوندي (ره) في ان لمن ختم القرآن دهوة مستجابة:

«قد ظهر مما سبق من بعض الروايات ان لمن ختم القرآن دعوة مستجابة، كما روى عن النبي ﷺ من طرق العامة: «من ختم القرآن فله دعوة مستجابة فعلى المؤمن ان يبالي في الدعاء بعد الختم»<sup>(٢)</sup> وان يسأل هم<sup>(٣)</sup> الحوائج وهو غفران الذنوب والنجاة من النار». عن انس بن مالك: من قرأ القرآن وحمد الرب وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير.

وقد ورد من طرق اصحابنا رضوان الله عليهم ادعية كثيرة:

منها- ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام قال: «قال حبيبي رسول الله ﷺ امرني ان ادعو عند ختم القرآن؛ اللهم اني اسألك اخبارات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقايق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم، ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة والنجاة من النار».

٢. الصحيح: ختمه.

١. نفعات الرحمن ج ١ ص ٣٨-٣٩.

٢. الصحيح: يسأل اهم الحوائج.



روى عن عاصم عن زر بن حبيش قال: «قرأت القرآن من أوله الى اخره فى مسجد جامع الكوفة على امير المؤمنين عليه السلام الى ان قال: فلما بلغت رأس العشرين من خممستق: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ بكى امير المؤمنين عليه السلام حتى ارتفع نحبيه ثم رفع رأسه الى السماء وقال: «يا زر آمن على دعائى» ثم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اخْتِباتِ الْمُخْبِتِينَ» الى اخر الدعاء، ثم قال: «يا زر اذا ختمت فادع بهذه فان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى ان ادعو بهن عند ختم القرآن».

اقول: يستفاد من قوله: «يا زر آمن على دعائى» استحباب حضور المؤمنين عند الدغاء وتأمينهم له، خصوصاً عند ختم القرآن ويؤيده ما روى عن انس: انه كان اذا ختم القرآن جمع اهله ودعا.

وعن الحكم بن عيينة قال: ارسل الى مجاهد وعنده ابن ابى امامة وقالوا: انا ارسلنا اليك لاننا اردنا ان نختم القرآن والدغاء يستجاب عند ختم القرآن.

وعن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقولون<sup>(١)</sup>: عنده تنزل الرحمة. ومن الادعية الماثورة ما روى عن الصادق عليه السلام: «اللَّهُمَّ انى قد قرأت ما قضيت من كتابك الذى انزلت على نبيك الصادق صلى الله عليه وسلم فَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا، اللَّهُمَّ اجعلنى ممن يحل حلاله ويحرم حرامه ويؤمن بمحكمه ومتشابهه، واجعله لى انسا فى قبرى وانسا فى حشرى واجعلنى ممن ترقيه بكل اية قرأتها درجة فى اعلا عليين آمين رَبِّ الْعَالَمِينَ».

والظاهر ان هذا الدغاء ليس مختصاً بختم القرآن، بل يستحب عند الفراغ من القراءة ولو كانت قراءة بعضه من سورة او آيات.

وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه انه كان اذا ختم القرآن، قال: «اللَّهُمَّ اشرح بالقرآن صدري واستعمل بالقرآن بدنى وتور بالقرآن بصري وأطلق بالقرآن لساني وأعنى عليه ما ابقيتنى فائتة لا حول ولا قوة الا بك».

ثم لا يذهب عليك انه كما ندب الى الدغاء بعد ختمه ندب اليه حين الشروع فى

١. الصحيح: يقولون.

تلاوته .

روى عن الصادق عليه السلام أنه كان إذا قرأ القرآن قال قبل أن يقرأ حين يأخذ المصحف :  
 « اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا كِتَابُكَ الْمُنزَّلُ مِنْ عِنْدِكَ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَكَلامِكَ  
 النَّاطِقُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ، جعلته هادياً منك إلى خلقك وحبلاً متصلاً فيما بينك وبين  
 عبادك، اللَّهُمَّ إِنِّي نَشَرْتُ عَهْدَكَ وَكِتَابَكَ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ نَظْرِي فِيهِ عِبَادَةً وَقِرَاءَةً لِي فِيهِ فِكْرًا،  
 وَفِكْرِي فِيهِ اعْتِبَارًا وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ اتَّعَظَ بِبَيَانِهِ، وَرَاعَى عَظْمَ فِيهِ وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيكَ، وَلَا تَطْبِعْ  
 عِنْدَ قِرَاءَتِي عَلَى سَمْعِي وَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ بَصْرِي غِشَاوَةً وَلَا تَجْعَلْ قِرَاءَتِي قِرَاءَةً لَا تُدَبِّرُ  
 فِيهَا، بَلْ اجْعَلْنِي أَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ آخِذًا بِشَرَائِعِ دِينِكَ وَلَا تَجْعَلْ نَظْرِي فِيهِ غَفْلَةً  
 وَلَا قِرَاءَتِي هَذَا أَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ » (١) .

قال البازوري : « ولا سبيل إلى فهم القرآن إلا بالتدبر ، والتذكر ، وحضور القلب  
 عند تلاوته ، قال تعالى : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ  
 شَهِيدٌ ﴾ (٢) .. أي حاضر القلب .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « القرآن حبل الله المتين ، لا ينقضه عجائبه ، ولا تخلفه كثرة الرد » ، قال  
 به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به إيمان ، ومن احتسب به هدي .

وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قال : من أراد العلم فليشرب القرآن ، فإن فيه علم الأولين  
 والآخرين . وقال أبو عبدالله الصادق : « ما من أمر يختلف فيه الثنائ إلا وله أصل في كتاب الله .  
 ولكن لا تبلغه عقول الرجال ، إن الله يقوِّن : « فيه تبيان ذلك شيء » . (٣) .

وقال سهيل بن عبدالله : لو أعطي العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ بهاية ،  
 جعل الله تعالى في آية من كتاب الله ، لأنه كلام الله تعالى ، وكلام الله صفة ، ولما أتته ليس لله  
 نهاية ، وكذلك لا نهاية لفهم كلامه . وكلام الله غير مخلوق ، فلا تبلغ إلى نهاية التسميع فيه  
 أفهام الخلق ، لأنها محدثة مخلوقة ... ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أُن مَاتِي الْأَرْضِ مِنْ

١. فضعات الرحمن ج ١ ص ٣٩ . ٢. سورة ق : الآية ٣٧ .

٣. إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال ، فقيل له : وأين هذا في كتاب الله ؟ قال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ لا خير في كثير من مجواهم إلا من أمر بهدقة ، أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ . وقال : ﴿ ولا تزوتا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ .. وقال : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم ﴾ .

شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .. فإذا كان وصف كلامه لا يدرك، فكيف تدرك حقيقة وصفه وهويته وكنهه؟ إذاً لا بد لنا من الإيمان بالغيب.. قال تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ <sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقال أبو سعيد الخزاز: أول إلقاء السمع للقرآن، هو أن تسمعه كأن النبي يقرأه عليك، ثم ترقى عن ذلك، فكانت تسمعه من جبريل عليه السلام، وقرأته على النبي، لقول الله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك﴾ <sup>(٤)</sup>.. ثم ترقى عن ذلك فكانت تسمعه من الحق، وذلك قول الله عز وجل: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ <sup>(٥)</sup>، <sup>(٦)</sup>، <sup>(٧)</sup>.

قال البازوري: «عن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك، إني أحفظ القرآن عن ظهر قلب، فأقرأه غيباً أفضل، أو أنظر في المصحف؟ قال: «بل أقرأه وأنظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة؟».

سئل علي عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ <sup>(٨)</sup> فقال: «الترتيل حفظ الوقوف، وبيان الحروف، أي بينه تبياناً، ولا تهذه هذ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل.. ولكن أفرعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة...» -الهدأ: سرعة القراءة وكذلك الهدرمة، والنثر: التفرقة، أي لا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل...»

سأل أبو بصير أبا عبد الله، قال: جعلت فداك، أقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: «لا»، قال: في ليلتين؟ فقال: «لا»، حتى بلغ ست ليال، قال أبو عبد الله: «يا أبا محمد، إن من كان قبلك من أصحاب محمد ﷺ كان يقرأ القرآن في شهر، إن القرآن لا يقرأ هذرمة، ولكن يرتل ترتيلاً. إذا مررت بأية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله الجنة، وإذا مررت بأية فيها ذكر

٢. سورة البقرة: الآية ٣.

١. سورة لقمان: الآية ٢٧.

٤. سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٤.

٣. سورة الزمر: الآية ١٨.

٦. كتاب اللمع، لابن نصر السراج الطوسي، ص ١٠٧.

٥. سورة الجماتية: الآية ٢ وسورة الاحقاف: الآية ٢.

٨. سورة المدثر: الآية ٤.

٧. الغيب والشهادة ج ١ ص ٢٢-٢٣.

النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار». فقال أبو بصير: وفي رمضان كيف أقرأ القرآن؟ قال: «اقرأ في ثلاث ليال وما فوق، إن شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور، له حق وحرمة، وأكثر من الصلاة ما استطعت».

عن أبي جعفر، قال: «لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان».

وقال رسول الله ﷺ: «إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن».

وعن أبي عبد الله قال: «لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً»<sup>(١)</sup>.

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتح قراءة القرآن ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى القصص، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بالزمر إلى الرحمان، ويختتم ليلة الخميس، وكذلك كان زيد بن ثابت وأبي يختمان القرآن في كل سبع.

عن عليّ عليه السلام: «لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها».. وعن ابن عباس: لئن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هزيمة.

قال عز وجل: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾<sup>(٢)</sup>، قيل: القرآن، قوَى إيمانهم بعلم القرآن، فالقرآن روح الإيمان، وفي التفسير: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾<sup>(٣)</sup> قيل: بجهد واجتهاد، ومثله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾<sup>(٤)</sup> قيل: بعمل به.

وكان بعض السلف إذا قرأ السورة ولم يكن قلبه فيها أعادها ثانية، فإذا مرّ بتسييح وتكبير سيح وكبر، وإن مرّ بدعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مرّ بمتخوف ومرجؤ استعاذ وسأل، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿يتلونه حق تلاوته﴾<sup>(٥)</sup>.

وكذلك كان رسول الله في تلاوته، فقد كان يقرأ بقلب شهيد، وسمع عتيد، وبصر حديد، فكان يتلو القرآن على معاني الكلام، والوعيد منه بالتحزين، والوعد بالتشويق، والوعظ

١. كتاب «الأصول من الكافي»، للكاتب الرازي ج ٢ ص ٦٠٤، ٦٣٢.

٢. سورة المجادلة: الآية ٢٢.

٣. سورة مريم: الآية ١٣.

٤. سورة البقرة: الآية ١٢٦.

٥. سورة البقرة: الآية ٦٣ و ٩٣.

بالتخويف، والانذار بالتشديد، والتفسير بالترقيق، والتبشير بالتوفيق، كما جاء في الخبر: «أحسن الناس صوتًا بالقرآن من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله».

قال جعفر بن محمد الصادق: «والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه، ولكن لا يبصرون».

لقد اشترط الله عز وجل للانابة التبصرة، وحضور القلب للتذكرة، فقال عز من قائل: ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿وما يستذكر إلا من ينيب﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾<sup>(٣)</sup>.

عن علي عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب». وعن أبي سليمان الداراني: «إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال، ولولا أنني أقطع الفكر فيها لما جاوزتها إلى غيرها».

وحدّث بعض العارفين قال: في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة، منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد.. يعني ختمة التفهم والمشاهدة. قال عز وجل: ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾<sup>(٤)</sup> أي تركتها فلم تعبأ بها، ولم تنظر إليها، وهكذا اليوم تترك فلا ينظر إليك برحمة ولا بلطف ولا يقرب»<sup>(٥)</sup>.

#### قال المدرس في آداب التلاوة:

«يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، قال تعالى في الثناء على التالين: ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾<sup>(٦)</sup>. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار... وروى الترمذي من حديث ابن مسعود: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها. وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.. إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة».

١. سورة ق: الآية ٨.
٢. سورة غافر: الآية ١٣.
٣. سورة الزمر: الآية ٩.
٤. سورة طه: الآية ١٢٦.
٥. الغيب والشهادة ج ١ ص ٢٤-٢٦.
٦. سورة آل عمران: الآية ١١٣.

وأما مقدار التلاوة: فقد كان للسلف فيه عادات. أخرج ابن أبي داود عن مسلم بن عمران قال: قلت لعائشة: إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً. فقالت: قرأوا أو لم يقرأوا كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء. فلا يَمُرُّ بآية فيها استبشار إلا دَعَا ورغب. ولا بآية فيها تخويف إلا دَعَا واستعاذ.

وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر وليس له غيره. قال: قلت: يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «نعم إن استطعت». ويليه من ختم في أربع. ثم في خمس، ثم في ست، ثم في سبع. وهذا أوسط الأمور وأحسنها. وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر». قلت: إنني أجد قُوَّة. قال: «اقرأه في عشر». قلت: إنني أجد قوة. قال: «اقرأه في سبع ولا تزدد على ذلك».

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة -رضي الله عنهما- أنه قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقَّه؛ لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين. وقال غيره: يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر. نص عليه أحمد. لأن عبدالله بن عمر سأل النبي ﷺ: في كم نختم القرآن؟ قال: «في أربعين يوماً». رواه أبو داود. وقال النووي في الأذكار المختار: إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ. وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات وغير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مُرَّصَد له ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فيلكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهذَّرة في القراءة.

ويستحب الوضوء لقراءة القرآن لأنه أفضل الأذكار وقد كان ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر كما ثبت في الحديث، ولا تكره القراءة للمحدث. وأما الجنب والحائض فيحرم عليهما القراءة. وأما متنجس الغم فتركه له القراءة. ويستحب أن يجلس مستقبلاً متخشعاً

بسكينة ووقار مطّرفاً رأسه . ويسنُّ أن يستاك تعظيماً وتطهيراً . ويسنُّ التعوّذ قبل القراءة . قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن كان المتلوّ صدر السورة يعقبه بقراءة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ متصلة به أو منفصلة عنه . وليحافظ على قراءة البسملة اول كل سورة غير (براءة) لأن أكثر العلماء على أنّها آية ، فإذا أُخِلَّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين . فان قرأ أثناء سورة استحجب له - أيضاً - نص عليه الشافعي فيما نقله العبادي كما في الإتقان للسيوطي - رحمه الله تعالى . ويسنُّ الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ <sup>(٢)</sup> . وروى أبو داود وغيره عن أم سلمة أنّها نعتت قراءة النبي ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً .

وفي البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مَدّاً ثم قرأ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ (الله) ويمدُّ (الرحمن) ويمدُّ (الرحيم) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: لا تشروه نثر الدقل - رديء التمر - ولا تهزّوه هزّ الشّعير ، فغوا عند عجائبه وحزّ كوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة . وانفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع . قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل ، ويسنُّ القراءة بالتدبير والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب . قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُذَكِّرَ بِهِ آيَاتِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ <sup>(٤)</sup> وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يتلفظ به فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر . وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب اشفق وتعوّذ أو تنزيه نَزَّةً وَعَظْمًا ، أو دعاء تَضَرَّعَ وَطَلَّبَ .

أخرج مسلم عن حذيفة قال : صليتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سيّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ .

٢ . سورة المذثر : الآية ٤ .

١ . سورة النحل : الآية ٩٨ .

٤ . سورة النساء : الآية ٨٢ .

٣ . سورة ص : الآية ٢٩ .

وأخرج أبو داود والترمذي حديث من قرأ: ﴿ والثين والزيتون ﴾<sup>(١)</sup> فانتهى إلى آخرها فليقل: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ». ومن قرأ: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾<sup>(٢)</sup> فانتهى إلى آخرها فليقل: بلى . ومن قرأ ( والمرسلات ) فبلغ: ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾<sup>(٣)</sup> فليقل: آمنا بالله .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس ان النبي ﷺ كان اذا قرأ: ﴿ سيح اسم ربك الأعلى ﴾<sup>(٤)</sup> قال: « سبحان ربي الأعلى » .

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر قال: خرج رسول الله على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن زُوداً منكم كنتُ كلما أتيتُ على قوله: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾<sup>(٥)</sup> قالوا: « ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » .

وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر سمعت النبي ﷺ قرأ: ﴿ ولا الضالين ﴾<sup>(٦)</sup> فقال: « آمين » ثلاث مرات .

وأخرجه البيهقي بلفظ: قال: « رب اغفر لي آمين » . وأخرج عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال: « آمين » . قال النووي: « ومن الآداب إذا قرأ نحو: ﴿ وقالت اليهود هزير ابن الله ﴾<sup>(٧)</sup> ، ﴿ وقالت اليهود يدُ الله مغلولة ﴾<sup>(٨)</sup> أن يخفض بها صوته كذا كان النخعي يفعل .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن ، والتباكي لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع قال تعالى: ﴿ ويخزون للأذقان يكون ﴾<sup>(٩)</sup> . وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود على النبي ﷺ وفيه فاذا عيناه تذرفان . وفي شعب البيهقي عن سعد بن مالك مرفوعاً: أن هذا القرآن نزل بحزن وكآبة فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتابكوا . ويسنُّ تحسين الصوت

- |                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ١ . سورة الثين : الآية ١ .     | ٢ . سورة القيامة : الآية ١ .  |
| ٣ . سورة الاعراف : الآية ١٨٥ . | ٤ . سورة الاعلى : الآية ١ .   |
| ٥ . سورة الزمزم : الآية ١٣ .   | ٦ . سورة الحمد : الآية ٧ .    |
| ٧ . سورة التوبة : الآية ٣٠ .   | ٨ . سورة المائدة : الآية ٦٤ . |
| ٩ . سورة الإسراء : الآية ١٠٩ . |                               |



بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» وفي لفظ عند الدارمي «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسْناً». وأخرج البزار وغيره حديث «حسن الصوت زينة القرآن» وفيه أحاديث صحيحة كثيرة فإن لم يكن حَسَنَ الصَّوْتِ حَسَنَهُ مَا اسْتَطَاعَ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ إِلَى حَدِّ التَّمْطِيطِ.

وأما القراءة بالالحن فنص الشافعي في المختصر أنه لا بأس بها. وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة. قال الرافي: فقال الجمهور: ليست على قولين، بل المكروه أن يفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة. قال: وفي زوائد الروضة: والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام بفسق به القارئ ويأثم المستمع: لأنه عدل به عن نهجه القويم قال: وهذا مراد الشافعي بالكراهة.

ثم إنه وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالقراءة، وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت. قال النووي والجمع بينهما أن الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى مصلون أو نيام بجهره. والجمهور أفضل في غير ذلك: لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر. ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط... ويدل لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح عن أبي سعيد: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مُنَاجٍ لربه فلا يؤذِينُ بعضُكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة. وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها إنَّ الْمُسَيَّرَ قَدْ يَمَلُّ فَيَأْنَسُ بِالْجَهْرِ، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار. ويسنُّ السجود عند قراءة آية السجدة، وهي أربع عشرة في: الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحج سجدة تان، والفرقان، والنمل، وألم تنزيل، وفصلت، والنجم، وإذا السماء انشقت، وإقرأ باسم ربك.

ويسنُّ الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغظ والحديث بحضور القراءة قال تعالى: ﴿وَإِذَا

قُرِئَ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴿١﴾. والأوقات المختارة لقراءة القرآن أفضلها ما كان في الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير. وهي بين المغرب والعشاء محبوبة، وأفضل النهار بعد الصبح. ونختار من الأيام يوم عرفة، ثم الجمعة، ثم الإثنين، والخميس. ومن الأعشار العشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من ذى الحجة. ومن الشهور رمضان. ونختار لابتدائه يوم الجمعة ونختمه ليلة الخميس.

ويسنُّ صوم يوم الختم، ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن، وهي قراءة المكيين.

ويسنُّ الدعاء عقب الختم لحديث الطبراني وغيره عن العرياض بن سارية مرفوعاً: «من ختم القرآن فله دعوة مستجابة»، وفي الشعب من حديث أنس مرفوعاً: «من قرأ القرآن وحمد الله وصلى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير مكانه».

ويسنُّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره: «أحب الأعمال إلى الله الحالُّ المُزْتَحَلُّ؛ الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلما حلَّ ارتحل». وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان إذا قرأ: قل أعوذ برب الناس، افتتح من الحمد ثم قرأ من البقرة إلى: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ﴿٢﴾ ثم دعا بدعاء الختمة، ثم قام ﴿٣﴾.

٢. سورة البقرة: الآية ٥.

١. سورة الاعراف: الآية ٢٠٤.

٣. مواهب الرحمن ج ١، ص ٤٦-٥٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## علم التجويد

قال المدرس : هو مما يجب أن يعلم أنه يجب على قراء القرآن الكريم رعاية التجويد، وهو: إعطاء كل حرفٍ حقه من أدائه من مخرجه الخاص، وملاحظة صفاته من الترقيق والتفخيم والإطباق والإنفتاح والجهر والهمس والاظهار والاختفاء والادغام مع غنة وبدونها، والشدّ والمدّ وغير ذلك على ما بيّن في محلّه. وإلا فالقارئ المتمكن من التعلم المهمل لذلك الواجب المقدس آثم متحمل للأوزار. أعاذنا الله منها.

### - مخارج الحروف

أما مخارج الحروف فسبعة عشر ولها خمسة مواضع: الحلق، والجوف، واللسان، والشفتان، والخيشوم. ويعرف مخرج كل حرف بأن تسكنه وتدخل عليه الهمزة المتحركة، فحيث انقطع الصوت كان مَخْرَجًا له، كما نقول في حرف الباء أب. وفي الميم أم، فحيثما تجد الصوت ينقطع على الشفة فذاك مخرجها. فلنذكر مواضع الحروف على الترتيب:

المخرج الأول: أقصى الحلق ويخرج منه حرفان: الهمزة والهَاء.

المخرج الثاني: وسط الحلق ويخرج منه العين والحاء المهملتان.

المخرج الثالث: أدنى الحلق أي أقربها إلى اللسان، ويخرج منه الغين والحاء المعجمتان

- المخرج الرابع: الجوف ويخرج منه ثلاثة أحرف: الألف، والواو، والياء الساكنات .  
المخرج الخامس: ما بين أقصى اللسان مما يتصل بالحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه القاف . ويسمى باللهاء .
- المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى ويخرج منه الكاف .
- المخرج السابع: وسط اللسان ويخرج منه ثلاثة أحرف: الجيم والشين والياء .
- المخرج الثامن من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس الأيسر، وقيل الأيمن، ويخرج منه الضاد .
- المخرج التاسع: من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرفه وما بينهما وبين ما يليه من الحنك الأعلى، ويخرج من اللام .
- المخرج العاشر: من طرف اللسان أسفل اللام قليلاً، ويخرج منه النون .
- المخرج الحادي عشر: من مخرج النون أيضاً لأنه أقرب إلى ظهر اللسان، ويخرج منه الراء .
- المخرج الثاني عشر: من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا صاعداً إلى جهة الحنك الأعلى، ويخرج منه الطاء والذال والتاء .
- المخرج الثالث عشر: من بين طرف اللسان فوق الثنايا العليا والسفلى، ويخرج منه الصاد والزاء والسين .
- المخرج الرابع عشر: من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الظاء والثاء والذال .
- المخرج الخامس عشر: من باطن الشفة السفلى مع اطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الفاء فقط .
- المخرج السادس عشر: ما بين الشفتين، ويخرج منه الواو، والياء، والميم. إلا أن الواو بانفتاحها<sup>(١)</sup>، والباء والميم بانطباقهما .

١. الصحيح: بانفتاحها .

المخرج السابع عشر: الخيشوم وهو أقصى الأنف، ويخرج منه أحرف الغنة، وهي: النون الساكنة والتنوين حال إدغامهما بغنة وإخفائهما، والميم والنون المشددتان.

### ٢- صفات الحروف

وهي على قسمين: قسم له ضد وهو خمسة، وضده كذلك. وقسم لا ضده وهو سبع. فذوات الأضداد: الجهر وضده الهمس. والشدة وضدها الرخاوة وما بينهما. والاستعلاء وضده الإستفال. والإطباق وضده الانفتاح. والإذلاق وضده الإصمات.

والتي لا ضدها هي: الصغير، والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، فالجملة سبعة. فكل حرف يأخذ من الصفات المتضادة خمسا. وأما الصفات غير المتضادة فتارة يأخذ منها صفة، أو صفتين، وتارة لا يأخذ منها شيئا. فغاية ما يجتمع في الحرف الواحد سبع صفات. خمس من المتضادة وثلثان من غيرها كالانحراف والتكرير.

ومن أهم ما يجب معرفته منها أمور:

الأول: أحوال التنوين والنون الساكنة وهي أربع: الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء.

أما الإظهار: وهو إخراج الحرف من مخرجه بدون غنة، فإذا لقيت حروف الحلق وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. نحو: ﴿رَسُولٌ آمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ونحو: ﴿مَنْ آمَنَ﴾<sup>(٢)</sup>، ونحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾. وينأون عنه<sup>(٣)</sup>. وقس عليه التقاءهما بباقي أحرف الحلق.

وأما الإدغام: وهو إخفاء حرف في حرف، أي حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفاً مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعاً واحدةً، فهو عند التقائهما بحروف (يرملون)، لكن الإدغام في الياء والواو والميم والنون يكون مع غنة، وفي اللام والراء بدونها. وأمثلتها: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(٤)</sup> ونحو: ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>. ويشترط أن يكون

٢. سورة البقرة: الآية ٦٢.

٤. سورة الكهف: الآية ٥.

١. سورة الشعراء: الآية ١٠٧ و١٢٥ و...

٣. سورة الانعام: الآية ٢٦.

٥. سورة الانعام: الآية ٩٩.

المدغم والمدغم فيه في كلمتين ، وإلا وجب الإظهار مثل: ﴿ ذُنُوبًا ﴾<sup>(١)</sup> و: ﴿ قِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> و: ﴿ صِنَوَانٍ ﴾<sup>(٣)</sup> و﴿ رِيثَانٍ ﴾<sup>(٤)</sup> . ونحو: ﴿ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> و: ﴿ مِّن مَّلَجًا ﴾<sup>(٦)</sup> . ونحو: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾<sup>(٧)</sup> ، و: ﴿ مَن وَرَأَيْتَهُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> . ونحو: ﴿ حِطَّةً نَّفَرُ ﴾<sup>(٩)</sup> و: ﴿ إِن نَّقُولُ ﴾<sup>(١٠)</sup> . وتلك أمثلة الإدغام مع الغنة، ومثاله بلاغنة نحو: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(١١)</sup> . و: ﴿ يُبَيِّن لَّنَا ﴾<sup>(١٢)</sup> . ونحو: ﴿ فَغُورٍ رَّحِيمٍ ﴾<sup>(١٣)</sup> و: ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾<sup>(١٤)</sup> .

وأما الإقلاب: وهو جعل حرف مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة وذلك عند التقائهما بالباء . نحو: ﴿ سَمِعَ بِصِيرٍ ﴾<sup>(١٥)</sup> و (مِن بَعْدُ).

وأما الإخفاء: وهو النطق بهما بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول أعني التنوين والنون الساكنة فعند التقائهما مع خمس عشر حرفاً مصدرية في كلمات البيت الآتي وهو:

صِيفَ ذَا ثَنَاكَم جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا      ذَمُّ طَيْبِيَا زِدَ فِي تَقَى صَخَّ ظَالِمَا  
والمثال نحو: ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾<sup>(١٦)</sup> ، و ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ ﴾<sup>(١٧)</sup> . وقس عليهما باقي الأحراف .

## - احوال الحروف واحكامها .

### احوال الميم الساكنة:

ولها ثلاث حالات: الإدغام ، والإخفاء ، والإظهار . فتدغم في مثلها بغنة كاملة نحو: ﴿ لَّهُمْ مَثَلًا ﴾<sup>(١٨)</sup> و ﴿ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾<sup>(١٩)</sup> . وتخفى عند التقاء الباء بغنة ويسمى إخفاءً

- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| ١. سورة البقرة: الآية ٨٥ و... | ٢. سورة الانعام: الآية ٩٩.   |
| ٣. سورة الزعد: الآية ٤.       | ٤. سورة الصَّف: الآية ٤.     |
| ٥. سورة البقرة: الآية ٥.      | ٦. سورة الشورى: الآية ٤٧.    |
| ٧. سورة الانعام: الآية ١٥٤.   | ٨. سورة المؤمنون: الآية ١٠٠. |
| ٩. سورة البقرة: الآية ٥٨.     | ١٠. سورة هود: الآية ٥٤.      |
| ١١. سورة البقرة: الآية ٢.     | ١٢. سورة البقرة: الآية ٦٨.   |
| ١٣. سورة البقرة: الآية ١٧٣.   | ١٤. سورة البقرة: الآية ٥.    |
| ١٥. سورة الحج: الآية ٦١.      | ١٦. سورة يوسف: الآية ٩.      |
| ١٧. سورة الماعون: الآية ٥.    | ١٨. سورة الكهف: الآية ٣٢.    |
| ١٩. سورة البقرة: الآية ١٣٤.   |                              |

شَفَوِيًّا . نحو : ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وهم بالآخرة ﴾ <sup>(٢)</sup> . وتظهر عند باقي الأحرف لكنها عند الواو والغاء أشد إظهاراً ويسمى إظهاراً شفويًّا نحو : ﴿ وهم فيها ﴾ <sup>(٣)</sup> ونحو : ﴿ عليهم ولا الضالين ﴾ <sup>(٤)</sup> .

حال الميم والنون المشددتين :

وهو إظهار غنتها حينئذ نحو : ﴿ من الجنة والناس ﴾ <sup>(٥)</sup> ونحو ﴿ ثمَّ ، ولَمَّا ) .

حال ال المعرفة :

ولها إذا وقعت قبل حروف الهجاء حالتان : الإظهار على حروف (إبغ حَجَّكَ وَخَفَ غَقِيمَه) وتسمى حينئذ باللام القمرية نحو : (الانعام ، البر ، الغمام ، الحميم ، الجنة ، الكوثر ، الولدان ، الخير ، الفتنة ، العافين ، القمر ، اليوم ، المال ، الهدى) . والإدغام مع غير تلك الحروف ويجمعها أوائل كلمات هذا البيت :

طِبَ ثَم صَبِلَ رَحِمًا تَقْرَضُ ضَفَ ذَا نِعَمٍ دَعَّ سُوءَ ظَنِّ زُرِّ شَرِيفًا لَيْلِكْرَمٍ  
وتسمى اللام فيها بالشمسية لأنها تدغم وتخفى فيما بعدها كما في لفظ الشمس .

حال اللام الساكنة الواقعة في الفعل :

وحاله الإظهار مطلقاً ماضياً أو أمراً نحو : جعلنا ، وقلنا ، وضللنا ، والتقى ، وقل نعم .

أحكام الإدغام :

وهو عبارة عن إدخال حرف ساكن في آخر متحرك ، وهما إما متماثلان ، أو متقاربان ، أو متجانسان . أما المتماثلان فهما المتفقان صفة ومخرجاً . وحكم الإدغام حينئذ الوجوب نحو : ﴿ اضرب بعصاك ﴾ <sup>(٦)</sup> ، و : ﴿ بل لا يخافون ﴾ <sup>(٧)</sup> . وأما المتقاربان فهما حرفان تقاربا مخرجاً وصفة ؛ كالثاء مع الذال ، نحو : ﴿ يلهث ذلك ﴾ <sup>(٨)</sup> . والباء مع الميم ، نحو : ﴿ إركب معنا ﴾ <sup>(٩)</sup> والقاف عند الكاف نحو : ﴿ ألم نخلقكم ﴾ <sup>(١٠)</sup> . وأما المتجانسان فهما حرفان اتحدا

- |                              |                                 |
|------------------------------|---------------------------------|
| ١ . سورة الفيل : الآية ٣ .   | ٢ . سورة الاعراف : الآية ٤٥ .   |
| ٢ . سورة البقرة : الآية ٢٥ . | ٤ . سورة الحمد : الآية ٧ .      |
| ٥ . سورة الناس : الآية ٥ .   | ٦ . سورة البقرة : الآية ٦٠ .    |
| ٧ . سورة المدثر : الآية ٥٣ . | ٨ . سورة الاعراف : الآية ١٧٦ .  |
| ٩ . سورة هود : الآية ٤٢ .    | ١٠ . سورة المرسلات : الآية ٢٠ . |



مخرجًا واختلافاً صفة، كالتاء المطبقة مع التاء المهموسة نحو: ﴿لئن بَسَطْتَ﴾<sup>(١)</sup> وكالتاء مع الطاء نحو: ﴿وقالت طائفة﴾<sup>(٢)</sup> وكالتاء عند الدال نحو: ﴿أجيبت دعوتكما﴾<sup>(٣)</sup> وكاللام مع الراء نحو: ﴿وقل رب﴾<sup>(٤)</sup>. وكذلك عند الظاء نحو: ﴿إذ ظلموا﴾<sup>(٥)</sup>.

احكام المد:

والمد إطالة بحرف من حروف المدّ وهو على قسمين: المدّ الأصلي، والمدّ الفرعيّ. فالمدّ الطبيعيّ: هو الذي لا تقوم ذات حرف المدّ إلا به، وحروفه ثلاثة: الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها. ويسمى طبيعيًا؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن حدّه ولا يزيده عليه. ومقداره ألف وهو حركتان وصلًا ووقفًا. ونقصه عن ذلك حرام. وأما المدّ الفرعيّ: فهو المدّ الزائد على المدّ الأصلي لسبب من همز أو سكون بعده. وهو ينقسم إلى ثلاثة عشر قسمًا:

الأول: المدّ الواجب المتصل، وهو أن يكون المدّ والهمزة في كلمة واحدة. نحو: جاء وجيء وسوء. ومقدار مدّة خمس حركات.

الثاني: المدّ الجائز المنفصل: وهو أن يكون المدّ في كلمة والهمزة في كلمة أخرى بعده نحو: ﴿يا أيها الناس﴾<sup>(٦)</sup>، ومقدار مده في حال الحدر والإسراع حركتان، وفي حال التدوير أربع حركات، وفي حال الترتيل خمس حركات.

الثالث: المدّ العارض للسكون: وهو المد الطبيعي الذي يوقف على ما بعده نحو: (العقاب) (وخالدون) و (خبير). ويجوز في مده الطول بست حركات، والتوسط بأربع، والقصر بحركتين. والأفضل هو الأول.

الرابع: المدّ البدل: وهو ألف، أو واو، أو ياء وقع بدلاً عن همزة ساكنة سبقتها همزة مفتوحة، كما في (آدم) وَأَصْلُهُ (أدم) بهمزين على وزن أحمد و (أومين) وأصله (أَمِينُ) بهمزين على وزن أكرم مضارع باب الإفعال. و (إيمان) وأصله (إِمان) بهمزين على وزن إكرام مصدر باب الإفعال. وقدره حركتان كالمد الطبيعي.

٢. سورة آل عمران: الآية ٧٢.

٤. سورة الإسراء: الآية ٨٠.

٦. سورة البقرة: الآية ٢٦...

١. سورة المائدة: الآية ٢٨.

٣. سورة يونس: الآية ٨٩.

٥. سورة النساء: الآية ٦٤.

الخامس : المد العوض عن التنوين المنصوب : كما في ﴿ هَلِيمًا حَكِيمًا ﴾<sup>(١)</sup> وقدره حركتان .

السادس : المدّ اللازم المثقل الكَلِمِيّ : وهو مدُّ يكون بعده حرف مشدّد في كلمة واحدة ، كما في ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٢)</sup> و ﴿ الصَّاحَّةَ ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿ الطَّامَّةَ ﴾<sup>(٤)</sup> و ﴿ دَابَّةً ﴾<sup>(٥)</sup> . ومقداره ثلاث ألفات بست حركات .

السابع : المد اللازم المخفف الكلمي : وهو مدّ بعده حرف ساكن نحو : (الآن) . ومقداره ثلاث ألفات بست حركات وحروفه خمسة ، يجمعها (حَيّ طَهْرَ) .

الثامن : المدّ اللازم الحرفي المُشَبَّعُ : وهو الحرف المتوسط الساكن من اسم حرف من حروف الهجاء ، نحو : (لام) و (صاد) و (قاف) . فإن كان الحرف الذي بعده مدغما في ما بعده ، فهو المد اللازم الحرفي المثقل نحو (الم) وتعبيره (ألف لام ميم) . وإن لم يكن مدغما في ما بعده فهو المد اللازم الحرفي المخفف . والحروف التي أسماؤها ثلاثة أحرف والثاني منها مدّ ، ثمانية يجمع صدورها جملة (نقص عَسَلَكُمْ) أعني : نون ، قاف ، صاد ، عين ، سين ، لام ، كاف ، ميم . ومقدار مداها ثلاث ألفات بست حركات . وأما العين في فواتح مريم والشورى ، ففيها وجهان : الأول ما تقدم والثاني الفان .

التاسع : المد اللازم المخفف الحرفي : وهو ما كان الحرف فيه على حرفين ، وحروفه خمسة يجمعها (حَيّ طهر) أعني : حا ، يا ، طا ، ها ، را . نحو (يس) ، (طه) ، (الر) ومقداره ألف فقط . أي حركتان .

العاشر : مد اللّين : وهي الواو والياء بشرط سكونهما وانفتاح ما قبلهما نحو (بَيِّتْ وَخَوْفٍ) .

الحادي عشر : مد الصلّة : وهو حرف مد زائد مقدر بعد هاء الضمير وينقسم الصلّة إلى قسمين : قصيرة ، وطويلة . فالقصيرة فيما كان ما قبل الضمير ، متحركاً . نحو : (إِنَّهُ ، وَآلَهُ ، وَأَمْرُهُ ، وَبِهِ) ، فإن كان ما قبله ساكناً فلا مدّ فيه إلا في قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾<sup>(٦)</sup> على

٢ . سورة الحمد : الآية ٧ .

٤ . سورة التازعات : الآية ٣٤ .

٦ . سورة الفرقان : الآية ٦٩ .

١ . سورة الاحزاب : الآية ١ .

٣ . سورة عبس : الآية ٢٣ .

٥ . سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

طريقة خفص . ويشترط أن لا يكون ما بعده موصولاً به ، نحو: ﴿ إنه الحق ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ وله الدين ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه لا يمدّ إتفاقاً و ﴿ ألقه ﴾<sup>(٣)</sup> في النمل و ﴿ أزجة ﴾<sup>(٤)</sup> فيسكن . وأما الصلة الطويلة ففيما إذا كان بعد الضمير همزة قطع فإنه يجوز مدّها مقدار ألفين ونصف ، ويجوز بمقدار ألف كالمد المنفصل بالحد . مثاله : ﴿ من ذا الذي يشفعُ عنده إلا ياذنه ؟ ﴾<sup>(٥)</sup> ويسمى مد الصلة لأنه يتصل بالضمير .

الثاني عشر : مدّ الفرق : وهو الفارق بين الاستفهام والخبر إذ لولا المدّ لتوهم أن الكلام خبر . وهو في أربعة مواضع في القرآن الكريم : في سورة الانعام في موضعين : ﴿ قل الذكّرين حرم أمّ الأتّيين ؟ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وفي يونس : ﴿ قل الله أذن لكم ؟ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وفي سورة النمل : ﴿ الله خير أم ما يشركون ؟ ﴾<sup>(٨)</sup> .

الثالث عشر : مد التمكين : وهو كل ياء بين أحدهما ساكن مكسور ما قبلها مشدّد مثاله : (حَيِّتُمْ ، والنبيّن) ، وسمي مد التمكين لأنّ الشدة مكثّنة .  
أحوال الرء :

وهي ثلاث : التّفخيم ، والترقيق ، وجواز الوجهين :  
أما التّفخيم ففيما إذا كانت الرء مفتوحة أو مضمومة أو ساكنة وما قبلها مضموم أو مفتوح . وكذا إذا كان ما قبلها مكسوراً وكسرتة عارضة نحو ﴿ إرجعوا إلى أيّكم ﴾<sup>(٩)</sup> .  
أو كسرتها أصلية وكان بعدها حرف من حروف الاستعلاء نحو ﴿ قرطاس ﴾ و ﴿ مرصاد ﴾ و ﴿ فرقة ﴾ ... وما يشابهها .

وأما ترقيقها ففيما إذا كانت الرء مكسورة مطلقاً أو كان الحرف الذي قبل الرء ياء ساكنة (كقدير) ، وكذا إذا كانت ساكنة وقبلها كسرٌ أصلي بشرط أن لا يكون بعدها حرف استعلاء نحو : ﴿ أنذرهم ﴾ و ﴿ فرعون ﴾ و ﴿ مريّة ﴾ .

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ١ . سورة البقرة : الآية ٢٦ .  | ٢ . سورة النحل : الآية ٥٢ .    |
| ٣ . سورة النمل : الآية ٢٨ .   | ٤ . سورة الاعراف : الآية ١١٦ . |
| ٥ . سورة البقرة : الآية ٢٥٥ . | ٦ . سورة الانعام : الآية ١٤٣ . |
| ٧ . سورة يونس : الآية ٥٩ .    | ٨ . سورة النمل : الآية ٥٩ .    |
| ٩ . سورة يوسف : الآية ٨١ .    |                                |

وأما جواز الوجهين ففيما اذا كانت ساكنة وكانت قبلها كسرة وبعدها حرف استعلاء مكسور نحو: ﴿ فرقي ﴾ .

حروف القلقلة وأقسامها :

أما حروف القلقلة فهي خمسة يجمعها قولك (قطب جد) وتنقسم الى صغرى وكبرى. فالصغرى منها ما سكنت سكوناً أصلياً، كما في: ﴿ يقطعون ﴾ و ﴿ يطمعون ﴾ و ﴿ يجمعون ﴾ و ﴿ يذهون ﴾ و ﴿ تكبئون ﴾ . فهذه الأحرف تقلقل أي تظهره وتكشف مطلقاً، فيظهر منها صوتٌ صافٍ كافٍ . وأما الكبرى فهي التي تسكن سكوناً عارضاً للوقف عليها؛ كما في: ﴿ خلاق ، صراط ، عذاب ، بهيج ، شديد ﴾ . وهي تقلقل عند الوقف عليها فقط <sup>(١)</sup> .

### أقسام الوقف

قال المدرّس في أقسام الوقف: وهي أربعة: تامٌ، وكافٍ، وحسنٌ، وقبيحٌ :

فالتامٌ منها: هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بما قبلها لفظاً ولا معنى؛ كالوقف على: ﴿ المفلحون ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ <sup>(٢)</sup> . فهذه الجملة غير متعلقة بما قبلها لإعراباً، ولا معنى بأن تكون خبراً لمبتدأ أو صلة لموصول أو نحوها مما له ارتباط .

والكافي: الوقف على ما لم يتعلق هو به لفظاً بل معنى، كالوقف على: ﴿ لا يؤمنون ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ <sup>(٣)</sup> . فإنه مع ما بعده وهو: ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ الآية متعلق بالكافرين .

والحسن: هو الوقف على ما تعلق ما بعده به وبما قبله لفظاً بشرط تمام الكلام عنده؛ كالوقف على ﴿ الحمد لله ﴾ في الفاتحة لأن رب صفة لله ومتعلق به، لكن الكلام قد تم عند الوقف .

والقبيح: هو الوقف على كلمة لا يتم الكلام بها، وقد تعلق ما بعدها بما قبلها لفظاً ومعنى؛ كالوقف على (بسم) من ﴿ بسم الله ﴾ ، وعلى (الحمد) من ﴿ الحمد لله ﴾ وأشياء

٢. سورة البقرة: الآية ٥ .

١. مواهب الرحمن ج ١ ص ٥٣-٦٣ .

٣. سورة البقرة: الآية ٦ .

ذلك .

وهذه الأمور المهمة نقلتها من الكتب المعتمدة في علوم القرآن كالإتقان ، والقرطبي ، والتبيان للإمام النووي ، ورسالة التجويد ، وكتب أخرى وينبغي الإطلاع عليها والاعتقاد بها والعمل بما تقرّر وافترق العلماء عليه ، أو جنحوا إليه على وجه الأكثرية ، فإن الخير في الإجماع أو ما يقاربه . وعلى الله التوكل والاعتماد <sup>(١)</sup> .

قال النيشابوري في أقسام الوقف : « الوقف قطع الكلمة اسماً أو فعلاً أو حرفاً عما بعدها ولو فرضاً . وله عند أكثر الأئمة خمس مراتب : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوز لوجه ، ومرخص ضرورة .

فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> إذ لو وصل بقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ <sup>(٣)</sup> صارت الجملة صفة للمؤمنين ، فانتفى الخداع عنهم وتقرر الإيمان خالصاً عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع ، ومراد الله جل ذكره نفى الإيمان وإثبات الخداع . وفي نظائر ذلك كثرة يوصلك المرور بها إلى العثور عليها .

والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدأ به نحو : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وكالفعل المستأنف مع السين نحو : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وبغير السين نحو : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ <sup>(٧)</sup> إلى غير ذلك من النظائر .

والجائز ما يتجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ <sup>(٨)</sup> لأن واو العطف تقتضى الوصل وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم ، فإن التقدير : ويوقنون بالأخرة .

١ . مواهب الرحمن ج ١ ص ٥٣ - ٦٤ .

٢ . سورة البقرة : الآية ٨ .

٣ . سورة البقرة : الآية ٩ .

٤ . سورة الشورى : الآية ١٣ .

٥ . سورة البقرة : الآية ١٤٢ .

٦ . سورة الطلاق : الآية ٧ .

٧ . سورة التور : الآية ٥٥ .

٨ . سورة البقرة : الآية ٤ .

والمجوز لوجه مثل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup> لأن الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُغَفِّفُ عَنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> والتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء، وذلك يوجب الوصل إلا أن نظم الفعل على الاستئناف يرى للفصل وجهها.

والمرخص ضرورة ما لا يستغنى ما بعده عما قبله، لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود، لأن ما بعده جملة مفهومة كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾<sup>(٣)</sup> لأن قوله: ﴿وَأَنْزَلَ﴾ لا يستغنى عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلى الصريح المذكور قبله، غير أنها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وإن كان لا يبرز إلى النطق. وأما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواجبه ومواقعه كثرة، وسيأتي عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القرآن مع علل ذلك مفصلة إن شاء الله تعالى.

وبعضهم قسم مراتب الوقوف إلى ثلاث: التام، والكافي، والحسن. ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى.

ولتكن علامة اللازم (م) وعلامة المطلق (ط)، والجزائز (ج)، والمجوز (ز) والمرخص (ص)، وما لا وقف عليه فعلامته (لا)، وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا (ه). وإنما التزمنا إيراد هذه الوقوف لدقة مسلكها، وبلوغها في الغموض إلى حيث قصرُوا الهلاغة على معرفة الفصل والوصل إلا أن ذلك بحسب الصياغة، وما نحن فيه بطريق الصناعة، وكل منها تابع لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل أو ببعض، وسيأتي عليك تفاصيلها، وبالله التوفيق<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جزى في الوقف: وهي أربعة أنواع: وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقراً إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه. وبين كل ذي موصول وصلته، وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني؛ إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله، فالوقف على الأول كاف،

٢. سورة البقرة: الآية ٨٦.  
٤. غرائب القرآن ج ١ ص ٤٠-٤١.

١. سورة البقرة: الآية ٨٦.  
٣. سورة البقرة: الآية ٢٢.

وذلك في التوابع والفضلات: كالحال، والتمييز، والاستثناء وشبه ذلك، إلا أن وصل المستثنى المتصل أكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات أكد من وصلها إذا كانت جملة، وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام. وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها: راجع، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام (تنبيه) هذا الذي ذكرنا من رَغَى الإعراب والمعنى في المواقف: استقرَّ عليه العمل وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته يقول: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ثم يقف، ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ثم يقف<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور في وقوف القرآن:

«الوقف هو قطع الصوت عن الكلمة حصة يتنفس في مثلها المتنفس عادة، والوقف عند انتهاء جملة من جمل القرآن قد يكون أصلاً لمعنى الكلام، فقد يختلف المعنى باختلاف الوقف، مثل قوله تعالى: ﴿ وكأين من نبيء قاتل معه ربيون كثير ﴾ فإذا وقف عند كلمة ﴿ قتل ﴾ كان المعنى أن أنبياء كثيرين قتلهم قومهم وأعداؤهم. ومع الأنبياء أصحابهم فما تزلزلوا القتل أنبيائهم فكان المقصود تأييس المشركين من وهن المسلمين على فرض قتل النبي ﷺ في غزوته. على نحو قوله تعالى في خطاب المسلمين: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وإذا وصل قوله: ﴿ قتل ﴾ عند قوله: ﴿ كثير ﴾ كان المعنى أن أنبياء كثيرين قتل معهم رجال من أهل التقوى فما وهن من بقي بعدهم من المؤمنين وذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - إلى قوله - ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

١. التسهيل ج ١ ص ١٢.

٢. سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١﴾

وكذلك قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ (٢) الآية ، فإذا وقف عند قوله: ﴿إلا الله﴾ كان المعنى أن المتشابه الكلام الذي لا يصل فهم الناس إلى تأويله، وأن علمه مما اختص الله به مثل اختصاصه بعلم الساعة وسائر الأمور الخمسة، وكان ما بعده ابتداء كلام يفيد أن الراسخين يفوضون فهمه إلى الله تعالى، وإذا وصل قوله: ﴿إلا الله﴾ بما بعده كان المعنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه في حال أنهم يقولون آمنا به .

وكذلك قوله تعالى: ﴿واللآتي ينسن من المبيض من نسانكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللآتي لم يحضن﴾ (٣) فإنه لو وقف على قوله «ثلاثة أشهر» وابتداء بقوله: ﴿واللآتي لم يحضن﴾ وقع قوله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ (٤) معطوفا على: ﴿اللآتي لم يحضن﴾ فيصير قوله: ﴿أجلهن أن يضعن حملهن﴾ . خبرا عن ﴿اللآتي لم يحضن وأولات الأحمال﴾ ، ولكنه لا يستقيم المعنى إذ كيف يكون للآتي لم يحضن حمل حتى يكون أجلهن أن يضعن حملهن .

وعلى جميع التقادير لا تجد في القرآن مكانا يجب الوقف فيه ولا يحرم الوقف فيه كما قال ابن الجزري في أرجوزته، ولكن الوقف ينقسم إلى أكيد حسن ودونه وكل ذلك تقسيم بحسب المعنى . وبعضهم استحسّن أن يكون الوقف عند نهاية الكلام وأن يكون ما يتطلب المعنى الوقف عليه قبل تمام المعنى سكتا؛ وهو قطع الصوت حصّة أقل من حصّة قطعه عند الوقف، فإن اللغة العربية واضحة وسياق الكلام حارس من الفهم المسخّط، فنحو قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ﴾ (٥) لو وقف القاريء على قوله: «الرسول» لا يخطر ببال العارف باللغة أن قوله: ﴿وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ تحذير من الإيمان بالله، وكيف يخطر ذلك وهو موصوف بقوله: «ربكم» فهل يحذر أحد من الإيمان بربه؟

٢ . سورة آل عمران : الآية ٧ .

٤ . سورة الطلاق : الآية ٤ .

١ . سورة آل عمران : الآية ١٦٩ - ١٧٠ .

٣ . سورة الطلاق : الآية ٤ .

٥ . سورة الممتحنة : الآية ١ .



وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ بِنَاهَا ﴾<sup>(١)</sup> فَإِنَّ كَلِمَةَ ﴿ بِنَاهَا ﴾ هي منتهى الآية والوقف عند ﴿ أَمَ السَّمَاءِ ﴾ ولكن لو وصل القارئ لم يخطر ببال السامع أن يكون ﴿ بِنَاهَا ﴾ من جملة ﴿ أَمَ السَّمَاءِ ﴾ لأنَّ معادل همزة الاستفهام لا يكون إلا مفردا .

على أَنَّ التعدد في الوقف قد يحصل به ما يحصل بتعدد وجوه القراءات من تعدد المعنى مع اتحاد الكلمات . فقوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرٍ مِنْ لُضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا وقف على ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ الأول كان ﴿ قَوَارِيرٍ ﴾ الثاني تأكيداً لرفع احتمال المجاز في لفظ ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ ، وإذا وقف على ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ الثاني كان المعنى الترتيب والتصنيف، كما يقال: قرأ الكتاب بابا بابا، وحضروا صفًا صفًا . وكان قوله: ﴿ مِنْ فَضَّةٍ ﴾ عائداً إلى قوله: ﴿ بِأَنِيَّةٍ مِنْ فَضَّةٍ ﴾ .

ولما كان القرآن مراداً منه فهم معانيه وإعجاز الجاحدين به وكان قد نزل بين أهل اللسان، كان فهم معانيه مفروغاً من حصوله عند جميعهم . فأما التحدي بعجز بلغائهم عن معارضته فأمر يرتبط بما فيه من الخصوصيات البلاغية التي لا يستوي في القدرة عليها جميعهم، بل خاصة بلغائهم من خطباء وشعراء، وكان من جملة طرق الإعجاز ما يرجع إلى محسنات الكلام من فنّ البديع، ومن ذلك فواصل الآيات التي هي شبه قوافي الشعر وأسجاع النثر، وهي مرادة في نظم القرآن لا محالة، كما قدّمناه عند الكلام على آيات القرآن فكان عدم الوقف عليها تغريظاً في الغرض المقصود منها .

لم يشتدّ اعتناء السلف بتحديد أوقافه لظهور أمرها، وما ذكر عن ابن النحاس من الاحتجاج لوجوب ضبط أوقاف القرآن - بكلام لعبدالله بن عمر - ليس واضحاً في الغرض المحتج به فانظره في الإتقان للسيوطي .

فكان الاعتبار بفواصله التي هي مقاطع آياته عندهم أهمّ، لأنّ عجز قادتهم وأولي البلاغة والرأي منهم تقوم به الحجة عليهم وعلى دهمائهم، فلما كثر الداخولون في الإسلام من دهماء العرب ومن عموم بقية الأمم، توجه اعتناء أهل القرآن إلى ضبط وقوفه تيسيراً لفهمه على قارئيه، فظهر الاعتناء بالوقوف ورُوعي فيها ما براعى في تفسير الآيات، فكان

١. سورة النازعات: الآية ٢٧.

٢. سورة الأنسان: الآية ١٥ - ١٦.

ضبط الوقوف مقدمة لما يفاد من المعاني عند واضع الوقف . وأشهر من تصدّى لضبط الوقوف أبو محمد بن الانباري ، وأبو جعفر بن النحاس ، وللكزاوي أو النكزوي كتاب في الوقف ذكره في الإتقان ، واشتهر بالمغرب من المتأخرين محمد بن أبي جمعة الهبطي المتوفى سنة ٩٣٠هـ<sup>(١)</sup> .



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

# اعجاز القرآن

- معنى الاعجاز وشرائطه
- لا بد للنبي من اقامة المعجز
- اقسام المعجزة
- حكمة تنوع المعجز
- حكمة كون القرآن هو المعجز للعرب
- وجوه اعجاز القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## معنى الاعجاز وشرائطه

قال البلاغى قدس سره :

« المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ، ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته »<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره :

« قد ذكر للإعجاز في اللغة عدة معان: الفوت. وجدان العجز، إحدائه كالتعجيز، فيقال: أعجزه الأمر الفلاني أي فاته، ويقال: أعجزت زيداً أي وجدته عاجزاً، أو جعلته عاجزاً. وهو في الإصطلاح: أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه.

وإنما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدعي إذا أمكن أن يكون صادقاً في تلك الدعوى. وأما إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل، أو بحكم النقل الثابت عن نبي، أو امام معلوم العصمة، فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق، ولا يسمى معجزاً في الإصطلاح وإن عجز البشر عن أمثاله:

مثال الأول: ما إذا ادعى أحد أنه إله، فإن هذه الدعوى يستحيل أن تكون صادقة بحكم

العقل، للبراهين الصحيحة الدالة على استحالة ذلك .

ومثال الثاني: ما إذا ادعى أحد النبوة بعد نبي الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم النقل المقطوع بشيوته الوارد عن نبي الإسلام، وعن خلفائه المعصومين بأن نوته خاتمة النبوات، وإذا كانت الدعوى باطلة قطعاً، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدعي؟ ولا يجب على الله جل شأنه أن يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه، أو شهادة النقل ببطلانها.

وقد يدعي أحد منصباً إلهياً ثم يأتي بشيء يعجز عنه غيره من البشر ويكون ذلك الشيء شاهداً على كذب ذلك المدعي، كما يروى أن «مسيلم» تغل في بئر قليلة الماء ليكثر ماؤها فغار جميع ما فيها من الماء، وأنه أمرُ يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنكهم فأصاب القرع كل صبي مسح رأسه، ولثغ كل صبي حنكه<sup>(١)</sup>، فإذا أتى المدعي بمثل هذا الشاهد لا يجب على الله أن يبطله، فإن في هذا كفاية لابطال دعواه، ولا يسمى ذلك معجزاً في الاصطلاح.

وليس من الإعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ، أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة، وإن أتى بشيء يعجز عنه غيره، ولا يجب على الله إبطاله إذا علم استناده في عمله إلى أمر طبيعي من سحر، أو شعوذة، أو نحو ذلك وإن ادعى ذلك الشخص منصباً إلهياً، وقد أتى بذلك الفعل شاهداً على صدقه، فإن العلوم النظرية الدقيقة لها قواعد معلومة عند أهلها، وتلك القواعد لا بد من أن توصل إلى نتائجها، وإن احتاجت إلى دقة في التطبيق، وعلى هذا القياس تخرج غرائب علم الطب المنوطة بطبائع الأشياء، وإن كانت خفية على عامة الناس، بل وإن كانت خفية على الأطباء أنفسهم.

وليس من القبيح أن يختص الله أحداً من خلقه بمعرفة شيء من تلك الأشياء، وإن كانت دقيقة وبعيدة عن متناول أيدي عامة الناس، ولكن القبيح أن يغري الجاهل بجعله، وأن يجري المعجز على يد الكاذب فيضل الناس عن طريق الهدى<sup>(٢)</sup>.

قال الطباطبائي (ره): معنى الآية المعجزة في القرآن وما تفسر به حقيقتها:

٢. البيان ج ١ ص ٤٣-٤٤.

١. الكامل لأبن الأثير ج ٢ ص ١٢٨.

« ولا شبهة في دلالة القرآن على ثبوت الآية المعجزة وتحققها بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونسأة المادة ، لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل .

وما تمخله بعض المنتسبين إلى العلم من تأويل الآيات الدالة على ذلك توفيقاً بينها وبين ما يتراءى من ظواهر الأبحاث الطبيعية « العلمية » اليوم تكلف مردود إليه .  
والذي يفيد القرآن الشريف في معنى خارق العادة وإعطاء حقيقته نذكره في فصول من الكلام .

#### ١ - تصديق القرآن لقانون العلية العامة :

إن القرآن يثبت للحوادث الطبيعية أسباباً ويصدق قانون العلية العامة كما تثبته ضرورة العقل ، وتعتمد عليه الأبحاث العلمية والأنظار الاستدلالية .

فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة ؛ بمعنى أن سبباً من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتباً عليه بإذن الله سبحانه ، وإذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة .

#### ٢ - اثبات القرآن ما يخرق العادة :

ثم إن القرآن يقتصر ويخبر عن جملة من الحوادث والوقائع لا يساعد عليه جريان العادة المشهودة في عالم الطبيعة على نظام العلة والمعلول الموجود ، وهذه الحوادث الخارقة للعادة هي الآيات المعجزة التي ينسبها إلى عدة من الأنبياء الكرام ، كمعجزات نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، فإنها أمور خارقة للعادة المستمرة في نظام الطبيعة .

لكن يجب أن يعلم أن هذه الأمور والحوادث وإن أنكرتها العادة واستبعدتها إلا أنها ليست أموراً مستحيلة بالذات ، بحيث يبطلها العقل الضروري كما يبطل قولنا الإيجاب والسلب يجتمعان معاً ويرتفعان معاً من كل جهة ، وقولنا : الشيء يمكن أن يسلب عن نفسه ، وقولنا : الواحد ليس نصف الإثنين ، وأمثال ذلك من الأمور الممتنعة بالذات كيف ؟ وعقول جم غفيرة من المليين منذ أعصار قديمة تقبل ذلك وترتضيه من غير انكار ورد ،



ولو كانت المعجزات ممتنعة بالذات لم يقبلها عقل عاقل ولم يستدل بها على شيء ولم ينسبها أحد إلى أحد.

على أن أصل هذه الأمور أعني المعجزات ليس مما تنكره عادة الطبيعة، بل هي مما بتعاوره نظام المادة كل حين؛ بتبديل الحي إلى ميت والميت إلى الحي وتحويل صورة إلى صورة وحادثة إلى حادثة ورخاء إلى بلاء وبلاء إلى رخاء، وإنما الفرق بين صنع العادة وبين المعجزة الخارقة هو أن الأسباب المادية المشهودة التي بين أيدينا إنما تؤثر أثرها مع روابط مخصوصة وشرائط زمانية ومكانية خاصة تقضي بالتدرج في التأثير، مثلاً العصا وإن أمكن أن تصير حية تسمى والجسد البالي وإن أمكن أن يصير إنساناً حياً، لكن ذلك إنما يتحقق في العادة بعامل خاصة وشرائط زمانية ومكانية مخصوصة؛ تنتقل بها المادة من حال إلى حال وتكتسي صورة بعد صورة حتى تستقر وتحل بها الصورة الأخيرة المفروضة، على ما تصدقه المشاهدة والتجربة لا مع أي شرط إتفق أو من غير علة أو بإرادة مريد، كما هو الظاهر من حال المعجزات والخوارق التي يقصها القرآن.

وكما ان الحس والتجربة الساذجين لا يساعدان على تصديق هذه الخوارق للعادة كذلك النظر العلمي الطبيعي، لكونه معتمداً على السطح المشهود من نظام العلة والمعلول الطبيعيين، اعني به السطح الذي تستقر عليه التجارب العلمية اليوم والفرضيات المعللة للحوادث المادية.

إلا أن حدوث الحوادث الخارقة للعادة إجمالاً ليس في وسع العلم إنكاره والستر عليه، فكم من أمر عجيب خارق للعادة يأتي به أرباب المجاهدة وأهل الإرتياض كل يوم، تمتليء به العيون وتنشره النشريات وتضبطه الصحف والمسفورات بحيث لا يبقى لذي لب في وقوعها شك ولا في تحققها ريب.

وهذا هو الذي ألبأ الباحثين في الآثار الروحية من علماء العصر أن يعطلوه بجريان امواج مجهولة الكتريسية مغناطيسية، فافتراضوا أن الإرتياضات الشاقة تعطي للإنسان سلطة على تصريف أمواج مرموزة قوية تملكه أو تصاحبه إرادة وشعور، وبذلك يقدر على ما يأتي به من حركات وتحريكات وتصرفات عجيبة في المادة خارقة للعادة بطريق

القبض والبسط ونحو ذلك .

وهذه الفرضية لو تمت واطردت من غير انتقاض لأدت إلى تحقق فرضية جديدة وسيعة ، تعلق جميع الحوادث المتفرقة التي كانت تعللها جميعاً أو تعلق بعضها الفرضيات القديمة على محور الحركة والقوة ، ولساقت جميع الحوادث المادية إلى التعلل والارتباط بعلة واحدة طبيعية .

فلهذا قولهم والحق معهم في الجملة اذ لا معنى لمعلول طبيعي لا علة طبيعية له ، مع فرض كون الرابطة طبيعية محفوظة ، وبعبارة أخرى إننا لا نعني بالعلة الطبيعية إلا ان تجتمع عدة موجودات طبيعية مع نسب وروابط خاصة فيتكون منها عند ذلك موجود طبيعي جديد حادث متأخر عنها مربوط بها، بحيث لو انتقض النظام السابق عليه لم يحدث ولم يتحقق وجوده .

وأما القرآن الكريم فإنه وإن لم يشخص هذه العلة الطبيعية الأخيرة التي تعلق جميع الحوادث المادية العادية والخارقة للعادة - على ما نحسبه - بتشخيص إسمه وكيفية تأثيره لخروجه عن غرضه العام ، إلا انه مع ذلك يثبت لكل حادث مادي سبباً مادياً بأذن الله تعالى ، وبعبارة أخرى يثبت لكل حادث مادي مستند في وجوده إلى الله سبحانه - والكل مستند - مجرى مادياً وطريقاً طبيعياً به يجري فيض الوجود منه تعالى إليه .

قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾<sup>(١)</sup> ، فإن صدر الآية يحكم بالإطلاق من غير تقييد أن كل من اتقى الله وتوكل عليه وإن كانت الأسباب العادية المحسوبة عندنا أسباباً تقضي بخلافه وتحكم بعدمه فإن الله سبحانه حسبه فيه وهو كائن لا محالة ، كما يدل عليه أيضاً إطلاق قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾<sup>(٤)</sup>

٢. سورة البقرة: الآية ١٨٦.

٤. سورة الزمر: الآية ٣٦.

١. سورة الطلاق: الآية ٣.

٣. سورة المؤمن: الآية ٦٠.

ثم الجملة التالية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يعلل إطلاق الصدر، وفي هذا المعنى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهذه جملة مطلقة غير مقيدة بشيء البتة، فلله سبحانه سبيل إلى كل حادث تعلقت به مشيئته وإرادته وإن كانت السبل العادية والطرق المألوفة مقطوعة متفتية هناك.

وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما - أن يتوسل تعالى إليه من غير سبب مادي وعلّة طبيعية، بل بمجرد الإرادة وحدها.

وثانيهما - أن يكون هناك سبب طبيعي مستور عن علمنا يحيط به الله سبحانه ويبلغ ما يريد من طريقه، إلا أن الجملة التالية من الآية المعللة لما قبلها أعني قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، تدل على ثاني الوجهين، فإنها تدل على أن كل شيء من المسببات أعم مما تقتضيه الأسباب العادية ولا تقتضيه فإن له قدره الله سبحانه عليه، وإرتباطات مع غيره من الموجودات، واتصالات وجودية مع ما سواه، لله سبحانه أن يتوسل منها إليه وإن كانت الأسباب العادية مقطوعة عنه غير مرتبطة به، إلا أن هذه الإرتباطات والاتصالات ليست مملوكة للأشياء أنفسها حتى تطيع في حال وتعصى في أخرى، بل مجعولة بجعله تعالى مطيعة منقادة له.

فالآية تدل على أنه تعالى جعل بين الأشياء جميعها إرتباطات واتصالات له إن يبلغ إلى كل ما يريد من أي وجه شاء وليس هذا نفيًا للعلية والسببية بين الأشياء، بل إثبات أنها بيد الله سبحانه يحولها كيف شاء وأراد، ففي الوجود عليه وإرتباط حقيقي بين كل موجود وما تقدمه من الموجودات المنتظمة، غير أنها ليست على ما نجاهد بين ظواهر الموجودات بحسب العادة (ولذلك نجد الفرضيات العلمية الموجودة قاصرة عن تعليل جميع الحوادث الوجودية)، بل على ما يعلمه الله تعالى وينظمه.....

ومن هنا يستنتج أن الأسباب العادية التي ربما يقع التخلف بينها وبين مسبباتها ليست بأسباب حقيقية بل هناك أسباب حقيقية مطردة غير متخلفة الأحكام والخواص، كما ربما

تؤيده التجارب العلمية في جراثيم الحياة وفي خوارق العادة كما مر .

٣- القرآن يسند ما أسند الى العلة المادية الى الله تعالى :

ثم ان القرآن كما يثبت بين الأشياء العلية والمعلولية ويصدق سببية البعض للبعض كذلك يسند الأمر في الكل إلى الله سبحانه ، فيستنتج منه أن الأسباب الوجودية غير مستقلة في التأثير والمؤثر الحقيقي بتمام معنى الكلمة ليس إلا الله عز سلطانه. قال تعالى:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ <sup>(١)</sup>....

فالأسباب تملك السببية بتملكه تعالى ، وهي غير مستقلة في عين أنها مالكة . وهذا المعنى هو الذي يعبر سبحانه عنه بالشفاعة والإذن ، فمن المعلوم أن الإذن إنما يستقيم معناه إذا كان هناك مانع من تصرف المأذون فيه ، والمانع أيضاً إنما يتصور فيما إذا كان هناك مقتض موجود يمنع المانع عن تأثيره ويحول بينه وبين تصرفه .

فقد بان أن في كل سبب مبدأ مؤثراً مقتضياً للتأثير به يؤثر في مسببه ، والامر مع ذلك لله سبحانه .

٤- القرآن يثبت تأثيراً في نفوس الأنبياء في الخوارق :

ثم إنه تعالى قال : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فأفاد إناطة إتيان آية من أي رسول بإذن الله سبحانه فبين أن إتيان الآيات المعجزة من الانبياء وصدورها عنهم إنما هو لمبدأ مؤثر موجود في نفوسهم الشريفة متوقف في تأثيره على الإذن ، كما مر في الفصل السابق .

وقال تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فیتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد إلا باذن الله ﴾ <sup>(٣)</sup> والآية كما انها تصدق صحة السحر في

٢. سورة المؤمن: الآية ٧٨.

١. سورة الاعراف: الآية ٥٣.

٣. سورة البقرة: الآية ١٠٢.

الجملة، كذلك تدل على ان السحر ايضاً كالمعجزة في كونه عن مبدأ نفساني في الساحر لمكان الاذن .

وبالجملة جميع الأمور الخارقة للعادة سواء سميت معجزة أو سحراً أو غير ذلك ككرامات الأولياء وسائر الخصال المكتسبة بالإرتياضات والمجاهدات جميعها مستندة إلى مباد نفسانية ومقتضيات إرادية، على ما يشير اليه كلامه سبحانه، الا ان كلامه ينص على ان المبدأ الموجود عند الانبياء والرسل والمؤمنين هو الفائق الغالب على كل سبب وفي كل حال، قال تعالى: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿ كتب الله لأهلبن أنا ورسلي ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ﴾ <sup>(٣)</sup> والآيات مطلقة غير مقيدة .

ومن هنا يمكن أن يستنتج أن هذا المبدأ الموجود المنصور أمر وراء الطبيعة وفوق المادة . فان الامور المادية مقدره محدودة مغلوبة لما هو فوقها قدراً واحداً عند التزاحم والمغالبة ، والامور المجردة ايضاً وان كانت كذلك إلا أنها لا تتراحم بينها ولا تمنع إلا ان تتعلق بالمادة بعض التعلق . وهذا المبدأ النفساني المجرد المنصور بإرادة الله سبحانه إذا قابل مانعاً مادياً أفاض إمداداً على السبب بما لا يقاومه سبب مادي يمنعه ، فافهم .

٥ - القرآن كما يستند الخوارق الى تأثير النفوس يستند الى أمر الله تعالى:

ثم ان الجملة الأخيرة من الآية السابقة في الفصل السابق أعني قوله تعالى: ﴿ فاذا جاء أمر الله قضي بالحق ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية ، تدل على ان تأثير هذا المقضي يتوقف على أمر من الله تعالى يصاحب الاذن الذي كان يتوقف عليه ايضاً، فتأثير هذا المقضي يتوقف على مصادفته الامر أو اتحاده معه .

فالامور جميعاً سواء كانت عادية أو خارقة للعادة وسواء كان خارق العادة في جانب الخير والسعادة كالمعجزة والكرامة ، أو في جانب الشر كالسحر والكهانة مستندة في تحققها إلى أسباب طبيعية، وهي مع ذلك متوقفة على ارادة الله ، لا توجد إلا بأمر الله

٢ . سورة المجادلة: الآية ٢١ .

١ . سورة الصافات: الآية ١٧٣ - ١٧١ .

٤ . سورة غافر: الآية ٧٨ .

٣ . سورة المؤمن: الآية ٥١ .

سبحانه أي بأن يصادف السبب أو يتحد مع أمر الله سبحانه ...

#### ٦ - القرآن يسند المعجزة الى سبب غير مغلوب :

فقد تبين من الفصول السابقة من البحث أن المعجزة كسائر الامور الخارقة للعادة لا تفارق الأسباب العادية في الإحتياج إلى سبب طبيعي، وان مع الجميع أسباباً باطنية، وأن الفرق بينها أن الامور العادية ملازمة لأسباب ظاهرية تصاحبها الأسباب الحقيقية الطبيعية غالباً أو مع الأغلب، ومع تلك الأسباب الحقيقية إرادة الله وأمره، والامور الخارقة للعادة من الشرو كالسحر والكهانة مستندة إلى أسباب طبيعية مفارقة للعادة مقارنة للسبب الحقيقي بالاذن والإرادة، كإستجابة الدعاء ونحو ذلك، من غير تحد يبتنى عليه ظهور حق الدعوة، وأن المعجزة مستندة إلى سبب طبيعي حقيقي بإذن الله وأمره إذا كان هناك تحد يبتنى عليه صحة النبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى، وأن القسمين الآخرين يفارقان سائر الأقسام في أن سببها لا يصير مغلوباً مقهوراً قط بخلاف سائر المسببات .

فان قلت : فعلى هذا لو فرضنا الإحاطة والبلوغ إلى السبب الطبيعي الذي للمعجزة كانت المعجزة ميسورة ممكنة الإتيان لغير النبي أيضاً، ولم يبق فرق بين المعجزة وغيرها إلا بحسب النسبة والإضافة فقط، فيكون حينئذ أمر ما معجزة بالنسبة إلى قوم غير معجزة بالنسبة إلى آخرين، وهم المطلعون على سببها الطبيعي الحقيقي، وفي عصر دون عصر، وهو عصر العلم، فلو ظفر البحث العلمي على الأسباب الحقيقية الطبيعية القصوى لم يبق مورد للمعجزة، ولم تكشف المعجزة عن الحق. ونتيجة هذا البحث أن المعجزة لا حجية فيها إلا على الجاهل بالسبب فليست حجة في نفسها.

قلت : كلا فليست المعجزة معجزة من حيث أنها مستندة إلى سبب طبيعي مجهول حتى تسلف عن إسمها عند إرتفاع الجهل وتسقط عن الحجية، ولا أنها معجزة من حيث إستنادها إلى سبب مفارق للعادة، بل هي معجزة من حيث أنها مستندة إلى أمر مفارق للعادة غير مغلوب السبب قاهرة العلة البتة، وذلك كما ان الامر الحادث من جهة إستجابة الدعاء كرامة من حيث إستنادها إلى سبب غير مغلوب كشفاء المريض، مع أنه يمكن أن يحدث من غير جهته كجهة العلاج بالدواء، غير أنه حينئذ أمر عادي يمكن ان يصير سببه

مغلوباً مقهوراً بسبب آخر أقوى منه .

#### ٧ - القرآن يعد المعجزة برهاناً على صحة الرسالة لا دليلاً عاماً :

وهيهنا سؤال وهو أنه ما هي الرابطة بين المعجزة وبين حقيقة دعوى الرسالة؟ مع أن العقل لا يرى تلازماً بين صدق الرسول في دعوته إلى الله سبحانه وبين صدور أمر خارق للعادة عن الرسول ، على أن الظاهر من القرآن الشريف تقرير ذلك فيما يحكيه من قصص عدة من الأنبياء كهود وصالح وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، فإنهم على ما يقصه القرآن حينما بثوا دعوتهم سئلوا عن آية تدل على حقيقة دعوتهم فأجابوهم فيما سئلوا وجاءوا بالآيات . وربما أعطوا المعجزة في أول البعثة قبل أن يسألهم أممهم شيئاً من ذلك، كما قال تعالى في موسى ﷺ وهارون: ﴿ إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى في عيسى ﷺ: ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرى الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ <sup>(٢)</sup> وكذا إعطاء القرآن معجزة للنبي ﷺ . وبالجملة فالعقل الصريح لا يرى تلازماً بين حقيقة ما أتى به الأنبياء والرسل من معارف المبدأ والمعاد وبين صدور أمر يخرق العادة عنهم .

مضافاً إلى أن قيام البراهين الساطعة على هذه الاصول الحققة يغني العالم البصير بها عن النظر في أمر الإعجاز ، ولذا قيل: إن المعجزات لإقناع نفوس العامة لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق العقلية ، وأما الخاصة فإنهم في غنى عن ذلك .

والجواب عن هذا السؤال: أن الأنبياء والرسل ﷺ لم يأتوا بالآيات المعجزة لإثبات شيء من معارف المبدأ والمعاد مما يناله العقل؛ كالتوحيد والبعث وأمثالهما، وإنما اكتفوا في ذلك بحجة العقل والمخاطبة من طريق النظر والاستدلال كقوله تعالى: ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ <sup>(٣)</sup> في الإحتجاج على التوحيد وقوله تعالى: ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل

٢. سورة آل عمران: الآية ٤٩.

١. سورة طه: الآية ٤٢.

٣. سورة إبراهيم: الآية ١٠.

للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴿<sup>(١)</sup>﴾ في الإحتجاج على البعث . وانما سنل الرسل المعجزة وأتوا بها لإثبات رسالتهم وتحقيق دعواها .

وذلك أنهم ادعوا الرسالة من الله بالوحي وأنه بتكليم إلهي أو نزول ملك ونحو ذلك ، وهذا شيء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الإدراكات الظاهرة والباطنة التي يعرفها عامة الناس ويجدونها من أنفسهم ، بل إدراك مستور عن عامة النفوس لو صح وجوده لكان تصرفاً خاصاً من ماوراء الطبيعة في نفوس الانبياء فقط ، مع أن الأنبياء كغيرهم من افراد الناس في البشرية وقواها .

وهذا هو الذي بعث الامم إلى سؤال المعجزة على صدق دعوى النبوة كلما جاءهم رسول من أنفسهم بعثا بالفطرة والغريزة ، وكان سؤال المعجزة لتأييد الرسالة وتصديقها ، لا للدلالة على صدق المعارف الحقة التي كان الانبياء يدعون اليها مما يمكن أن يناله البرهان كالتوحيد والمعاد ، ونظير هذا ما لو جاء رجل بالرسالة الى قوم من قبل سيدهم الحاكم عليهم ومعه أوامر ونواه يدعيها للسيد ، فإن بيانه لهذه الأحكام وإقامته البرهان على أن هذه الأحكام مشتملة على مصلحة القوم وهم يعلمون أن سيدهم لا يريد إلا صلاح شأنهم ، إنما يكفي في كون الأحكام التي جاء بها حقة صالحة للعمل ، ولا تكفي البراهين والأدلة المذكورة في صدق رسالته وأن سيدهم أراد منهم بإرساله اليهم ما جاء به من الأحكام ، بل يطالبونه ببينة او علامة تدل على صدقه في دعواه ككتاب بخطه وخاتمه يقرأونه ، او علامة يعرفونها ، كما قال المشركون للنبي : ﴿ حتى تنزل علينا كتابا نقرأه ﴾<sup>(٢)</sup> .

فقد تبين بما ذكرناه أولاً : التلازم بين صدق دعوى الرسالة وبين المعجزة وأنها الدليل على صدق دعواها ، لا يتفاوت في ذلك حال الخاصة والعامة في دلالتها وإثباتها ، وثانياً : إن ما يجده الرسول والنبي من الوحي ويدركه منه من غير سنخ ما نجده بحواسنا وعقولنا النظرية الفكرية ، فالوحي غير الفكر الصائب ، وهذا المعنى في كتاب الله تعالى من الوضوح والسطوح بحيث لا يرتاب فيه من له أدنى فهم وأقل إنصاف .

٢ . سورة الإسراء : الآية ٩٣ .

١ . سورة ص : الآية ٢٨ .



وقد إنحرف في ذلك جمع من الباحثين من أهل العصر فراموا بناء المعارف الإلهية والحقائق الدينية على ما وصفته العلوم الطبيعية من اصالة المادة المتحولة المتكاملة، فقد رأوا أن الإدراكات الانسانية خواص مادية مترشحة من الدماغ وأن الغايات الوجودية وجميع الكمالات الحقيقية إستكمالات فردية أو إجتماعية مادية .

فذكروا ان النبوة نوع نبوغ فكري وصفاء ذهني يستحضر به الانسان المسمى نبياً كمال قومه الاجتماعى ، ويريد به أن يخلصهم من ورطة الوحشية والبربرية الى ساحة الحضارة والمدنية ، فيستحضر ما ورثه من العقائد والآراء ويطبقها على مقتضيات عصره ومحيط حياته ، فيقنن لهم اصولاً إجتماعية وكليات عملية يستصلح بها أفعالهم الحيوية ثم يتم ذلك بأحكام وأمور عبادية ليستحفظ بها خواصهم الروحية لافتتار الجامعة الصالحة والمدنية الفاضلة إلى ذلك ويتفرع على هذا الافتراض :

أولاً: أن النبي إنسان متفكر نابغ يدعو قومه الى صلاح محيطهم الاجتماعى .

وثانياً: أن الوحي هو إنتقاش الأفكار الفاضلة في ذهنه .

وثالثاً: أن الكتاب السماوي مجموع هذه الأفكار الفاضلة المنزهة عن الشهوات النفسانية والأغراض النفسانية الشخصية .

ورابعاً: أن الملائكة التي أخبر بها النبي قوى طبيعية تدبر أمور الطبيعة أو قوى نفسانية تفيض كمالات النفوس عليها ، وأن روح القدس مرتبة من الروح الطبيعية المادية تترشح منها هذه الافكار المقدسة ، وأن الشيطان مرتبة من الروح تترشح منها الأفكار الرديئة وتدعو الى الأعمال الخبيثة المفسدة للاجتماع ، وعلى هذا الأسلوب فسروا الحقائق التي أخبر بها الأنبياء كاللوح والقلم والعرش والكرسي والكتاب والحساب والجنة والنار بما يلائم الأصول المذكورة .

وخامساً: أن الأديان تابعة لمقتضيات أعصارها تتحول بتحولها .

وسادساً: أن المعجزات المنقولة عن الأنبياء المنسوبة إليهم خرافات مجعولة أو حوادث محرفة ، لنفع الدين وحفظ عقائد العامة عن التبدل بتحول الأعصار ، أو لحفظ مواقع أئمة الدين ورؤساء المذهب عن السقوط والإضمحلل ، إلى غير ذلك مما أبدعه

قوم وتبعهم آخرون .

هذه جمل ما ذكروه والنبوة بهذا المعنى لأن تسمى لعبة سياسية أولى بها من أن تسمى نبوة إلهية ، والكلام التفصيلي في أطراف ما ذكروه خارج عن البحث المقصود في هذا المقام .

والذي يمكن أن يقال فيه هي هنا : أن الكتب السماوية والبيانات النبوية المأثورة على ما بأيدينا لا توافق هذا التفسير ولا تناسبه أدنى مناسبة ، وإنما دعاهم إلى هذا النوع من التفسير إخلاصهم إلى الأرض وركونهم إلى مباحث المادة ، فاستلزموا إنكار ما وراء الطبيعة وتفسير الحقائق المتعالية عن المادة بما يسليها عن شأنها ويعيدها إلى المادة الجامدة .

وما ذكره هؤلاء هو في الحقيقة تطور جديد فيما كان يذكره آخرون ، فقد كانوا يفسرون جميع الحقائق المأثورة في الدين بالمادة ، غير أنهم كانوا يثبتون لها وجودات غائبة عن الحس كالعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة ونحوها ، من غير مساعدة الحس والتجربة على شيء من ذلك ، ثم لما اتسع نطاق العلوم الطبيعية وجرى البحث على أساس الحس والتجربة ، لزم الباحثين على ذلك الأسلوب أن ينكروا لهذه الحقائق وجوداتها المادية الخارجة عن الحس أو البعيدة عنه ، وأن يفسروها بما يعيدها إلى الوجود المادي المحسوس ليوافق الدين ما قطع به العلم ويستحفظ بذلك عن السقوط .

فهاتان الطائفتان بين باغ وعاد ، أما القداماء من المتكلمين فقد فهموا من البيانات الدينية مقاصدها حق الفهم من غير مجاز ، غير أنهم رأوا أن مصاديقها جميعاً أمور مادية محضة ، لكنها غائبة عن الحس غير محكومة بحكم المادة أصلاً والواقع خلافه ، وأما المتأخرون من باحثي هذا العصر ففسروا البيانات الدينية بما أخرجوها به عن مقاصدها البيئية الواضحة ، وطبقوها على حقائق مادية ينالها الحس وتصدقها التجربة مع أنها ليست بمقصودة ، ولا البيانات اللفظية تنطبق على شيء منها .

والبحث الصحيح يوجب أن تفسر هذه البيانات اللفظية على ما يعطيها اللفظ في العرف واللغة ، ثم يعتمد في أمر المصداق على ما يفسر به بعض الكلام بعضاً ، ثم ينظر هل الأنظار العلمية تنافها أو تبطلها ؟ فلو ثبت فيها في خلال ذلك شيء خارج عن المادة

وحكمها فإنما الطريق إليه إثباتاً أو نفيّاً طور آخر من البحث غير البحث الطبيعي الذي تتكفله العلوم الطبيعية، فما للعلم الباحث عن الطبيعة وللأمر الخارج عنها؟ فإن العلم الباحث عن المادة وخواصها ليس من وظيفته أن يتعرض لغير المادة وخواصها لا إثباتاً ولا نفيّاً.

ولو فعل شيئاً منه باحث من بحائه كان ذلك منه شططاً من القول، نظير ما لو أراد الباحث في علم اللغة أن يستظهر من علمه حكم الفلك نفيّاً أو إثباتاً<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي في ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها:

« المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسُميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة، فإن اختلف منها شرط لا تكون معجزة.

فالشرط الأول من شروطها: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه. وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة؛ لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادعى الرسالة، وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له، ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كقَلْق البحر، وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر.

والشرط الثاني: هو أن تخرق العادة. وإنما وجب اشتراط ذلك؛ لأنه لو قال المدعى للرسالة: آتني مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادعاه معجزة، لأن هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، فلم تفعل من أجله، وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه في حين دعواه، ودعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره، فإن أنه لا وجه له يدل على صدقه، والذي يستشهد به الرسول ﷺ له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول: الدليل على صدقي أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواي عليه الرسالة، فيقلب هذه العصا ثعباناً، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي كما ينبع من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادة، التي ينفرد بها

جبار الأرض والسموات ، فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه، لو أسمعنا كلامه العزيز ، وقال: صدق ، أنا بعثته . ومثال هذه المسألة - وللهُ ولسوله المثل الأعلى - ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض ، وقال أحد رجاله وهو بمرأى منه والملك يسمعه : الملك يأمركم أيها الجماعة بكذا وكذا ، ودليل ذلك أن الملك يصدقني بفعل من أفعاله ، وهو أن يخرج خاتمه من يده فاصداً بذلك تصديقي، فإذا سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم، ثم عمل ما استشهد به على صدقه ، قام ذلك مقام قوله لو قال : صدق فيما ادعاه عليّ .

فكذلك إذا عمل الله عملاً لا يقدر عليه إلا هو ، وخرق به العادة على يد الرسول ، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه وقال : صدق عبدي في دعوى الرسالة ، وأنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا .

والشرط الثالث : هو أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله عز وجل ، فيقول : آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتاً أو يحرك الأرض عند قولي لها ، تزلزلي ، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به .

الشرط الرابع : هو أن تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له ، وإنما وجب اشتراط هذا الشرط ؛ لأنه لو قال المدعى للرسالة : آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق يدي أو هذه الدابة فنطقت يده أو الدابة بأن قالت : كذب وليس هو نبي ، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي للرسالة ، لأن ما فعله الله لم يقع على وفق دعواه . وكذلك ما يروى : أن مُسَيِّلِمَةَ الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء ، فما فعل الله سبحانه من هذا ، كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه ، لأنها وقعت على خلاف ما أراد المتنبئ الكذاب .

والشرط الخامس : من شروط المعجزة ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة ، فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة ، فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده ، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً ، وخرج عن كونه معجزاً ولم

يدل على صدقه ، ولهذا قال المولى سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . كأنه يقول : إن ادعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد ﷺ وعمله فاعملوا عشر سُورٍ من جنس نظمه . فإذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من نظمه ولا من عمله .

لا يقال : إن المعجزات المقيدة بالشروط الخمسة لا تظهر إلا على أيدي الصادقين ، وهذا المسيح الدجال فيما روئتم عن نبيكم ﷺ يظهر على يديه من الآيات العظام ، والأمور الجسام ، ما هو معروف مشهور ، فإنا نقول : ذلك يدعى الرسالة ، وهذا يدعى الربوبية وبينهما من الفرقان ما بين البصراء والعميان ، وقد قام الدليل العقلي على أن بعثة بعض الخلق إلى بعض غير ممتنعة ولا مستحيلة ، فلم يبعد أن يقيم الله تعالى الأدلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملة .

ودلت الأدلة العقلية أيضاً على ان المسيح الدجال فيه التصوير والتغيير من حال الى حال ، وثبت أن هذه الصفات لا تليق إلا بالمحدثات ، تعالى رب البريات عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيء ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير<sup>(٣)</sup> .

٢ . سورة هود : الآية ١٣ .

١ . سورة الطور : الآية ٣٤ .

٣ . الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٦٩ - ٧٢ .

## لا بدّ للنبي من إقامة المعجز

قال الخوئي قدس سره : « تكليف عامة البشر واجب على الله سبحانه ، وهذا الحكم قطعي قد ثبت بالبراهين الصحيحة ، والأدلة العقلية الواضحة ، فانهم محتاجون الى التكليف في طريق تكاملهم ، وحصولهم على السعادة الكبرى ، والتجارة الرباحة ، فاذا لم يكلفهم الله سبحانه . فأما أن يكون ذلك لعدم علمه بحاجتهم الى التكليف ، وهذا جهل يتزه عنه الحق تعالى ، وإما لأن الله أراد حججهم عن الوصول الى كمالاتهم ، وهذا بخل يستحيل على الجواد المطلق ، وإما لأنه أراد تكليفهم فلم يمكنه ذلك ، وهو عجز يمتنع على القادر المطلق ، وإذن فلا بد من تكليف البشر ، ومن الضروري أن التكليف يحتاج الى مبلغ من نوع البشر يوقفهم على خفي التكليف وجليله :

﴿ لَيْهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (١)

ومن الضروري أيضاً أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون ، ويرغب في الحصول عليها الراغبون ، ونتيجة هذا أن يشتهب الصادق بالكاذب ، ويختلط المضل بالهادي ، وإذن فلا بد لمدعي السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدل على صدقه في الدعوى ، وأمانته في التبليغ ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها ، فينحصر الطريق بما يخرق النواميس الطبيعية .

وإنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدعى ، لأن المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية ، فلا يمكن أن يقع من احد إلا بعناية من الله تعالى ، وإقدار منه ، فلو كان مدعي النبوة كاذباً في دعواه ، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراءً بالجهل وإشادة بالباطل ، وذلك محال على الحكيم تعالى . فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالة على صدقة ، وكاشفة عن رضا الحق سبحانه بنبوته .

وما ذكرناه قاعدة مطردة يجري عليها العقلاء من الناس فيما يشبه هذه الأمور ، ولا يشكون فيها أبداً ، فإذا ادعى أحد من الناس عن سقاء ملك من الملوك في أمور تختص برعيته ، كان من الواجب عليه أولاً أن يقيم على دعواه دليلاً يعضدها ، حين تشك الرعية في صدقه ، ولا بد من أن يكون ذلك الدليل في غاية الوضوح ، فإذا قال لهم ذلك السفير : الشاهد على صدقي أن الملك غداً سيجيئي بتحيته الخاصة التي يحيى بها سفراءه الآخرين . فإذا علم الملك ما جرى بين السفير وبين الرعية ، ثم حياه في الوقت المعين بتلك التحية ، كان فعل الملك هذا تصديقاً للمدعي في السفارة ولا يرتاب العقلاء في ذلك ؛ لأن الملك القادر المحافظ على مصالح رعيته يقبح عليه أن يصدق هذا المدعي إذا كان كاذباً ، لأنه يريد افساد الرعية .

وإذا كان هذا الفعل قبيحاً من سائر العقلاء كان محالاً على الحكيم المطلق ، وقد أشار سبحانه الى هذا المعنى بقوله في كتابه الكريم :

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾<sup>(١)</sup>

والمراد من الآية الكريمة أن محمداً الذي أثبتنا نبوته ، وأظهرنا المعجزة لتصديقه ، لا يمكن أن يتقوَّل علينا بعض الأقاويل ، ولو صنع ذلك لأخذنا منه باليمين ، ولقطعنا منه الوتين ، فإن سكوتنا عن هذه الأقاويل إمضاء منا لها ، وإدخال للباطل في شريعة الهدى ، فيجب علينا حفظ الشريعة في مرحلة البقاء ، كما وجب علينا في مرحلة الحدوث .

ولكن دلالة المعجز على صدق مدعي النبوة متوقعة على القول بأن العقل يحكم بالحسن والتبجح . أما الأشاعرة الذين ينكرون هذا القول ، ويمنعون حكم العقل بذلك

فلا بد لهم من سد باب التصديق بالنبوة . وهذا أحد مفاسد هذا القول ، وإنما لزم من قولهم هذا سد باب التصديق بالنبوة ، لأن المعجز إنما يكون دليلاً على صدق النبوة إذا قبح في العقل أن يظهر المعجز على يد الكاذب ، وإذا لم يحكم العقل بذلك لم يستطع أحد أن يميز بين الصادق والكاذب .

وقد أجاب « الفضل بن روزبهان » عن هذا الإشكال : بأن فعل القبيح وإن كان ممكناً على الله تعالى ، ولكن عادة الله قد جرت على تخصيص المعجزة بالصادق ، فلا تظهر معجزة على يد الكاذب ، ولا يلزم سد باب التصديق بالنبوة على قول الأشعريين ، وهذا الجواب بيّن الضعف ، متفكك العرى .

أولاً : أن عادة الله التي يخبر عنها « ابن روزبهان » ليست من الأمور التي تدرك بالحس ، ويقع عليها السمع والبصر ، فينحصر طريق العلم بها بالعقل ، وإذا امتنع على العقل أن يحكم بالحسن والقبح - كما يراه الأشعري - لم يمكن لأحد أن يعلم باستقرار هذه العادة لله تعالى .

ثانياً : أن إثبات هذه العادة يتوقف على تصديق الأنبياء السابقين ، الذين جاءوا بالمعجزات حتى نعلم أن عادة الله قد استقرت على تخصيص المعجزة بالصادق . أما المنكرون لتلك النبوات ، أو المشككون فيها فلا طريق لهم إلى إثبات هذه العادة التي يدعيها « ابن روزبهان » فلا تقوم عليهم الحجة بالمعجزة .

ثالثاً : إذا تساوى الفعل والترك في نظر العقل ، ولم يحكم في ذلك بقبح ولا حسن ، فأى مانع يمنع الله أن يغير عادته ؟ وهو القادر المطلق الذي لا يسأل عما يفعل ، فيظهر المعجزة على يد الكاذب .

رابعاً : إن العادة من الأمور الحادثة التي تحصل من تكرار العمل ، وهو يحتاج الى مضي زمان . وعلى هذا فما هي الحجة على ثبوت النبوة الاولى الثابتة قبل أن تستقر هذه العادة ؟ وستعرض لأقوال الأشعريين فيما يأتي ، ونوضح وجوه فسادها <sup>(١)</sup> .





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## أقسام المعجزة

قال الراغب في إهجاز القرآن :

« المعجزات التي أتى بها الأنبياء ﷺ ضربان : حسي وعقلي :

فالحسي: ما يدرك بالبصر، كنافذة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، وعصا موسى ﷺ

والعقلي: ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً، والإتيان بحقائق

العلوم التي حصلت عن غير تعلم.

فأما الحسي: فيشترك في إدراكه العامة والخاصة، وهو أوقع عند طبقات العامة، وأخذ

بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم، إلا أنه لا يكاد يفرّق بين ما يكون معجزة في الحقيقة،

وبين ما يكون كهانة أو شعبة أو سحراً، أو سبباً اتفاقياً، أو مواطاة، أو احتيلاً هندسياً،

أو تمويهاً وافتعلاً - إلا ذو سعة في العلوم التي يعرف بها هذه الأشياء.

وأما العقلي: فيختص بإدراكه كملة الخواص من ذوي العقول الراجحة، والأفهام

الثابتة، والروية المتناهية، الذين يغنيهم<sup>(١)</sup> إدراك الحق.

وجعل تعالى أكثر معجزات بني إسرائيل حسياً لبلادتهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر

معجزات هذه الأمة عقلياً لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالأنبياء. ولذلك قال

عليه الصلاة والسلام: «كادت أمتي تكون أنبياء»<sup>(٢)</sup>.

ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ، وكانت العقليات باقية غير متبدلة<sup>(١)</sup>، جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية، وما أتى به النبي ﷺ من معجزاته الحسية، كسبيح الحصا في يده، ومكالمة الذئب له، ومجيء الشجرة إليه، فقد حواها وأحصاها (أصحاب الحديث). وأما العقليات: فمن تفكر فيما أورده ﷺ من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الأمم بأوجز عبارة، اطلع على أشياء عجيبة.

ومما خصه الله تعالى (به) من المعجزات<sup>(٢)</sup> القرآن: وهو آية حسية عقلية صامتة ناطقة باقية على الدهر ماثورة في الأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾<sup>(٣)</sup> ودعاهم ليلاً ونهاراً مع كونهم أولي بسطة في البيان إلى معارضته<sup>(٤)</sup>، بنحو قوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله﴾<sup>(٥)</sup>، وفي موضع آخر: ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾<sup>(٦)</sup>، وقال: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾<sup>(٧)</sup> فجعل عجزهم علماً للرسالة، فلو قدروا ما أقصروا<sup>(٨)</sup>، (إذ قد بذلوا) أرواحهم في إطفاء نوره وتوهين أمره، فلما رأيناهم تارة يقولون: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾<sup>(٩)</sup>، وتارة يقولون: ﴿لوثشاء لقلنا مثل هذا﴾<sup>(١٠)</sup>، وتارة يصفونه بأنه ﴿أساطير الأولين﴾<sup>(١١)</sup>، وتارة يقولون: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾<sup>(١٢)</sup>، وتارة يقولون: ﴿إنت بقرآن غير هذا أو بدله﴾<sup>(١٣)</sup> كل ذلك عجزاً عن الاتيان بمثله، علمنا قصورهم عنه. ومحال أن يقال: إنه عورض فلم ينقل ﴿فالتفوس﴾ مهتزة لنقل مادق وجل

١. في نسخة: مبتدلة.

٢. سورة العنكبوت: الآية ٥٠ - ٥١.

٣. سورة البقرة: الآية ٢٣.

٤. سورة الاسراء: الآية ٨٨.

٥. سورة فصلت: الآية ٢٦.

٦. سورة النحل: الآية ٢٤، وكذلك وردت في عديد من السور.

٧. سورة الفرقان: الآية ٣٢.

٨. في نسخة: المعجزة.

٩. في نسخة: المعارضة.

١٠. سورة يونس: الآية ٣٨.

١١. في نسخة: قصراً.

١٢. سورة الأنفال: الآية ٣٦.

١٣. سورة يونس: الآية ١٥.

وقد رأينا كتباً كثيرة صنفت في الطعن على الاسلام قد نقلت وتدولت (١) و (٢).  
 قال القرطبي: « إذا ثبت هذا فأعلم أن المعجزات على ضربين: الأول - ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ. والثاني - ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بشيوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خُلُقاً كثيراً وجمّاً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوى في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي عليه الصلاة والسلام، لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خُلُقاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي ﷺ المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل ﷺ عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه، لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به. ونظير ذلك من علم الدنيا علم الإنسان بما نقل اليه من وجود البلدان، كالبصرة والشام والعراق وخراسان والمدينة ومكة، وأشباه ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة المتواترة، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه، أو دخلها التبديل والتغيير، كالتوراة والإنجيل » (٣).

قال التهاوندي (ره): في تعريف المعجزة وإن القرآن العظيم معجزة عقلية:  
 « المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة من مدعي النبوة عند احتمال صدقه في الدعوى، وهي قسمان: حسية؛ كصيرورة العصا ثعباناً وإحياء الموتى وإطعام الجمع الكثير بالطعام اليسير. وعقلية؛ كاعجاز القرآن المجيد.  
 قيل: كانت معجزات انبياء بني اسرائيل اكثرها حسية لبلادة امهم وقلة ذكائهم،

٢. جامع التفسير ج ١ ص ١٠٢-١٠٤.

١. في نسخة: وتداولت.

٣. الجامع لاحكام القرآن ج ١ ص ٧٢.

بخلاف معجزات نبينا صلوات الله عليه فان عمدتها عقلية ؛ لفرط ذكاء امته وكمال فهمهم ، ولأن هذه الشريعة ونبوة هذا النبي باقية دائمة مدى الدهر ، واحكامه مستمرة الى يوم القيامة ، فخصّ بنبينا بان اعظم معجزاته العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر قرناً بعد قرن ، كالشمس تجرى ما استقرت الارضون و دارت السماوات .

عن النبي ﷺ قال : «ما من الانبياء نبي الا اعطى مايمثله آمن البشر، وانما كان الذي اوتيته وحياً اوحاه الله اليّ فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً» .

قال بعض العلماء : وان معناه ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اغصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة ، وخرقه العادة في فصاحته وبلاغته ونظمه و اسلوبه واخباره بالمغيبات باق الى آخر الدهر ، فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شيء مما اخبر به انه سيكون ، وكل من سمعه في القرون المتطاولة وكان عارفاً بكلام العرب و اسلوب بيانهم يتم عليه الحجة بسماعه ، كما قال الله عز وجل : ﴿ اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ﴾ <sup>(٢)</sup> فان الايتين دالتان على ان الحجة بتلاوة الكتاب العزيز وسماع كلام الله تتم على كل احد من العارفين بكلام العرب ومحاوراتهم .

روى ان رجلاً سأل ابا عبد الله عليه السلام : «ما بال القرآن ولايزداد على البشر والدرس الا غضاضة» فقال عليه السلام : «لان الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ، و لناس دون ناس ، فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غضض الى يوم القيامة» .

وفي خطبة طويلة لامير المؤمنين صلوات الله عليه : «ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه وسراجاً لا يخبأ توقده ويحراً لا يدرك قعره ومنهاجاً لا يضل ناهجه و شعاعاً لا يظلم ضوءه وفرقناً لا يخمد برهانه وبنیاناً لا تهدم اركانه» .

وفي رواية عن الرضا عليه السلام : «لا يخلق من الازمنة ولا يغت على الالسنه، لانه لم يجعل لزمان دون زمان ، بل جعل دليل البرهان وحجة على كل انسان ﴿ لاياتيه الباطل من بين

١. سورة العنكبوت: الآية ٢٩ .

٢. سورة التوبة: الآية ٦ .

يديه ولا من خلفه تنزِيل من حكيم حميد ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

وفي خطبة فاطمة عليها السلام في أمر فذك: «لله فيكم عهد قدمه اليكم وبقية استخلفها عليكم؛ كتاب الله بينة بصائره وأي منكشفة سرائرها، وبرهان متجلية ظواهره مديم للبرية استماعه، وقائد الى الرضوان اتباعه ومؤد الى النجاة اشياعه فيه تبيان حجج الله المنيرة و محارمه المحرمة، وفضائله المدونة وجمله الكافية، و رخصه الموهوبة و شرايطه المكتوبة و بيناته الجليلة». الى غير ذلك من الروايات، هذا في حق العارف بلسان العرب، واما غير العارف فيتم عليه الحجة بتصديق اهل اللسان اعجازه كما تمت الحجة على بني اسرائيل الجاهلين بعلم السحر بتصديق السحرة اعجاز العصا و على الجاهلين بعلم الطب بتصديق الاطباء اعجاز ابراء الاكمه والابرص و احياء الموتى ﴿<sup>(٢)</sup>﴾.

٢. نفعات الرحمن ج ١ ص ٣-٤.

١. سورة فصلت: الآية ٤٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## حكمة تنوع المعجز

قال ابن عطية : « وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء وفي معجزة موسى بالسحرة ، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في مدة محمد ﷺ » (١) .

قال البحراني (وه) : « ١ - محمد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمد ، عن احمد بن محمد اليساري ، عن ابي يعقوب البغدادي قال : قال ابن السكيت لابي الحسن ﷺ : لم ذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر ، وبعث عيسى بألة الطب ، وبعث محمداً ﷺ وعلى جميع الانبياء بالكلام والخطب ؟ فقال ابو الحسن ﷺ : « لما بعث الله موسى كان الغالب على اهل عصره السحر فاتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم وما يبطل به سحرهم وما اثبت به الحجة عليهم ، وان الله بعث عيسى في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس الى الطب فاتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله وبما احبب لهم الموتى ، وابرأ الاكهم والابرص باذن الله واثبت به الحجة عليهم ، وان الله بعث محمداً في وقت كان الغالب على عصره الخطب والكلام الفصيح والشعر فاتاهم من



عند الله من مواعظه وحكمه ما بطل به قولهم وأثبت به الحججة عليهم « قال : فقال ابن السكيت : تالله ما رأيت مثلك قط . فما الحججة على الخلق اليوم؟ . قال : فقال ﷺ : « العقل يعرف به الصادق على الله في صدقه والكاذب على الله في كذبه » قال : فقال ابن السكيت : « هذا والله هو الجواب . » (١) .

قال البلاغي قدس سره في حكمة تنوع المعجز :

ولا يخفى أن حصول الفائدة المذكورة من تنوع المعجز المذكور يختلف كثيراً بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم . فرب خارق للعادة يعرف بعض الشعوب أنه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلهية خاصة، ويكون في بعض الشعوب معرضاً للشك أو الجحود لإعجازه وخرقه للعادة .

كان في عصر موسى النبي ﷺ من الرائج بين المصريين صناعة السحر المبتنية على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلم . فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية . ولأجل ذلك اقتضت الحكمة أن يحتج عليهم بمعجزة العصا التي القاها موسى ﷺ أمام أعينهم فصارت شعباناً تلقف ما يأمرون به ويسحرون به الناس من الحبال والعصي ، ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالتها الأول ولم يبق لحبالهم وعصيتهم عين ولا أثر ، فانهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن امر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية ، ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى .

وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان وفيها منهم نزلاء كثيرون . فكان للطب فيها رواج ظاهر ، وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع والبرص والقوبا ، ينحو يختص بروحانية الكهنوت ويوهم أنه من بركات الكهنة والآثار الرُوحية وإن كان من نحو الحجر الصحي ، فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والاعمى والأكمه ، مما يعرفون أنه خارج عن حدود الطب ومزاعم الكهنة وقدرة البشر ومن خارق العادة التي لا يكون إلا

بقدره الله تعالى» (١).

قال الخوئي قدس سره في خير المعجزات ماشابه أرقن فنون المصر:

«المعجز - كما عرفت - هو ما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه سائر أفراد البشر إذا أتى به المدعي شاهداً على سفارة إلهية. ومما لا يرتاب فيه أن معرفة ذلك تختص بعلماء الصنعة التي يشابهها ذلك المعجز، فإن علماء أي صنعة أعراف بخصوصياتها، وأكثر إحاطة بمزاياها، فهم يميزون بين ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وبين ما يمكنهم. ولذلك فالعلماء أسرع تصديقاً بالمعجز. أما الجاهل فباب الشك عنده مفتوح على مصراعيه مادام جاهلاً بمبادئ الصنعة، ومادام يحتمل أن المدعي قد اعتمد على مبادئ معلومة عند الخاصة من أهل تلك الصنعة، فيكون متباطئاً عن الاذعان. ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يخص كل نبي بمعجزة تشابه الصنعة المعروفة في زمانه، والتي يكثر العلماء بها من أهل عصره، فانه أسرع للتصديق وأقوم للحجة، فكان من الحكمة أن يخص موسى ﷺ بالعصا واليد البيضاء لما شاع السحر في زمانه وكثر الساحرون. ولذلك كانت السحرة أسرع الناس إلى تصديق ذلك البرهان والاذعان به، حين رأوا العصا تنقلب ثعباناً، وتلقف ما يأفكون ثم ترجع إلى حالتها الأولى. رأى علماء السحر ذلك فعلموا أنه خارج عن حدود السحر وآمنوا بأنه معجزة إلهية. وأعلنوا إيمانهم في مجلس فرعون ولم يعبأوا بسخط فرعون، ولا بوعيده.

وشاع الطب اليوناني في عصر المسيح ﷺ وأتى الأطباء في زمانه بالعجب العجاب، وكان للطب رواج باهر في سوريا وفلسطين، لأنهما كانتا مستعمرتين لليونان. وحين بعث الله نبيه المسيح في هذين القطرين شاءت الحكمة أن تجعل برهانه شيئاً يشبه الطب، فكان من معجزاته أن يحيي الموتى، وأن يبريء الأكمه والأبرص. ليعلم أهل زمانه أن ذلك شيء خارج عن قدرة البشر، وغير مرتبط بمبادئ الطب، وأنه ناشيء عما وراء الطبيعة.

وأما العرب فقد برعت في البلاغة، وامتازت بالفصاحة، وبلغت الذروة في فنون

الأدب ، حتى عقدت النوادي وأقامت الأسواق للمباراة في الشعر والخطابة . فكان المرء يقدر على ما يحسنه من الكلام ، وبلغ من تقديرهم للشعر أن عمدوا لسبع قصائد من خيرة الشعر القديم ، وكتبوها بعماء الذهب في القباطي ، وعلقت على الكعبة ، فكان يقال : هذه مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره <sup>(١)</sup> .

واهتمت بشأن الأدب رجال العرب و نساؤهم ، وكان النابغة الذبياني هو الحكم في شعر الشعراء . يأتي سوق عكاظ في الموسم فتضرب له قبة حمراء من الأدم ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها ليحكم فيها <sup>(٢)</sup> ، ولذلك اقتضت الحكمة أن يخص نبي الإسلام بمعجزة البيان ، وبلاغة القرآن ، فعلم كل عربي أن هذا من كلام الله وأنه خارج ببلاغته عن طوق البشر ، واعترف بذلك كل عربي غير معاند .

ويدل على هذه الحقيقة ماروي عن ابن السكيت انه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام :

« لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ، ويده البيضاء ، وآلة السحر وبعث عيسى بألة الطب ؟ وبعث محمداً عليه السلام وعلى جميع الأنبياء - بالكلام والخطب ؟ .

فقال أبو الحسن عليه السلام : « إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله ، وما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحججة عليهم . وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات ، واحتاج الناس الى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيى لهم الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله ، وأثبت به الحججة عليهم .

وإن الله بعث محمداً عليه السلام في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال : الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم ، وأثبت به الحججة عليهم ... » <sup>(٣)</sup> .

وقد كانت للنبي معجزات أخرى غير القرآن ، كشق القمر ، وتكلم الشعبان ، وتسبيح الحصى ، ولكن القرآن أعظم هذه المعجزات شأناً ، وأقومها بالحجة ، لأن العربي الجاهل

٢ . شعراء النصرانية ج ٢ ص ٦٤٠ طبع بيروت .

١ . العمدة : لابن رشيقي ج ١ ص ٧٨ .

٣ . اصول الكافي « كتاب العقل والجهل » الرواية ٢٠ .

بعلوم الطبيعة وأسرار التكوين، قد يشك في هذه المعجزات، وينسبها الى أسباب علمية يجهلها. وأقرب هذه الأسباب الى ذهنه هو السحر فهو ينسبها اليه، ولكنه لا يشك في بلاغة القرآن وإعجازه، لأنه يحيط بفنون البلاغة، ويدرك أسرارها. على أن تلك المعجزات الأخرى مؤقتة لا يمكن لها البقاء، فسرعان ماتعود خبيراً من الأخبار ينقله السابق للأحق، ويفتح فيه باب التشكيك. أما القرآن فهو باق الى الأبد، وإعجازه مستمر مع الأجيال. وسنضع بحثاً خاصاً عن معجزات النبي غير القرآن، ونتفرغ فيه لمحاسبة من أنكروا هذه المعجزات من الكتاب المعاصرين وغيرهم»<sup>(١)</sup>.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## حكمة كون القرآن هو المعجز للعرب

قال البلاغي قدس سره : « وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي، وكانوا خالين من سائر العلوم والصنائع الخاضعة للعلم والتعلم . فلم يكونوا يميزون حدودها العادية بحسب موازين العلم والتعلم وأسرار الطبيعيات المنقادة بقوانينها للباحث والممارس والمتعلم والمجرب والمكتشف، والداخلة تحت سيطرة العلم والتعلم . فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود وخارق للعادة ولا يكون إلا بإعجاز إلهي . فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له أو سماعهم به يسبق الى اذهانهم، ويستحکم في حسابانهم انه من السحراو من مهارة اهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدمهم في العلوم واسرار الطبيعيات وقوانينها . ولا يدعونون بأنه معجز إلهي، بل يسوقهم شك الجهل الى الجحود خصوصا اذا كان ذلك يحتج به النبي على دعوى ودعوة ثقيلتين على ضلالتهم باهظتين لعاداتهم الوحشية واهواء الجهل .

نعم برعوا بالأدب العربي وبلاغة الكلام التي تقدموا فيها تقدماً باهراً، حتى قد زها في عصر الدعوة روضه الخميل واينعت حدائقه وفاق بحذوه، وقرروا له المواسم وعقدوا المحافل للمفاخرة بالرقى فيه . فرقت بينهم صناعته إلى اوج مجدها وزهرت بأجمل مظاهرها واحاطوا باطرافها وحددوا مقدورها . فعاد المرء منهم جدٌ خبير بما هو داخل في

حدود القدرة البشرية وما هو خارج عنها، ولا يصدر على لسان بشر ابتداء إلا بعناية إلهية خاصة خارفة للعادة البشرية لحكمة إلهية شريفة.

ولذا اقتضت الحكمة الإلهية « ولله الحكمة البالغة » ان يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون والذي عليه المدار في الحججة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين . فانه يكون حجة على العرب باعجازه وببلاغته وبمعجزهم عن الاتيان بمثله او بسورة من مثله . وبخضوعهم لاعجازه وهم الخبراء في ذلك يكون ايضاً حجة على غيرهم في ذلك . وانه هو الذي يدخل في حكمة المعجز والاعجاز في شمول الدعوة للعرب وابتدائها بهم بحسب سيرها الطبيعي على الحكمة ، وبه تتم فائدة المعجز على وجهها<sup>(١)</sup>.

قال النهاوندى (ره) في ان الكتاب العزيز اعظم معجزات خاتم النبيين ﷺ:

«الاريب في ان الكتاب العزيز كان من اعظم معجزات خاتم النبيين ﷺ، حيث انه كانت جهة الاعجاز فيه اظهر من المعجزات الباهرة التي كانت لسائر الانبياء العظام، وتأثيره في النفوس اشد من تأثيرها لبدها ان المؤمنين به ﷺ من العرب من عرفتهم بشدة العصبية واللجاج كانوا في زمانه اكثر من المؤمنين بسائر الانبياء في زمانهم، وكان ايمان اتباعه به وانقيادهم لامره مع كونهم اشد الخلق تكبراً واكثرهم تفاخراً اقوى وازيد من ايمان سائر الامم بانبيائهم وانقيادهم لأوامرهم، وكان حب العرب له وشغفهم به مع كونهم اقسى الناس قلباً واقلهم رأفة اشد واكثر من حب بنى اسرائيل لموسى بن عمران ﷺ مع كونه صاحب تسع آيات بينات، ومن حب الحواريين لعيسى بن مريم ﷺ مع كونه محبى الاموات ومبريء الاكعمه والابرص، حيث ان المؤمنين بنينا ﷺ كانوا يتسابقون الى بذل المهج والغور في اللجج، ويستسارعون الى معانقة السيوف وشرب الحتوف تحفظاً لسلامته وترويجاً لشريعته، وبنو اسرائيل كانوا احفظ لانفسهم من نفس موسى ﷺ حيث انه لما قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الارض المقدسة التي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قالوا: ﴿إِنْ لَيْسَ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ

٢. سورة المائدة: الآية ٢٦.

١. آلاء الرحمن ج ١ ص ٥.

٣. سورة المائدة: الآية ٢٢.

أَنْتَ وَرَبِّكَ فَفَاتِلًا أَنَا هِيَهْنَا قَاعِدُونَ»<sup>(١)</sup> ولم ينقل من حوار يسي عيسى عليه السلام فزع شديد حين رأوه على الصليب، ونقل انه لمعات نبينا عليه السلام عزيزا في فراشه غشى على بعض المؤمنين من شدة الحزن وجن آخر، وصار يوم موته مثلا في شدة البكاء والحزن، ولم يكن جميع ذلك الا لكون اعجاز كتابه الكريم اشد تأثيرا في نفوسهم من آيات نبوة موسى وعيسى عليه السلام في نفوس اتباعهما، مع ان القرآن العظيم اوجد في نفوس العرب اثارا لم توجد لها معجزات سائر الأنبياء، حيث أنه أخرجهم بسماعه من ظلمات الجهالة وغمرات الضلالة بعد تماديهم فيها وتمزقهم عليها الى نور الهداية وأوج الحكمة وصيرهم بعد أمييتهم علماء حكماء، بل كادوا ان يكونوا من الحكمة والمعرفة أنبياء وبلغوا من العلم الى ان صاروا بعد وحشيتهم اساتيد الامم وسادة العجم، أنظر الى حوار يسي عيسى مع كونهم اكمل من آمن به واعلم بما جاء به، قالوا: ﴿يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء﴾<sup>(٢)</sup>، واطفال امة نبينا عليه السلام في زمانه كانوا يقولون: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ ولا يُعجز الله شيء في الارض ولا في السماء .

والحاصل: ان العاقل المتأمل في آيات القرآن المجيد لا يرتاب في انها كلام الله وانها اعظم المعجزات، وقد افرد جمع كثير من علماء الاسلام اعجاز القرآن بالتصنيف، ومع ذلك حاروا في كشف حجب البيان عن وجوه اعجازه بعد ان ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، فالمنصف يرى القرآن في الهداية والبيان كالروح في الجسد يعرف بمظاهره واثاره ويعجز العارفون عن بيان حقيقته وكنهه، فان قرش كانت افصح العرب لسانا واعذبهم بيانا واخلصهم لغة وارفهم عن الرذالة لهجة، ومع ذلك كان النبي عليه السلام يحتاج عليهم بالقرآن صباحا ومساء يحثهم على ان يعارضوه بسورة واحدة او بآيات يسيرة، فكلمة ازاد تحديا لهم بها وتقريبا عليهم كشف عجزهم عن نقصهم ما كان مستورا، ظهر منهم ما كان خفيا، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا: أنت تعرف اخبار الامم ولذا تقدر على ما نعجز عنه، فقال: جيتوا بها مقتريات، وهذا لم يأت بمثله اديب عن معارضته، ولم يبرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه طبع فصيح ماهر، ولو تكلفه لظهر ذلك

٢. سورة المائدة: الآية ١١٢.

١. سورة المائدة: الآية ٢٤.



فدل ذلك على عجز القوم عن معارضته، مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرانهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء اتباعه، ومن الواضح انهم لو جاءوا بسورة واحدة او آيات يسيرة بدل الهجاء ومعارضة الشعراء لكان انقض لقوله وافسد لامره واضر عليه وعلى اصحابه، مع ان الكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الفكر والجد في الامر الغامض المشكل، فكيف بالسهل الجليل المنفعة والعظيم الفائدة؟.

روي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: جاء الوليد بن المغيرة الى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رقى له، فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه، فقال: يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه لأن لا تأتى محمداً ولتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش انى من اكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك كاره له. قال: وماذا اقول؟ فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيدته ولا باشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا، والله ان لقوله الذى يقول حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله، وانه ليعلوا ولا يعلى عليه، وانه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعنى حتى افكر فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر ياثره عن غيره.

روى ان قوله عز وجل في اول حَم السجدة الى قوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ <sup>(١)</sup> نزلت في شيبة وعتبة ابني ربيعة وابي سليمان بن حرب وابي جهل، وذكر انهم بعثوا هم وغيرهم من وجوه قريش بعتبة بن ربيعة الى النبي ﷺ ليكلمه وكان حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام، واراؤوا أن يأتيهم بما عنده فقرأ النبي صلوات الله وسلامه عليه سورة حَم السجدة من اولها حتى انتهى الى قوله: ﴿فَانْهَرُوا لِقَلِّ أَنْذَرْتَكُمْ ضَاهِقَهُ مِثْلَ ضَاهِقِهِ هَادٍ وَثَمُودَ﴾ <sup>(٢)</sup> فوثب مخافة العذاب، فاستحكوه ما سمع فذكر انه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى بجوابه، ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد.

قال عثمان بن مظعون: «والله لعلموا انه من عند الله اذ لم يهتدوا بجوابه».

١. سورة فصلت: الآية ٤.

٢. سورة فصلت: الآية ١٣.

وروي ان جبير بن مطعم ورد على النبي ﷺ في معنى حليف له اراد ان يفاديه، فدخل والنبي صلوات الله عليه يقرأ سورة: ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ في صلاة الفجر، قال: فلما انتهى الى قوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مِّمَّا لَهٗ مِنْ دَالِعٍ ﴾<sup>(١)</sup> قال: « خشيت ان يدركني العذاب فأسلمت » .

وروي ان ابن ابي العوجاء وثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على ان يعارض كل واحد منهم ربع القرآن - وكانوا بمكة - وغاهدوا على ان يجيئوا بمعارضته في الغام القابل، فلما حال الحول اجتمعوا في مقام ابراهيم عليه السلام قال احدهم: « اني لما رأيت قوله: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَأْسَأُ أَقْلَمِي وَغِيضِ الْمَاءِ وَقَضَى الْأَمْرَ ﴾<sup>(٢)</sup> كفتت عن المعارضة » وقال الآخر: « وكذا أنا لما وجدت قوله: ﴿ فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نجياً ﴾<sup>(٣)</sup> أبيت عن المعارضة، وكانوا يسزون بذلك اذ مرّ عليهم الصادق صلوات الله عليه فالتفت وقرأ عليهم: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> فبهتوا، وامثال هذه الروايات كثيرة جدا ومما يشهد على ان القرآن العظيم فوق طوق البشر، ان من قايس بين آياته وكلمات رسول الله ﷺ وخطبه البليغة وجد التفاوت بينهما تفاوت الخالق والمخلوق والواجب والممكن، مع انه صلوات الله عليه كان افصح من نطق بالضاد، ولم يسمع بكلام احسن اسلوبا والطف لفظا واعدل وزنا واجمل مذهبا واحسن موقعا واسهل مخرجا وافصح بيانا وابين فحوى واکرم مطلعا من كلامه ﷺ .

والحاصل: ان الكتاب العزيز في لسان العربية بلغ مبلغا من الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والاسلوب لا يمكن للبشر أن يدانيه بالفطرة والعقل والاكتساب، وقد صدق الصادق صلوات الله عليه حيث قال: « لقد تجلى الله تعالى لخلق في كلامه ولكنهم لا يبصرون » .

وعن النبي ﷺ في وصف القرآن قال: « ظاهره انيق وباطنه عميق لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه » .

٢. سورة هود: الآية ٤٤ .  
٤. سورة الإسراء: الآية ٨٨ .

١. سورة الطور: الآية ٨ .  
٣. سورة يوسف: الآية ٨٠ .

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال: « لا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن اذ سمعته ان قالت: ﴿ اَنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ <sup>(١)</sup>. وسيأتى انشاء الله عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ فَاَنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا ﴾ <sup>(٢)</sup> مزيد بيان لذلك والتعرض لوجوه اعجازه بمقدار فهمي القاصر <sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: «... لاشك أن أعلى منازل البيان درجة، وأسنى مراتبه مرتبة، أبلغه في حاجة المبين عن نفسه، وأبينه عن مراد قائله، وأقربه من فهم سامعه. فإن تجاوز ذلك المقدار، وارتفع عن وُشع الأنام، وعجز عن أن يأتي جميع العباد، كان حجةً وَعَلَمًا لرسول الواحد القهار - كما كان حجةً وَعَلَمًا لها إحياء الموتى وإبراء الأبرص وذوي العمى، بارتفاع ذلك على مقادير أعلى منازل طب المتطبين، وأرفع مراتب علاج المعالجين، إلى ما يعجز عنه جميع العالمين. وكالذي كان لها حجةً وَعَلَمًا قطع مسافة شهرين في الليلة الواحدة، بارتفاع ذلك عن وُسع الأنام، وتعذر مثله على جميع العباد، وإن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين، ولليسير منه فاعلين.

فإذ كان ما وصفنا من ذلك كالذي وصفنا، فبين أن لبيان أئين، ولا حكمة أبلغ، ولا منطق أعلى، ولا كلام أشرف - من بيان ومنطق تحدى به امرؤ قوماً في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وقيل الشعر والفضاحة، والسجع والكهانة، على كل خطيب منهم وبلغ، وشاعر منهم وفصيح، وكل ذي سجع وكهانة - فسفه أحلامهم، وقصر بعقولهم، وتبرأ من دينهم، ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به، والإقرار بأنه رسول إليهم من ربهم. وأخبرهم أن دلالة على صدق مقالته، وحجته على حقيقة نبوته - ما أتاهم به من البيان، والحكمة والفرقان، بلسان مثل ألسنتهم، ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم. ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة، ومن القدرة عليه نَقْصَةٌ. فأقر جميعهم بالعجز، وأذعنوا له بالتصديق، وشهدوا على أنفسهم بالنقص. إلا من تجاهل منهم وتعامى، واستكبر وتعاشى، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز، ورام ما قد

٢. سورة البقرة: الآية ٢٤.

١. سورة الجن: الآية ٢ و٣.

٣. نفعات الرحمن ج ١ ص ٢-٣.

تيقن أنه عليه غير قادر . فأبدئ من ضعف عقله ما كان مستتراً، ومن عي لسانه ما كان مضموناً، فأنتى بما لا يعجزُ عنه الضعيف الأخرق، والجاهل الأحمق، فقال: « والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، فالخابزات خبزاً، والثاردات تزدأ، واللاقمات لقمماً!، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة»<sup>(١)</sup>.

قال الخفاجي: « العرف في عهد النبوة ورأيهم في إعجاز القرآن الكريم: في هذا البحث نذكر آراء العرب الذين عاصروا عهد الرسول في القرآن الكريم وإعجازه، ونحيط بموقفهم منه، وإقرارهم بالعجز حيال تحديه، ليعرف القارىء ما يتصل بالقرآن الحكيم وقضية الإعجاز. روي أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي، فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له. فبلغ ذلك أباجهل، فاتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه. لثلا تأتي محمداً. لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولاً يبلغ أنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا. والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليعظم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعنى حتى أفكر، ثم قال: هذا سحر يؤثر، يآثره عن غيره»<sup>(٢)</sup>.

وروي أن الوليد بن المغيرة لما سمع من النبي: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في رواية أخرى<sup>(٥)</sup>: أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، فقالت قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبان

١. جامع البيان ج ١ ص ٢٨-٢٩.

٢. الشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ٢٢٣. الاقنان للسيوطي ج ٢ ص ١١٧ إعجاز القرآن للرافعي ص ٣٥٧.

٣. سورة النحل: الآية ٩٠.

٤. ص ٣٢٠ ج ١ الشفاء طبعة ١٣١٢ هـ.

٥. ص ١٥٨ ج ٤ للزمخشري.

قريش كلهم . فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه ، ففقد حزينا ، وكلمه بما أحماه ، فقال فأتاهم فقال : تزعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه يخفق ؟ وتقولون : إنه كاهن ، فهل رأيتموه قط يتكهن ؟ وتزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط ؟ وتزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب ، فقالوا في كل ذلك : اللهم لا . ثم قالوا : فما هو ؟ ففكر ، فقال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ، وما الذي يقوله إلا سحر يآثره عن مسيلمة وعن أهل بابل ، فارتج النادى فرحا ، وتفرقوا معجبين بقوله .

ويروى أنه لما اجتمعت قريش عند حضور الموسم ، قال لهم الوليد : إن وفود العرب ترد . فأجمعوا فيه . - يعنى النبي - رأيا لا يكذب بعضكم بعضا ، فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ولا هو بزممته ولا سجعه .

قالوا : مجنون . قال : ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو بشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ولا نفته ولا عقده ، قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه لا يصدق ، وإن أقرب القول أنه ساحر ، وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه ، والمرء وأخيه ، والمرء وزوجته ، والمرء وعشيرته : فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس <sup>(١)</sup> : فأنزل الله تعالى فيه ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ الآيات <sup>(٢)</sup> .

وقال صاحب الطراز : قال الوليد بن المغيرة في القرآن ما قال ، حين جاء إلى الرسول ، وقال له : اتل على يامحمد ما أنزل إليك ، فأسرع الرسول إلى ذلك طمعا في الاتقياد ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته ﴾ <sup>(٣)</sup> إلى آخر السورة ، فقال : إن أعلاه لمورق ، وإن أسفله لمغدق ، وإن له لحلاوة <sup>(٤)</sup> .

ويروى أن أبا جهل قال في ملا من قريش : قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمسنا لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر ، فكلّمه ثم أتانا ببيان عن أمره . فقال عتبة : والله لقد

١. الشفاء ج ١ ص ٢٣٢ . إعجاز القرآن للرافعي ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

٢. سورة المدثر : الآية ١١ - ٢٥ .

٣. سورة فصلت : الآية ١ - ٣ .

٤. ص ٢١٨ الطراز .

سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علما، وما يخفى علي، فأتاه فأسمعه رسول الله وأتل سورة فصلت، فلما بلغ قوله: ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ (١)، أمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة إلا وقد صبأ، فانطلقوا إليه، وقالوا: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت؟ فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا، ثم قال: واللّه لقد كلمته فأجابني بشيء، واللّه ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، ولما بلغ: ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾، أمسكت بفيه، وناشدته بالرحم. وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب (٢).

وقال عتبة حين سمع القرآن: يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته، واللّه لقد سمعت قولاً، واللّه ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة (٣).. ويروى ذلك عن النضر بن الحارث.

ويروى أن أبا بكر سأل أقواما قدموا عليه من بني حنيفة عن كلام مسيلمة وما كان يدعيه قرآنا، فقصوا عليه بعض كلامه، فقال أبو بكر: سبحان الله، ويحكم، إن هذا الكلام لم يخرج عن آل - أي عن ربيعة - فأين كان يذهب بكم (٤).

ويقول السيوطي في الإتقان: وكانوا مرة بجهلهم يقولون: أساطير الأولين اكتتبتها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا، مع علمهم أن صاحبهم أمي، وليس بحضرته من يملئ أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز (٥).

ويقول حسان بن ثابت في شعره فيما قال عن القرآن الكريم:

اللّه أكرمنا بنصر نبيه	وبنا أقام دعائم الاسلام
وبسنا أعز نبيه وكتابه	وأعزنا بالضرب والاسلام
يستابنا جبريل في أبياتنا	بفرائض الاسلام والأحكام

١. سورة فصلت: الآية ١٣. ٢. الكشاف ج ٣ ص ٢٨٧ والشفاء ج ١ ص ٢٣١-٢٣٦.

٣. الشفاء ج ١ ص ٢٣٣.

٤. الهافلاقي وهامش ٢٦٩ و ٢٧٠ الرامس، وكلام مسيلمة مجده في إعجاز القرآن للهاقلاقي، ويقول حين يتحدث عنه

صاحب الطراز: خرافات مسيلمة ص ١٧٣ ج ٣. ٥. الامتحان ج ٢ ص ١٢١.

يتلو علينا النور فيها محكما  
قسما لعمرك ليس كالأقسام  
فتكون أول مستحل حلاله  
ومحرم لله كل حرام<sup>(١)</sup>

ويروى أن القصائد الجاهلية كانت معلقة على الكعبة، فأنزلتها العرب لفصاحة القرآن إلا معلقة أمرىء القيس، فان أخته أبت ذلك عنادا، فلما نزلت آية: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾<sup>(٢)</sup> قامت إلى الكعبة فأنزلت معلقة أخيها<sup>(٣)</sup>، وإن كانت هذه الرواية مما لم يسلمها العلماء لأنها غير صحيحة.

وفي حديث إسلام أبي ذر: وصف أخاه أنيسا فقال: واللّه ما سمعت بأشعر من أخى أنيس. لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم، وإنه انطلق إلى مكة، وجاءني بخبر النبي، قلت: فما يقول الناس، قال: يقولون. شاعر، ساحر، كاهن، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم. ولقد وضعت على أقرء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شاعر، وإنه لصادق. وإنهم لكاذبون<sup>(٤)</sup>.

وأخرج ابن هشام عن ابن شهاب الزهري: أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ابن هشام والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلى من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا. وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا... ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا تبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة واللّه لقد

٢. سورة هود: الآية ٤٤.

٤. الشفاء ج ١ ص ٢١٤.

١. الديوان ص ٣١٨.

٣. الرافعي ص ٢٣٧-٢٣٨.

سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأحنس وأنا والذي حلفت، قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، قال: يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكننا كفرسى رهان قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق، قال: فقام عنه الأحنس وتركه.

ويقول السيوطى في الإتيان: وقد أسلم جماعة عند سماع آية من القرآن، كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبى يقرأ في المغرب بالطور. قال: فلما بلغ هذه الآية: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله: «المصيطرون»<sup>(٢)</sup> كاد قلبى أن يطير، قال: وذلك أول ما قر الإسلام في قلبى.<sup>(٣)</sup>

وروى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: «فاصدع بما تؤمر» فسجد، وقال: سجدت لفصاحته<sup>(٤)</sup>، ومما يتصل بهذا ما يروى أن أعرابيا سمع آخر يقرأ: ﴿فلما استياسوا منه خلصوا نجيا﴾<sup>(٥)</sup>، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وروى أن عمر كان نائما في المسجد، فجاءه رجل من بطارقة الروم يحسن العربية فأسلم، وقال: سمعت رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من القرآن فتأملتها فإذا هى قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى من أحوال الدنيا والآخرة: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه﴾<sup>(٦)</sup> الآية<sup>(٧)</sup>.

وروى عن نصرانى أنه مر بقارىء، فوقف يبكى، فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجاء والنظم<sup>(٨)</sup>. وعن كعب: وهو من أهل الكتاب الذين أسلموا: عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة<sup>(٩)</sup>.

٢. سورة الطور الآية ٣٥-٣٧.

٤. ٢١٠ ج ١ الشفاء.

٦. سورة النور: الآية ٥٢.

٨. المرجع: ج ١ ص ٢٢١.

١. سورة الطور: الآية ٣٥.

٢. الإتيان وراجعه في ص ٢٣١ ج ١ الشفاء.

٥. سورة يوسف الآية ٨٠.

٧. الشفاء: ج ١ ص ٢٢١.

٩. المرجع: ج ١ ص ٢٣٥.



وروى عن الأصمعي أنه سمع كلام جارية، فقال لها: فانتك الله ما أفصحك، فقالت: أو بعد هذا فصاحة، بعد قول الله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ (١) الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبياناتين (٢) ولقد كان مسيلمة يعارض القرآن الكريم بخرافات وأقوال سخيفة، ذكر طرفا منها الباقلائي في كتابه، «إعجاز القرآن». وهي معارضات لا يمكن أن توزن بالقرآن في سموه وجلال إعجازه بأية حال، وقد أصيب مسيلمة بالخزي والذل والهوان أمام نفسه وعند الناس.

ويقول صاحب الشفاء: روى أن ابن المقفع طلب معارضة القرآن، ورامه وشرع فيه: فمر بصبي يقرأ: ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾ (٣)، فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل وقته. وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه، فحكى أنه رام شيئا من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها. قال: فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة. (٤)

ويتهمون المتنبي والمعري وغيرهما بمعارضة القرآن الكريم، وهذا لم يصح عن أحد منهم.

وما روى من آثار معارضة القرآن لا يوافق ذوق على وضعه في كفة واحدة مع القرآن الكريم، ويقول الدكتور طه حسين: نستطيع أن نطمئن إلى أن القرآن لم يجد له مقلدا، ولم يجد له تلميذا. هو واحد في باب، لم يسبق ولم يلحق بها يشبهه (٥).

ويقولون: إن أمية قد وقعت منه في شعره عدة معارضات للقرآن الكريم. وحاش لله أن يوزن شعر أمية الديني الذي نظمته بعد بعثة الرسول ببلاعة القرآن الكريم، ولقد نظم أمية قصصا دينية كثيرة، كقصص مريم، وقصة إبراهيم ونوح وغيرهم: ولكن أين هذه القصائد من هذا الإعجاز وذلك السحر القرآني العظيم، والكونيات في شعر أمية والأساطير وقصص خلق العالم، وقصص الأنبياء، كل ذلك لا يقبل ذوق أن يعده معارضة للقرآن،

١. سورة القصص: الآية ٧.

٢. المرجع: ج ١ ص ٢٢١.

٣. سورة هود: الآية ٤٤.

٤. الشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ٢٣٢ طبعة ١٣١٢.

٥. حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين ص ٣٢.

وأبن الثريا من الثرى كما يقولون؟

وفي شعر أمية يبدو تأثيره الواضح أحيانا ببلاغة القرآن ومعانيه وأساليبه ، كما تجده في هذه الأبيات :

يعلم الجهر والكلام الخفيا	عند ذى العرش يعرضون عليه
إنه كان وعده مأتيا	يوم نأتيه وهو رب رحيم
لم يذر فيه راشدا وغويا	يوم نأتيه مثل ما قال فردا
أم مهان بما كسبت شقيا	أسعيد سعادة أنا أرجو
ركتابا حتمته مقضيا <sup>(١)</sup>	رب كلا حتمته وارد النا

٥١٣

١. تفسير القرآن الحكيم ج ١ ص ٥٠-٥٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## وجوه إعجاز القرآن

قال الماوردي: «فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه:

أحدها: أن وجه إعجازه، هو الإعجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(١)</sup> فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير.

والثاني: أن وجه إعجازه، هو البيان والفصاحة، التي عجز عنها الفصحاء، وقصر فيها البلغاء، كالذي حكاه أبو عبيد<sup>(٢)</sup>: أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾<sup>(٣)</sup> فسجد، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام، وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنِّي خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾<sup>(٤)</sup> فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وحكى الأصمعي<sup>(٥)</sup> قال: رأيت بالبادية جارية خماسية أو سداسية وهي تقول:

- 
١. سورة البقرة: الآية ١٧٩.
  ٢. هو أبو عبيد التامم بن سلام، محدث، مقري، فقيه. أخذ عن أبي زيد الأنصاري ومعلمين المشقي، والفراء والأصمعي وغيرهم. توفي سنة ٢٢٢ هـ. أنظر: -
  - المنهج الأمدج ١ ص ٣٦. تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٠٣. معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٥٤. طبقات القراء لابن الجوزي ج ٢ ص ١٧.
  ٣. سورة الحجر: الآية ٩٤.
  ٤. سورة يوسف: الآية ٨٠.
  ٥. هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد، أديب، لغوي، أصولي من أهل البصرة. قدم بغداد ع

أَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لِدُنْيِي كُلِّهِ  
فَتَلَّتْ إِنْسَانًا لَغَيْرِ حِلِّهِ  
مَثَلٌ غَزَالٍ نَاعِمٍ فِي ذَلِّهِ  
فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَصْلِهِ

فقلت لها: فانتك الله ما أفصحك، فقالت: أتعدُّ فصاحةً بعد قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup> فجمع في آية واحدة، بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وإنشاءين.

والثالث: أن وجه إعجازه، هو الوصف الذي تنقضي به العادة، حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب، من النظم والنثر، والخطب، والشعر، والرجز، والسجع، والمزدوج، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها، مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، ومستعمله في نظمهم ونثرهم.

حكى أن ابن المقفع<sup>(٢)</sup> طلب أن يعارض القرآن، فنظم كلاماً وجعله مفصلاً، وسماه سوراً، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْبِلِي وَهِيضِ الْمَاءَ وَنَقْضِي الْأَمْرَ وَاسْتَوْتِ عَلَيَّ الْجُودِيَّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فرجع، ومحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً، وما هو من كلام البشر، وكان فصيح أهل عصره.

والرابع: أن وجه إعجازه، هو أن قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيد حلاوة في النفوس، وميلاً إلى القلوب، وغيره من الكلام، وإن كان مستحسن النظم، يستعذب النثر، يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردّد.

والخامس: أن وجه إعجازه، هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه، أو لم يعلموه، فإذا

⇒ في أيام هارون، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ. له تصانيف كثيرة منها: المذكر والمؤنث، نوادر الأعراب. أنظر: - التاريخ الكبير ج ٢ ص ٢٧٧. تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٢٧٣. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٢ النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٩٠.

٢. هو عبدالله بن المقفع. كاتب، شاعر، وأحد الثقل من اللسان الفارسي إلى العربي وهو فارسي الأصل نشأ بالبصرة واتهم بالزندقة لقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية. من آثاره: الأدب الصغير، الدرر البيضة، والجمهرة المشينة في طاعة السلطان. أنظر: - سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٢٢. لسان الميزان ج ٣ ص ٣٦٦. البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٦ معجم المؤلفين ج ٦ ص ١٥٦.

٣. سورة هود: الآية ٤٤.

سألوا عنه ، عرفوا صحته ، وتحققوا صدقه ، كالذي حكاه من قصة أهل الكهف ، وشأن موسى والخضر ، وحال ذي القرنين ، وقصص الأنبياء مع أممها ، والقرون الماضية في دهرها .

والسادس : أن وجه إعجازه ، هو ما فيه من علم الغيب ، والإخبار بما يكون ، فيوجد صدقه وصحته ، مثل قوله لليهود : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ حِذِّ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ثم قال : ﴿ وَلَنْ يَسْتَمْنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> فامتناه واحد منهم ، ومثل قوله تعالى : لقريش : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾<sup>(٣)</sup> فقطع بأنهم لا يفعلون ، فلم يفعلوا .

والسابع : أن وجه إعجازه ، هو كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلتها ، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها ، ولا يحيط بهامن علماء الأمم واحد ، ولا يشتمل عليها كتاب ، قال تعالى : ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٤)</sup> وقال : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال النبي ﷺ : « فِيهِ خَبْرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَتَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ ضَلَّ »<sup>(٦)</sup> وهذا لا يكون إلا عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً .

- |                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| ١. سورة البقرة: الآية ٩٤. | ٢. سورة البقرة: الآية ٩٥.  |
| ٣. سورة البقرة: الآية ٢٤. | ٤. سورة الانعام: الآية ٣٨. |
| ٥. سورة النحل: الآية ٨٩.  |                            |

٦. جزء من حديث طويل رواه الترمذي ٣٠٧٠ والدارمي ج ٢ ص ٤٣٥ وابن جرير الطبري في التفسير ج ١ ص ١٧١ وابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير ج ١ ص ٢٧ وابن أبي شيبه وابن الأنباري في المساحف والبسقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور ج ١ ص ١٥ وضعفه الترمذي بقوله : هذا حديث إسناده مجهول لجهالة أبي المختار الطائي اهـ .

وفي سنده أيضاً ابن أخي الحارث الأعور وهو مجهول أيضاً . وأشار الحافظ الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٢٨٠ في ترجمة أبي المختار الطائي إلى ضعف الحديث فقال : « وحدثه في فضائل القرآن منكر » . وقال الحافظ ابن كثير في كتابه فضائل القرآن ص ١٤ ، ١٥ بعد أن نقل عن الترمذي تضعفه للحديث : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبريه حمزة من عهده على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام القراءة والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تعدد الكذب في الحديث فلا . وقصاري هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح اهـ .

قال الشيخ أحمد شاكر : ورواية ابن اسحق التي أشار إليها ابن كثير هي حديث أخرجه أحمد في المسند برقم ٥٦٥ هـ

والثامن: أن إعجازه هو الصرفة<sup>(١)</sup>، وهو أن الله تعالى صرف همهم عن معارضة مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله، فلم تحركهم أنفة التحدي، فصبروا على نقص العجز، فلم يعارضوه، وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطاله، وبذل نفوسهم في قتاله، فصار بذلك معجزاً لخروجه العادة كخروج سائر المعجزات عنها.

واختلف من قال بهذه الصرفة على وجهين:

أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا للعجزوا عنه.

والثاني: أنهم صرفوا عن التعرض له، مع كونه في قدرتهم ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه.

فهذه ثمانية أوجه، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً، فإذا جمعها القرآن وليس اختصاصاً أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره، صار إعجازه من الأوجه الثمانية، فكان أبلغ في الإعجاز، وأبدع في الفصاحة والإيجاز<sup>(٢)</sup>.

قال الراغب: «.. وهذه الجملة المذكورة، وإن كانت دالة على كون القرآن معجزاً، فليس بمقنع إلا بتبيين فصلين:

أحدهما: أن يبين ما الذي هو معجز: اللفظ أم<sup>(٣)</sup> المعنى أم النظم؟ أم ثلاثتها؟ فإن كل كلام منظوم مشتمل على هذه الثلاثة.

والثاني: أن المعجز: هو ما كان نوعه غير داخل تحت الإمكان، كإحياء الموتى وإبداع الأجسام.

→ عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق وقد ضعفنا إسناده هناك بالمحارث الأعور وابتطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب اه. تخريج الطبري ج ١ ص ١٧٢.

أقول: وبما يؤيد الاحتمال الذي ذكره المحافظ ابن كثير أن الإمام الطبري قد رواه موقوفاً عن علي بن أبي طالب من طريق أبي المنذر الطائي عن المحارث الأعور عن علي ج ١ ص ١٧٣ وقد ضعف الحديث كل من الشيخ الألباني في المشكاة ج ١ ص ٦٦٠ والشيخ أحمد شاكر بقوله إسناده ضعيف جداً تخريج الطبري ج ١ ص ١٧٢.

فائدة: استوفى الإمام الدارقطني رحمه الله جميع طرق الحديث والكلام على علته في كتابه القيم العلل فانظره هناك ج ٣ ص ١٤٠ وما بعدها.

١. وهذا الوجه ضعفه ابن تيمية ووصفه بأنه أضعف الأقوال وهو قول أهل الكلام وقد رد هذا الوجه أيضاً الخطابي.

راجع الدقائق ج ١ ص ١٥٥، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي ص ٢١.

٢. التكت والعيون ج ١ ص ٣٠-٣٣.

٣. في نسخة: أو.

فأما ما كان نوعه مقدوراً، فمحلّه محلّ الأفضّل [ (وما كان من باب الأفضّل) ] في النوع فإنه لا يحسم نسبة مادونه إليه. وإن تباعدت النسبية حتى صارت <sup>(١)</sup> جزءاً من ألف، فإن النجار المحاذق وإن لم يبلغ شأوه لا يكون معجزاً إذا استطاع غيره جنس فعله، فنقول وبالله التوفيق:

إن الإعجاز في <sup>(٢)</sup> القرآن على وجهين: أحدهما: إعجاز متعلق بفصاحته، والثاني: بصرف الناس عن معارضته <sup>(٣)</sup>:

فأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة: فليس يتعلق ذلك بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، وذلك أن ألفاظه ألفاظهم، ولذلك قال تعالى: ﴿قرآناً هريماً﴾ <sup>(٤)</sup> وقال: ﴿آلم ذلك الكتاب﴾ <sup>(٥)</sup> تنبيهاً أن هذا الكتاب مركب من هذه الحروف التي هي

١. في نسخة: صار. ٢. في نسخة: استعمله.

٣. يقول ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح» ج ٤ ص ٧٥: «ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المتعصّي التأم أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله تعالى لزرعياً: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليلال سوياً﴾ فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتزويل، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم - جميعهم - عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الحارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني أخذ أسوأ جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكروا إلى الله أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم مع ذلك من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الحارقة للعادة. ولو قدر أن واحداً صنّف كتاباً يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً يقدر أن يقولوا مثله، وتمحدهم كلهم فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني، فأنتم كفار مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه كان هذا من العجائب الحارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار وقد أبيع لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم، وغيضة أموالهم، ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعني كان من أشق الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله. وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله. فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين: فإن كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أن كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كاحداث غير المعتاد.

فهذا من أبلغ الحوارق، وإن كانوا عاجزين ثبت أنه خارق للعادة على تقدير التقيض النسبي والإثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر. فهذا غاية التنزل...﴾

٥. سورة البقرة: الآية ١.

٤. سورة يوسف: الآية ٢.



مادة الكلام .

ولا يتعلّق أيضاً بمعانيه ، فإن كثيراً منها موجود في [ الكتب المتقدمة <sup>(١)</sup> ] ولذلك قال تعالى : ﴿ وإنه لفسى زبير الأولين ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال : ﴿ أو لم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى ﴾ <sup>(٣)</sup> . وما هو معجز <sup>(٤)</sup> فيه من جهة المعنى ، كالإخبار بالغيب ، فإعجازه ليس يرجع إلى القرآن بما هو قرآن ، بل هو لكونه خبراً بالغيب ، وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره ، وسواء كان مورداً بالفارسية أو بالعربية أو بلغة أخرى ، أو بإشارة أو بعبارة . فإذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرآناً ، كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعراً ، والخطبة خطبة .

فالنظم صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره ، وباختلاف الصور <sup>(٥)</sup> يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره ، كالتخاتم والقرط والخلخال اختلفت أحكامها وأسمائها باختلاف صورها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة . فإذا ثبت هذا ثبت أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص .

وبيان كونه معجزاً هو أن نبين نظم الكلام ، ثم نبين أن هذا النظم مخالف لنظم سائره فنقول : لتأليف الكلام خمس مراتب :

الأول : [ نظم : وهو ] ضم حروف التهجي بعضها إلى بعض ، حتى تتركب منها الكلمات الثلاث : الاسم والفعل والحرف .

والثانية : أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى تتركب منها الجمل المفيدة ، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم ، وقضاء حوائجهم ، ويقال له : المستور من الكلام .

والثالثة : أن يضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مبادٍ <sup>(٦)</sup> ومقاطع ومداخل ومخارج ، ويقال له : المنظوم .

٢ . سورة الشعراء : الآية ١٩٦ .

٤ . في نسخة : بجمعز .

٦ . في نسخة : مبادي .

١ . في نسخة : كتب المتقدمين .

٣ . سورة طه : الآية ١٣٣ .

٥ . في نسخة : الصورة .

والرابعة: ان يجعل [ له ] في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المسجع .  
والخامسة: ان يجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له: الشعر . وقد انتهى .  
وبالخط صار كذلك: فإن الكلام إما منشور فقط، أو مع الشتر نظم، أو مع النظم سجع،  
أو مع السجع وزن .

والمنظوم: إما محاوره، ويقال له<sup>(١)</sup>: الخطابة، أو مكاتبة، ويقال لها: الرسالة، وأنواع  
الكلام لا تخرج عن هذه الجملة . ولكل من ذلك نظم مخصوص .

والقرآن حاو لمحاسن جميعها بنظم ليس هو نظم شيء منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال:  
القرآن رسالة، أو خطابة، أو شعر، كما يصح أن يقال: هو كلام، ومن قرع سمعه فصل  
بينه وبين سائره النظم . ولهذا قال تعالى: ﴿وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه﴾<sup>(٢)</sup> تنبيهاً أن تأليفه ليس [ على ] هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يزداد فيه  
كحال الكتب الأخر .

فإن قيل: ولم لم [ يبلغ بنظم ]<sup>(٣)</sup> القرآن الوزن الذي هو الشعر، وقد علم أن للموزون  
من الكلام [ مرتبة أعلى ]<sup>(٤)</sup> من مرتبة المنظوم غير الموزون، إذ كل موزون منظوم وليس  
كل منظوم موزوناً؟

قيل: إنما جنب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصية<sup>(٥)</sup> في الشعر منافية للحكمة الإلهية،  
فإن<sup>(٦)</sup> القرآن [ هو ] مقر الصدق، ومعدن الحق . وقصوى الشاعر: تصوير الباطل في  
صورة الحق، وتجاوز الحد في المدح والذم دون استعمال الحق في تحزّي الصدق، حتى  
إن الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق إلا بالعرض . ولهذا يقال: من كانت قوته  
الخيالية فيه أكثر كان على قرض الشعر أقدر . ومن كانت قوته العاقلة فيه أكثر كان في قرضه  
أقصر . ولأجل كون الشعر مقرّ الكذب، نزّه الله نبيه ﷺ عنه لما كان مرشحاً لصدق المقال،  
وواسطة بين الله وبين العباد، فقال تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾<sup>(٧)</sup> فنفي ابتغاه

٢. سورة فصلت: الآية ٤١-٤٢ .

٤. في نسخة: أعلى مرتبة .

٦. في نسخة: وهو أن .

١. في نسخة: لها .

٣. في نسخة: يتبع نظم .

٥. في نسخة: بمخاصية

٧. سورة يس: الآية ٦٩ .

له. وقال: ﴿وما هو بقول شاعر﴾<sup>(١)</sup> أي: ليس بقول كاذب. ولم يعن أن ذلك ليس بشعر فإن وزن الشعر أظهر من أن يشبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفى عنه. ولأجل شهرة الشعر بالكذب، سئى أصحاب البراهين الاقيسة المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية، وما وقع في القرآن من ألفاظ متزنة فذلك بحسب ما يقع في الكلام على سبيل العرض بالاتفاق وقد تكلم الناس فيه.

وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته: فظاهر أيضاً إذا اعتبر، وذلك أنه مامن صناعة ولا فعلة من الأفعال محمودة كانت أو مذمومة، الا وبينها وبين قوم مناسبات خفية، واتفاقات إلهية، بدلالة أن الواحد<sup>(٢)</sup> يؤثر حرفه من الحرف فينشرح<sup>(٣)</sup> صدره بملاستها، وتطعيه قواه في مزاولتها فيقبلها بانساع قلب، ويتعاطاها بانسراح صدر. وقد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾<sup>(٤)</sup>، وقول النبي ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»<sup>(٥)</sup>.

فلما رئي<sup>(٦)</sup> أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل واد من المعاني بسلاطة ألسنتهم، وقد دعا الله جماعتهم الى معارضة القرآن، وعجزهم عن الاتيان بمثله، وليس تهتر غرائزهم البتة<sup>(٧)</sup> للتصدي لمعارضته لم يخف على ذي لب أن صارفاً الهياً يصرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن تكون<sup>(٨)</sup> كافة البلغاء مخيرة في الظاهر أن يعارضوه، ومجبرة في الباطن عن ذلك. وما أيقهم بانشاد ما قال أبو تمام:

فَإِنْ نَكَ أَمْعِلْنَا فَاصْعِفْ بِسَعِينَا      وَإِنْ نَكَ أَجْبِرْنَا فَيَمِمْ نَسْتَعْتِجْ<sup>(٩)</sup>

١. سورة الحاقة: الآية ٤١.
٢. في نسخة: الواحد فالواحد.
٣. في نسخة: لينشرح
٤. سورة المائدة: الآية ٤٨.
٥. الحديث في البخاري: كتاب التفسير «تفسير سورة والليل إذا يفتي» ، وكتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، وكتاب الأدب: باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، وكتاب القدر: باب «وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: «ولقد يسرنا القرآن للذكر» ، ورواه مسلم في القدر برقم (٢٦٤٧) وأبو داود برقم (٤٦٩٤) والترمذي برقم (٢١٣٧) و(٣٣٤١).
٦. في نسخة: روى.
٧. في نسخة: لن.
٨. في نسخة: يكون
٩. البيت في الديوان: ج ٢ ص ٣٢٥ - طبعة دار المعارف - وقد قال الخطيب التبريزي في شرحه: «يقول: أن خلائنا والدنيا لينال كل منها بقدر طاقته وسعيه، فما أضعف سعينا وأخلق بأن لاننال منه شيئاً. وإن نك أجبرنا على ما نحن فيه من الغنى والفقير. فقيم نهذي ونردد في الكلام؟! «والتعنتة»: ترديد الكلام.

والله ولى التوفيق [والعصمة] <sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية في نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن :

اختلف الناس في إعجاز القرآن ، بم هو ؟ فقال قوم : إن التحدى وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وإن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق وفيه وقع عجزها . وقال قوم : إن التحدى وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة والغيوب المسدودة . وهذان القولان : إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه ، وأما من هو في ظلمة كفره ، فإنما يتحدى فيما يتبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه وأن البشر لا يأتي بمثله ويتحقق مجيئه من قبل المتحدى .

فكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن وصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ فإذا تحدت بمثل ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به ، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده . وهذا <sup>(٢)</sup> هو القول الذي عليه الجمهور والحدائق ، وهو الصحيح في نفسه : أن التحدى إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء ، علما وأحاط بالكلام كله علما ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن قط محيطا ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النظر <sup>(٣)</sup> يبطل قول من قال : « إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه » .

والصحيح : أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينتقها حولها كاملا ، ثم تعطى لأحد نظيره فيأخذها بقريحة جامئة فيبدل فيها وينقح ، ثم

١. جامع التفاسير ج ١ ص ١٠٤-١٠٩ .

٢. انظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٧ .

٣. وفي نسخة «النطق» .

لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل . وكتاب الله لو نزعَت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد ، ونحن نبيِّن لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وميز الكلام .

ألا ترى ميز الجارية نفس الأعشى ، وميز الفرزدق نفس جرير من نفس ذى الرِّمة ، ونظر الأعرابي في قوله : عزَّ فحكَّم فقطع <sup>(١)</sup> . إلى كثير من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً . فصورة قيام الحجَّة بالقرآن على العرب : أنه لما جاء محمد ﷺ به وقال : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال كل فصيح في نفسه : وما بال هذا الكلام حتى لا أتى بمثله ؟ فلما تأمله وتدبره ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال : والله ما هو بالشعر ، ولا هو بالكهانة ولا بالجنون . وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا قدرة لبشر على مثله ، فصَحَّ عنده أنه من عند الله . فمنهم من آمن وأذعن ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره ؛ ففرَّ إلى القتال ورضى بسفك الدم عجزاً عن المعارضة حتى أظهر الله دينه ودخل جميعهم فيه ، ولم يمت رسول الله ﷺ وفي الأرض قليل من العرب يعلن كفره <sup>(٣)</sup> .

قال ابن تيمية :

والقرآن نفسه هو قول الله ، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ، وإنزاله على محمد ﷺ ، وإتيان محمد به هو آية وبرهان ، وذلك من فعل الله ، إذ كان البشر لا يقدرُونَ على مثله ، ولا يقدر عليه أحد من الأنبياء ، ولا الأولياء ولا السحرة ولا غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ <sup>(٤)</sup> ومحمد ﷺ أخبر بهذا في أول أمره ، إذ كانت هذه الآية في سورة «سبحان» وهي مكية ، صدرها بذكر الإسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس . وقد أخبر خبراً وأكدته بالقسم عن جميع الثقليين ، إنهم وجاهنم ، أنهم إذا اجتمعوا على

١ . سمع أعرابي قارئاً يقرأ : فاطعوا أيديها جزاء بما كسبت نكالاً من الله والله غفور رحيم . فقال : ما هذا ؟ فقيل له : قرآن . فقال : ما هذا بقرآن فتنه القارئ . فقال : «والله عزيز حكيم» . فقال الأعرابي : عزَّ فحكَّم فقطع . انظر

٢ . سورة البقرة : الآية ٢٣ .

مقدمتان في علوم القرآن ٢٧٩ .

٤ . سورة الاسراء : الآية ٨٨ .

٣ . المحرر الوجيز ج ١ ص ٧١ - ٧٣ .

أن يأتيوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته .  
ومنها: إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة ، بأنهم  
لا يفعلون هذا ، بل يعجزون عنه .

وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك ، إذ لو  
كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر ، فيفسد عليه ما قصده ، وهذا  
لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الأمم ، المؤمن بمحمد والكافر به ، على كمال عقله ومعرفته  
وخبرته ، إذ ساس العالم سياسة لم يسسهم أحد بمثلها ، ثم جعله هذا في القرآن المتلو  
المحفوظ إلى يوم القيامة ، الذي يقرأ به في الصلوات ، وسمعه العام والخاص ، والولى  
والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر ، وإلا لو كان شاكاً في ذلك ، لخاف أن يظهر  
كذبه عند خلق كثير ، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه ، وهذا لا يفعله من يقصد أن يصدق  
الناس ، فمن يصدق الناس ، لا يقول مثل هذا ويظهره هذا الإظهار ويشيعه هذه الإشاعة ،  
وقصد أن يخلده هذا التخليد ، إلا وهو جازم عند نفسه بصدق .

ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق ، إذ علم  
العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة ، هو من أعظم دلائل كونه معجزاً وكونه  
آية على نبوته ، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر عند من سمع هذا الكلام ، وعلم أنه من  
القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق وهو - وحده - كاف في العلم بأن القرآن معجز .  
دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز ، مثل عجز جميع الأمم عن  
معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم  
عدم القدرة .

فلما كانت دواعى العرب وغيرهم على المعارضة تامة ، وانتفت المعارضة ، علم عجز  
جميع الأمم عن معارضته ، وهذا برهان بين يعلم به صدق هذا الخبر ، وصدق هذا الخبر  
آية لنبوته ، غير العلم بأن القرآن معجز ، فذلك آية مستقلة لنبوته ، وهي آية ظاهرة باقية  
إلى آخر الدهر ، معلومة لكل أحد ، وهي من أعظم الآيات ، فإن كونه معجزاً يعلم بأدلة  
متعددة ، والإعجاز فيه من وجوه متعددة ، فتنوعت دلائل إعجازه وتنوعت وجوه إعجازه ،

وكل وجه من الوجوه فهو دليل إعجازه ، وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوْ لَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> فهو كافٍ في الدعوة والبيان ، وهو كافٍ في الحجج والبرهان ....

والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له ، من وجوه ، جملة وتفصيلاً .

اما الجملة : فانه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم ، علماً متواتراً أنه هو الذي أتى به القرآن وتواترت بذلك الأخبار ، أعظم من تواترها بحق كل احد من الانبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم .

### تحدى أهل مكة :

والقرآن نفسه ، فيه تحدى الأمم بالمعارضة ، والمتحدى هو أن يحدوهم - أي يدعوهم ويبعثهم - إلى أن يعارضوه .

فيقال فيه : حداني على هذا الأمر - أي بعثني عليه - ومنه سمي حادى العيس ، لأنه يحدها يبعثها على السير .

وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة ، ولكن أصله الأول ، قال تعالى في سورة الطور : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> فهنا قال : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ، في أنه تقوله ، فإنه إذا كان محمد قادراً على أن يتقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر ، كان هذا ممكناً للناس ، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله .

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْهَبَا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاذْهَبَا

٢. سورة الطور: الآية ٢٣-٢٤ .

١. سورة العنكبوت - الآية ٥١ ، ٥٠ .

٣. سورة هود: الآية ١٣ .

مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة ، هم ومن استطاعوا قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٢) وهذا أصل دعوته وهو الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ كمال قال : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكفى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (٣) ، أي : هو يعلم أنه منزل ، لا يعلم أنه مفترى ، كما قال : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي : ما كان لأن يفترى ، يقول : ما كان ليفعل هذا ، فلم ينف مجرد فعله ، بل نفى احتمال فعله ، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع بل يمتنع وقوعه ، فيكون المعنى : ما يمكن ، ولا يحتمل ، ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله ، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق ، والمخلوق لا يقدر على ذلك ، وهذا التحدى كان بمكة ، فإن هذه السور مكية ، سور يونس ، وهود ، والطور .

### تحدى أهل المدينة :

ثم أعاد التحدى في المدينة بعد الهجرة ، فقال في «البقرة» وهي سورة مدنية ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُهِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٤) ، فذكر أمرين :

أحدهما : قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ يقول : إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه ، فيحقيق بكم العذاب الذي وعد به المكذابين ، هذا دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة ، وهو جدالهم بالتي هي أحسن .  
والثاني : قوله : «ولن تفعلوا» و«لن» لنفى المستقبل ، فثبت بالخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لا يأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك وأمره أن يقول في سورة «سبحان» وهي سورة مكية افتتحها بذكر الإسراء ، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر ،

١. سورة يونس : الآية ٣٧-٣٨ .

٢. سورة هود : الآية ١٤ .

٣. سورة البقرة : الآية ٢٣-٢٤ .

٤. سورة النساء : الآية ١٦٦ .



وذكر فيها من مخاطبة للكفار بمكة، ما يبين ذلك بقوله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾<sup>(١)</sup> فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم، لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدى والدعاء، هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إيصال قوله، مجتهدين بكل طريق يمكن.

تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين كما تقدم.

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه، وصاروا يضربون له الأمثال، فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما، مع ظهور الفرق.

فتارة يقولون: مجنون. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: شاعر. إلى أمثال ذلك من الأقوال، التي يعلمونها، هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة، مرة بعد مرة. وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها، لفعلوها، فإنه - مع وجود هذا الداعي التام المؤكد - إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر، يوجب علماً بيئاً لكل أحد يعجز عن جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فان هذا لم يأت أحد بنظيره.

### وجه إعجاز القرآن :

وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط،

ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط .

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك .

ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي . وعن الغيب المستقبل .  
ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من دلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآناً هريماً غير ذي عوج لعلمهم يتقون ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ...

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة، وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام، أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله تعالى لذكريا: ﴿ آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويماً ﴾<sup>(٤)</sup>، فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم - جميعهم - عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة - من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني أخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله، أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم - مع ذلك - من يشتكى، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة .

ولو قدر أن واحداً صنّف كتاباً، يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً، يقدر أن

٢. سورة الإسراء: الآية ٨٩.

٤. سورة مريم: الآية ١٠.

١. سورة الكهف: الآية ٥٤.

٣. سورة الزمر: الآية ٢٧ - ٢٨.

يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لى حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه، كان هذا من المعجائب الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن، قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً، ومن آمن بي، دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي، دخل النار، وقد أبيع لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم -كلهم- طاعتي ومن لم يطعني، كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله. فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين.

فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد. فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقاً للعادة على تقدير التقيضين، النفي والإثبات، فثبت أنه من المعجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر. فهذا غاية التنزيل، وإلا فالصواب المقطوع به، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدر على ذلك، ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه، على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر، كما قد أخبر في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾<sup>(١)</sup>.

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، ولكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه. وقد انتدب غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق

ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلم الكذاب ، كقوله «يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء ، وذنبك في الطين» .

وكذلك أيضاً يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه ، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه .

وأيضاً فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له ، أنه كان قصده أن يصدقه الناس لا يكذبه ، وكان - مع ذلك - من أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما جاء به ، ينال مقصوده ، سواء قيل : إنه صادق أو كاذب ، فإن من دعا الناس إلى مثل هذا الأمر العظيم ، ولم يزل حتى استجابوا له طوعاً وكرهاً ، وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الإبتشار ، هو من عظماء الرجال على أى حال كان . فإقدامه - مع هذا القصد - في أول الأمر وهو بمكة وأتباعه قليل على أن يقول خبراً ، يقطع به أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، لا في ذلك العصر ، ولا في سائر الأعصار المتأخرة ، لا يكون إلا مع جزمه بذلك ، وتيقنه له ، وإلا ، فمع الشك والظن ، لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح ، فيرجع الناس عن تصديقه .

وإذا كان جازماً بذلك ، متيقناً له ، لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله له بذلك . وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدر أن يأتوا بمثل كلامه ، إلا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر . والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً ، فإننا نعلم ذلك ، وإن يكن علمنا بذلك خارقاً للعادة ، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم ، وإلا كان العلم جهلاً ، فثبت أنه - على كل تقدير - يستلزم كونه خارقاً للعادة .

ولو قال مفتر : بل أنا أقول الذي أخبر بهذه الغيوب وأتى بهذه العجائب ، كان جاهلاً أخرق ، ولا يدري ما يقول وقيل له .

فهذا أبلغ في الإعجاز وخرق العادة أن يكون مجنوناً ، قد أتى بهذه الغيوب والعجائب

التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين .

### الدليل التفصيلي: (١)

وأما التفصيل، فيقال: نفس نظم القرآن وأسلوبه، عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الرسائل، ولا الخطابة، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس، عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا، عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل، يعرفه من له نظر وتدبر .

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي .

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة، والعرش، والكرسي، والجن، وخلق آدم وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن، من الدين، والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبينه من الدلائل هو أيضاً كذلك .

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية، والخلقية، والسياسية، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الالهية، التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء، تفاوتاً عظيماً، ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت، أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم .

فالإعجاز في معناه، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم - عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه .

وما في التوراة والإنجيل، لو قدر أنه مثل القرآن، لا يقدح في المقصود، فإن تلك كتب الله أيضاً، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن، لا في الحقيقة، ولا في الكيفية ولا في الكمية؟! بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن، وتدبر الكتب .

وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ، ظهر له إعجازه من هذا الوجه .  
ومن لم يظهر له ذلك ، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله ، كعجز جميع الخلق  
عن الإتيان بمثله مع تحدى النبي وإخباره بمعجزهم ، فإن هذا أمر ظاهر لكل  
أحد (١) .

قال القرطبي : « وجوه إيجاز القرآن الكريم عشرة :

منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها ، لأن نظمه  
ليس من نظم الشعر في شيء ، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَا الشُّعْرَ  
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (٢) . وفي صحيح مسلم أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر : لقيت رجلاً بمكة  
على دينك يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ،  
ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء ، قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة ، فما هو بقولهم ،  
ولقد وضعت قوله على أقرام (٣) الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر ، والله إنه  
لصادق وإنهم لكاذبون . وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه  
رسول الله ﷺ : « حم » فصّلت ، على ما يأتي بيانه هناك (٤) ، فإذا اعترف عتبة على موضعه  
من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة ، بأنه ما سمع مثل القرآن قط ، كان في هذا القول  
مُقرراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع  
أجناس القول وأنواعه .

ومنها : الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب .

ومنها : الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال ، وتأمل ذلك في سورة ﴿ ق وَالْقُرْآنِ  
الْمَجِيدِ ﴾ (٥) إلى آخرها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٦) إلى آخر  
السورة ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٧) إلى آخر  
السورة . قال ابن الحصار : فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق ، علم أن مثل هذه

١. دقائق الضمير : ج ١ ص ١٣٤ - ١٥٣ .

٢. أقرام الشعر : أنواعه وطرقه وبجوره وأماؤه .

٣. سورة ق : الآية ١ .

٤. سورة إبراهيم : الآية ٤٢ .

٥. سورة يس : الآية ٦٩ .

٦. راجع الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٣٣٧ .

٧. سورة الزمر : الآية ٦٧ .

الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾<sup>(١)</sup>، ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدى والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غير أن ينضاف إليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قصار، وهي أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن مَعَيَّنَيْنِ: أحدهما - الإخبار عن الكوثر وعظمه وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل. والثاني - الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً . وَبَيْنَ شُهُوداً . وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيداً﴾<sup>(٣)</sup> ثم أهلك الله - سبحانه - ماله وولده، وأنقطع نسله.

ومنها: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابتها في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

ومنها: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يُتَلَوُ من قبله من كتاب، ولا يخطه يمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء من أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحذوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم - وهو أمي من أمة أمية، ليس لها بذلك علم - بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه.

قال القاضي ابن الطيب: - ونحن نعلم ضرورة - أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملبساً لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي.

٢. سورة الرعد: الآية ١٣.

١. سورة غافر: الآية ١٦.

٣. سورة الذر: الآية ١١ - ١٤.

ومنها: الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله ﷺ، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(٣)</sup> و﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وشبه ذلك.

ومنها: الإخبار عن المعجيات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه ﷺ أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾<sup>(٥)</sup> الآية. ففعل ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليشقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجاح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، ويراً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾<sup>(٦)</sup> وقال: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup>. وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> وقال: ﴿آلَمَ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾<sup>(٩)</sup>. فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه.

ومنها: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

ومنها: الحكيم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

ومنها: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، قال الله تعالى:

- |                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| ١. سورة الطلاق: الآية ٣. | ٢. سورة التناين: الآية ١١. |
| ٢. سورة الطلاق: الآية ٢. | ٤. سورة الانفال: الآية ٦٩. |
| ٥. سورة الفتح: الآية ٢٨. | ٦. سورة التور: الآية ٥٥.   |
| ٧. سورة الفتح: الآية ٢٧. | ٨. سورة الاحفال: الآية ٧.  |
| ٩. سورة الروم: الآية ١.  |                            |



﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١).

قلت : فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم ، ووجه حادى عشر قاله النظام وبعض القدرية : أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته ، والصرقة عند التحدى بمثله . وأن المنع والصرقة هو المعجزة دون ذات القرآن ، وذلك أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله . وهذا فاسد ، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز ، فلو قلنا: إن المنع والصرقة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً ، وذلك خلاف الإجماع ، وإذا كان كذلك عُلم أن نفس القرآن هو المعجز ، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة ، وإذا لم يوجد قط كلام على هذا الوجه ، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم ، دل على أن المنع والصرقة لم يكن معجزاً . واختلف من قال بهذه الصرقة على قولين : أحدهما : أنهم صرّفوا عن القدرة عليه ، ولو تعرضوا له لعجزوا عنه . الثاني : أنهم صرّفوا عن التعرض له مع كونه في مقدورهم ، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه .

قال ابن عطية : «وجه التحدى في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه . ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فعلم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن تُشرأ لم يكن محيطاً قط ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة . وبهذا النظر يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها أن تأتى بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، فلما جاء محمد ﷺ صرّفوا عن ذلك ، وعجزوا عنه . والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ، ثم تعطى لآخر بعده فيأخذها بقريحة جامدة فيبدل فيها وينقح ، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل ، وكتاب الله تعالى لو نُزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن

منها لم يوجد.

ومن فصاحة القرآن أن الله تعالى جل ذكره، ذكر في آية واحدة أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (١) الآية. وكذلك فاتحة سورة المائدة: أمر بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم أستثنى أستثناء بعد أستثناء، ثم أخبر عن حكمته وقدرته، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وأنبأ سبحانه عن الموت، وجسرة القوت، والدار الآخرة ونوابها وعقابها، وفوز الفائزين، وتردى المجرمين، والتحذير من الأعتزاز بالدنيا، ووصفها بالقلّة بالإضافة إلى دار البقاء بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَأَنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْجُؤَرَ كَمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) الآية. وأنبأ أيضاً عن قصص الأولين والآخرين ومال المترفين، وعواقب المهلكين، في شطراية وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا هَلِيئَةً حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَهْرَقْنَا ﴾ (٣). وأنبأ جَلَّ وعز عن أمر السفينة وإجرائها وإهلاك الكفرة، وأستقرار السفينة وأستوائها، وتوجيه أوامر التسخير إلى الأرض والسماء بقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمَوْسَاهَا ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿ وَبَلَّ بَعْدُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) إلى غير ذلك.

فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت: إن النبي ﷺ تقوله، أنزل الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (٦). ثم أنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سَوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (٧). فما عجزوا حطهم عن هذا المقدار، إلى مثل سورة من السور القصار، فقال جل ذكره: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٨). فأفحموا عن الجواب، وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد، وأثروا سبى الحريم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً، وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً. هذا مع كونهم

٢. سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

٤. سورة هود: الآية ٤١.

٦. سورة الطور: الآية ٢٣-٢٤.

٨. سورة البقرة: الآية ٢٣.

١. سورة القصص: الآية ٧.

٣. سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

٥. سورة هود: الآية ٤٤.

٧. سورة هود: الآية ١٣.

أرباب البلاغة واللحن<sup>(١)</sup>، وعنهم تؤخذ الفصاحة واللسن<sup>(٢)</sup>.

فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإعجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة. هذا رسول الله ﷺ مع ما أوتي من جوامع الكلم، واختص به من غرائب الحكم، إذا تأملت قوله ﷺ في صفة الجنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن، وذلك في قوله ﷺ: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فأين ذلك من قوله عز وجل: ﴿ وَفِيهَا مَا تُشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(٤)</sup>. هذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً، على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال المتصرف، وضاق المقال على الفاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة على العرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى ﷺ على الأطباء، ومعجزة موسى ﷺ على السحرة، فإن الله سبحانه إنما جعل معجزات الأنبياء ﷺ بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في زمان موسى ﷺ قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطب في زمان عيسى ﷺ، والفصاحة في زمان محمد ﷺ<sup>(٥)</sup>.

قال ابن جزى: « في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل: » ويدل على ذلك عشرة أوجه؛ الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني: نظمها العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته.

الثالث: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبي ﷺ يعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالبارئ جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز

١. اللحن (بالتحريك): اللفظة واللغة.

٢. اللسن (بالتحريك): الفصاحة.

٣. سورة الزخرف: الآية ٧١.

٤. سورة السجدة: الآية ١٧.

٥. الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٧٢-٧٨.

عليه ، وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحى من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم .

السابع : ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم .

الثامن : كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان ، محروساً عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب .

التاسع : تيسيره للمحفظ وذلك معلوم بالمعاينة .

العاشر : كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة التردد ، بخلاف سائر الكلام<sup>(١)</sup> .

قال ابو حيان : « اختلفوا فيما به اعجاز القرآن ؛ فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانيتها وتوغل في معارف الآداب وقوانينها أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها ، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها ، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر ولا داخله تحت القدر ، ومن لم يدرك هذا المدرك ولا سلك هذا المسلك رأى أنه من نمط كلام العرب وان مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فاعجازه عنده انما هو بصرف الله تعالى اياهم عن معارضته ومنازلته وان كانوا قادرين على مماثلته ، والقائلون بأن الأعجاز وقع بالصرف هم من نقصان الفطرة الانسانية في رتبة بعض النساء ، حين رأت زوجها يظاً جارية فعاتبته فأخبر أنه ما وطنها ، فقالت له : ان كنت صادقاً فاقراً شيناً من القرآن فأنشدها بيت شعر قاله ؛ ذكر الله فيه ورسوله وكتابه فصدقته ، فلم ترزق من الرزق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق .

وحكى لنا أستاذنا العلامة أبو جعفر رحمه الله تعالى عن بعض من كان له معرفة بالعلوم القديمة ومعرفة بكثير من العلوم الاسلامية ، أنه كان يقول له : يا أبا جعفر لا أدرك فرقا بين القرآن وبين غيره من الكلام ، فهذا الرجل وأمثاله من علماء المسلمين يكون من

الطائفة الذين يقولون بأن الإعجاز وقع بالصرفة، وكان بعض شيوخنا ممن له تحقق بالمعقول وتصرف في كثير من المنقول إذا أراد أن يكتب فقراً فصيحة أتى لبعض تلامذته وكلفه أن ينشئها له، وكان بعض شيوخنا ممن له التبحر في علم لغة العرب إذا أسقط من بيت الشعر كلمة أو ربع البيت وكان المعين بدون ما أسقط لا يدرك ما أسقط من ذلك، وأين هذا في الإدراك من آخر إذا حركت له مسكناً أو سكنت له محركا في بيت أدرك ذلك بالطبع، وقال: إن هذا البيت مكسور، ويدرك ذلك في أشعار العرب الفصحاء إذا كان فيه زحاف ما وإن كان جائزا في كلام العرب، لكن يجد مثل هذا طبعه ينبو عنه ويقلق لسماعه (هذا)، وإن كان لا يفهم معنى البيت لكونه حوشى اللغات أو منظويا على حوشى، فهذه كلها من مواهب الله تعالى لا تؤخذ باكتساب لكن الاكتساب يقويها، وليس العرب متساوين في الفصاحة ولا في ادراك المعاني ولا في نظم الشعر، بل فيه من يكسر الوزن ومن لا ينظم ولا بيتا واحداً ومن هو مقل من النظم، وطباعهم كطباع سائر الأمم في ذلك حتى فحول شعرانهم يتفاوتون في الفصاحة، وينفخ الشاعر منهم القصيدة حولاً حتى تسمى قصائد الحوليات فهم مختلفون في ذلك، وكذلك كان بعض الكفار حين سمع القرآن أدرك إعجازه للوقت فوفق وأسلم، وآخر أدرك إعجازه فكفر ولج في عباده بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده؛ فنسبه تارة إلى الشعر وتارة إلى الكهانة والسحر، وآخر لم يدرك إعجاز القرآن كتلك المرأة العربية التي قدمنا ذكرها وكحال أكثر الناس، فإنهم لا يدركون إعجاز القرآن من جهة الفصاحة، فمن أدرك إعجازه فوفق وأسلم بأول سماع سمعه؛ أبوذر رضى الله عنه قرأ عليه ﷺ من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت وخبره في إسلامه مشهور، وممن أدرك إعجازه وكفر عنادا عتبة بن ربيعة وكان من عقلاء الكفار حتى كان يتوهم أمية بن الصلت أنه هو يعنى عتبة يكون النبي المنبعث في قريش، فلما بعث الله ﷺ حسده عتبة وأضرابه مع علمهم بصدقه وأن ما جاء به معجز، وكذلك الوليد بن المغيرة روى عنه أنه قال لبني مخزوم: «والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن؛ إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلو». ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشر حتى قال

ما حكى الله عنه: ﴿ ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر ﴾<sup>(١)</sup>.

وممن لم يدرك اعجازه أو أدرك وعاند وعارض مسيلمة الكذاب أتى بكلمات زعم أنها أوحيت إليه، انتهت في الفهامة والعي والغثاة بحيث صارت هزأة للسامع، وكذلك أبو الطيب المتنبي، وقد ذكر القاضي أبو بكر محمد بن أبي الطيب الباقلاتي في كتاب الانتصار في اعجاز القرآن شيئاً من كلام أبي الطيب مما هو كفر، وذكر لنا قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري: أن أبا الطيب ادعى النبوة واتبعه ناس من عبس وكلب، وأنه اختلق شيئاً ادعى أنه أوحى إليه به سور اسمها العبر، وإن شعره لا يناسبها لجودة أكثره ورداءتها كلها أو كلاماً هذا معناه<sup>(٢)</sup>.

قال الآلوسی في بيان وجه إعجاز القرآن: « اعلم أن إعجاز القرآن محالاً مرية فيه ولا شبهة تعتربه وأرى الاستدلال هنا عليه مما لا يحتاج إليه، والشبه صرير باب او طنين ذباب، والأهم بالنسبة الينا بيان وجه الاعجاز والكلام فيه على سبيل الايجاز.

فنقول: قد اختلف الناس في ذلك، فذهب بعض المعتزلة إلى ان وجه إعجازه؛ اشتماله على النظم الغريب والوزن العجيب والأسلوب المخالف لما استنبطه البلغاء من العرب في مطالعه وفواصله ومفاصله، ورد بوجهين:

الاول - أنا لا نسلم المخالفة فان كثيراً من آياته على وزن أبيات العرب نحو قوله تعالى: ﴿ ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾<sup>(٤)</sup> ومثله كثير.

الثاني - أنا لو سلمنا المخالفة لكن لا نسلم أنه لمجرد ما يكون معجزاً وإلا لكانت حماقات مسيلمة إذ هي على وزنه كذلك.

وذهب الجاحظ إلى أنه اشتماله على البلاغة التي تتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات ورد بوجوه:

الاول - أنا إذا نظرنا إلى أبلغ الخطب وأجزل الشعر وقطعنا النظر عن الوزن وقسنا

٢. البحر المحيط ج ١ ص ٨-٩.

٤. سورة الطلاق: الآية ٣.

١. سورة المدثر: الآية ٢٤-٢٥.

٣. سورة فاطر: الآية ١٨.

بقصر القرآن كان الأمر في التفاوت ملتبسا، والمعجز لا بد أن ينتهي إلى حد لا يبقى معه لبس ولا ريبه .

الثاني - ان القرآن غير خارج عن كلام العرب وما من أحد من بلغانهم إلا وقد كان مقدورا له الاتيان بقليل من مثل ذلك ، والقادر على البعض قادر على الكل .

الثالث - ان الصحابة اختلفوا في البعض ، ولو كان منتهاها إلى الاعجاز بلاغة لعرفوه وما اختلفوا .

الرابع - انهم طلبوا البينة ممن أتى بشيء منه ، ولو كانت بلاغته متبهاة إلى حد الاعجاز ما طلبوها .

الخامس - أن في كل عصر من تنتهي إليه البلاغة ، وذلك غير موجب للاعجاز ولا للدلالة على صدق مدعى الرسالة لجواز أن يكون هو من انتهت إليه .

وقيل : هو اشتماله على الاخبار بالغييب ورد :

أما أولا - فبأن الاصابة في المرة والمرتين ليست من الخوارق والحد الذي يصير به الاخبار خارقا غير مضبوط ، فاذا لا يمتنع أن يقال ما اشتمل عليه القرآن لم يصل إليه .

أما ثانيا - فبأنه يلزم أن يكون إخبار المنجمين والكهنة عن الأمور المغيبة مع كثرة إصابتها معجزة .

أما ثالثا - فبأنه يلزم أن تكون التوراة كذلك لاشتمالها كاشتماله .

أما رابعا - فبأنه يلزم أن يكون الخالي عن الإخبار بالغييب من القرآن غير معجز .

وقيل : هو كونه مع طوله وامتداده غير متناقض ولا مختلف وأبطل بوجهين :

الاول - أنا لا نسلم عدم التناقض والاختلاف فيه ؛ أما التناقض فقوله تعالى : ﴿ وما علمناه

الشعر وما ينبئ له ﴾ <sup>(١)</sup> والبحور كلها فيه ، وقال تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ

ولا يتساءلون ﴾ <sup>(٢)</sup> ثم قال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وما

منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم

٢. سورة المؤمنون : الآية ١٠١ .

١. سورة يس : الآية ٦٩ .

٣. سورة الصافات : الآية ٢٧ .

العذاب قبلا ﴿<sup>(١)</sup> فحصر المانع في أحد السببين، وقال: ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾<sup>(٢)</sup> فحصر المانع في غيرهما إلى غير ذلك، وأما الاختلاف فكقوله تعالى كالصوف المنفوش بدل: ﴿ المهين المنفوش ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ضربت عليهم المسكنة والذلة بدل قوله: ﴿ الذلة والمسكنة ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾<sup>(٥)</sup> وهو اب لهم، وقوله تعالى في خلق آدم مرة من تراب ومرة من حمأ ومرة من طين ومرة من صلصال على أن فيه تكرارا لفظيا ومعنويا، كما في الرحمن وقصة موسى مثلا، وتعرضا لا يضح الواضحات كما في قوله تعالى: ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال عثمان: إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها.

الثاني - أنا لو سلمنا السلامة من جميع ذلك لكنه ليس باعجاز، إذ هو موجود في كثير من الخطب والشعر، ويظهر كليا فيما يكون على مقدار بعض السور القصار بتقدير التحدى بها.

وقيل: هو موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، ورد: بأنه معتاد في أكثر كلام البلغاء وينتقض أيضا بكلام الرسول غير المعجز، وبالتوراة والانجيل.

وقيل: إعجازه قَدَمُه، واعترض بأنه يستدعى أن يكون كل من صفاته تعالى كذلك، وأيضا الكلام القديم مما لا يمكن الوقوف عليه فلا يتصور التحدى به.

قال الاستاذ أبو إسحاق الاسفراينى، والنظام: إعجازه بصرف دواعى بلغاء العرب عن معارضته، وقال المرتضى بسلبهم العلوم التى لا بد منها في المعارضة، واعترض بأربعة أوجه:

الأول - أنه يستلزم ان يكون المعجز الصرفة لا القرآن، وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين من قبل.

الثاني - أن التحدى وقع بالقرآن على كل العرب، فلو كان الاعجاز بالصرفة لكانت على

٢. سورة الإسراء: الآية ٩٤.

٤. سورة البقرة: الآية ٦١.

٦. سورة البقرة: الآية ١٩٦.

١. سورة الكهف: الآية ٥٥.

٣. سورة الفارعة: الآية ٥.

٥. سورة الاحزاب: الآية ٦.



خلاف المتعاد بالنسبة إلى كل واحد ضرورة تحقق الصرفة بالنسبة إليه، فيكون الاتيان بمثل كلام القرآن معتاداً له والمعتاد لكل ليس هو الكلام الفصيح بل خلافه، فيلزم ان يكون القرآن كذلك وليس كذلك.

الثالث - أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل لتحقيق الصرفة من بعد فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها.

الرابع - وهو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الاعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به ولو تناطقوا لشاع، إذ العادة جارية بالتحدث بالخوارق فحيث لم يكن دل على فساد الصرفة بهذا الاعتبار، واستدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن ﴿<sup>(١)</sup> الآية، فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبقى فائدة لاجتماعهم، لأنه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، ولا بأس بانضمامه إلى ما ذكرناه.

وأما الاكتفاء به في الاستدلال فلا أظنك ترضاه.

وقال الأمدى وغيره: الاعجاز بجملته<sup>(٢)</sup> وبالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب، وارتضاه الكثير.

وقولهم فيما قبل لا نسلم المخالفة الخ، يجاب عنه: بأن ما ذكره وإن كان على وزن الشعر إلا أنه لا يعد شعراً ولا قائله شاعراً؛ لأن الشعر ما قصد وزنه وحيث لا قصد لا شعر، وقد يعرض للبلغاء في سرد خطبهم المنسجمة مثل ذلك، بل قد يتفق لمن لا يعرف الشعر رأساً من العوام كلمات متزنة، نحو قول السيد لعبداه مثلاً: أدخل السوق واشتر اللحم واطبخ، ولهذا قال الوليد<sup>(٣)</sup>: «لما قرأ عليه النبي ﷺ القرآن فكأنما رق له فاقترح عليه أبو جهل أن يقول فيه ما يبلغ قومه أنه منكر له وكاره، ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا بجزءه ولا بقصيده ولا باشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من

١. سورة الإسراء: الآية ٨٨.

٢. كون الاعجاز بجملته نسبة السويطي لبعض المعتزلة وقد ورد التحدى بكل القرآن وبمشر سور وبسورة، قيل ولو قصيرة لظاهر الاطلاق، وقيل يبلغ مبلغاً يبين فيه رتب ذوي البلاغة، فانهم وتدبراه منه.

٣. والخبر طويل أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس اهـ.

هذا، والله إن لقوله الذي يقوله حلوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته».

وقولهم: إننا لو سلمنا الخ مسلم، لكن لا يلزم أن لا يكون مع البلاغة والاختبار بالغيب معجزاً، ومن هنا يعلم الجواب عن الاعتراض على أن وجه إعجاز بلاغته على أن الأوجه الخمسة التي ذكرها فيه باطلة.

أما الأول: فلأن التفاوت بين لمن تحدى به من البلغاء ولذا لم يعارض، وغيرهم عم<sup>(١)</sup> عن ذلك لقصوره في الصناعة فلا اعتداد به ولا مضرة لثبوت الاعجاز بعجز أولئك، ثم قياس أقصر سورة على ما ذكره<sup>(٢)</sup> عدول عن سواء السبيل.

وأما الثاني: فلأن القدرة على البعض لا تستلزم القدرة على الكل، ولهذا نجد الكثير قادراً على بليغ فقرة أو فقرتين أو بيت أو بيتين ولا يقدر على وضع خطبة ولا نظم قصيدة. وأما الثالث: فلأن الصحابة لم يختلفوا فيما اختلفوا فيه أنه نازل على النبي ﷺ من ربه أو أن بلاغته غير معجزة ولكنهم اختلفوا في أنه قرآن، وذلك لا يضر فيما نحن بصدده.

وأما الرابع: فلأن طلب البينة لما قدمناه في الفائدة السادسة أو للوضع والترتيب كما قيل أو لمزيد الاحتياط في الأمر الخطير.

وأما الخامس: فلأن المعجز يظهر في كل زمان من جنس ما يغلب ويبليغ فيه الغاية القصوى ويوقف فيه على الحد المعتاد، حتى إذا شوهد ما هو خارج عن الحد علم أنه من عند الله وإلا لم يتحقق عند القوم معجزة النبي، ولظنوا أنهم لو كانوا من أهل تلك الصناعة أو متاهين فيها لامكنهم أن يأتوا بمثلها، والبلاغة قد بلغت في ذلك العهد حداً وكان فيها فخارهم حتى علقت السبع بباب الكعبة تحدياً بمعارضتها، فلما أتى الرسول ﷺ بما عجزوا عن مثله مع كثرة المنازعة والتشاجر والافتراق علم أن ذلك من عند الله تعالى بلاريب.

واعترضهم على كون الاخبار بالغيب معجزاً مكابرة فان الاخبار عن الغائبات مع

١. الصحيح: عمي.

٢. على أنه يكفينا في الفرض كون القرآن بجملة أو بسوره الطوال معجزاً فافهم اهـ.

التكرار والاصابة غير معتاد، ولا معنى لكونه معجزاً غير هذا، وما ذكروه من الوجوه باطل .  
أما الاول: فلانه لا يلزم من عدم كون الاصابة في المرة والمرتين من الخوارق أن  
لا تكون الاصابة في الكرات الكثيرة منها والضابط العرف، ولا يخفى أن ما ورد من أخبار  
الغيب في القرآن مما يعد في نظر أهل العرف كثيراً لاتعتاد الاصابة فيه بجملته .

وأما الثاني: فلأن أخبار المنجمين ما كان كاذباً منها لا احتجاج وما كان صادقاً وتكررت  
الاصابة فيه كالكسوف والخسوف غير وارد، لانه من الحساب المعتاد لمن يتعاطى صناعة  
التنجيم . وإخبار القرآن بالغيوب ليست كذلك ، وأما أخبار الكهنة فالقول فيها كما في  
السكر .

وأما الثالث: فلأن ما في التوراة من الاخبار بالغيب إن كان كثيراً خارقاً للعادة ووقع  
التحدى به فهو أيضاً معجز وآية صدق لمن أتى به ، ولا يضرنا التزام ذلك .

وأما الرابع: فلأنه لا يرد على من يقول وجه الاعجاز مجموع ما تقدم اصلاً . ومن يقول  
وجه مجرد الاخبار بالغيب يقول بأن الخالي من ذلك غير معجز ، وإنما الاعجاز في  
القرآن بجملته ويكفي ذلك في غرضه .

والاعتراض على كون وجه الاعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد  
بوجهه مدفوع .

أما الأول: فلأن اشتمال القرآن على الشعر قد سبق جوابه فلا يناقض (وما علمناه  
الشعر)، وأما الآيتان الاوليتان فقد أجاب عنهما ابن عباس - حين سأله رجل عن آيات من  
هذا القبيل - بأن نفى المسألة قبل النسخة الثانية وإثباتها فيما بعد ، والسدى بأن نفى المسألة  
عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباتها فيما عداها ، وابن مسعود  
بأن المسألة المنفية طلب بعضهم العفو من بعض والمثبتة على ظاهر معناها فلا منافاة . وأما  
الآيتان الأخريتان فمعنى الأولى منهما: ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾<sup>(١)</sup> إلا إرادة الله أن  
تأتيهم سنة الاولين من نحو الخسف أو يأتيهم العذاب قبلاً في الآخرة ، ولا شك أن إرادة  
الله تعالى مانعة من وقوع ما ينافي المراد ، فهذا حصر في السبب الحقيقي . ومعنى الثانية:

﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾ إلا استغراب بعثة البشر رسولا وهو مدلول القول التزاماً والدال لا يناسب المانع، والمدلول ليس مانعاً حقيقياً، بل عادي لجواز وجود الايمان معه فهو حصر في المانع العدى فلا تناقض، وسيأتي لهذا إن شاء الله تعالى زيادة تحقيق . وكذا لامثاله مما يضيق عنه هذا المبحث .

وأما الاختلاف المذكور فليس هو المنفى في قوله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ <sup>(١)</sup> لأن المراد به أحد أمرين ، الأول - الاختلاف المناقض للبلاغة ، والثاني - الاختلاف فيما أخبر عنه من قصص الماضين وسير الأولين - مع أمية من جاء به وعدم دراسته للعلوم ومطالعة للكتب - ولا شك أنه لم يوجد في القرآن شيء من هذه الاختلافات ، على أن أمثال بعض ما ذكر من الاختلاف ليس بقرآن لأنه لم يتواتر ، وأمثال البعض الآخر اختلاف مقال لاختلاف الاحوال ، والمرجع إلى جوهر واحد وهو التراب في خلق آدم مثلاً ومنه تدرجت تلك الأحوال وأي ضرر في ذلك ، وأما التكرار اللفظي والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار ؛ كبيان اتساع العبارة وإظهار البلاغة وزيادة التأكيد والمبالغة ، إلى غير ذلك مما قد أمعن المفسرون في تحقيقه وبيانه وستراه بحوله تعالى ، وأما ما يتوهم فيه أنه من قبيل إيضاح الواضحات فليس يخلو عن درء احتمال ، ورفع خيال ، فانه لو لم يقل فيما ذكر من الآية : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ <sup>(٢)</sup> لتوهم - ولو على بعد - أن المراد وتام : ﴿ سبعة إذا رجعت ﴾ <sup>(٣)</sup> بل في ذلك غير هذا أسرار ستأتيك ، بعون باريك ، وأما قول عثمان : إن في القرآن لحنا الخ ، فهو مشكل جداً ، إذ كيف يظن بالصحابة أولاً اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم هم ، ثم كيف يظن بهم ثانياً اجتماعهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبيه والرجوع ، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره ، وكيف يتركه لتقييمه العرب ، وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟؟؟ فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة . فالحق إن ذلك لا يصح عن عثمان والخبر ضعيف مضطرب منقطع . وقد أجابوا عنه

٢. سورة البقرة: الآية ١٩٦.

١. سورة النساء: الآية ٨٢.

٣. سورة البقرة: الآية ١٩٦.

بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها ، والذي أراه أن رواية هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يستقنوه فحرفوه ، فلزم الاشكال وحل الداء العضال وهو ما روى بالسند عن عبدالله بن عبد الأعلى قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه ، فقال : أحسنتم وأجملتهم أرى شيئاً سئيمه بألستنا ، وهذا لا إشكال فيه لانه عرض عليه عقيب الفراغ من كتابته فرأى فيه ما كتب على غير لسان قريش ، ثم وفي بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً ولا أحسبك في مربة من ذلك .

نعم يبقى ما روى بسند صحيح على شرط الشيخين عن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال : سألت عائشة رضى الله تعالى عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى : ﴿ إن هذا لساحران ﴾ <sup>(١)</sup> وعن قوله : ﴿ والمقيمین الصلاة والمؤتون الزكاة ﴾ <sup>(٢)</sup> وعن قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين ﴾ <sup>(٣)</sup> فقالت : يا ابن أخي هذا عمل الكتاب اخطأوا في الكتاب ، وكذا ما روى عن سعيد بن جبیر كان يقرأ : ﴿ والمقيمین الصلاة ﴾ ويقول : هو لحن من الكتاب . ويجاب عن الاول : بأن معنى قولها أخطأوا أى في اختيار الأولى من الاحرف السبعة لجمع الناس عليه ، لأن الذى كتبه من ذلك خطأ لا يجوز فان مالا يجوز مردود وإن طال مدة وقوعه ، وهذا الذى رأته عائشة وكم لها من رأى رضى الله تعالى عنها .

وعن الثانى : بأن معنى قوله : ﴿ لحن من الكتاب ﴾ لغة وقراءة له وفي الآية قراءة أخرى ، وللنحويين في توجيه هذه القراءات كلام طويل مستسمعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما الوجه الثانى : فلأن من ذهب إلى أن وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع لطول والامتداد ، يقول القرآن بجملته معجز ، لذلك فسلامة كثير من الخطب والشعر من ذلك ، وظهور ذلك كلياً فيما يكون على مقدار بعض السور القصار لا يضره شيئاً كما لا يخفى فتدبر ، وقد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى الكثير منها خواصه وفضائله ، مثل الروعة التى تلحق قلوب سامعيه ، وأنه لا يمله تاليه بل يزداد

٢ . سورة النساء : الآية ١٦٢ .

١ . سورة طه : الآية ٦٣ .

٣ . سورة الحج : الآية ١٧ .

حباله بالترديد مع أن الكلام يعادى إذا أعيد، وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه .

والذى يخطر بقلب هذا الفقير أن القرآن بجملته وابعاضه حتى أقصر سورة منه معجز ؛ بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، وقد تظهر كلها في آية، وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فيما يبقى كاف وفي الغرض واف .

نجوم سماء كلما انقض كوكب      بدا كوكب تأوى إليه كواكب

أما بيان كون النظم معجزاً؛ فلان مراتب تأليف الكلام على ما قيل خمس :

الاولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض فتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض فتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له المنثور .

والثالثة: ضم ذلك الى بعض ضمالة مباد ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم .  
والخامسة: أن يحصل له مع ذلك وزن، ويقال له إن قصد الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة، وإما مكاتبة ويقال له الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتسب ابهى حلل ، ومتعر عن كل خلل ، ومشمتم على خواص ما شامها سواء ، ومزايا ماسامها عند اهل النقد نظم إلا اياه .

من كل لفظ تكاد الاذن تجعله      ربا ويعبده القرطاس والقلم

ويؤيد ذلك أنه لا يصح ان يقال له رسالة أو خطابة أو سجع كما يصح ان يقال هو كلام ، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عده من النظم لا ترديد وهذا مما لا خفاء فيه على الرجال حتى على الوليد .

وأما بيان ذلك في البلاغة، فهو أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في البيان متفاوتة ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجارى الطلق الرسل ،

وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود فالأول أعلاها والثاني أوسطها والثالث أدناها وأقربها، وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الاقسام أوفر حصة وأخذت من كل نوع أعظم شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين، فكان اجتماع الأمرين فيه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة ومنزلة جلية، وقد خص بذلك القرآن كما لا يخفى<sup>(١)</sup> على ذوى الفطر السليمة ومن كان له في علم البلاغة إتقان.

وأما بيان إعجاز اشتماله على الاخبار بالغيب، فلأنه تضمن ما يحكم العرف بكثرته من أخبار القرون الماضية والامم البادية والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره في تعلم ذلك وتنبه فيورده القرن على وجهه ويأتى به على نصح، ومن المعلوم أن من أتى به أمى لا يقرأ ولا يكتب صلى الله تعالى عليه وسلم مع الاعلام بما في ضمائر كثيرين من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، كقوله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله﴾<sup>(٣)</sup> والاعلان بالحوادث المستقبلية في الأعصار الآتية كقوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾<sup>(٤)</sup> وأخبار اقوام في قضايا انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا كقوله تعالى خطايا لليهود: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتموه أبدا﴾<sup>(٥)</sup> فما تمناه أحد منهم، إلى أضعاف مضاعفة من مثل ذلك قد اشتمل القرآن عليها واختص من بين الكتب بها، حتى أن أقصر سورة فيه وهى الكوثر تشير إلى أربعة أخبار عن الغيب مع أنها ثلاث آيات.

الأول، في قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾<sup>(٦)</sup> إذا أريد به كما في بعض الروايات كثيرة الاتباع.

١. وقال السكاكى أعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحظة وطيب النغم. ولا يدرك تفصيله لغير ذوى الفطر السليمة إلا باتقان علمى المعانى والبيان والتمرن فيها فليهم امه.
٢. سورة آل عمران: الآية ١٢٢.
٣. سورة المجادلة: الآية ٨.
٤. سورة الروم: الآية ١ و ٢.
٥. سورة البقرة: الآية ٩٤ و ٩٥.
٦. سورة الكوثر: الآية ١.

والثانى، في قوله: ﴿ وانحر ﴾<sup>(١)</sup> حيث أريد به كما هو الظاهر الأمر بالنحر فهو إشارة إلى اليسار حتى يمكنه الاقدام عليه .

والثالث والرابع، في قوله تعالى: ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾<sup>(٢)</sup> حيث صرح ورمز بأن شانئك لا أنت أبتر لا عقب له فكان اخبر، ولا شك عند كل عاقل أن مجموع ما ذكرنا يعجز عنه البشر .

وأما إعجاز موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى؛ فلأنه اشتمل على توحيد الله تعالى وتنزيهه، والدعاء إلى طاعته، وبيان طريق عبادته من: تحليل وتحريم ووعظ وتعليم، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وإشارة إلى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها، واضعا كل شيء منها موضعه الذى لا يرى أولى منه ولا أليق ولا يتصور اخرى من ذلك ولا أخلق، جامعا بين الحججة والمحتج له والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا اليه وامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، مع إشارة أنيقة ورموز دقيقة واسرار جزيلة وحكم جليلة ستقف إن شاء الله تعالى على الكثير منها، بحيث لا تبقى في شك من رد من يقول بأن ذلك معتاد في أكثر كلام البلغاء، وأنه ينتقص بالتوراة والانجيل وبكلام الرسول غير المعجز، فأين الثريا من يد المتناول؟! .

وما كل مخضوب البنان بثينة      ولا كل مصقول الحديد يمانى

فهذه الأوجه الأربعة هي الظاهرة في وجه إعجاز القرآن، والمشهور عند الجمهور الاقتصار على بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا والغاية القصوى التى لم تكدر تخفى على أهل هذا الشأن حتى النساء، كما يحكى: أن الاصمعى وقف متعجبا من امرأة تنشد شعرا، فقالت: أتعجب من هذا أين أنت من قوله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخالى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾<sup>(٣)</sup> فقد جمع أمرين ونهيين وبشارتين أى مع ما فيه مما يدرك بالذوق .

وبعضهم جعل المدار النظم المخصوص والباقي تابع له، قائلا: إن الاعجاز المتعلق

٢. سورة الكوثر: الآية ٣.

١. سورة الكوثر: الآية ٢.

٣. سورة القصص: الآية ٧.



بالفصاحة والبلاغة لا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان الالفاظ ألفاظهم كما قال تعالى: ﴿ قرآنا عربيا ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ بلسان عربى ﴾ <sup>(٢)</sup>، ولا بمعانيه فان كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة كما قال تعالى: ﴿ وإنه لفي زير الأولين ﴾ <sup>(٣)</sup>، وما فيه من المعارف الالهية وبيان المبدأ والمعاد والاخبار بالغيب فاعجازه ليس برارجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونه حاصلًا من غير سبق تعليم وتعلم، ولكون الاخبار بالغيب إخبارًا بما لا يعتاد سواء كان بهذا النظم أو بغيره موردا بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة، فاذا هو متعلق بالنظم المخصوص الذى هو صورة القرآن و باختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار إذا كان الكل من ذهب مثلا، فان الاسم مختلف والعنصر واحد، وكالخاتم المتخذ من ذهب وفضة وحديد يسمى خاتما والعنصر مختلف، فظهر أن الاعجاز المختص بالقرآن متعلق بنظمه المخصوص وإعجاز نظمه قد سلف بيانه وأنت تعلم ما فيه وإن كان قريبا إلى الحق.

وأبعد الأقوال عندى كونه بالصرفة المحضة حتى أن قول المرتضى فيها غير مرتضى كما لا يخفى على من انصفه ذهنه واتسع عطنه.

وأبعد من ذلك كونه بالقدم كما هو قريب ممن هو حديث عهد بما تقدم، وسيأتى - إن شاء الله تعالى - تنمة لهذا الكلام من بيان اختلاف الناس أيضا في تفاوت مراتب الفصاحة والبلاغة في آياته ويتضح لك ما هو الحق الحقيق بالقبول <sup>(٤)</sup>.

قال القاسمى: قال الدهلوى: «... إن سألوا عن إعجاز القرآن: من أى وجه هو؟ قلنا: المحقق عندنا أنه لوجوه كثيرة:

منها: الأسلوب البديع. لأن العرب كانت لهم ميادين معلومة يركضون فيها جواد البلاغة ويحرزون قصبات السبق في مسابقة الأقران بالقصائد والخطب، والرسائل والمحاورات. وما كانوا يعرفون أسلوبا غير هذه الأوضاع الأربعة، ولا يتمكنون من إبداعه. فإبداع أسلوب غير أساليبهم على لسان حضرته ﷺ، وهو أمى، عين الإعجاز.

٢. سورة الشعراء: الآية ١٩٥.

٤. روح المعاني ج ١ ص ٢٧ - ٣٣.

١. سورة يوسف: الآية ٢.

٣. سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

ومنها: الإخبار بالقصص والأحكام والملل السابقة، بحيث كان مصدقا للكتب السابقة .  
ومنها: الإخبار بأحوال مستقبلية . فكلما وجد شيء على طبق ذلك الإخبار ظهر إعجاز جديد .

ومنها: الدرجة العليا في البلاغة مما ليس مقدورا للبشر . ونحن لما جئنا بعد العرب الأول ، ما كنا لنصل إلى كنه ذلك ، ولكن القدر الذي علمناه أن استعمال الكلمات والتركيبات العذبة الجزلة - مع اللطافة وعدم التكلف في القرآن العظيم - أكثر منه في قصائد المتقدمين والمتأخرين . فإننا لا نجد من ذلك فيها قدر ما نجده في القرآن ، وهذا أمر ذوقى يتمكن من معرفته المهرة من الشعراء ، وليس للعامه من الناس ذائقة في هذا الأمر .  
وأیضا نعلم من الغرابة فيه إنه يلبس المعانى من أنواع التذكير والمخاصمة في كل موضع لباسا يناسب أسلوب السورة ، وتقتصر يد المتناول عن نيئه ، وإن كان أحد لا يفهم هذا الكلام فليتأمل إيراد قصص الأنبياء ، في سورة الأعراف ، وهود والشعراء ، ثم لينظر تلك القصص في الصافات ، ثم في الذاريات ليظهر له الفرق . وكذلك تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين فإنه يذكر في كل مقام بأسلوب جديد . ويذكر مخاصمة أهل النار في كل مقام بصورة على حدة . والكلام في هذا بطول .

وأیضا نعلم أنه لا يتصور رعاية مقتضى المقام ، الذى تفصيله في فن المعانى ، والاستعارات ، والكنايات ، التى تكفل بها فن البيان مع رعاية حال المخاطبين الأमीين الذين لا يعرفون هذه الصناعات - أحسن مما يوجد في القرآن العظيم . فإن المطلوب ههنا أن يذكر في المخاطبات المعروفة التى يعرفها كل من الناس نكتة رائعة للعامه ، مرضية عند الخاصة ، وهذا المعنى كالجمع بين النقيضين .

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

ومن جملة وجوه الإعجاز مالا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع . وذلك أن العلوم الخمسة نفسها تدل على أن القرآن نازل من عند الله لهداية بنى آدم ، كما أن عالم الطب إذا نظر في القانون ولا حظ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها ووصف الأدوية ، لا يشك أن المؤلف كامل في صناعة الطب . كذلك إذا علم عالم أسرار

الشرائع ما ينبغي إلقاؤه على أفراد الناس في تهذيب النفوس ، ثم يتأمل في الفنون الخمسة ، يتحقق أن هذه الفنون قد وقعت موقعها بوجه لا يتصور أحسن منه . والنور يدل نفسه على نفسه . انتهى المنقول من الفوز الكبير<sup>(١)</sup> .

قال النهاوندى (ره) في دفع توهم التناقض و التعارض بين الآيات الكريمة: « قد توهم الجاهلون التناقض في جملة من آيات الكتاب العزيز والتعارض بين كثير منها مع بداهة ان كلامه تعالى منزه عن ذلك قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾<sup>(٢)</sup> وقد تعرض جمع من العلماء لذكر الآيات الموهمة لذلك وليبان وجه الجمع بينها ودفع التوهم فيها.

روي عن سعيد بن جبيرة قال: جاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنه فقال: رأيت اشياء تختلف على من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو اشك؟ قال: ليس بشك ولكنه اختلاف قال: هات ما اختلف عليك من ذلك قال: اسمع الله يقول: ﴿ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقال: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ فقد كتموا، واسمعه يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾<sup>(٣)</sup> ثم قال: ﴿وَأَقْبَلُ بُعْضُهُمْ عَلَى بُعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup> ثم قال في الآية الاخرى: ﴿أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾<sup>(٦)</sup> ثم قال: ﴿والارض بعد ذلك دحاهما﴾<sup>(٧)</sup>، واسمعه يقول كان الله ما شأنه يقول كان الله .

فقال ابن عباس رضى الله عنه اما قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾<sup>(٨)</sup> فانهم لما رأو يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يعاظمه ذنب ان يغفره، ولا يغفر شركاً جحدته المشركون رجاء ان يغفر له: ﴿فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله على افواههم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمِ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ

- |                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ١. محاسن التأويل ج ١ ص ٢٨٢-٢٨٣. | ٢. سورة النساء: الآية ٨٢.   |
| ٣. سورة المؤمنون: الآية ١٠١.    | ٤. سورة الصافات: الآية ٢٧.  |
| ٥. سورة فصلت: الآية ٩.          | ٦. سورة النازعات: الآية ٢٧. |
| ٧. سورة النازعات: الآية ٣٠.     | ٨. سورة الانعام: الآية ٢٣.  |

الله حديثاً ﴿<sup>(١)</sup> واما قوله : ﴿ فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ <sup>(٢)</sup> فانه اذا : ﴿ نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ﴾ <sup>(٣)</sup> فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون : ﴿ ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ واقبل بعضهم على بعض يتسائلون ﴾ <sup>(٥)</sup> واما قوله : ﴿ خلق الارض في يومين ﴾ <sup>(٦)</sup> فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخاناً : ﴿ فقضا هن سبع سموات في يومين ﴾ <sup>(٧)</sup> بعد خلق الارض . واما قوله : ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ يقول : جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا . واما قوله : كان الله فان الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك .

اقول : الظاهر ان المراد من الجواب الآخر ان الزمان ليس بداخل في مفهوم الفعل وضعاً أو يكون داخلياً ، ولكن صار منسلخاً من الزمان هنا بالقرينة القطعية . ثم قال : فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك ، وان الله لم ينزل شيئاً الا وقد اصاب به الذي اراد ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

وعن ابي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس رضى الله عنه عن يوم كان مقداره الف سنة وقوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ <sup>(٨)</sup> فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه ، الله اعلم بهما ، وزاد في رواية اخرى : وما ادري ما هما واكره أن اقول فيهما ما لا اعلم ، قال ابن مليكة : فضربت البعير حتى دخلت على سعيد بن المسيب ، فسئل عن ذلك فلم يدر ما يقول ، فقلت له : ألا اخبرك بما حضرت من ابن عباس ؟ فاخبرته ، فقال ابن المسيب للسائل : هذا ابن عباس قد اتقى ان يقول فيها وهو اعلم منى .

وفي رواية اخرى عن ابن عباس : ان يوم الالف هو مقدار سير الامر وعروجه اليه ، ويوم الالف في سورة الحج هو احد الايام الستة التي خلق الله فيها السماوات ، ويوم الخمسين

٢ . سورة المؤمنون : الآية ١٠٦ .

٤ . سورة الزمر : الآية ٦٨ .

٦ . سورة فصلت : الآية ٩ .

٨ . سورة المعارج : الآية ٤ .

١ . سورة النساء : الآية ٤٢ .

٣ . سورة الزمر : الآية ٦٨ .

٥ . سورة الصافات : الآية ٢٧ .

٧ . سورة فصلت : الآية ١٢ .

الف هو يوم القيامة .

وعن عكرمة عنه رضي الله عنه : ان رجلاً قال له حدثني ما هؤلاء الآيات : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ <sup>(١)</sup> و ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال : ﴿ وان يوماً عند ربك كالف سنة ﴾ <sup>(٣)</sup> فقال : يوم القيامة حساب خمسين الف سنة، وخلق السموات والارض في ستة أيام كل يوم يكون الف سنة : ﴿ ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة ﴾ قال : ذلك مقدار السير « انتهى .

وقال بعض : ان المراد من اليوم في جميع الآيات يوم القيامة وان الاختلاف باعتبار اختلاف حال المؤمن والكافر .

وقيل : ان المراد من الف سنة سنين <sup>(٤)</sup> الآخرة ، ومن خمسين الف سنة سنين <sup>(٥)</sup> الدنيا . ونقل انه سأل رجل بعض العلماء عن قوله : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ <sup>(٦)</sup> فاخبر الله انه لا يقسم به ثم اقسام به في قوله : ﴿ وهذا البلد الامين ﴾ <sup>(٧)</sup> فقال : ايما احب اليك اجيبك ثم اقطعك او اقطعك ثم اجيبك فقال : بل اقطعني ثم اجبني فقال : اعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرائي قوم كانوا احرص الخلق على ان يجدوا فيه مغزاً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به واسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا ما انكرت ، ثم قال له : ان العرب قد تدخل لا في اثناء كلامها وتلغي معناها وانشد فيه ابياتاً .

وعن بعض العلماء في المقام كلام ملخصه : ان للاختلاف اسباب :

احدها - وقوع المخبر به على احوال مختلفة وتطويرات شتى، كقوله في خلق آدم مرة من تراب ومرة من حمأ مسنون، ومرة من طين لازب، ومرة من صلصال، فهذه الفاظ مختلفة ومعانيها في احوال مختلفة الا ان كلها يرجع الى اصل واحد وهو التراب، وكقوله

٢ . سورة السجدة : الآية ٥ .

٤ و ٥ . الصحيح : سنون .

٧ . سورة النجم : الآية ٣ .

١ . سورة المعارج : الآية ٤ .

٣ . سورة الحج : الآية ٤٧ .

٦ . سورة التين : الآية ١ .

تعالى: ﴿ فاذا هي ثعبان ﴾ <sup>(١)</sup> مبيّن في موضع، وتهتز كأنها جان في موضع، والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك الاختلاف بلحاظ ان خلقها خلق الشعبان العظيم وحركتها وخفتها كحركة الجان وخفته .

وثانيها - اختلاف الموضع كقوله: ﴿ وقفوهم انهم مسئولون ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ فلنستلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين ﴾ <sup>(٣)</sup> مع قوله: ﴿ فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان ﴾ <sup>(٤)</sup> وذلك بلحاظ اختلاف الاماكن لان في القيامة مواقف كثيرة، ففي موضع يُسألون وفي آخر لا يُسألون، وقيل: ان السؤال المثبت سؤال تكبّيت وتوبيخ والمنفى سؤال المعذرة وبيان الحجة.

وقيل: ان السؤال الاول عن التوحيد وتصديق الرسل والسؤال الثاني عما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرايع الدين وفروعه، كقوله تعالى: ﴿ فان خفتهم ان ألا تعدلوا فواحدة ﴾ <sup>(٥)</sup> مع قوله: ﴿ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ <sup>(٦)</sup> فمن الاولى يفهم امكان العدل ومن الثانية عدم امكانه فالاولى في توفية الحقوق والثانية في الميل القلبي وليس في قدرة الانسان .

اقول: وقريب من هذا الوجه مروى عن الصادق عليه السلام قال: وكقوله: « ان الله لا يأمر بالفحشاء » مع قوله: ﴿ أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾ <sup>(٧)</sup> فالاولى في الامر التشريعي والثانية في الامر التكويني بمعنى القضاء والتقدير .

ثالثها - الاختلاف في وجهتي الفعل كقوله تعالى: ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ <sup>(٨)</sup> اضيف القتل اليهم والرمي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جهة المباشرة وينفى عنهم وعن صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار الاسباب .

رابعها - الاختلاف في الحقيقة والمجاز كقوله: ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ <sup>(٩)</sup> أي من

٢. سورة الصافات: الآية ٢٤.

٤. سورة الرحمن: الآية ٣٩.

٦. سورة النساء: الآية ١٢٩.

٨. سورة الانفال: الآية ١٧.

١. سورة الاحراف: الآية ١٠٧.

٣. سورة الاعراف: الآية ٦.

٥. سورة النساء: الآية ٣.

٧. سورة الاسراء: الآية ١٦.

٩. سورة الحج: الآية ٢.

الاهوال مجازاً، وقوله: ﴿ وما هم بسكارى ﴾ <sup>(١)</sup> أي من المسكر حقيقة .  
 خامسها - اختلاف الوجه والاعتبار كقوله تعالى: ﴿ قَبْرِكَ الْيَوْمَ حديد ﴾ مع قوله  
 تعالى: ﴿ خاشعين من الذلّ ينظرون من طرف خفي ﴾ فالأول باعتبار زوال المنافع والثاني  
 باعتبار الخوف، وكقوله: ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ <sup>(٢)</sup> مع قوله: ﴿ إنما  
 المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ <sup>(٣)</sup> فيظن ان الوجع خلاف الطمأنينة وجوابه ان  
 الطمأنينة بانسراح الصدر وبمعرفة الله والوجل من خوف الزيف والذهاب عن الهدى .  
 اقول: وكقوله تعالى: ﴿ فاليوم نساها كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ <sup>(٤)</sup> مع قوله: ﴿ وما  
 كان ربك نسيا ﴾ <sup>(٥)</sup> فان النسيان في الاولى بمعنى ترك اثابتهم وعدم الامر لهم بخير وفي  
 الثانية بمعنى عدم الذكر، وكقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ﴾ <sup>(٦)</sup> مع قوله:  
 ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ <sup>(٧)</sup> فان النظر في الاول النظر الى ثوابه او الى ربهم كيف يشيهم،  
 وكقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup>، وكقوله: ﴿ اني ذاهب الى ربي  
 سيهدين ﴾ <sup>(٩)</sup> وقوله: ﴿ فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ <sup>(١٠)</sup> مع قوله: ﴿ وهو معكم ايما  
 كنتم ﴾ <sup>(١١)</sup> فان الذهاب في الاول بمعنى التوجه والعبادة، واتيان الله بمعنى ارسال العذاب  
 وكذلك اتيانه بنيانهم بمعنى ارسال العذاب عليهم، وكقوله: ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ <sup>(١٢)</sup> مع  
 قوله: ﴿ وهو السميع البصير ﴾ <sup>(١٣)</sup> وقد يسمى الانسان سمياً وبصيراً فانما عنى بالاولى هل  
 تعلم احدأ اسمه الله غير الله، وكقوله: ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من  
 اذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ <sup>(١٤)</sup> مع قوله فيقولون: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ <sup>(١٥)</sup> فالاولى  
 في موطن من مواطن القيامة والثانية في موطن آخر، روى اولاً يفر بعضهم من بعض

٢. سورة الرعد: الآية ٢٨.
٤. سورة الاعراف: الآية ٥١.
٦. سورة القيامة: الآية ٢٢.
٨. سورة المطففين: الآية ١٥.
١٠. سورة الحشر: الآية ٢.
١٢. سورة مريم: الآية ٦٥.
١٤. سورة النبا: الآية ٣٨.

١. سورة الحج: الآية ٢.
٢. سورة الانفال: الآية ٢.
٥. سورة مريم: الآية ٦٤.
٧. سورة الانعام: الآية ١٠٣.
٩. سورة الصافات: الآية ٩٩.
١١. سورة الحديد: الآية ٤.
١٣. سورة الاسراء: الآية ١.
١٥. سورة الانعام: الآية ٢٣.

ولا يتكلمون وفي موطن اخر يستنطقون فيه فيقولون: ﴿ واللّٰه ربنا ما كنا مشركين ﴾ فيختم على افواههم ويستنطق الايدى والارجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن السنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا الى اخر الآية. وببالي ان جميع ما ذكرت مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام في رواية طويلة<sup>(١)</sup>.

قال البلاغي (ره): « مضافا الى انه امتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكبر الأمور الجوهرية في شؤون النبوة والرسالة ودعوتها.

« فمن ذلك » انه باق مدى السنين ممثل بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته . فهو باد في كل آن ومكان لكل من يطلب الحجّة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها . مائل لكل من يريد النظر في الحقائق ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه اعجازه الى اساطير النقل وممارسة قال او قيل . فلا يحتمل أمره انه دبرت دعواه بليل . ولا يستراب من أمره باحتمال التمويه بل ينادي هو بنفسه في كل زمان ومكان ( هذا جنائي وخياره فيه ) وكله خيار فائق متفوق .

« ومن ذلك » انه بنفسه ولسانه وصريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجّة على الرسالة الخاصة وشهادة اعجازه لها . ولم يوكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الريب وتعرض فيه الشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج وتكثر صعوباته : فالتفت واعرف ذلك من أمور :

الأول - انه تكفل ببيان دعوى النبي للنبوة والرسالة في سائر النبوات .

الثاني - انه تكفل في صراحة بيانه بالشهادة للنبوة والرسالة فلم تبق حاجة لدلالة العقل ودفع الشبهات عنها .

الثالث - انه تكفل في صراحته المتكررة ببيانه لكاملات مدعي رسالته وأطرى بصلاحه وأخلاقه الفائقة كما هو معروف . فمهّد المقدمات اللازمة في البيان وصورة الاحتجاج بانه لو كان كاذبا لكان ظهور المعجزة له من الاغراء بالجهل القبيح الممنوع لقبحه على جلال



الله و قدسه تعالى شأنه . واليك فاسمع بعض ما جاء في القرآن في بيان هذه الأمور الثلاثة:

﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾<sup>(٤)</sup> ، ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لملى خلق عظيم ﴾ الى قوله تعالى: ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَذُوقُوا لَوْ تَدْرِيْنَ قَيْدِهِمْ لَوْنَ ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ﴾<sup>(٧)</sup> .

الأمر الرابع - انه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة والنبوة، إذ بين مواد الدعوة و اساسياتها و معارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانها و اخلاقيها و اجتماعيها و سياسيها، فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعا عن النبوة: ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ﴾<sup>(٨)</sup> و دونك القرآن الكريم و حقق و تبصر و تنور فيما تضمنه من هذه المواد الشريفة: ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ﴾ .

الأمر الخامس - انه زاد على كونه معجزا بنفسه بأن كرر النداء و المصارحة في الاحتجاج باعجازه، و تحدى الناس و اعلن بالحجة و هتف بهم هتافا مكررا مؤكدا بأن يعارضوه لو لم يكن معجزا، و يأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله ان كان مما تناله قدرة البشر المحدودة، و قد نادى بقرار الإنصاف و المماشة و جعل لهم ان أتوا بعشر سور او سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوى و يستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم، و يدعوا من يستطيعون عقلا ان يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من المعقول سبيلا . جعل لهم ذلك من باب المماشة و المجازاة في الحجة تعليقا على المستحيل، و لهم في ذلك المهلة و الأناة ليعدوا عدتهم في المظاهرة و التعاون ففي سورة

٢ . سورة النجم : الآية ٢ - ٥ .

٤ . سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

٦ . سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

٨ . سورة الإسراء : الآية ٩ .

١ . سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

٣ . سورة الفتح : الآية ٢٩ .

٥ . سورة القلم : الآية ٢ - ٩ .

٧ . سورة الأحزاب : الآية ٤٤ - ٤٥ .

هود المكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله﴾<sup>(١)</sup>، وفي سورة يونس المكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾<sup>(٢)</sup>، وفي سورة البقرة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ فيما تدعونهم وتصفونهم به: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار﴾<sup>(٣)</sup> وفي سورة الاسراء المكية: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتيوا بعثل هذا القرآن لا يأتيون بعثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد مضت لهم عدة اعوام ودعوة الرسالة والإعذار والإنذار والاحتجاج بإعجاز القرآن دائمة عليهم وهم في أشد الضجر من ذلك والكراهية له والخوف من عاقبته. وفي أشد التألم من آثار الدعوة وتقدمها وظهورها. وفي اشد الرغبة في اهوائهم وعاداتهم الوحشية ورناساتهم والعكوف على معبوداتهم، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئا من القرآن الكريم ولو بأن يأتيوا بسورة من مثله، لكي تظهر حجتهم وتسقط عنهم حجة الرسول ويستريحوا من عناهم وقلقهم وآلامهم من دعوته التي شتتت جامعتهم الأوثانية وهددت رناساتهم الوحشية وتشريعاتهم الأهوائية، وفترت بين الأب منهم وبنيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه والقريب وقريبه، وكدرت صفاءهم ونافرت بين عواطفهم. وقد سامهم في دعوته اصلاحا وخضوعا لم يكونوا يحتسبون، ولم يجدوا لذلك حيلة إلا الجحود السخيف والعناد الشديد وقساوة الاضطهاد، والاستشفاع بأبي طالب في نرك الرسول لدعوته أو تمردهم بالمثابرة الوحشية، فاقترحوا فيها الأحوال وتجشموا المصاعب وقتال الأقارب والاخوان ومقاساة الشدائد وذلة المغلوبية. فلماذا لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات او اكثر ويأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم ولو سورة واحدة، ويفاخروا الرسول ﷺ ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدوها لمثل ذلك؟

٢. سورة يونس: الآية ٣٨.

٤. سورة الاسراء: الآية ٨٨.

١. سورة هود: الآية ١٣ - ١٤.

٣. سورة البقرة: الآية ٢٣ - ٢٤.

فتكون لهم الحجة والانتصار في الحكومة وقرار النصفة وينادوا بالغلبة ويستريحوا من عناء هذه الدعوة وتهديدها لضلالهم . فلماذا لم يفعلوا ذلك والقرآن والرسول قد دعواهم إلى ذلك تعجيزاً وهم هم وينابيع فصاحتهم وبلاغتهم غزيرة وغرائزهم في الأدب العربي متدفقة ، وقرانحهم سيالة ، ومواد القرآن في مفرداته وتراكيبه من لغتهم وأسلوبه من نحو صناعتهم التي لهم فيها الممارسة النامة والمهارة الفائقة والرقي المعروف ولله الحجة البالغة؟! .

ولو كان هناك أقل قليل من المعارضة والإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن لرفعه الضلال ناراً على علم . واحتفلت فيه ألوف الألوف من اصدقاء الإسلام والقرآن . ولسجلته دواوينهم في أقطار الأرض وأجيال الأمم ، وتلقوه بأحسن ابتهاج ، وصالوا به أكبر صوله لأنه الفيصل السلمي والحجة الأدبية التي ما فوقها حجة لهم في الجدل والبرهان . ولكن هل سمعت أن أحداً نبس في ذلك بينت شفة أو أجرى في قلم . وإن أمر ذلك بمعزل عن داخلية الإسلام لكي يقال انه أخفته شوكة المسلمين او دسانس تواطيههم ، بل إن بذرتة ومفرسه وسوره وحفظه وحياطته ترجع إلى ألوف الألوف في كل جيل من انصاره اصدقاء الإسلام والقرآن، سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها أو بعد زمان الرسول ﷺ . ألا ترى انه بعد أن ضرب الإسلام بجراته في جزيرة العرب بقي في اليمن وسوريا والعراق كثير من اليهود والنصارى وأمثالهم ؛ وهم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغة العربية ويتكلم بها ويتأدب بأدابها . وأضف إلى ذلك المنافقين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهد وسعهم في عصر الرسول وبعده . فهل يخفى على هؤلاء ما هو ضالتهم المنشودة ، وسلاح سطوتهم ، وعدة صولتهم وأقطع حجة لهم واكبر مدافع عن أديانهم؟ . فإنه لا عطر بعد عرس ولكن ماذا يصنعون بالعدم وعدم القدرة من المتأخر على الاختلاق؟ .

ومما يشهد لما ذكرناه ويجلو تمثيله لبداهة الاعتبار أن اليد الأثيمة غلبت بسنوح الفرصة حتى على المحدثين والمفسرين فدرست في كثير من كتب التفسير خرافة الغرائق وخرافة سبب النزول في آية التمني من سورة الحج كما نجده في اكثر التفاسير . فلوئث

قدس رسول الله ﷺ بما شاءت وسنحت به لها الفرصة . وكذا قدس جميع الأنبياء والمرسلين في حديثهم ، وتلاوتهم بحيث لا يبقى بهم ادنى وثوق في ذلك <sup>(١)</sup> .  
هذا في وجهة الاعجاز الذي تقوم به الحجة على العرب . وان للقرآن المجيد ايضا وجوها من الإعجاز مما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشد اذا اطلع عليها . وهي عديدة نشير إلى بعض منها في هذا المختصر .

#### اعجازه من وجهة التاريخ .

لا نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضية والأمم الخالية وإن كان رسول الله الذي جاء به لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعليما . كما هو المعلوم من تاريخ حياته ﷺ . فإنه يمكن ان يقال ان هذا الإخبار المذكور ممكن في العادة لنوع البشر وان كان معرضا للغلطات التي لا تقال .

بل نقول: ان القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص مع التوراة الراهجة التي اتفق اليهود والنصارى على انها كتاب الله المنزل على رسوله موسى فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة من الخرافات أو الكفر أو عدم الانتظام الذي تشابه فيه كلام المبتلى بالبرسام .

فمن ذلك قصة آدم في نهى الله له عن الأكل من الشجرة وما فيها من الخرافات والكفر بنسبة الكذب والخداع إلى الله جل وعلا وسائر شوؤن القصة على ما جاء في الفصل الثالث من سفر التكوين .

ومن ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه من شك ابراهيم في وعد الله له باعطائه الأرض في سوريا ومن ذكر العلامة في ذلك .

ومن ذلك ما جاء في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر في مجيء الملائكة إلى ابراهيم بالبشرى باسحق واخباره بأمر هلاك قوم لوط ومن حكاية ذهابهم إلى لوط وخطابهم معه . ومن ذلك ما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج في خطاب الله لموسى من الشجرة وفي أواخره ما حصله ان الله جل شأنه افتتح الرسالة لموسى بالتعليم بالكذب .

١ . فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى في صفحة ١٢٢-١٢٨ والجزء الأول من الرحلة المدرسية في صفحة ٣٧ و ٢٨ .

ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والثلاثين في سفر الخروج في ان هارون هو الذي عمل العجل ليكون إلهاً لبني اسرائيل ودعا لعبادته وبنى له رسوم العبادة، فانظر إلى هذه القصص في مواردها المذكورة من التوراة الرائجة - والقرآن الكريم اورد القصة الأولى في سورتي الاعراف وطه - والثانية في أواخر سورة البقرة - والثالثة في سورتي هود والذاريات - والرابعة في سور طه والنمل والقصص - والخامسة في سورتي طه والأعراف فجاءت هذه القصص بكرامة الوحي الإلهي منزهاً عن كل خرافة وكفر وعن كل ما ينافي قدس الله وقدس انبيائه . جارية على المعقول . منتظمة الحجّة . شريفة البيان . وذلك مما يقيم الحجّة ويوجب اليقين بأنه لا يكون إلا من وحي الله ولا يكون من بشر بما هو بشر، مثل رسول الله الذي لم يمارس تعلمًا في المعارف الإلهية ولم يتخرج عن مدرسة ولم يتربّ إلا بين اعراب وحشيين وثنيين على أوحش جانب من الوحشية والوثنية . بل لو مارس جميع التعاليم وتخرج من جميع الكليات لما امكنه ان يتنزه وينزه معارفه وكلامه من أمثال هذه الخرافات الكفرية .

لم يكن في ذلك العصر وما قبله إلا تعاليم اليهود والنصارى . وأساسها في الديانة مبني على ما أشرنا إليه من خرافات التوراة الرائجة فهم عكوف عليها في عبادتهم ومواسمهم وتعاليمهم ومدارسهم . أو تعاليم الوثنيين ومنهم قومه . تلك التعاليم الجهلية الخاسئة . او تعاليم المجوس المتشعبة من كلا التعليمين المذكورين، فإنه صلوات الله عليه لو كان اخذ القصص المذكورة من ذات التوراة الرائجة بالاتقان أو من الروحانيين المسيطرين على تعليمها وأراد أن يتقول بها على الوحي تزلفاً أو مخادعة لهم ليستجيبوا إلى اتباع دعوته لأتى بها على ما في التوراة من الخرافة والكفر . ولو كان أخذها سطحياً من افواه الرجال كما يأخذ الأمي من ألسن العامة لزداد عليها أضعاف خرافاتها وكفرها كما تستلزمه وتوجبها اميته وتربيته، وجهل قومه وبلاده ووحشيتهم ووثنيتهم لكن: ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ <sup>(١)</sup> إلى رسول لا تأخذه في تبليغ الحقائق لومة لائم أو مخالفة أسم . فانظر إلى

تفصيل ذلك في الجزء الأول من الرحلة المدرسية<sup>(١)</sup> وعلى هذا النحو يجري الكلام فيما ذكر في العهد القديم الذي يعده أهل الكتاب من الوحي الصادق، حيث نسب إلى ايوب أشنع الاعتراض على الله والجزع من قضائه ونسبة الظلم اليه جل وعلا وطلب المحاكمة معه حتى انه صار يوبخ واعظيه والناهين له عن هذه الجرأة ويسفه رأيهم. ونسب الزنا إلى داود بأشنع وجه. ونسب إلى سليمان انه تمادى في تأييد الشرك بالله والعبادة الأوثانية وكثر منه بناء المباني لعبادة الأوثان. وقد كثرت مصائب الأناجيل في القديس المسيح مع صغر حجمها وقلة مكتوبها فنسبت الى قدسه شرب الخمر وتكرار الكذب والأحوال المنافية للغة وانتهاؤه لوادته وقدحه في قداستها والقول بتعدد الآلهة والأرباب وغير ذلك مما سنشير اليه. وجاء رسول الله ﷺ بوحي قرآني منزها لهؤلاء الأنبياء ومبرئاً لهم عن هذه الوصمات الشنيعة فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى<sup>(٢)</sup> وعلى هذا النحو يجري الكلام ايضا فيما ذكر في التوراة والعهد القديم من القصص الخرافية المنافية لجلال الله وقدس انبيائه وشرف عائلاتهم كما في خرافات اختباء آدم عن الله. وبرج بابل. وشأن لوط مع الخمر وابنتيه، والمصارعة مع يعقوب ومخادعة يعقوب لأبيه وتكرار كذبه عليه. وقصة يهوذا مع كتته ثامار، وولادة سبط يهوذا الذي منهم داود وسليمان وكثير من الأنبياء. وقصة امنون بن داود وابن عمه مع اخته ثامار، وملاعبب شمشون. ومشورة الله جل شأنه مع جند السماء في اغواء آخاب ملك اسرائيل<sup>(٣)</sup> وكثير من ذلك.

ولأجل ان القرآن الكريم كلام الله القدوس ووحيه لم يذكر شيئا من ذلك، ولو كان من اختلاف رسول الله ﷺ كما يزعم الظالمون لامتنع في العادة على البشرية واغراضها وتزلفاتها أن لا يذكر شيئا من ذلك مع ما فيها من القعقة التاريخية. وان البشر الذي يتطلب

١. صحيفة ٧-١١ و٤١ و٤٢ و٤٣-٤٦ و٤٧ و٥٨ و٣٠-٣٤.

٢. صفحة ١٠٠-١١٠ و١١٢-١١٦ و٢٢٧-٢٣٢.

٣. انظر إلى ذلك في سفر التكوين في الاصحاح الثالث. والهادي عشر. والتاسع عشر. والتاسع والعشرين. والثامن والثلاثين. وفي الثالث عشر من صموئيل الثاني. والرابع عشر إلى السابع عشر من سفر القضاة. والثاني والعشرين من الملوك الأول. والثامن عشر من الأيام الثاني.

قصص العهدين ويذكرها في كلامه واغراضه لا يفوته ما أشرنا إليه .

### اعجازه في وجهة الاحتجاج :

نهض رسول الله ﷺ لتعليم البشر وتنوير بصائرهم في عصر الظلمات والجهل والعمى . ولإرشادهم الى حقائق المعارف التي حجبتها ظلمات الضلال المتراكمة في تلك العصور المظلمة، تلك الظلمات التي استولت على ارجاء العالم بحيث لم تدع أن يتقدح من نور الحق للعقول المغلوبة أقل بصيص، فجاء ﷺ في قرآنه بكثير غزير من الحجج الساطعة على أهم المعارف واشرفها . تلك الحجج الجارية على أحسن نهج وأعمه نفعاً في الاحتجاج والتعليم ، جاء بها على ارقى نحو يستلفت العامي الى نور الغريزة الفطرية فيمثل له شعوره . والى سناء البديهيّات فيجلوه لادراكه . ويجري بمزى تلك الحجج مع الفيلسوف في قوانين المنطق وتنظيم قياساته على أساسيات المعقول . فاحتج على وجود الإله ولوازم إلهيته . وعلمه وقدرته وتوحيده .

وعلى المعاد الجسماني . وعلى ان القرآن وحي إلهي . وعلى صدق الرسول في دعوته، فلا يكاد يوجد في شيء من هذه الحجج خلل عرفاني او هن أدبي او شائبة اختلاف او شائنة من تناقض . فإذا فرضت أي بشر يكون في ذلك العصر المظلم ومثلت نشأته وتربيته بين الأعراب الوحشيين الوثنيين في تلك البلاد الماحلة من كل تعليم والقاحلة من كل فضيلة في المعارف، وانه لم يتعاط تعلماً ولا تأديباً على معلم ولا قراءة مكتوب ولا دراسة كتاب، علمت انه يمتنع عليه في العادة بما هو بشر وبلا وحي إلهي اليه أن يأتي ببيان المعارف الصحيحة والمناقضة للجهل العام في عصره وبينته وقومه، ويحتج عليها بتلك الحجج النيرة القيمة على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته .

وإن شئت أن تزداد بصيرة فيما ذكرناه فانظر الى ما في الأنجيل مما نسبته الى احتجاجات المسيح - وحاشا قدسه منه - وما ذكرته من الحجج الساقطة الفاسدة على أمور أكثرها ضلال أو غلط؛ كالاتجاج على تعدد الآلهة وعلى تعدد الأرباب . وعلى المنع من الطلاق . وانظر الى ما اشتملت عليه من الغلط والتحريف . نعم ذكرت الاحتجاج على القيامة من الأموات ولكن ماذا جاءت به من الغلط والخبط في الحجّة واحوال القيامة؟ .

وإن شئت الاطلاع على شيء من ذلك فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١١٢ - ١١٦ - ١٩٧ و ٢٥٥، والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٧٣ و ٣٢ و ٣٩.

### اهجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض :

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقي، في أبواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت أو الأخلاق أو التشريع المدني والتنظيم الإداري أو الفن الحربي أو البشري، والترغيب بالجزاء أو الانذار والتهديد بالنكال . أو الحجج والأمثال . أو تذكرة المواعظ والعبير . و جرى من ذلك في الميادين الشريفة بأحسن اسلوب واقوم منهج، وبلغ في جميع ذلك اكرم الغايات واعلاها في الرقي، وهو يكرر بحسب الحكمة كثيراً من قصصه ومقاصده وفي جميع ذلك لم تشنه زلة اختلاف ولا عثرة تناقض ولا وهن اضطراب ولا سقوط حجة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان . وها هو بارز في جميع العالم لكل من يريد الهدى والفحص والتدبر ينادي بابهة الافتخار وجمال السداد وشوكة الاستظهار: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾<sup>(٢)</sup> منتشر في ابوابه ومقاصده . فهل يمكن في العادة أن يكون كل هذا من بشر قد ذكرنا لك عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم الوحشي الوثني، ولك العبرة بكتب العهدين وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها اكثر العالم المفتخر بالعلم والتمدن، وينسبونها بكمال الاحتفال الى كرامة الوحي - فكم وكم يوجد فيها من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض وقد ذكر شيء من ذلك في كتب اظهار الحق والهدى - والرحلة المدرسية . واعتبر ايضا بأن كل واحد من الأنجيل لا يزيد على صحيفة اسبوعية، وقد كثر فيها الخبط والتناقض والاختلاف الى حد مهول مدهش، وقد ذكر شيء منه في الجزء الاول من كتاب الهدى صفحة ١٩٦ - ٢٣٤، وايضا ان الأنجيل وكتب العهد الجديد مؤسسة على ان كتب العهدين الرائجة هي كتب وحي إلهي صحيحة . إذن فاعتبر بأنه كم وقع الاختلاف والتناقض بين الأنجيل والعهد الجديد وبين العهد القديم، وقد ذكر شيء

١ . سورة الاسراء: الآية ٩ .

٢ . سورة النساء: الآية ٨٤ .



مما ذكرنا في الجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ١٣٢ - ١٨٤

### إعجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية

قدّر رسول الله ﷺ بشراً عادياً في مثل ما ذكرناه مراراً في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشية. ثم انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى إليه ان يأتي من عنده ومن بشريته، بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشريعة الحقوقية العادلة والقوانين القيمة والأنظمة المعقولة الجارية بأجمعها على ما هو الصالح للبشر في المدنية والإجتماع والسياسة والحرب ومقدماتها ونتائجها. وجرت في عنايتها بالاصلاح من ادارة جميع العالم إلى الإدارة العائلية والبيتية والزوجية، بل وإلى شؤون الكاتب والشاهد كما في سورة البقرة آية ٢٨٢ فمنعت فيهما من حضارة الكاتب والشاهد ونهت عن ان يحملا من أجل الكتابة والشهادة وادانها ضرر المشقة والعناء وتضييع وقت اكثر من الوقت الطبيعي لمحض الاداء. وفي ذلك عبرة لأولي الألباب. واليك فانظر ما في القرآن الكريم من الشرائع والقوانين العامة والخاصة واعتبر بكرامتها ومجدها في التشريع الفائق والاصلاح الحميد. ولا تحتاج معرفة مجدها وكرامتها إلى المقايسة والاعتبار بشرائع قطره وقومه، تلك الشرائع الجائرة الوحشية الوثنية. نعم تزداد بصيرة إذا نظرت إلى شرائع التوراة الرائجة التي يعتبرها اليهود والنصارى في اجيالهم في اكثر من خمسة وعشرين قرناً ويعدونها كتاب وحي إلهي مقدس، فانظر فيما فيها من شريعة تقديس هارون وبنيه وتفصيل ثيابهم وأوضاعها. وشريعة امرأة الأخ الميت. وتقلتها ولدها البكر من الأخ الثاني. وشريعة من ادعى زوجها انه لم يجد لها عذرة. وشريعة قتل الأطفال والنساء من البلاد المفتوحة بالحرب، فإنك تعرف ان هذه الشرائع لا تكون إلا من بشر سخيف قاس، وتزداد بصيرة بمجد القرآن الشريف في تشريعه وإنه لا يكون الا من وحي إلهي، وقد اشير الى شيء مما ذكرنا في أواخر الجزء الثاني من كتاب الهدى صفحة ٢٨٥ - ٢٩٢، والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ و ٧٩ - ٨٢، وانظر إلى المعهد الجديد والغائه لنظام المدنية والأخذ أمام الظلم والعدوان، بحيث ترك العالم بلا نظام رادع ولا شريعة تأديب عادلة فإنك تزداد

بصيرة بأن المتقول على الوحي في أمر التشريع لا بد له من ان يسقط سقطة تشوه التاريخ وتثنّ منها الحقائق جزءاً ، فاهرف اذن اعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الألهي .

### اعجازه من وجهة الأخلاق :

وإذا نظرت إلى ظلمات العصر والقطر والتربية، وشيوع الجهل في الأمة، وسوء الأعمال وعدم الدراسة في العلم أو التخريج في الفضيلة على الحكماء الصالحين، فإنك ترى هذه الأمور لها اثر كبير في الجهل بالأخلاق الفاضلة والانحراف عن جادتها والخبط في معرفتها وتمييز حدودها. فلا ترد البشر إلى الاستقامة في ذلك تكلفات الفكر المحاط بالجهل العام والحيل المظلم والقطر الوبيء من نزغات الأهواء . ولئن حاول الرجل المرید للصالح حينئذ شيئاً من تهذيب الإخلاق لم يهتد السبيل في قوله وعمله، إلا إلى شيء يشير اليه التداول بين جملة من الناس، ولئن تكلف المتفلسف شيئاً من التعليم بالأخلاق خبط فيها خبطاً غلب فيه الجهل والزلل وتتابعت فيه العثرات .

ومن بين تلك الظلمات المذكورة بزغ القرآن الكريم بأنواره، وأتى بما لا تسمح به العادة بأن يأتي به في تلك الظلمات بشر من عند نفسه وتقولاً على الوحي، فجاء في اجماله وتفصيله مستقصياً للأخلاق الفاضلة على حدودها بالحث على التزين بها بما توجب الحكمة من البعث والترغيب . ومحصياً للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بهابما يوجب الإصلاح من الارهاب والتنفير . واقام لذلك في العالم اشرف مدرسة زاهرة واعلا فلسفة مرشدة، وابلغ خطابة واعظة، واليك بعضاً من جوامعها في ذلك كقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يحفظكم لعلكم تذكرون﴾<sup>(١)</sup>. ومن سورة الفرقان مافي الآية الرابعة والستين الى الخامسة والسبعين. ومن سورة المعارج ما في الآية الثالثة والعشرين الى الثالثة والثلاثين . ومن سورة الحجرات مافي الآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . وغير ذلك مما لا يكاد أن تخلو منه سورة او يتخطاه تعليم او يحابي به قوم دون قوم او يتجاوز بالا فراط الى التفريط

والإخلال بنظام المدينة وراحة الاجتماع

ولك العبرة بأن التوراة الرائجة فيها وشل من تعاليم التوراة الحقيقية، ولكن لأنها تلفيق واختلاق بشري كدّرت مافيها من ذلك الوشل وذهبت بصفاء التعليم الإلهي . فأمرت بني اسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم ونهتهم عن الحقد على ابناء شعبهم وعن السعي بالوشاية وعن شهادة الزور على قريبهم، وأن يغدر احدهم بصاحبه . ويا للأسف على شرف هذا الأمر والنهي إذ شوّهت جماله بتخصيص تعليمها لبني اسرائيل وبتخصيص الأمور به والمنهي عنه بالقريب والشعب والصاحب .

ولك العبرة ايضاً بأن الأنجيل الرائجة قد افترطت بتصوفها البارد فنهت عن ردع الظالمين بالانتصاف من الظالم، وقطع مادة الفساد بالحدود الشرعية ودفاع الظالمين، بل علمت بأن من لطمك على خدك الأيمن فأدرله الآخر ايضاً، ومن اراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً ومن اخذ الذي لك فلا تطالبه . فلوثت بافراطها البشري قدس تعاليم المسيح المتلقاة من الوحي الإلهي .

اصحازه في وجهة علم الغيب :

وقد تكرر في القرآن معجزه في اخباره بالغيب اخباراً يقتضي التكهن والفراسة خلافة؛ من حيث النظر الى الحال الحاضر وطغيان الشرك، وضعف الدعوة الإسلامية ومايجري من النكال والتشريد والجفاء على ملبئها . فمن ذلك قوله في سورة الحجر المكية في الأمر لرسول الله ﷺ بالاعلان بالدعوة والبشري بنجاحها وارغام معانديهاومعارضها، وكان ذلك عند طغيان الشرك واستفحاله وهيجان المشركين على رسول الله : ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ ﴿ انما كفييناك المستهزئين ﴾ ﴿ الذين يجمعون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ﴾<sup>(١)</sup>، وقد كفاه الله اشرف كفاية لم تكن تعلق بها الآمال بحسب العادة . وقد بان للمشركين وعلموا مافي قوله تعالى في آخر الآية فسوف يعلمون . وقوله في سورة الصف المكية في الحال الذي وصفناه من طغيان الشرك والمشركين : ﴿ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون ﴿<sup>(١)</sup> فأظهره على الدين أعز اظهار ارغمت به أناف المشركين . ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى في سورة الروم: ﴿غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ <sup>(٢)</sup>. فغلبت الروم فارس ودخلت مملكتها قبل مضي عشر سنين، وقوله تعالى في سورة تبت في شأن ابي لهب وامرأته: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾ <sup>(٣)</sup> وهو اخبار بأنهما يموتان على الكفر ولا يحظيان بسعادة الإسلام الذي يكفر عنهما آثام الشرك ويحط اوزاره، فماتا على الكفر كما اخبر به اخبارا حتميا .

ولك العبرة في ذلك بأن انجيل متى ذكر اخباراً واحداً غيبيا للمسيح وهو انه يبقى مدفوناً في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . ولكن ما برح انجيل متى أن كذب في أواخره هذا الأخبار فوافق الأنجيل الثلاثة الأخر على ان المسيح في مساء ليلة السبت طلب بعض الناس جثته من بيلاطس فأنزلها عن الصليب وكفنها ودفنها، وقبل الفجر من يوم الأحد قام المسيح من الموت وخرج عن قبره . وعلى ذلك لا يكون المسيح بقي في القبر الأيلة السبت ونهاره وليلة الأحد وذلك نهار وليلتان .

هذا وإنني عند مقايستي للقرآن الكريم بما ينسب إلى الوحي الإلهي من كتب الأمم المتدينة ومنهم البراهمة والبوذيون وغيرهم، لم يحضر عندي الا كتب العهدين، فلا ينبغي أن تجعل مقايستي بهما تحاملا على خصوص اليهود والنصارى . ولي العذر في ذلك فإنه لا يصح للإنسان ان تأخذه في خدمة الحق وايضاح الحقيقة وتأييدها لومة لائم او يصده عدل عادل . فإن خدمة الحق نصره للبشر جميعا والله المستعان .

هذا شيء قليل من البيان في الوجوه المذكورة إذ لا يسع هذا المختصر اكثر من ذلك . وهب ان الوسوس تتمم على الحقائق وتغالط الاذهان بواهيات الشكوك في الإعجاز ببعض آحادها ولكن هل يمكن ذلك بالنظر إلى مجموعها؟ وهل يسوغ لذي الشعور ان يختلج في ذهنه الشك في اعجاز الكتاب الجامع بفضيلته لهذه الكرامات الباهرة،

٢. سورة الرّوم: الآية ١-٣.

١. سورة الصّف: الآية ٩.

٣. سورة تبت: الآية ٣-٥.

وخروجه عن طوق البشر مطلقاً وخصوصاً في ذلك العصر وتلك الأحوال، وهل يسمح عقله الإبان يقول: ﴿ان هو الا وحي يوحى﴾ (١) (٢) ٢٢٣.

قال ابن هاشور: «إن العناية بمانحن بصدده من بيان وجوه إعجاز القرآن إنما نبعت من مُخْتَرَن أصل كبير من أصول الإسلام وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي ﷺ، وكونه المعجزة الباقية، وهو المعجزة التي تحدى بها الرسول معانديه تحدياً صريحاً. قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله واتمأنا نذير مبين. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ (٣) ولقد تصدى للاستدلال على هذا أبو بكر الباقلائي في كتاب له سماه أو سُمِّي «إعجاز القرآن» وأطال، وخالصة القول فيه: أن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام بنيت على معجزة القرآن وإن كان قد أُبْد بعد ذلك بمعجزات كثيرة، إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال ومع ناس خاصة ونقل بعضها متواتراً وبعضها نُقِل نقلاً خاصاً، فأما القرآن فهو معجزة عامة، ولزوم الحجة به باق من أول ورودها إلى يوم القيامة، وإن كان يعلم وجه إعجازه من عجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله فيغني ذلك عن نظر مُجَدِّد، فكذلك عَجَزَ أهل كل عصر من العصور التالية عن النظر في حال عجز أهل العصر الأول، ودليل ذلك متواتر من نص القرآن في عدة آيات تتحدى العرب بأن يأتوا بسورة مثله، وبعشر سور مثله مما هو معلوم، ناهيك أن القرآن نادى بأنه معجز لهم، نحو قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار﴾ (٤) الآية، فإنه سهَّل وسجَّل: سهَّل عليهم أن يأتوا بمثل سورة من سوره، وسجَّل عليهم أنهم لا يفعلون ذلك أبداً، فكان كما سجَّل، فالتحدى متواتر وعجز المتحدثين أيضاً متواتر بشهادة التاريخ إذ طالبت مدتهم في الكفر ولم يقيموا الدليل على أنهم غير عاجزين، وما استطاعوا الإتيان بسورة مثله ثم عدلوا إلى المقاومة بالقوة.

قال الله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

٢. آلاء الرحمن ج ١ ص ٥ - ١٦.

٤. سورة البقرة: الآية ٢٣ و ٢٤.

١. سورة النجم: الآية ٤.

٣. سورة المكنوت: الآية ٥٠ و ٥١.

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴿ الآية من سورة البقرة .

وقال : ﴿ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
فعجز جميع المتحدثين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توفر دواعيهم عليها .

وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك؛ فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي ، لتقوم الحجة عليهم بمرأى ومسمع من جميع العرب . ويعرف هذا القول بالصرفة ، كما في المواقف للعضد والمقاصد للتفتازاني (ولعلها بفتح الصاد وسكون الراء وهي مرة من الصرف وصيغ بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص فصارت كالعلم بالغلبة ) ولم ينسبوا هذا القول إلا إلى الأشعري فيما حكاه أبو الفضل عياض في الشفاء وإلى النظام والشريف المرتضى وأبي إسحاق الاسفرائيني فيما حكاه عنهم عضد الدين في المواقف ، وهو قول ابن حزم صرح به في كتاب الفصل (ص ٧ الجزء ٣) (ص ١٨٤ الجزء ٢) وقد عزاه صاحب المقاصد في شرحه إلى كثير من المعتزلة .

وأما الذي عليه جمهرة أهل العلم والتحقيق واقتصر عليه أئمة الأشعرية وإمام الحرمين ، وعليه الجاحظ وأهل العربية كما في المواقف ، فالتعليل لعجز المتحدثين به بأنه بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله ، وهو الذي نعتمده ونسير عليه في هذه المقدمة .

وقد بدا لي دليل قوي على هذا وهو بقاء الآيات التي نسخ حكمها وبقيت مثلوة من القرآن ومكتوبة في المصاحف ، فإنها لما نسخ حكمها لم يبق وجه لبقاء تلاوتها وكتبتها في المصاحف إلا ما في مقدار مجموعها من البلاغة بحيث يلتئم منها مقدار ثلاث آيات

٢. سورة هود: الآية ١٣ .

١. سورة يونس: الآية ٣٨ .

متحدى بالآتيان بعثلها ، مثال ذلك آية الوصية في سورة العقود .

وإنما وقع التحدي بسورة أى وإن كانت قصيرة دون أحد يتحداهم بعدد من الآيات ، لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سبق فيه من فواتح الكلام وخواتمه ، وانتقال الأغراض ، والرجوع إلى الغرض ، وفنون الفصل ، والإيجاز والإطناب ، والاستطراد والاعتراض ، وقد جعل شرف الدين الطيبي <sup>(١)</sup> هذا هو الوجه لإيقاع التحدّي بسورة دون أن يجعل بعدد من الآيات .

وإذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها ، فنرى ملاك وجوه الإعجاز راجعا إلى ثلاث جهات :

الجهة الأولى - بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيد أصل وضع اللغة ، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم .

الجهة الثانية - ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب ، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة .

الجهة الثالثة - ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم يبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة ، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني والقاضي عياض .

وقد عدّ كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعد جهة رابعة هي ما نظوى عليه من الإخبار عن المغيبات مما دل على أنه منزل من علام الغيوب ، وقد يدخل في هذه الجهة ما عده عياض في الشفاء وجهاً رابعاً من وجوه إعجاز القرآن وهو ما أنبأه من أخبار القرون السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا اللذ من أخبار أهل الكتاب ، فهذا معجز للعرب الأميين خاصة وليس معجزاً لأهل الكتاب ، وخاصّ ثبوت إعجازه بأهل الإنصاف من الناظرين في نشأة الرسول ﷺ وأحواله ، وليس معجزاً للمكابرين ، فقد قالوا

١. سمع على الأصح الحسين ، وقيل : الحسن بن محمد الطيبي بكسر الطاء وسكون الياء ، الشافعي المتوفى سنة ٧٤٣ .

﴿إنما يعلمه بشر﴾<sup>(١)</sup>.

فإعجاز القرآن من الجهتين الأولى والثانية متوجه إلى العرب، إذ هو معجز لفصحائهم وخطبانهم وشعرانهم مباشرة، ومعجز لعامةهم بواسطة إدراكهم، إن عجز مقاربه عن معارضته مع توفر الدواعي عليه هو برهان ساطع على أنه تجاوز طاقة جميعهم. ثم هو بذلك دليل على صدق المنزّل عليه لدى بقية البشر الذين بلغ إليهم صدق عجز العرب بلوغاً لا يستطاع إنكاره لمعاصريه بتواتر الأخبار، ولمن جاء بعدهم بشواهد التاريخ. فإعجازه للعرب الحاضرين دليل تفصيلي، وإعجازه لغيرهم دليل إجمالي.

ثم قد يشارك خاصة العرب في إدراك إعجازه كل من تعلم لغتهم ومارس بليغ كلامهم وآدابهم من أئمة البلاغة العربية في مختلف العصور، وهذا معنى قول السكاكي في المفتاح مخاطباً للنظر في كتابه «متوسلاً بذلك (أي بمعرفة الخصائص البلاغية التي هو بصدد الكلام عليها إلى أن تتأق في وجه الإعجاز في التنزيل منتقلاً مما أجمّله عجز المتحدّثين به عندك إلى التفصيل».

والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبة إعجازاً مستمراً على ممر العصور، وهذا من جملة ما شمله قول أئمة الدين: إن القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والأخلاقية، وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني، وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك.

وهو من الجهة الرابعة - عند الذين اعتبروها زائدة على الجهات الثلاث - معجز لأهل عصر نزوله إعجازاً تفصيلياً، ومعجز لمن يجيء بعدهم ممن يبلغه ذلك بسبب تواتر نقل القرآن، وتعيّن صرف الآيات المشتملة على هذا الإخبار إلى ما أريد منها. هذا ملاك الإعجاز بحسب ما انتهى إليه استقراؤنا إجمالاً، ولناخذ في شيء من تفصيل ذلك وتمثيله.

فأما الجهة الأولى: فمرجعها إلى ما يسمّى بالطرف الأعلى من البلاغة والفصاحة، وهو



المصطلح على تسميته حدّ الإعجاز ، فلقد كان منتهى التنافس عند العرب بمقدار التفوق في البلاغة والفصاحة ، وقد وصف أئمة البلاغة والأدب هذين الأمرين بما دون له علما المعاني والبيان ، وتصدّوا في خلال ذلك للموازنة بين ماورد في القرآن من ضروب البلاغة وبين أبلغ ما حفظ عن العرب من ذلك ماعداً في أقصى درجاتها. وقد تصدى أمثال أبي بكر الباقلائي وأبي هلال العسكري وعبدالقاهر والسكّانكي وابن الأثير ، إلى الموازنة بين ماورد في القرآن وبين ماورد في بليغ كلام العرب من بعض فنون البلاغة بما فيه مقنع للمتأمل ، ومثل للمتأمل . وليس من حظ الواصف إعجاز القرآن وصفا إجماليا كصنعنا ههنا أن يصف هذه الجهة وصفا مفصلا لكثرة أفانينها ، فحسبنا أن نحيل في تحصيل كلياتها وقواعدها على الكتب المجعولة لذلك مثل دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، والقسم الثالث فما بعده من المفتاح ، ونحو ذلك ، وأن نحيل في تفاصيلها الواصفة لإعجاز آي القرآن على التفسير المؤلفة في ذلك وعمدتها كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري ، وما سنستنبطه ونبتكره في تفسيرنا هذا إن شاء الله ، غير أنني ذاكر هنا أصولا لنواحلي إعجازه من هذه الجهة وبخاصة مالم يذكره الأئمة أو أجملوا في ذكره.

وحسبنا هنا الدليل الاجمالي؛ وهو أن الله تعالى تحدى بلغاهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يتعرض واحد إلى معارضته ، اعترافا بالحق وزبناً بأنفسهم عن التعريض بالنفس إلى الافتضاح ، مع أنهم أهل القدرة في أفانين الكلام نظما ونثرا ، وترغيبا وزجرا ، قد خصّوا من بين الأمم بقوة الذهن وشدة الحافظة وفصاحة اللسان وتبيان المعاني ، فلا يستعصب عليهم سابق من المعاني ، ولا يجمع بهم عسير من المقامات .

قال عياض في الشفاء : « فلم يزل يقرّهم النبي ﷺ أشدّ التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفّه أحلامهم ويحطّ أعلامهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن معائلته ، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والإغراء بالافتراء ، وقولهم : إن هذا إلا سحر يؤثر - وسحر مستمرّ - وإفك افتراء - وأساطير الأولين . وقد قال تعالى : ﴿ فبأن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾<sup>(١)</sup> ، فما فعلوا ولا قدروا ، ومن تعاطى ذلك من سخفانهم كمسيلمة كشف عواره

لجميعهم . ولما سمع الوليد بن المغيرة قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (١) الآية قال : «والله إن له لحلاوة وإن عليه لَطَلَاوَةٌ، وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمشمم وما هو بكلام بشر» .

وذكر أبو عبيدة : أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال : سجدت لفصاحته ، وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة اصدع في إبانيتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها ، وكلمة بما تؤمر في إيجازها وجمعها . وسمع آخر رجلا يقرأ : ﴿فلما استأسوا منه خلصوا نجيا﴾ (٢) فقال : «أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام» .

وكون النبي ﷺ تحدى به وأن العرب عجزوا عن معارضته معارضا بالضرورة إجمالا وتصدى أهل علم البلاغة لتفصيله ، قال السكاكي في المفتاح : واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدْرِكُ ولا يمكن وصفها ، أو كالملاحة . ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا . وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين ( المعاني والبيان ) نعم للبلاغة وجوه مثلثة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى عليك ، أمانفس وجه الإعجاز فلاها .

قال التفتراني : « يعني أن كل ماندركه بعقولنا ففي غالب الأمر نتمكن من التعبير عنه ، والإعجاز ليس كذلك لأننا نعلم قطعا من كلام الله أنه بحيث لا تمكن للبشر معارضته والإتيان بمثله ولا يماثله شيء من كلام فصحاء العرب مع أن كلماته كلمات كلامهم ، وكذا هيئات تراكيبه ، كما أننا نجد كلاما نعلم قطعا أنه مستقيم الوزن دون آخر ، وكما أننا ندرك من أحد كون كل عضو منه كما ينبغي وآخر كذلك أو دون ذلك ، لكن فيه شيء نسميه الملاحظة ولا نعرف أنه ماهو ، وليس مدرك الإعجاز عند المصنف سوى الذوق وهو قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ووجوه محاسنه الخفية ، فإن كان حاصلها بالفطرة فذاك وإن أريد اكتسابه فلا طريق إليه سوى الاعتناء بعلمى المعاني والبيان وطول ممارستهما والاشتغال بهما ، وإن جمع بين الذوق الفطرى وطول خدمة العلمين فلا غاية وراءه ، فوجه الإعجاز أمر من جنس البلاغة والفصاحة لا كما ذهب إليه النظام وجمع من المعتزلة ؛ أن

١. سورة النحل : الآية ٩٠ .

٢. سورة يوسف : الآية ٨٠ .

إعجازه بالصُّرفة بمعنى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب قدرتهم عليها، ولا كما ذهب إليه جماعة من أن إعجازه بمخالفة أسلوبه لأساليب كلامهم من الأشعار والنخطب والرسائل لاسيما في المقاطع مثل: يؤمنون وينفقون ويعلمون، قال السيد: لاسيما في مطالع السور ومقاطع الآي، أو بسلامته من التناقض، قال السيد: مع طوله جدا، أو باشتماله على الإخبار بالمغيبات والكل فاسد. اهـ

وقال السيد الجرجاني: فهذه أقوال خمسة في وجه الإعجاز لاسداس لها.

وقال السيد: أراد المصنف أن الإعجاز نفسه وإن لم يمكن وصفه وكشفه بحيث يدرك به لكن الأمور المؤدية إلى كون الكلام معجزا أعني وجوه البلاغة قد تحتجب، فربما تيسر كشفها ليتقوى بذلك ذوق البليغ على مشاهدة الإعجاز.

يريد السيد بهذا الكلام إبطال التدافع بين قول صاحب المفتاح: يدرك ولا يمكن وصفه إذ نفى الإمكان، وبين قوله نعم للبلاغة وجوه متلثمة ربما تيسرت إمطة اللثام عنها، فأنبت تيسر وصف وجوه الإعجاز، بأن الإعجاز نفسه لا يمكن كشف القناع عنه، وأما وجوه البلاغة فيمكن كشف القناع عنها.

واعلم أنه لاشك في أن خصوصيات الكلام البليغ ودقائقه مرادة لله تعالى في كون القرآن معجزا وملحوظة للمتحدثين به على مقدار ما يبلغ اليه بيان المبين. وإن إشارات كثيرة في القرآن تلفت الأذهان لذلك، ويحضرني الآن من ذلك أمور: أحدها ما رواه مسلم والأربعة عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: قسمت الصلاة (أي سورة الفاتحة) بيني وبين عبدني نصفين ولعبدني ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدني. وإذا قال: ﴿الرحمان الرحيم﴾، قال الله تعالى: أنى علي عبدني. وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾، قال: مجدني عبدني، وقال مرة: فوض الي عبدني. فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، قال: هذا بيني وبين عبدني ولعبدني ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾<sup>(١)</sup>، قال: هذا لعبدني ولعبدني ما سأل.

ففي هذا الحديث تنبيه على ما في نظم فاتحة الكتاب من خصوصية التقسيم إذ قسم الفاتحة ثلاثة أقسام. وحُسن التقسيم من المحسنات البديعية. مع ما تضمنه ذلك التقسيم من محسن التخلص في قوله فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، قال: «هذا بيني وبين عبي» إذ كان ذلك مزيجاً من القسمين الذي قبله والذي بعده.

وفي القرآن مراعاة التجنيس في غير ما آية والتجنيس من المحسنات، ومنه قوله تعالى: ﴿وهم ينهون عنه ويتأون عنه﴾<sup>(١)</sup>.

وأما الجهة الثانية: وهي ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في أساليب الكلام البليغ وهذه جهة مغفولة من علم البلاغة، فاعلم أن أدب العرب نوعان شعر ونثر، والنثر خطابة وأسجاع كهان، وأصحاب هذه الأنواع وإن تنافسوا في ابتكار المعاني وتفاوتوا في تراكيب أدائها في الشعر، فهم - بالنسبة إلى الأسلوب - قد التزموا في أسلوب الشعر والخطابة طريقة واحدة تشابهت فنونها، فكادوا لا يعدون ما ألفوه من ذلك حتى إنك لتجد الشاعر يحذو حذو الشاعر في فواتح القصائد وفي كثير من تراكيبها، فكم من قصائد افتتحت بقولهم: «بانت سعاد» للنابغة وكعب بن زهير، وكم من شعر افتتح بـ.

يا خليلي أربعا واستخبرا

وكم من شعر افتتح بـ يا أيها الراكب المزجي مطيته  
وقال امرؤ القيس في معلقته:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل

فقال طرفة في معلقته بيتاً مماثل له سوى أن كلمة القافية منه «وتجلد».

وكذلك القول في خطبهم تكاد تكون لهجة واحدة وأسلوباً واحداً فيما بلغنا من خطب سبحان وقس بن ساعدة. وكذلك أسجاع الكهان وهي قد اختلفت بقصر الفقرات وغرابة الكلمات. إنما كان الشعر الغالب على كلامهم، وكانت الخطابة بحالة ندور لندرة مقاماتها. قال عمر: «كان الشعر علم القوم ولم يكن لهم علم أصح منه» فأنحصر تسابق جياذ البلاغة في ميدان الكلام المنظوم، فلما جاء القرآن ولم يكن شعراً ولا سجع كهان، وكان من

أسلوب الثر أقرب إلى الخطابة، ابتكر للقول أساليب كثيرة بعضها تتنوع بتنوع المقاصد، ومقاصدها بتنوع أسلوب الإنشاء، فيها أفانين كثيرة فيجد فيه المطلع على لسان العرب بنيته ورغبته، ولهذا قال الوليد ابن المغيرة لما استمع إلى قراءة النبي ﷺ: «والله ما هو بكاهن، ما هو بزمزمته ولا سجعته، وقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه ومبسوطه، ومقبوضه ما هو بشاعر».

وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها، وإن لذلك التنوع حكمتين داخليتين في الإعجاز: أولاً هما: ظهور أنه من عند الله، إذ قد تعارف الأدباء في كل عصر أن يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلفة كل يجيد أسلوباً أو أسلوبين. الثانية: أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدثين به بحيث لا يستطيع أحد أن يقول: إن هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته ولو جاءنا بأسلوب آخر لعارضته.

نرى من أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب؛ أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه، وهما: مقصد الموعظة ومقصد التشريع، فكان نظمه يمنح بظاهرة السامعين ما يحتاجون أن يعلموه وهو في هذا النوع يشبه خطبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالم الخبير أحكاماً كثيرة في التشريع والآداب وغيرها، وقد قال في الكلام على بعضه: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾<sup>(١)</sup>، هذا من حيث ما لمعانيه من العموم والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها.

ومن أساليبه ما أسمىه بالتفنن؛ وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنباً لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعداد من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه، ومن أبدع أمثلة ذلك قوله: ﴿مَثَلُهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صَمَّ بكم عمى لهم لا يرجعون. أو كصَيْبٍ

من السماء فيه ظلماتٌ ورَهْدٌ ويَرْقُ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموتِ واللُّهُ محيطٌ بالكافرين . يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ بحيث كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة العزيز مثلها في شعر العرب وفي نثر بلغائهم من الخطباء وأصحاب بدائه الأجوبة . وفي هذا التفنن والتنقل مناسبات بين المنتقل منه والمنتقل إليه هي في منتهى الرقة والبداعة بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله .

وأما الجهة الثالثة من جهات الإعجاز : وهي ما أودعه من المعاني الحكيمة والإشارات العلمية ، فاعلموا أن العرب لم يكن لهم علم سوى الشعر وما تضمنه من الأخبار ، قال عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم القوم ولم يكن لهم علم أصح منه » .

إن العلم نوعان : علم اصطلاحي وعلم حقيقي ، فأما الاصطلاحى فهو : ما تواضع الناس في عصر من الأعصار على أن صاحبه يعد في صف العلماء ، وهذا قد يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمم والأقطار ، وهذا النوع لا تخلو عنه أمة .

وأما العلم الحقيقي : فهو معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان ، وما به يبلغ إلى ذروة المعارف وإدراك الحقائق النافعة عاجلا وأجلا ، وكلا العلمين كمال إنسانى ووسيلة لسيادة أصحابه على أهل زمانهم ، وبين العلمين عموم وخصوص من وجه . وهذه الجهة خلا عنها كلام فصحاء العرب ، لأن أغراض شعرهم كانت لا تعدو وصف المشاهدات والمتخيلات والافتراضات المختلفة ولا تحوم حول تقرير الحقائق وفضائل الأخلاق التي هي أغراض القرآن ، ولم يقل إلا صدقا كما أشار إليه فخر الدين الرازي .

وقد اشتمل القرآن على النوعين ، فأما النوع الأول ؛ فتناوله قريب لايحتاج إلى كد فكر ولا يقتضى نظرا ، فإن مبلغ العلم عندهم يومئذ علوم أهل الكتاب ومعرفة الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء والأمم وأخبار العالم ، وقد أشار إلى هذا القرآن بقوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحموا أن تقولوا إننا أنزل الكتاب على طائفتين

مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿١﴾، وقال: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ (٢) ونحو هذا من محاجة أهل الكتاب. ولعل هذا هو الذي عناه عياض بقوله في الشفاء: «ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم القصة منه إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قضى عمره في تعليم ذلك، فيورده النبي ﷺ على وجهه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، كخبر موسى مع الخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذوي القرنين، ولقمان» الخ كلامه، وإن كان هو قد ساقه في غير مساقنا بل جاء به دليلاً على الإعجاز من حيث علمه به ﷺ مع ثبوت الأئمة، ومن حيث محاجته إياهم بذلك.

وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي؛ فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبجج للناس شيئاً فشيئاً أنبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله؛ لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ناوٍ بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى في سورة القصص: ﴿قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ (٣)، ثم إنه ما كان قصاره مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يالفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه.

قال ابن عرفة عند قوله تعالى: ﴿تولج الليل في النهار﴾ (٤) - في سورة آل عمران -: «كان بعضهم يقول: إن القرآن يشتمل على ألفاظ يفهمها العوام وألفاظ يفهمها الخواص، وعلى ما يفهمه الفريقان ومنه هذه الآية، فإن الإيلاج يشمل الأيام التي لا يدركها إلا الخواص والفصول التي يدركها سائر العوام» أقول: وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رِقْعًا فَنفَقَتَاهُمَا﴾ (٥).

١. سورة الأنعام: الآية ١٥٥ - ١٥٧.

٢. سورة القصص: الآية ٤٩ و ٥٠.

٣. سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

٤. سورة هود: الآية ٤٩.

٥. سورة آل عمران: الآية ٢٧.

فمن طرق إعجازه العلمية أنه دعا للنظر والإستدلال، قال في الشفاء: «ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد للعرب، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجة العقلية، والرد على فرق الأمم ببراہين قوية وأدلة، كقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد فتح الأعيُن إلى فضائل العلوم بأن شبه العلم بالنور وبالحياة، كقوله: ﴿لينذر من كان حياً﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظلمات إلى النور﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾<sup>(٦)</sup>.

وهذا النوع من الإعجاز هو الذي خالف به القرآن اساليب الشعر وأغراضه مخالفة واضحة.

هذا والشاطبي قال في الموافقات: «إن القرآن لا تُحْمَل معانيه ولا يُتَأَوَّل إلا على ما هو متعارف عند العرب» ولعل هذا الكلام صدر منه في التفصي من مشكلات في مطاعن الملحدين اقتصادا في البحث وإبقاء على نفيس الوقت، وإلا فكيف ينفي إعجاز القرآن لأهل كل العصور، وكيف يقصر إدراك إعجازه بعد عصر العرب على الإستدلال بعجز أهل زمانه إذ عجزوا عن معارضته، وإذ نحن نسلم لهم التفوق في البلاغة والفصاحة، فهذا إعجاز إقناعي بعجز أهل عصر واحد ولا يفيد أهل كل عصر إدراك طائفة منهم لإعجاز القرآن. وقد بينت نقض كلام الشاطبي في أواخر المقدمة الرابعة<sup>(٧)</sup>. وقد بدت لي حجة لتعلق هذه الجهة الثالثة بالإعجاز ودوامه وعمومه وهي قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما من الأنبياء نبي إلا أوتى - أو أعطى - من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي وإني أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» ففيه نكتتان غفل

١. سورة الانبياء: الآية ٢٢.

٢. سورة يس: الآية ٨١.

٣. سورة يس: الآية ٧٠.

٤. سورة البقرة: الآية ٢٥٧ وسورة المائدة: الآية ١٦.

٥. سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

٦. سورة الزمر: الآية ٩.

٧. انظر الحرر الوجيز ج ١ ص ٤٤.



عنهما شارحوه: الأولى أن قوله: ما مثله آمن عليه البشر، اقتضى أن كل نبي جاء بمعجزة؛ هي إعجاز في أمر خاص كان قومه أعجب به وأعجز عنه فيؤمنون على مثل تلك المعجزة. ومعنى آمن عليه أي: لأجله وعلى شرطه، كما تقول: على هذا يكون عملنا أو اجتماعنا. الثانية: أن قوله: «وإنما كان الذي أوتيت وحياً» اقتضى أن ليست معجزته من قبيل الأفعال كما كانت معجزات الرسل الأولين أفعالاً لا أقوالاً، كقلب العصا وانفجار الماء من الحجر، وإبراء الأكمه والأبرص، بل كانت معجزته ما في القرآن من دلالة على عجز البشر عن الإتيان بمثله من جهتي اللفظ والمعاني، وبذلك يمكن أن يؤمن به كل من يتغنى إدراك ذلك من البشر ويتدبره، ويفصح عن ذلك تعقيبه بقوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» إذ قد عطف بالغاء المؤذنة بالترتب، فالمناسبة بين كونه «أوتى وحياً» وبين كونه «يرجو أن يكون أكثرهم تابعاً» لا تنجلي إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان، حتى يكون الذين يهتدون لدينه لأجل معجزته أما كثيرين على اختلاف قرائحهم، فيكون هو أكثر الأنبياء تابعاً لا محالة، وقد تحقق ذلك لأن المعنى بالتابع، التابع له في حقائق الدين الحق لا اتباع الادعاء والانتساب بالقول. ولعل الرجاء متوجه إلى كونه أكثر من جميعهم تابعاً أي أكثر أتباعاً من أتباع جميع الأنبياء كلهم، وقد أغفل بيان وجه التفريع في هذا اللفظ النبوي البليغ.

وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب، إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن وغير حاصل به التحدي بالإشارة، نحو قوله: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾<sup>(١)</sup>.

وإعجاز من هذه الجهة للعرب ظاهر: إذ لا قبل لهم بتلك العلوم كما قال الله تعالى: ﴿ما كُنْتُمْ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وإعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أمياً في قوم أميين. وإعجازه لأهل الكتاب خاصة إذ كان ينبئهم بعلوم دينهم مع كونه أمياً، ولا قبل لهم بأن

٢. سورة هود: الآية ٤٩.

١. سورة النساء: الآية ٨٢.

يَدْعُوا أَنَّهُمْ عِلْمُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ بَمَرَأَى مِنْ قَوْمِهِ فِي مَكَّةَ، بَعِيداً عَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانَ مَسْتَقْرَهُمْ بِقَرَى النَّضِيرِ وَقَرِيظَةَ وَخَيْبَرَ وَتَيْمَاءَ وَبِلَادِ فِلَسْطِينَ، وَلِأَنَّهُ جَاءَ بِنَسْخِ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَالْإِنْجَاءِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي تَحْرِيفِهِمْ فَلَوْ كَانَ قَدْ تَعَلَّمَ مِنْهُمْ لِأَعْلَنُوا ذَلِكَ وَسَجَّلُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَقِبَهُمْ حَقَّ التَّعْلِيمِ.

وأما الجهة الرابعة وهي الإخبار بالمغيبات: فقد اقتفينا أثر من سلفنا ممن عد ذلك من وجوه الإعجاز اعتداداً منا بأنه من دلائل كون القرآن منزلاً من عند الله، وإن كان ذلك ليس له مزيد تعلق بنظم القرآن ودلالة فصاحته وبلاغته على المعاني العليا، ولا هو كثير في القرآن، وسيأتى التنبيه على جزئيات هذا النوع في تضاعيف هذا التفسير إن شاء الله.

وقد جاء كثير من آيات القرآن بذلك منها قوله: ﴿ أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ ﴾ الآية، روى الترمذي في تفسيرها عن ابن عباس قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم لأنهم أهل كتاب، فذكره أبو بكر لرسول الله فنزل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> فخرج أبو بكر يصيح بها في نواحي مكة، فقال له ناس من قريش أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان، فلما كانت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس وأسلم عند ذلك كثير من قريش.

وقوله: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ لِيَتَرَكِبَهَا هَوْنًا وَيَجْعَلَ مَا لَا تُحِطُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فما حدث بعد ذلك من المراكب منبأ به في هذه الآية.

وقوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ <sup>(٤)</sup> نزلت قبل فتح مكة بعامين.

وقوله: ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾

٢. سورة النور: الآية ٥٥.

٤. سورة الفتح: الآية ١.

١. سورة الروم: الآية ١-٤.

٣. سورة النحل: الآية ٨.

لَا تَخَافُونِ ﴿١﴾. وأعلن ذلك الإعجاز بالتحدي به قوله تعالى في شأن القرآن: ﴿وَأَنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ﴿٢﴾ فسجل أنهم لا يفعلون ذلك أبداً وكذلك كان، كما بيناه أنفاً في الجهة الثالثة.

وكانك بعد ما قررناه في هذه المقدمة قد صرت قديراً على الحكم فيما اختلف فيه أئمة علم الكلام من إعجاز القرآن للعرب، هل كان بما بلغه من منتهى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وما احتوى عليه من النكت والخصوصيات التي لا تقف بها عدة، ويزيدها النظر مع طول الزمان جدة، فلا تخطر ببال ناظر من العصور الآتية نكتة أو خصوصية إلا وجد آيات القرآن تتحملها بحيث لا يمكن إبداع ذلك في كلام إلا لعلمام الغيوب وهو مذهب المحققين، أو كان الإعجاز بصرف الله تعالى مشركي العرب عن الإتيان بمثله، وأنه ولو لا أن الله سلبهم القدرة على ذلك لأمكن أن يأتوا بمثله لأنه مما يدخل تحت مقدور البشر؟ ونسب هذا إلى أبي الحسن الأشعري وهو منقول في شرح التفتزاني على المفتاح عن النظام وطائفة من المعتزلة، ويسمى مذهب أهل الصرفة، وهو الذي قال به ابن حزم في كتابه في الملل والنحل.

والأول هو الوجه الذي اعتمده أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، وأبطل ما عداه بما لا حاجة إلى التطويل به، وعلى اعتباره دون أئمة العربية علم البلاغة، وقصدوا من ذلك تقريب إعجاز القرآن على التفصيل دون الاجمال، فجاءوا بما يناسب الكامل من دلائل الكمال. ﴿٣﴾

قال الطباطبائي (ره) في إعجاز القرآن:

لا ريب في أن القرآن يتحدى بالإعجاز في آيات كثيرة مختلفة مكية ومدنية تدل جميعها على أن القرآن آية معجزة خارقة، حتى أن الآية السابقة أعني قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ﴿٤﴾ الآية، أي من مثل النبي ﷺ إستدلال على كون القرآن معجزة بالتحدي على إتيان سورة نظيرة سورة من

٢. سورة البقرة: الآية ٢٣ و ٢٤.

١. سورة الفتح: الآية ٢٧.

٤. سورة البقرة: الآية ٢٣.

٣. التحرير والتنوير ج ١ ص ١٠١ - ١٣٠.

مثل النبي ﷺ ، لأنه استدلال على النبوة مستقيماً وبلا واسطة ، والدليل عليه قوله تعالى في اولها : ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ <sup>(١)</sup> ولم يقل وان كنتم في ريب من رسالة عبدنا ، فجميع التحديات الواقعة في القرآن نحو استدلال على كون القرآن معجزة خارقة من عند الله ، والآيات المشتملة على التحدي مختلفة في العموم والخصوص ومن أعمها تحدياً قوله تعالى : ﴿ قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ <sup>(٢)</sup> والآية مكبة وفيها من عموم التحدي ما لا يرتاب فيه ذو مسكة .

فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن وجزالة اسلوبه فقط لم يتعد التحدي قوماً خاصاً وهم العرب العرباء من الجاهليين والمخضرمين قبل اختلاط اللسان وفساده ، وقد قرع بالآية أسماع الإنس والجن .

وكذا غير البلاغة والجزالة من كل صفة خاصة إشتمل عليها القرآن ؛ كالمعارف الحقيقية والأخلاق الفاضلة والأحكام التشريعية والأخبار المغيبة ، ومعارف اخرى لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك ، كل واحد منها مما يعرفه بعض الثقلين دون جميعهم ، بإطلاق التحدي على الثقلين ليس إلا في جميع ما يمكن فيه التفاضل في الصفات .

فالقرآن آية للبلوغ في بلاغته وفصاحته ، وللحكيم في حكمته ، وللعالَم في علمه ، وللاجتماعي في اجتماعه ، وللمقننين في تقنينهم ، وللسياسيين في سياستهم ، وللحكام في حكومتهم ، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعاً ؛ كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان .

ومن هنا يظهر أن القرآن يدعي عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه اعجازاً الكل فرد من الإنس والجن ؛ من عامة أو خاصة أو عالم أو جاهل أو رجل أو امرأة أو فاضل بارع في فضله أو مفضول إذا كان ذالِب يشعر بالقول ، فان الإنسان مفطور على الشعور بالفضيلة وإدراك الزيادة والنقيصة فيها ، فلكل إنسان أن يتأمل ما يعرفه من الفضيلة في

٢ . سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

١ . سورة البقرة : الآية ٢٣ .

نفسه أو في غيره من أهله ثم يقيس ما ادركه منها إلى ما يشتمل عليه القرآن فيقضي بالحق والنصفة ، فهل يتأتى القوة البشرية أن تختلق معارف إلهية مبرهنة تقابل ما أتى به القرآن وتمائله في الحقيقة ؟ وهل يمكنها أن تأتي بأخلاق مبنية على أساس الحقائق تعادل ما أتى به القرآن في الصفاء والفضيلة ؟ وهل يمكنها أن تشرع أحكاماً تامة فقهية تحصي جميع أعمال البشر من غير اختلاف يؤدي إلى التناقض مع حفظ روح التوحيد وكلمة التقوى في كل حكم ونتيجته ، وسريان الطهارة في أصله وفرعه ؟ وهل يمكن أن يصدر هذا الإحصاء العجيب والإتقان الغريب من رجل امي لم يترب إلا في حجر قوم حظهم من الإنسانية على مزاياها التي لاتحصى وكمالاتها التي لا تغنياً؛ أن يرتزقوا بالغارات والغزوات ونهب الاموال، وأن يثدوا البنات ويقتلوا الأولاد خشية إملاق، ويفتخروا بالآباء وينكحوا الامهات ويتباهوا بالفجور، ويذموا العلم ويتظاهروا بالجهل، وهم على أنفتهم وحميتهم الكاذبة اذلاء لكل مستذل وخطفة لكل خاطف، فيوماً لليمن ويوماً للحبشة ويوماً للروم ويوماً للفرس ؟ فهذا حال عرب الحجاز في الجاهلية .

وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يديه هدى للعالمين ثم يودعه أخباراً في الغيب مما مضى ويستقبل، وفيمن خلت من الأمم وفيمن سيقدم منهم لا بالواحد والإثنين في أبواب مختلفة من القصص والملاحم والمغيبات المستقبلية، ثم لا يتخلف شيء منها عن صراط الصدق ؟ .

وهل يتمكن إنسان وهو أحد أجزاء نشأة الطبيعة المادية ، والدار دار التحول والتكامل ، أن يداخل في كل شأن من شئون العالم الإنساني، ويلقي إلى الدنيا معارف وعلوم وقوانين وحكماً ومواعظ وأمثالاً وقصصاً في كل مادق وجل، ثم لا يختلف حاله في شيء منها في الكمال والنقص وهي متدرجة الوجود متفرقة الإلقاء، وفيها ما ظهر ثم تكرر وفيها فروع متفرعة على أصولها ؟ هذا مع ما نراه أن كل إنسان لا يبقى من حيث كمال العمل ونقصه على حال واحدة .

فالإنسان اللبيب القادر على تعقل هذه المعاني لا يشك في أن هذه المزايا الكلية وغيرها مما يشتمل عليه القرآن الشريف كلها فوق القوة البشرية ووراء الوسائل الطبيعية

المادية، وان لم يقدر على ذلك فلم يضل في انسانيته ولم ينس ما يحكم به وجدانه الفطري أن يراجع فيما لا يحسن إختباره ويجهل مأخذه إلى أهل الخبرة به .

فان قلت : ما الفائدة في توسعة التحدي إلى العامة والتعدي عن حومة الخاصة فان العامة سريعة الانفعال للدعوة والإجابة لكل صنيعة، وقد خضعوا لأمثال الباب والبهاء والقادياني والمسيلمة، على أن ما أتوا به واستدلوا عليه أشبه بالهجر والهديان منه بالكلام . قلت : هذا هو السبيل في عموم الإعجاز والطريق الممكن في تمييز الكمال والتقدم في أمر يقع فيه التفاضل والسباق، فان أفهام الناس مختلفة اختلافاً ضرورياً والكمالات كذلك، والنتيجة الضرورية لهاتين المقدمتين أن يدرك صاحب الفهم العالي والنظر الصائب ويرجع من هو دون ذلك فهما نظراً الى صاحبه، والفطرة حاكمة والغريزة قاضية .

ولا يقبل شيء مما يناله الانسان بقواه المدركة ويبلغه فهمه العموم والشمول لكل فرد في كل زمان ومكان بالوصول والبلوغ والبقاء إلا ما هو من سنخ العلم والمعرفة على الطريقة المذكورة، فان كل ما فرض آية معجزة غير العلم والمعرفة فانما هو موجود طبيعي أو حادث حسي محكوم بقوانين المادة محدود بالزمان والمكان فليس بمشهود إلا لبعض أفراد الإنسان دون بعض، ولو فرض محالاً أو كالمحال عمومه لكل فرد منه فإنما يمكن في مكان دون جميع الأمكنة، ولو فرض اتساعه لكل مكان لم يمكن اتساعه لجميع الأزمنة والأوقات .

فهذا ما تحدى به القرآن تحدياً عاماً لكل فرد في كل مكان في كل زمان .

- تحديه بالعلم :

وقد تحدى بالعلم والمعرفة خاصة بقوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله ﴿ وَلَا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ <sup>(٢)</sup> الأنعام ٥٩، إلى غير ذلك من الآيات، فإن الإسلام كما يعلمه ويعرفه كل من سار في متن تعليماته من كلياته التي أعطاها القرآن وجزئياته التي أرجعها النبي ﷺ بنحو قوله ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه،

وما نهاكم عنه فانتهوا»<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿لنحکم بین الناس بما أریک اللہ﴾<sup>(٢)</sup> وغير ذلك، متعرض للجليل والدقيق من المعارف الالهية «الفلسفية» والاخلاق الفاضلة والقوانين الدينية الفرعية من عبادات ومعاملات وسياسات واجتماعيات وكل ما يمسه فعل الإنسان وعمله، كل ذلك على أساس الفطرة وأصل التوحيد بحيث ترجع التفاصيل إلى أصل التوحيد بالتحليل، ويرجع الأصل إلى التفاصيل بالتركيب.

وقد بين بقاءها جميعاً وانطباقها على صلاح الانسان بمرور الدهور وكرورها بقوله تعالى: ﴿وانه لكتاب عزیز لا یاتیہ الباطل من بین یدیه ولا من خلفه تنزیل من حکیم حمید﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذکر وإنا له لحافظون﴾<sup>(٤)</sup> فهو كتاب لا يحكم عليه حاكم النسخ ولا يقضي عليه قانون التحول والتكامل.

فان قلت: قد استقرت أنظار الباحثين عن الاجتماع وعلماء التقنين اليوم على وجوب تحول القوانين الوضعية الاجتماعية بتحول الاجتماع واختلافها باختلاف الأزمنة والأوقات وتقدم المدنية والحضارة.

قلت: سيجيء البحث عن هذا الشأن والجواب عن الشبهة في تفسير قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾<sup>(٥)</sup>.

وجملة القول وملخصه أن القرآن يبني أساس التشريع على التوحيد الفطري والأخلاق الفاضلة الغريزية، ويدعي ان التشريع يجب أن ينمو من بذر التكوين والوجود. وهؤلاء الباحثون يبنون نظريتهم على تحول الاجتماع مع الغاء المعنويات من معارف التوحيد وفضائل الأخلاق، فكلمتهم جامدة على سير التكامل الاجتماعي المادي العادم لفضيلة الروح، وكلمة الله هي العليا.

التحدي بمن أنزل عليه القرآن:

وقد تحدى بالنبي الأمي الذي جاء بالقرآن المعجز في لفظه ومعناه، ولم يتعلم عند معلم ولم يترب عند مرب بقوله تعالى: ﴿قل لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ فَقَدْ

١. سورة المحشر: الآية ٧.

٢. سورة النساء: الآية ١٠٥.

٣. سورة الحجر: الآية ٩.

٤. سورة حم سجدة: الآية ٤٢.

٥. سورة البقرة: الآية ٢١٣.

لبثت فيكم عُمراً من قبليه أفلا تعقلون ﴿١﴾ فقد كان ﷺ بينهم وهو أحدهم لا يتسامى في فضل ولا ينطق بعلم حتى لم يأت بشيء من شعر أو نثر نحواً من أربعين سنة وهو ثلثا عمره، لا يحوز تقدماً ولا يرد عظمة من عظام المعالي ثم أتى بما أتى به دفعة، فأتى بما عجزت عنه فحولهم وكلت دونه ألسنة بلغائهم، ثم بثه في أقطار الأرض فلم يجتريء على معارضته معارض من عالم أو فاضل أو ذي لب وطفانة.

وغاية ما أخذوه عليه: انه سافر الى الشام للتجارة فتعلم هذه القصص ممن هناك من الرهبان ولم تكن أسفاره إلى الشام إلا مع عمه أبي طالب قبل بلوغه وإلا مع ميسرة مولى خديجة، وسنة يومئذ خمسة وعشرون وهو مع من يلازمه في ليله ونهاره، ولو فرض محالاً ذلك فما هذه المعارف والعلوم؟ ومن أين هذه الحكم والحقائق؟ وممن هذه البلاغة في البيان الذي خضعت له الرقاب وكلت دونه الألسن الفصاح؟

وما أخذوه عليه أنه كان يقف على قين بمكة من أهل الروم كان يعمل السيوف ويبيعها فأنزل الله سبحانه: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ (٢).

وما قالوا عليه أنه يتعلم بعض ما يتعلم من سلمان الفارسي وهو من علماء الفرس عالم بالمذاهب والأديان مع ان سلمان إنما آمن به في المدينة، وقد نزل أكثر القرآن بمكة وفيها من جميع المعارف الكلية والقصص ما نزلت منها بمدينة بل أزيد، فما الذي زاده ايمان سلمان وصحابته؟

على أن من قرأ العهدين وتأمل ما فيهما ثم رجع إلى ما قصه القرآن من تواريخ الأنبياء السالفين واممهم رأى أن التاريخ غير التاريخ والقصة غير القصة، ففيها عشرات وخطايا لأنبياء الله الصالحين تنبو الفطرة وتتنفر من أن تنسبها إلى المتعارف من صلحاء الناس وعقلائهم، والقرآن يبرنهم منها، وفيها أمور أخرى لا تتعلق بها معرفة حقيقة ولا فضيلة خلقية ولم يذكر القرآن منها إلا ما ينفع الناس في معارفهم وأخلاقهم وترك الباقي وهو الأكثر.

٢. سورة النحل: الآية ١٠٣.

١. سورة يونس: الآية ١٦.



تحدي القرآن بالإخبار عن الغيب :

وقد تحدى بالإخبار عن الغيب بآيات كثيرة ، منها إخباره بقصص الأنبياء السالفين وأمرهم كقوله تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ الآية <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى بعد قصة يوسف : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى في قصة مريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ <sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

ومنها الإخبار عن الحوادث المستقبلية كقوله تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى في رجوع النبي إلى مكة بعد الهجرة : ﴿ إن الذي لمرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَنْشَاءً لَللَّهُ أَهْبَاتٌ مُّحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصَّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ الآية <sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ سيقول المُخَلَّفُونَ إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرؤنا نبيكم ﴾ <sup>(٨)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ <sup>(٩)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ <sup>(١٠)</sup> وآيات أخرى كثيرة في وعد المؤمنين ووعيد كفار مكة ومشركيها .

ومن هذا الباب آيات أخرى في الملاحم نظير قوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ <sup>(١١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم

٢ . سورة يوسف : الآية ١٠٢ .

٤ . سورة مريم : الآية ٣٤ .

٦ . سورة القصص : الآية ٨٥ .

٨ . سورة الفتح : الآية ١٥ .

١٠ . سورة الحجر : الآية ٩ .

١ . سورة هود : الآية ٤٩ .

٢ . سورة آل عمران : الآية ٤٤ .

٥ . سورة الروم : الآية ٢ - ٤ .

٧ . سورة الفتح : الآية ٢٧ .

٩ . سورة المائدة : الآية ٧ .

١١ . سورة الانبياء : الآية ٩٥ - ٩٧ .

في الأرض ﴿<sup>(١)</sup>﴾، وقوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وارسلنا الرياح لوائح﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾، وقوله تعالى ﴿وأنبأنا فيها من كل شيء موزون﴾ ﴿<sup>(٤)</sup>﴾، وقوله تعالى: ﴿والجبال أوتادا﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾ مما تبنتي حقيقة القول فيها على حقائق علمية مجهولة عند النزول حتى اكتشف الغطاء عن وجهها بالابحاث العلمية التي وفق الانسان لها في هذه الأعصار .

ومن هذا الباب (وهو من مختصات هذا التفسير الباحث عن آيات القرآن باستنطاق بعضها ببعض واستشهاد بعضها على بعض) ما في سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ الآية ﴿<sup>(٦)</sup>﴾، وما في سورة يونس من قوله تعالى: ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ ﴿<sup>(٧)</sup>﴾ إلى آخر الآيات، وما في سورة الروم من قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية ﴿<sup>(٨)</sup>﴾، إلى غير ذلك من الآيات التي تنبئ عن الحوادث العظيمة التي تستقبل الأمة الإسلامية أو الدنيا عامة بعد عهد نزول القرآن، سنورد انشاء الله تعالى طرفاً منها في البحث عن سورة الاسراء .

#### تحدي القرآن بعدم الاختلاف فيه :

وقد تحدى أيضاً بعدم وجود الاختلاف فيه ، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ﴿<sup>(٩)</sup>﴾، فإن الضروري أن النشأة نشأة المادة ، والقانون الحاكم فيها قانون التحول والتكامل فما من موجود من الموجودات - التي هي أجزاء هذا العالم - الا وهو متدرج الوجود متوجه من الضعف الى القوة ومن النقص إلى الكمال في ذاته وجميع توابع ذاته، ولواحقه من الأفعال والآثار، ومن جملتها الإنسان الذي لا يزال يتحول ويتكامل في وجوده وأفعاله وآثاره التي منها آثاره التي يتوسل إليها

٢ . سورة الانعام : الآية ٦٥ .

٤ . سورة الحجر : الآية ١٩ .

٦ . سورة المائدة : الآية ٥٤ .

٨ . سورة الروم : الآية ٣٠ .

١ . سورة النور : الآية ٥٥ .

٣ . سورة الحجر : الآية ٢٢ .

٥ . سورة التبا : الآية ٧ .

٧ . سورة يونس : الآية ٤٧ .

٩ . سورة النساء : الآية ٨٢ .

بالفكر والإدراك، فممن واحد منا إلا وهو يرى نفسه كل يوم أكمل من أمس ولا يزال يعثر في الحين الثاني على سقطات في أفعاله وعثرات في أقواله الصادرة منه في الحين الأول، هذا أمر لا ينكره من نفسه إنسان ذو شعور .

وهذا الكتاب جاء النبي ﷺ نجوماً وقرأه على الناس قطعاً قطعاً في مدة ثلاث وعشرين سنة في أحوال مختلفة وشرائط متفاوتة، في مكة والمدينة في الليل والنهار والحضر والسفر والحرب والسلام في يوم العسرة وفي يوم الغلبة ويوم الأمن ويوم الخوف، ولإلقاء المعارف الإلهية وتعليم الاخلاق الفاضلة وتقنين الأحكام الدينية في جميع أبواب الحاجة، ولا يوجد فيه أدنى إختلاف في النظم المتشابه، كتاباً متشابهاً مثاني، ولم يقع في المعارف التي ألفها والأصول التي أعطاها إختلاف بتناقض بعضها مع بعض وتنافي شيء منها مع آخر، فالآية تفسر الآية والبعض يبين البعض، والجملة تصدق الجملة، كما قال علي عليه السلام: « ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض » « نهج البلاغة » . ولو كان من عند غير الله لإختلف النظم في الحسن والبهاء والقول في الشداقة والبلاغة والمعنى من حيث الفساد والصحة ومن حيث الإتقان والمناة .

فان قلت : هذه مجرد دعوى لا تنكيء، على دليل وقد أخذ على القرآن مناقضات واشكالات جمّة ربما ألف فيه التأليفات، وهي اشكالات لفظية ترجع إلى قصوره في جهات البلاغة ومناقضات معنوية تعود إلى خطئه في آرائه وأنظاره وتعليماته، وقد أجاب عنها المسلمون بما لا يرجع في الحقيقة إلا إلى التأويلات التي يحترزها الكلام الجاري على سنن الإستقامة وإرضاء الفطرة السليمة .

قلت : ما أشير إليه من المناقضات والإشكالات موجودة في كتب التفسير وغيرها مع أجوبتها ومنها هذا الكتاب، فالاشكال أقرب إلى الدعوى الخالية عن البيان .

ولا تكاد تجد في هذه المؤلفات التي ذكرها المستشكل شبهة أو ردوها أو مناقضة أخذوها الا وهي مذكورة في مسפורات المفسرين مع اجوبتها، فأخذوا الإشكالات وجمعوها وربّوها وتركوا الأجوبة وأهملوها، ونعم ما قيل : لو كانت عين الحب متهمّة فعين البغض أولى بالتهمة .

فان قلت : فما تقول : في النسخ الواقع في القرآن وقد نص عليه القرآن نفسه في قوله : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴾<sup>(٢)</sup>، وهل النسخ إلا اختلاف في النظر لو سلمنا أنه ليس من قبيل المناقضة في القول ؟ .

قلت : النسخ كما أنه ليس من المناقضة في القول وهو ظاهر كذلك ليس من قبيل الإختلاف في النظر والحكم ، وإنما هو ناش من الإختلاف في المصداق من حيث قبوله إنطباق الحكم يوماً لو وجود مصلحته فيه وعدم قبوله الانطباق يوماً آخر لتبدل المصلحة من مصلحة أخرى توجب حكماً آخر ، ومن أوضح الشهود على هذا أن الآيات المنسوخة الأحكام في القرآن مقترنة بقرائن لفظية توميء الى أن الحكم المذكور في الآية سينسخ ، كقوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت أو يجعل الله لهن سيلاً ﴾<sup>(٣)</sup> ، ( انظر الى التلويح الذي تعطيه الجملة الاخيرة ) ، وكقوله تعالى : ﴿ ودة كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ الى أن قال : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾<sup>(٤)</sup> حيث تمم الكلام بما يشعر بأن الحكم مؤجل .

التحدي بالبلاغة :

وقد تحدى بالبلاغة كقوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتربه قل فأتوا بمشر سور مثله مفتربات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾<sup>(٥)</sup> . والآية مكية ، وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتربه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾<sup>(٦)</sup> . والآية أيضاً مكية ، وفيها التحدي بالنظم والبلاغة فإن ذلك هو الشأن الظاهر من شؤون العرب المخاطبين بالآيات يومئذ ، فالتاريخ لا يرتاب أن العرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغاً لم يذكره التاريخ لو احدة من الأمم

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ١. سورة البقرة : الآية ١٠٦ .  | ٢. سورة النحل : الآية ١٠٦ .    |
| ٣. سورة النساء : الآية ١٥ .   | ٤. سورة البقرة : الآية ١٠٩ .   |
| ٥. سورة هود : الآية ١٣ - ١٤ . | ٦. سورة يونس : الآية ٣٨ - ٣٩ . |

المتقدمة عليهم والمتأخرة عنهم ووطنوا موطناً لم تطأه أقدام غيرهم في كمال البيان وجزالة النظم ووفاء اللفظ ورعاية المقام وسهولة المنطق . وقد تحدى عليهم القرآن بكل تحد ممكن مما يثير الحمية ويقدر نار الأنفة والعصبية . وحالهم في الغرور ببضاعتهم والاستكبار عن الخضوع للغير في صناعتهم مما لا يرتاب فيه ، وقد طالت مدة التحدي وتمادي زمان الإستهناض فلم يجيبوه إلا بالتجافي ولم يزدهم إلا العجز ولم يكن منهم إلا الإستهزاء والفرار ، كما قال تعالى : ﴿ ألا أنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ (١) .

وقد مضى من القرون والأحقاب ما يبلغ أربعة عشر قرناً ولم يأت بما يناظره آت ولم يعارضه أحد بشيء إلا أخزى نفسه واقتضح في أمره .

وقد ضبط النقل بعض هذه المعارضات والمناقشات ، فهذا مسيلمة عارض سورة الفيل بقوله : ( الفيل ما الفيل وما أدريك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل ) وفي كلام له في الوحي يخاطب السجاح النبوة فنولوجه فيكن إبلاجاً \* ونخرجه منكن إخراجاً فانظر الى هذه الهذيان واعتبر ، وهذه سورة عارض بها الفاتحة بعض النصاري الحمد للرحمن . رب الأكوان الملك الديان . لك العبادة وبك المستعان اهدنا صراط الايمان إلى غير ذلك من التقوليات .

فان قلت : ما معنى كون التأليف الكلامي بالغاً الى مرتبة معجزة للانسان ووضع الكلام مما سمحت به قريحة الانسان ؟ فكيف يمكن ان يترشح من القريحة ما لا تحيط به والفاعل اقوى من فعله ومنشأ الاثر محيط بأثره ؟ وتقرّب آخر الانسان هو الذي جعل اللفظ علامة دالة على المعنى لضرورة الحاجة الاجتماعية الى تفهيم الإنسان ما في ضميره لغيره ، فخاصة الكشف عن المعنى في اللفظ خاصة وضعية اعتبارية مجعولة للانسان ، ومن المحال أن يتجاوز هذه الخاصة المترشحة عن قريحة الإنسان حد قريحته فتبلغ مبلغاً لا تسعه طاقة القريحة ، فمن المحال حينئذ أن يتحقق في اللفظ نوع من الكشف لا تحيط به القريحة والا كانت غير الدلالة الوضعية الإعتبارية ، مضافاً إلى أن التراكيب

الكلامية لو فرض ان بينها تركيباً بالغا أحد الإعجاز كان معناه أن كل معنى من المعاني المقصودة ذو تراكيب كلامية مختلفة في النقص والكمال والبلاغة وغيرها ، وبين تلك التراكيب تركيب هو أرقاها وإبلغها لا تسعة طاقة البشر ، وهو التركيب المعجز ، ولازمه أن يكون في كل معنى مطلوب تركيب واحد إعجازي ، مع ان القرآن كثيراً ما يورد في المعنى الواحد بيانات مختلفة وتراكيب متفرقة ، وهو في القصص واضح لا ينكر ، ولو كانت تراكيبه معجزة لم يوجد منها في كل معنى مقصود الا واحد لا غير .

قلت : هاتان الشبهتان وما شاكلهما هي الموجبة لجمع من الباحثين في إعجاز القرآن في بلاغته أن يقولوا بالصرف ، ومعنى الصرف أن الإتيان بمثل القرآن أو سور أو سورة واحدة منه محال على البشر لمكان آيات التحدي وظهور العجز من أعداء القرآن منذ قرون ، ولكن لا لكون التأليفات الكلامية التي فيها في نفسها خارجه عن طاقة الإنسان وفائقة على القوة البشرية ، مع كون التأليفات جميعاً أمثالاً لنوع النظم الممكن للإنسان ، بل لأن الله سبحانه يصرف الإنسان عن معارضتها والإتيان بمثلها بالإرادة الالهية الحاكمة على إرادة الإنسان حفظاً لآية النبوة ووقاية لحمى الرسالة .

وهذا قول فاسد لا ينطبق على ما تدل عليه آيات التحدي بظواهرها ، كقوله : ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، فان الجملة الأخيرة ظاهرة في ان الاستدلال بالتحدي إنما هو على كون القرآن نازلاً لا كلاماً تقوله رسول الله ﷺ ، وان نزوله إنما هو بعلم الله لا بإنزال الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ <sup>(٣)</sup> ، والصرف الذي يقولون به إنما يدل على صدق الرسالة بوجود آية هي الصرف ، لا على كون القرآن كلاماً لله نازلاً من عنده ، ونظير هذه الآية الأخرى ، وهي قوله : ﴿ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

٢ . سورة الطور : الآية ٣٤ .

١ . سورة هود : الآية ١٣ - ١٤ .

٣ . سورة الشعراء : الآية ٢١٢ .

ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴿<sup>(١)</sup> الآية، فإنها ظاهرة في ان الذي يوجب استحالة إثبات البشر بمثل القرآن وضعف قواهم وقوى كل من يعينهم على ذلك من تحمل هذا الشأن هو ان للقرآن تأويلاً لم يحيطوا بعلمه فكذبوه، ولا يحيط به علماً إلا الله فهو الذي يمنع المعارض عن أن يعارضه، لا أن الله سبحانه يصرفهم عن ذلك مع تمكنهم منه لو لا الصرف بإرادة من الله تعالى .

وكذا قوله تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ الآية <sup>(٢)</sup>، فإنه ظاهر في أن الذي يعجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن إنما هو كونه في نفسه على صفة عدم الاختلاف لفظاً ومعنى ولا يسع لمخلوق ان يأتي بكلام غير مشتمل على الاختلاف، لا أن الله صرفهم عن مناقضته بإظهار الاختلاف الذي فيه هذا، فما ذكره من أن إعجاز القرآن بالصرف كلام لا ينبغي الركون إليه .

وأما الإشكال باستلزام الإعجاز من حيث البلاغة المحال، بتقريب أن البلاغة من صفات الكلام الموضوع ووضع الكلام من آثار القريحة الإنسانية، فلا يمكن أن يبلغ من الكمال حدًا لا تسعه طاقة القريحة وهو مع ذلك معلول لها لا غيرها، فالجواب عنه أن الذي يستند من الكلام إلى قريحة الإنسان إنما هو كشف اللفظ المفرد عن معناه، وأما سرد الكلام ونضد الجمل بحيث يحاكي جمال المعنى المؤلف وهيبته على ما هو عليه في ذهن طبعه حكاية تامة أو ناقصة وإراءة واضحة أو خفية، وكذا تنظيم الصورة العلمية في ذهن بحيث يوافق الواقع في جميع روابطه ومقدماته ومقارناته ولواحقه أو في كثير منها أو في بعضها دون بعض، فإنما هو امر لا يرجع إلى وضع الألفاظ بل إلى نوع مهارة في صناعة البيان وفن البلاغة تسمح به القريحة في سرد الألفاظ ونظم الادوات اللفظية، ونوع لطف في ذهن تحيط به القوة الذاهنة على الواقعة المحكية باطرافها ولوازمها ومتعلقاتها. فهيهنا جهات ثلاث يمكن أن تجتمع في الوجود أو تفتقر، وربما أحاط إنسان بلغة من اللغات فلا يشذ عن علمه لفظ لكنه لا يقدر على التهجي والتكلم، وربما تمهر الانسان في البيان وسرد الكلام لكن لا علم له بالمعارف والمطالب، فيعجز عن التكلم فيها بكلام

٢. سورة النساء: الآية ٨٢.

١. سورة يونس: الآية ٢٨ و ٣٩.

حافظ لجهات المعنى حاك لجمال صورته التي هو عليها في نفسه، وربما تبحر الانسان في سلسلة من المعارف والمعلومات ولطفت قريحته ورقته فطرته لكن لا يقدر على الإفصاح عن ما في ضميره، وعى عن حكاية ما يشاهده من جمال المعنى ومنظره البهيج . فهذه امور ثلاثة : أولها راجع إلى وضع الإنسان بقريحته الإجتماعية ، والثاني والثالث راجعان إلى نوع من لطف القوة المدركة ، ومن البين أن إدراك القوى المدركة منا محدود مقدر لا تقدر على الإحاطة بتفاصيل الحوادث الخارجية والأمور الواقعية بجمع وربطها ، فلنسا على أمن من الخطأ قط في وقت من الأوقات ، ومع ذلك فالإستكمال التدريجي الذي في وجودنا أيضاً يوجب الإختلاف التدريجي في معلوماتنا أخذاً من النقص إلى الكمال ، فأى خطيب اشدق واي شاعر مفلق فرضته لم يكن ما يأتيه في أول أمره موازناً لما تسمح به قريحته في أواخر أمره ؟ فلو فرضنا كلاماً إنسانياً أي كلام فرضناه لم يكن في مأمن من الخطأ لفرض عدم إطلاع متكلمه بجميع أجزاء الواقع وشرائطه ( أولاً ) ولم يكن على حد كلامه السابق ولا على زنة كلامه اللاحق بل ولا أوله يساوي آخره وإن لم نشعر بذلك لدقة الأمر ، لكن حكم التحول والتكامل عام ( ثانياً ) ، وعلى هذا فلو عثرنا على كلام فصل لا هزل فيه ( وجد الهزل هو القول بغير علم محيط ) ولا إختلاف يعتريه لم يكن كلاماً بشرياً ، وهو الذي يفيد القرآن بقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾ الآية<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى ﴿ والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾<sup>(٢)</sup> . انظر إلى موضع القسم بالسماء والأرض المتغيرتين والمعنى المقسم به في عدم تغيره واتكائه على حقيقة ثابتة هي تأويله<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسام لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ﴾<sup>(٦)</sup> ، فهذه الآيات ونظائرها تحكي عن إتكاء القرآن في معانيه على

٢. سورة الطارق: الآية ١٤ .

١. سورة النساء: الآية ٨٢ .

٤. سورة البروج: الآية ٢٢ .

٣. انظر معنى التأويل في الميزان ج ٣ ص ٤٤ - ٤٩ .

٦. سورة الواقعة: الآية ٧٩ .

٥. سورة الزخرف: الآية ١ - ٤ .



حقائق ثابتة غير متغيرة ولا متغير ما يتكفيء عليها.

إذا عرفت ما مر علمت أن إستناد وضع اللغة إلى الانسان لا يقتضي أن لا يوجد تأليف كلامي فوق ما يقدر عليه الإنسان الواضع به ، وليس ذلك إلا كالقول بان القين الصانع للسيوف يجب أن يكون أشجع من يستعملها ، وواضع النرد والشطرنج يجب أن يكون امهر من يلعب بهما ، ومخترع العود يجب أن يكون أقوى من يضرب بها .

فقد تبين من ذلك كله أن البلاغة التامة معتمدة على نوع من العلم المطابق للواقع من جهة مطابقة اللفظ للمعنى ومن جهة مطابقة المعنى المعقول للخارج الذي تحكيه الصورة الذهنية .

أما اللفظ فأن يكون الترتيب الذي بين أجزاء اللفظ بحسب الوضع مطابقاً للترتيب الذي بين اجزاء المعنى المعبر عنه باللفظ بحسب الطبع ، فيطابق الوضع الطبع كما قال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز .

وأما المعنى فان يكون في صحته وصدقه معتمداً على الخارج الواقع بحيث لا يزول عما هو عليه من الحقيقة ، وهذه المرتبة هي التي تتكفي عليها المرتبة السابقة ، فكم من هزل بليغ في هزليته لكنه لا يقاوم الجد ، وكم من كلام بليغ مبني على الجهالة لكنه لا يعارض ولا يسعه أن يعارض الحكمة ، والكلام الجامع بين عدوية اللفظ وجزالة الاسلوب وبلاغة المعنى وحقيقة الواقع هو ارقى الكلام .

وإذا كان الكلام قائماً على أساس الحقيقة ومنطبق المعنى عليها تمام الانطباق لم يكذب الحقائق الاخر ولم تكذبه فإن الحق مؤتلف الأجزاء ومتحد الأركان ، لا يبطل حق حقاً ، ولا يكذب صدق صدقاً ، والباطل هو الذي ينافي الباطل وينافي الحق ، انظر الى مغزى قوله سبحانه وتعالى : ﴿لماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد جعل الحق واحداً لا تفرق فيه ولا تشتت . وانظر الى قوله تعالى : ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم﴾ <sup>(٢)</sup> . فقد جعل الباطل مشتتاً ومشتتاً ومفترقاً ومفترقاً .

وإذا كان الأمر كذلك فلا يقع بين اجزاء الحق اختلاف بل نهاية الإبتلاف ، يجرب بعضه

الى بعض ، وينتج بعضه البعض كما يشهد بعضه على بعض ويحكي بعضه البعض . وهذا من عجيب أمر القرآن فإن الآية من آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة ولا تعقم عن الانتاج ، كلما ضمت آية الى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبحاث الحقائق ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد بها ، هذا شأنه وخاصته ، وسترى في خلال البيانات في هذا الكتاب نبذا من ذلك ، على ان الطريق متروك غير مسلوک ، ولو أن المفسرين ساروا هذا المسير لظهر لنا الى اليوم يناييع من بحاره العذبة وخزائن من أنقائه النفيسة .

فقد اتضح بطلان الاشكال من الجهتين جميعاً فإن أمر البلاغة المعجزة لا يدور مدار اللفظ حتى يقال : ان الانسان هو الواضع للكلام فكيف لا يقدر على ابلغ الكلام وأفصحه وهو واضح ، أو يقال : إن ابلغ التركيبات المتصورة تركيب واحد من بينها فكيف يمكن التعبير عن معنى واحد بتركيبات متعددة مختلفة السياق والجميع فائقة قدرة البشر بالغة حد الإعجاز ، بل المدار هو المعنى الحافظ لجميع جهات الذهن والخارج؟<sup>(١)</sup>

قال الخوئي (ره) : في القرآن معجزة إلهية : « قد علم كل عاقل بلغته الإسلامية ، أن محمداً ﷺ بشر جميع الأمم بدعوتهم إلى الإسلام ، وأقام الحججة عليهم بالقرآن ، وتحداهم بإعجازه ، وطلب منهم أن يأتوا بمثله وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ثم تنزل عن ذلك فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، ثم تحداهم الى الإتيان بسورة واحدة . وكان من الجدير بالعرب - وفيهم الفصحاء الشابغون في الفصاحة - أن يجيبوه الى ما يريد ، ويسقطوا حجته بالمعارضة ، لو كان ذلك ممكناً غير مستحيل . نعم كان من الجدير بهم أن يعارضوا بسورة واحدة من سور القرآن ، ويأتوا بنظيرها في البلاغة ، فيسقطوا حجة هذا المدعي الذي تحداهم في أربع كمالاتهم ، وأظهر ميزاتهم ، ويسجلوا لأنفسهم ظهور الغلبة وخلود الذكر ، وسمو الشرف والمكانة ، ويستريحوا بهذه المعارضة البسيطة من حروب طاحنة ، وبذل أموال ، ومفارقة أوطان ، وتحمل شدائد ومكاره .

ولكن العرب فكرت في بلاغة القرآن فأذعنن لإعجازه ، وعلمت أنها مهزومة إذا أرادت المعارضة ، فصدق منها قوم داعي الحق ، وخضعوا لدعوة القرآن ، وفازوا بشرف

الإسلام، وركب آخرون جادة العناد، فاختروا والمقابلة بالسيوف على المقاومة بالحروف، وأثروا المبارزة باللسان على المعارضة في البيان، فكان هذا العجز والمقاومة أعظم حجة على أن القرآن وحي الهي خارج عن طوق البشر.

وقد يدعي جاهل من غير المسلمين: أن العرب قد أتت بمثل القرآن وعارضته بالحجة، وقد اختلفت علينا هذه المعارضة لطول الزمان.

وجواب ذلك: أن هذه المعارضة لو كانت حاصلة لأعلنتها العرب في أنديةها، وشهرتها في مواسمها وأسواقها. ولأخذ منه أعداء الإسلام نشيدا يوقعونه في كل مجلس، وذكرها يرددونه في كل مناسبة، وللقنه السلف للخلف، وتحفظوا عليه تحفظ المدعي على حجته، وكان ذلك أقر لعيونهم من الإحتفاظ بتاريخ السلف، وأشعار الجاهلية التي ملأت كتب التاريخ، وجوامع الأدب، مع أننا لا نرى أثرا لهذه المعارضة ولا نسمع لها بذكر، على أن القرآن الكريم قد تحدى جميع البشر بذلك، بل جميع الجن والإنس، ولم يحصر ذلك بجماعة خاصة. فقال عز من قائل: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (١).

ونحن نرى النصارى وأعداء الإسلام، يبذلون الأموال الطائلة في الحط من كرامة هذا الدين، والنيل من نبيه الأعظم، وكتابه المقدس، ويتكرر هذا العمل منهم في كل عام بل في كل شهر. فلو كان من الميسور لهم أن يعارضوا القرآن، ولو بمقدار سورة منه لكان هذا أعظم لهم في الحجة، وأقرب لحصول الامنية، ولما احتاجوا الى صرف هذه الأموال، وإتعب النفوس.

﴿ يريدون ليطفؤا نور الله بأقواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٢).

على أن من مارس كلاما بليغا، وبالغ في ممارسته زمانا، أمكنه أن يأتي بمثله أو بما يقاربه في الأسلوب، وهذا مشاهد في العادة، ولا يجري مثل هذا في القرآن، فان كثرة ممارسته ودراسته، لا تمكن الإنسان من مشابهته في قليل ولا كثير، وهذا يكشف لنا أن للقرآن أسلوبا خارجا عن حدود التعليم والتعلم، ولو كان القرآن من كلام الرسول وإنشائه،

٢. سورة الصف: الآية ٨.

١. سورة الإسراء: الآية ٨٨.

لوجدنا في بعض خطبه وكلماته ما يشبه القرآن في أسلوبه، ويضارعه في بلاغته. وكلمات الرسول ﷺ وخطبه محفوظة مدونة تختص بأسلوب آخر. ولو كان في كلماته ما يشبه القرآن لشاع نقله وتدوينه، وخصوصا من أعدائه الذين يريدون كيد الإسلام بكل وسيلة وذريعة. مع أن البلاغة المألوفة حدودا لا تتعداها في الأغلب، فانا نرى البليغ العربي الشاعر أو الناثر تختص بلاغته في جهة واحدة، أو جهتين أو ثلاث جهات، فيجيد في الحماسة مثلا دون المديح، أو في الرثاء دون النسيب. والقرآن قد استطرذ مواضيع عديدة، وتعرض لفنون من الكلام كثيرة، وأتى في جميع ذلك بما يعجز عنه غيره، وهذا ممتنع على البشر في العادة.

#### القرآن معجزة خالدة:

قد عرفت أن طريق التصديق بالنبوة والإيمان بها، ينحصر بالمعجز الذي يقيمه النبي شاهدا لدعواه، ولما كانت نبوات الأنبياء السابقين مختصة بأزمانهم وأجيالهم، كان مقتضى الحكمة أن تكون معاجزهم مقصورة الأمد، ومحدودة، لأنها شواهد على نبوات محدودة، فكان البعض من أهل تلك الأزمنة يشاهد تلك المعجزات فتقوم عليه الحجة، والبعض الآخر تنقل اليه أخبارها من المشاهدين على وجه التواتر، فتقوم عليه الحجة أيضا.

أما الشريعة الخالدة، فيجب أن تكون المعجزة التي تشهد بصدقها خالدة أيضا، لأن المعجزة إذا كانت محدودة قصيرة الأمد لم يشاهدها البعيد، وقد تنقطع أخبارها المتواترة، فلا يمكن لهذا البعيد أن يحصل له العلم بصدق تلك النبوة، فاذا كلفه الله بالإيمان بها كان من التكليف بالمتنع، والتكليف بالمتنع مستحيل على الله تعالى، فلا بد للنبوة الدائمة المستمرة من معجزة دائمة. وهكذا أنزل الله القرآن معجزة خالدة ليكون برهاننا على صدق الرسالة الخالدة، وليكون حجة على الخلف كما كان حجة على السلف. وقد نتج لنا عما قدمناه أمران:

الأول: تفوق القرآن على جميع المعجزات التي ثبتت للأنبياء السابقين، وعلى المعجزات الأخرى التي ثبتت لنبينا محمد ﷺ، لكون القرآن باقيا خالدا، وكون إعجازه

مستمرا يسمع الأجيال ويحتج على القرون .

الثاني : ان الشرايع السابقة منتهية منقطعة ، والدليل على انتهائها هو انتهاء أمد حاجتها وبرهانها ، لانقطاع زمان المعجزة التي شهدت بصدقها <sup>(١)</sup> ، ثم ان القرآن يختص بخاصة أخرى ، وبها يتفوق على جميع المعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون ، وهذه الخاصة هي تكفله بهداية البشر <sup>(٢)</sup> ، وسوقهم الى غاية كمالهم . فان القرآن هو المرشد الذي أرشد العرب الجفاة الطغاة ، المعتنقين أقبح العادات والعاكفين على الأصنام ، والمشتغلين - عن تحصيل المعارف ، وتهذيب الفسوس - بالحروب الداخلية ، والمفاخرات الجاهلية فتكونت منهم - في مدة يسيرة - أمة ذات خطر في معارفها ، وذات عظمة في تاريخها ، وذات سمو في عاداتها . ومن نظر في تاريخ الإسلام وسبر تراجم أصحاب النبي ﷺ المستشهادين بين يديه ، ظهرت له عظمة القرآن في بليغ هدايته ، وكبير أثره ، فانه هو الذي أخرجهم من حضيض الجاهلية الى أعلى مراتب العلم والكمال ، وجعلهم يتفانون في سبيل الدين واحياء الشريعة ، ولا يعبأون بما تركوا من مال وولد وأزواج .

وإن كلمة المقداد لرسول الله ﷺ - حين شاور المسلمين في الخروج الى بدر - شاهد عدل على ما قلنا : « يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له بخير » <sup>(٣)</sup> .

هذا واحد من المسلمين ، يعرب عن عقيدته وعزمه ، وتقانيه في احياء الحق ، وإماتة الشرك . وكان الكثير منهم على هذه العقيدة ، متدرعين بالإخلاص .

إن القرآن هو الذي نور قلوب أولئك العاكفين على الأصنام ، المشتغلين بالحروب الداخلية والمفاخرات الجاهلية ، فجعلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم . يؤثر أحدهم

١ . انظر في قسم التعليقات مهادة علمية جرت بين المؤلف وبين حبر يهودي يتصل بهذا الموضوع في البيان ص ٥٠٠ .

٢ . انظر قسم التعليقات لمعرفة الحاجة الى ترجمة القرآن وشروطها في البيان ص ٥٠١ .

٣ . تاريخ الطبري غزوة بدر ج ٢ ص ١٤٠ الطبعة الثانية .

حياة صاحبه على نفسه ، فحصل للمسلمين بفضل الإسلام من فتوح البلدان في ثمانين سنة ما لم يحصل لغيرهم في ثمانمائة سنة ، ومن قارن بين سيرة أصحاب النبي وسيرة أصحاب الأنبياء السابقين علم أن في ذلك سرا إلهيا ، وأن مبدأ هذا السر هو كتاب الله الذي أشرق على النفوس ، وطهر القلوب والأرواح بسمو العقيدة ، وثبات المبدأ .

انظر الى تاريخ الحواريين ، والى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء تعلم كيف كانوا . كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد ، ويسلمونهم عند خشية الهلاك !! ولذلك لم يكن لأولئك الأنبياء تقدم على طواغيت زمانهم ، بل كانوا يستترون عنهم بالكهوف والأودية . وهذه هي الخاصة الثانية التي تفضل القرآن على سائر المعجزات .

إذ قد عرفت أن القرآن معجزة إلهية ، في بلاغته واسلوبه فاعلم أن اعجازه لا ينحصر في ذلك ، بل هو معجزة ربانية ، وبرهان صدق على نبوة من أنزل اليه من جهات شتى ، فيحسن بنا أن نتعرض الى جملة منها على نحو الإختصار :

#### ١ - القرآن والمعارف :

صرح الكتاب في كثير من آياته الكريمة بأن محمدا ﷺ أمي ، وقد جهر النبي بهذه الدعوى بين ملأ من قومه وعشيرته الذين نشأ بين أظهرهم ، وتربى في أوساطهم ، فلم ينكر أحد عليه هذه الدعوى ، وفي ذلك دلالة قطعية على صدقه فيما يدعيه . ومع اميته فقد أتى في كتابه من المعارف بما أبهر عقول الفلاسفة ، وأدهش مفكري الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام الى هذا اليوم ، وسيبقى موضعا لدهشة المفكرين ، وحيرتهم الى اليوم الأخير ، وهذا من أعظم نواحي الإعجاز .

ولتتنازل للخصوم عن هذه الدعوى ، ولنفرض أن محمدا ﷺ لم يكن أميا ، ولتصوره قد تلقن المعارف ، وأخذ الفنون والتاريخ بالتعليم ، أفليس لازم هذا أنه اكتسب معارفه وفنونه من مثقفي عصره الذين نشأ بين أظهرهم ؟ ونحن نرى هؤلاء الذين نشأ محمدا ﷺ بينهم ، منهم وثنيون يعتقدون بالأوهام ، ويؤمنون بالخرافات ، وذلك ظاهر . ومنهم كتابيون يأخذون معارفهم وتاريخهم وأحكامهم من كتب العهدين التي ينسبونها الى الوحي ، ويعزونها الى الأنبياء . وإذا فرضنا أن محمدا ﷺ أخذ تعاليمه من أهل عصره ،

أفليس لازم هذا أن ينعكس على أقواله ومعارفه ظلال هذه العقائد التي اكتسبها من معلميه ومرشديه، ومن هذه الكتب التي كانت مصدر ثقافته وعلومه؟ ونحن نرى مخالفة القرآن لكتب العهدين في جميع النواحي، وتزييه لحقائق المعارف عن الموهومات الخرافية التي ملأت كتب العهدين وغيرها من مصادر التعلم في ذلك العصر.

وقد تعرض القرآن الكريم لصفات الله جل شأنه في آيات كثيرة، فوصفه بما يليق بشأنه من صفات الكمال، ونزعه عن لوازم النقص والحدوث. وهذه نماذج منها:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَائِمُونَ ﴾ (١)

﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢) ﴿ وَاللَّهُ كَمَا يَلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٥) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦) ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٧) ﴿ قُلِ اللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِينُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٨) ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفِقُونَ ﴾ (٩) ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٠) ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْتَمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١).

١. سورة البقرة: الآية ١١٦.

٢. سورة البقرة: الآية ١١٧.

٣. سورة البقرة: الآية ٢٢٥.

٤. سورة آل عمران: الآية ٦.

٥. سورة يونس: الآية ٣٤.

٦. سورة القصص: الآية ٧٠.

٧. سورة البقرة: الآية ١١٦.

٨. سورة البقرة: الآية ١١٣.

٩. سورة آل عمران: الآية ٥.

١٠. سورة الاععام: الآية ١٠٢ و ١٠٣.

١١. سورة الرعد: الآية ٢.

١٢. سورة المحسر: الآية ٢٢ - ٢٤.

هكذا يصف القرآن إله العالمين ، ويأتي بالمعارف التي تتمشى مع البرهان الصريح ، ويسير مع العقل الصحيح ، وهل يمكن لبشر أمي نشأ في محيط جاهل أن يأتي بمثل هذه المعارف العالية .

ويتعرض القرآن لذكر الأنبياء فيصفهم بكل جميل ينبغي أن يوصفوا به ، وينسب إليهم كل مآثرة كريمة تلازم قداسة النبوة ، ونزاهة السفارة الإلهية واليك نماذج منها :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (١) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٥) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ (٦) ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ : وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ : وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ : وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩) ﴿وَإِذْ كَرَّمَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَكُلًّا فَضَّلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (١١) .

٢. سورة الجمعة: الآية ٢.

١. سورة القلم: الآية ٣.

٤. سورة القلم: الآية ٤.

٣. سورة القلم: الآية ٣.

٦. سورة الزخرف: الآية ٢٦ و ٢٧.

٥. سورة آل عمران: الآية ٣٣.

٨. سورة الانعام: الآية ٨٤-٨٧.

٧. سورة الانعام: الآية ٧٥.

١٠. سورة ص: الآية ٤٨.

٩. سورة النمل: الآية ١٥.

١١. سورة مريم: الآية ٥٨.



هذه جملة من الآيات التي جاء بها الكتاب العزيز في تنزيه الأنبياء وتقديسهم ،  
واظهارهم على حقيقتهم من القداسة والنزاهة وجميل الذكر .

أما كتب العهدين فقد تعرضت أيضاً لذكر الأنبياء ووصفتهم، ولكن بماذا وصفتهم؟!  
وبأي منزلة وضيعة انزلت هؤلاء السفرة الأبرار؟، ولنذكر لذلك أمثلة :

١ - ذكرت التوراة في الإصحاحين الثاني والثالث من سفر التكوين . قصة آدم وحواء  
وخروجهما من الجنة . وذكرت أن الله أجاز لآدم أن يأكل من جميع الأثمار إلا ثمرة شجرة  
معرفة الخير والشر . وقال له : « لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » ثم خلق الله من آدم  
زوجته حواء ، وكانا عاريين في الجنة لأنهما لا يدركان الخير والشر وجاءت الحية وذلتهما  
على الشجرة ، وحرضتهما على الأكل من ثمرها . وقالت : إنكما لامتوتان بل إن الله عالم  
أنكما يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتعرفان الخير والشر فلما أكلتا منها انفتحت أعينهما ،  
وعرفا أنهما عاريان .

فصنعا لانفسهما مئزراً فرأهما الرب وهو يتمشى في الجنة ، فاختبأ آدم وحواء منه  
فنادى الله آدم أين أنت ؟ فقال آدم : سمعت صوتك فاختبأت لأنني عريان . فقال الله : من  
أعلمك بأنك عريان، هل أكلت من الشجرة؟ ثم إن الله بعد ما ظهر له أكل آدم من الشجرة .  
قال : هو ذا آدم صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر، الآن يمديه فيأكل من شجرة الحياة ،  
ويعيش الى الأبد ، فأخرجه الله من الجنة ، وجعل على شرفيها ما يحرس طريق الشجرة . و  
ذكر في العدد التاسع من الإصحاح الثاني عشر أن الحية القديمة هو المدعو إبليس ،  
والشيطان الذي يضل العالم كله .

انظر كيف تنسب كتب الرحي الى قداسة الله أنه كذب على آدم ، وخادعه في أمر  
الشجرة ، ثم خاف من حياته ، وخشي من معارضة إياه في استقلال مملكته فأخرجه من  
الجنة ، وأن الله جسم يتمشى في الجنة ، وأنه جاهل بمكان آدم حين اختفى عنه ، وأن  
الشيطان المضل نصح لآدم ، وأخرجه من ظلمة الجهل الى نور المعرفة ، وادراك الحسن  
والقيح .

٢ - وفي الإصحاح الثاني عشر من التكوين : أن « ابراهيم » ادعى أمام « فرعون » أن

«سارة» اخته وكرم انها زوجته، فأخذها فرعون لجمالها» وصنع الى ابراهيم خيراً بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال». وحين علم فرعون أن سارة كانت زوجة ابراهيم وليست اخته قال له: «لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: هي اختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي». ثم ردّ فرعون سارة الى ابراهيم.

ومغزى هذه القصة ان ابراهيم صار سبباً لأخذ فرعون سارة زوجة ابراهيم زوجة له. وحاشا ابراهيم - وهو من أكرم أنبياء الله - أن يرتكب مالا يرتكبه فرد عادي من الناس.

٣- وفي الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين: قصة «لوط» مع ابنتيه في الجبل، وأن الكبيرة قالت لاختها: «أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا.. هلمي نسقي أباينا خمرأ، ونضطجع معه فتحيي من أباينا نسلا فسقتنا أباهما خمرأ في تلك الليلة» واضطجعت معه الكبيرة. وفي الليلة الثانية سقته الخمر أيضاً، ودخلت معه الصغيرة فحملتا منه، وولدت البكر إبنأ وسمته «موآب» وهو أب الموآبيين، وولدت الصغيرة إبنأ وسمته «بن عتي» وهو أبو بني عمون الى اليوم.

هذا مانسبته التوراة الراجحة الى لوط نبي الله والى ابنتيه، وليحكّم الناظر فيها عقله، ثم ليقل هايشاء..

٤- وفي الإصحاح السابع والعشرين من التكوين: أن «إسحق» أراد أن يعطي إبنه «عيسو» بركة النبوة فخادعه «يعقوب» وأوهمه أنه عيسو، وقدم له طعاماً وخمرأ فأكل وشرب، وبهذه الحيلة والكذب المتكرر توسل الى أن ياركة الله. وقال له اسحق: «كن سيدأ لاختوتك، ويسجد لك بنو امك ليكن لاعتوك ملعونين، ومباركوك مباركين»، ولما جاء عيسو علم أن أخاه يعقوب قد انتهب بركة النبوة. فقال لأبيه: «باركني أنا أيضاً ياأبي. فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك». ثم قال عيسو: «أما أبقيت لي بركة؟» فقال إسحق: «إني قد جعلته سيدأ لك، ودفعت اليه جميع إخوته عبيدأ، وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع اليك ياأبني؟ ورفع عيسو صوته وبكى».

أفهل يعقل انتهاب النبوة؟ وهل يعطي الله نبوته لمخادع كاذب ويحرم منها أهلها؟ وهل إن يعقوب بعمله هذا خادع الله أيضاً كما خادع إسحق ولم يقدر الله بعد ذلك على

إرجاعها الى أهلها؟!! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولعل سكرة الخمر دعت الى وضع هذه السخافة، والى نسبة شرب الخمر الى إسحق.

٥- وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من التكوين: أن «يهوذا» بن يعقوب زنى بزوجة ابنة «عير» المسماة «بثامار» وأنها حبلى منه وولدت له ولدين «فارص» و«زارح»، وقد ذكر انجيل متى في الإصحاح الأول نسب يسوع المسيح تفصيلاً، وجعل المسيح وسليمان وأباه داود من نسل «فارص» هذا الذي ولد من زنا يهوذا بكنته ثامار.

حاشا أنبياء الله أن يولدوا من الزنى، كيف وأن تنسب اليهم الولادة من الزنى بذات محرم!! ولكن واضح التوراة الراتجة لايبالي بما يكتب وما يقول!!.

٦- وفي الإصحاحين الحادي والثاني عشر من صموئيل الثاني: أن داود زنى بامرأة «اوريا» المجاهد المؤمن: وحملت من ذلك الزنى، فخشي داود الفضيحة، وأراد تمويه الأمر على اوريا، فطلبه وأمره أن يدخل بيته فأبى «اوريا» وقال: «سيدي - يوأب - وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي الى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك و حياة نفسك لأفعل هذا الأمر». فلما ينس داود من التمويه أقامه عنده اليوم، ودعاه فأكل عنده وشرب وأسكره، وفي الصباح كتب داود الى يوأب: «اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت» وقد فعل يوأب ذلك فقتل اوريا، وأرسل الى داود يخبره بذلك، فضم داود امرأة اوريا الى بيته وصارت امرأة له بعد انتهاء مناحتها على بعلمها. وفي الإصحاح الأول من انجيل متى: أن سليمان ابن داود ولد من تلك المرأة.

تأمل كيف تجرأ هذا الواضع على الله؟ وكيف تصح نسبة هذا الفعل الى من له أدنى غيرة وحمية فضلاً عن نبي من أنبياء الله؟ وكيف يجتمع هذا مع ما في انجيل لوقا من أن المسيح يجلس على كرسي داود أبيه!!؟

٧- وفي الإصحاح الحادي عشر من الملوك الأول: أن سليمان كانت له سبعمانه زوجة من السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت النساء قلبه وراء آلهة أخرى «فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيغونيين، وملكوم، رجس العمونيين، وعمل سليمان

الشر في عيني الرب ... فقال الرب: إني امزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعمودك». وفي الثالث والعشرين من الملوك الثاني: أن المرتفعات التي بناها سليمان لعشورث رجاسة الصيدونيين ول «كموش» رجاسة الموءابيين و لملكوم كراهة بنى عمون نجسها الملك «يوشيا» وكسر التماثيل وقطع السواري، وكذلك فعل بجميع آثار الوثنيين.

هب ان النبي لا يلزم أن يكون معصوماً - والأدلة العقلية قائمة على عصمته - فهل يجوز له في حكم العقل أن يعبد الأصنام، وأن يبني لها المرتفعات ثم يدعو الناس الى التوحيد والى عبادة الله؟ كلا!!!

٨- وفي الإصحاح الأول من كتاب «هوشع»: أن «أول ما كلم الرب هوشع. قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى، وأولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب، فذهب وأخذ «جومر» بنت دبلايم فجلت» وولد له ابنان وبنات، وفي الإصحاح الثالث: أن الرب قال له: «إذهب أيضاً أحب امرأة - حبيبة صاحب وزانية - كمحبة الرب لبني إسرائيل». أهكذا يكون أمر الله، بأمر نبيه بالزنى وبمحبة امرأة زانية؟ تعالى عن ذلك علواً كبيراً. ولا عجب في أن الكاتب لا يدرك قبح ذلك. وإنما العجب من الأمم المثقفة ورجال العصر، ومهرة العلوم الناظرين في التوراة الرائجة، والمطلعين على ما اشتملت عليه من الخرافات، كيف تعتقد بأنها وحي إلهي وكتاب سماوي. نعم إن تقليد الآباء كالغريزة الثانوية، يصعب التنازل عنه الى اتباع الحق والحقيقة. والله الهادي والموفق.

٩- وفي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متى، والثالث من مرقس والثامن من لوقا: أن المسيح فيما هو يكلم الجموع «إذا أمه واخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه. فقال له واحد: هو ذا أمك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقاتل له: من هم أمي ومن هم اخوتي، ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي واخوتي، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي».

انظر الى هذا الكلام وتأمل ما فيه من سخافة. ينتهر المسيح امه القديسة البرة ويحرمها رؤيته، ويعرض بقداستها، ويفضل تلاميذه عليها وهم الذين قال فيهم المسيح: «إنهم لا إيمان لهم» كما في الرابع من مرقس وإنه ليس لهم من الإيمان مثل حبة خردل كما في

السابع عشر من متى ، وهم الذين طلب منهم المسيح أن يسهروا معه ليلة هجوم اليهود عليه فلم يفعلوا ولما أمسكه اليهود في الظاهر تركه تلاميذ ، كلهم وهربوا ، كما في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى ، الى ما سوى ذلك من الشائع التي نسبتها اليهم الأناجيل .

١٠- وفي الإصحاح الثاني من يوحنا : أن المسيح حضر مجلس عرس فنقد خمرهم ، فعمل لهم ستة أجران من الخمر بطريق المعجزة . وفي الحادي عشر من متى ، والسابع من لوقا : أن المسيح كان يشرب الخمر ، بل كان شريب خمر «كثير الشرب لها» .

حاشا قدس المسيح من هذا البهتان العظيم . فقد جاء في العاشر من اللاويين أن الرب قال ؟ لهرون : «خمرأ ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا ، فرضاً دهرياً في أجيالكم ، وللتمييز بين المقدس والمحلل ، وبين النجس والظاهر» . وفي الأول من لوقا في مدح يوحنا المعمدان : «لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمرأ ومسكراً لا يشرب» الى غير ذلك مما دل على حرمة شرب الخمر في العهدين .

هذه أمثلة يسيرة في كتب العهدين الرائجة من سخافات وخرافات واطليل وأباطيل لا تلتئم مع البرهان ، ولا تتماشى مع المنطق الصحيح ، وضعناها أمام القارىء ليعمن النظر فيها ، وليحكم عقله ووجدانه . وهل يمكن أن يحكم أن محمداً ﷺ قد اقتبس معارفه ، وأخذ محتويات قرآنه العظيم من هذه السخافات وهو على ما هو عليه من سمو المعارف ، ورصانة التعليم ؟ وهل يمكن أن ننسب هذه الكتب السخيفة الى وحي السماء وهي التي نرى قداسة الأنبياء بما ذكرناه وبما لم نذكره ؟<sup>(١)</sup> .

### ٣- القرآن والاستقامة في البيان :

قد علم كل عاقل جرب الامور ، وعرف مجاريها أن الذي يبني أمره على الكذب والافتراء في تشريعه واخباره ، لابد من أن يقع منه التناقض والإختلاف ، ولا سيما إذا تعرض لكثير من الامور المهمة في التشريع والاجتماع والعقائد ، والنظم الأخلاقية

١. الهدى الى دين المصطفى . والرحلة المدرسية لشيخنا البلاغي . ونعمات الاعجاز . نجد في هذه الكتب الشيء الكثير من نقل هذه الخرافات .

المبتنية على أدق القواعد، وأحكم الأسس، ولا سيما إذا طالت على ذلك المفترى أيام، ومرت عليه أعوام. نعم لا بد من أن يقع في التناقض والتهافت من حيث يريد أو لا يريد، لأن ذلك مقتضى الطبع البشري الناقص إذا خلا من التسديد. وقد قيل في المثل المعروف: لا حافظة للكذب.

وقد تعرض القرآن الكريم لمختلف الشؤون، وتوسع فيها أحسن التوسع فبحث في الإلهيات ومباحث النبوات، ووضع الأصول في تعاليم الأحكام والسياسات المدنية، والنظم الاجتماعية، وقواعد الأخلاق. وتعرض لأمر أخرى تتعلق بالفلكيات والتاريخ، وقوانين السلم والحرب، ووصف الموجودات السماوية والأرضية من ملك وكواكب ورياح، وبحار ونبات وحيوان وإنسان، وتعرض لأنواع الأمثال، ووصف أهوال القيامة ومشاهدها فلم توجد فيه أية مناقضة ولا أدنى اختلاف، ولم يتباعد عن أصل مسلم عند العقل والعقلاء. وربما يستعرض الحادثة الواحدة مرتين أو أكثر، فلا تجد فيه أقل تهافت وتدافع. وإليك قصة موسى عليه السلام، فقد تكررت في القرآن مراراً عديدة، وفي كل مرة تجد لها مزية تمتاز بها من غير اختلاف في جوهر المعنى.

وإذا عرفت أن الآيات نزلت نجوماً متفرقة على الحوادث، علمت أن القرآن روح من أمر الله، لأن هذا التفرق يقتضي بطبعه عدم الملاءمة والتناسب حين يجتمع. ونحن نرى القرآن معجزاً في كلتا الحالتين، نزل متفرقاً فكان معجزاً حال تفرقه، فلما اجتمع حصل له إعجاز آخر. وقد أشار الى هذا النحو من الإعجاز قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية تدل الناس على أمر يحسونه بفطرتهم، ويدركونه بخريزتهم؛ وهو أن من يعتمد في دعواه على الكذب والإفتراء لا بد له من التهافت في القول، والتناقض في البيان، وهذا شيء لم يقع في الكتاب العزيز.

والقرآن يتبع هذه الخطة في كثير من استدلالاته واحتجاجاته، فيرشد الناس الى حكم الفطرة، ويرجعهم الى الغريزة، وهي أنجح طريقة في الإرشاد، وأقربها الى الهداية.

وقد أحست العرب بهذه الإستقامة في أساليب القرآن، واستيقنت بذلك بلغاؤهم. وإن كلمة الوليد بن المغيرة في صفة القرآن تفسر لنا ذلك، حيث قال - حين سأله أبو جهل أن يقول في القرآن قولاً -

«فما أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم في الأشعار مني ولا أعلم بجزءه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة، وأنه ليحطم ما تحته، وأنه ليعلو ولا يعلى.

قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال الوليد: فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر. قال: هذا سحر يأثره عن غيره»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات قال الوليد:

«والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ومن كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر...»<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردت أن تحس ذلك من نفسك فانظر الى الكتب المنسوبة الى الوحي، فانك تجدها متناقضة المعاني، مضطربة الاسلوب، لا تنهض ولا تنماسك. وإذا نظرت الى كتب المهديين، وما فيها من تضارب وتناقض تجلت لك حقيقة الأمر، ويان لك الحق من الباطل. وهنا نذكر أمثلة مما وقع في الأناجيل من هذا الاختلاف:

١- في الإصحاح الثاني عشر من انجيل متى، والحادي عشر من لوقا: ان المسيح قال: «من ليس معي فهو علي، ومن لا يجمع معي فهو يفرق». وقال في التاسع من مرقس، والتاسع من لوقا: «من ليس علينا فهو معنا».

٢- وفي التاسع عشر من متى، والعاشر من مرقس، والثامن عشر من لوقا: ان بعض الناس قال للمسيح: «أيها المعلم الصالح. فقال: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله». وفي العاشر من يوحنا انه قال: «أنا هو الراعي الصالح... أما أنا فاني الراعي الصالح».

٢. تفسير القرطبي ج ١٩ ص ٧٢.

١. تفسير الطبري ج ٢٩ ص ٩٨.

٣- وفي السابع والعشرين من متى قال: «كان اللصان اللذان صلبا معه - المسيح - يعيرانه»، وفي الثالث والعشرين من لوقا: «وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً: أولاً أنت تخاف الله؟ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه».

٤- وفي الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً». وفي الثامن من هذا الإنجيل نفسه انه قال: «وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق». هذه نبذة مما في الأناجيل - على ما هي عليه من صغر الحجم من التضارب والتناقض - وفيها كفاية لمن طلب الحق، وجانب التعصب والعناد<sup>(١)</sup>.

## ٢ - القرآن في نظامه وتشريعه

يبدو لكل متتبع للتاريخ ما كانت عليه الأمم قبل الإسلام من الجهل، وما وصلت اليه من الإنحطاط في معارفهم وأخلاقهم. فكانت الهمجية سائدة عليهم، والغارات متواصلة فيما بينهم، والقلوب متجهة الى النهب والغنيمة، والخطى مسرعة الى إصلاء نيران الحروب والمعارك. وكان للعرب القسم الوافر من خرافات العقيدة، ووحشية السلوك، فلا دين يجمعهم، ولا نظام يربطهم. وعادات الآباء تذهب بهم يميناً وشمالاً، وكان الوثنيون في بلاد العرب هم السواد الأعظم فكانت لهم - باختلاف قبائلهم واسرهم - آلهة يعبدونها ويتخذونها شفعاء الى الله، وشاع بينهم الإستقسام بالانصاب والازلام، واللعب بالميسر، حتى كان الميسر من مفاخرهم<sup>(٢)</sup> وكان من عاداتهم التزويج بنساء الآباء<sup>(٣)</sup> ولهم عادة أخرى هي أفظع منها - وهي وأد البنات - دفنهن في حال الحياة<sup>(٤)</sup>.

هذه بعض عادات العرب في جاهليتهم. وحين بزغ نور محمد ﷺ وأشرقت شمس الإسلام في مكة، تنوروا بالمعارف، وتخلقوا بمكارم الأخلاق، فاستبدلوا التوحيد بالوثنية، والعلم بالجهل، والفضائل بالذائل والإخاء والتآلف بالشقاق والتخالف، فأصبحوا أمة وثيقة العرى مدت جناح ملكها على العالم، ورفعت أعلام الحضارة في

١. وللزيادة تراجع كتابي «المهدى والرحلة المدرسية» لآمام البلاغي قدس سره «نفعات الإعجاز» للخوازي قدس سره.

٢. بلوغ الأربج ٣ ص ٥٠ طبع مصر.

٣. نفس المصدر ج ٢ ص ٥٢.

٤. نفس المصدر ج ٣ ص ٤٣.



أقطار الأرض وأرجانها قال الدوري (١).

«وبعد ظهور الذي جمع قبائل العرب أمة واحدة، تقصد مقصداً واحداً ظهرت للعبان أمة كبيرة، مدت جناح ملكها من نهر تاج اسبانيا الى نهر الجانج في الهند، ورفعت على منار الإشادة أعلام التمدن في أقطار الأرض، أيام كانت اوربا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة. ثم قال: إنهم كانوا في القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأمم، وانقضت بسببهم سحائب البربرية التي امتدت على اوربا حين اختل نظامها بفتوحات المتوحشين» (٢).

نعم إن جميع ذلك كان بفضل تعاليم كتاب الله الكريم الذي فاق جميع الصحف السماوية. فإن للقرآن في أنظمتها وتعاليمه مسلماً يتمشى مع البراهين الواضحة، وحكم العقل السليم، فقد سلك سبيل العدل، وتجنب عن طرفي الأفرط والتفريط. فتراه في فاتحة الكتاب يطلب عن لسان البشر من الله الهداية الى الصراط المستقيم بقوله:

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٣).

وهذه الجملة على وجازتها واختصار ألفاظ واسعة المعنى بعيدة المدى. وستعرض لما يتيسر من بيان ذلك عند تفسيرنا للآية المباركة إن شاء الله تعالى.

وقد أمر القرآن بالعدل وسلوك الجادة الوسطى في كثير من آياته. فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (٤) ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٧).

نعم قد أمر القرآن بالعدل، وسلك في تعاليمه مسلماً الإستقامة، فنهى عن الشح في عدة مواضع، وعرف الناس مفاسده وعواقبه:

٢. صفوة العرفان لمحمد فريد وجددي ص ١١٩.

٤. سورة النساء: الآية ٥٨.

٦. سورة الانعام: الآية ١٥٢.

١. هو أحد وزراء فرنسا.

٣. سورة الحمد: الآية ٦.

٥. سورة المائدة: الآية ٨.

٧. سورة الفيل: الآية ٩٠.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١)

بينما قد نهى عن الإسراف والتبذير ودل الناس على مفسدهما:

﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٣) ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (٤) وأمر بالصبر على المصائب وتحمل الأذى، ومدح الصابر على صبره، ووعد الثواب العظيم:

﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥) ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٦)

والى جانب هذا لم يجعل المظلوم مغلول اليد أمام ظالمه، بل أباح له أن ينتقم من الظالم بمثل ما اعتدى عليه، حسماً لمادة الفساد، وتحقيقاً لشريعة العدل:

﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ عَلَىٰكُمْ فَلْيُحَدِّثْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اهْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (٧)

وجوز لولي المقتول أن يقتص من القاتل العائد:

﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (٨)

والقرآن بسلوكة طريق الاعتدال، وأمرة بالعدل والإستقامة قد جمع نظام الدنيا الى نظام الآخرة، وتكفل بما يصلح الأولى، وبما يضمن السعادة في الأخرى، فهو الناموس الأكبر جاء به النبي الأعظم ليفوز به البشر بكلتا السعادتين، وليس تشريعه دنيوياً محضاً لا نظر فيه الى الآخرة، كما تجده في التوراة الرائجة، فإنها مع كبر حجمها لا تجد فيها مورداً تعرضت فيه لوجود القيامة، ولم تخبر عن عالم آخر للجزاء على الأعمال الحسنة والقييحة. نعم صرحت التوراة بأن أثر الطاعة هو الغنى في الدنيا، والتسلط على الناس باستعبادهم، وأن أثر المعصية والسقوط عن عين الرب هو الموت وسلب الأموال والسلطة. كما أن تشريع القرآن ليس أخروياً محضاً لا تعرض له بتنظيم امور الدنيا كما في

١. سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

٢. سورة الانعام: الآية ١٤١.

٣. سورة الأشراف: الآية ٢٧.

٤. سورة الأشراف: الآية ٢٩.

٥. سورة الزمر: الآية ١٠.

٦. سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

٧. سورة البقرة: الآية ١٩٤.

٨. سورة الأشراف: الآية ٣٣.

شريعة الإنجيل . فشريعة القرآن شريعة كاملة تنظر الى صلاح الدنيا مرة والى صلاح الآخرة مرة أخرى . فيقول في تعليماته :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَمَدَّدْ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾<sup>(١)</sup>  
 ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويحث الناس - في كثير من آياته - على تحصيل العلم ، وملازمة التقوى بينما يبيح لهم لذائد الحياة وجميع الطيبات :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويدعو كثيراً الى عبادة الله ، والى التفكير في آياته التشريعية والتكوينية والى التأمل والتدبر في الآفاق وفي الأنفس ، ومع ذلك لم يقتصر على هذه الناحية التي توصل الإنسان بربه ، بل تعرض للناحية الأخرى التي تجمعه مع أبناء نوعه .

واحل له البيع :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وأمره بالوفاء بالعقود :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وأمر بالتزويج الذي يكون به بقاء النوع الإنساني :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعًا فَإِنْ حَفِظْتُمْ أَنْ لَا تَمْدِلُوهَا فَوَاحِدَةً ﴾<sup>(٨)</sup> .

وأمر الإنسان بالإحسان الى زوجته ، والقيام بشؤونها ، والى الوالدين والأقربين . والى

٢ . سورة الزلزلة : الآية ٧ و ٨ .

١ . سورة النساء : الآية ١٣ و ١٤ .

٤ . سورة الاعراف : الآية ٣٢ .

٣ . سورة القصص : الآية ٧٧ .

٦ . سورة المائدة : الآية ٥ .

٥ . سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

٨ . سورة النساء : الآية ٣ .

٧ . سورة التور : الآية ٣٢ .

عامة المسلمين، بل والى البشر كافة فقال:

﴿ وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ وَلَهُمْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وِبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup>.

هذه أمثلة من تعاليم القرآن التي نهج فيها منهج الاعتدال، وقد أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أفراد الأمة، ولم يخصه بطائفة خاصة، ولا بأفراد مخصوصين، وهو بهذا التشريع قد فتح لتعاليمه أبواب الانتشار ونفع فيها روح الحياة والاستمرار. فقد جعل كل واحد من أفراد العائلة والبيئة مرشداً لهم، ورفيقاً عليهم، بل جعل كل مسلم دليلاً وعيناً على سائر المسلمين يهديهم الى الرشاد، ويزجرهم عن البغي والفساد، فالمسلمون بأجمعهم مكلفون بتبليغ الأحكام، وبتنفيذها، أفهل تعلم جنوداً هي أقوى وأعظم تأثيراً من هذه الجنود ونحن نرى السلاطين ينفذون إرادتهم على الرعية بقوة جنودهم. ومن الواضح أنهم لا يلازمون الرعية في جميع الأمكنة والأزمان، فكفم فرق بين جند الاسلام، وجند السلاطين.

ومن أعظم تعاليم القرآن التي تجمع كلمة المسلمين، وتوحد بين صفوفهم: المؤاخاة بين طبقات المسلمين، ونبذ الميزات إلا من حيث العلم والتقوى حيث يقول:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ <sup>(٧)</sup> ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ وَالَّذِينَ لَا يُعَلِّمُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup>.

قال النبي ﷺ:

- |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ١. سورة النساء: الآية ١٩.  | ٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٨. |
| ٣. سورة النساء: الآية ٣٦.  | ٤. سورة القصص: الآية ٧٧.   |
| ٥. سورة الاعراف: الآية ٥٦. | ٦. سورة البقرة: الآية ١٩٥. |
| ٧. سورة الحجرات: الآية ١٣. | ٨. سورة الزمر: الآية ٩.    |

«إن الله عز وجل أعز بالاسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالاسلام ما كان من نخوة الجاهلية، وتفاخرها بعشائرها، وباسق أنسابها، فالتاس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم، وقرشيههم وعرييههم وعجميههم من آدم. وإن آدم خلقه الله من طين، وإن أحب الناس الى الله عز وجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم»<sup>(١)</sup> وقال: «فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أدناكم»<sup>(٢)</sup>.

فالاسلام قدم سلمان الفارسي لكمال إيمانه حتى جعله من أهل البيت<sup>(٣)</sup> وأخر أبا لهب عم رسول الله ﷺ لكفره.

انك ترى أن نبي الاسلام لم يفتخر على قومه بنسب ولا حسب ولا بغيرهما مما كان الافتخار به شائعاً في عصره، بل دعاهم الى الايمان بالله وباليوم الآخر، والى كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، وبذلك قد يمكن أن يسيطر على أمة كانت تتفاخر بالأنساب بقلوب ملؤها الشقاق والتفاق، فأثر في طباعها حتى أزال الكبر والنخوة منها، فأصبح الغني الشريف يزوج ابنته من المسلم الفقير، وإن كان أدنى منه في النسب<sup>(٤)</sup>.

هذه الشريعة القرآن في إرشاداته وتعاليمه، تنفقد مصالح الفرد، ومصالح المجتمع، وتضع القوانين التي تكفل جميع ذلك، ما يعود منها الى الدنيا وما يرجع الى الآخرة. فهل يشك عاقل بعد هذا في نبوة من جاء بهذا الشرع العظيم، ولا سيما إذا لاحظ أن نبي الاسلام قد نشأ بين أمة وحشية، لا معرفة لها بشيء من هذه التعليمات!!!؟

#### ٤ - القرآن والاتقان في المعاني

تعرض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من الالهيات والمعارف، وبدء الخلق والمعاد، وما وراء الطبيعة من الروح والملك وابليس والجن، وللفلكيات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والاخلاقيات، والحقوق العائلية، والسياسات

١. فروع الكافي ج ٢ باب ٢١ أن المؤمن كفو للمؤمنة. ٢. الجامع الصغير بشرح المناوي ج ٤ ص ٤٣٢.

٣. البحار ج ٦ باب ٧٦ فضائل سلمان.

٤. ومن ذلك تزويج زياد بن لبيد وهو من أشرف بني بياضة ابنته من جوبير لإسلامه. وقد كان رجلاً قصيراً ذمياً محتاجاً عارياً، وكان من قباح السودان. فروع الكافي ج ٢ باب ٢١ أن المؤمن كفو للمؤمنة.

المدنية، والنظم الاجتماعية والحربية، والقضاء والقدر، والكسب والاختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص وغير ذلك. وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، التي لا يتطرق إليها الفساد والنقد في أية جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر - ولا سيما ممن نشأ بين أمة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم - ولذلك نجد كل من ألف في علم من العلوم النظرية، لا تمضي على مؤلفة مدة حتى يتضح بطلان كثير من آرائه. فان العلوم النظرية كلما ازداد البحث فيها وكثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخر خلاف ما أثبتته المتقدم، والحقيقة - كما يقولون - بنت البحث، وكم ترك الأول للأخر. ولهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين، ومن تأخر عنهم من أهل التحقيق والنظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممن تأخر، حتى أن بعض ما اعتقده السابقون برهاناً يقينياً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، وخيالاً من الأخيلة.

والقرآن مع تطاول الزمان عليه، وكثرة أغراضه، وسمو معانيه، لم يوجد فيه ما يكون معرضاً للنقد والاعتراض، اللهم إلا أوهام من بعض المكابرين، حسبوها من النقد. وستعرض لها، ونوضح بطلانها إن شاء الله تعالى.

#### ٥ - القرآن والاخبار بالغيب

أخبر القرآن الكريم في عدة من آياته عن أمور مهمة، تتعلق بما يأتي من الأنبياء والحوادث، وقد كان في جميع ما أخبر به صادقاً، لم يخالف الواقع في شيء منها. ولا شك في ان هذا من الإخبار بالغيب، ولا سبيل إليه غير طريق الوحي والنبوة.

فمن الآيات التي انبأت عن الغيب قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

وهذه الآية نزلت في وقعة بدر، وقد وعد الله فيها المؤمنين بالنصر على عدوهم وبقطع دابر الكافرين، والمؤمنون على ما هم عليه من قلة العدد والعدة، حتى أن الفارس

فيهم كان هو المقداد، أو هو والزيبرين العوام والكافرون هم الكثيرون الشديدون في القوة، وقد وصفتهم الآية بأنهم ذوو شوكة، وأن المؤمنين أشفقوا من قتالهم، ولكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته. وقد وفي للمؤمنين بوعده، ونصرهم على أعدائهم، قطع دابر الكافرين.

ومنها قوله تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

فان هذه الآية الكريمة نزلت بمكة في بدء الدعوة الإسلامية، وقد أخرج البزار والطبراني في سبب نزولها عن أنس بن مالك: أنها نزلت عند مرور النبي ﷺ على اناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبرئيل (٢). فأخبرت الآية عن ظهور دعوة النبي ﷺ ونصرة الله له، وخذلانه للمشركين الذين ناوأوه واستهزأوا بنبوته، واستخفوا بأمره. وكان هذا الإخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط شوكة قريش، وانكسار سلطانهم، وظهور النبي ﷺ عليهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣)

ومن هذه الأنبياء قوله تعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٤)

وقد وقع ما أخبرت به الآية بأقل من عشر سنين، فغلب ملك الروم، ودخل جيشه مملكة الفرس.

ومنها قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُتْتَبِعُونَ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ (٥)

٢. لباب القول ص ١٣٣ جلال الدين السيوطي.

٤. سورة الزوم: الآية ٢ و ٣.

١. سورة الحجر: الآية ٩٤-٩٦.

٣. سورة الصف: الآية ٩.

٥. سورة القمر: الآية ٤٤ و ٤٥.

فأخبر عن انهزام جمع الكفار وتفريقهم وقمع شوكتهم، وقد وقع هذا في يوم بدر أيضا حين ضرب أبو جهل فرسه، وتقدم نحو الصف الأول قائلا: «نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه» فأباده الله وجمعه، وأثار الحق ورفع مناره، وأعلى كلمته، فانهزم الكافرون، وظفر المسلمون عليهم حينما لم يكن يتوهم أحد بأن ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا - ليس لهم عدة، ولا يصحبون غير فرس أو فرسين وسبعين بعيرا يتعاقبون عليها - يظفرون بجمع كبير تام العدة وافر العدد، وكيف يستفحل أمر أولئك النفر القليل على هذا العدد الكثير، حتى تذهب شوكته، كرماد اشتدت به الريح، ولا أمر الله وإحكام النبوة وصدق النيات!؟

ومنها قوله تعالى:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .. \* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْخَطَبِ ﴾ (١)

وقد تضمنت هذه السورة نبأ دخول أبي لهب، ودخول زوجته النار. ومعنى ذلك هو الإخبار عن عدم تشرفهما بقبول الإسلام الى آخر حياتهما، وقد وقع ذلك.

٦- القرآن وأسرار الخليقة:

أخبر القرآن الكريم في غير واحدة من آياته عما يتعلق بسنن الكون، ونواميس الطبيعة، والأفلاك، وغيرها مما لا سبيل الى العلم به في بدء الإسلام إلا من ناحية الوحي الإلهي. وبعض هذه القوانين وان علم بها اليونانيون في تلك العصور أو غيرهم ممن لهم سابق معرفة بالعلوم، إلا أن الجزيرة العربية كانت بعيدة عن العلم بذلك. وان فريقا مما أخبر به القرآن لم يتضح إلا بعد توفر العلوم، وكثرة الاكتشافات. وهذه الأنباء في القرآن كثيرة، نتعرض لها عند تفسيرنا الآيات التي تشير إليها إن شاء الله تعالى.

وقد أخذ القرآن بالحزم في إخباره عن هذه الامور، فصرح ببعضها حيث يحسن التصريح. وأشار الى بعضها حيث تحمد الاشارة، لأن بعض هذه الأشياء مما يستعصي على عقول أهل ذلك العصر، فكان من الرشد أن يشير إليها إشارة تتضح لأهل العصور المقبلة حين يتقدم العلم، وتكثر الاكتشافات.



ومن هذه الأسرار التي كشف عنها الوحي السماوي، وتنبه عليها المتأخرون ما في قوله تعالى:

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن كل ما ينبت في الأرض له وزن خاص، وقد ثبت أخيراً أن كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركباً آخر، وإن نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدق الموازين المعروفة للبشر.

ومن الأسرار الغريبة - التي أشار إليها الوحي الإلهي - حاجة إنتاج قسم من الأشجار والنبات إلى لقاح الرياح. فقال سبحانه:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن المفسرين الأقدمين وإن حملوا اللقاح في الآية الكريمة على معنى الحمل، باعتبار أنه أحد معانيه، وفسروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب، أو المطر الذي يحمله السحاب، ولكن التنبية على هذا المعنى ليس فيه كبير اهتمام، ولا سيما بعد ملاحظة أن الرياح لا تحمل السحاب، وإنما تدفعه من مكان إلى مكان آخر.

والنظرة الصحيحة في معنى الآية - بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات - تفيدنا سراً دقيقاً لم تدركه أفكار السابقين، وهو الإشارة إلى حاجة إنتاج الشجر والنبات إلى اللقاح. وأن اللقاح قد يكون بسبب الرياح وهذا كما في المشمس والصنوبر والرمان والبرتقان والقطن، ونباتات الحبوب وغيرها فإذا نضجت حبوب الطلع انفتحت الأكياس، وانتشرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياصم الأزهار الأخرى عفواً.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أن سنة الزواج لا تختص بالحيوان، بل تعم النبات بجميع أقسامه بقوله:

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ

٢. سورة الحجر: الآية ٢٢.

١. سورة الحجر: الآية ١٩.

٣. سورة الرعد: الآية ٣.

كُلُّهَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

ومن الأسرار التي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض . فقد قال عز من قائل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ (٢) .

تأمل كيف تشير الآية الى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتضح إلا بعد قرون ، وكيف تستعير للأرض لفظ المههد الذي يعمل للرضيع . يهتز بنعومة لينام فيه مستريحاً هادئاً ؟ وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعية والانتقالية ، وكما أن تحرك المههد لغاية تربية الطفل واستراحته . فكذلك الأرض ، فان حركتها اليومية والسنوية لغاية تربية الإنسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنبات .

تشير الآية المباركة الى حركة الأرض إشارة جميلة ، ولم تصرح بها لأنها نزلت في زمان اجمعت عقول البشر فيه على سكونها ، حتى أنه كان يعد من الضروريات التي لا تقبل التشكيك (٣) .

ومن الأسرار التي كشف عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً : وجود قارة أخرى . فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (٤) .

وهذه الآية الكريمة قد شغلت أذهان المفسرين قروناً عديدة ، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى . فقال بعضهم : المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباهما ، وحمله بعضهم على مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما . ولكن الظاهر أن المراد بها الإشارة الى وجود قارة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنا . وذلك بدليل قوله تعالى :

﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (٥) .

فان الظاهر من هذه الآية أن البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن

١. سورة يس : الآية ٣٦ . ٢. سورة طه : الآية ٥٣ .

٣. واجترأ الحكيم « غاليه » بعد الألف الهجري فأثبت المشرقين « الوضعية والانتقالية » للأرض فأهانوه . واضطهدوه حتى قارب الملكة ، ثم سجن طويلاً مع جلالته . وحقوقه العلمية ، فصار حكاماً الا فرج يكتسبون كسبائهم الأنيقة المخالفة للخرافات العتيقة خوفاً من الكنيسة الرومية . الهيئة والإسلام ص ٦٣ طبعة بغداد .

٤. سورة الرحمن : الآية ١٧ . ٥. سورة الزخرف : الآية ٣٨ .

حملها على مشرقى الشمس والقمر ولا على مشرقى الصيف والشتاء ، لأن المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسة فلا بد من أن يراد بها المسافة التي ما بين المشرق والمغرب . ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقا لجزء آخر من الكرة الأرضية ليصح هذا التعبير ، فالآية تدل على وجود هذا الجزء الذي لم يكتشف إلا بعد مئات من السنين من نزول القرآن .

فالآيات التي ذكرت المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد منها النوع كقوله تعالى :  
**﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾** <sup>(١)</sup> .

والآيات التي ذكرت ذلك بلفظ التثنية يراد منها الإشارة الى القارة الموجودة على السطح الآخر من الأرض .

والآيات التي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد منها المشارق والمغارب باعتبار أجزاء الكرة الأرضية كما نشير اليه .

ومن الأسرار التي أشار اليها القرآن الكريم كروية الأرض فقال تعالى :

**﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿ فَلَاقِسِمٍ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾** <sup>(٤)</sup> .

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها ، وفيها إشارة الى كروية الأرض ، فان طلوع الشمس على أي جزء من أجزاء الكرة الأرضية يلازم غروبها عن جزء آخر ، فيكون تعدد المشارق والمغارب واضحا لا تكلف فيه ولا تعسف . وقد حمل القرطبي وغيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيام السنة ، لكنه تكلف لا ينبغي أن يصار اليه ، لأن الشمس لم تكن لها مطالع معينة ليقع الحلف بها ، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي . فلا بد من أن يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئا فشيئا ، باعتبار كروية الأرض وحركتها .

٢ . سورة الاعراف : الآية ١٣٧ .

٤ . سورة المعارج : الآية ٤ .

١ . سورة البقرة : الآية ١١٥ .

٣ . سورة الصافات : الآية ٥ .

وفي أخبار أنمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأدعتهم وخطبهم ما يدل على كروية الأرض .

ومن ذلك ما روي عن الامام الصادق عليه السلام قال :

« صحبني رجل كان يسمي المغرب ويغلس بالفجر ، وكنت أنا اصلي المغرب إذا غربت الشمس ، واصللي الفجر إذا استبان الفجر . فقال لي الرجل : ما يمنعك أن تصنع مثل ما أصنع ؟ فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا ، وهي طالعة على قوم آخرين بعد . فقلت : إنما علينا أن نصلي إذا وجبت الشمس عنا وإذا طلع الفجر عندنا ، وعلى أولئك أن يصلوا إذا غربت الشمس عنهم » <sup>(١)</sup> .

يستدل الرجل على مراده باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الأرض ، ويقره الامام عليه السلام على ذلك ولكن ينهه على وظيفته الدينية .

ومثله قوله الامام عليه السلام في خبر آخر : « إنما عليك مشركك ومغربك » .

ومن ذلك ما ورد عن الامام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء .

« وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد » <sup>(٢)</sup> .

أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بمالم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الأرض ، وحيث أن هذا المعنى كان بعيداً عن افهام الناس لانصراف العقول عن ادراك ذلك ، تلتطف - وهو الامام العالم بأساليب البيان - بالإشارة الى ذلك على وجه بليغ ، فانه عليه السلام لو كان يصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته الى النهار ، وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته الى الليل لاقتصر على الجملة الاولى : « يولج كل واحد منهما في صاحبه » ولما احتاج الى ذكر الجملة الثانية : « ويولج صاحبه فيه » اذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه ، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية

١ . الوسائل ج ١ ص ٢٣٧ باب ١١٦ ان أول وقت المغرب غروب الشمس .

٢ . الصحيفة السجادية الكاملة .

حالية ، ففي هذا دلالة على كروية الأرض ، وان إيلاج الليل في النهار - مثلا - عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولولم تكن مهمة الامام عليه السلام الاشارة الى هذه النكتة العظيمة لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة ، ولكانت تكرارا معنويا للجملة الاولى .

ولقد اقتصرنا في بيان اعجاز القرآن على هذه النواحي ، وفي ذلك كفاية ودلالة على أن القرآن وحي إلهي ، وخارج عن طوق البشر .

وكفى بالقرآن دليلا على كونه وحيا إلهيا أنه المدرسة الوحيدة التي تخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ع - الذي يفتخر بفهم كلماته كل عالم نحري ، وينهل من بحار علمه كل محقق متبحر . وهذه خطبه في كل نهج البلاغة ، فانه حينما يوجه كلامه فيها الى موضوع لا يدع فيه مقالا لقائل ، حتى ليخال من لا معرفة له بسيرته أنه قد قضى عمره في تحقيق ذلك الموضوع والبحث عنه ، فمما لا شك فيه أن هذه المعارف والعلوم متصلة بالوحي ، ومقتبسة من أنواره ، لأن من يعرف تاريخ جزيرة العرب - ولا سيما الحجاز - لا يخطر بباله أن تكون هذه العلوم قد أخذت عن غير منبع الوحي . ولنعم ما قيل في وصف نهج البلاغة : « أنه دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين » .

بل أعود فأقول : إن تصديق علي عليه السلام - وهو على ما عليه من البراعة في البلاغة ، والمعارف وسائر العلوم - لإعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أن القرآن وحي إلهي ، فان تصديقه بذلك لا يجوز أن يكون ناشئا عن الجهل والإغترار ، كيف وهو رب الفصاحة والبلاغة ، واليه تنتهي جميع العلوم الإسلامية ، وهو المثل الأعلى في المعارف ، وقد اعترف بنبوغه وفضله المؤلف والمخالف . وكذلك لا يجوز أن يكون تصديقه هذا تصديقا سوريا ناشئا عن طلب منفعة دنيوية من جاه أو مال ، كيف وهو منار الزهد والتقوى ، وقد أعرض عن الدنيا وزخارفها ، ورفض زعامة المسلمين حين اشترط عليه أن يسير بسيرة الشيخين ، وهو الذي لم يصانع معاوية بأبقائه على ولايته أياما قليلة ، مع علمه بعاقبة الأمر إذا عزله عن الولاية . وإذن فلا بد من أن يكون تصديقه باعجاز القرآن تصديقا حقيقيا ، مطابقا للواقع ، ناشئا عن الإيمان الصادق . وهذا هو الصحيح ، والواقع المطلوب .

### اوهام حول اعجاز القرآن

لقد تحدى القرآن جميع البشر، وطالبهم بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطع أحد أن يقوم بمعارضته، ولما كبر على العاندين أن يستظهر القرآن على خصومه، راموا أن يحطوا من كرامته بأوهام نسجتها الأخيلة حول عظمة القرآن، تأييدا لمذاهبهم الفاسدة. ومن الحسن أن نتعرض لهذه الأوهام التي أتعبوا بها أنفسهم ليتبين مبلغهم من العلم، وأن الأوهام كيف تذهب بهم يمينا وشمالا فترديهم في مهوى سحيق. قالوا:

١- إن في القرآن امورا تنافي البلاغة لأنها تخالف القواعد العربية، ومثل هذا لا يكون معجزا.

وهذا القول باطل من وجهين:

الأول: إن القرآن نزل بين بلغاء العرب وفصحائها، وقد تحداهم الى معارضته، ولو بالإتيان بسورة واحدة، وذكر أن الخلق لا يقدر على ذلك، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فلو كان في القرآن ما يخالف كلام العرب فان هؤلاء البلغاء العارفين بأساليب اللغة ومزاياها لأخذوه حجة عليه، ولعابوه بذلك، واستراحوا به عن معارضته باللسان أو السنان ولو وقع شيء من ذلك لا احتفظ به التاريخ، ولتواتر نقله بين أعداء الإسلام كيف ولم يتقل ذلك ولا بخبر واحد؟.

الثاني: أن القرآن نزل في زمان لم يكن فيه للقواعد العربية عين ولا أثر، وإنما أخذت هذه القواعد - بعد ذلك - من استقراء كلمات العرب البلغاء، وتتبع تراكيبها. والقرآن لو لم يكن وحيا إليها - كما يزعم الخصم - فلا ريب في أنه كلام عربي بليغ، فيكون أحد المصادر للقواعد العربية، ولا يكون القرآن أقل مرتبة من كلام البلغاء الآخرين للمعاصرين لنبي الإسلام ومعنى هذا أن القاعدة العربية المستحدثة إذا خالفت القرآن كان هذا نقضا على تلك القاعدة، لا نقدا على ما استعمله القرآن. على أن هذا لو تم فإنما يتم فيما إذا اتفقت عليه القراءات، فإننا سنثبت - فيما يأتي - أن هذه القراءات المعروفة إنما هي الجتهادات من القراء أنفسهم، وليست متواترة عن النبي ﷺ فلو ورد اعتراض على إحدى القراءات كان ذلك دليلا على بطلان تلك القراءة نفسها، دون أن يمس بعظمة القرآن وكرامته. وقالوا:

٢- إن الكلام البليغ - وإن عجز البشر عن الإتيان بمثله - لا يكون معجزاً، فإن معرفة بلاغته تختص ببعض البشر دون بعض، والمعجز لا بد وأن يعرف إعجازه جميع أفراد البشر، لأن كل فرد منهم مكلف بتصديق نبوة صاحب ذلك المعجز.

الجواب: وهذه شبهة تشبه ما تقدمها في ضعف الحجة، وتفكك القياس. فإن المعجز لا يشترط فيه أن يدرك اعجازه كل البشر، ولو اشترطنا ذلك لم يسلم لنا معجز أصلاً، فإن ادراكه يختص بجماعة خاصة، ويثبت لغيرهم بالنقل المتواتر. وقد ذكرنا امتياز القرآن عن غيره من المعجزات، بأن التواتر قد ينقطع في مرور الزمان. وأما القرآن فهو معجزة باقية أبدية بقاء الأمة العربية، بل بقاء من يعرف خصائص اللغة العربية، وإن لم يكن عربياً. وقالوا: ٣- إن العارف باللغة العربية قادر على أن يأتي بمثل كلمة من كلمات القرآن. وإذا أمكنه ذلك أمكنه أن يأتي بمثل القرآن، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد. الجواب: إن هذه الشبهة لا تليق بالذكر، فإن القدرة على الإتيان بمثل كلمة من كلمات القرآن، بل على الإتيان بمثل جملة من جملاته لا تقتضي القدرة على الإتيان بمثل القرآن، أو بمثل سورة من سورته، فإن القدرة على المادة لا تستلزم القدرة على التركيب. ولهذا لا يصح لنا أن نقول: إن كل فرد من أفراد البشر قادر على بناء القصور الفخمة، والصروح الضخمة، لأنه قادر على وضع آجرة في البناء، أو نقول: إن كل عربي قادر على إنشاء الخطب والقصائد، لأنه قادر على أن يتكلم بكل كلمة من كلماتها ومفرداتها. وكأن هذه الشبهة هي التي دعت «النظام» وأصحابه إلى القول بأن إعجاز القرآن بالصفة.

وهذا القول في غاية الضعف:

أولاً: لأن الصرفة التي يقولون بها، إن كان معناها أن الله قادر على أن يقدر بشراً على أن يأتي بمثل القرآن، ولكنه تعالى صرف هذه القدرة من جميع البشر، ولم يؤتها لأحد منهم فهو معنى صحيح، ولكنه لا يختص بالقرآن، بل هو جار في جميع المعجزات. وإن كان معناها أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله صرفهم عن معارضته فهو واضح البطلان، لأن كثيراً من الناس تصدوا لمعارضة القرآن، فلم يستطيعوا ذلك، واعترفوا بالعجز.

ثانياً: لأنه لو كان إعجاز القرآن بالصرفة لوجد في كلام العرب السابقين مثله قبل أن يتحدث النبي البشر، وبطالهم بالإتيان بمثل القرآن، ولو وجد ذلك لنقل وتواتر، لتكثر الدواعي إلى نقله، وإذ لم يوجد ولم ينقل كشف ذلك عن كون القرآن بنفسه إعجازاً إلهياً، خارجاً عن طاقة البشر. وقالوا:

٤- إن القرآن وإن سلم إعجازه، إلا أنه لا يكشف عن صدق نبوة من جاء به. لأن قصص القرآن تخالف قصص كتب العهدين التي ثبت كونها وحياً إلهياً بالتواتر.

الجواب: إن القرآن بمخالفته لكتب العهدين في قصصها الخرافية قد أزال ريب المرتاب في كونه وحياً إلهياً، لخلوه عن الخرافات والأوهام، وعملاً لا يجوز في حكم العقل نسبته إلى الله تعالى، وإلى أنبيائه، ومخالفة القرآن لكتب العهدين بنفسها دليل على أنه وحى إلهي. وقد أشرنا فيما تقدم إلى ذلك، وإلى جملة من الخرافات الموجودة في كتب العهدين. وقالوا:

٥- إن القرآن مشتمل على المناقضة فلا يكون وحياً إلهياً، وقد زعموا أن المناقضة وقعت في موردين:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذُرْمًا ﴾ (١).

فإنه يناقض قوله تعالى: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (٢).

الجواب: إن لفظ اليوم قد يطلق ويراد منه بياض النهار فقط كما في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ (٣).

وقد يطلق ويراد منه بياض النهار مع ليله كما في قوله تعالى: ﴿ تَمَتَّقُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (٤).

كما أن لفظ الليل قد يطلق ويراد به مدة مغيب الشمس واستتارها تحت الأفق، وعليه جاء قوله تعالى:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ (٥) ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ٧٠ ﴾ (٦).

٢. سورة مريم: الآية ١٠.

٤. سورة هود: الآية ٦٥.

٦. سورة الحاقة: الآية ٧.

١. سورة آل عمران: الآية ٤٦.

٣. سورة الحاقة: الآية ٧.

٥. سورة الليل: الآية ١.



وقد يطلق ويراد منه سواد الليل مع نهاره وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (١).

واستعمال لفظي الليل والنهار في هذين المعنيين كثير جدا، وقد استعملا في الآيتين الكريمتين على المعنى الثاني «مجموع بياض النهار وسواد الليل» فلا مناقضة. وتوهم المناقضة بيتي على أن لفظي الليل والنهار قد استعملا على المعنى الأول. وما ذكرناه بين لا خفاء فيه، ولكن المتوهم كابر الحقيقة ليحط من كرامة القرآن بزعمه هذا. وقد غفل أو تغافل عما في انجيله من التناقض الصريح عند إطلاقه لهاتين الكلمتين!!!.

فقد ذكر في الباب الثاني عشر من انجيل متى: إخبار المسيح أنه يبقى مدفونا في بطن الأرض ثلاثة أيام أو ثلاث ليال. مع أن انجيل متى بنفسه والأنجيل الثلاثة الأخر قد اتفقت على أن المسيح لم يبق في بطن الأرض إلا يسيرا من آخر يوم الجمعة، وليلة السبت ونهاره، وليلة الأحد إلى ما قبل الفجر. فانظر الخريات الأنجيل، ثم قل لكاتب إنجيل متى، ولكل من يعتقد أنه وحي إلهي: أين تكون ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ومن الغريب جدا أن يؤمن علماء الغرب ومفكروه بكتب العهدين، وهي مليئة بالخرافات والمناقضات، وألا يؤمنوا بالقرآن، وهو الكتاب المتكفل بهداية البشر، ويسوقهم إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولكن التعصب داء عضال، وطلاب الحق قليلون كما أشرنا إليه فيما تقدم.

الثاني: إن القرآن قد يسند الفعل إلى العبد واختياره. فيقول: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢).

والآيات بهذا المعنى كثيرة، فيدل على أن العبد مختار في عمله. وقد يسند الاختيار في الأفعال إلى الله تعالى. فيقول: ﴿وَمَا تَشَاؤُنْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٣).

فزعموا أنه يدل على أن العبد مجبور في فعله. وقالوا: هذا تناقض واضح، والتأويل في الآيات خلاف الظاهر، وقول بغير دليل.

٢. سورة الكهف: الآية ٢٩.

١. سورة البقرة: الآية ٥١.

٣. سورة الدهر: الآية ٣٠.

الجواب: إن كل إنسان يدرك بفطرته أنه قادر على جملة من الأفعال، فيمكنه أن يفعلها وأن يتركها، وهذا الحكم فطري لا يشك فيه أحد إلا أن تعثره شبهة من خارج. وقد أطبق العقلاء كافة على ذم فاعل القبيح، ومدح فاعل الحسن، وهذا برهان على أن الإنسان مختار في فعله، غير مجبور عليه عند إصداره. وكل عاقل يرى أن حركته على الأرض عند مشيه عليها تغاير حركته عند سقوطه من شاهق إلى الأرض، فيرى أنه مختار في الحركة الأولى، وأنه مجبور على الحركة الثانية. وكل إنسان عاقل يدرك بفطرته أنه وإن كان مختاراً في بعض الأفعال حين إصدارها وحين يتركها إلا أن أكثر مبادئ ذلك الفعل خارجة عن دائرة اختياره، فإن من جملة مبادئ صدور الفعل نفس وجود الإنسان وحياته، وإدراكه للفعل، وشوقه إليه، وملاءمة ذلك الفعل لقوة من قواه، وقدرته على إيجاده. ومن البين أن هذا النوع من المبادئ خارج عن دائرة اختيار الإنسان، وأن موجد هذه الأشياء في الإنسان هو موجد الإنسان نفسه.

وقد ثبت في محله أن خالق هذه الأشياء في الإنسان لم ينزل عن خلقه بعد الإيجاد، وأن بقاء الأشياء واستمرارها في الوجود محتاج إلى المؤثر في كل آن، وليس مثل خالق الأشياء معها كالبناء يقيم الجدار بصنعه، ثم يستغني الجدار عن بانيه، ويستمر وجوده وإن فنى صانعه، أو كمثل الكتاب يحتاج إليه الكتاب في حدوثه، ثم يستغني عنه في مرحلة بقاءه واستمراره. بل مثل خالق الأشياء معها « ولله المثل الأعلى » كتأثير القوة الكهربائية في الضوء. فإن الضوء لا يوجد إلا حين تمده القوة بتيارها، ولا يزال يفتقر في بقاء وجوده إلى مدد هذه القوة في كل حين، فإذا انفصل سلكه عن مصدر القوة في حين، انعدم الضوء في ذلك الحين كأن لم يكن. وهكذا تستمد الأشياء وجميع الكائنات وجودها من مبدعها الأول في كل وقت من أوقات حدوثها وبقائها، وهي مفتقرة إلى مدده في كل حين، ومتصلة برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء. وعلى ذلك ففعل العبد وسط بين الجبر والتفويض، وله حظ من كل منهما. فإن إعمال قدرته في الفعل أو الترك وإن كان باختياره. إلا أن هذه القدرة وسائر المبادئ حين الفعل تقاض من الله، فالفعل مستند إلى العبد من جهة وإلى الله من جهة أخرى والآيات القرآنية المباركة ناظرة إلى هذا المعنى، وأن اختيار

العبد في فعله لا يمنع من نفوذ قدرة الله وسلطانه .

٦- لو كان الإتيان بكتاب ما معجزاً «لعجز البشر عن الإتيان بمثله» لكان كتاب اقليدس وكتاب المجسطي معجزاً ، وهذا باطل فيكون المقدم باطلاً أيضاً .

أولاً : إن الكتابين المذكورين لا يعجز البشر عن الإتيان بمثلهما ، ولا يصح فيهما هذا التوهم ، كيف وكتب المتأخرين التي وضعت في هذين العلمين أرقى بياناً منهما ، وأيسر تحصيلاً ، وهذه الكتب المتأخرة تفضل عليهما وفي نواح أخرى ، منها وجود اضافات كثيرة لا أثر لها فيهما .

ثانياً : إننا قد ذكرنا للمعجز شروطاً ، ومن هذه الشروط أن يكون الإتيان به في مقام التحدي . والاستشهاد به على صدق دعوى منصب إلهي . ومنها أن يكون خارجاً عن نواميس الطبيعة ، وكلا هذين الشرطين مفقود في الكتابين المذكورين . وقد أوضحنا ذلك أتم إيضاح في أول بحثنا عن الإعجاز . وقالوا :

٧- إن العرب لم تعارض القرآن ، لا لكونه معجزاً يعجز البشر عن الإتيان بمثله . ولكنهم لم يعارضوه لجهات أخرى لا تعود إلى الإعجاز . أما العرب الذين عاصروا الدعوة ، أو تأخروا عنها قليلاً ، فقد كانت سيطرة المسلمين تمنعهم عن التصدي لذلك ، فلم يعارضوا القرآن خوفاً على أنفسهم وأموالهم من هؤلاء المسيطرين ، ولما انقضت سلطة الخلفاء الأربعة وآل الأمر إلى الأمويين الذين لم تقم خلافتهم على محور الدعوة الإسلامية ، صار القرآن مأنوساً لجميع الأذهان بسبب رشاقة ألفاظه ، ومتانة معانيه ، وأصبح من المرتكزات الموروثة خلفاً عن سلف ، فانصرفوا عن معارضته لذلك .  
الجواب :

أولاً : إن التحدي بالقرآن ، وطلب المعارضة بسورة من مثله ، قد كان النبي ﷺ في مكة قبل أن تظهر شوكة الإسلام ، وتقوى سلطة المسلمين ، ومع ذلك لم يستطع أحد من بلغاء العرب أن يقوم بهذه المعارضة .

ثانياً : إن الخوف في زمان الخلفاء ، وسيطرة المسلمين ، لم يمنع الكافر من أن يظهر كفره ، وإنكاره لدين الإسلام . وقد كان أهل الكتاب يعيشون بين المسلمين في جزيرة

العرب وغيرها بأهناً عيش وأكرم نعمة ، وكان لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم . ولا سيما في عصر خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي اعترف بعدله ووفور علمه المسلمون وغيرهم فلو كان أحد هؤلاء الكتابيين ، أو غيرهم قادراً على الإتيان بمثل القرآن ، لأظهره في مقام الاحتجاج .

ثالثاً: إن الخوف لو سلم وجوده فهو إنما يمنع عن إظهار المعارضة والمجاهرة بها ، فما الذي منع الكتابيين ، أو غيرهم من معارضته سرّاً في بيوتهم ومجامعهم ؟ ولو ثبتت هذه المعارضة لتحفظ بها الكتابيون ليظهروها بعد الزوال الخوف عنهم ، كما تحفظوا على قصص العهدين الخرافية ، وسائر ما يرتبط بدينهم .

رابعاً: إن الكلام - وإن ارتفع مقامه من حيث البلاغة - إلا أن المعهود من الطبع البشرية أنه إذا كرر على الأسماع هبط عن مقامه الأول ولذلك نرى أن القصيدة البليغة إذا أعيدت على الإنسان مراراً ملها ، واشمأزت نفسه منها ، فإذا سمع قصيدة أخرى فقد يترأى له في أول نظرة أنها أبلغ من القصيدة الأولى ، فإذا كررت الثانية أيضاً ظهر الفرق الحقيقي بين القصيدتين . وهذا جار في جميع ما يلتذ به الإنسان . ويدرك حسنه من مأكول ، وملبوس ومسموع وغيرها . والقرآن لو لم يكن معجزاً لكان اللازم أن يجري على هذا المقياس ، وينحط في نفوس السامعين عن مقامه الأول ، مهما طال به الزمان وطراً عليه التكرار ، وبذلك تسهل معارضته ولكننا نرى القرآن على كثرة تكراره وترديده ، لا يزداد إلا حسناً وبهجة ولا يثمر إلا عرفاناً و يقيناً ، ولا ينتج إلا إيماناً وتصديقاً ، فهو في هذه المزية على عكس الكلام المألوف . وإذن فهذا الوجه يؤكد إعجازه لا أنه ينافيه كما يتوهمه هذا الخصم .

خامساً: إن التكرار لو فرض أنه يوجب انس النفوس به ، وانصرافها عن معارضته ، فهو إنما يتم عند المسلمين الذين يصدقون به ، ويستمعون اليه برغبة واشتياق كلما تكررت تلاوته ، فلماذا لا يعارضه غير المسلمين من العرب الفصحاء ؟ لتقع هذه المعارضة موقع القبول ولو من غير المسلمين . وقالوا :

٨- ذكر التاريخ أن أبا بكر لما أراد جمع القرآن ، أمر عمر وزيد ابن ثابت أن يقعدا على

باب المسجد، وأن يكتبها ما شهد شاهدان على أنه من كتاب الله، وفي هذا شهادة على أن القرآن ليس خارقاً للعادة، لأنه لو كان خارقاً للعادة بنفسه لم يحتاج إلى الشهادة عليه، ولكان بنفسه شاهداً على نفسه.

أولاً: إن القرآن معجزة في بلاغته واسلوبه، لا في كل كلمة من كلماته، واذن فقد يقع الشك في تحريف بعض الكلمات المفردة، أو في زيادتها ونقصانها. وشهادة الشاهدين - إذا صحت أخبارها - إنما هي لرفع هذه الاحتمالات التي تعرض من سهو القارىء أو من عمده، على أن عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثل القرآن لا ينافي قدرتهم على الإتيان بآية، أو ما يشبه الآية، فان ذلك أمر ممكن، ولم يدع المسلمون استحالة ذلك، ولم يذكره القرآن عند التحدي بالمعارضة.

ثانياً: إن هذه الأخبار التي دلت على جمع القرآن في عهد أبي بكر بشهادة شاهدين من الصحابة كلها أخبار آحاد، لا تصلح أن تكون دليلاً في أمثال ذلك.

ثالثاً: إنها معارضة بأخبار كثيرة دلت على أن القرآن قد جمع في عهد النبي ﷺ وكان كثير من الصحابة يحفظ جميع القرآن. وأما الحافظون منهم لبعض سورته وأجزائه فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى. على أن النظرة العقلية البسيطة تشهد بكذب تلك الأخبار التي استدلت بها الخصم. فان القرآن هو السبب الأعظم في هداية المسلمين، وفي خروجهم من ظلمات الشقاء والجهل إلى نور السعادة والعلم، وقد بلغ المسلمون في العناية بالقرآن الدرجة القصوى، فقد كانوا يتلون آياته أثناء الليل وأطراف النهار، وكانوا يتفاخرون في حفظه واتقانه، ويتبركون بسورته وآياته، والنبي يحثهم على ذلك. فهل يحتمل عاقل بعد هذا كله أن يقع الشك فيه عندهم حتى يحتاج اثباته إلى شاهدين؟ وستثبت - إن شاء الله تعالى - فيما يأتي ان القرآن كان مجموعاً في عهد النبي ﷺ. وقالوا:

٩- إن للقرآن اسلوباً يباين أساليب البلغاء المعروفة، فقد خلط بين المواضيع المتعددة، فبينما هو يتكلم في التاريخ إذا به ينتقل إلى الوعد والوعيد، إلى الحكم والأمثال، إلى جهات أخرى. ولو كان القرآن موبياً يجمع في كل موضوع ما يتصل به من الآيات، لكانت فائدته

أعظم، وكانت الاستفادة منه أسهل .

الجواب :

إن القرآن انزل لهداية البشر، وسوقهم الى سعادتهم في الاولى والأخرى، وليس هو بكتاب تاريخ، أو فقه . أو أخلاق . أو ما يشبه ذلك ليعقد لكل من هذه الجهات باباً مستقلاً . ولا ريب في أن أسلوبه هذا أقرب الأساليب الى حصول النتيجة المقصودة ، فان القارىء لبعض سور القرآن يمكنه أن يحيط بكثير من أغراضه، وأهدافه في أقرب وقت وأقل كلفة، فيتوجه نظره الى المبدأ والمعاد، ويطلع على أحوال الماضيين فيعتبر بهم . ويستفيد من الأخلاق الفاضلة . والمعارف العالية، ويتعلم جانباً من أحكامه في عباداته ومعاملاته . كل ذلك مع حفظ نظام الكلام، وتوفية حقوق البيان، ورعاية مقتضى الحال . وهذه الفوائد لا يمكن حصولها من القرآن إذا كان مبوباً، لأن القارىء لا يحيط بأغراض القرآن إلا حين يتم تلاوة القرآن جميعه، وقد يعوقه عائق عن الإتمام فلا يستفيد إلا من باب أو بايين .

ولعمري أن هذه إحدى الجهات المحسنة لاسلوب القرآن، الذي حاز به الجمال والبهاء، فانه مع انتقاله من موضوع الى موضوع يتحفظ على كمال الربط بينهما؛ كأن كل جملة منه درة في عقد منتظم، ولكن بغض الإسلام أعمى بصر هذا المستشكل وأصم سمعه، حتى توهم الجمال قبحاً، والمحاسن مساوئ، على أن القرآن قد كرر بعض القصص مراراً بعبارات مختلفة، حسب المناسبات المقتضية للتكرار، فلو جمعت تلك العبارات كلها في باب واحد لانتفت تلك الفائدة الملحوظة، وكان التكرار لغير فائدة ملموسة للقارىء .

سخافات وخرافات

ذكر كاتب رسالة « حسن الايجاز »<sup>(١)</sup> في رسالته هذه أنه يمكن معارضة القرآن بمثله، وذكر جملاً اقتبسها من نفس القرآن، وحوار بعض الفاظها وزعم أنه يعارض بها القرآن، فأظهر مبلغه من العلم، ومقدار معرفته بفنون البلاغة . وهنا نذكر للقارىء تلك العبارات، ونوضح له وجوه الفساد في هذه المعارضة الوهمية . وقد تعرضنا لها في كتابنا « نفحات

١ . كتيب صدر من المطبعة الانكليزية الامريكانية بهولاق مصر سنة ١٩١٢ .

الإعجاز»<sup>(١)</sup>.

ذكر هذا المتوهم في معارضة سورة الفاتحة قوله: «الحمد للرحمن، رب الأكوان، الملك الديان، لك العبادة، وبك المستعان، إهدنا صراط الإيمان» وتخيّل أن قوله هذا وافٍ بجميع معاني سورة الفاتحة، مع أنه أخصر منها. ولست أدري ماذا أقول لكاتب هذه الجمل، وهو بهذا المقدار من التمييز بين غث الكلام وسمينه؟! وليته عرض قوله هذا على علماء النصارى العارفين منهم بأساليب الكلام، وفنون البلاغة قبل أن يفضح نفسه بهذه الدعوى، أو لم يشعر بأن المؤلف في معارضة الكلام بمثله، أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلام يتحد مع الكلام المعارض في جهة من الجهات، أو غرض من الأغراض، ولكنه يأتي بكلام مستقل في الفاظه وتركيبه واسلوبه؟ وليس معنى المعارضة أن يقلد الكلام المعارض في تركيبه واسلوبه، ويتصرف فيه بتبديل بعض الفاظه ببعض، وإلا لا مكنت معارضة كل كلام بهذا النحو من المعارضة. وقد كان هذا أيسر شيء لمعاصري النبي ﷺ من العرب، ولكنهم لمعرفتهم بمعنى المعارضة الصحيحة، ومعرفتهم بوجوه البلاغة في القرآن لم تمكنهم المعارضة، واعترفوا بالعجز فأمن به من آمن منهم.

وجحد به من جحد:

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَوُ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>.

على أنه كيف تصح المقايسة بين جملة هذه التي أتعب بها نفسه، وبين فاتحة الكتاب حتى يتوهم أنها وافية بمعناها؟ أو لم يكف هذا الكاتب جهله بفنون البلاغة حتى دل الناس على عيوبه بالجهر بها؟! وكيف تصح المقايسة بين قوله «الحمد للرحمن» مع قوله الله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد فوت بجملته هذه المعنى المقصود من قول الله تعالى. فان كلمة «الله» علم للذات

١. كتبه رداً «حسن الإعجاز» طبع في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٢.

٢. سورة المدثر: الآية ٢٤. ٣. سورة الحمد: الآية ١.

المقدسة الجامعة لجميع صفات الكمال، ومن صفات الكمال الرحمة التي أشار إليها في البسمة، فذكر «الرحمن» يوجب فوت الدلالة على بقية جهات الكمال المجتمعة في الذات المقدسة، والتي يستوجب بها الحمد من غير ناحية الرحمة. وكذلك استبدال قوله: «رب الأكوان» بقوله تعالى:

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾<sup>(١)</sup>

فان فيه تفويهاً لمعنى هاتين الأيتين، فان فيهما دلالة على تعدد العوالم الطولية والعرضية، وأنه تعالى مالك لجميعها ومربيها، وأن رحمته تشمل جميع هذه العوالم على نحو مستمر غير منقطع، كما يدل عليه ذكر لفظ «الرحيم» بعد لفظ «الرحمن». وسنوضح ذلك في تفسير البسمة.

وأين من هذه المعاني قول هذا القائل: «رب الأكوان؟» فان الكون معناه الحدوث والوقوع والصيرورة والكفالة<sup>(٢)</sup> وهو بجميع هذه المعاني معنى مصدري لا يصح إضافة كلمة الرب اليه وهي بمعنى المالك المربي. نعم يصح إضافة كلمة الخالق إليه. فيقال: خالق الأكوان. على أن لفظ الأكوان لا يدل على تعدد عوالم الموجودات الذي يدل عليه لفظ العالمين، ولا على سائر الجهات التي تدل عليها الآية الكريمة. وكذلك استبداله جملة «الملك الديان» بقول الله تعالى:

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾<sup>(٣)</sup>

مع أن جملته تلك لا تدل على وجود عالم آخر لجزاء الأعمال، وأن الله تعالى هو مالك ذلك اليوم، وليس فيه لأحد تصرف ولا اختيار، وأن الناس كلهم في ذلك اليوم تحت حكم الله تعالى ينفذ فيهم أمره، فبعضهم الى الجنة وبعضهم الى النار. وغاية ما تدل عليه جملته تلك أن الله ملك يجازي بالأعمال، وأين هذا من معنى الآية الكريمة؟! أما قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٤)</sup>

٢. راجع لسان العرب .  
٤. سورة الحمد: الآية ٥ .

١. سورة الحمد: الآية ٢ .  
٣. سورة الحمد: الآية ٣ .



فقد فهم هذا الكاتب من معناه ان العبادة لا بد من أن تكون لله ، وأن الاستعانة لا تكون إلا به تعالى ، فأبدلها بقوله : «لك العبادة ، وبك المستعان» وقد فاته المقصود بالآية تلقين المؤمن أن يظهر توحيده في العبادة ، وحاجته وافتقاره الى إعانة الله عز وجل في عباداته وسائر أعماله ، وأن يعترف بأنه وجميع المؤمنين لا يعبدون غير الله ، ولا يستعينون بأحد سوى الله ، بل يعبدونه وحده ويستعينون به . وأين هذا من عبارة هذا الكاتب على أنها ليست أخصر من الآية المباركة ؟!! وقوله تعالى :

﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ <sup>(١)</sup>

أراد به طلب الهداية الى أقرب طريق يوصل سالكه الى مقاصده ، من أعماله وملكاته وعقائده ، ولم يحصره بطريق الإيمان فقط ، وهذا لا يفني به قول الكاتب : «اهدنا صراط الإيمان» على أن معنى هذه الجملة طلب الهداية الى طريق الإيمان ، ولا دلالة فيها على أن ذلك الطريق مستقيم لا يضل سالكه .

وقد استغنى الكاتب بجملته هذه عن بقية السورة المباركة ، وزعم أن هذه البقية غير محتاج إليها ، وهذا يدل على قصوره عن فهم معناها .  
فان قوله تعالى :

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

فيه دلالة على وجود طريق مستقيم سلكه الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ووجود طرق أخرى غير مستقيمة سلكها المغضوب عليهم ، من المعاندين للحق ، والمنكرين له بعد وضوحه ، والضالون الذين ضلوا طريق الهدى بجهلهم ، وتقصيرهم في الفحص عنه ، وفي اقتناعهم بما ورثوه من آثار آبائهم ، فاتبعوهم تقليداً على غير هدى من الله ولا برهان . والقارىء المتدبر لهذه الآية الكريمة يتذكر ذلك فيحضر في ذهنه لزوم التأسى بأولياء الله المقربين في أعمالهم ، وأخلاقهم وعقائدهم ، والتجنب عن مسالك هؤلاء المتمردين الذين غضب الله عليهم بما فعلوا ، والذين ضلوا طريق الحق بعد اتضاحه ، وهل يعد هذا المعنى من الامور التي لا يهتم بها

٢. سورة الحمد: الآية ٧.

١. سورة الحمد: الآية ٦.

كما يتوهمه هذا الكاتب ؟ !! .

وذكر في معارضة سورة الكوثر : قوله : « إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تعتمد قول ساحر » انظر كيف يقلد القرآن في نظمه وتركيبه ، ويغير بعض الفاظه ، ويوهم الناس انه يعارض القرآن ثم انظر كيف يسرق قوله هذا من مسيلمة الكذاب الذي يقول : « إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وهاجر ، وإن مبغضك رجل كافر » . ومن الغريب أنه توهم أن المشابهة في السجع بين الكلامين تقتضي مشاركتهما في البلاغة ، ولم يلتفت إلى أن إعطاء الجواهر لا ترتب عليه اقامة الصلاة والمجاهرة بها . وأن الله على عبده نعماً عظيمة هي أشرف وأعظم من نعمة المال ، كنعمة الحياة والعقل والإيمان ، فكيف يكون السبب الموجب للصلاة لله هو إعطاء المال دون تلك النعم العظيمة ؟ ! ولكن الذي يستأجر بالمال للتبشير يكون المال قبلته التي يصلي اليها ، وهدفه الذي يسعى إلى تحصيله ، وغايته التي يقدمها على كل غاية « وكل بناء بالذي فيه ينضح » .

ولسائل ان يسأل هذا الكاتب عن معنى كلمة « الجواهر » التي جاء بها معرفة بالألف واللام ، فان أراد بها جواهر معينة فليست في اللفظ قرينة تعين هذه الجواهر المقصودة ، وإن أراد بها جميع الجواهر الموجودة في العالم من حيث أن الجمع المعرف بالألف واللام يدل على الاستغراق فهو كذب صريح . وما هو وجه المناسبة بين الجملتين السابقتين وبين قوله : « ولا تعتمد قول ساحر » . وما هو المراد من لفظ ساحر ، ومن قوله الذي لا يعتمد عليه ؟ فان أراد به ساحراً معيناً ، وقولاً مخصوصاً من أقواله ، كان عليه أن ينصب قرينة على هذا التعمين . وليس في جملة هذه ما يصلح للدلالة عليه ، وإن أراد به كل قول لكل ساحر لأنهما تكرتان في سياق النهي لزم اللغو في هذا الكلام ، لأنه لا يوجد سبب معقول لعدم الاعتماد على قول كل ساحر ، ولو كان هذا القول في الأمور الإعتيادية مع الإطمينان بقوله . وان أراد أن لا يعتمد قول الساحر بما هو ساحر فهو غلط ، لأن الساحر من حيث هو ساحر لا قول له ، وإنما يسحر الناس ويفسد عليهم حالهم بحيله وأعماله .

وأما سورة الكوثر فقد نزلت في من شنأ رسول الله ﷺ فقال : إنه أبتى وسيموت وينقطع دينه واسمه ، وقد أشار إلى ذلك بقوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ الْمُتُونِ ﴾ (١)

فأنزل الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٢)

وهو الخير الكثير من جميع الجهات. أما في الدنيا فشرف الرسالة، وهداية الخلق وزعامة المسلمين، وكثرة الأنصار، والنصر على الأعداء وكثرة الذرية - من بضعته الصديقة الطاهرة - التي توجب بقاء اسمه ما دامت الدنيا باقية. وأما في الآخرة فالشفاعة الكبرى، والجنان العالية، والحوض الذي لا يشرب منه إلا هو وأوليائه إلى ما سوى ذلك من نعم الله عليه،

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ (٣)

شكراً له على هذه النعم، والمراد بالنحر: النحر بمعنى، أو نحر الأضحية في الأضحية، أو رفع اليدين إلى النحر في تكبيرة الصلاة، أو استقبال القبلة بالنحر، والإعتدال في القيام، وجميع ذلك يناسب المقام لأنه نحو من شكر لتلك النعم. وقد أنزل الله سبحانه:

﴿ إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَيْتَرُ ﴾ (٤)

فلا يبقى اسم ولا رسم، فكانت العاقبة لهؤلاء الشائنين ما أخبر الله عنهم، فلم يبق لهم اسم ولا ذكر خير في الدنيا زيادة على جزائهم في الآخرة من العذاب الأليم، والخزي الدائم. وهل تقاس هذه السورة المباركة في معانيها السامية، وبلاغتها الكاملة بتلك الجملة الساقطة التي أجهد هذا الكاتب بها نفسه فقلد القرآن في نحو تركيبه، وأخذ من مسيلمة الكذاب الفاظها واسلوبها، وأتى بها كما شاء له العناد، بل كما شاء له الجهل الفاحش ليعارض بها عظمة القرآن في بلاغته وإعجازه؟! (٥)

قال الخفاجي في إعجاز القرآن في حكم الذوق الأدبي:

ونحن لن نتناول الإعجاز من شتى جوانبه ونواحيه، وإنما نوجز لك القول بإيجازاً، ونترك لذوقك ونفسك، حتى تعرف أسرار الأعجاز، وتقف على خصائصه.

٢. سورة الكوثر: الآية ١.

٤. سورة الكوثر: الآية ٣.

١. سورة الطور: الآية ٣٠.

٢. سورة الكوثر: الآية ٢.

٥. البيان ج ١ ص ٥٦ - ١١٤.

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماة البلاغة للآية الكريمة: ﴿ رب إنسى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ﴾<sup>(١)</sup>، أو شرحهم للآية الحكيمية: ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المنفرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء ألقى ، وغيض الماء وقضى الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل بمددا للقوم الظالمين ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾<sup>(٣)</sup> وقول أكنم بن صيفى : القتل أنفى للقتل ، ولعلك قرأت ما كتبه الزمخشري فى بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمية أو ما كتبه فى قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾<sup>(٥)</sup>، أو ما دونه علماء البلاغة فى بلاغة الآية الكريمة: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾<sup>(٦)</sup>

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال فى فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه ، وهو من جهة أخرى وسيلة لتربية ذوقك وملكتك فى النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها ، فنطالباها بالفهم والنقد والحكم فى قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها ويهزها البيان الجيد والفصاحة والرائعة ، وفيها مقالو البلاغة ومصانع الخطباء وأعلام الشعراء ، لا نرى لأحد عليها فخرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام إلا لها ، وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة ، فدعا أقصاها وأدناها إلى

٢. سورة هود: الآية ٤١ - ٤٤ .

٤. سورة الزمر: الآية ٦٧ .

٦. سورة الاحراف: الآية ١٩٩ .

١. سورة مريم: الآية ٤ .

٣. سورة البقرة: الآية ١٧٩ .

٥. سورة الزمر: الآية ٦٩ .

توحيد الله وتصديق رسالته، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات سيرة، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا، وظهر منه ما كان خفيا، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوا مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه أحد يتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض، فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراءه وأصحابه وخطباء أمته، والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار والموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟

وبعد فأى أثر أدبي أعجبك: «كفنانك من ذكرى حبيب ومنزل» لا مرى القيس،  
وكرمثة ابن الرومي لولده:

فجودا فقد أودى نظير كما عندي

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى

وكوصف البحتري لإيوان كسرى:

وترفعت عن جدا كل جيس<sup>(١)</sup>

صنت نفسى عما يدنس نفسى

كمرثة المعري للفقير الحنفي:

نوح باك ولا ترنم شاد

غير مجد في ملتي واعتقادى

وكقصيدة ابن زيدون:

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

أضحى الثنائى بديلا من تدانينا

وكقصيدة المتنبي في سيف الدولة:

سروا بجياد مالهن قوائم

أنوك يجرون الحديد كأنما

وقفت وما في الموت شك لواقف  
 كنك في جفن الردى وهو نائم  
 تمر بك الأبطال كلمى هزيمة  
 ووجهك وضاح وشرك باسم  
 أو قصيدته في كافور:

عيد بأية حال عدت يا عيد  
 بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟  
 أو قصيدة أبى تمام في المعتصم وفتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب  
 في حده الحد بين الجد واللعب  
 أليس سر هذا الإعجاب هو خصائص هذه الآثار البيانية والأدبية . وأليس مرجعه إلى  
 صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم وإحكام البيان؟

فإذا ما وقفت أمام نهج البلاغة للإمام على بن أبى طالب ، أو كليله ودمنة لان المقفع . أو  
 أمام البؤساء ترجمة حافظ إبراهيم ، أو حيال « ماجدولين » للمفلوطى ، أو « مجنون ليلى »  
 لشوقى ، أو « الأيام » لطف حسين ، أو « على هامش السيرة » له ، أو « عبقرية عمر » للعقاد .  
 فأعجبك وراعتك ، وسحرك ، ما تجد في هذه الآثار الأدبية الكاملة من حدق وبراعة ولطف  
 حيلة وبلاغة تصوير ، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذه الآثار الأدبية وشخصية  
 مؤلفه الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب ، واكتمال فنه الأدبى ، في أثره المعجب؟  
 وألست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص؟ .

فإذا ما ترقى بك ذوقك في الحكم الأدبى ، فقلت : أنا لا أستجيد من الآثار الأدبية إلا  
 الآثار الخالدة على مر الأيام ، والتي تقرأها وتعيد قراءتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة  
 معجبة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقرية صاحبه ، وتجد هذا الأثر الأدبى أمام  
 ذوقك وطبعك غضا ناضرا باهرا كأنما كتبه صاحبه لساعتك التى أنت فيها ، وتجد ما فيه  
 من حديث عن النفس الإنسانية ، وعن الحياة وعبرها وعظاتها وأحداثها ، وعن البشر  
 وأخلاقهم ومطامحهم وألوان تفكيرهم في الحياة ، وعن الأهداف المثلى للإنسانية كافة  
 والمبادئ الشريفة التى يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد .

تجد ما فيه من ذلك كله جديدا كأنه كتب لهذا العصر ، إذ يصف الحياة التى يحياها  
 الناس وتحياها أنت معهم .. فقل لى بربك : هل تجد أثرا ترفعه في نفسك إلى هذه المنزلة ،

وتراه مستوفيا لهذه الخصائص ، وتطمئن نفسك حين تقول : هذا هو ضالتي المنشودة وطلبتى المأمولة وبغيتى المرتجاة ، وهل تجد أثرا سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعيب والمؤاخذة وسقطات الطبع والأسلوب والنظم والفكرة ، وهل تجد له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجدته ونبل دعوته وأهدافه وجلال غايته ورسالته ، وبعد مرماه وعمق منزعه ، وأنه يتناول الإنسانية كافة والعصور قاطبة ، ويصلح لكل مكان وزمان ، ولا يبلى مهما توالى الأيام والعصور .

إى وربى إن هذا لهو الغاية البعيدة والأمل المحال ، والسر الدفين في ضمير . الأيام ، والكنز المخبوء في جوف صحراء عرضها الأرض والسماء .

ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا في كتاب واحد وأثر أدبى خالده ، وفي هذا البيان ذى المجد الطريف والتالذ ، إى وربى إنك لن تجده إلا في القرآن الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالده ، وفي هذا البيان الكامل والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البيّنات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ؟ أو هل ترى نظما أحسن تأليفاً وأشد تشاكلا وروعة من نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب في نظمها ونثرها ؟ أو هل تجد هذه الروعة التى تجدها له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجدة التى تراها له على مر الأيام وتوالى العصور ؟ .

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم . ثم حاولت الموازنة بينه كله أو بعضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من الآثار الأدبية فلم نجد مجالا للموازنة ولا موضعا للمشابهة لبعده ما بين الأثرين كبعده ما بين السماء والأرض . فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق بصدق إعجازه وعظمة بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابو : أين أنت وأداب اللغات وأين أنت وما فيها من آثار أدبية خالدة؟ فلشكسبير وجوته وهو جو ولغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير من الآثار الخالدات . بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ؟ وأين أنت من « مزار داود » وحده ؟ أفلا يشبه

أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم في مكانته وبلاغته وإعجازه .  
 وأنا أقول لك أيها القارىء الكريم : لعلك قد قرأت بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الأعلام  
 الخالدين في الأدب . ألسنت تجد شكسبير مثلاً في أية قصة من قصصه وفي جميع آثاره  
 مترجماً عن عواطف النفس الإنسانية معبراً عن آمالها وآلامها مجيداً الحديث عنها ؟ ولكن  
 هل تجد له هذا السمو والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ، ودقة  
 التحليل للعواطف والمشاعر والنفوس الإنسانية كافة ؟ وهل تجد له هذا التوجيه الجديد  
 للبشرية جميعاً ، وهذا الدعم القوي لمبادئ العدالة والحق والحرية والإخاء والمساواة  
 في الحياة . كلا وربك ، ولن تجد لأعظم من شكسبير شيئاً من ذلك قليلاً أو كثيراً . فضلاً  
 عن خصائص الفن الأدبي الرائع الكامل التي لن تجد ما يشبهها في غير القرآن الكريم .  
 وهاك أروع ما في الكتب السماوية المقدسة بياناً ، وهو مزامير داود . خذ أية قطعة منها  
 وليكن « المزمور الأول » وهو بنصه كما في الكتاب المقدس : « طوبى للرجل الذي لم  
 يسلك في مشورة الأشرار ، وفي طريق الخطاة لم يقف ، وفي مجلس المستهزئين لم  
 يجلس ، ولكن في ناموس الرب مشورته ، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً ، فيكون كشجرة  
 مغروسة عند مجارى المياه ، التي تعطى ثمرها في أوانه ، وورقها لا يبذل ، وكل ما يصنعه  
 ينجح .

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعصاة التي تذرهبها<sup>(١)</sup> الريح ، لذلك لا يقوم الأشرار في  
 الدين ، ولا الخطاة في جماعة الأبرار ، لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار  
 فتهلك » .

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ، ومع علمنا بأنه مترجم ، نعود بك إلى ناحية  
 أخرى في الموازنة ، وهى أنه شتان ما بين هذه الروح والقرآن الكريم ، ومن المحال  
 الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب  
 العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ﴾<sup>(٢)</sup> ، أو مثل قوله تعالى :

١. هذا خطأ والصواب : تذرهبها .

٢. سورة الانعام: الآية ١٦٣ .



﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾<sup>(١)</sup> ، أو مثل قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ﴾<sup>(٢)</sup> ... إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم .

وبعد فإن القرآن كله معجز . وهو نمط فريد رائع ، ومستوى رفيع شريف ، من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر ، والأخذ بمجامع القلوب ومشاعر النفوس ، فكله منهج واحد في النظم ، ودرجة واحدة في الفصاحة ، « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً نقول لك : إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثراً أدبياً ما ، تكشف عن كل ما يتصل بهذا الأثر من عوامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، توازن بينه وبين ما يشبهه من الآثار ، وتبين خصائص فنه الأدبي وما يوجه إليه من أهداف ، وما يدعو إليه من آراء وأفكار ، ثم تضعه بعد ذلك في منزلته الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الإنساني ... ولبحث قضية الإعجاز يكون عليك :

١ - أن تبحث عن البيئة الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وأن تدحض أنه كلام بشري ، وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة .

٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلاً كاملاً ، وتوازن بينه وبين شتى الآثار الأدبية الخالدة . وبعد هذه الدراسة تفهم أسرار إعجازه .

#### آراء في الإعجاز

عنى العلماء من قديم بالتأليف في إعجاز القرآن الكريم ، ومن أشهر هذه المؤلفات :

- ١ - إعجاز القرآن لأبى عبيدة المتوفى عام ٢٠٧ هـ ، ولعل الذى دعاه إلى تأليفه هو الرد على بعض المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن فصاحة القرآن الكريم غير معجزة بنفسها .
- ٢ - نظم القرآن لإمام العربية الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ . وقد كشف فيه الجاحظ عن

١ . سورة الأسراء : الآية ٢٧ .

٢ . سورة المؤمنون : الآية ١ - ٥ .

٣ . وذهب بعض علماء البلاغة إلى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الإعجاز . راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الإقتان للسيوطى ص ٢١٠ ج ٢ .

أسرار إعجاز القرآن الكريم بأسلوبه البليغ، وبيانه الفصيح المأثور.

٣- إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه لأبي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى عام ٣٠٦هـ، وقد شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحا كبيرا سماه المعتضد، وشرحا آخر أصغر منه.

٤- نظم القرآن لابن الإخشيد، وكذلك لابن أبي داود م ٣١٦هـ.

٥- كتاب إعجاز القرآن للرماني ٣٨٣هـ، وكذلك للامام الخطابي م ٣٨٨هـ، وكذلك للامام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي م ٤٠٣هـ.

٦- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني م ٤٧١هـ.

٧- كما ألف في الإعجاز فخر الدين الرازي م ٦٠٦هـ، وابن أبي الإصبع م ٦٥٣هـ، والزملكاني م ٧٢٧هـ. والرافعي المتوفى عام ١٩٣٧.

ولقد كان الجعد بن درهم في عصر بني أمية يقول: إن فصاحة القرآن الكريم غير معجزة، وجاء بعده أبو اسحاق ابراهيم النظام المعتزلي المشهور، فذهب إلى أن سبب الإعجاز هو الصرفة، ومعنى هذا أن القرآن لا يرتفع من الناحية البيانية عن طاقة البشر وقدرتهم، لولا صرف الله لهم أن يأتوا بمثله، ويروى عنه رأى آخر، وهو أن الإعجاز إنما كان من حيث إخبار القرآن الكريم بأنباء الغيب الماضية والمستقبلية.

ولكن الجاحظ يثبت الإعجاز للقرآن الكريم، ويرجعه إلى بلاغته الساحرة. وخصائصه البيانية الرائعة، ونظمه العجيب وفصاحته الباهرة، فالقرآن في الذروة من البلاغة، وفي القمة من الإعجاز، وقد تحدوا به فلم يقدرُوا، وسجل عليهم العجز عن معارضته، واعترف أساطين البلاغة منهم ببلاغته، حتى قال الوليد ابن المغيرة بعد أن سمع القرآن من الرسول: «والله ما يشبه الذي نقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه».

وعلى نهج الجاحظ سار عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز، الذي دافع عن

إعجاز القرآن الكريم، ورجعه إلى خصائص النظم العربي ودقائقة، وما «تجدد»<sup>(١)</sup> بالقرآن من عظيم المزية، وباهر الفضل العجيب من الوصف، حتى أعجز الخلق قاطبة، وحتى لم يحر لسان، ولم بين بيان، ولم يساعد إمكان، وكما يقول عبدالقاهر أيضا: «أعجزتهم»<sup>(٢)</sup> مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظه ومواقعها، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية. فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور».

أما القاضي الباقلاني فقد أحصى جملة وجوه إعجاز القرآن في ثلاثة: ما في القرآن من الإخبار عن الغيب مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه. وما فيه من أخبار الأمم القديمة. مع أمية الرسول الكريم وعجيب تأليفه. وتناهيه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.. وقد شرح الباقلاني وجوه الإعجاز في نظم القرآن الكريم، وتحدث عن التحدي والإعجاز وكل ما يتصل بهذا الباب، في كتابه المشهور، «إعجاز القرآن الكريم»، الذي قال فيه ابن العربي: إنه لم يصنف كتاب مثله.

وتحدث القاضي عياض في كتابه «الشفاء» عن إعجاز القرآن الكريم، ورجعه إلى وجوه أربعة: أولها: حسن تأليفه والتأم كلمه، وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة، وثانيها: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها. وثالثها: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، ورابعها: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة<sup>(٣)</sup>.

ومن العلماء من يذكر من وجوه الإعجاز: جدة القرآن على التلاوة، وجمعه لعلوم ومعارف لم يحط بها أحد من علماء الأمم، وما حواه من أخبار الأولى والآخرة، ومشاكله بعض أجزائه بعضا، وحسن ائتلاف أنواعها والتأم أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره..

١. المدخل إلى دلائل الإعجاز من الطبعة الثانية ص ٦.

٢. الشفاء طبعة ١٣١٢، ص ٢١٧.

٣. دلائل الإعجاز ص ٢٢.

ومنهم من يرجع الإعجاز إلى خلو القرآن الكريم من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة، ومنهم من يقول: إن وجه الإعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة، والبدايع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم: في كل سورة، وفي مبادئ الآيات وفواصلها. وقد عرض السيوطي في كتابه «الإتقان» لإعجاز القرآن الكريم، وذكر بعضاً من آراء العلماء فيه<sup>(١)</sup>. ورجع الإمام الرازي الإعجاز إلى: الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب. ورجعه الإمام الزمكاني إلى تأليفه الخاص به. وقال ابن حازم في «منهاج البلاغة»: «وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وقال الإمام الخطابي: ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن وجه الإعجاز في القرآن من جهة البلاغة، لكن صعب عليهم تفصيلها، وصغوا فيه إلى حكم الذوق، ثم قال: حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه، والترقى إلى أعلى درجاته.

إلى ما سوى ذلك من الآراء في إعجاز القرآن الكريم، والتي تشعبت كلها ثم تلاقت في موجه، في بحر لجي زاخر، هو دون القرآن الكريم في روعته وجلاله، ودون إعجازه العظيم في سره وسحره وعظمته. ولقد مضى القدماء في بحثهم عن الإعجاز، ثم لم يستطيعوا الوصول إلى غايت الإعجاز، وأعاد المحذوثون الكلام فيه. وإن كانوا لم يرجعوا بطائل: فبعض جعل وجوه الإعجاز في ما يشتمل عليه القرآن من قوة روحية خارقة ومن أحداث التاريخ المجهولة، ومن الأسلوب المنطقي والأسلوب العلمي. وآخرون يرددون الآراء القديمة: شارحين أو ناقدين.

وهذا كله على أي حال صور من ثقافات العلماء، وعقلياتهم، وملكاتهم، ونزعاتهم في فهم أسرار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه. ونحن نعود بالقارىء إلى فطرته الأدبية وحدها. فنطالبها بالفهم والنقد والحكم في قضية الإعجاز:

١. الإتقان طبعة ج ٢ ص ١١٨ القاهرة ١٩٣٥، وما بعدها.

فقد نزل على محمد صلوات الله عليه كتاب من عند الله ، هو أعظم دستور عرف في شرائع الإنسانية ، وأروع كتاب أثر في تاريخ البلاغة الأدبية ، ودعى العرب إلى الإيمان برسالته ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا ، بسورة وحدة ، أو بآيات يسيرة . وكلما ازداد تحديا لهم ازدادوا عجزا وخزيا ، مع طول باعهم في فن البيان ، ومع هذا كانوا أكثر ما يكون خطيبا وشاعرا وبليغا . ثم مضت الأجيال ، والعلماء والأدباء والبلغاء والنقاد والمؤلفون في كل عصر يعترفون بإعجازه ، ويقرون بقصورهم عن بلوغ منزلته في البلاغة والفصاحة والبيان ، ولا تزال الفطر الأدبية الخالصة تهتز اهتزاز الاعجاب والاكبار ، كلما سمعت آية من آياه ، أو سورة من سورته . ولا تزال الموازنة بينه وبين ما سواه ، من الآثار ، الأدبية والدينية والعقلية مستحيلة ممتنعة ، لبعده ما بينه وبين سواه من الآثار ، كبعده ما بين السماء والأرض ، فهل ذلك إلا لأنه كتاب الله الحكيم ، ومعجزة محمد الباهرة ، والآية الناطقة على صدق رسالته ؟ وهل ذلك إلا مظهر لبلاغة القرآن الباهرة ، ودليل على إعجازه وأنه من عند الله .

وبعد فإننا قبل أن نختم هذا البحث نقول : إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم يتجلى فيما يلي :

١ - بلاغة القرآن النادرة ، التي لا يحيط بها وصف ، ولا يستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، ويكفيك أن علوم البلاغة والتقد والإعجاز قد وضعت للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ، ثم هي للآن ، وبعد مضي أكثر من عشرة قرون من الزمان لا تزال في أول الغاية ، على أن بلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكنائياته وتشبيهاته وأمثاله ، وحكمته وإيجازه ومجازه ، فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبيان في القرآن الكريم .

٢ - روعة القرآن وجدته ، وأخذه بالأفئدة والأسماع والمشاعر والعواطف والنفوس .  
 ٣ - عظمة تصويره للحياة الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وللنفس البشرية في سلمها وحربيتها ، ولهوها وجدها وأملها وألمها ، وكفرها وإيمانها ، وللمثل العليا في الحياة المهذبة الكريمة التي يعمل لها الانسان ، وتسير لشاطنها الأمين الإنسانية .

٤- سمو الروح في القرآن الكريم، فهو ليس كتاب قصص أو تسلية، أو أدب أو حكمة أو فلسفة، أو تاريخ أو اجتماع، وإنما هو خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق. ويزيد على ذلك بأنه منهج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة، وما أجددنا أن نقول: إنه كتاب الانسانية كافة.

٥- جلال أثره الأدبي في لغة العرب وأدبهم، وفي حياتهم، وفي حياة المسلمين والعالم.

٦- خلوده على مر الأيام والأمكنة والعصور، وعجز الناس عن معارضته، مع أنه تحدى ولا يزال يتحدى الناس كافة، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفاذا المفكرين والأدباء والبلغاء.

٧- بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعذوبته.

٨- شرف معانيه، وسمو حكمه، وجلال دعوته، وصدق حجته، وعمق منزعه، وعلو تصويره.

٩- والدليل الأخير على الإعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده، ورفعة مراميه ومناحيه، وعبقرية غاياته ورسائله، وتوجيهه البشرية كافة إلى حياة جديدة فيها الأمل والسعادة، والأمن والسلام، والخير المطلق، والإخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ، ليكون للعالمين نذيراً ﴾ (١) ، (٢).

قال الزحيلي: ومظاهر الإعجاز أو أوجه الإعجاز كثيرة:

منها ما يخص العرب في روعة بيانه وبلاغه أسلوبه وجزالة ألفاظه أو نظمه، سواء في اختيار الكلمة القرآنية أو الجملة والتركيب ونظم الكلام،

ومنهما ما يشمل العرب وغيرهم من عقلاء الناس بالإخبار عن المفاتيح في المستقبل، وعن الماضي البعيد من عهد آدم ﷺ إلى مبعث محمد ﷺ، وبالتشريع المحكم الشامل لكل شؤون الحياة العامة والخاصة. وأكتفي هنا بإيجاز مظاهر الإعجاز وهي عشرة كما ذكر

٢. تفسير القرآن الحكيم للخفاجي ج ١ ص ٣٠-٤٢.

١. سورة الفرقان: آية ٢٥.

القرطبي<sup>(١)</sup>: ... يظهر من بيان هذه الأوجه في إعجاز القرآن أنها تشمل الأسلوب والمعنى .  
وأما خصائص الأسلوب فهي أربعة :

الأولى - النسق البديع والنظم الغريب، والوزن العجيب المتميز عن جميع كلام العرب،  
شعراً ونثراً وخطابة .

الثانية - السمو المتناهي في جمال اللفظ، ورقة الصياغة، وروعة التعبير .

الثالثة - التألف الصوتي في نظم الحروف ورفصها، وترتيبها، وصياغتها، وإيحاءاتها،  
بحيث تصلح خطاباً لكل الناس على اختلاف المستويات الفكرية والثقافية، مع تسهيل  
سبيلها وحفظها لمن أراد، قال تعالى: ﴿ ولقد يشرنا القرآنَ لِلذِّكْرِ فهل من مذكر ﴾<sup>(٢)</sup> .

الرابعة - تناسب اللفظ والمعنى، وجزالة اللفظ وإيفاء المعنى، ومناسبة التعبير  
للمقصود، والإيجاز والقصد دون أي تزيد، وترسيخ المعاني بصور فنية محسوسة تكاد  
تلمسها، وتتفاعل معها، بالرغم من تكرارها بصورة جذابة فريدة .

وأما خصائص المعنى فهي أربعة أيضاً :

الأولى - التوافق مع العقل والمنطق والعلم والعاطفة .

الثانية - قوة الإقناع، واجتذاب النفس، وتحقيق الغاية بنحو حاسم قاطع .

الثالثة - المصادقية والتطابق مع أحداث التاريخ، والواقع المشاهد، وسلامته على طوله  
من التعارض والتناقض والاختلاف، خلافاً لجميع كلام البشر .

الرابعة - انطباق المعاني القرآنية على مكتشفات العلوم والنظريات الثابتة . ويجمع هذه  
الخصائص آيات ثلاث في وصف القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿ الرّ كتاب أحكمت آياته، ثم  
فُصّلت من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله سبحانه: ﴿ إن الذين كفروا بالذکر لما جاءهم، وإنه  
لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزِيل من حكيمٍ حميدٍ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله

١ . تفسير القرطبي ج ١ ص ٧٣ - ٧٥، وانظر دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام عبد القاهر المبرجاني: ص ٢٩٤  
وما بعدها، إعجاز القرآن للبلاطاني: ص ٣٣ - ٤٧، إعجاز القرآن للرافعي: ص ٢٣٨ - ٢٩٠، تفسير المنار:

ج ١ ص ١٩٨ - ٢١٥، وانظر كلام القرطبي في ص ٤٤٥ من الكتاب المحاضر .

٢ . سورة هود: الآية ١ .

٣ . سورة القمر: الآية ١٧ .

٤ . سورة فصلت: الآية ٤١ و٤٢ .

عز وجل : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ لرأيتَه خاشِعاً متصدِّعاً من خَشْيَةِ اللَّهِ ، وتلك  
الأمثالُ تُضْرِبُهَا للناسِ لعلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وسيظل القرآن الكريم ناطقاً بالمعجزات في كل عصر ، فهو - كما قال الرافعي - كتاب  
كل عصر ، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز ، وهو معجز في تاريخه دون سائر  
الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه ، وهذه وجوه عامة  
لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت (٢) .





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

# الناسخ والمنسوخ

- معنى النسخ .
- امكان النسخ .
- اقسام النسخ .
- الآيات الناسخة والمنسوخة .
- البداء فى التكوين .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## معنى النسخ

قال العياشي : « ١ - عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « نزل القرآن ناسخاً ومنسوخاً » <sup>(١)</sup> .

٢ - عن مسعدة بن صدقة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ، قال : « الناسخ الثابت المعمول به ، والمنسوخ ما قد كان يعمل به ثم جاء ما نسخه ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله » <sup>(٢)</sup> .

٣ - عن أبي عبد الرحمن السلمي <sup>(٣)</sup> : أن علياً عليه السلام مرَّ على قاض فقال : « هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ » فقال : لا ، فقال : « هلكت وأهلك ، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه » <sup>(٤)</sup> ، <sup>(٥)</sup> .

قال الطوسي (ره) : « ... وأما الناسخ فهو كل دليل شرعي يدل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه . اعتبرنا دليل الشرع ؛ لأن دليل العقل إذا دل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول لا يسمى نسخاً . ألا ترى أن المكلف للعبادات ، إذا عجز أو زال عقله ، زالت عنه العبادة

١ . البحار ج ١٩ ص ٢٥ و ٣٠ و ٩٣ - ٩٤ . البرهان ج ١ ص ٢٠ - ٢١ . الصافي ج ١ ص ١٤ و ١٧ . الوسائل ج ٣ كتاب القضاء باب ٣ .

٢ . وفي نسخة الوسائل « عبد الرحمن السلمي يدل أبي عبد الرحمن » والظاهر هو المختار . البحار ج ١٩ ص ٢٥ و ٩٤ . البرهان ج ١ ص ١٧ - ١٨ .

٣ . الوسائل ج ٣ كتاب القضاء باب ١٣ . البحار ج ١٩ ص ٢٥ و ٩٤ . البرهان ج ١ ص ٢٠ . الصافي ج ١ ص ١٧ - ١٨ .

٥ . العياشي ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ .

بحكم العقل، ولا يسمى ذلك الدليل ناسخاً؟ واعتبرنا زوال مثل الحكم، ولم نعتبر الحكم نفسه؛ لأنه لا يجوز أن ينسخ نفس ما أمر به، لأن ذلك يؤدي إلى البداء. وانما اعتبرنا أن يكون الحكم ثابتاً بنص شرعي، لأن ما ثبت بالعقل إذا أزاله الشرع لا يسمى بأنه نسخ حكم العقل. ألا ترى أن الصلاة والطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعله في العقل وإذا أورد الشرع بها لا يقال نسخ حكم العقل؟ واعتبرنا مع تراخيه عنه؛ لأن ما يقترن به لا يسمى نسخاً وربما يكون تخصيصاً ان كان اللفظ عاماً أو مقيداً ان كان اللفظ خاصاً. ألا ترى أنه لو قال: اقتلوا المشركين إلا اليهود لم يكن قوله إلا اليهود نسخاً لقوله اقتلوا المشركين؟ وكذا لو قال: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر فقيده بهذه الغاية لا يقال لما بعدها نسخ. وكذا لما قال في آية الزنا: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾<sup>(١)</sup> لا يقال: لما زاد عليه منسوخ لأنه مقيد في اللفظ.

والنسخ يصح دخوله في الأمر والنهي بلا خلاف. والخبر ان تناول ما يصح تغييره عن صفة جاز دخول النسخ فيه لأنه في معنى الأمر. ألا ترى أن قوله: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾<sup>(٢)</sup> خبر؟ وقوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾<sup>(٣)</sup> أيضاً خبر؟ وكذلك قوله: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾<sup>(٤)</sup> خبر ومع ذلك يصح دخول النسخ فيه؟ فاما ما لا يصح تغييره من صفة فلا يصح دخول النسخ فيه، نحو الإخبار عن صفات الله تعالى، وصفات الأجناس. لما يصح عليه التغيير، لم يصح فيه النسخ حيث أن العبارة بالإخبار عنه بأنه قادر، عالم، سميع بصير، لا يصح النسخ فيه، لأنه يمتنع دخول النسخ في الإخبار. ان كان الخبر لا يصح تغييره في نفسه<sup>(٥)</sup>.

قال الواهب: «النسخ، والمسوخ يتقاربان. كذا قال الخليل - إلا أن «المسخ» في نقل الأعيان، والنسخ في نقل الصور، نحو نسخ الكتاب، وهو نقل صورة الكتابة إلى غيره من غير إبطال الرسم<sup>(٦)</sup> الأول. ونسخ الظل الشمس إذا أزالها<sup>(٧)</sup>».

٢. سورة آل عمران. الآية ٩٧.

١. سورة التور. الآية ١.

٤. سورة آل عمران. الآية ٩٧.

٣. سورة البقرة. الآية ٢٢٨.

٦. في نسخة: لرسم.

٥. التبيان ج ١ ص ١٢-١٣.

٧. قال مكّي بن أبي طالب في كتابه «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه»: النسخ يأتي في كلام العرب على

وحقيقة النسخ: إزالة مثل الحكم الثابت بالشرع بشرع آخر مع التراخي .  
والفرق بينه وبين التخصيص: أن التخصيص قد يكون في الخبر، والنسخ لا يكون فيه .  
والتخصيص: إخراج مالم يرد بالخطاب من الأعيان والمعاني والأمكنة .  
والنسخ: إخراج مالم يرد من الحكم في بعض الأزمنة .  
والتخصيص في الأكثر مقرون بالمخصوص لفظاً أو تقديراً، والنسخ لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ، ومتى اقترن به سمي تخصيصاً . [ وكان النسخ في الحقيقة ضرباً ]<sup>(١)</sup> من التخصيص الا انهما في المتعارف مختلفان<sup>(٢)</sup> .

قال ابن جزى: «في الناسخ والمنسوخ: النسخ في اللغة: هو الإزالة والنقل . ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل»<sup>(٣)</sup> .

قال الجنائدي: «والناسخ بالنسخ الكلي في القرآن هو الآية التي نسخت حكماً ثابتاً في شريعة أخرى أو في هذه الشريعة، والمنسوخ هو الآية التي نسخ حكمها الثابت في الشريعة؛ والناسخ بالنسخ الجزئي هو الآية التي تعلق حكمها بشخص ورفعت عنه حكماً آخر، والمنسوخ بهذا النسخ هو الآية التي نسخ حكمها عن هذا الشخص، ويقال: الناسخ للتي تعلقت بشخص، والمنسوخ للتي لم تعلق بهذا الشخص، فالناسخ بالنسخ الجزئي لا يكون إلا في المتشابهات»<sup>(٤)</sup> .

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .

جد ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون مأخوذاً من قول العرب: «نسخت الكتاب»: إذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر . فهذا لم يغير المنسوخ منه، وإنما صار له نظيراً مثله في لفظه ومعناه، وهما باقيان . هذا المعنى ليس من النسخ الذي قصده إلى بيانه . إذ ليس في القرآن آية ناسخة لآية أخرى كلاهما بلفظ واحد ومعنى واحد وهما باقيتان . وهذا لا معنى لدخوله فيها قصده إلى بيانه . وقد غلط في هذا جماعة . وجعلوا النسخ الذي وقع في القرآن مأخوذاً من هذا المعنى . وهو وهم . وقد انتحله التعاسي ... وانظر تفاصيل رد ذلك في كتاب الإيضاح: ص ٤١-٤٢ .  
وقال مكِّي في كتاب الإيضاح ص ٤٣: «والثاني من معاني النسخ: أن يكون مأخوذاً من قول العرب: نسخت الشمس الظل إذا زالتة وحلت محله، وهذا المعنى هو الذي عليه الجمهور في منسوخ القرآن وناسخه ...» .  
وقال مكِّي ص ٤٦: الثالث من معاني النسخ: أن يكون مأخوذاً من قول العرب: نسخت الريح الآثار، إذا أزالها فلم يبق منها عوض، ولا حلت الريح الآثار . بل زالاً جميعاً ...» .

١ . في نسخة: وكان النسخ في الحقيقة ضرباً . ٢ . جامع التفسير ج ١ ص ٨٢ .

٣ . التسهيل ج ١ ص ١٠ . ٤ . بيان السعادة ج ١ ص ١٥ .

٥ . سورة البقرة: الآية ١٠٦ .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطباطبائي (ره) في تفسير الآية ١٠٦-١٠٧ من سورة البقرة:

الآيتان في النسخ، ومن المعلوم أن النسخ بالمعنى المعروف عند الفقهاء وهو الإبانة عن انتهاء أمد الحكم وانقضاء أجله؛ اصطلاح متفرع على الآية مأخوذ منها ومن مصاديق ما يتحصل من الآية في معنى النسخ على ما هو ظاهر إطلاق الآية.

قوله تعالى، ما ننسخ، النسخ هو الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل إذا ازالته وذهبت به، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾<sup>(٢)</sup>، ومنه أيضاً قولهم: نسخت الكتاب إذا نقل من نسخة إلى أخرى فكان الكتاب أذهب به وأبدل مكانه، ولذلك بَدَل لفظ النسخ من التبديل في قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾<sup>(٣)</sup>، وكيف كان فالنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود وبطلان تحققها، بل الحكم حيث علق بالوصف وهو الآية والعلامة مع ما يلحق بها من التعليل في الآية بقوله تعالى: ألم تعلم، إلخ أفاد ذلك أن المراد بالنسخ هو إذهاب أثر الآية من حيث أنها آية، أعني إذهاب كون الشيء آية وعلامة مع حفظ أصله، فبالنسخ يزول أثره من تكليف أو غيره مع بقاء أصله، وهذا هو المستفاد من إقتران قوله: ننسخها بقوله: ما ننسخ، والإنساء: إفعال من النسيان وهو الإذهاب عن العلم، كما أن النسخ: هو الإذهاب عن العين، فيكون المعنى: ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأت بخير منها أو مثلها...<sup>(٤)</sup>.

قال الخوئي قدس سره: النسخ في اللغة:

هو الاستكتاب، كالاتسناخ والانتساخ، وبمعنى النقل والتحويل، ومنه تناسخ الموارد والدهور، وبمعنى الإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل، وقد كثر استعماله في هذا المعنى في السنة الصحابة والتابعين، فكانوا يطلقون على المخصّص والمقيّد لفظ

١. سورة البقرة: الآية ١٠٧.

٢. سورة الحج: الآية ٥١.

٣. سورة التحل: الآية ١٠١.

٤. الميزان ج ١ ص ٢٤-٢٥.

الناسخ<sup>(١)</sup>.

## النسخ في الاصطلاح :

هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه ، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية ، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع ، وهذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التلاوة فقط . وإنما قيدنا الرفع بالأمر الثابت في الشريعة لينخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً ، كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان ، وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها ، وارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته ، فإن هذا النوع من ارتفاع الأحكام لا يسمى نسخاً ، ولا إشكال في إمكانه ووقوعه ، ولا خلاف فيه من أحد . ولتوضيح ذلك نقول : إن الحكم المجعول في الشريعة المقدسة له نحوان من الثبوت : أحدهما : ثبوت ذلك الحكم في عالم التشريع والإنشاء ، والحكم في هذه المرحلة يكون مجعولاً على نحو القضية الحقيقية ، ولا فرق في ثبوتها بين وجود الموضوع في الخارج وعدمه ، وإنما يكون قوام الحكم بفرض وجود الموضوع . فإذا قال الشارع : شرب الخمر حرام - مثلاً - فليس معناه أن هنا خمراً في الخارج . وأن هذا الخمر محكوم بالحرمة ، بل معناه أن الخمر متى ما فرض وجوده في الخارج فهو محكوم بالحرمة في الشريعة سواء أكان في الخارج خمر بالفعل أم لم يكن . ورفع هذا الحكم في هذه المرحلة لا يكون إلا بالنسخ .

وثانيهما : ثبوت ذلك الحكم في الخارج ، بمعنى أن الحكم يعود فعلياً بسبب فعلية موضوعه خارجاً ، كما إذا تحقق وجود الخمر في الخارج ، فإن الحرمة المجعولة في الشريعة للخمر تكون ثابتة له بالفعل ، وهذه الحرمة تستمر باستمرار موضوعها ، فإذا انقلب الخمر خلاً فلاريب في ارتفاع تلك الحرمة الفعلية التي ثبتت له في حال خمريته ، ولكن ارتفاع هذا الحكم ليس من النسخ في شيء ، ولا كلام لأحد في جواز ذلك ولا في وقوعه ، وإنما الكلام في القسم الأول ، وهو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والإنشاء<sup>(٢)</sup> .

١ . وقد اطلق النسخ كثيراً على التخصيص في التفسير المنسوب إلى ابن عباس .

٢ . البيان ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## إمكان النسخ

قال الطوسي (وه) : وحكى البلخي في كتاب التفسير فقال : « قال قوم - ليسوا ممن يعتبرون ولكنهم من الأمة على حال - إن الأئمة المنصوص عليهم - بزعمهم - مفوض اليهم نسخ القرآن وتدبيره ، وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله : ان النسخ قد يجوز على وجه البداء ؛ وهو أن يأمر الله عز وجل عندهم بالشيء ولا يبدوله ، ثم يبدوله فيغيره ، ولا يريد في وقت أمره به أن يغيره هو ويبدله وينسخه ، لأنه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون ، إلا ما يقدره فيعلمه علم تقدير ، وتعجرفوا فزعموا أن ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة » .

وأظن انه عنى بهذا أصحابنا الأمامية ، لأنه ليس في الأمة من يقول بالنص على الأئمة عليهم السلام سواهم . فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب عليهم ، لأنهم لا يجيزون النسخ على أحد من الأئمة عليهم السلام ولا أحد منهم يقول بحدوث العلم . وانما يحكى عن بعض من تقدم من شيوخ المعتزلة - كالنظام والجاحظ وغيرهما - وذلك باطل . وكذلك لا يقولون : ان المتأخر ينسخ المتقدم إلا بالشرط الذي يقوله جميع من اجاز النسخ ، وهو ان يكون بينهما تضاد وتناف لا يمكن الجمع بينهما ، واما على خلاف ذلك فلا يقوله محصل منهم <sup>(١)</sup> .

قال القاسمي في قاعدة الناسخ والمنسوخ :

« قد تقرر أن النسخ في الشرائع جائز ، موافق للحكمة وواقع ، فإن شرع موسى نسخ بعض الأحكام التي كان عليها إبراهيم . وشرع عيسى نسخ بعض أحكام التوراة . وشرعية الإسلام نسخت جميع الشرائع السابقة . لأن الأحكام العملية التي تقبل النسخ ، إنما تشرع لمصلحة البشر . والمصلحة تختلف باختلاف الزمان ، فالحكيم العليم يشرع لكل زمن مايناسبه .

وكما تنسخ شريعة بأخرى ، يجوز أن تنسخ بعض أحكام شريعة بأحكام أخرى في تلك الشريعة . فالمسلمون كانوا يتوجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم ، فنسخ ذلك بالتوجه إلى الكعبة . وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين . ولكن هناك خلافا في نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن . فقد قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المفسر الشهير : ليس في القرآن آية منسوخة ، وهو يخرج كل ما قالوا : إنه منسوخ ، على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل .

وظاهر ، أن مسألة القبلة ليس فيها نسخ للقرآن ، وإنما هي نسخ لحكم ، لاندرى هل فعله النبي ﷺ بجتهاده ، أم بأمر من الله تعالى غير القرآن ، فإن الوحي غير محصور في القرآن .

ولكن الجمهور على أن القرآن ينسخ بالقرآن ، بناء على أنه لا مانع من نسخ حكم آية مع بقائها في الكتاب ، يُعبد الله تعالى بتلاوتها ، وتذكر نعمته ، بالانتقال من حكم كان موافقاً للمصلحة ولحال المسلمين في أول الإسلام ، إلى حكم يوافق المصلحة في كل زمان ومكان . فإنه لا ينسخ حكم إلا بأمثل منه . كالتخفيف في تكليف المؤمنين بقتال عشرة أمثالهم ، والإكتفاء بمقاتلة الضعف بأن تقاتل المائة مائتين . واتفقوا على أنه لا يقال بالنسخ إلا إذا تعذر الجمع بين الآيتين من آيات الأحكام العملية ، وعلم تاريخهما ، فعند ذلك يقال : إن الثانية ناسخة للأولى . أما آيات العقائد والفضائل والأخبار فلا نسخ فيها . وقال الإمام شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى : « مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة - وهو اصطلاح المتأخرين - ورفع دلالة العام والمطلق

والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد مطلق، وحمله على المقيد وتفسيره وتبيينه. حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً، لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد. فالنسخ، عندهم وفي لسانهم، هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر « انتهى ».

وقال ولي الله الدهلوي في الفوز الكبير: « من المواضع الصعبة في فن التفسير التي ساحتها واسعة جداً، والاختلاف فيها كثير، معرفة الناسخ والمنسوخ. وأقوى الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وما علم في هذا الباب، من استقراء كلام الصحابة والتابعين، أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء، لا بإزاء مصطلح الأصوليين. فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى، إما بانتهاء مدة العمل، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر الى غير المتبادر، أو ببيان كون قيد من القيود اتفاقياً، أو تخصيص عام، أو ببيان الفارق بين المنصوص وما قيس عليه ظاهراً، أو إزالة عادة الجاهلية، أو الشريعة السابقة. فأتسع باب النسخ عندهم، وكثر جولان العقل هنالك، واتسعت دائرة الاختلاف. ولهذا بلغ عدد الآيات المنسوخة خمسمائة.

وإن تأملت، متعمقاً، فهي غير محصورة. والمنسوخ باصطلاح المتأخرين عدد قليل. لا سيما بحسب ما اخترناه من التوجيه « انتهى ».

وقال الإمام الشاطبي في الموافقات: « الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم، في الإطلاق، أعم منه في كلام الأصوليين. فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم، بدليل متصل أو منفصل، نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي، بدليل شرعي متأخر، نسخاً. لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد. وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جيء به أخيراً، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به. وهذا المعنى جاء في تقييد المطلق. فإن المطلق متروك الظاهر مع مقيدته،

فلا إعمال له في إطلاقه، بل المعمل هو المقيد، فكأن المطلق لم يفد مع مقيدته شيئاً، فصار مثل الناسخ والمنسوخ. وكذلك العام مع الخاص. إذ كان ظاهر العام شمول الحكم لجميع مايتناوله اللفظ، فلما جاء الخاص أخرج حكم ظاهر العام عن الاعتبار، فأشبهه الناسخ والمنسوخ، إلا أن اللفظ العام لم يهمل مدلوله جملة، وإنما أهمل منه ما دل عليه الخاص، وبقي السائر على الحكم الأول، والمبين مع المبهم، كالمقيد مع المطلق. فلما كان كذلك استسهل إطلاق لفظ النسخ في جملة هذه المعاني، لرجوعها إلى شيء واحد، ولا بد من أمثلة تبين المراد: فقد روى عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾<sup>(١)</sup>: أنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزْنَ الْأَخْرَةِ نَزَدْنَا لَهُ فِي حَزْبِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزْنَ الدُّنْيَا نُوْتِهِ مِنْهَا﴾<sup>(٢)</sup> وهذا، على التحقيق، تقييد لمطلق. إذ كان قوله: ﴿نُوْتِهِ مِنْهَا﴾ مطلقاً ومعناه مقيد بالمشيئة، وهو قوله في الأخرى: ﴿لمن نريد﴾ وإلا فهو إخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ.

وقال في قوله: ﴿وَالشُّرَكَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>: هو منسوخ بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَهَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا...﴾<sup>(٤)</sup> الآية، قال مكي - وقد ذكر عن ابن عباس، في أشياء كثيرة في القرآن فيها حرف الاستثناء، أنه قال: منسوخ - قال: وهو مجاز لا حقيقة. لأن المستثنى مرتبط بالمستثنى منه، بيّنه حرف الاستثناء؛ أنه في بعض الأعيان الذين عمهم اللفظ الأول، والناسخ منفصل من المنسوخ، رافع لحكمه، وهو بغير حرف. هذا ما قال. ومعنى ذلك: أنه تخصيص للعموم قبله، ولكنه أطلق عليه لفظ النسخ، إذ لم يعتبر فيه الاصطلاح الخاص.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا﴾<sup>(٥)</sup>: أنه منسوخ بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ...﴾<sup>(٦)</sup> الآية. وليس من الناسخ والمنسوخ في شيء. غير أن قوله: ﴿ليس عليكم

٢. سورة الشورى: الآية ٢٠.

٤. سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

٦. سورة النور: الآية ٢٩.

١. سورة الاسراء: الآية ١٨.

٢. سورة الشعراء: الآية ٢٢٤-٢٢٦.

٥. سورة النور: الآية ٢٧.

جناح ﴿ يثبت في الآية الأخرى إنما يراد بها المسكونة .

وقال في قوله تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ <sup>(١)</sup>: أنه منسوخ بقوله: ﴿ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ <sup>(٢)</sup> والآيتان في معنيين . ولكنه نبه على أن الحكم بعد غزوة تبوك ، أن لا يجب النفير على الجميع .

وقال في قوله تعالى: ﴿ قُلِ الْاِتِّصَالُ لِيهِ وَالرُّسُولِ ﴾ <sup>(٣)</sup>: منسوخ بقوله: ﴿ وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا خُنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ... ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية ، وإنما ذلك بيان لمبهم في قوله: ﴿ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ .

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ <sup>(٥)</sup>: أنه منسوخ بقوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ... ﴾ <sup>(٦)</sup> الآية ، وآية الأنعام خبر من الأخبار ، والأخبار لا تنسخ وتُنسخ .

وقال في قوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ... ﴾ <sup>(٧)</sup> الآية: أنه منسوخ بآية المواريث . وقال مثله الضحاک والسدي وعكرمة . وقال الحسن: منسوخ بالزكاة . وقال ابن المسيب: نسخه الميراث والوصية .

والجمع بين الآيتين ممكن ، لاحتمال حمل الآية على الندب ، والمراد بأولى القربى من لا يرث . بدليل قوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ﴾ كما ترى الرزق بالحضور ، فإن المراد غير الوارثين . وبين الحسن: أن المراد الندب أيضا بدليل آية الوصية والميراث ، فهو من بيان المجمل والمبهم .

وقال هو وابن مسعود في قوله: ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(٨)</sup> أنه منسوخ بقوله: ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ <sup>(٩)</sup> ، بدليل أن ابن عباس فسر الآية بكتمان الشهادة ، إذ تقدم قوله: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ ، ثم قال:

٢ . سورة التوبة: الآية ١٢٢ .

٤ . سورة الأنفال: الآية ٤١ .

٦ . سورة النساء: الآية ١٤٠ .

٨ . سورة البقرة: الآية ٢٨٤ .

١ . سورة التوبة: الآية ٤١ .

٣ . سورة الأنفال: الآية ١ .

٥ . سورة الأنعام: الآية ٦٩ .

٧ . سورة النساء: الآية ٨ .

٩ . سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الآية . فحصل أن ذلك من باب تخصيص العموم أو بيان المجمل .

وقال في قوله : ﴿ وَلَا يُبَدِّلِينَ زَيْتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ <sup>(١)</sup> أنه منسوخ بقوله : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية ، وليس بنسخ وإنما هو تخصيص لما تقدم من العموم . وعن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> : أنه ناسخ لقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> فإن كان المراد أن طعام أهل الكتاب حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه فهو تخصيص للعموم . وإن كان المراد طعامهم حلال بشرط التسمية فهو أيضا من باب تخصيص . لكن آية الأنعام هي آية العموم المخصوص في الوجه الأول ، وفي الثاني بالعكس .

وقال عطاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَةً ﴾ <sup>(٥)</sup> : أنه منسوخ بقوله : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> إلى آخر الآيتين ، وإنما هو تخصيص وبيان لقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ ﴾ فكانه على معنى : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ ﴾ وكانوا مثلي عدد المؤمنين . فلا تعارض ولانسخ بالإطلاق الأخير ، والأمثلة كثيرة . انتهى .

وسياتي في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، زيادة على ما هنا بعونه تعالى <sup>(٨)</sup> .

قال عبد القادر في الناسخ والمنسوخ :

إعلم - حماك الله وبصرك بطرق رضاه - إن بحث النسخ لم يقع له صدى بين الأصحاب الذين كانوا زمن نزول القرآن والذين من بعدهم من الذين لم يبلغوا الحلم زمنه ، ولو كان لتردد صداه ، ولا اختلف فيه المسلمون بعد النبي ﷺ ، وإن شيئاً من ذلك لم يقع ، مما يدل على أن القرآن الذي تركه لنا المنزل عليه ، هو الذي أمره ربه بتبليغه لتأبلا زيادة ولا نقص ، وما قيل بأن شيئاً من ذلك كان في حياة الرسول لا نصيب له من الصحة ، لأن الأصحاب لم يختلفوا بعده بشيء من أسس الدين ، ولم يتمسكوا بناسخ أو منسوخ ، ولم يقل أحد منهم

- |                               |                                   |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| ١ . سورة النور : الآية ٣١ .   | ٢ . سورة النور : الآية ٦٠ .       |
| ٣ . سورة المائدة : الآية ٥ .  | ٤ . سورة الأنعام : الآية ١٢١ .    |
| ٥ . سورة الانفال : الآية ١٦ . | ٦ . سورة الانفال : الآية ٦٥ .     |
| ٧ . سورة البقرة : الآية ١٠٦ . | ٨ . محاسن التأويل ج ١ ص ٢٢ - ٢٨ . |

بذلك ، وعلى هذا فاعلم أن النسخ :

إما ابطال الحكم المستفاد من نفي سابق بنص لاحق ، مثل قوله ﷺ : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فالأول بطلب الكف ، والثاني بالإتيان على الإباحة بحل التحريم .

وإما لرفع عموم النص السابق أو تقييده ، كقوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم قال في سورة الأحزاب النازلة بعدها ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وكذلك الأمر في عدة الوفاة فإنها قيدت بأربعة أشهر وعشرة أيام في الآية ١٣٤ من البقرة أيضا ، ثم قيدت عدة الحامل بوضع الحمل في الآية ٤ من سورة الطلاق النازلة بعدها ، فالأول عام للمدخل بها وغيرها ، والثاني أعطى غير المدخول بها حكما خاصاً ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ ، ثم قوله بعدها فيها : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ <sup>(٣)</sup> فالأول عام في كل قاذف ، والثاني خاص بالزوج لجعله الأيمان الخمسة قائمة مقام الشهادات الأربع . هذا مثال التخصيص .

ومثال التقييد قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ <sup>(٤)</sup> مع قوله في سورة الأنعام النازلة قبلها : ﴿ إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فالدم الوارد في سورة المائدة مطلق ، والوارد في سورة الأنعام مقيد بالسفح فحمل المقيد على المطلق ، وبهذا نعلم أن العام والمطلق لم ينلها ابطال ؛ لأن التخصيص والتقييد بمثابة الإستثناء في الحكم .

والقاعدة ما من عام إلا وقد خصص ، وما من مطلق إلا وقد قيد في بعض الأحوال ، فيستوي فيه اللاحق المتصل بسابقه والمتراخي عنه والمقدم والمؤخر ، فمن سمي المتقدم أو المتأخر ناسخا ولا يكون المتقدم ناسخا للمتأخر البتة كان بمقتضى التقييد والتخصيص ليس إلا كآية الأنعام بالنزول على آية المائدة ، فمن يسميه ناسخا كان كمن يسميه مقيداً أو مخصصاً .

٢ . سورة الاحزاب : الآية ٤٩ .

٤ . سورة المائدة : الآية ٣ .

١ . سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

٣ . سورة النور : الآية ٤ - ٥ .

٥ . سورة الانعام : الآية ١٤٥ .



مطلب ابطال النص في الحكم أو انتهائه :

وأما ابطال النص في الحكم السابق أو انتهاء زمن حكمه وبقاؤه بصفة ذكر يتلى فقط ، فهو على أحد أمرين :

الأول - أن ينص اللاحق بنسخ السابق .

الثاني - أن يناقض أحدهما الآخر بحيث لا يمكن الجمع أو التخصيص أو التقييد ، ولا يوجد من الأول شيء في القرآن إلا قول البعض في ثلاثة مواضع :

الأول : في قوله تعالى ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ ، وقوله بعدها فيها: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> فهذا خبران أريد منهما الإنشاء ، لأن الله تعالى قال في الآية ٤٤ من هذه السورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ وهو أمر بالثبات ، ووجوبه في كل الأحوال ، فأراد جل جلاله أن يحدد هذا الأمر ، فحدده في الآية الأولى بعشرة أمثال المؤمنين المجاهدين في عدوهم ، إلا أنه تعالت قدرته لم يقل اثبتوا في هذه الحالة لأن المراد بعث الحمية في نفوسهم ، والهيب الغيرة في قلوبهم ، ولما اظهر لعباده ما هو معلوم في مكنون غيبه قبلا من ضعفهم عن المقاومة بهذه النسبة اقتضت رحمته الكبرى بهم التخفيف عنهم ، فأنزل الآية الثانية لتلا يتيقنوا وجوب الأخذ بالأولى حتما فيلقوا بأنفسهم إلى التهلكة أو يعمرنوا أنفسهم على المخالفة فيستحقوا عقابه ، فحدده بهذه الآية بمثل المجاهدين ، ومن سياقها يعلم أن نسبة الآية الثانية للأولى بنسبة النص المخفف لعارض مع بقاء حكم النص الأول عند زوال العارض وهو الضعف ، فكان حكم الآيتين حكم العزيمة مع الرخصة فإذا لم يكن بتلك الفئة المجاهدة التي هي بمقدار عشر العدو المحارب ضعف ، ورأت في نفسها قدرة على المقاومة إما لقوة إيمانها وشدة جلدتها وعزم حزمها ، أو لقوة في عددها أو لو هن في عدوها وعُدده ، فعليها أن تثبت أمام عدوها مهما بلغ عددها اخذاً بالعزيمة لأن الله وصفها بالصبر فمتى وجد الصبر ثبت الحكم الأول .

مطلب متى يجوز للقلة أن تقاوم الكثرة .

ومن لوازم الصبر المتقدمة عليه القوة المادية، والقوة القلبية المعنوية، فكثيرا ما نرى ونسمع، أن رجلاً واحداً قاوم جماعة عشرة فما فوقها وغلِبها، لاتزاره بالصبر، وتسلحه بقوة الجنان، وتمسكه بخالص الايمان، واستعذابه الموت في سبيل الواجب، واستملائه الشهادة في اعلاء كلمة الله، فعلى هذا لانسخ بالمعنى المراد من النسخ.

ومن قال إن الثانية عامة في جميع الأحوال، قال بنسخ الأولى بالثانية، وهو بعيد جدا، وقد اتضح لك بعده.

الموضع الثاني: ما يقرب من هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه﴾<sup>(١)</sup>، وقوله بأخر هذه السورة الآتية: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾<sup>(٢)</sup>

فالأولى صريحة الطلب بقيام جزء من الليل قريب من نصفه.

والثانية: تدل على أن الرسول كان قائماً في هذا التكليف هو وطائفة من الصحابة، إلا أن فيها سبباً يقتضي التخفيف وهو علمه جل علمه، بأن يكون في الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية الثانية ﴿مرض أو سفر أو جهاد﴾، فكان التكليف فيها مقصوراً على ما تيسر من القرآن المنبئة عن فعل ما تيسر من القيام بقراءة جزء يسير من القرآن، دون صلاة أو في صلاة ما، من النفل لقوله بأخر الآية الثانية: ﴿فاقرأوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة﴾<sup>(٣)</sup>، فإذا كان كذلك لم يكن نسخاً، وحكمه باق بالنسبة للرسول وللآخرين المعذورين، وهذا رأي ابن عباس، وقد اخترته لموافقته للواقع، ومن قال: إن الأولى عامة والتخفيف عام، أراد النسخ، وهو بعيد أيضاً.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾، وقوله بعدها: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾<sup>(٤)</sup>، فالأولى تحتم تقديم الصدقة بين يدي النجوى، والثانية ترفع ذلك التحميم من غير تصريح بالواقع، هذا ما يمكن تطبيقه على الأولى، وهو إعلام النص اللاحق بالغاء

١. سورة المزمل: الآية ١ - ٤.

٢. سورة المزمل: الآية ٢٠.

٣. سورة المجادلة: الآية ١٢.

٤. سورة الاسراء: الآية ٨٨.

السابق، وهذه النصوص الثلاثة كلها لاتعين إفاضة النسخ بالمعنى المراد منه، إذ أنه يجوز في الآيات الثلاث فعل الحاليتين المشبتين فيها، ولو كان المراد نسخ الأولى بالثانية لما جاز فعل الأولى، بل تحتم فعل الثانية فقط، وليس كذلك.

أما الطريق الثاني: وهو الالتجاء إلى نصين متناقضين لا مجال لتأويلهما أو أحدهما، فمن العسر جداً، بل من المحال أن تجد شيئاً منه في كتاب الله، وهو المبرأ من كل عيب، ولله در أحمد محرم إذ يقول:

دستور حق في يمين محمد	يحمي الضعيف وينصف المظلوما
لولا بلاغته وروعة نظمه	جهل الرجال اللؤلؤ المنظوما
كنز البيان فمن تطلب للفتى	كنزاً سواه قضى الحياة عديما
فضت علوم الدهر منه جانباً	وغداً نقضي الجانب المختوما
متجدد في كل عصر يبتغي	مما تجيء جديدة وفهوما

وناهيك في هذا قوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾<sup>(١)</sup>.

مطلب القائلين بعدم النسخ:

وهذا وقد منع أبو مسلم الأصفهاني المفسر الكبير وجود النسخ في القرآن العظيم، وقد قال الإمام الرازي في تفسيره المشار إليه، وكذلك الشيخ محي الدين العربي في تفسيره، ومن عرف مرامي التشريع الإسلامي، ووقف على لباب التنزيل، وعرف حكمة التدريج في التشريع الذي مر ذكره في المطلب السابع، وأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿ كتاب أحكمت آياته ﴾<sup>(٢)</sup>، أيقن أن لا نسخ في كلام الله بالمعنى القائلين به، من أبطال المعنى الأول بالكلية، وهذا من جملة ما عناه سيدنا علي كرم الله وجهه، بإرادته ترتيب سورة وآياته على حسب النزول، حينما عقد الشورة الأصحاب في كيفية جمعه وترتيبه على حده، وحينما أرادوا نسخه على الصحف، لأنهم كلهم يعلمون أن ترتيب نزوله غير ترتيب جمعه، وإذ ذاك قال محمد بن سيرين: لعلي من القوة كما أنزل: الأول فالأول،

٢. سورة هود: الآية ١.

١. سورة المزمل: الآية ٢٠.

وما يدريك ما رأيه ﷺ؟ ومرماه :

مرام شطُّ مرمى العقل فيه      ودون مداه بيد لا تبيد

ومن هنا يعرف القاريء الذكي، أن ماتعالى به علماء النسخ والمنسوخ عبارة عن الآيات المعقدة والمخصصة بالنسبة للآيات المطلقة والعامّة، ولعدم مراعاة هذين الأصليين، وعدم الاعتناء بتاريخ النزول، وأسبابه للتيقن من المقدم والمؤخر، وعدم أخذهم بما أجمع عليه الجمهور، بأن المقدم لا ينسخ المؤخر، وعدم مراعاتهم حكمة التشريع الالهي بحسب التدرّيج، أوصلوا الآيات المنسوخة الى مائتين، كما هو بيّن في تفسير الشيخ محمد الجزري، على أن القرآن العظيم ناسخ لما تقدم من الكتب والصحف لا منسوخ البتة، وأطالوا البحث فيه، كما أطالوه في المتعة الآتي بحثها في أول سورة النساء، في ج ٣، وسيأتي بحث النسخ في الآية (١٠٦) من سورة البقرة، ما يوسع من هذا إن شاء الله، نعم يوجد فيه بعض آيات عجز طوق البشر عن تأويلها، فقال بعضهم بنسخها، إلا أن نحاشي القول بالنسخ أصوب وأحمى للعقيدة، فقد روى البخاري عن ابن الزبير، قال: قلت لعثمان: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾<sup>(١)</sup>، وقد نسختها الآية الأخرى، ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾<sup>(٢)</sup> المار ذكرها أنفا فلم نكتبها وندعها، قال عثمان: يا ابن أخي لا غير شيئاً منه من مكانه، وذلك لان الآية الأولى غير منسوخة بالثانية، كما فصلناه. راجع تفسيرهما في محلّهما ومن المعلوم أن آياته منها ما وقع تفسيرها زمن الرسول ﷺ، ومنها ما وقع زمن أصحابه من بعده، ومنها ما وقع بعدهم، ومنها لم يقع حتى الآن، والليالي حبالني، وسيلدن الأمر العجيب مما سيظهر فيها من معجزاته الغامضة، ولا تحديد لكلمات الله، وسترى إن شاء الله، ما يشرح صدرك أيها القاريء، ويقر عينك، من تقييد المعاني، وماتستعذبه من تبين المباني، فيما يتعلق بالآيات التي ظاهر لفظها، يشم منه رائحة النسخ، والآيات التي تدل على معجزاته، فالله أسأل وبنييه أتوسل أن يعينني على ذلك، ويقدرني عليه، انه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير<sup>(٣)</sup>.

٢. سورة الطلاق: الآية ٤.

١. سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

٣. بيان المعاني ج ١ ص ٢٣-٢٩.

قال وجدي في الناسخ والمنسوخ من القرآن :

« النسخ لغة معناه : الإزالة ، ونسخ الله آية بآية أي : ابطال حكم الأولى بالثانية ، كما قال تعالي : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾<sup>(١)</sup> . وقد اتخذ أعداء القرآن هذا النسخ من المطاعن عليه واستدلوا به على انه كلام محمد لا كلام الله . قالوا : لو كان هذا القرآن كلام الله لكان ثابتا لا تتغير احكامه بتغير الأحوال . ونحن لرد هذه الشبهة نقول :

أنزل الله الدين على الأمة العربية لتأخذ بأدابه نفوسها وتروض بتعاليمه افئدتها فتتمص روحه وتستشعرها فهودين عملي حيوي . وليس في العالم فلسفة ولا مذهب يلين للإنسان في جميع ادواره ويتنزل معه الى سائر اطواره الا هذا الدين .

وهذه امامك الأديان القديمة المحرفة في جميع قارات العالم قد هجرها الناس ووجدوا لانفسهم عذرا مقبولا في هجرها ، وهذه المذاهب الاصلاحية في اوروبا كالاتشراك والفوضى وغيرهما كلها متطرفة لا يمكن العمل بها ، الا الاسلام فلا يستطيع أحد ان يعتذر بعدم امكان العمل به بحجة مناقضة اصوله لمبدأ الحياة أو لأحوال الزمان .

هذا الدين الإسلامي يراعي الإنسان في حالة ضعفه وقوته وجهله وعلمه وحره وسلمه وغناه وفقره وكماله ونقصه الى آخر ما ينتابه من الأحوال البشرية المتناقضة التي تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأمزجة ، فهو الدين الطبيعي الذي تقنضيه الطبيعة البشرية ، أو هو بلسان الشرع ؛ الدين الفطري الذي ينطبق على مطلوب الفطرة . ولما كان كل شيء يتغير في الإنسان وتنتابه الزيادة والنقصان جعل الله دينه الأخير صالحاً لان يتتبع الإنسان في جميع ادواره لا أهوائه . ولو كان هو ديناً من ضمن الأديان المعروفة وكان في علم الخالق ان نبيا يظهر بعد محمد رسول الله ﷺ ، ل جاءت أصول القرآن مقيدة محدودة ولزالت دولته بزوال رسوله واستعد الناس لاستقبال وحي جديد . ولكن شرع الله هذا الدين ليكون دين الانسانية كلها في سائر ادوارها ، وصرح بان الرسول آخر المرسلين ، فكيف يقرر الله فيه اصولا مقيدة محدودة ، وقد عرفت ان الانسان لا يتقيد بقيد ولا يدخل ضمن حد وهو من تغير الحال وتلون المزاج ، على ما لا يجهله ابسط الناس علما؟ .

مراعاة لهذه الحالة الطبيعية اقتضت حكمة الخالق جل وعز ان يراعي في تربية الأمة العربية حالها من جميع الوجوه؛ فقرر لها أولاً احكاماً على قدر حاجتها ثم نسخها باحكام اخرى اليق بحالها الذي تحولت اليه، وهو خالق تلك الأحوال ومسلطها على الإنسان؟. على ان النسخ سنة من سنن العالم الطبيعي ظاهرة في الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان نفسه. فترى النواميس الطبيعية تقتضي ان يكون الهواء مثلاً ساكناً في هذه الساعة ثم يحدث ما يغيرها فتتسخ هذه الحالة برياح تحدثها وامطار ترسلها وصواعق تسقطها الخ. وهذه الحوادث من النسخ في العوالم الحية اظهر منها في عالم الجماد، ومما لا مشاحة فيه ان الإنسان اشد جميع الكائنات تغيراً وتحولاً، ولكل حال حكم كما لا يخفى، افلا تكون من حكمة الخالق جل شأنه ان يعدل له الاحكام على حسب قابليته في كل حال من احواله؟.

هذا التبديل والنسخ يصح في جهة ما يتعلق به من احواله الذاتية المتغيرة، اما الدين نفسه فهو ثابت لا يتغير ولا عذر للإنسان في استبدال غيره به، فإنه أبسط ما يتصور (انظر فصل الاسلام).

تطرف بعض الناظرين من المسلمين فحاولوا اثبات عدم وجود ناسخ ومنسوخ في القرآن، وأولوا جميع الآيات الناصة على النسخ، مثل قوله تعالى: ﴿مانسخ من آية أو نسها نأت بخير منها أو مثلها﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قال الذين كفروا انما انت مفتر﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وهلم ان فيكم ضمفا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعندي ان تأويل هذه الآيات الصريحة وامثالها لاجل اثبات عدم وجود ناسخ ومنسوخ في القرآن، تعسف ظاهر، وقد جرى جمهور الصحابة على وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن، وكذلك التابعون والائمة الأربعة وغيرهم ممن تقدمهم وتلاههم، ولم يخالف هذا السواد الأعظم الا نفر يعدون على الاصابع<sup>(٤)</sup>.

١. سورة البقرة: الآية ١٠٦. ٢. سورة النحل: الآية ١٠١.  
٣. سورة الانفال: الآية ٦٦. ٤. صفوة القران ج ١ ص ١٧٠-١٧٢.

قال التهاوندي في تعريف النسخ وامكان وقوعه في احكام الله تعالى :

والنسخ: هو رفع الحكم الثابت في الزمان السابق وازالته، ولا شبهة في حكم العقل بامكان وقوعه في احكام الله، وليس من البداء المحال على الله، ولا يلزم منه الجهل الممتنع عليه، ولا التجهيل القبيح منه، وقد اتفقت الشرايع على وقوعه إذ لم يكن شريعة الا وهي ناسخة لبعض احكام الشرايع السابقة، وانما المقصود هنا بيان الآيات الناسخة، وهي قسمان: اما ناسخة لأحكام الشرايع السابقة أو الأحكام الجاهلية التي لم يردع عنها النبي ﷺ في بدو بعثته لمداواة الناس ولم ينزل فيها قرآن كثيرة جدا، وإما ناسخة لأحكام نزلت بها آيات قرآنية فكانت الناسخة والمنسوخة في القرآن، ففي هذا القسم اختلف كثير من الخاصة والعامة وافرده جمع كثير منهم بالتصنيف، ولا يذهب عليك ان المصطلح في النسخ: هو ازالة الحكم الذي يكون ظاهر دليله استمراره بحكم آخر، وعلى هذا يكون عد بعض الآيات التي نزلت في الوعد والوعيد خارجة عن المصطلح والحقيقة فعذآية: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ خَلْقُهُمْ﴾ (١) ناسخة لقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ آلٌ وَارِدُهَا﴾ (٢) كما عن بعض ليس على حقيقته، وكذا عد الحكم المتغير للحكم السابق المغتني بغاية معينة بعد بلوغ غايته، كقوله تعالى: ﴿فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (٣) فان حكم وجوب الجهاد ليس ناسخاً لحكم وجوب العفو والصفح، بل هو أمر الله الذي كان غاية له.

والحاصل: انه بعد ملاحظة القيود المعتبرة في المعنى الحقيقي للنسخ، وملاحظة المقصود منه من كون الناسخ والمنسوخ كليهما في القرآن كان عدد الأحكام المنسوخة فيه قليلا (٤).

قال الطباطبائي (ره) في الآية ١٠٦ - ١٠٧ من سورة البقرة :

إن الإنكار المتوهم في المقام أو الإنكار الواقع من اليهود على ما نقل في شأن نزول الآية بالنسبة الى معنى النسخ يتعلق به من وجهين :

٢. سورة مريم: الآية ٧١.  
٤. فتاوح الرحمن ج ١ ص ٢٥.

١. سورة هود: الآية ١١٩.  
٣. سورة البقرة: الآية ١٠٩.

احدهما: من جهة أن الآية إذا كانت من عند الله تعالى كانت حافظة لمصلحة من المصالح الحقيقية لايحفظها شيء دونها، فلو زالت الآية فانت المصلحة ولن يقوم مقامها شيء تُحفظ به تلك المصلحة، ويستدرك به ما فات منها من فائدة الخلقه و مصلحة العباد، وليس شأنه تعالى كشأن عباده ولا علمه كعلمهم بحيث يتغير بتغير العوامل الخارجية، فيتعلق يوماً علمه بمصلحة فيحكم بحكم ثم يتغير علمه غداً ويتعلق بمصلحة اخرى فانت عنه بالأمس، فيتغير الحكم، ويقضي ببطلان ما حكم سابقاً، وإتيان آخر لاحقاً، فيطلع كل يوم حكم، ويظهر لون بعد لون، كما هو شأن العباد غير المحيطين بجهاات الصلاح في الاشياء، فكانت أحكامهم وأوضاعهم تتغير بتغير العلوم بالمصالح والمفاسد زيادة ونقصه و حدوثاً وبقاء، ومرجع هذا الوجه إلى نفي عموم القدرة وإطلاقها.

وثانيهما: أن القدرة وإن كانت مطلقة إلا أن تحقق الإيجاد وفعليه الوجود يستحيل معه التغير، فان الشيء لا يتغير عما وقع عليه بالضرورة، وهذا مثل الإنسان في فعله الاختياري فان الفعل اختياري للإنسان ما لم يصدر عنه، فإذا صدر كان ضروري الثبوت غير اختياري له، ومرجع هذا الوجه إلى نفي اطلاق الملكية وعدم جواز بعض التصرفات بعد خروج الزمام ببعض آخر، كما قالت اليهود: يدا الله مغلولة: فأشار سبحانه إلى الجواب عن الاول بقوله: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾<sup>(١)</sup> أي فلا يعجز عن إقامة ما هو خير من الفائت أو إقامه، ما هو مثل الفائت مقامه وأشار إلى الجواب عن الثاني بقوله: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دونه من ولي ولا نصير﴾<sup>(٢)</sup>، أي إن ملك السماوات والأرض لله سبحانه، فله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وليس لغيره شيء من الملك حتى يوجب ذلك انسداد باب من ابواب تصرفه سبحانه، أو يكون مانعاً دون تصرف من تصرفاته، فلا يملك شيء شيئاً، لا ابتداء ولا بتملكه تعالى، فان التملك الذي يملكه غيره ليس كتملك بعض بعضاً شيئاً بنحو يبطل ملك الأول ويحصل ملك الثاني، بل هو مالك في عين ما يملك غيره ما يملك، فإذا نظرنا إلى حقيقة الأمر كان الملك المطلق والتصرف المطلق له وحده، وإذا نظرنا إلى ما ملكنا بملكه من دون استقلال كان هو الولي

١. سورة البقرة: الآية ١٠٦.

٢. سورة البقرة: الآية ١٠٧.



لنا، وإذا نظرنا إلى ما تفضل علينا من ظاهر الإستقلال - وهو في الحقيقة فقر في صورة الغنى، وتبعية في صورة الاستقلال - لم يمكن لنا أيضاً أن ندبر أمورنا من دون إعانة ونصرة، كان هو النصير لنا.

وهذا الذي ذكرناه هو الذي يقتضيه الحصر الظاهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقولته تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مرتب على ترتيب ما يتوهم من الاعتراضين، ومن الشاهد على كونهما اعتراضين إثنين الفصل بين الجملتين من غير وصل، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>، مشتعل على أمرين هما كالمتممين للجواب، أي: وإن لم تنظروا إلى ملكه المطلق، بل نظرتم إلى ما عندكم من الملك الموهوب فحيث كان ملكاً موهوباً من غير انفصال واستقلال فهو وحده وليكم، فله أن يتصرف فيكم وفي ما عندكم ما شاء من التصرف، وإن لم تنظروا إلى عدم استقلالكم في الملك بل نظرتم إلى ظاهر ما عندكم من الملك والإستقلال وانجدمتم على ذلك فحسب، فإنكم ترون أن ما عندكم من القدرة والملك والإستقلال لاتم وحدها، ولاتعجل مقاصدكم مطيعة لكم خاضعة لقصدكم وإرادتكم وحدها، بل لابد معها من إعانة الله ونصره فهو النصير لكم، فله أن يتصرف من هذا الطريق فله سبحانه التصرف في أمركم من أي سبيل سلكتهم هذا، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، جيء فيه بالظاهر موضع المضمرة نظراً إلى كون الجملة بمنزلة المستقل من الكلام لتامة الجواب دونه.

فقد ظهر مما مر: أولاً، أن النسخ لا يختص بالأحكام الشرعية بل يعم التكوينية أيضاً.

وثانياً: أن النسخ لا يتحقق من غير طرفين ناسخ ومنسوخ.

وثالثاً: أن النسخ يشتمل على ما في المنسوخ من كمال أو مصلحة.

ورابعاً: أن الناسخ ينافي المنسوخ بحسب صورته وإنما يرتفع التناقض بينهما من جهة إشتمال كليهما على المصلحة المشتركة، فإذا توفي نبي وبعث نبي آخر وهما آيتان من آيات الله تعالى أحدهما ناسخ للآخر، كان ذلك جرياناً على ما يقتضيه ناموس الطبيعة من

الحياة و الموت و الرزق و الأجل، و ما يقضيه اختلاف مصالح العباد بحسب إختلاف الاعصار و تكامل الأفراد من الإنسان، و إذا نسخ حكم ديني بحكم ديني كان الجميع مشتملاً على مصلحة الدين، و كل من الحكّمين أطبق على مصلحة الوقت، أصلح لحال المؤمنين، كحكم العفو في أول الدعوة و ليس للمسلمين بعد عدة و لاعدة. و حكم الجهاد بعد ذلك حينما قوي الإسلام و أعد فيهم ما استطاعوا من قوة، و ركز الرعب في قلوب الكفار و المشركين. و الآيات المنسوخة مع ذلك لا تخلو من إيماء و تلويح إلى النسخ، كما في قوله تعالى: ﴿ فاعفوا و اصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾<sup>(١)</sup>، المنسوخ بأية القتال، و قوله تعالى: ﴿ فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفينهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾<sup>(٢)</sup> المنسوخ بأية الجلد فقله: ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ و قوله: ﴿ أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾ لا يخلو عن إشعار بأن الحكم مؤقت مؤجل سيلحقه نسخ.

و خامساً: أن النسبة التي بين الناسخ و المنسوخ غير النسبة التي بين العام و الخاص و بين المطلق و المقيد و بين المجمل و المبيّن، فان الرفع للتنافي بين الناسخ و المنسوخ بعد استقراره بينهما بحسب الظهور اللفظي هو الحكمة و المصلحة الموجودة بينهما، بخلاف الرفع للتنافي بين العام و الخاص و المطلق و المقيد و المجمل و المبيّن، فانه قوة الظهور اللفظي الموجود في الخاص و المقيد و المبيّن، المفسر للعام بالتخصيص، و للمطلق بالتمييد و للمجمل بالتبين على ما بيّن في فن أصول الفقه، و كذلك في المحكم و المتشابه على ما سيجيء في قوله: ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات ﴾<sup>(٣)</sup>. (٤). قال الصادقي في كلام حول النسخ:

القرآن - في جملة واحدة - ناسخ لسواه و ليس منسوخاً بسواه، قبله أو معه أو بعده، و ان كان فيه بعض التناسخ لنفسه في أحكام مؤقتة امتحانية؛ كحكم النجوى و الزنا و عدد الكفاح في قتال الكفار: ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم و انه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾<sup>(٥)</sup>.

٢. سورة النساء: الآية ١٤.

٤. الميزان ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢.

١. سورة البقرة: الآية ١٠٩.

٣. سورة آل عمران: الآية ٧.

٥. سورة فصلت: الآية ٤٢.

ولأن الحكم الناسخ يبطل الحكم المنسوخ ، فعزة القرآن وغلبته تجعله بحيث لا يبطل ولا ينسخ جملة أو تفصيلاً ، كلاً أو بعضاً « من بين يديه » من كتابات السماء حيث تزیده ولا تبطله ، « ولا من خلفه » حاضراً لديه كوحي السنة ، أو أتياً بعده كفتاوى الخلفاء والائمة ، فلو أن حكماً من الأحكام زمن الوحي أو بعده ينسخ حكماً من أحكامه فقد أتاه الباطل ، الذي يبطله ويحوّله . والقرآن هو نفسه يُحيل للرسول ملتحداً سواء : ﴿ أتلى ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ <sup>(١)</sup> فإنه الوحي الخالد الأم الذي يتبنى شريعة الإسلام طول الزمن ، ومهما كان وحي السنة ايضاً وحيّاً ولكنه شارح له ، هامشي لا يمكن أن يختلف عنه وينسخه ، وقد أمر الرسول ان يتبعه ، فيعيش متابعة وحي القرآن طوال الرسالة : ﴿ وأتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقد حصر الرسول حياته الرسالية باتباع ما يوحى إليه : ﴿ قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربّي .. ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وما مرت على الرسول ولا مرة يتيمة أن يخالف وحي القرآن ولو نسخاً لحكم من أحكامه ، إلا ما اختلفته ايدي الزور والغرور أنه نسخ حكم المتعتين ، وليبرروا بدعة فلان التي يسمونها بدعة حسنة ا .

ولأن القرآن هو الوحي الأصيل الخالد حجة على العالمين ، لم يكن الله ليوحي الى رسوله وحيّاً في سنة تنسخ وحي القرآن ، فالأحاديث التي تتحدث عن نسخ الكتاب بالسنة تُضرب عرض الحائط ، لأنها تخالف الكتاب جملةً وتفصيلاً ، كما وأن آيات العرض وأحاديثه المتواترة تضربها عرض الجدار ، مهما كثر محدثوها ومفتوها .

وإذا الرسول ﴿ لن تجد من دونه ملتحداً ﴾ <sup>(٦)</sup> فما لغير الرسول يسمح لنفسه أن ينسخ القرآن : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ... هم الظالمون ... هم

٢ . سورة الكهف : الآية ٢٧ .

٤ . سورة الاعراف : الآية ٢٠٣ .

٦ . سورة الكهف : الآية ٢٧ .

١ . سورة يونس : الآية ١٠٩ .

٣ . سورة النساء : الآية ١٠٥ .

٥ . سورة الاحقاف : الآية ٩ .

الفاسقون ﴿١﴾.

فنسخ القرآن كفر وظلم وفسق، بل وأظلم منه وانكى، فان نالوث الكفر والظلم والفسق هو لمن لم يحكم بما أنزل الله، فما هي جال من حكم بخلاف ما أنزل الله؟

فالسنة إذاً لا تنسخ القرآن، كما ولا تنسخ نفسها، حيث السنة المنسوخة إن كانت خلاف القرآن فهي باطللة منذ كونها وليست سنة حتى تنسخ، وإن كانت وفاق القرآن فنسخها إذاً نسخ للقرآن ولن يكون! اللهم إلا في سنة لا توافق القرآن ولا تخالغه إذ لم يأت وحيها بعد في القرآن، فقد يكون تناسخ بينها قبل قرأتها.

واما نسخ القرآن للسنة فقد يكون، حيث الرسول كان - قبل ان يوحى إليه القرآن - مستنا بسنة من قبله من رسول، أو سنته الخاصة الناسخة لما قبله، ووحى القرآن يتدرج طوال الرسالة، فقد كان ينسخ ما عنده وقد كان يقره.

إذا ففي مثلث النسخ المدعى لانجد إلا نسخ القرآن للسنة في نجومه النازلة هنا وهناك، او تناسخ السنة أحياناً.

ثم النسخ - خلاف ما قد يُزعم - ليس إلا في الأحكام التكليفية أو الوضعية، وأما الأحكام العقلية، والإخبارات الكونية، فليس التناسخ فيها إلا تكاذباً، كذباً فيهما أو أحدهما، وحاشا عن ذلك ووحى القرآن والسنة.

وكما أن نسخ القرآن بالسنة لا يصدق في إزالة حكم من أحكامه، كذلك في تقييد إطلاقاته أو عموماته التي هي نص في الإطلاق أو العموم<sup>(٢)</sup>، أو في حمل ظاهر مستقر الى غير ظاهره، فإنه أظهر من ظاهر الحديث أو نصه، أو في إطلاق آية مقيدة أو تعميم آية

١. سورة المائدة: الآية ٤٤ - ٤٥ - ٤٧.

٢. فقله تعالى: وامهات نساكنم - بعد - ربانكنم الآتي في حجوركم من نساكنم الآتي دخلتم بهن - انه نص في اطلاق الامهات حيث هن اعم من امهات النساء المدخول بهن وغير المدخول بهن - لمقابلته الربائب من النساء المدخول بهن، اذ لو كانت الأمهات مقيدات لذكر قيدهن كما ذكر قيد امهات الربائب. لذلك يطرح المحدثان المقيدان لامهات النساء رغم صحة سندهما، ويقبل الحديث الصلوي - على ضعف سنده - القائل، لأنهن مرسلات وامهات الربائب مقيدات.

ومن النص في العموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وليس الحال شيئاً حتى يستثنى تعلق القدرة به، وكذلك العمومات والاطلاقات الظاهرة في العموم أو الاطلاق، إلا أن تكون سنة ثابتة تخصص أو تقييد.

خاصة أو تخصيص آية عامة، أو تقييد آية مطلقة، اللهم إلا في عام أو خاص قرآني ليسا في مقام البيان فيصح تخصيص عامه وتقييد مطلقه بمائت من السنة، وسوف تجد تفاصيلها في هذا التفسير»<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره في امكان النسخ :

المعروف بين العقلاء من المسلمين وغيرهم هو جواز النسخ بالمعنى المتنازع فيه «رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والإنشاء»، وخالف في ذلك اليهود والنصارى فادعوا استحالة النسخ، واستندوا في ذلك الى شبهة هي أو هن من بيت العنكبوت.

وملخص هذه الشبهة :

ان النسخ يستلزم عدم حكمة النسخ، أو جهله بوجه الحكمة، وكلا هذين اللازمين مستحيل في حقه تعالى. وذلك لأن تشريع الحكم من الحكيم المطلق لا بد وان يكون على طبق مصلحة تقتضيه، لأن الحكم الجزائي ينافي حكمة جاعله، وعلى ذلك فرجع هذا الحكم الثابت لموضوعه إما أن يكون مع بقاء الحال على ما هو عليه من وجه المصلحة وعلم ناسخه بها، وهذا ينافي حكمة الجاعل مع أنه حكيم مطلق، وإما أن يكون من جهة البداء، وكشف الخلاف على ما هو الغالب في الأحكام والقوانين العرفية، وهو يستلزم الجهل منه تعالى. وعلى ذلك فيكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً، لأنه يستلزم المحال. والجواب: إن الحكم المجمعول من قبل الحكيم قد لا يراد منه البعث، أو الزجر الحقيقيين كالأوامر التي يقصد بها الامتحان، وهذا النوع من الأحكام يمكن اثباته أولاً ثم رفعه، ولا مانع من ذلك، فان كلاً من الاثبات والرفع في وقته قد نشأ عن مصلحة وحكمة، وهذا النسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة، ولا ينشأ من البداء الذي يستحيل في حقه تعالى. وقد يكون الحكم المجمعول حكماً حقيقياً، ومع ذلك ينسخ بعد زمان، لا بمعنى أن الحكم بعد ثبوته يرفع في الواقع ونفس الأمر، كسي يكون مستحجلاً على الحكيم العالم بالواقعات، بل هو بمعنى أن يكون الحكم المجمعول مقيداً بزمان خاص معلوم عند الله،

مجهول عند الناس ، ويكون ارتفاعه بعد انتهاء ذلك الزمان ، لانتهاء أمده الذي قيد به ، وحلول غايته الواقعية التي انبط بها .

والنسخ بهذا المعنى ممكن قطعاً ، بدهاة : إن دخل خصوصيات الزمان في مناطات الأحكام مما لا يشك فيه عاقل ، فان يوم السبت - مثلاً - في شريعة موسى ﷺ قد اشتمل على خصوصية تقتضي جعله عيداً لأهل تلك الشريعة دون بقية الأيام ، ومثله يوم الجمعة في الإسلام ، وهكذا الحال في أوقات الصلاة والصيام والحج ، وإذا تصورنا وقوع مثل هذا في الشرايع فلنتصور أن تكون للزمان خصوصية من جهة استمرار الحكم وعدم استمراره ، فيكون الفعل ذا مصلحة في مدة معينة ، ثم لا تترتب عليه تلك المصلحة بعد انتهاء تلك المدة ، وقد يكون الأمر بالعكس .

وجملة القول : إذا كان من الممكن أن يكون للساعة المعينة ، أو اليوم المعين ، أو الاسبوع المعين ، أو الشهر المعين تأثير في مصلحة الفعل أو مفسدته أمكن دخول السنة في ذلك أيضاً ، فيكون الفعل مشتملاً على مصلحة في سنين معينة ، ثم لا تترتب عليه تلك المصلحة بعد انتهاء تلك السنين ، وكما يمكن أن يقيد إطلاق الحكم من غير جهة الزمان بدليل منفصل ، فكذلك يمكن أن يقيد إطلاقه من جهة الزمان أيضاً بدليل منفصل فان المصلحة قد تقتضي بيان الحكم على جهة العموم أو الاطلاق ، مع أن المراد الواقعي هو الخاص أو المقيد ، ويكون بيان التخصيص أو التقييد بدليل منفصل . فالنسخ في الحقيقة تقييد لإطلاق الحكم من حيث الزمان ولا تلزم منه مخالفة الحكمة ولا البداء بالمعنى المستحيل في حقه تعالى ، وهذا كله بناء على أن جعل الأحكام وتشريعها مسبب عن مصالح أو مفسد تكون في نفس العمل . وأما على مذهب من يرى تبعية الأحكام لمصالح في الأحكام أنفسها فان الأمر أوضح ، لأن الحكم الحقيقي على هذا الرأي يكون شأنه شأن الأحكام الامتحانية .

النسخ في التوراة :

وما قدمناه يبطل تمسك اليهود والنصارى باستحالة النسخ في الشريعة ، لاثبات استمرار الأحكام الثابتة في شريعة موسى . ومن الغريب جداً أنهم مصرون على استحالة

النسخ في الشريعة الإلهية، مع أن النسخ قد وقع في موارد كثيرة من كتب العهدين :

١- فقد جاء في الإصحاح الرابع من سفر العدد « عدد ٢، ٣ » : « خذ عدد بني قهات من بين بني لاوي حسب عشائرتهم ، وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً الى ابن خمسين سنة ، كل داخل في الجند ليعمل عملاً في خيمة الاجتماع » .

وقد نسخ هذا الحكم ، وجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ خمس وعشرين سنة بما في الإصحاح الثامن من هذا السفر « عدد ٢٣ ، ٢٤ » : « وكلم الرب موسى قائلاً هذا ما لللاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً ، يأتون ليتجنّدوا أجناداً في خدمة خيمة الاجتماع » .

ثم نسخ ثانياً : فجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ عشرين سنة بما جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من أخبار الأيام الاول « عدد ٢٤ ، ٣٢ » : « هؤلاء بنو لاوي حسب بيوت آبائهم رؤوس الآباء حسب احصائهم في عدد الأسماء ، حسب رؤوسهم عامل العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق ... وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع ، وحراسة القدس » .

٢- وجاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد « عدد ٣-٧ » :

« وقل لهم هذا هو الوقود الذي تقرّبون للرب ، خروفان حوليان صحيحان ، لكل يوم محرقة دائمة . الخروف الواحد تعلمه صباحاً ، والخروف الثاني تعلمه بين العشاءين . وعشر الايفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرضّ تقدمه .. وسكبيها ربع الهين للخروف الواحد » .

وقد نسخ هذا الحكم : وجعلت محرقة كل يوم حمل واحد حولي في كل صباح ، وجعلت تقدمته سدس الايفة من الدقيق ، وثلث الهين من الزيت بما جاء به في الإصحاح السادس والأربعين من كتاب حزقيال « عدد ١٣ - ١٥ » : « وتعمل كل يوم محرقة للرب حملاً حولياً صحيحاً صباحاً صباحاً تعلمه . وتعمل عليه تقدمة صباحاً صباحاً سدس الايفة ، وزيتاً ثلث الهين لرشّ الدقيق تقدمة للرب فريضة أبدية دائمة ، ويعملون الحمل ، والتقدمة ، والزيت صباحاً صباحاً محرقة دائمة » .

٣- وجاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد أيضاً : « عدد ٩ ، ١٠ » :

وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان، وعشران من دقيق ملتوت بزيت مقدمة مع سكييه. محرقة كل سبت فضلاً عن المحرقة الدائمة وسكييها».

وقد نسخ هذا الحكم: وجعلت محرقة السبت ستة حملان وكبش، وجعلت التقدمة إيغة للكبش، وعطية يد الرئيس للحملان، وهين زيت للايغة بما جاء في الاصحاح السادس والأربعين من كتاب حزقيال أيضاً «عدد ٤، ٥»: «والمحرقة التي يقرؤها الرئيس للرب في يوم السبت ستة حملان صحيحة، وكبش صحيح. والتقدمة إيغة للكبش، وللحملان مقدمة عطية يده، وهين زيت للايغة».

٤- وجاء في الاصحاح الثلاثين من سفر العدد «عدد ٢».

«إذا نذر رجل نذراً للرب، أو أقسم أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه، حسب كل ماخرج من فمه يفعل».

وقد نسخ جواز الحلف الثابت بحكم التوراة بما جاء في الاصحاح الخامس من انجيل متى «عدد ٣٣، ٣٤»: «ايضاً سمعتم انه قيل للقديما لاتحنث، بل أوف للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لاتحلفوا البتة».

٥- وجاء في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج «عدد ٢٣ - ٢٥»: «وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس. وعيناً بعين وسناً بسن وبدأ بيد ورجلا برجل. وكتيأ بكئي وجرحاً بجرح ورضاً برض».

وقد نسخ هذا الحكم بالنهي عن القصاص في شريعة عيسى بما جاء في الاصحاح الخامس من انجيل متى «عدد ٣٨»: «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً».

٦- وجاء في الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين «عدد ١٠» في قول الله لابراهيم. «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر». وقد جاء في شريعة موسى إمضاء ذلك. ففي الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج «عدد ٤٨-٤٩»: «وإذا نزل عندك نزيل، وصنع فصحاً للرب فليختن منه كل ذكر، ثم يتقدم ليصنعه فيكون كمولود الأرض وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض، وللنزير النازل بينكم». وجاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين



« عدد ٢، ٣: » إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمئنت علتها تكون نجسة ، وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته .

وقد نسخ هذا الحكم ، ووضع ثقل الختان عن الأمة بما جاء في الاصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل « عدد ٢٤ - ٣٠ » وفي جملة من رسائل بولس الرسول .

٧- وجاء في الاصحاح الرابع والعشرين من التثنية « عدد ١ - ٣: »

« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فان لم تجد نعمة في عينيه ، لأن وجد فيها عيب شيء ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها ، وأطلقها من بيته . ومتى خرجت من بيته ذهب وتصارف لرجل آخر . فان أبغضها الرجل الآخر وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود بأخذها ، لتصير له زوجة . »

وقد نسخ الإنجيل ذلك وحزَم الطلاق بما جاء في الاصحاح الخامس من متى « عدد ٣١ - ٣٢: » « وقيل طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعل الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزني . » ( وقد جاء مثل ذلك في الاصحاح العاشر من مرقس: عدد ١١ ، ١٢ » والاصحاح السادس عشر من لوقا « عدد ١٨ » .

وفيما ذكرناه كفاية لمن القى السمع وهو شهيد . ومن أراد الاطلاع على أكثر من ذلك فليراجع كتابي إظهار الحق <sup>(١)</sup> ، والهدى الى دين المصطفى <sup>(٢)</sup> .

### النسخ في الشريعة الاسلامية :

لا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ ، فان كثيراً من أحكام الشرايع السابقة قد نسخت بأحكام الشريعة الإسلامية ، وإن جملة من أحكام هذه الشريعة قد نسخت بأحكام اخرى من هذه الشريعة نفسها ، فقد صرح القرآن الكريم بنسخ حكم التوجه في الصلاة الى القبلة الاولى ، وهذا مما لا ريب فيه .

وإنما الكلام في أن يكون شيء من أحكام القرآن منسوخاً بالقرآن ، أو بالسنة القطعية ، أو بالاجماع ، أو بالعقل <sup>(٣)</sup> .

١ . للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، وهو كتاب جليل نافع جداً .

٢ . للإمام البلاغي .

٣ . البيان ص ٢٩٧ - ٣٠٣ .

## أقسام النسخ

قال الطوسي (ره) : «ولا يخلو النسخ في القرآن من أقسام ثلاثة :

أحدها - نسخ حكمه دون لفظه - كآية العدة في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة ، فان الحكم منسوخ والتلاوة باقية. وكآية النجوى وآية وجوب ثبات الواحد للعشرة . فان الحكم مرتفع ، والتلاوة باقية . وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ في القرآن ؛ لأن الموجود بخلافه .

والثاني - مانسخ لفظه دون حكمه ، كآية الرجم فان وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه ، والآية التي كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف وهي قوله : ( والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ، فانهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ) .

الثالث - مانسخ لفظه وحكمه ، وذلك نحو مارواه المخالفون من عائشة : أنه كان فيما أنزل الله أن عشر رضعات تحرمن ، ونسخ ذلك بخمس عشرة فنسخت التلاوة والحكم» (١) .

قال ابن جرّي :

« ووقع [ النسخ ] في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى ، كقوله :

لا ترغبوا عن آبانكم فإنه كفر بكم .

الثاني : نسخ اللفظ دون المعنى ، كقوله : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم .

الثالث نسخ المعنى دون اللفظ ، وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عد بعض العلماء مائتا موضع وثننا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وستتكلم على ذلك في مواضعه <sup>(١)</sup> .

قال النهاوندي في ابطال عدّ نسخ التلاوة من أقسام النسخ :

« قد عدّ جمع من العامة من أقسام النسخ نسخ التلاوة ، وذكروا لذلك أمثلة من عبارات مروية من عمر وابنه عبدالله وعائشة وغيرهم من الصحابة . وهذا من الأغلاط المشهورة بينهم والعبارات المنقولة ، التي قالوا : أنها من الآيات المنسوخة التلاوة لا تشبه كلمات فصحاء العرب فضلاً عن آيات القرآن المجيد . والمتأمل المنصف يقطع بأنّها ممّا اختلقه المنافقون لتخريب اساس الدين وتوهين الكتاب المبين ، ويؤيد ذلك بل يشهد عليه أنّه لم ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس والمعتمدين من اصحاب الرسول رضوان الله عليهم ، امثال هذه الروايات مع كونهم اعرف بأيات القرآن من غيرهم ، والعجب من بعض العامة حيث انكروا هذا القسم من النسخ ونفوا كون هذه العبارات المنقولة من القرآن مستدلاً بان الاخبار الواردة اخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على انزال القرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها ، مع أنّ العبارات الباردة المنقولة التي اكثرها رواية ما سموه آية الرجم من قولهم : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما البتة بما قضيا من اللذة نكالا من الله والله عزيز حكيم » ممّا ينادى عند كلّ ذي مسكة بأنه ليس من كلام الله المنزل للعاجز ، بل يستفاد ممّا رواه بعضهم عن عمر أنه قال لولا ان يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله ، لكتبتها ؛ يعني آية الرجم أنه لم يكن أحد مطلعاً على هذه العبارة التي سموها آية مع ان مقتضى كثير من رواياتهم أنه كان يكتب آيات القرآن بشهادة شاهدين ،

فلعل عدم اجترانه على كتابتها في القرآن لعلم جميع الناس بأن مثل هذه العبارة ليس بكلام الله، ولا من آيات القرآن، وأنه ليس اضافتها الى الكتاب العزيز الأفرية وبهتانه<sup>(١)</sup>.

قال الخوئي قدس سره: فقد قسموا النسخ في القرآن الى ثلاثة اقسام:

### ١- نسخ التلاوة دون الحكم:

وقد مثلوا لذلك بأية الرجم، فقالوا: إن هذه الآية كانت من القرآن ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها. وقد قدمنا لك - في بحث التحريف -: أن القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف، وأوضحنا: أن مستند هذا القول اخبار آحاد وأن اخبار الآحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام.

فقد أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد، كما ان القرآن لا يثبت به. والوجه في ذلك - مضافاً الى الإجماع - أن الأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس، وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد، فان اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه، وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن، وانها قد نسخت تلاوتها، وبقي حكمها؟ نعم قد تقدم أن عمر أتى بأية الرجم وادعى انها من القرآن فلم يقبل قوله المسلمون، لان نقل هذه الآية كان منحصرأ به، ولم يشتهوا في المصاحف، فالتزم المتأخرون بأنها آية منسوخة التلاوة باقية الحكم.

### ٢- نسخ التلاوة والحكم:

ومثلوا النسخ التلاوة والحكم معاً بما تقدم نقله عن عائشة في الرواية العاشرة من نسخ التلاوة في بحث التحريف، والكلام في هذا القسم كالكلام على القسم الأول بعينه.

### ٣- نسخ الحكم دون التلاوة:

وهذا القسم هو المشهور بين العلماء والمفسرين، وقد ألف فيه جماعة من العلماء كتباً مستقلة، وذكروا فيها الناسخ والمنسوخ. منهم العالم الشهير أبو جعفر النحاس، والحافظ المظفر الفارسي، وخالفهم في ذلك بعض المحققين، فانكروا وجود المنسوخ في القرآن.

وقد اتفق الجميع على امكان ذلك، وعلى وجود آيات في القرآن ناسخة لأحكام ثابتة في الشرايع السابقة، ولأحكام ثابتة في صدر الإسلام.

ولتوضيح ماهو الصحيح في هذا المقام نقول: إن نسخ الحكم الثابت في القرآن يمكن أن يكون على أقسام ثلاثة:

١- إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنة المتواترة، أو بالاجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم عليه السلام، وهذا القسم من النسخ لا اشكال فيه عقلاً، ونقلًا. فان ثبت في مورد فهو المتبع، وإلا فلا يلتزم بالنسخ. وقد عرفت ان النسخ لا يثبت بنسخ الواحد.

٢- إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بأية اخرى منه ناظرة الى الحكم المنسوخ، ومبينة لرفعه. وهذا القسم أيضاً لا اشكال فيه. وقد مثلوا لذلك بأية النجوى «وسياتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى».

٣- إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بأية اخرى غير ناظرة الى الحكم السابق، ولا مبينة لرفعه، وإنما يلتزم بالنسخ لمجرد التنافي بينهما فيلتزم بأن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة.

والتحقيق: أن هذا القسم من النسخ غير واقع في القرآن، كيف وقد قال الله عز وجل:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن كثيراً من المفسرين وغيرهم لم يتأملوا حق التأمل في معاني الآيات الكريمة، فتوهموا وقوع التنافي بين كثير من الآيات، والتزموا لأجله بأن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة، وحتى أن جملة منهم جعلوا من التنافي ما إذا كانت إحدى الآيتين قرينة عرفية على بيان المراد من الآية الأخرى، كالخاص بالنسبة الى العام، وكالمقيد بالاضافة الى المطلق، والتزموا بالنسخ في هذه الموارد وما يشبهها. ومنشأ هذا قلة التدبر، أو التسامح في اطلاق لفظ النسخ بمناسبة معناه اللغوي، واستعماله في ذلك وان كان شائعاً قبل تحقق المعنى المصطلح عليه، ولكن إطلاقه - بعد ذلك - مبني على التسامح لامحالة<sup>(٢)</sup>.

## الآيات الناسخة والمنسوخة

قال القمي (ره) : «فأما الناسخ والمنسوخ ، فإن عدة النساء كانت في الجاهلية إذا مات الرجل تعتد امرأته سنة ، فلما بعث رسول الله ﷺ لم يتقلهم عن ذلك وتركهم على عاداتهم ، وأنزل الله تعالى بذلك قرأناً ، فقال : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾<sup>(١)</sup> فكانت العدة حولاً ، فلما قوي الإسلام أنزل الله : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾<sup>(٢)</sup> . فنسخت قوله : ﴿ متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾ ، ومثله إن المرأة كانت في الجاهلية إذا زنت تحبس في بيتها حتى تموت ، والرجل يودى ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي الرجل : ﴿ واللذان يأتيناها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنها إن الله كان تواباً رحيماً ﴾<sup>(٤)</sup> . فلما قوي الإسلام أنزل الله : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾<sup>(٥)</sup> ، فنسخت تلك ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى<sup>(٦)</sup> .

قال القمي (ره) : «وأما الآية التي تصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها ، فقوله :

٢ . سورة البقرة الآية : ٢٣٤ .

١ . سورة البقرة الآية : ٢٤٠ .

٤ . سورة النساء الآية ١٦ .

٣ . سورة النساء الآية : ١٥ .

٦ . تفسير القمي ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

٥ . سورة النور الآية : ٢ .

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك أن المسلمين كانوا ينكحون أهل الكتاب من اليهود والنصارى وينكحونهم، فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾<sup>(٢)</sup> فهنئ الله أن ينكح المسلم المشركة أو ينكح المشرك المسلمة، ثم نسخ قوله: ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ بقوله في سورة المائدة: ﴿ وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيموهن أجورهن ﴾<sup>(٣)</sup>، فنسخت هذه الآية قوله: ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ وترك قوله: ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾<sup>(٤)</sup> لم ينسخ، لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشركة، ويحل له أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى، وقوله: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ﴾<sup>(٥)</sup> ثم نسخت هذه الآية بقوله: ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والحر بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾<sup>(٦)</sup> فنسخت قوله: ﴿ النفس بالنفس - إلى قوله - السن بالسن ﴾ ولم ينسخ قوله: ﴿ الجروح قصاص ﴾ فنصف الآية منسوخة ونصفها متروكة<sup>(٧)</sup>.

قال الراغب: «وقد تصور عدة - ممن صنفوا في النسخ - بعض ما هو بيان للمجمل أو تخصيص للعام<sup>(٨)</sup> بصورة الناسخ<sup>(٩)</sup>، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾<sup>(١٠)</sup><sup>(١١)</sup>، قال بعضهم: نسخ ذلك بقوله: ﴿ من كان

١ . سورة انفرة: الآية: ٢٢١.

٢ . سورة المائدة: الآية: ٥.

٣ . سورة المائدة: الآية: ٤٥.

٤ . سورة البقرة: الآية: ١٧٨.

٥ . تفسير القمي ج ١ ص ٢٤ - ٢٥.

٦ . في نسخة: العام.

٧ . انظر - في هذا - البابين اللذين عقدهما مكي في كتاب « الإيضاح »: الأول: باب الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء. والثاني - بعنوان - باب بيان النسخ والتخصيص وتقبله من ص: ٧٦ - ٨٦.

٨ . سورة النساء: الآية: ١٠.

٩ . كلام الراغب - هنا - سيفيد أن قوله: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾ منسوخ بقوله: ﴿ ومن كان غنياً فليستغف ﴾ بينا الوارد في كتاب الإيضاح على التقيض من ذلك، حيث يقول مكي ص ١٧٥ - ١٧٦: قوله تعالى:

﴿ ومن كان غنياً فليستغف ﴾ ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾: أبحاث هذه الآية في ظاهر نصها للوصي إذا ع

غنياً فليستغف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴿<sup>(١)</sup>﴾، وهذابيان ما ليس بظلم من أكل مالهم، ونحو قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾، قال: فلم تحرم. ثم قال: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ - الآية - وهذا أيضاً بيان الأول. ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ وذلك أن ما كان مضرته أكثر من منفعتها ﴿<sup>(٥)</sup>﴾، فالعمل بالجملة يقتضي، لكن لما كان غير صريح أكدته بالآية الأخرى [ذلك] ﴿<sup>(٦)</sup>﴾.

ومن التخصيص الذي يعد نسخاً قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن﴾ ، مع قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾ ﴿<sup>(٧)</sup>﴾.

⇒ كان فقيراً أن يأكل من مال يتيمة بالمعروف، وهي عند ابن عباس منسوخة بقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ الآية - وقاله زيد بن أسلم -، وقيل: نسخت بقوله: ﴿ولأنكأ أموالكم بينكم بالباطل﴾ - سورة: الآية البقرة: ١٨٨ - وقال أهل العراق: لا يأكل الوصي من مال يتيمة شيئاً إلا أن يسافر من أجله فله أن يتقوت من ماله ولا يقتني. وقال جماعة من العلماء: الآية بحكمة غير منسوخة ومعنى: ﴿بالمعروف﴾ قرضاً يؤديه إذا أيسر. وقوله: ﴿فاشهدوا عليهم﴾ قيل معناه: فااسترضم من أموالهم، وهذا القول مروى عن عمر وابن عباس وأنسجي وابن جبير.

- وانظر بقية الأقوال في الإيضاح: ١٧٥ - ١٧٦  
١. سورة النساء: الآية ٦.  
٢. سورة البقرة: الآية ٢١٩.  
٣. سورة المائدة: الآية ٩٠.  
٤. في نسخة: للأول.  
٥. في نسخة: نفعه.

٦. قال مكّي في الإيضاح: - قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية - : أكثر العلماء على أنها ناسخة لما كان مباحاً من شرب الخمر، لأنه تعالى أخبرنا أن في الخمر إثمًا وأخبرنا أن الإثم محرم بقوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾ فنص على أن الإثم محرم وأخبر أن في شرب الخمر إثمًا، فهي محرمة بالنص الظاهر الذي لا إشكال فيه - وما حرم: كثيره أو قليله حرام - كلحم الخنزير والميتة والدم. وسورة البقرة مدنية فلا يعترض على ما فيها بما نزل في الأنعام المكية في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيها أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون...﴾ لأن هذا التحريم نزل بمكة، والخمر نزل تحريمها بالمدينة، وزادنا الله تأكيداً في تحريم الخمر بقوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ !! فهذا تهديد ووعيد يدلان على تأكيد التحريم للخمر... وقال ابن جبير لما نزلت: ﴿قل فيها إثم كبير ومنافع للناس﴾ كره الخمر قوم للآثم وشربها قوم للمنافع حتى نزل: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فتركوها عند الصلاة حتى نزلت: ﴿فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ فحرمت. فهذا يدل على أن آية البقرة منسوخة بآية المائدة، والمائدة نزلت بعد البقرة بلا شك... .

٧. قال مكّي في كتاب الإيضاح: ٧٦ - ٧٧:

قال الله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن﴾ البقرة: ٢٢١ فمّم هذا اللفظ تحريم نكاح كل مشركة من كتابية وغيرها، ثم خصص ذلك بقوله في المائدة: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ فأحل نكاح الكتابية، فخرج الكتابيات من عموم آية البقرة، وبقيت الآية مخصوصة في تحريم نكاح كل مشركة غير كتابية، فبين بالتخصيص الأعيان، المحرمات، ولا يكون هذانسخاً، لأن حكم النسخ إزالة الحكم الأول بكليته، ولأن النسخ إنما هو بيان الزمان الذي انتهى إليه العمل بالفرض المنسوخ، وليس ذلك في هذا.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: آية المائدة ناسخة لآية البقرة، وهذا إنما يجوز على أن تكون آية البقرة



وعلى هذا ما حكى أنه [لما نزل قوله تعالى: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ﴾ <sup>(١)</sup> شق ذلك على بعض أولي الضرر فنزل قوله تعالى: ﴿ غير أولي الضرر ﴾ مقروناً بقوله تعالى: ﴿ القاعدون من المؤمنين ﴾ . وهذا القدر يدل على كثير مما ذكره من أمثال ذلك ] <sup>(٢)</sup>.

قال ابن جرّي: « ونقدّم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعمو عنهم والإعراض والصبر على اذاهم ، بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه ، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، ففي البقرة: ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ ولنا أعمالنا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ﴿ ولا تعتدوا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أي لا تبدأوا بالقتال ، ﴿ ولا تقاتلوه ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ﴿ قل قتال ﴾ <sup>(٧)</sup> ، ﴿ لا إكراه ﴾ <sup>(٨)</sup> وفي آل عمران: ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، ﴿ منهم تقاة ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، وفي النساء: ﴿ فأعرض عنهم ﴾ <sup>(١١)</sup> في موضعين: ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيزاً ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، ﴿ لا تكلف إلا نفسك ﴾ <sup>(١٣)</sup> ، ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ <sup>(١٤)</sup> ، وفي المائدة: ﴿ ومن آمن ﴾ <sup>(١٥)</sup> ، ﴿ عليك البلاغ ﴾ <sup>(١٦)</sup> ، ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ <sup>(١٧)</sup> ، وفي الأنعام: ﴿ لست عليكم بوكيل ﴾ <sup>(١٨)</sup> ، ﴿ ثم ذرهم ﴾ <sup>(١٩)</sup> ، ﴿ عليكم بحفيظ ﴾ <sup>(٢٠)</sup> ، ﴿ وأعرض ﴾ <sup>(٢١)</sup> ، ﴿ عليهم حفيزاً ﴾ <sup>(٢٢)</sup> ، ﴿ ولا تسبوا ﴾ <sup>(٢٣)</sup> قدرهم في موضعين: ﴿ يا قوم اعملوا ﴾ <sup>(٢٤)</sup> ، ﴿ ثم

جبراد بها الكتابيات خاصة حرّ من إلى وقت ، ثم نسخت بآية المائدة في وقت آخر ، فبين الأزمان بالنسخ ، وذهب الحكم الأول بكليته . والاستثناء والتخصيص يزيدان بعض الحكم الأول . والنسخ يزيد الحكم كله فاعرفه . ويكون تحريم نكاح المشركات من غير أهل الكتاب بالسنة . فكون آية المائدة محصنة لآية البقرة أولى من كونها ناسخة لها . ليكون تحريم نكاح المشركات من غير أهل الكتاب بنص القرآن . فذلك ظاهر اللفظ »

- |                                    |                                  |
|------------------------------------|----------------------------------|
| ١ . سورة النساء : الآية ٩٥ .       | ٢ . جامع التفسير ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ . |
| ٣ . سورة البقرة : الآية ٨٣ .       | ٤ . سورة البقرة : الآية ١٣٩ .    |
| ٥ . سورة البقرة : الآية ١٩٠ .      | ٦ . سورة البقرة : الآية ١٩١ .    |
| ٧ . سورة البقرة : الآية ٢١٧ .      | ٨ . سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .    |
| ٩ . سورة آل عمران : الآية ٢٠ .     | ١٠ . سورة آل عمران : الآية ٢٨ .  |
| ١١ . سورة النساء : الآية ٦٣ و ٨١ . | ١٢ . سورة النساء : الآية ٨٠ .    |
| ١٣ . سورة النساء : الآية ٨٤ .      | ١٤ . سورة النساء : الآية ٩٠ .    |
| ١٥ . سورة المائدة : الآية ٦٩ .     | ١٦ . سورة المائدة : الآية ٩٢ .   |
| ١٧ . سورة المائدة : الآية ١٠٥ .    | ١٨ . سورة الأنعام : الآية ٦٦ .   |
| ١٩ . سورة الأنعام : الآية ٩١ .     | ٢٠ . سورة الأنعام : الآية ١٠٤ .  |
| ٢١ . سورة الأنعام : الآية ١٠٦ .    | ٢٢ . سورة الأنعام : الآية ١٠٧ .  |
| ٢٣ . سورة الأنعام : الآية ١٠٨ .    | ٢٤ . سورة الأنعام : الآية ١٣٥ .  |

انظروا ﴿١١﴾، ﴿لست منهم في شيء﴾ ﴿٢﴾، وفي الاعراف: ﴿واعرض﴾ ﴿٣﴾، و: ﴿املى لهم﴾ ﴿٤﴾، وفي الانفال: ﴿وان استنصروكم﴾ ﴿٥﴾ يعني المجاهدين. وفي التوبة: ﴿فاستقيموا لهم﴾ ﴿٦﴾ وفي يونس: ﴿فانتظروا﴾ ﴿٧﴾، ﴿فقل لي عملى﴾ ﴿٨﴾، ﴿واما نرينك﴾ ﴿٩﴾، ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ ﴿١٠﴾، ﴿لما يقتضى من الإمهال﴾، ﴿أفأنت تكره﴾ ﴿١١﴾، ﴿فمن اهتدى﴾ ﴿١٢﴾ لأن معناه الإمهال، ﴿واصبر﴾ ﴿١٣﴾، وفي هود: ﴿إنما أنت نذير﴾ ﴿١٤﴾ أي تنذر ولا تجبر، ﴿اصموا على مكاتكم﴾ ﴿١٥﴾، ﴿انتظروا﴾ ﴿١٦﴾، وفي الرعد: ﴿عليك البلاغ﴾ ﴿١٧﴾، وفي النحل: ﴿إلا البلاغ﴾ ﴿١٨﴾، ﴿عليك البلاغ﴾ ﴿١٩﴾، ﴿وجادلهم﴾ ﴿٢٠﴾، ﴿واصبر﴾ ﴿٢١﴾، وفي الإسراء: ﴿ريكم أعلم بكم﴾ ﴿٢٢﴾، وفي مريم: ﴿وأنذرهم﴾ ﴿٢٣﴾، ﴿فليمدد﴾ ﴿٢٤﴾، ﴿فلا تمجل﴾ ﴿٢٥﴾، وفي طه: ﴿قل كل مرتبص﴾ ﴿٢٦﴾، وفي الحج: ﴿وان جادلوك﴾ ﴿٢٧﴾، وفي المؤمنين: ﴿فذرهم﴾ ﴿٢٨﴾، ﴿ادفع﴾ ﴿٢٩﴾، وفي النور: ﴿فان تولوا﴾ ﴿٣٠﴾، ﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ ﴿٣١﴾، وفي النمل: ﴿فمن اهتدى﴾ ﴿٣٢﴾، وفي القصص: ﴿لنا أعمالنا﴾ ﴿٣٣﴾، وفي العنكبوت: ﴿أنا نذير﴾ ﴿٣٤﴾ لما يقتضى من عدم الإجبار، وفي الروم:

١. سورة الانعام: الآية ١١.	٢. سورة الانعام: الآية ١٥٩.
٣. سورة الاعراف: الآية ١٩٩.	٤. سورة الاعراف: الآية ١٨٣.
٥. سورة الانفال: الآية ٧٢.	٦. سورة التوبة: الآية ٧.
٧. سورة يونس: الآية ٢٠.	٨. سورة يونس: الآية ٤٦.
٩. سورة يونس: الآية ٤٦.	١٠. سورة يونس: الآية ٦٥.
١١. سورة يونس: الآية ٩٩.	١٢. سورة يونس: الآية ١٠٨.
١٣. سورة يونس: الآية ١٠٩.	١٤. سورة هود: الآية ١٢.
١٥. سورة هود: الآية ٩٣.	١٦. سورة هود: الآية ١٢٢.
١٧. سورة الرعد: الآية ٤٠.	١٨. سورة النحل: الآية ٣٥.
١٩. سورة النحل: الآية ٨٢.	٢٠. سورة النحل: الآية ١٢٥.
٢١. سورة النحل: الآية ١٢٧.	٢٢. سورة الإسراء: الآية ٥٤.
٢٣. سورة مريم: الآية ٢٩.	٢٤. سورة مريم: الآية ٧٥.
٢٥. سورة مريم: الآية ٨٤.	٢٦. سورة طه: الآية ١٣٥.
٢٧. سورة الحج: الآية ٦٨.	٢٨. سورة المؤمنون: الآية ٥٤.
٢٩. سورة المؤمنون: الآية ٩٦.	٣٠. سورة النور: الآية ٥٤.
٣١. سورة النور: الآية ٥٤.	٣٢. سورة النمل: الآية ٧٢.
٣٣. سورة القصص: الآية ٥٥.	٣٤. سورة العنكبوت: الآية ٥٠.

﴿ فاصبر ﴾<sup>(١)</sup>، وفي لقمان: ﴿ ومن كفر ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي السجدة: ﴿ فانظروا ﴾<sup>(٣)</sup>،  
 وفي الأحزاب: ﴿ ودع أذاهم ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي سبأ: ﴿ قل لاتسألون ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي فاطر:  
 ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾<sup>(٦)</sup>، وفي يس: ﴿ فلا يحزنك ﴾<sup>(٧)</sup>، وفي الصافات: ﴿ فتول ﴾<sup>(٨)</sup>،  
 ﴿ وتول ﴾<sup>(٩)</sup>، وما يليهما، وفي ص: ﴿ اصبر ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿ أنا نذير ﴾<sup>(١١)</sup>، وفي الزمر: ﴿ إن الله  
 يحكم بينهم ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿ لما فيه من الإمهال ﴾، ﴿ فاعبدوا ما شئتم ﴾<sup>(١٣)</sup>، ﴿ يا قوم اعملوا ﴾<sup>(١٤)</sup>،  
 ﴿ فمن اهتدى ﴾<sup>(١٥)</sup>، ﴿ أنت تحكم ﴾<sup>(١٦)</sup>، لأن فيه تفويضا، وفي المؤمن: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(١٧)</sup> في  
 موضعين، وفي السجدة: ﴿ ادفع ﴾<sup>(١٨)</sup>، وفي الشورى: ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾<sup>(١٩)</sup>، ﴿ لنا  
 أعمالنا ﴾<sup>(٢٠)</sup>، ﴿ فإن عرضوا ﴾<sup>(٢١)</sup>، وفي الزخرف: ﴿ فذرهم ﴾<sup>(٢٢)</sup>، ﴿ فاصفح ﴾<sup>(٢٣)</sup>، [وفي  
 الذخان]: ﴿ فارتقب ﴾<sup>(٢٤)</sup>، وفي الجاثية: ﴿ يفرؤا ﴾<sup>(٢٥)</sup>، وفي الأحقاف: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(٢٦)</sup>،  
 وفي القتال: ﴿ فبأئنا ﴾<sup>(٢٧)</sup>، وفي ق: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(٢٨)</sup>، ﴿ وما أنت ﴾<sup>(٢٩)</sup>،  
 وفي الذاريات: ﴿ قول ﴾<sup>(٣٠)</sup>، وفي الطور: ﴿ قل تربصوا ﴾<sup>(٣١)</sup>، ﴿ واصبر ﴾<sup>(٣٢)</sup>، ﴿ فذرهم ﴾<sup>(٣٣)</sup>،  
 وفي النجم: ﴿ فأعرض ﴾<sup>(٣٤)</sup>، وفي القمر: ﴿ يقول ﴾<sup>(٣٥)</sup>، وفي ن: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(٣٦)</sup>،

- |                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ١. سورة الروم: الآية ٦٠.        | ٢. سورة نهمان: الآية ١٢.    |
| ٣. سورة السجدة: الآية ٣٠.       | ٤. سورة الاحزاب: الآية ٤٨.  |
| ٥. سورة سبأ: الآية ٢٥.          | ٦. سورة فاطر: الآية ٢٣.     |
| ٧. سورة يس: الآية ٧٦.           | ٨. سورة الصافات: الآية ١٧٤. |
| ٩. سورة الصافات: الآية ١٧٨.     | ١٠. سورة ص: الآية ١٧.       |
| ١١. سورة ص: الآية ٧٠.           | ١٢. سورة الزمر: الآية ٣.    |
| ١٣. سورة الزمر: الآية ١٥.       | ١٤. سورة الزمر: الآية ٣٩.   |
| ١٥. سورة الزمر: الآية ٤١.       | ١٦. سورة الزمر: الآية ٤٦.   |
| ١٧. سورة المؤمن: الآية ٥٥ و ٧٧. | ١٨. سورة فصلت: الآية ٣٤.    |
| ١٩. سورة الشورى: الآية ٦.       | ٢٠. سورة الشورى: الآية ١٥.  |
| ٢١. سورة الشورى: الآية ٤٨.      | ٢٢. سورة الزخرف: الآية ٨٣.  |
| ٢٣. سورة الزخرف: الآية ٨٩.      | ٢٤. سورة الدخان: الآية ١٠.  |
| ٢٥. سورة الجاثية: الآية ١٤.     | ٢٦. سورة الاحقاف: الآية ٣٥. |
| ٢٧. سورة محمد: الآية ٤.         | ٢٨. سورة ق: الآية ٣٩.       |
| ٢٩. سورة ق: الآية ٤٥.           | ٣٠. سورة الذاريات: الآية ٨. |
| ٣١. سورة الطور: الآية ٣١.       | ٣٢. سورة الطور: الآية ٤٨.   |
| ٣٣. سورة الطور: الآية ٤٥.       | ٣٤. سورة النجم: الآية ٢٩.   |
| ٣٥. سورة القمر: الآية ٨.        | ٣٦. سورة القلم: الآية ٤٨.   |

﴿ سنستدرجهم ﴾<sup>(١١)</sup>، وفي المعارج: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿ فذرهم ﴾<sup>(١٣)</sup>، وفي المزمل: ﴿ واهجرهم ﴾<sup>(١٤)</sup>، ﴿ وذرنى ﴾<sup>(١٥)</sup>، وفي المدثر: ﴿ ذرنى ﴾<sup>(١٦)</sup>، وفي الإنسان: ﴿ فاصبر ﴾<sup>(١٧)</sup>، وفي الطارق: ﴿ فمهل الكافرين ﴾<sup>(١٨)</sup>، وفي العاشية: ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾<sup>(١٩)</sup>، وفي الكافرين: ﴿ لكم دينكم ﴾<sup>(٢٠)</sup>، نسخ ذلك كله: ﴿ اقتلوا المشركين ﴾<sup>(٢١)</sup>، و ﴿ كتب عليكم القتال ﴾<sup>(٢٢)</sup>،<sup>(١٣)</sup>

قال النهاوندي (ره): « منها اربعة احكام في سورة البقرة .

احدها قوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾<sup>(١٤)</sup>، عن التهذيب والخصال عن الصادق عليه السلام وعن العياشي عن الباقر عليه السلام: أنها نزلت في أهل الذمة أي أهل الكتاب، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾<sup>(١٥)</sup>.

وعن القمي رحمه الله: انها نزلت في اليهود، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾<sup>(١٦)</sup>، وورد عليه بان قوله تعالى: ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ حكاية للحكم الذي أخذ الله الميثاق من بني اسرائيل على العمل به ؛ لانه في ضمن آية: ﴿ واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبأولو الذين إحصاناً وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ثم توليتهم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴾، فليس هذا الحكم من أحكام هذه الامة حتى يعد من المنسوخ . ويمكن دفعه بان اخذ الميثاق والعهد المؤكد من بني اسرائيل على هذه الواجبات التي

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| ١ . سورة القلم : الآية ٤٤ .   | ٢ . سورة المعارج : الآية ٥ .   |
| ٣ . سورة المعارج : الآية ٤٢ . | ٤ . سورة المزمل : الآية ١٠ .   |
| ٥ . سورة المزمل : الآية ١١ .  | ٦ . سورة المدثر : الآية ١١ .   |
| ٧ . سورة الانسان : الآية ٦ .  | ٨ . سورة الطارق : الآية ١٧ .   |
| ٩ . سورة العاشية : الآية ٢٢ . | ١٠ . سورة الكافرون : الآية ٦ . |
| ١١ . سورة التوبة : الآية ٥ .  | ١٢ . سورة البقرة : الآية ٢١٦ . |
| ١٣ . التسهيل ج ١ ص ١١ .       | ١٤ . سورة البقرة : الآية ٨٣ .  |
| ١٥ . سورة التوبة : الآية ٢٩ . | ١٦ . سورة التوبة : الآية ٥ .   |

بحكم العقل بحسنها دال على جريانه في جميع الاعصار على جميع الامم ، ولما كان المراد من الناس - في مخاطبة بني اسرائيل - خصوص قبيلتهم لانهم كانوا مأمورين بالجهاد مع غيرهم من الكفار ، كانوا مخصوصين في هذه الامة المرحومة بحسن القول والمخاطبة معهم، وسيجيء عند تفسير الآية الكريمة بعض الكلام فيها انشاء الله تعالى .

وثانيهما : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يَؤْمِنَ ﴾ <sup>(١)</sup> وعن القمي والنعمانى رحمهما الله وكثير من العامة : انها منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ اَلَّذِيْنَ اٰتٰهُمُ الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ اِذَا اَتَيْتُوهُنَّ اِجْوَارَهُنَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال القمي رحمه الله : وترك قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَؤْمِنُوْا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا يخفى أنه قد اختلفت رواياتنا في الناسخ منهما ، وليس في المقام مجال البسط في الكلام .

ثالثها : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ يَتَّوَفُّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُوْنَ اَزْوَاجًا وَّصِيَّةً لِّاَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا اِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ اِخْرَاجٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، روى العياشي والطبرسي رحمهما الله عن الصادق عليه السلام : كان في بدو الاسلام اذا مات الرجل انفق على امرأته من صلب المال حولاً ، ثم اخرجت بلا ميراث ، ثم نسختها آية الربع والثلث .

وعنه وعن الباقر عليه السلام : هي منسوخة نسختها : ﴿ يَتَرَبِّصْنَ اَنْفُسِهِنَّ اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ونسختها آيات الميراث .

اقول : يعنى نسخت المدة بأية التربص والنفقة بآيات الميراث ، وهي وان كانت متقدمة في الترتيب والتلاوة الا انها متأخرة في النزول ويأتي بعض الكلام فيه عند تفسيرها انشاء الله تعالى .

رابعها : قوله تعالى : ﴿ اِنْ تُبَدُّوْا مَا لِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تَخَفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهٖ اللّٰهُ ﴾ <sup>(٦)</sup> في الاحتجاج عن الكاظم عن ابائه عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر مناقب النبي صلى الله عليه وآله قال : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنَىٰ فَاَوْحٰى اِلَىٰ عِبْدِهٖ مَا اَوْحٰى ﴾ فكان فيما

٢ . سورة المائدة : الآية ٥ .

٤ . سورة البقرة : الآية ٢٤ .

٦ . سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

١ . سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

٣ . سورة البقرة : الآية ٢٢١ .

٥ . سورة البقرة : الآية ٢٣٤ .

أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقد كانت الآية عرضت على الانبياء من لدن آدم الى ان بعث الله تبارك اسمه محمدا، وعرضت على الامم فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبيلها رسول الله ﷺ وعرضها على امته فقبلوها، فلما رأى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها، فلما صار الى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال: آمن الرسول الى ان قال الكاظم عليه السلام: «ثم قال الله عز وجل: اما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك، وقال: ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾ الخبر.

وروى الفخر الرازي في تفسيره عن ابن عباس انه قال: لما نزلت الآية جاء ابو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف وناس الى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ﷺ كلفنا من العمل ما لا نطيق، ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه وان له الدنيا، فقال النبي ﷺ: «فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، قَوْلُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» واشتد ذلك عليهم فمكثوا في ذلك حولا، فانزل الله: ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، فنسخت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ان الله تجاوز عن امتي ما حدثوا به انفسهم مالم تعلقوا وتكلموا به».

اقول: قد دلت هذه الرواية ان الرهط الذين شكوا الى النبي ﷺ شدة الآية لم يكونوا داخلين فيمن قبلها، ولذلك قال لهم النبي ﷺ: «فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا واطعنا» وليس في الرواية انهم قالوا سمعنا واطعنا بعد امرهم النبي ﷺ بهذا القول.

ومنها - في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، عن العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عنها فقال: «منسوخة» قيل: وما نسخها؟

٢. سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

٣. سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

قال: «قول الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ومن طرق العامة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية شق ذلك على المسلمين؛ لأن حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفه عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى، والعباد لا طاقة لهم بذلك، فانزل الله تعالى بعد هذه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ونسخت هذه الآية اولها ولم ينسخ آخرها.

اقول المراد من قوله: والعباد لا طاقة لهم بذلك؛ هي الطاقة والقدرة العرفية وهي عدم العسر والحرج في العمل مع بقاء القدرة العقلية، فيكون حاصل كلامه: أن الله أمر عباده بالتقوى التي فيها العسر والحرج، ثم خفف عنهم بان امرهم بالتقوى التي استطاعوها بالاستعاذة العرفية وهي ما لا حرج فيه، فلم يكن في المنسوخ التكليف بغير المقدور حتى يستدل به على جوازه كما ذهب إليه المشهور من أهل السنة.

ومنها - في سورة النساء قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَسْكَبْنَ فِي الْيُبُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>.

عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية قال: «هي منسوخة»، قيل: كيف كانت؟ قال: «كانت المرأة اذا فجرت فقام عليها أربعة شهود ادخلت بيتاً ولم تحدث ولم تكلم ولم تجالس واوتيت بطعامها وشرابها حتى تموت أو يجعل الله لهن سبيلاً قال: جعل السبيل الجلد والرجم وعن العياشي عنه عليه السلام: «هي منسوخة»، والسبيل الحدود. وعن القمي رحمه الله فيها وفي الآية التي بعدها: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأُصْلِحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾<sup>(٣)</sup>، قال: كان في الجاهلية اذا زنى الرجل يؤذى والمرأة تحبس الى أن تموت، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾<sup>(٤)</sup> الآية.

أقول: لا يبعد ان يكون إطلاق التسخ بالنسبة الى الآية الاولى على خلاف المصطلح؛ لأن الحكم فيها معنى بجعل السبيل فلا يكون جعل السبيل وهو الحدود ناسخاً.

٢. سورة النساء: الآية ١٥.

١. سورة التباين: الآية ١٦.

٤. سورة النور: الآية ٢.

٣. سورة النساء: الآية ١٦.

ومنها - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(١)</sup> عن العياشي عن الباقر والصادق عليهما السلام: نسختها آية الفرائض، وعن القمي رحمه الله: هي منسوخة بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عن الباقر عليه السلام انه سئل أمنسوخة هي؟ قال: «لا إذا حضروا فاعطهم».

اقول: نسخها بلحاظ حكم الوجوب وعدم نسخها باعتبار الاستحباب.

ومنها - في سورة الانفال قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾<sup>(٣)</sup> فانه نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَلَّا نَحْقَقَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup>، عن الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث ذكر فيه الآية فقال: «نسخ الرجلان العشرة» وعن القمي ما يقرب منه.

ومنها - في سورة الاحزاب قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾<sup>(٥)</sup>، فانه حكى بعض اصحابنا قولاً بانها منسوخة بقوله تعالى: ﴿تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُزْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup> ولم اظفر على رواية دالة عليه.

ومنها - في سورة الممتحنة<sup>(٧)</sup> قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوِيكُمْ صَدَقَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> عن الباقر عليه السلام انه سئل عن هذه الآية فقال: «قدم على بن ابي طالب بين يدي نجواه صدقة، ثم نسخها قوله: ﴿ءاشفقتم﴾<sup>(٩)</sup>». وقد استدلل الخاصة والعامه بهذه الآية على فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام على غيره من الصحابة، وتقريره انه سبق سائر الصحابة الى العمل بمضمونها، وبعد عمله بها نسخت فكان نزولها بيانا لأفضليته عليهم؛ لمسارعتة الى قبول أوامر الله تعالى والعمل بها قبلهم فكان افضل منهم. وقال بعض اصحابنا: فيه تكذيب لمن يدعى من أهل السنة ان ابا بكر كان ذا مال وكان

- |                                     |                              |
|-------------------------------------|------------------------------|
| ١ - سورة النساء: الآية ٨.           | ٢ - سورة النساء: الآية ١١.   |
| ٣ - سورة الانفال: الآية ٦٥.         | ٤ - سورة الانفال: الآية ٦٦.  |
| ٥ - سورة الاحزاب: الآية ٥٤.         | ٦ - سورة الاحزاب: الآية ٥١.  |
| ٧ - هذا خطأ والصحيح: سورة المجادلة. | ٨ - سورة المجادلة: الآية ١٢. |
| ٩ - سورة المجادلة: الآية ١٢.        |                              |



يصرف امواله في سبيل الله ، حيث ان من بخل بصدقة درهم او درهمين بين يدي نجوى النبي ﷺ ورضي بمفارقته عشرة ايام وترك مكالمته كيف يرضى بانفاق المال الكثير؟! .  
ومنها - في سورة المزمل قوله تعالى : ﴿ اِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ اَنَّكَ تَقُومُ اَدْنَىٰ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَةَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، عن القمي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية «ففعّل ذلك النبي ﷺ ويشر الناس به واشتد ذلك عليهم» : ﴿وعلم ان لن تحصوه﴾ ، وكان الرجل يقوم ولا يدري متى يستصف الليل ومتى يكون الثلثان ، وكان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظه ، فانزل الله : ﴿عَلِمَ اَنْ لَنْ نُحْصُوهُ﴾ ، يقول : متى يكون النصف والثلث نسخت هذه الآية ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ <sup>(٢)</sup> . واما ما عدّه العامة من الآيات المنسوخة مضافا الى ما ذكرنا يأتي .  
ومنها - قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ وَالَّذِيْنَ عَقَدْتُمْ اَيْمَانَكُمْ فَاَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> قالوا : كان الرجل يعاقد الرجل فيقول : دمي دمك وهدمي هدمك وسلمي سلمك وحربي حريك ، وترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ، فنسخ بقوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وعن القمي رحمه الله : ﴿وأولوا الأرحام﴾ نسخت قوله : ﴿والذين عقدت﴾ ، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : «اذا والى الرجل الرجل فله ميراثه وعليه معقلته» يعنى دية جنابة خطئه فتدل هذه الرواية على انها غير منسوخة على الاطلاق ، ويجمع بينها وبين الروايات السابقة بان آية اولوا الارحام نسخت اطلاق حكيمها وقيدتها بصورة ، فقد اولى الارحام كما عليه الاصحاب .  
وقال بعض العامة : معناه اعطوهم نصيبهم من النصر والعقل والرغد ولا ميراث ، وعلى هذا فلا تكون أيضا منسوخة

ومنها - قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> فكان يحرم عليهم الجماع في الليل مطلقا على قول أو بعد صلاة العشاء أو بعد النوم ؛ وهذا حكم صوم اهل الكتاب فنسخ بقوله تعالى : ﴿ اَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ اِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> وبإلى ان به قال النعماني من أصحابنا .

٢ .سورة المزمل : الآية ٢٠ .

٤ .سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

٦ .سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

١ .سورة المزمل : الآية ٢٠ .

٣ .سورة النساء : الآية ٣٣ .

٥ .سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

وفيه، أنه لا دلالة في قوله تعالى: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ على حرمة الرفث في الليل للمصائم، ولم يرد في اخبار اهل البيت ما يدل على اعادة هذا الحكم من التشبيه، بل فيها ما يدل على خلافه، حيث انه فسر بان الصوم واجب عليكم كوجوبه على سائر الامم أو على خصوص الانبياء السلف، وظاهر هذا التفسير تشبيه الوجوب بالوجوب لا تشبيه الواجب، بالواجب مع انه لم يثبت ان من احكام صوم الذين من قبلهم حرمة الجماع عليهم بالليل حتى يدخل في كفيات الصوم الذي هو في الشرع الامساك في النهار عن الامور المعينة.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ ﴾ (١)، قال بعض العامة: كان المسلمون مخيرين بين الصوم والغدية في اول الامر، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢) والمروي عن الصادق عليه السلام: ان المراد بذلك الحامل المقرب والمرضعة القليلة اللبن والشيخ والشيخة، وفي رواية المرأة التي تخاف على ولدها والشيخ الكبير، وعن الباقر عليه السلام قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش.

اقول: على هذه الروايات ليست الآية منسوخة.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣)، قال بعض العامة: إنها نسخت بأية الميراث، وانكر النسخ بعض اصحابنا، وقد وردت اخبار كثيرة ببقاء حكمها، وان روى العياشي عن احدهما عليه السلام: انها منسوخة بأية المواريث الا أنها محمولة على التقية لموافقها مذهب العامة، ويحتمل بعيدا حملها على نسخ الوجوب مع بقاء الاستحباب والرجحان.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿ يَسْتَلُونَكَ حَتَّى الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ (٤)، قال بعض العامة: انها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ (٥). وفيه، ان الآية الاولى مخصصة للسانية لا منسوخة، وعن المجمع: انها لم تنسخ لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال.

٢. سورة البقرة: الآية ١٨٥.

٤. سورة البقرة: الآية ٢١٧.

١. سورة البقرة: الآية ١٨٤.

٣. سورة البقرة: الآية ١٨٠.

٥. سورة التوبة: الآية ٣٦.

ومنها - قوله تعالى في المائدة: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾<sup>(١)</sup>، قال بعض العامة: ان هذا الحكم منسوخ بأية القتال.

وفيه، انه روي عن الباقر عليه السلام: «انه لم ينسخ من سورة المائدة شيء» الخبر. مع انه لا وجه للقول بالنسخ مع امكان التخصيص كما ذكرنا في الاية السابقة.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قالوا: ان الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفيه، انه روي في التهذيب عن الباقر عليه السلام: «ان الحكم اذا اتاه اهل التوراة والانجيل يتحاكمون اليه كان ذلك اليه انشاء حكم بينهم وان شاء تركهم» انتهى. وعليه لا تكون منسوخة.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> قال: هي منسوخة بقوله: ﴿وَاشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفيه، ان التخصيص اولى من النسخ، وقد اتفق النص والفتوى على جواز شهادة اهل الكتاب اذا كانوا عدولاً في دينهم في خصوص الوصية في السفر اذا لم يجد الموصى مسلماً.

ومنها - قوله تعالى في سورة البراءة: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾<sup>(٦)</sup>. قالوا: هي منسوخة بأيات العذر. وفيه، انها مخصصة لا ناسخة كما يشهد عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

ومنها - قوله تعالى في سورة النور: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

٢. سورة المائدة: الآية ٤٢.

٤. سورة المائدة: الآية ١٠٦.

٦. سورة التوبة: الآية ٤٦.

٨. سورة النور: الآية ٣.

١. سورة المائدة: الآية ٢.

٣. سورة المائدة: الآية ٤٩.

٥. سورة الطلاق: الآية ٢.

٧. سورة النساء: الآية ٩٥.

قالوا: انها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وفيه، ان ظاهر الآية الاولى يدل على جواز نكاح الزاني المسلم للمشركة وجواز نكاح المشرك للزانية المسلمة، والظاهر ان هذا الحكم لم يكن في وقت من الاوقات فلا بد من حمل الآية على الزاني والزانية الكافرين بقريته قوله: ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن الواضح ان حرمة نكاح الزاني الكافر والمشرک للمؤمنة ونكاح الزانية الكافرة والمشركة للمؤمن غير منسوخة، وروايات اهل البيت وان كانت متعارضة في جواز نكاح الزانية قبل التوبة الآن الاخبار المانعة غير معمول بها عند المشهور من اصحابنا، فلا بد من حملها على الكراهة. والحاصل: انه لم يثبت من طريق اهل البيت عليهم السلام نسخ لحكم الآية الاولى، بل الظاهر من الروايات العديدة عدمه وتفسيرها بالمشهورات بالزنا.

ومنها - قوله تعالى في تلك السورة: ﴿لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال بعضهم: انها منسوخة. ولم يذكر الناسخ وانكره بعض آخر منهم، ولم اظفر في رواياتنا ما يدل على نسخها.

ومنها - قوله تعالى في سورة الاحزاب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾<sup>(٣)</sup>، قالوا: هي منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي﴾<sup>(٤)</sup> الآية. وفيه، انه لم افهم له وجه ولم يرد فيه خبر.

ومنها - قوله تعالى في الممتحنة: ﴿فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

قال بعض منهم: انها منسوخة بآية السيف، وبعض آخر بآية الغنيمة.

ومنها - قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> قالوا: منسوخة بآية الزكاة.

ومنها - قوله تعالى في سورة التين: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، قالوا: منسوخة

١. سورة التور: الآية ٣٢.

٢. سورة الاحزاب: الآية ٥٢.

٣. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

٤. سورة الممتحنة: الآية ١١.

٥. سورة التين: الآية ٨.

٦. سورة التور: الآية ٥٨.

٧. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

٨. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

٩. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

١٠. سورة الاحزاب: الآية ٥٠.

بآية السيف، وفي هذه الآيات الثلاث وان كان احتمال النسخ قريباً إلا أنه لم يرد به نص من طرق اصحابنا<sup>(١)</sup>.

قال الطباطبائي (ره) في الآية ١٠٦ - ١٠٧ من سورة البقرة:

قد تكاثرت روايات الفريقين عن النبي ﷺ والصحابة وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام: ان في القرآن ناسخاً ومنسوخاً.

وفي تفسير النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر عدة آيات من الناسخ والمنسوخ قال عليه السلام: «ونسخ قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾<sup>(٢)</sup> قوله عز وجل: ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾<sup>(٣)</sup> أي للرحمة خلقهم». أقول: وفيها دلالة على أخذ عليه السلام النسخ في الآية أعم من النسخ الواقع في التشريع، فالآية الثانية تثبت حقيقة توجب تحديد الحقيقة التي تثبتها الآية الأولى، وبعبارة واضحة. الآية الأولى تثبت للخلقة غاية وهي العبادة، والله سبحانه غير مغلوب في الغاية التي يريد في فعل من أفعاله، غير أنه سبحانه خلقهم على إمكان الاختلاف فلا يزالون مختلفين في الاهتداء والضلال فلا يزالون مختلفين إلا من أخذته العناية الإلهية، وشملته رحمة الهداية، ولذلك خلقهم أي لهذه الرحمة خلقهم، فالآية الثانية تثبت للخلقة غاية، وهو الرحمة المقارنة للعبادة والاهتداء ولا تكون إلا في البعض دون الكل، والآية الأولى كانت تثبت العبادة غاية للجميع، فهذه العبادة جعلت الجميع من جهة كون البعض مخلوقاً لأجل البعض الآخر وهذا البعض أيضاً لآخر حتى ينتهي إلى أهل العبادة؛ وهم العابدون المخلوقون للعبادة فصح ان العبادة غاية للكل، نظير بناء الحديقة وغرس الشجرة لثمرتها أو لمنافعها المالية، فالآية الثانية تنسخ إطلاق الآية الأولى، وفي تفسير النعماني أيضاً عنه عليه السلام: قال: «ونسخ قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾<sup>(٤)</sup> قوله: ﴿ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾<sup>(٥)</sup>.

١. ففحات الرحمن ج ١ ص ٢٥ - ٢٧.

٢. سورة الفاربات: الآية ٥٦.

٣. سورة هود: الآية ١١٩.

٤. سورة مريم: الآية ٧٦.

٥. سورة الانبياء: الآية ١٠٢.

اقول: وليست الآياتان من قبيل العام والخاص، لقوله تعالى: كان على ربك حتماً مقضياً، والقضاء الحتم، غير قابل الرفع ولا يمكن الإبطال، ويظهر معنى هذا النسخ مما سيحيي إنشاء الله في قوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام: «إن من النسخ البدء المشتمل عليه قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾<sup>(٢)</sup>، ونجاة قوم يونس». اقول: والوجه فيه واضح.

وفي بعض الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام موت إمام وقيام إمام آخر مقامه من النسخ.

اقول: وقد مر بيانه، والأخبار في هذه المعاني كثيرة مستفيضة.

وفي الدر المنثور أخرج عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن قتادة قال: كانت الآية تنسخ الآية وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما شاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه، فقال الله: يقص على نبيه ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها، يقول: فيها تخفيف، فيها رخصة، فيها أمر، فيها نهى.

أقول: وروى فيه أيضاً في معنى الإنشاء روايات عديدة وجميعها مطروحة بمخالفة الكتاب كما مر في بيان قوله: أو ننسها»<sup>(٣)</sup>.

قال الخوئي قدس سره: «في كتب التفسير وغيرها آيات كثيرة ادعى نسخها. وقد جمعها أبو بكر النحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» فبلغت «١٣٨» آية.

وقد عقدنا هذا البحث لنستعرض جملة من تلك الآيات المدعى نسخها ولنتبين فيها انه ليست - في واقع الأمر - واحدة منها منسوخة، فضلاً عن جميعها.

وقد اقتصرنا على «٣٦» آية منها، وهي التي استدعت المناقشة والتوضيح لجلاء الحق فيها. وأما سائر الآيات فالمسألة فيها أوضح من أن يستدل على عدم وجود نسخ فيها.

٢. سورة الرعد: الآية ٣٩.

١. سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

٣. الميزان ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٦.

## مناقشة الآيات المدعى نسخها :

وعلى كل فلا بد لنا من الكلام في الآيات التي ادعى النسخ فيها . ونذكر منها ما كان في معرفة وقوع النسخ فيه وعدم وقوعه غموض في الجملة . أما ما كان عدم النسخ فيه ظاهراً - بعد ما قدمناه - فلا نتعرض له في المقام ، وستعرض لذلك عند تفسيرنا الآيات إن شاء الله تعالى .»

وليكن كلامنا في الآيات على حسب ترتيبها في القرآن الكريم :

١- ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

فمن ابن عباس ، وقتادة ، والسدي أنها منسوخة بآية السيف . واختاره أبو جعفر النحاس (٢) وآية السيف هو قوله تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٣)

والالتزام بالنسخ - هنا - يتوقف على الالتزام بأمرين فاسدين :

الأول : أن يكون ارتفاع الحكم المؤقت بانتهاه وقته نسخاً ، وهذا واضح الفساد ، فإن النسخ إنما يكون في الحكم الذي لم يصرح فيه بالتوقيت ولا بالتأيد . فإن الحكم إذا كان مؤقتاً - وإن كان توقيته على سبيل الإجمال - كان الدليل الموضح لوقته ، والمبين لانتهائه من القرائن الموضحة للمراد عرفاً ، وليس هذا من النسخ في شيء . فإن النسخ هو رفع الحكم الثابت الظاهر بمقتضى الاطلاق في الدوام وعدم الاختصاص بزمان مخصوص

وقد توهم الرازي : أن من النسخ بيان الوقت في الحكم المؤقت بدليل منفصل . وهو قول بين الفساد . وأما الحكم الذي صرح فيه بالتأيد ، فعدم وقوع النسخ فيه ظاهر .

الثاني : أن يكون أهل الكتاب أيضاً ممن أمر النبي ﷺ بقتلهم . وذلك باطل ، فإن

١ . سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

٢ . في كتاب التاسخ والمنسوخ ص ٢٦ طبع المكتبة العلمية بمصر .

٣ . سورة التوبة : الآية ٢٩ .





فقد نسب الى جماعة منهم ابن عباس ، وأبو العالية ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدى ، وزيد بن أسلم أن الآية منسوخة <sup>(١)</sup> ، واختلف في ناسخها ، فذكر ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وذهب قتادة الى أن الناسخ قوله تعالى : ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . كذلك ذكر القرطبي <sup>(٤)</sup> . وذكروا في وجه النسخ : أن النبي ﷺ وجميع المسلمين كانوا مخيرين في الصلاة الى أية جهة شاءوا ، وإن كان رسول الله ﷺ قد اختار من الجهات جهة بيت المقدس ، فنسخ ذلك بالأمر بالتوجه الى خصوص بيت الله الحرام . ولا يخفى ما في هذا القول من الزهون والسقوط ، فان قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ .

صريح في أن توجهه الى بيت المقدس كان بأمر من الله تعالى لمصلحة كانت تقتضي ذلك ، ولم يكن لاختيار النبي ﷺ في ذلك دخل أصلا .

والصحيح أن يقال في الآية الكريمة : إنها دالة على عدم اختصاص جهة خاصة بالله تعالى ، فانه لا يحيط به مكان ، فأينما توجه الانسان في صلاته ودعائه وجميع عباداته فقد توجه الى الله تعالى . ومن هنا استدل بها أهل البيت ﷺ على الرخصة للمسافر أن يتوجه في نافلته الى أية جهة شاء ، وعلى صحة صلاة الفريضة فيما إذا وقعت بين المشرق والمغرب خطأ ، وعلى صحة صلاة المتحير إذا لم يعلم اين وجه القبلة . وعلى صحة سجود التلاوة الى غير القبلة . وقد تلاها سعيد بن جبير رحمه الله لما أمر الحجاج بذبحه الى الأرض <sup>(٥)</sup> ، فهذه الآية مطلقة ، وقد قيدت في الصلاة الفريضة بلزوم التوجه فيها الى بيت المقدس تارة ، والى الكعبة تارة أخرى ، وفي النافلة أيضا في غير حال المشي على قول . وأما ما في بعض الروايات من أنها نزلت في النافلة فليس المراد أنها مختصة بذلك . وقد تقدم أن الآيات لا تختص بموارد نزولها .

١ . تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

٢ . سورة البقرة : الآية ١٥٠ .

٣ . سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

٤ . تفسير القرطبي ج ٢ ص ٧٤ .

٥ . تفسير القرطبي ج ٢ ص ٧٥ .

وجملة القول: أن دعوى النسخ في الآية الكريمة يتوقف ثبوتها على أمرين:  
 الأول: أن تكون واردة في خصوص صلاة الفريضة. وهذا معلوم بطلانه، وقد وردت  
 روايات من طريق أهل السنة في أنها نزلت في الدعاء وفي النافلة للمسافر، وفي  
 صلاة المتحير، وفي من صلى إلى غير القبلة خطأ<sup>(١)</sup> وقد مر عليك - آنفاً - استشهاد أهل  
 البيت عليهم السلام بالآية المباركة في عدة موارد.

الثاني: أن يكون نزولها قبل نزول الآية الأمرة بالتوجه إلى الكعبة وهذا أيضاً غير ثابت،  
 وعلى ذلك فدعوى النسخ في الآية باطلة جزماً.

وفي بعض الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام التصريح بأن الآية المباركة ليست  
 منسوخة. نعم قد يراد من النسخ معنى عاماً شاملاً للتقييد، فإذا اريد به ذلك في المقام  
 فلا مانع منه، ولا يبعد أن يكون هذا هو مراد ابن عباس من النسخ فيها، وقد أشرنا إليه فيما  
 تقدم.

٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحُرُّ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى  
 بِالْأَنْثَى ﴾ (٢).

فقد ادعي أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نُنْفَسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ  
 وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾ (٣).

ومن أجل ذلك ذهب الجمهور من أهل السنة إلى: أن الرجل يقتل بالمرأة من غير أن  
 يردها إلى ورثته شيء من الدية<sup>(٤)</sup> وخالف في ذلك الحسن وعطاء، فذهبا إلى: أن الرجل  
 لا يقتل بالمرأة. وقال الليث: إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة<sup>(٥)</sup> وذهبت الامامية  
 إلى: أن ولي دم المرأة مخير بين المطالبة بديتها، ومطالبة الرجل القاتل بالقصاص، بشرط  
 أداء نصف دية الرجل. والمشهور بين أهل السنة: أن الحر لا يقتل بالعبد، وعليه اجماع  
 الامامية، وخالفهم في ذلك أبو حنيفة، والثوري، وابن أبي ليلى، وداود. فقالوا: إن الحر

١. تفسير الطبري ج ١ ص ٤٠٠-٤٠٢.  
 ٢. سورة البقرة: الآية: ١٧٨.  
 ٣. سورة المائدة: الآية: ٤٥.  
 ٤. تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٢٩.  
 ٥. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠.

يقتل بعبد غيره<sup>(١)</sup>، وذهب شواذ منهم الى: أن الحر يقتل بالعبد وإن كان عبد نفسه<sup>(٢)</sup>.  
والحق: أن الآية الاولى محكمة ولم يرد عليها ناسخ. والوجه في ذلك: أن الآية الثانية  
مطلقة من حيث العبد، والحر، والذكر، والأنثى فلا صراحة لها في حكم العبد، وحكم  
الأنثى. وعلى كل فان لم تكن الآية في مقام البيان من حيث خصوصية القاتل والمقتول، بل  
كانت في مقام بيان المساواة في مقدار الاعتداء فقط، على ما هو مفاد قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

كانت مهمله ولا ظهور لها في العموم لتكون ناسخة للآية الاولى.

وإن كانت في مقام البيان من هذه الناحية - وكانت ظاهرة في الإطلاق وظاهرة في ثبوت  
الحكم في هذه الأمة أيضاً، ولم تكن للأخبار عن ثبوت ذلك في التوراة فقط - كانت الآية  
الاولى مقيدة لإطلاقها، وقرينة على بيان المراد منها. فان المطلق لا يصلح لأن يكون  
ناسخاً للمقيد وإن كان متأخراً عنه، بل يكون المقيد قرينة على التصرف في ظهور المطلق  
على ما هو الحال في المقيد المتأخر. وعلى ذلك فلا موجب للقول بجواز قتل الحر بالعبد.  
وأما الرواية التي رووها عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ من قوله: «المسلمون تتكافأ  
دماؤهم» فهي - على تقدير تسليمها - مخصصة بالآية، فان دلالة الرواية على جواز قتل  
الحر بالعبد إنما هي بالعموم.

ومن البين أن حجية العام موقوفة على عدم ورود المخصص عليه المتقدم منه  
والتأخر. وأما ما روي عن رسول الله ﷺ بطريق الحسن عن سمرة فهو ضعيف السند،  
وغير قابل للإعتماد عليه. قال أبو بكر ابن العربي: «ولقد بلغت الجهالة بأقوام أن قالوا:  
يقتل الحر بعبد نفسه» ورووا في ذلك حديثاً عن الحسن عن سمرة قال النبي ﷺ:  
«من قتل عبده قتلناه». وهذا حديث ضعيف<sup>(٤)</sup>.

أقول: هذا، مضافاً الى أنها معارضة برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلاً  
قتل عبده متعمداً، فجلده النبي ﷺ ونفاه سنة، ومحا سهمه من المسلمين، ولم يقده

١. نفس المصدر ص ٢٠٩. وقال ابن كثير: قال البخاري وعلي بن المديني، وإبراهيم النخعي، والثوري في رواية عنه:

٢. أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٢٧.

ويقتل السيد بعبد.

٣. أحكام القرآن لإبي بكر بن العربي ج ١ ص ٢٧.

٤. سورة البقرة: الآية ١٩٤.

به<sup>(١)</sup>. وبما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ وبما رواه جابر عن عامر عن علي عليه السلام: «لا يقتل حر بعد»<sup>(٢)</sup>، وبما رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده: أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بقتل العبد<sup>(٣)</sup>.

وقد عرفت أن روايات أهل البيت عليه السلام مجمعة على: أن الحر لا يقتل بالعبد، وأهل البيت هم المرجع في الدين بعد جدهم الأعظم ﷺ، وبعد هذا فلا يبقى مجال لدعوى نسخ الآية الكريمة من جهة قتل الحر بالعبد.

وأما بالإضافة الى قتل الرجل بالمرأة فليست الآية منسوخة أيضا، بناء على مذهب الإمامية والحسن وعطاء. نعم تكون الآية منسوخة على مسلك الجمهور. وتوضيح ذلك أن ظاهر قوله تعالى: ﴿كَيْبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾<sup>(٤)</sup>.

أن القصاص فرض واجب. ومن الواضح أنه إنما يكون فرضاً عند المطالبة بالقصاص من ولي الدم، وذلك أمر معلوم من الخارج. ويدل عليه من الآية قوله تعالى فيها: ﴿فَمَنْ حَقَّيْ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

وعلى ذلك فالمستفاد من الآية الكريمة: أن القاتل يجب عليه أن يخضع لحكم القصاص إذا طالبه ولي الدم بذلك. ومن الواضح أن هذا الحكم إنما يكون في قتل الرجل رجلا، أو قتل المرأة رجلا أو امرأة. فإن الرجل إذا قتل امرأة لا يجب عليه الإنقياد للقصاص بمجرد المطالبة، وله الإمتناع حتى يأخذ نصف دية، ولا يأخذها الحاكم بالقصاص قبل ذلك.

وبتعبير آخر: تدل الآية المباركة على أن بدل الانثى هي الانثى، فلا يكون الرجل بدلاً عنها. وعليه فلا نسخ في مدلول الآية. نعم ثبت من دليل خارجي؛ أن الرجل القاتل يجب عليه أن يتقاد للقصاص حين يدفع ولي المرأة المقتولة نصف دية، فيكون الرجل بدلاً عن مجموع الانثى ونصف الدية. وهو حكم آخر لا يمس بالحكم الأول المستفاد من الآية الكريمة. وأين هذا من النسخ الذي يدعيه القائلون به؟!.

٢. نفس المصدر ص ٣٤، ٣٥.

٤. سورة البقرة: الآية ١٧٨.

١. سنن البيهقي ج ٨ ص ٣٦.

٣. نفس المصدر ص ٣٤.

٥. سورة البقرة: الآية ١٧٨.

وجملة القول: ان ثبوت النسخ في الآية يتوقف على اثبات وجوب الإنقياد على القاتل بمجرد مطالبة ولي المرأة بالقصاص، كما عليه الجمهور. وأنى لهم إثباته، فانهم قد يتمسكون لإثباته باطلاق الآية الثانية على ما صرحوا به في كلماتهم، وبعموم قول النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» وقد عرفت ما فيه. وقد يتمسكون لإثبات ذلك بما رووه عن قتادة عن سعيد بن المسيب: أن عمر قتل نقرأ من أهل صنعاء بامرأة وقادهم بها.

وعن ليث عن الحكم عن علي وعبدالله قالا: «إذا قتل الرجل المرأة متعمدا فهو بها قود». وعن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل يقتل بالمرأة»<sup>(١)</sup>. وهو باطل من وجوه:

- ١- إن هذه الروايات - لو فرضت صحتها - مخالفة للكتاب، وما كان كذلك لا يكون حجة. وقد عرفت - فيما تقدم - قيام الإجماع على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد.
  - ٢- إنها معارضة بالروايات المروية عن أهل البيت ﷺ وبما رواه عطاء، والشعبي، والحسن البصري عن علي ﷺ أنه قال في قتل الرجل امرأة: «إن أولياء المرأة إن شاءوا قتلوا الرجل وأدوا نصف الدية، وإن شاءوا أخذوا نصف دية الرجل»<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- إن الرواية الأولى منها من المراسيل، فإن ابن المسيب ولد بعد مضي سنتين من خلافة عمر<sup>(٣)</sup> فتبعد روايته عن عمر بلا واسطة، وإذا سلمنا صحتها فهي تشتمل على نقل فعل عمر، ولا حجية لفعله في نفسه، وأن الرواية الثانية ضعيفة مرسلة. وأما الرواية الثالثة فهي على فرض صحتها مطلقة، وقابلة لأن تقيد بأداء نصف الدية.
- ونتيجة ما تقدم:

إن الآية الكريمة لم يثبت نسخها بشيء، وأن دعوى النسخ إنما هي بملاحظة فتوى جماعة من الفقهاء، وكيف يمكن أن ترفع اليد عن قول الله تعالى بملاحظة قول زيد أو

٢. نفس المصدر ج ١ ص ١٢٠.

١. احكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٣٩.

٣. تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٨٦.

عمرو؟!، ومما يبعث على العجب أن جماعة يفتون بخلاف القرآن مع إجماعهم على أن القرآن لا ينسخ بخير الواحد. وقد اتضح مما بيناه أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً﴾<sup>(١)</sup>.

وقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

لا يصلحان أن يكونا ناسخين للآية المتقدمة التي فرقت بين الرجل والأنثى، وبين الحر والعبد. وسيأتي استيفاء البحث في هذا الموضوع عند تفسيرنا الآية الكريمة إن شاء الله تعالى:

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فقد ادعى جمع أنها منسوخة بآية الموارث. وادعى آخرون أنها منسوخة بما عن النبي ﷺ من قوله: «لا وصية لوارث»<sup>(٤)</sup>.

والحق: أن الآية ليست منسوخة. أما القول بنسخها بآية الموارث، فيرده أن الآيات قد دلت على أن الميراث مترتب على عدم الوصية، وعدم الدين. ومع ذلك فكيف يعقل كونها ناسخة لحكم الوصية. وقد قيل في وجه النسخ للآية: إن الميراث في أول الإسلام لم يكن ثابتاً على الكيفية التي جعلت في الشريعة بعد ذلك، وإنما كان الإرث يدفع جميعه للولد، وما يعطى الوالدان من المال فهو بطريق الوصية فنسخ ذلك بآية الموارث. وهذا القول مدفوع:

أولاً: بأن هذا غير ثابت، وإن كان مروياً في صحيح البخاري لأن النسخ لا يثبت بخير الواحد اجماعاً.

ثانياً: أنه موقوف على تأخر آية الموارث عن هذه الآية، وأنى للقاتل بالنسخ إثبات ذلك. أما دعوى القطع بذلك من بعض الحنفية فمهدتها على مدعيها. ثالثاً: أن هذا لا يتم في الأقربين، فإنه لا ارث لهم مع الولد، فكيف يعقل أن تكون آية

٢. سورة البقرة: الآية ١٧٩.

٤. التاسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٠.

١. سورة الإسراء: الآية ٣٣.

٣. سورة البقرة: الآية ١٨٠.

المواريث ناسخة لحكم الوصية للأقربين؟. وعلى كل حال، أية المواريث من حيث ترتبها على عدم الوصية تكون مؤكدة لتشريع الوصية ونفوذها، فلا معنى لكونها ناسخة لها.

وأما دعوى نسخ الآية بالرواية المتقدمة فهي أيضا باطلة من وجوه:

١- ان الرواية لم تثبت صحتها، والبخاري ومسلم لم يرضياها. وقد تكلم في تفسير المنار على سندهما. (١)

٢- أنها معارضة بالروايات المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام الدالة على جواز الوصية للوارث. ففي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الوصية للوارث، فقال: «تجوز». قال: ثم تلا هذه الآية:

﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ﴾ (٢)

وبمضمونها روايات أخرى (٣)

٣- أن الرواية لو صحت، وسلمت عن المعارضة بشيء، فهي لا تصلح لنسخ الآية، لأنها لا تنافيها في المدلول. غاية الأمر أنها تكون مقيدة لإطلاق الآية فتختص الوصية بالوالدين إذا لم يستحقا الإرث لمانع، وبمن لا يرث من الأقربين. وإذا فرض وجود المناقاة بينها وبين الآية فقد تقدم: أن خبر الواحد لا يصلح أن يكون ناسخاً للقرآن باجماع المسلمين، فالآية محكمة وليست منسوخة.

ثم ان الكتابة عبارة عن القضاء بشيء، ومنه قوله تعالى:

﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ﴾ (٤)

والعقل يحكم بوجود امثال حكم المولى وقضائه ما لم تثبت فيه رخصة من قبل المولى. ومعنى هذا أن الوصية للوالدين والأقربين واجبة بمقتضى الآية، ولكن السيرة المقطوع بشبوتها بين المسلمين، والروايات المأثورة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والاجماع المتحقق من الفقهاء في كل عصر قد أثبت لنا الرخصة، فيكون الثابت من الآية

٢. سورة البقرة: الآية ١٨٠.

٤. سورة الانعام: الآية ١٢.

١. الجزء الثاني ص ١٢٨.

٢. الوافي ج ١٣ ص ١٧.

بعد هذه الرخصة هو استحباب الوصية المذكورة، بل تأكد استحبابها على الإنسان، ويكون المراد من الكتابة فيها هو: القضاء بمعنى التشريع لا بمعنى الإلزام.

٥ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد ادعى أنها منسوخة بقوله تعالى:

﴿ أَجِلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرُّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وذكروا في وجه النسخ: أن الصوم الواجب على الأمة في بداية الأمر كان مماثلاً للصوم الواجب على الأمة السالفة، وأن من أحكامه: أن الرجل إذا نام قبل أن يتعشى في شهر رمضان لم يجز له أن يأكل بعد نومه في ليته تلك، وإذا نام أحدهم بعد المساء حرم عليه الطعام والشراب والنساء.

فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقوله تعالى: ﴿ أَجِلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرُّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾.

وقد اتفق علماء أهل السنة على أن آية التحليل ناسخة<sup>(٤)</sup>، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: هي ناسخة للآية السابقة، فانهم استفادوا منها أن الصوم الواجب في هذه الشريعة مماثل للصوم الواجب على الامم السالفة، قال بذلك أبو العالية، وعطاء. ونسبه أبو جعفر النحاس إلى السدي أيضاً<sup>(٥)</sup>، وقال بعضهم: إن آية التحليل ناسخة لفعلهم الذي كانوا يفعلونه.

ولا يخفى أن النسخ للآية الاولى موقوف على إثبات تقدمها على الآية الثانية في النزول، ولا يستطيع القائل بالنسخ إثباته، وعلى أن يكون المراد من التشبيه في الآية تشبيه صيام هذه الأمة بصيام الامم السالفة، وهو خلاف المفهوم العرفي، بل وخلاف صريح الآية. فان المراد بها تشبيه الكتابة بالكتابة، فلا دلالة فيها على أن الصومين متماثلان لتصح دعوى النسخ، وإذ ثبت ذلك من الخارج كان نسخاً لحكم ثابت بغير القرآن، وهو خارج عن دائرة

٢. سورة البقرة: الآية: ١٨٧.

٤. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٤.

١. سورة البقرة: الآية: ١٨٣.

٣. سورة البقرة: الآية: ١٨٧.

٥. نفس المصدر ص ٢١.



البحث :

٦ - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُعْطِقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ لَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ أَفْهَوْ خَيْرٌ لَهُ﴾ (١)

فادعي أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٢)

ودعوى النسخ في هذه الآية الكريمة واضحة الثبوت لو كان المراد من الطوق السعة والقدرة، فإن مفاد الآية على هذا: أن من يستطيع الصوم فله أن لا يصوم ويعطي الفدية: طعام مسكين بدلا عنه، فتكون منسوخة.

ولكن من البين أن المراد من الطاقة: القدرة مع المشقة العظيمة. وحاصل المراد به الآية: أن الله تعالى بعد أن أوجب الصوم وجوباً تعينياً في الآية السابقة، وأسقطه عن المسافر والمريض، وأوجب عليهما عدة من أيام آخر بدلا عنه، أراد أن يبين حكماً آخر لصنف آخر من الناس وهم الذين يجدون في الصوم مشقة عظيمة وجهداً بالغاً، كالشيخ الهرم، وذو العطاش، والمريض الذي استمر مرضه إلى شهر رمضان الآخر، فأسقط عنهم وجوب الصوم أداء وقضاء، وأوجب عليهم الفدية. فالآية المباركة حيث دلت على تعين وجوب الصوم على المؤمنين في الأيام المعدودات، وعلى تعين وجوبه قضاء في أيام آخر على المريض والمسافر، كانت ظاهرة في أن وجوب الفدية تعينياً إنما هو على غير هذين الصنفين اللذين تعين عليهما الصوم. ومع هذا فكيف يدعى أن الاستفادة من الآية هو الوجوب التخيري بين الصوم والفدية لمن تمكن من الصوم؟ وإن أخبار أهل البيت عليهم السلام مستفيضة بما ذكرناه في تفسير الآية (٣).

ولفظ الطاقة وإن استعمل في معنى القدرة والسعة إلا أن معناه اللغوي هو القدرة مع المشقة العظيمة، وإعمال غاية الجهد. ففي لسان العرب: «الطوق الطاقة أي أقصى غايته، وهو اسم لمقدار ما يمكنه أن يفعله بمشقة منه». ونقل عن ابن الأثير والراغب أيضاً التصريح بذلك، ولو سلمنا أن معنى الطاقة هي السعة كان لفظ الاطاقة بمعنى إيجاد السعة في الشيء، فلا بد من أن يكون الشيء في نفسه مضيئاً لتكون سعته ناشئة من قبل الفاعل،

٢. سورة البقرة: الآية ١٨٥.

١. سورة البقرة: الآية ١٨٤.

٣. الوافي ج ٧ باب العاجز عن الصيام ص ٤٣.

ولا يكون هذا إلا مع إعمال غاية الجهد. قال في تفسير المنار نقلاً عن شيخه: «فلا تقول العرب: أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف، بحيث يتحمل به مشقة شديدة»<sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة محكمة لا نسخ لها، ومدلولها حكم مغاير لحكم من وجب عليه الصوم أداء وقضاء. وجميع ما قدمناه مبني على القراءة المعروفة. أما على قراءة ابن عباس، وعائشة، وعكرمة، وابن المسيب حيث قرأوا يطؤونه بصيغة المبني للمجهول من باب التفعيل<sup>(٢)</sup> فالأمر أوضح. نعم بناءً على قول ربيعة، ومالك بأن المشايخ والعجائز لا شيء عليهم إذا أفطروا<sup>(٣)</sup> تكون الآية منسوخة، ولكن الشأن في صحة هذا القول، والآية الكريمة حجة على قائله.

٧- ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

قال أبو جعفر النحاس: وأكثر أهل النظر على هذا القول ان الآية منسوخة، وان المشركين يقاتلون في الحرم وغيره. ونسب القول بالنسخ الى قتادة أيضاً<sup>(٥)</sup>.

والحق: أن الآية محكمة ليست منسوخة. فإن ناسخ الآية إن كان هو قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

فهذا القول ظاهر البطلان، لأن الآية الاولى خاصة، والخاص يكون قرينة على بيان المراد من العام، وإن علم تقدمه عليه في الورد، فكيف إذا لم يعلم ذلك؟. وعلى هذا فيختص قتال المشركين بغير الحرم، إلا أن يكونوا هم المبتدئين بالقتال فيه، فيجوز قتالهم فيه حينئذ.

وإن استندوا في نسخ الآية الى الرواية القائلة: إن النبي ﷺ أمر بقتل ابن خطل - وقد كان متعلقاً بأستار الكعبة - فهو باطل أيضاً. أولاً: لأنه خبر واحد لا يثبت به النسخ.

٢. احكام القرآن للجصاص ص ١٧٧.

٤. سورة البقرة: الآية ١٩١.

٦. سورة التوبة: الآية ٥.

١. الجزء الثاني ص ١٥٦.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٣.

٥. نفس المصدر ص ٢٨.

ثانياً: لأنه لا دلالة له على النسخ، فإنهم رَوَوْا في الصحيح عن النبي ﷺ قوله: «إنها لم تحل لأحد قبلي وإنما احلت لي ساعة من نهارها»<sup>(١)</sup>، وصريح هذه الرواية أن ذلك من خصائص النبي ﷺ فلا وجه للمقول بنسخ الآية إلا المتابعة لفتاوى جماعة من الفقهاء، والآية حجة عليهم.

#### ٨- ﴿بَسَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال أبو جعفر النحاس: أجمع العلماء على أن هذه الآية منسوخة، وأن قتال المشركين في الشهر الحرام مباح، غير عطاء فانه قال: الآية محكمة، ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم<sup>(٣)</sup>.

وأما الشيعة الامامية فلا خلاف بينهم نصاً وفتوى على أن التحريم باق. صرح بذلك في التبيان وجواهر الكلام. وهذا هو الحق، لأن المستند للنسخ إن كان هو قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

كما ذكره النحاس فهو غريب جداً، فإن الآية علقت الحكم بقتل المشركين على انسلاخ الأشهر الحرم. فقد قال تعالى:

#### ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاتَّقُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

فكيف يمكن أن تكون ناسخة لحرمة القتال في الشهر الحرام؟.

وإن استندوا فيه الى اطلاق آية السيف وهي قوله تعالى:

#### ﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾<sup>(٥)</sup>.

فمن الظاهر أن المطلق لا يكون ناسخاً للمقيد، وإن كان متأخراً عنه.

وإن استندوا فيه الى ما رَوَوْه عن ابن عباس وقتادة: أن الآية منسوخة بآية السيف فيروده: أولاً: إن النسخ لا يثبت بخبر الواحد.

وثانياً: إنها ليست رواية عن معصوم، ولعلها اجتهاد من ابن عباس وقتادة.

وثالثاً: إنها معارضة بما رواه إبراهيم بن شريك. قال: حدثنا أحمد - يعني ابن عبد الله

٢. سورة البقرة: الآية ٢١٧.

٤. سورة التوبة: الآية ٥.

١. فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ١٦٨.

٢. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٢.

٥. سورة التوبة: الآية ٣٦.

بن يونس - قال: حدثنا الليث عن أبي الأزهر عن جابر. قال رسول الله ﷺ: لا يقاتل في الشهر الحرام إلا أن يغزى أو يغزو<sup>(١)</sup>، فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ<sup>٢</sup>، ومعارضة بما رواه أصحابنا الامامية عن أهل البيت عليهم السلام من حرمة القتال في الأشهر الحرم. وإن استندوا في النسخ الى ما نقلوه من مقاتلة رسول الله ﷺ هوازن في حنين، وثقياً في الطائف شهر شوال، وذي القعدة، وذي الحجة من الأشهر الحرم فيردّه: أولاً: إن النسخ لا يثبت بنخبر الواحد.

وثانياً: إن فعل النبي - إذا صححت الرواية - مجمل يحتمل وقوعه على وجوه، ولعله كان لضرورة اقتضت وقوعه، فكيف يمكن أن يكون ناسخاً للآية؟.

٩- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

فادعي أنها منسوخة بقوله تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

ذهب اليه ابن عباس، ومالك بن أنس، وسفيان بن سعيد، وعبدالرحمن بن عمر، والأوزاعي. وذهب عبد الله بن عمر الى أن الآية الثانية منسوخة بالآية الاولى، فحرم نكاح الكتابية<sup>(٤)</sup>.

والحق: أنه لانسوخ في شيء من الآيتين فان المشركة التي حرمت الآية الاولى نكاحها، إن كان المراد منها التي تعبد الأصنام والأوثان - كما هو الظاهر - فان حرمة نكاحها لا تنافي إباحة نكاح الكتابية التي دلت عليها الآية الثانية. لتكون إحداهما ناسخة والثانية منسوخة. وإن كان المراد من المشركة ما هو أعم من الكتابية - كما توهمه القائلون بالنسخ - كانت الآية الثانية مخصصة للآية الاولى، ويكون حاصل معنى الآيتين جواز نكاح الكتابية دون المشركة. نعم المعروف بين علماء الشيعة الإمامية أن نكاح الكتابية لا يجوز إلا بالمتعة. إما لتقييد اطلاق آية الإباحة بالروايات الدالة على تحريم النكاح الدائم، وإما لدعوى ظهور الآية الكريمة في المتعة دون العقد الدائم. ونقل عن الحسن والصدوقين جواز الدائم

١. كذا في الأصل.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٢١.

٣. سورة المائدة: الآية ٥.

٤. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥٨.

أيضاً وستعرض للكلام كل في محله إن شاء الله تعالى .

١٠- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١)

فقد قال جماعة: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (٢).

وذهب بعضهم الى أنها مخصوصة بأهل الكتاب ،فإنهم لا يقاتلون لكفرهم. وقد عرفت ذلك فيما تقدم .

والحق: أن الآية محكمة وليست منسوخة، ولا مخصوصة، وتوضيح ذلك: أن الكره في اللغة يستعمل في معنيين. أحدهما: ما يقابل الرضا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٣).

وثانيهما: ما يقابل الاختيار، ومنه قوله تعالى:

﴿حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعْتَهُ كُرْهاً﴾ (٤)

فإن الحمل والوضع يكونان في الغالب عن رضى، ولكنهما خارجان عن الاختيار، والقول بالنسخ أو بالتخصيص يتوقف على أن الإكراه في الآية قد استعمل بالمعنى الأول، وهو باطل لوجوه:

١- إنه لا دليل على ذلك: ولا بد في حمل اللفظ المشترك على أحد معنييه من وجود قرينة تدل عليه .

٢- إن الدين أعم من الاصول والفروع: وذكر الكفر والإيمان بعد ذلك ليس فيه دلالة على الإختصاص بالاصول فقط، وإنما ذلك من قبيل تطبيق الكبرى على صغراها. ومما لا ريب فيه أن الإكراه بحق كان ثابتاً في الشرع الإسلامي من أول الأمر على طبق السيرة العقلانية. وأمثله كثيرة. فمنها إكراه المديون على أداء دينه، وإكراه الزوجة على إطاعة زوجها، وإكراه السارق على ترك السرقة، الى أمثال ذلك. فكيف يصح أن يقال: إن الإكراه في الشريعة الإسلامية لم يكن في زمان.

٣- إن تفسير الإكراه في الآية بالمعنى الأول «ما يقابل الرضا» لا يناسبه قوله تعالى: ﴿قَدْ

١. سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٢. سورة التوبة: الآية ٢١٦.

٣. سورة البقرة: الآية ٢١٦.

٤. سورة الأحقاف: الآية ١٥.

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴿١﴾ .

إلا بأن يكون المراد بيان علة الحكم، وإن عدم الإكراه إنما هو لعدم الحاجة إليه من جهة وضوح الرشد وتبينه من الغي، وإذا كان هذا هو المراد فلا يمكن نسخه، فإن دين الإسلام كان واضح الحجة، ساطع البرهان من أول الأمر، إلا أن ظهوره كان يشتد شيئاً فشيئاً. ومعنى هذا أن الإكراه في أواخر دعوة النبي ﷺ أخرى بأن لا يقع لأن برهان الإسلام في ذلك العهد كان أسطع، وحجته أوضح. ولما كانت هذه العلة مشتركة بين طوائف الكفار، فلا يمكن تخصيص الحكم ببعض الطوائف دون بعض، ولازم ذلك حرمة مقاتلة الكفار جميعهم، وهذه نتيجة باطلة بالضرورة.

فالحق: أن المراد بالإكراه في الآية ما يقابل الإختيار، وأن الجملة خبرية لإنشائية. والمراد من الآية الكريمة هو بيان ما تكرر ذكره في الآيات القرآنية كثيراً، من أن الشريعة الإلهية غير مبتنية على الجبر، لافي أصولها ولا في فروعها، وإنما مقتضى الحكمة إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإيضاح الأحكام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ (٢).

وحاصل معنى الآية: أن الله تعالى لا يجبر أحداً من خلقه على إيمان واطاعة، ولكنه يوضع الحق ويبينه من الغي. وقد فعل ذلك، فمن آمن بالحق فقد آمن به عن اختيار، ومن اتبع الغي فقد اتبعه عن اختيار، والله سبحانه وإن كان قادراً على أن يهدي البشر جمعاً - ولو شاء لفعل - لكن الحكمة اقتضت لهم أن يكونوا غير مجبورين على أعمالهم، بعد إيضاح الحق لهم وتمييزه عن الباطل. فقد قال عز من قائل:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ لِيَمَّا أَنَاكُمْ فَاسْتَقْبُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٣)، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا هَدَيْنَا مِنْ دُونِهِ شَيْءٍ نَحْنُ

١. سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٢. سورة الانسان: الآية ٣.

٣. سورة المائدة: الآية ٤٨.

٤. سورة الانعام: الآية ١٤٩.

وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَعَلَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

١١- ﴿وَاللَّاتِيْنَ يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَخْتَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فذهب بعضهم، ومنهم عكرمة وعبادة بن الصامت في رواية الحسن عن الرقاشي عنه؛ أن الآية الأولى منسوخة بالثانية والثانية منسوخة في البكر من الرجال والنساء إذا زنى بأن يجلد مائة جلدة، وينفى عاماً، وفي الثيب منهما أن يجلد مائة، ويرجم حتى يموت. وذهب بعضهم كقتادة ومحمد بن جابر إلى أن الآية الأولى مخصوصة بالثيب والثانية بالبكر، وقد نسخت كلتاها بحكم الجلد والرجم. وذهب ابن عباس ومجاهد ومن تبعهما، كأبي جعفر النحاس إلى أن الآية الأولى مختصة بزنا النساء من ثيب أو بكر، والآية الثانية مختصة بزنا الرجال ثيباً كان أو بكراً، وقد نسخت كلتاها بحكم الجلد والرجم<sup>(٤)</sup>، وكيف كان فقد ذكر أبو بكر الجصاص: أن الأمة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين<sup>(٥)</sup>.

والحق: أنه لانسخ في الآيتين جميعاً. وبيان ذلك: أن المراد من لفظ الفاحشة ما تزايد قبحه وتفاحش، وذلك قد يكون بين امرأتين فيكون مساحقة، وقد يكون بين ذكرين فيكون لواطاً، وقد يكون بين ذكر وانثى فيكون زنى. ولا ظهور للفظ الفاحشة في مخصوص الرنا لا وضعاً ولأنصرفاً. ثم إن الإلتزام بالنسخ في الآية الأولى يتوقف: -  
أولاً: على أن الإمساك في البيوت حدٌ لإرتكاب الفاحشة.

ثانياً على أن يكون المراد من جعل السبيل هو نبوت الرجس والجلد وكلا هذين الأمرين لا يمكن إثباته. فإن الظاهر من الآية المباركة: أن إمساك المرأة في البيت إنما هو لتعجيزها عن ارتكاب الفاحشة مرة ثانية، وهذا من قبيل دفع المنكر. وقد ثبت وجوبه

١. سورة النحل: الآية ٣٥.  
٢. سورة النساء: الآية ١٥.  
٣. سورة النساء: الآية ١٦.  
٤. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٩٨.  
٥. أحكام القرآن للحصاص ج ٢ ص ١٠٧.

بلا إشكال في الامور المهمة كالأعراض ، والنفوس ، والامور الخطيرة ، بل في مطلق المنكرات على قول بعض ، كما أن الظاهر من جعل السبيل للمرأة التي ارتكبت الفاحشة هو جعل طريق لها تتخلص به من العذاب ، فكيف يكون منه الجلد والرجم ، وهل ترضى المرأة العاقلة الممسكة في البيت مرفهة الحال أن ترحم وتجلد ، وكيف يكون الجلد أو الرجم سبيلاً لها ، وإذا كان ذلك سبيلاً لها فما هو السبيل عليها؟! .

وعلى ما تقدم : فقد يكون المراد من الفاحشة خصوص المساحقة ، كما أن المراد بها في الآية الثانية خصوص اللواط . وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى . وقد يكون المراد منها ما هو أعم من المساحقة والزنا ، وعلى كلا هذين الاحتمالين يكون الحكم وجوب امسك المرأة التي ارتكبت الفاحشة في البيت حتى يفرج الله عنها ، فيجيز لها الخروج إما للتوبة الصادقة التي يؤمن معها من ارتكاب الفاحشة مرة ثانية ، وإما لسقوط المرأة عن قابلية ارتكاب الفاحشة لكبر سننها ونحوه ، وإما بميلها الى الزواج وتزوجها برجل يتحفظ عليها ، وإما بغير ذلك من الأسباب التي يؤمن معها من ارتكاب الفاحشة . وهذا الحكم باق مستمر وأما الجلد أو الرجم فهو حكم آخر شرع لتأديب مرتكبي الفاحشة ، وهو أجنبي عن الحكم الأول . فلا معنى لكونه ناسخاً له .

وبتعبير آخر : أن الحكم الأول شرع للتحفظ عن الوقوع في الفاحشة مرة أخرى ، والحكم الثاني شرع للتأديب على الجريمة الأولى ، وصوناً لباقي النساء عن ارتكاب مثلها فلا تنافي بين الحكمين لينسخ الأول بالثاني . نعم إذا ماتت المرأة بالرجم أو الجلد ارتفع وجوب الإمساك في البيت لحصول غايته ، وفيما سوى ذلك فالحكم باق مالم يجعل الله لها سبيلاً .

وجملة القول : إن المتأمل في معنى الآية لا يجد فيها ما يوهم النسخ ، سواء في ذلك تأخر آية الجلد عنها وتقديمها عليها .

وأما القول بالنسخ في الآية الثانية فهو أيضاً يتوقف :

أولاً : على أن يراد من الضمير في قوله تعالى « يَا أَيُّهَا » : الزنا .

ثانياً : على أن يراد بالإيذاء : الشتم والسب والتعيب ونحو ذلك ، وكلا هذين الأمرين -



مع أنه لا دليل عليه - مناف لظهور الآية .

وبيان ذلك : أن ضمير الجمع المخاطب قد ذكر في الآيتين ثلاث مرات ، ولا ريب أن المراد بالثالث منها هو المراد بالأولين . ومن البين أن المراد بهما خصوص الرجال ، وعلى هذا فيكون المراد من الموصول رجلين من الرجال ، ولا يراد منه ما يعم رجلاً وامراً ، على أن تنبئة الضمير لولم يرد منه الرجلان فليس لها وجه صحيح ، وكان الأولى أن يعبر عنه بصيغة الجمع ، كما كان التعبير في الآية السابقة كذلك . وفي هذا دلالة قوية على أن المراد من الفاحشة في الآية الثانية هو خصوص اللواط لا خصوص الزنا ، ولا ما هو أعم منه ومن اللواط . وإذا تم ذلك كان موضوع الآية أجنياً عن موضوع آية الجلد .

وإذا سلمنا دخول الزاني في موضوع الحكم في الآية ، فلا دليل على ارادة نوع خاص من الأيذاء الذي أمر به في الآية ، عدا ماروي عن ابن عباس : أنه التعبير وضرب النعال ، وهو ليس بحجة ليثبت به النسخ ، فالظاهر حمل اللفظ على ظاهره ، ثم تقييده بآية الجلد ، أو بحكم الرجم الذي ثبت بالسنة القطعية .

وجملة القول : أنه لا موجب للإلتزام بالنسخ في الآيتين ، غير التقليد المحض ، أو الإعتقاد على أخبار الآحاد التي لا تفيد علماً ، ولا عملاً .

١٢ - ﴿وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد قيل : إنها منسوخة بمادل من السنة على تحريم غير من ذكر في الآية من النساء . وثبت هذه الدعوى موقوف على أن يكون الخاص المتأخر ناسخاً للعام المتقدم لا مخصصاً .

والحق : أن الخاص يكون مخصصاً للعام تقدم عليه أو تأخر عنه ، ولا يكون ناسخاً له ، ولأجل ذلك يكتفى بخبر الواحد الجامع لشرايط الحجية في تخصيص العام على ماسيجي ، من جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد ، ولو كان الخاص المتأخر ناسخاً لم يصح ذلك ، لأن النسخ لا يثبت بخبر الواحد ، أضف الى ذلك أن الآية ليس لها عموم لفظي ، وإنما هو ثابت بالإطلاق ، ومقدمات الحكمة . فإذا ورد من الأدلة ما يصلح لتقييدها حكم

بأن الإطلاق فيها غير مراد في الواقع .

١٣- ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾<sup>(١)</sup> .

فقد اشتهر بين علماء أهل السنة ؛ أن حليّة المتعة قد نسخت ، وثبت تحريمها الى يوم القيامة . وقد أجمعت الشيعة الإمامية على بقاء حليّة المتعة ، وأن الآية المباركة لم تنسخ ، ووافقهم على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين . قال ابن حزم : ثبت على إباحتها . المتعة بعد رسول الله ﷺ ابن مسعود ، ومعاوية ، وأبو سعيد ، وابن عباس ، وسلمة ومعبد ابنا أمية بن خلف ، وجابر ، وعمر بن حريث ، ورواه جابر عن جميع الصحابة : مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر الى قرب آخر خلافة عمر ثم قال : ومن التابعين طاووس ، وسعيد بن جبير ، وعطاء وسائر فقهاء مكة<sup>(٢)</sup> .

ونسب شيخ الإسلام المرغيناني القول بجواز المتعة الى مالك ، مستدلاً عليه بقوله : لأنه - نكاح المتعة - كان مباحاً فيبقى الى أن يظهر ناسخه<sup>(٣)</sup> .

ونسب ابن كثير جوازها الى أحمد بن حنبل عند الضرورة في رواية<sup>(٤)</sup> ، وقد تزوج ابن جريح - أحد الأعلام وفقهه مكة في زمنه - سبعين امرأة بنكاح المتعة<sup>(٥)</sup> ، وستعرض إن شاء الله تعالى للبحث في هذا الموضوع عند تفسيرنا الآية الكريمة ، ولكننا نتعرض هنا تعرضاً إجمالياً لإثبات أن مدلول الآية المباركة لم يرد عليه ناسخ .

وبيان ذلك : أن نسخ الحكم المذكور فيها يتوقف :

أولاً : على أن المراد من الاستمتاع في الآية هو التمتع بالنساء بنكاح المتعة .

ثانياً : على ثبوت تحريم نكاح المتعة بعد ذلك .

١ . سورة النساء : الآية ٢٤ .

٢ . هامش المنتقى للفقي ج ٢ ص ٥٢٠ .

٣ . الهداية في شرح البداية ص ٣٨٥ طبعة بولاق مع فتح القدير . وهذه النسبة قد أقرها الشيخ محمد البابر في شرحه على الهداية . نعم ان ابن المهام الحنفي أنكر ذلك في فتح القدير والله العالم . وقال عبد الباقي المالكي الزرقاني في شرحه على مختصر أبي الضياء ج ٣ ص ١٩٠ : « حقيقة نكاح المتعة الذي يفسخ مطلقاً أن يقع العقد مع ذكر الأجل من الرجل أو المرأة أو وليها بأن يعلمها بماقصده ، وأما إذالم يقع ذلك في العقد ، ولكنه قصد الرجل . وفهمت المرأة ذلك منه فانه يجوز ، قاله مالك ، وهي فائدة حسنة تنفع المتغرب » .

٤ . تفسير ابن كثير عند تفسيره الآية المباركة ج ١ ص ٤٧٤ .

٥ . شرح الزرقاني على مختصر أبي الضياء ج ٨ ص ٧٦ .

أما الأمر الأول: إرادة التمتع بالنساء من الاستمتاع فلاريب في ثبوته، وقد تظافرت في ذلك الروايات عن الطريقتين. قال القرطبي: قال الجمهور المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس، وأبي، وابن جبير: ﴿فما استمتعتم به منهنَّ إلى أجلٍ مسمًى فآتوهنَّ أجورهنَّ﴾<sup>(١)</sup>، ومع ذلك فلا يلتفت إلى قول الحسن: بأن المراد منها النكاح الدائم، وأن الله لم يحل المتعة في كتابه. ونسب هذا القول إلى مجاهد، وابن عباس أيضاً. والروايات المروية عنهما: أن الآية نزلت في المتعة تكذب هذه النسبة. وعلى كل حال فإن استفاضة الروايات في ثبوت هذا النكاح وتشريعه تغنيانا عن تكلف إثباته، وعن إطالة الكلام فيه.

وأما الأمر الثاني: «تحريم نكاح المتعة بعد جوازه» فهو ممنوع، فإن ما يحتمل أن يعتمد عليه القائل بالنسخ هو أحد أمور، وجميعها لا يصلح لأن يكون ناسخاً، وهي:

١- إن ناسخها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمِذْيَبِهِنَّ﴾<sup>(٢)</sup>

ونسب ذلك إلى ابن عباس<sup>(٣)</sup>، ولكن النسبة غير صحيحة، فانك ستعرف أن ابن عباس بقي مصرّاً على إباحتها المتعة طيلة حياته.

والجواب:

عن ذلك ظاهر، لأن الإلتزام بالنسخ إن كان لأجل أن عدد عدة المتمتع بها أقل من عدة المطلقة فلا دلالة في الآية، ولا في غيرها. على أن عدة النساء لا بد وأن تكون على نحو واحد، وإن كان لأجل أنه لا طلاق في نكاح المتعة فليس للآية تعرض لبيان موارد الطلاق، وأنه في أي مورد يكون وفي أي مورد لا يكون. وقد نقل في تفسير المنار عن بعض المفسرين أن الشيعة يقولون بعدم العدة في نكاح المتعة<sup>(٤)</sup>.

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. وهذه كتب فقهاء الشيعة من قدمائهم ومتأخريهم،

١. تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠. وقال ابن كثير في تفسيره: وكان ابن عباس وأبي بن كعب. وسعيد بن جبير، والسدي يقرأون ﴿لما استمتعتم به منهن إلى أجل مسى فآتوهن أجورهن فريضة﴾.

٢. سورة الطلاق: الآية ١.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٥.

٤. المجلد الخامس ص ١٣، ١٤.

ليس فيها من نسب اليه هذا القول، وإن كان على سبيل الشذوذ، فضلاً عن كونه مجعماً عليه بينهم، وللشيعة مع هؤلاء الذين يفترون عليهم الأقاويل، وينسبون اليهم الأباطيل يوم تجتمع فيه الخصوم، وهنالك يخسر المبطلون.

٢- إن ناسخها قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

من حيث أن المتمتع بها لا ترث ولا تورث فلا تكون زوجة. ونسب ذلك الي سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، والقاسم بن أبي بكر<sup>(٢)</sup>.

الجواب:

إن ما دل على نفي التوارث في نكاح المتعة يكون مخصصاً لآية الإرث ولادليل على أن الزوجية بمطلقها تستلزم التوارث. وقد ثبت أن الكافر لا يرث المسلم، وأن القاتل لا يرث المقتول، وغاية ما ينتج ذلك أن التوارث مختص بالنكاح الدائم، وأين هذا من النسخ؟!.

٣- إن ناسخها هو السنة، فقد روى عن علي عليه السلام أنه قال لابن عباس:

«إنك رجل تائه. إن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير».

وروى الربيع بن سبرة عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً بين الركن والباب وهو يقول: يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الإستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً».

وروى سلمة عن أبيه قال:

«رخص رسول الله ﷺ عام أو طاس في المتعة ثلاثاً ثم نهى عنها».

والجواب:

أولاً- إن النسخ لا يثبت بخبر الواحد، وقد تقدم مراراً.

ثانياً- إن هذه الروايات معارضة بروايات أهل البيت عليه السلام المتواترة التي دلت على إباحة

١. سورة النساء: الآية ١٢.

٢. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٥، ٦، ١٠٦.

المتعة ، وأن النبي لم ينه عنها أبداً .

ثالثاً - إن ثبوت الحرمة في زمان ما على عهد رسول الله ﷺ لا يكفي في الحكم بنسخ الآية ، لجواز أن يكون هذا الزمان قبل نزول الإباحة . وقد استفاضت الروايات من طرق أهل السنة على حلية المتعة في الأزمنة الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ الى زمان من خلافة عمر ، فإن كان هناك ما يخالفها فهو مكذوب ، ولا بد من طرحه .

ولأجل التبصرة نذكر فيما يلي جملة من هذه الروايات :

١- روى أبو الزبير .

« قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهى عنه - نكاح المتعة - عمر في شأن عمرو بن حريث » (١) .

٢- وروى أبو نصره .

« قال : كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت . فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين - متعة الحج ومتعة النساء - فقال جابر : فعلتاها مع رسول الله ﷺ ، ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما » (٢) .

٣- وروى أبو نصره عنه أيضاً .

« قال : متعتان كانتا على عهد النبي ﷺ فهناك عنهما عمر فانتبهنا » (٣) .

٤- وروى أبو نصره عنه أيضاً .

« تمتعنا متعتين على عهد رسول الله ﷺ - الحج والنساء - فهناك عنهما عمر فانتبهنا » (٤) .

٥- وروى أبو نصره عنه أيضاً .

« قال : قلت إن ابن الزبير ينهى عن المتعة ، وإن ابن عباس يأمر بها . قال : - جابر - على يدي جرى الحديث ، تمتعنا مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر ، فلما ولي عمر خطب

٢ . نفس المصدر .

١ . صحيح مسلم باب نكاح المتعة ج ٤ ص ١٤١ .

٤ . مسند أحمد ج ٣ ص ٢٥٦ ، ٢٦٣ .

٣ . مسند أحمد ج ٣ ص ٢٢٥ .

الناس . فقال : إن رسول الله ﷺ هذا الرسول ، وإن القرآن هذا القرآن ، وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنهما ، وإحداهما متعة النساء ، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيَّيته بالحجارة ..<sup>(١)</sup> .

٦- وروى عطاء قال : قدم جابر بن عبد الله معتمراً ، فجنَّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ، ثم ذكروا المتعة . فقال : نعم استمتعتنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر<sup>(٢)</sup> . وأخرج ذلك أحمد في مسنده ، وزاد فيه : « حتى إذا كان في آخر خلافة عمر<sup>(٣)</sup> .

٧- وروى عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آية تنسخها ، ولم ينه عنها النبي ﷺ حتى مات<sup>(٤)</sup> . وذكرها الرازي عند تفسيره الآية المباركة بزيادة : « ثم قال رجل برأيه ماشاء<sup>(٥)</sup> .

٨- وروى عبد الله بن مسعود قال : كنا نفزو مع رسول الله ﷺ ليس معنا نساء ، قلنا : ألا نستخصي ؟ . فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا مَا آخَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

أقول : إن قراءة عبد الله الآية صريحة في أن تحريم المتعة لم يكن من الله ولا من رسوله ، وإنما هو أمر حدث بعد رسول الله ﷺ .

٩- وروى شعبة عن الحكم بن عيينة .

« قال : سألته عن هذه الآية - آية المتعة - أم نسوخة هي ؟ قال لا .

قال الحكم : قال علي لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي<sup>(٧)</sup> .

١ . سنن البيهقي ج ٧ باب نكاح المتعة ص ٢٠٦ . وقال : أخرجه مسلم من وجه آخر عن همام .

٢ . صحيح مسلم ج ٤ باب نكاح المتعة ص ١٣١ . ٣ . مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٠ .

٤ . نفس المصدر ج ٤ ص ٤٣٦ .

٥ . الرواية مع هذه الزيادة مذكورة في صحيح مسلم ج ٤ باب جواز التمتع ص ٤٨ .

٦ . سورة المائدة : الآية ٨٧ . صحيح مسلم ج ٤ ص ١٣٠ .

٧ . تفسير الطبري عند تفسيره الآية المباركة ج ٥ ص ٩ .

وروى القرطبي ذلك عن عطاء عن ابن عباس (١).

أقول: لعل المراد بالشقي - في هذه الرواية - هو ما فسره به هذا اللفظ في رواية أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي، قيل ومن الشقي؟ قال: الذي لا يعمل بطاعة، ولا يترك لله معصية» (٢).

١٠ - وروى عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: رحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله تعالى رحم الله بها أمة محمد ﷺ ولولا نهيها لما احتاج إلى الزنا إلا شفا (٣).

ثم إن الروايات التي استند إليها القائل بالنسخ على طوائف. منها: ما ينتهي سنده إلى الربيع بن سبرة عن أبيه، وهي كثيرة. وقد صرح في بعضها بأن رسول الله ﷺ قام بين الركن والمقام، أو بين الباب والمقام، وأعلن تحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة. ومنها: ماروي عن علي رضي الله عنه أنه روى تحريمها عن رسول الله ﷺ. ومنها: ماروي عن سلمة بن الأكواع.

أما ما ينتهي سنده إلى سبرة، فهو وإن كثرت طرقه إلا أنه خير رجل واحد «سبرة» وخبر الواحد لا يثبت به النسخ. على أن مضمون بعض هذه الروايات يشهد بكذبها، إذ كيف يعقل أن يقوم النبي ﷺ خطيباً بين الركن والمقام، أو بين الباب والمقام، ويعلن تحريم شيء إلى يوم القيامة بجمع حاشد من المسلمين، ثم لا يسمعه غير سبرة، أو أنه لا ينقله أحد من الوف المسلمين سواء؟، فأين كان المهاجرون والأنصار الذين كانوا يلتقطون كل شاردة وواردة من أقوال النبي ﷺ وأفعاله؟ وأين كانت الرواة الذين كانوا يهتمون بحفظ اشارات يد النبي ﷺ ولحظات عينيه، ليشاركوا «سبرة» في رواية تحريم المتعة إلى يوم القيامة؟ ثم أين كان عمر نفسه عن هذا الحديث ليستغني به عن إسناد التحريم إلى نفسه؟ أضف إلى ذلك أن روايات «سبرة» متعارضة، يكذب بعضها بعضاً، ففي بعضها أن التحريم كان في عام الفتح (٤) وفي بعضها أنه كان في حجة الوداع (٥). وعلى

١. تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠. ٢. مسند أحمد ج ٢ ص ٣٤٩.

٣. أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٤٧. الشفا: القليل.

٤. صحيح مسلم ج ٤ باب نكاح المتعة في عدة روايات ص ١٣٢، ١٣٣.

٥. سنن ابن ماجه الطبعة الاولى ج ١ باب النهي عن نكاح المتعة ص ٣٠٩. وسنن أبي داود ج ١ باب نكاح المتعة ص ٣٢٤.

الجملة: إن رواية «سبرة» هذه في تحريم المتعة لا يمكن الأخذ بها من جهات شتى .  
وأما ما روي عن علي عليه السلام في تحريم المتعة فهو موضوع قطعاً ، وذلك لاتفاق المسلمين على حليتها عام الفتح ، فكيف يمكن أن يستدل علي عليه السلام على ابن عباس بتحريم في خيبر؟ ، ولأجل ذلك احتمل بعضهم أن تكون جملة «زمن خيبر» في الرواية المتقدمة راجعة الى تحريم لحوم الحمر الأهلية، لآلى تحريم المتعة . ونقل هذا الإحتمال عن ابن عيينة كما في المنتقي ، وسنن البيهقي في باب المتعة .

وهذا الاحتمال باطل من وجهين :

١- مخالفته للقواعد العربية : لأن لفظ النهي في الرواية لم يذكر إلا مرة واحدة في صدر الكلام ، فلا بد وان يتعلق الظرف به ، فالذي يقول : أكرمت زيداً وعمرواً يوم الجمعة ، لا بد وأن يكون مراده أنه أكرمهما يوم الجمعة . أما إذا كان المراد أن إكرامه لعمرو و بخصومه كان يوم الجمعة فلا بد له من أن يقول : أكرمت زيداً ، وأكرمت عمرو يوم الجمعة .

٢- إن هذا الإحتمال مخالف لصريح رواية البخاري ، ومسلم ، وأحمد عن علي عليه السلام أنه قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الانسية» (١) . وروى البيهقي - في باب المتعة - عن عبدالله بن عمر أيضاً رواية تحريم المتعة يوم خيبر (٢) .

وأما ما روي عن سلمة بن الأكوع عن أبيه . قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها » فهو خبر واحد ، لا يثبت به النسخ . على أن ذلك لو كان صحيحاً لم يكن خفياً عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر ، و عمرو بن حريث ، ولا عن غيرهم من الصحابة والتابعين ، وكيف يصح ذلك ولم يحزم أبو بكر المتعة أيام خلافته ، ولم يحرمها عمر في شطر كبير من أيامه ، وإنما حرمها في أواخر أمره؟! .

وقد مر عليك كلام ابن حزم في ثبوت جماعة من الصحابة والتابعين على إباحة المتعة . ومما يدل على ما ذكره ابن حزم من فتوى جماعة من الصحابة بإباحة المتعة : ما رواه ابن

١. المنتقى ج ٢ ص ٥١٩ ، ورواه ابن ماجة ج ١ ص ٣٠٩ .

٢. سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٢ .



جرير في تهذيب الآثار، عن سليمان بن يسار، عن أم عبد الله ابنة أبي خيثمة :  
 « إن رجلاً قدم من الشام فنزل عليها . فقال : إن العزبة قد اشتدت علي فابغيني امرأة  
 اتمتع معها . قالت : فدلته على امرأة فشارطها وأشهدوا على ذلك عدولاً ، فمكثت معها  
 ماشاء الله أن يمكث ، ثم إنه خرج فاخبر عن ذلك عمر بن الخطاب ، فأرسل إلي فسألني  
 أحق ما حدثت ؟ قلت : نعم . قال : فإذا قدم فأذنيني به ، فلما قدم أخبرته فأرسل اليه . فقال :  
 ما حملك على الذي فعلته ؟ قال : فعلته مع رسول الله ﷺ ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه الله ،  
 ثم مع أبي بكر فلم ينهنا عنه حتى قبضه الله ، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً . فقال عمر : أما  
 والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهى لرجعتك ، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح .  
 ومارواه ابن جرير أيضاً ، وأبو يعلى في مسنده ، وأبو داود في ناسخه عن علي عليه السلام قال :  
 « لولا ما سبق من رأي عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة ، ثم ما زنى إلا شقي »<sup>(١)</sup> .

وفي هاتين الروايتين وجوه من الدلالة على أن التحريم إنما كان من عمر :  
 الأول : شهادة الصحابي ، وشهادة علي عليه السلام على أن تحريم المتعة لم يكن في زمان  
 النبي ﷺ ولا بعده إلى أن حرّمها عمر برأيه .  
 الثاني : شهادة العدول عن المتعة في الرواية الأولى ، مع عدم نهيم عنها تدل على أنهم  
 كانوا يجوّزونها .

الثالث : تقرير عمر دعوى الشامي أن النبي ﷺ لم ينه عنها .

الرابع : قول عمر للشامي : « لو كنت تقدمت في نهى لرجعتك » فإنه صريح في أن عمر  
 لم يتقدم بالنهي قبل هذه القصة . ومعنى ذلك : أن عمر قد اعترف بأن المتعة لم ينه عنها قبل  
 ذلك .

الخامس : قول عمر : بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح ، فإنه يدل على أن المتعة  
 كانت شائعة بين المسلمين ، فأراد عمر أن يبلغ نهيه عن المتعة اليهم ليبتئها عنها بعد ذلك .  
 ولعل لهذه القصة دخلاً مباشراً أو غير مباشر في تحريم عمر للمتعة ، فإن إنكاره على  
 الشامي عمله هذا مع شهادة الحديث بأن التمتع كان أمراً شائعاً بين المسلمين ووصول

الخبر اليه ، مع أن هذه الأشياء لا يصل خبرها الى السلطان عادة ، كل هذا يدلنا على أن في الأمر سرأ جهلته الرواة ، أو أنهم اغفلوه فلم يصل الينا خبره . ويضاف الى ذلك أن رواية سلمة بن الأكوع ليس فيها ظهور في أن النهي كان من النبي ﷺ ، فمن المحتمل ان لفظ نهى في الرواية بصيغة المبني للمفعول واريده منه نهى عمر بعد رسول الله ﷺ .

وعلى الجملة : انه لم يثبت بدليل مقبول نهى رسول الله ﷺ عن المتعة ، ومما يدل على ان رسول الله ﷺ لم ينه عن المتعة : أن عمر نسب التحريم الى نفسه ، حيث قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وعاقب عليهما<sup>(١)</sup> . ولو كان التحريم من النبي ﷺ لكان عليه أن يقول: نهى النبي عنهما .

٤- ان ناسخ جواز المتعة الثابت بالكتاب والسنة هو الإجماع على تحريمها .

والجواب عن ذلك : أن الإجماع لا حجية له إذا لم يكن كاشفاً عن قول المعصوم ، وقد عرفت أن تحريم المتعة لم يكن في عهد النبي ﷺ ولا بعده الى مضي مدة من خلافة عمر . أهمل يجوز في حكم العقل أن يرفض كتاب الله وسنة نبيه بفتوى جماعة لم يعصموا من الخطأ ؟ ولو صح ذلك لأمكن نسخ جميع الأحكام التي نطق بها الكتاب ، أو أنبثتها السنة القطعية . ومعنى ذلك أن يلتزم بجواز نسخ وجوب الصلاة ، أو الصيام ، أو الحج بأراء المجتهدين ، وهذا مما لا يرضى به مسلم .

أضف الى ذلك : أن اجماع لم يتم في مسألة تحريم المتعة ، وكيف يدعى الإجماع على ذلك ، مع مخالفة جمع من المسلمين من أصحاب النبي ﷺ ومن بعده ، ولا سيما أن قول هؤلاء بجواز المتعة موافق لقول أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . واذن فلم يبق إلا تحريم عمر .

ومن البين أن كتاب الله وسنة نبيه أحق بالإتباع من غيرهما . ومن أجل ذلك أفتى عبدالله بن عمر بالرخصة بالتمتع في الحج . فقال له ناس : كيف تخالف أباك وقد نهى عن ذلك ؟؟ فقال لهم : ويلكم ألا تتقون ... أفرسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا سنته أم سنة

١- تقدم ذلك في الرواية الخامسة من روايات جابر . ورواه أبو صالح كاتب الليث في نسخته والطحاوي . ورواه ابن جرير في تهذيب الآثار ، وابن عساكر إلا أن عمر قال في ما رواه ، واضرب فجمها . كنز العمال المتعة ج ٨ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

عمر؟ (١)

و خلاصة ما تقدم : أن جميع ماتمسك به القائلون بالنسخ لا يصلح أن يكون ناسخاً لحكم الآية المباركة ، الذي ثبت - قطعاً - تشريعه في الإسلام .

الرجم على المتعة :

قد صح في عدة روايات - تقدم بعضها - أن عمر حكم بالرجم على المتعة . فمنها ما رواه جابر . قال : تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء ، بما شاء ، وإن القرآن قد نزل منزله ، فأتوا الحجة والعمرة لله كما أمركم ، وأبوا نكاح هذه النساء . فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمت بالحجارة (٢) .

ومنها : ما رواه الشافعي عن مالك عن ابن شهاب عن عروة أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب . فقالت : إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة مولدة فحملت منه فخرج عمر يجرّ رداءه فزعاً . فقال : هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيه لرجمته (٣) .

ومنها : ما رواه نافع عن عبد الله بن عمر : إنه سئل عن متعة النساء . فقال : حرام ، أما إن عمر بن الخطاب لو أخذ فيها أحداً لرجمه (٤) .

ونهج ابن الزبير هذا المنهج ، فإنه حينما أنكر نكاح المتعة . قال له ابن عباس : إنك لجلف جاف ، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - رسول الله - فقال له ابن الزبير فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمك باحجارك (٥) .

وهذا من الغريب ، وكيف يستحق الرجم رجل من المسلمين خالف عمر في الفتيا ، واستند في قوله هذا إلى حكم رسول الله ﷺ ونص الكتاب ؟ ، ولنفرض أن هذا الرجل كان مخطئاً في اجتهاده ، أفليست الحدود تدرأ بالشبهات !! على أن ذلك فرض محض . وقد علمت أنه لا دليل يثبت دعوى النسخ .

وما أبعد هذا القول من مذهب أبي حنيفة ، حيث يرى سقوط الحد إذا تزوج الرجل

١. مسند أحمد ج ٢ ص ٩٥ .

٢. صحيح مسلم باب المتعة بالحج والعمرة ج ٤ ص ٣٦ . وروى الطيالسي قريباً منها عن جابر في مسنده ج ٨

٣. سنن البيهقي باب نكاح المتعة ج ٧ ص ٢٠٦ .

٤. سنن البيهقي باب نكاح المتعة ج ٧ ص ٢٠٦ .

٥. صحيح مسلم باب نكاح المتعة ج ٤ ص ١٣٣ .

بامرأة نكاحاً فاسداً أو باحدى محارمه في النكاح ، ودخل بها مع العلم بالحرمة وفساد العقد<sup>(١)</sup> ، وانه إذا استأجر امرأة فزنى بها ، سقط الحد لأن الله تعالى سَمَى المهر أجراً وقد روي نحو ذلك عن عمر بن الخطاب أيضاً<sup>(٢)</sup> .

مزاعم حول المتعة :

زعم صاحب المنار : أن التمتع ينافي الاحصان ، بل يكون قصده الأول المسافحة ، لأنه ليس من الإحصان في شيء أن توجر المرأة نفسها كل طائفة من الزمن لرجل ، فتكون كما قيل :

كرة حذفت بصوالجدة      فستلقفها رجل رجل

وزعم ، أنه ينافي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَمَا بَيْنَهُمْ غَيْرَ مَلْهُومِينَ ﴾ ﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ زَورًا ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثم ذكر : أن تحريم عمر لم يكن من قبل نفسه ، فان ثبت أنه نسبه الى نفسه فمعناه أنه بين تحريمها ، أو أنه أنفذه . ثم إنه استغفر بعد ذلك عما كتبه في المنار من أن عمر منع المتعة اجتهاداً منه ووافق عليه الصحابة<sup>(٤)</sup> .

ودفعاً لهذه المزاعم نقول : أما حكاية منافاة التمتع للإحصان فهو مبني على ما يزعمه هو من أن المتمتع بها ليست زوجة . وقد أوضحنا - فيما تقدم - فساد هذا القول ومنه يظهر أيضاً فساد توهمه ؛ أن جواز التمتع ينافي وجوب حفظ الفروج على غير الأزواج .

وأما تعبيره عن عقد المتعة باجارة المرأة نفسها ، وتشبيه المرأة بالكرة التي تتلقفها الأيدي ، فهو - لو كان صحيحاً - لكان ذلك اعتراضاً على تشريع هذا النوع من النكاح على عهد رسول الله ﷺ ؛ لأن هذا التشبيه والتفبيح لا يختص بزمان دون زمان ، ولا يشك مسلم في أن التمتع كان حلالاً على عهد رسول الله ﷺ وقد عرفت - فيما تقدم - أن إباحته استمرت حتى الى مدة من عهد عمر .

٢ . احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٤٦ .

٤ . تفسير المنارج ص ١٣ - ١٦ .

١ . الهداية ، وفتح القدير ج ٤ ص ١٤٧ .

٣ . سورة المؤمنون : الآية ٥ - ٧ .

ومن الغريب، أن يصرح - هنا - أنه لم يقصد غير بيان الحق، وأنه لا يتعصب لمذهب، ثم يجره التعصب إلى أن يشنع على ما ثبت في الشرع الإسلامي بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وإن وقع الإختلاف بينهم في نسخه واستمراره. أضف إلى ذلك: أن انتقال المرأة من رجل إلى رجل لو كان قبيحاً لكان ذلك مانعاً عن طلاق المرأة في العقد الدائم، لتنتقل إلى عصمة رجل آخر، وعن انتقال المرأة بملك اليمين، ولم يستشكل في ذلك أحد من المسلمين، إلا أن صاحب المنار في مندوحة عن هذا الإشكال، لأنه يرى المنع من الاسترقاق، وإن في تجويزه مفسدات كثيرة، وزعم أن العلماء الأعلام أهملوا ذكر ذلك، وذهب إلى بطلان العقد الدائم، إذا قصد الزوج من أول الأمر الطلاق بعد ذلك، وخالف في ذلك فتاوى فقهاء المسلمين.

ومن الغريب أيضاً ما وجه به نسبة عمر تحريم المتعة إلى نفسه، فإنه لا ينهض ذلك بما زعمه، فإن بيان عمر للتحريم؛ إما أن يكون اجتهاداً منه على خلاف قول النبي ﷺ، وإما أن يكون اجتهاداً منه بتحريم النبي إياها، وإما أن يكون رواية منه للتحريم عن النبي ﷺ. أما احتمال أن يكون قوله رواية عن النبي فلا يساعد عليه نسبة التحريم والنهي إلى نفسه في كثير من الروايات. على أنه إذا كان رواية، كانت معارضة بما تقدم من الروايات الدالة على بقاء إباحة المتعة إلى مدة غير يسيرة من خلافة عمر، وأين كان عمر أيام خلافة أبي بكر؟ وهلا أظهر روايته لأبي بكر ولسائر المسلمين، على أن رواية عمر خبر واحد لا يثبت به النسخ.

وأما احتمال أن يكون قول عمر هذا اجتهاداً منه بتحريم النبي نكاح المتعة فهو أيضاً لا معنى له بعد شهادة جماعة من الصحابة بإباحته في زمان رسول الله ﷺ إلى وفاته. على أن اجتهاده هذا لا يجدي غيره ممن لم يؤمر باتباع اجتهاده ورأيه، بل وهذان الاحتمالان مخالفان لتصريح عمر في خطبته: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وعاقب عليهما».

وإذن فقد انحصر الأمر في أن التحريم كان اجتهاداً منه على خلاف قول رسول الله ﷺ بالإباحة، ولأجل ذلك لم تتبعه الأمة في تحريمه متعة الحج، وفي ثبوت

الحد في نكاح المتعة . فان اللازم على المسلم أن يتبع قول النبي ﷺ وأن يرفض كل اجتهاد يكون على خلافه .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ: « ما أحللت إلا ما أحل الله ، ولا حرمت إلا ما حرّم الله » (٢) . وقال ﷺ: « فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه - فمه - الا حق » (٣) . ومع هذا كله : فقد قال القوشجي في الاعتذار عن تحريم عمر المتعة ، خلافاً لرسول الله ، واجيب : « بأن ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه ، فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الإجتهدية ليس ببدع » (٤) .

وقال الأمدى : اختلفوا في أن النبي ﷺ هل كان متعبداً بالإجتهد فيما لا نص فيه ، فقال أحمد بن حنبل ، والقاضي أبو يوسف : « إنه كان متعبداً به » ، وجوز الشافعي في رسالته ذلك من غير قطع . وبه قال بعض أصحاب الشافعي ، والقاضي عبد الجبار ، وأبو الحسين البصري . ثم قال : « والمختار جواز ذلك عقلا ، ووقوعه سمعا » (٥) .

وقال فيه أيضا : القائلون بجواز الإجتهد للنبي ﷺ اختلفوا في جواز الخطأ عليه في اجتهاده ، فذهب بعض أصحابنا الى المنع من ذلك ، وذهب أكثر أصحابنا ، والحنابلة ، وأصحاب الحديث ، والجبائي ، وجماعة من المعتزلة الى جوازه ، لكن بشرط أن لا يقر عليه ، وهو المختار (٦) .

وحاصل ما تقدم : أن آية التمتع لا ناسخ لها ، وأن تحريم عمر ، وموافقة جمع من الصحابة له على رأيه طوعاً أو كرهاً إنما كان اجتهاداً في مقابل النص . وقد اعترف بذلك جماعة ، وأنه لا دليل على تحريم المتعة غير نهي عمر ، إلا أنهم رأوا أن اتباع سنة الخلفاء

١ . سورة الاحزاب : الآية ٣٦ .

٢ . طبقات ابن سعد طبعة مصر ج ٤ ص ٧٢ . وبمضمونها رواية ما بعدها .

٣ . رواه أبو داود - الناج ج ١ ص ٦٦ .

٤ . شرح التجريد في مبحث الامامة .

٥ . الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٢٢٢ .

٦ . نفس المصدر ص ٢٩٠ .

كاتباع سنة النبي <sup>(١)</sup>.

وعلى أيّ فما أوجد ما قاله عبدالله بن عمر: «أرسل الله ﷺ أحق أن تتبع سنته أم سنة عمر». وما أحق ما قاله الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾: <sup>(٢)</sup>.

١٤- ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيبتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ <sup>(٣)</sup>.

قد اختلفت الآراء في مدلول الآية المباركة:

فمنهم من حمل ذيل الآية المباركة: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾ على بيان حكم مستقل عن سابقه، فجعله جملة مستأنفة، وفسر كلمة «نصيبهم» بالنصر، والنصح، والرفادة، والعون، والعقل، والمشورة.

وعلى ذلك: فالآية محكمة غير منسوخة، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر <sup>(٤)</sup>. ومنهم من جعله معطوفاً على ما قبله، وفسر كلمة «نصيبهم» مما يستحقه الوارث من التركة.

ثم إن هؤلاء قد اختلفوا: فذهب بعضهم إلى أن المراد بعقد اليمين في الآية المباركة عقد المؤاخاة، وما يشبهه من العقود التي كانت يتوارث بسببها في الجاهلية. وقد أقر الإسلام ذلك إلى أن نزلت آية الموارث:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ <sup>(٥)</sup>.

وعلى ذلك فالآية منسوخة <sup>(٦)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بعقد اليمين خصوص عقد ضمان الجريرة، وعلى ذلك، فإن قلنا بما ذهب إليه أكثر علماء أهل السنة من أنه لا ارث بعقد ضمان الجريرة كانت الآية

١. هامش المتنق للفتي ج ٢ ص ٥١٩.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٦٦ انظر التعليقة رقم (٨) في البيان ص ٥١٢ رأي ابن عبده في الطلاق الثلاث.

٣. سورة النساء: الآية ٣٣.

٤. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٧.

٥. نفس المصدر ص ١٠٩.

٦. سورة الأنفال: الآية ٧٥.

منسوخة أيضاً بآية المواريث<sup>(١)</sup>، وإن قلنا بما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه من ثبوت الارث بهذا العقد كانت الآية محكمة غير منسوخة.

وقد استدلو على ذلك بأن آية المواريث لم تنف ارث غير اولي الأرحام، وإنما قَدَّمتهم على غيرهم، فلا تنافي بين الآيتين. لتكون آية المواريث ناسخة لهذه الآية<sup>(٢)</sup>.  
والحق: إن المراد بالآية ما هو ظاهرها الذي يفهم منها، وهو ثبوت الارث بالمعاقدة، ومع ذلك فلا نسخ لمدلول الآية.

وبيان ذلك: إن سياق الآية يقتضي أن يكون المراد بالنصيب المذكور فيها هو الارث، وحمله على النصرة وما يشبهها خلاف ظاهرها، بل كاد يكون صريحها.

ثم إن ذكر الطوائف الثلاث في الآية لا يدل على اشتراكهم وتساويهم في الطبقة، فإن الولد يرث أبويه ولا يرث معه أحد من أقرباء الميت من اولي ارحامه. فالذي يستفاد من الآية الكريمة ان الموروث هو هذه الطوائف الثلاث، وأما ترتيب الارث وتقدم بعض الوراث على بعض فلا يستفاد من الآية، وقد استفيد ذلك من الأدلة الأخرى في الكتاب والسنة.

وعلى هذا الذي ذكرناه تكون الآية الكريمة جامعة لجميع الوراث على الإجمال، فالولد يرث ما تركه الوالدان، والأقربون من اولي الأرحام يرث بعضهم بعضاً، ومن عقد معه يرث في الجملة تشريكاً أو ترتيباً.

وتفصيل ذلك:

إن الارث من غير جهة الرحم لا بد له من تحقق عقد والتزام من العاقد بيمينه وقدرته، وهو تارة يكون من جهة الزواج، فكل من الزوجين يرث صاحبه بسبب عقد الزواج الذي تحقق بينهما، وتارة يكون من جهة عقد البيعة والتبعية، ويسمى ذلك بولاء الامامة، ولا خلاف في ثبوت ذلك لرسول الله ﷺ، وقد ورد في عدة روايات من طرق أهل السنة انه ﷺ قال: «أنا وارث من لا وارث له»<sup>(٣)</sup>.

١. تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٩٠.

٢. أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٨٥.

٣. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه: المنتقى ج ٢ ص ٤٦٢.



ولا اشكال أيضاً في ثبوته لأوصياء النبي الكرام عليهم السلام، فقد ثبت بالأدلة القطعية انهم بمنزلة نفس الرسول ﷺ، وعلى ذلك اتفقت كلمات الامامية وروايات أهل البيت عليهم السلام، وتارة يكون من جهة عقد العتق فيرث المعتق عبده الذي أعتقه بولاء العتق، ولا خلاف في ذلك بين الامامية. وقال به جمع من غيرهم، وتارة يكون من جهة عقد الضمان ويسمى ذلك « بولاء ضمان الجريرة » وقد اتفقت الامامية على ثبوت الارث بسبب هذا الولاء، وذهب اليه أبو حنيفة وأصحابه.

وجملة القول: فدعوى نسخ الآية بتوقف ثبوتها على أمرين:

١- أن يكون قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

في الآية معطوفاً على ما قبله، ولا يكون جملة مستأنفة ليكون المراد من « نصيحتهم » النصيح والمشورة وما يشبههما.

٢- أن يراد بعقد اليمين فيها: خصوص ضمان الجريرة، مع الالتزام بعدم ثبوت الارث به، أو عقد المؤاخاة وما يشبهه من العقود التي اتفق المسلمون على عدم ثبوت الارث بها. أما « الأمر الأول »: فلا ريب فيه، وهو الذي يقتضيه سياق الآية.

وأما « الأمر الثاني »: فهو ممنوع، لأن ضمان الجريرة أحد مصاديق عقد اليمين، ومع ذلك فلم ينسخ حكمه. ودعوى أن المراد بعقد اليمين العقود التي لا توجب التوريث، كالمؤاخاة ونحوها لا دليل على ثبوتها.

١٥- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد ذهب أكثر العلماء الى أنها منسوخة<sup>(٣)</sup>، ولكن وقع الكلام في ناسخها. فعن قتادة ومجاهد: أنها منسوخة بتحريم الخمر. وحكي هذا القول عن الحسن أيضاً، وعن ابن عباس: أنها منسوخة بقوله تعالى:

﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

٢. سورة النساء: الآية ٤٣.

١. سورة النساء: الآية ٣٣.

٤. سورة المائدة: الآية ٦.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٩.

وكلا هذين القولين ظاهر الفساد :

أما القول الأول : فلان الآية الكريمة لا دلالة فيها على جواز شرب الخمر بوجه ، وإن فرض أن تحريم الخمر لم يكن في زمان نزول الآية ، فالآية لا تعرض لها لحكم الخمر رخصة أو تحريماً . على أن هذا مجرد فرض لا وقوع له . ففي رواية ابن عمر : « نزلت في الخمر ثلاث آيات فأول شيء نزل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ف قيل حرمت الخمر ، ف قيل يارسول الله دعنا ننتفع بها ، كما قال الله عزوجل ، فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : <sup>(٢)</sup> ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وروى نحو ذلك أبو هريرة <sup>(٤)</sup> . وروى أبو ميسرة عن عمر بن الخطاب قال : « لما نزل تحريم الخمر . قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

قال فدعي عمر فقرئت عليه . فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ <sup>(٦)</sup> .

فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى لا يقربن الصلاة سكران ، فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهِنُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

قال : فقال عمر : انتهينا انتهينا <sup>(٨)</sup> . وأخرج النسائي أيضاً هذا الحديث باختلاف يسير في ألفاظه <sup>(٩)</sup> .

وأما القول الثاني : فلأن وجوب الوضوء عند القيام الى الصلاة لا مساس له بمضمون الآية الكريمة ليكون ناسخاً لها .

٢ . مسند الطيالسي ج ٨ ص ٢٦٤ .

٤ . مسند أحمد ج ٢ ص ٣٥١ .

٦ . سورة النساء : الآية ٤٣ .

٨ . نفس المصدر ج ١ ص ٥٢ .

١ . سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

٣ . سورة النساء : الآية ٤٣ .

٥ . سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

٧ . سورة المائدة : الآية ٩١ .

٩ . سنن النسائي باب تحريم الخمر ج ٢ ص ٢٢٣ .

ولعل القائل بالنسخ يتوهم فيقول: إن النهي عن القرب الى الصلاة - حالة السكر - يقتضي أن يراد بالسكر ما لا يبلغ بالشخص الى حد الغفلة عن التكاليف وامتنالها، وعدم الالتفات اليها. فان الذي يصل به السكر الى هذا الحد يكون تكليفه قبيحاً. وعلى ذلك فاذا فرضنا أن شخصاً شرب الخمر، وحصل له هذا المقدار من السكر فهو مكلف بالصلاة بالإجماع، وذلك يستلزم نسخ مفاد الآية.

ولكن هذا القول توهم فاسد، فان المراد بالسكر بقرينة قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

هي المرتبة التي يفقد السكران معها الشعور، وهذا النهي قد يحمل على الحرمة التكليفية، ولا ينافيها فقد الشعور، لأن إقامة الصلاة في ذلك الحال، وإن كانت غير مقدورة إلا أن فقدته لشعوره هذا كان باختياره، والممتنع بالاختيار لا ينافي صحة العقاب عليه عقلاً. فيصح تعلق النهي بها قبل أن يتناول المسكر باختياره. ومثل هذا كثير في الشريعة الإسلامية.

وقد يراد من النهي: الإرشاد الى فساد الصلاة في هذا الحال، كما هو الظاهر من مثل هذا التركيب. والأمر على هذا الاحتمال واضح جداً. وعلى كل، فلا سبب يوجب الالتزام بالنسخ في الآية.

١٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرٌ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد ذكروا: أن الآية منسوخة بالأمر بنبيذ ميثاق المشركين، وبالأمر بقتالهم سواء أكانوا اعتزلوا المسلمين أم لم يعتزلوهم، فيكون في الآية موردان للنسخ.

والجواب: إن الآية الكريمة نزلت في شأن المنافقين الذين تولوا وكفروا بعد اسلامهم في الظاهر. والدليل على ذلك سياق الآية الكريمة. فقد قال الله تعالى:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ

١. سورة النساء: الآية ٤٣.

٢. سورة النساء: الآية ٩٠.

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴿٣﴾.

وعلى ذلك فالحكم في الآية وارد في المرتدين الذين كانوا أكفارا ثم أسلموا ثم كفروا بعد إسلامهم. والحكم فيهم بمقتضى الآية هو القتل إلا في موردين:

١- وصولهم الى قوم بينهم وبين المسلمين معاهدة، واستجارتهم بهم فيجري عليهم حكم القوم الذين استجاروا بهم بمقتضى المعاهدة، ولكن هذا الحكم مشروط ببقاء المعاهدة، فاذا ألغيت بينهم وبين المسلمين لم يبق للحكم موضوع. وقد أوضحنا في أول هذا البحث أن ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه ليس من النسخ في شيء، وقد ألغيت المعاهدة بين المسلمين والمشركين في سورة التوبة، وأمهلوا أربعة أشهر ليتخبروا إما الإسلام، وإما الخروج عن بلاد المسلمين. وعلى ذلك فلم يبق موضوع للاستجارة التي ذكرتها الآية.

٢- مجيئهم الى المسلمين، وقد حصرت صدورهم عن القتال مع اعتزالهم، والقائهم السلم الى المسلمين بعد الردة. والمراد بالقاء السلم إظهار الإسلام، والإقرار بالشهادتين. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٤﴾.

فالأية دالة على قبول المرتد الملمي إذا أظهر التوبة والإسلام، وانه لا يقتل بعد التوبة. وقد استقر على هذا مذهب الإمامية: ولم ترد في القرآن أية تدل على وجوب قتل المرتد على الإطلاق، لتكون ناسخة لذلك.

أما إذا أراد القائل بالنسخ: أن يتمسك في نسخ الآية بما دل على قتال المشرك والكافر، فمن الواضح أن ذلك مشروط ببقاء موضوعه، على ما هي القاعدة المتبعة في كل قضية حقيقية في الأحكام الشرعية وغيرها. نعم ورد الأمر بقتل المرتد على الإطلاق في بعض

٢. سورة النساء: الآية ٨٩.

١. سورة النساء: الآية ٨٨.

٤. سورة النساء: الآية ٩٤.

٣. سورة النساء: الآية ٩٠.

روايات أهل السنة . فقد روى البخاري ، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود السجستاني ، وابن ماجه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من بدل دينه فاقتلوه »<sup>(١)</sup> . إلا أنه لا خلاف بين المسلمين في أن هذا الحكم مقيد بعدم التوبة ، وإن وقع الخلاف بينهم في المدة التي يستتاب فيها ، وفي وجوب الاستتابة واستحبابها . فالمشهور بين الإمامية أنه واجب ، وأنه لا يحد بمدة مخصوصة ، بل يستتاب مدة يمكن منه الرجوع فيها الى الإسلام ، وقيل : يستتاب ثلاثة أيام . ونسب ذلك الى بعض الامامية . واختاره كثير من علماء أهل السنة ، وذهب أبو حنيفة ، وأبو يوسف الى استحباب الامهال ثلاثة أيام . نعم ذهب علي بن أبي بكر المرغيناني الى وجوب القتل من غير إمهال . ونسب ابن الهمام الى الشافعي ، وابن المنذر أنهما قالا في المرتد : « إن تاب في الحال وإلا قتل »<sup>(٢)</sup> . وعلى كل ، فلا إشكال في سقوط حكم القتل بالتوبة ، كما صرح به في الروايات المأثورة عن الطرفين . وبعد ذلك فلا تكون الآية منسوخة .

١٧ - ﴿ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد اختلفت الأقوال في هذه الآية الكريمة ، فقيل : إنها محكمة لم تنسخ ، وقد أجمعت الشيعة الاثنا عشرية على ذلك ، فالحاكم مخير - حين يتحاكم اليه الكتابيون - بين أن يحكم بينهم بمقتضى شريعة الإسلام ، وبين أن يعرض عنهم ويتركهم وما التزموا به في دينهم . وقد روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن الحاكم إذا أتاه أهل التوراة ، وأهل الإنجيل يتحاكمون اليه كان ذلك اليه ، إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء ترك »<sup>(٤)</sup> . والى هذا القول ذهب من علماء أهل السنة الشعبي ، وابراهيم النخعي وعطاء ، ومالك<sup>(٥)</sup> . وذهب جمع منهم الى أن الآية المباركة منسوخة بقوله تعالى بعد ذلك :

١. المنتقى ج ٢ ص ٧٤٥ .

٢. فتح القدير ج ٤ ص ٣٨٦ .

٣. سورة المائدة : الآية ٤٢ .

٤. الوسائل ج ٣ باب ٢٧ من كتاب القضاء ص ٤٠٦ طبعة عين الدولة .

٥. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣٠ . وفي احكام القرآن للجصاص .

﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>.

وروي عن مجاهد أنه ذهب الى أن آية التخيير ناسخة للآية الثانية .

والتحقيق : عدم النسخ في الآية ، فان الأمر بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله في قوله تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ مقيد بما إذا أراد الحاكم أن يحكم بينهم ، والقرينة على التقييد هي الآية الاولى . ويدل على ذلك أيضا - مضافا الى شهادة سياق الآيات بذلك - قوله تعالى في ذيل الآية الاولى : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فانه يدل على أن وجوب الحكم بينهم بالقسط معلق على إرادة الحكم بينهم . وللحاكم أن يعرض عنهم فيتنفي وجوب الحكم بانتفاء موضوعه . ومما يدل على عدم النسخ في الآية المزبورة الروايات التي دلت على أن سورة المائدة نزلت على رسول الله ﷺ جملة واحدة ، وهو في اثناء مسيره .

فقد روى عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام : « أن سورة المائدة كانت من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ ، وأنها نزلت وهو على بغلته الشهباء ، وثقل عليه الوحي حتى وقعت » <sup>(٣)</sup> .

وروت أسماء بنت يزيد . قالت : « إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله إذ أنزلت عليه المائدة كلها . وكادت من ثقلها تدق من عضد الناقة » <sup>(٤)</sup> .

وروت أيضا باسناد آخر . قالت : « نزلت سورة المائدة على النبي ﷺ جميعا ان كادت لتكسر الناقة » <sup>(٥)</sup> .

وروى جبير بن نفير . قال : « حججت فدخلت على عائشة . فقالت لي : يا جبير تقرأ المائدة ؟ فقلت : نعم . فقالت : أما انها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم من حرام فحرموه » <sup>(٦)</sup> .

١ . سورة المائدة : الآية ٤٨ .

٢ . سورة المائدة : الآية ٤٢ .

٣ . تفسير البرهان ج ١ ص ٢٦٣ .

٤ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢ .

٥ . مسند أحمد ج ٢ ص ٤٥٨ . وفي تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٢ : وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة ، والطبراني ، وأبو نعيم في الدلائل ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد نحوه .

٦ . أخرجه أحمد ، والنسائي ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي في سننه : تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٢ .

وروى أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس، قالوا: «قال رسول الله ﷺ المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها، وحرّموا حرامها»<sup>(١)</sup>. وغير ذلك من الروايات الدالة على أن سورة المائدة نزلت جملة واحدة، وهي آخر ما نزل من القرآن. ومع هذه الروايات المستفيضة كيف يمكن دعوى أن تكون إحدى آياتها ناسخة لآية أخرى منها؟! وهل ذلك إلا من النسخ قبل حضور وقت العمل؟ ونتيجة ذلك أن يكون التشريع في الآية المنسوخة لغواً فائدة فيه. على أن بعض الروايات المتقدمة دلت على أن هذه السورة هي آخر ما نزل من القرآن، وإن شيئاً من آياتها لم ينسخ:

١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب الشيعة الامامية إلى أن الآية محكمة، فتجوز شهادة أهل الكتاب على المسلمين في السفر إذا كانت الشهادة على الوصية، واليه ذهب جمع من الصحابة والتابعين. منهم: عبد الله بن قيس، وابن عباس، وشريح، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعبيدة ومحمد بن سيرين والشعبي، ويحيى بن يعمر، والسدي. وقال به - من الفقهاء - سفيان الثوري، ومال إليه أبو عبيد لكثرة من قال به. وذهب زيد بن اسلم، ومالك بن أنس، والشافعي، وأبو حنيفة: إلى أن الآية منسوخة، وأنه لا تجوز شهادة كافر بحال<sup>(٣)</sup>. والتحقيق، بطلان القول بالنسخ في الآية المباركة، والدليل على ذلك وجوه:

١- الروايات المستفيضة من الطرفين الدالة على نفوذ شهادة أهل الكتاب في الوصية، إذا تضررت شهادة المسلم. فمن هذه الروايات:

ما رواه الكليني عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «أو آخراين من غيركم»، قال: إذا كان الرجل في أرض غربة، لا يوجد فيها مسلم جازت شهادة من ليس بمسلم على الوصية»<sup>(٤)</sup>.

وما رواه الشعبي: «أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بـ «دقوقا» هذه، ولم يجد

١. نفس المصدر.

٢. سورة المائدة: الآية ١٠٦.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣٣، ١٣٤.

٤. الوافي ج ١٣ باب الشهادة على الوصية ص ٨.

أحدا من المسلمين يشهده على وصيته، فاشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدم الكوفة فأتيا الأشعري - يعني أبا موسى - فأخبراه، وقد ما بتركته ووصيته. فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ، فأحلفهما بعد العصر ما خانا، ولا كذبا، ولا بدلا، ولا كتما، ولا غيرا، وانها لوصية الرجل وتركته، فامضى شهادتهما<sup>(١)</sup>.

٢- الروايات المتقدمة: في أن سورة المائدة نزلت جملة واحدة، وانها كانت آخر ما نزل. وليس فيها منسوخ.

٣- إن النسخ لا يتم من غير أن يدل عليه دليل. والوجوه التي تمسك بها القائلون بالنسخ لا تصلح لذلك، فمن هذه الوجوه: أن الله سبحانه اعتبر في الشاهد أن يكون عدلا مرضيا، فقال تعالى: ﴿يَمُنُّ تَرَضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. والكافر لا يكون عدلاً ولا مرضياً، فلا بد وأن يكون الحكم بجواز شهادته منسوخاً. والجواب:

أولاً: إن الآية الأولى وردت في الشهادة على الدين، والآية الثانية وردت في الشهادة على الطلاق، فلا يكون لهما دلالة على اعتبار العدالة في شهود الوصية. ثانياً: إن هاتين الآيتين لو سلم أنهما مطلقتان كانت الآية المتقدمة مقيدة لهما، والمطلق لا يكون ناسخاً للدليل المقيد، ولا سيما إذا تأخر المقيد عنه في الزمان، كما في المقام. ومن هذه الوجوه: أن الاجماع قد انعقد على عدم قبول شهادة الفاسق، والكافر فاسق فلا تقبل شهادته. والجواب:

انه لا معنى لدعوى الاجماع هنا بعد ذهاب اكثر العلماء الى الجواز وقد عرفت ذلك آنفاً، ولا ملازمة عقلاً بين رد شهادة المسلم الفاسق ورد شهادة الكافر اذا كان عادلاً في دينه<sup>(٤)</sup>. ومن هذه الوجوه: أن شهادة الكافر لا تجوز على المسلمين في غير الوصية. وقد اختلف في قبولها في الوصية، فيرد ما اختلف فيه الى ما اجمع عليه.

١. رواه ابو داود. وروى الدار قطني بمعناه: المنتقى ج ٢ ص ٩٤٢.

٢. سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

٣. سورة الطلاق: الآية ٢.

٤. تفسير البرهان ج ١ ص ٣٣٨.



والجواب: إن هذا الوجه في منتهى الغرابة بعد أن عرفت قيام الدليل على قبول الشهادة في باب الوصية بلا معارض. وليت هذا المستدل عكس الأمر وقال: إن شهادة الكافر على الوصية كانت مقبولة في زمان النبي ﷺ بالاجماع، وقد اختلف فيه بعد زمان النبي ﷺ فيرد ما اختلف فيه الى ما أجمع عليه.

وجملة القول: لا سند لدعوى النسخ في الآية غير تقليد جماعة من الفقهاء المتأخرين. وكيف يصح أن ترفع اليد عن حكم ورد في القرآن لفتوى أحد من الناس على خلافه؟! ومن الغريب قول الحسن والزهري: إن المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ قَبْرِكُمْ﴾ (١) آخران من غير عشيرتكم، فلا دلالة في الآية على قبول شهادة الكفار (٢)، ويرده: مضافاً الى الروايات التي وردت في تفسير الآية - أنه مخالف لظاهر القرآن أيضاً، لأن الخطاب في الآية للمؤمنين، فلا بد وأن يراد من قوله تعالى: ﴿قَبْرِكُمْ﴾ غير المؤمنين، وهم الكفار.

نعم: اطلاق الآية الكريمة يدل على قبول شهادة الكافر في الوصية وإن لم يكن الكافر من الكتابيين، سواء أأمكنت إقامة الشهود من المؤمنين أم لم تمكن، ولكن الروايات المستفيضة قيدت ذلك بشهادة الكتابي، وبما إذا لم يمكن تحصيل الشهود من المؤمنين. وهذا من جملة موارد تقييد اطلاق الكتاب بالسنة.

١٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَعَجَزٍ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مِثْلَهَا مَعْتَابًا وَهَبْرٍ مِثْلَهَا كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣).

فقد ذهب أكثر علماء أهل السنة الى أن الآية منسوخة، ولهم في بيان نسخها وجوه: ١- إنها واردة في الزكاة. وأن وجوبها قد نسخ في غير الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب على ما هو الأشهر، بل ولا قائل من الصحابة والتابعين بوجوبها في كل ما أنبتت الأرض. نعم ذهب أبو حنيفة وزفر الى وجوبها في غير الحنط، والحشيش، والقصب (٤).

٢. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣٤.

٤. أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٩.

١. سورة المائدة: الآية ٦-١٠.

٣. سورة الانعام: الآية ١٤١.

٢- إن حكم الآية قد نسخ بالسنة: العشر ونصف العشر وذهب إلى ذلك السدي، وإنس بن مالك. ونسب ذلك إلى ابن عباس، ومحمد بن الحنفية<sup>(١)</sup>.

٣- إن مورد الآية غير الزكاة، وقد نسخ وجوب إعطاء شيء من المال بوجوب الزكاة. ذهب إلى ذلك عكرمة، والضحاك. ونسب ذلك إلى سعيد بن جبير أيضاً<sup>(٢)</sup>.

والحق: بطلان القول بالنسخ في مدلول الآية الكريمة. والدليل على ذلك وجوه: الأول: الروايات المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن الحق المذكور في الآية هو غير الزكاة. وهو باق ولم ينسخ. منها ما رواه الشيخ الكليني بإسناده عن معاوية بن الحجاج. قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في الزرع حقان: حق تؤخذه، وحق تعطيه. قلت: وما الذي تؤخذه وما الذي أعطيه؟ قال أما الذي تؤخذه فالعشر ونصف العشر، وأما الذي تعطيه فقول الله عز وجل: ﴿وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾».

وقد روى ابن مردويه بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: ما سقط من السنبل<sup>(٣)</sup>.

الثاني: إن سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، وقد صرح بذلك روايات كثيرة، منها: ما رواه الشيخ الكليني، بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة. قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن سورة الأنعام نزلت جملة، شيعها سبعون ألف ملك حتى نزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعظموها وبجلوها» فان اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعاً، ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها<sup>(٤)</sup>.

ومنها: ما روي عن ابن عباس. قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح<sup>(٥)</sup>.

ومما لا ريب فيه أن وجوب الزكاة إنما نزل في المدينة، فكيف يمكن أن يقال: إن الآية المذكورة نزلت في الزكاة؟! وحكى الزجاج: أن هذه الآية قيل فيها: إنها نزلت بالمدينة<sup>(٦)</sup>.

١. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٤٠. ٢. نفس المصدر.

٣. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٨٢. ٤. تفسير البرهان ج ١ ص ٣١٣.

٥. رواه أبو عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه. تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٩١.

٦. تفسير القرطبي ج ٧ ص ٩٩.

وهذا القول مخالف للروايات المستفيضة المتقدمة، وهو مع ذلك قول بغير علم.

الثالث: ان الايتاء الذي أمرت به الآية الكريمة قد قيد بيوم الحصاد فلا بد أن يكون هذا الحق غير الزكاة، لأنها تؤدي بعد التنقية والكيل.

ومما يشهد على أن هذا الحق غير الزكاة أنه قد ورد في عدة من الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام النهي عن حصاد الليل، معللا في بعضها أنه يحرم منه القانع والمعتر <sup>(١)</sup>.

وروى جعفر بن محمد بن إبراهيم، بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: «ان رسول الله ﷺ نهى عن الجداد بالليل، والحصاد بالليل. قال جعفر: أراه من أجل المساكين» <sup>(٢)</sup>.

وأما ما قيل في توجيه ذلك: إن يوم الحصاد يمكن أن يكون ظرفا لتعلق الحق بالمال لا للايتاء فيبطله:

١- أنه خلاف الظاهر الذي يفهمه العرف من الآية، بل كاد يكون خلاف صريحها، فإن الظرف إنما يتعلق بما تدل عليه مادة الفعل، ولا يتعلق بما تدل عليه هيئته، فاذا قيل: أكرم زيدا يوم الجمعة كان معناه أن يوم الجمعة ظرف لتحقيق الاكرام، لا أنه ظرف لوجوبه.

٢- أن الزكاة لا تجب يوم الحصاد. بل يتعلق الحق بالمال إذا انعقد الحب، وصدق عليه اسم الحنطة والشعير. وعلى ذلك فذكر يوم الحصاد في الآية قرينة قطعية على أن هذا الحق هو غير الزكاة. ومما يؤيد أن هذا الحق هو غير الزكاة: أنه تعالى نهى في هذه الآية عن الاسراف، وذلك لا يناسب الزكاة المقدرة بالعشر ونصف العشر. وإذا اتضح أن الحق الذي أمرت الآية الكريمة بايتائه هو غير الزكاة الواجبة لم تكن الزكاة ناسخة له.

وجملة القول: إن دعوى النسخ في الآية المباركة تتوقف على إثبات وجوب حق آخر في الزروع حتى ينسخ بوجوب الزكاة، ولا يستطيع القائل بالنسخ إثبات ذلك. لأن ظهور الأمر في الوجوب، وظهوره في الدوام والاستمرار لا يمكن الاحتفاظ بهما جميعا في

٢. سنن البيهقي ج ٤ ص ١٣٣.

١. تفسير البرهان ج ١ ص ٣٣٨.

الآية. وذلك للعلم بأنه لا يجب حق آخر بعد الزكاة، فلا بد - اذن - من التصرف في أحد الظهورين. إما برفع اليد عن الظهور في الوجوب، وإبقائه على الدوام والاستمرار، فيلتزم - حينئذ - بشبوت حق آخر استجبائي باق الى الأبد، وإما برفع اليد عن الدوام والاستمرار، وإبقائه على الظهور في الوجوب فيلتزم بالنسخ. ولا مرجح للثاني على الأول بل الترجيح للأول. والدليل على ذلك أمران:

١- الروايات المستفيضة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ببقاء هذا الحق واستجابته. «وقد أشرنا الى هذه الروايات آنفا».

٢- أن هذا الحق لو كان واجبا لشاع بين الصحابة والتابعين، ولم ينحصر القول به بعكرمة، والضحاك، أو بواحد واتنين غيرهما.

وحاصل ما تقدم: أن الحري بالقبول هو القول بشبوت حق آخر ندبي في الثمار والزروع. وهذا هو مذهب الشيعة الامامية. وعليه فلا نسخ لمدلول الآية الكريمة.

٢٠- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَثِيئَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

قال جماعة: إن الآية منسوخة بتحريم النبي ﷺ بعد ذلك لبعض الأشياء غير المذكورة في الآية.

والحق: عدم النسخ لأن مفاد الآية هو الاخبار عن عدم وجدان محرم غير ما ذكر فيها، وهو دليل على عدم الوجود حين نزولها. وعليه فلا معنى لدعوى النسخ فيها، فإن النسخ لا يقع في الجملة الخيرية، وإذن فلا بد من الالتزام بأن الحصر في الآية اضافي. فإن المشركين حرموا على أنفسهم أشياء، وهي ليست محرمة في الشريعة الإلهية. وهذا يظهر من سياق الآيات التي قبل هذه الآية، أو الالتزام بأن الحصر حقيقي، وأن المحرمات حين نزول هذه الآية كانت محصورة بما ذكر فيها، فإن هذه الآية مكية وقد حرمت بعد نزولها أشياء أخرى، وكانت الأحكام تنزل على التدرج.

ومن الظاهر، أن تحريم شيء بعد شيء لا يكون من النسخ في شيء، وكون الحصر حقيقياً أظهر الاحتمالين وأقربهما إلى الفهم العرفي، ومع ذلك فلا نسخ في مدلول الآية - ولو كان الحصر اضافياً - كما عرفت.

٢١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ \* وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمِيذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ لَقَدْ بَاءَ بِقَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

فقد ذهب بعضهم إلى أن هذا الحكم منسوخ بقوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢).

فإن المسلمين إذا قل عددهم عن نصف عدد الكفار جاز لهم ترك القتال، والفرار من الزحف. ومن القائلين بهذا القول: عطاء بن أبي رباح (٣).

والجواب عن ذلك: إن تقييد إطلاق هذه الآية بآية التخفيف المذكورة يؤكد لبقاء حكمها. ومعنى ذلك: أن الفرار من الزحف محرم في الشريعة الإسلامية إذا لم يكن عدد المسلمين أقل من نصف عدد الكفار، وأما إذا كان المسلمون أقل عدداً من ذلك فلا يحرم عليهم الفرار، وهذا ليس من النسخ في شيء.

وروي عن عمرو بن عمرو، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي نضرة ونافع مولى ابن عمر، والحسن البصري، وعكرمة، وقتادة، وزيد بن أبي حبيب، والضحاك: أن الحكم مخصوص بأهل بدر، ولا يحرم الفرار من الزحف على غيرهم. وبه قال أبو حنيفة (٤).

وهذا القول أيضاً باطل: فإن مورد الآية وإن كان يوم بدر: إلا أن ذلك لا يوجب اختصاص الحكم به، بعد أن كان اللفظ عاماً، وكان الخطاب شاملاً لجميع المسلمين، ولا سيما إذا كان نزول الآية المباركة بعد انقضاء الحرب من يوم بدر (٥).

١. سورة الانفال: الآية ١٥ و١٦.

٢. سورة الانفال: الآية ٦٦.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٥٤، وتفسير الطبري ج ٩ ص ١٣٥.

٤. تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٢٨٠.

٥. تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٢٨٠.

وذهب ابن عباس<sup>(١)</sup> وجميع الشيعة الامامية، وكثير من علماء أهل السنة إلى أن الآية محكمة، وحكمها مستمر الى يوم القيامة. وهذا هو القول الصحيح، وقد عرفت الدليل عليه. والروايات في ذلك متظافرة من الطريقتين.

روى الكليني بإسناده عن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت يقول: «الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمدا، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وأكل مال اليتيم ظلما، وأكل الربا بعد البيعة، وكل ما أوجب الله عليه النار»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال عليه السلام: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٣)</sup>.  
٢٢- ﴿وَإِنْ جَئْتُمْ لِلسَّلْمِ فَآخِذُوا بِهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

فذهب ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن اسلم، وعطاء، وعكرمة، والحسن، وفتادة الى أنها منسوخة بآية السيف<sup>(٥)</sup>.

والحق: أنها محكمة غير منسوخة. والدليل على ذلك.  
أولا: إن آية السيف خاصة بالمشركين دون غيرهم. «وقد تقدم بيان ذلك». ومن هنا صالح النبي عليه السلام نصارى نجران في السنة العاشرة من الهجرة<sup>(٦)</sup>، مع أن سورة براءة نزلت في السنة التاسعة. وعليه فتكون آية السيف مخصصة لعموم الحكم في الآية الكريمة، وليست ناسخة لها.

وثانيا: إن وجوب قتال المشركين، وعدم مسالمتهم مقيد بما إذا كان للمسلمين قوة واستعداد للمقاتلة، وأما إذا لم تكن لهم قوة تمكنهم من الاستظهار على عدوهم فلا مانع

١. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٥٤، وتفسير الطبري ج ٩ ص ١٣٥.

٢. الروايات ج ٣ باب تفسير الكبائر ص ١٧٤.

٣. صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ج ٣ ص ١٩٥، وصحيح مسلم، باب بيان الكبائر ج ١ ص ٦٤. وسنن أبي داود، باب التشديد في أكل مال اليتيم ج ٢ ص ٩٣، وسنن النسائي، باب اجتناب أكل مال اليتيم ج ٢ ص ١٣١ إلا أنه ذكر الشح بدل السحر.

٤. سورة الانفال: الآية ٦١.

٥. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٢.

٦. امتاع الأسباع للمقرئ ص ٥٠٢.

من المسالمة كما فعل النبي ﷺ ذلك مع قريش يوم الحديبية . وقد دل على التقييد قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (١) .

٢٣ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿ أَلَا أَنْ خَفَّفَ اللَّهُ هَتِكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ لِيْنَكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

فقد ذكروا : أن حكم الآية الأولى قد نسخ بالآية الثانية ، وأن الواجب في أول الأمر على المسلمين أن يقاتلوا الكفار ، ولو كانوا عشرة أضعافهم ثم خفف الله عن المسلمين فجعل وجوب القتال مشروطاً بأن لا يزيد الكفار على ضعف عدد المسلمين .

والحق : أنه لا نسخ في حكم الآية ، فإن القول بالنسخ يتوقف على إثبات الفصل بين الآيتين نزولاً ، وإثبات أن الآية الثانية نزلت بعد مجيء زمان العمل بالآية الأولى ، وذلك لئلا يلزم النسخ قبل حضور وقت الحاجة ، ومعنى ذلك : أن يكون التشريع الأول لغوا . ولا يستطيع القائل بالنسخ إثبات ذلك إلا أن يتمسك بخبر الواحد . وقد أوضحنا أن النسخ لا يثبت به اجماعاً . أضف الى ذلك : أن سياق الآيتين أصدق شاهد على انهما نزلتا مرة واحدة .

ونتيجة ذلك : أن حكم مقاتلة العشرين للمائتين استحبابي ، ومع ذلك كيف يمكن دعوى النسخ ، على أن لازم كلام القائل بالنسخ : أن المجاهدين في بدء أمر الإسلام كانوا أربط جأشاً ، وأشد شكيمه من المجاهدين بعد ظهور الاسلام ، وقوته وكثرة أنصاره ، وكيف يمكن القول بأن الضعف طرأ على المؤمنين بعد قوتهم !!!

والظاهر ، أن مدلول الآيتين هو تحريض المؤمنين على القتال ، وأن الله يعدهم بالنصر على أعدائهم ، ولو كانت الأعداء عشرة أضعاف المسلمين ، إلا أنه تعالى لعلمه بضعف قلوب غالب المؤمنين ، وعدم تحملهم هذه المقاومة الشديدة لم يوجب ذلك عليهم ، ورخص لهم بترك المقاومة إذا زاد العدو على ضعفهم ، تخفيفاً عنهم ، ورافة بهم ، مع وعده

٢ . سورة الانفال : الآية ٦٥ و ٦٦ .

١ . سورة القتال : الآية ٣٥ .

تعالى اياهم بالنصر إذا ثبتت أقدامهم في إعلاء كلمة الاسلام.

وقد جعل وجوب المقاومة مشروطاً بأن لا يبلغ العدو أكثر من ضعف عدد المسلمين ، فان الكفار لجهلهم بالدين ، وعدم ركونهم الى الله تعالى في قتالهم لا يتحملون الشدائد ، وإن عقيدة الايمان في الرجل المؤمن تحدوه الى الثبات أمام الأخطار ، وتدعوه الى النهضة لاعزاز الاسلام ، لأنه يعتقد بنجاحه على كل حال ، وريحه في تجارته على كل تقدير ، سواء أكان غالباً أم كان مغلوباً . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) .  
٢٤- ﴿الَّا تَنْفِرُوا يَمْعَدْبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢)

فمن ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة : أنها منسوخة (٣) بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ (٤) .

وهذا القول مبني على أن النفر كان واجباً ابتداءً على جميع المسلمين ، مع أن الآية المباركة ظاهرة في أن الوجوب إنما هو على الذين يستنفرون الى الجهاد . فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائْتِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ﴿الَّا تَنْفِرُوا يَمْعَدْبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥)

وحاصل الآية : أن من أمر بالنفير الى الجهاد ولم يخرج استحق العذاب بتركه الواجب . ولا صلة لهذا بوجوب الجهاد على جميع المسلمين .

وبهذا البيان يتضح بطلان دعوى النسخ (٦) في قوله تعالى :

﴿ ائْتِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٧)

على أنا قد أوضحنا للقاريء - مراراً - أن تخصيص العام ببعض أفراده ليس من

١. سورة النساء : الآية ١٠٤ . ٢. سورة التوبة : الآية ٣٩ .

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٦٩ . ونسبه القرطبي في تفسيره الى الضحاك أيضاً ج ٨ ص ١٤٢ .

٤. سورة التوبة : الآية ١٢٢ . ٥. سورة التوبة : الآية ٣٨ - ٣٩ .

٦. نسبه القرطبي في تفسيره الى قائل ولم يسمه ج ٨ ص ١٥٠ . ونسبها الطبرسي في مجمع البيان الى السدي

ج ٣ ص ٣٣ . ٧. سورة التوبة : الآية ٤١ .



النسخ، بل إن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ﴾ (١).

بنفسه دليل على عدم النسخ، فانه دل على أن النفر لم يكن واجباً على جميع المسلمين من بداية الأمر، فكيف يكون ناسخاً للآية المذكورة!؟

٢٥- ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهْمَ حَتَّى يَتَّيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾  
﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢).

فمن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة: أن هذه الآيات منسوخة (٣) بقوله تعالى:  
﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَعْفَى شَأْنَهُمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ (٤).

والحق: أن الآيات الثلاث لانسخ فيها، لأن صريحها ان المنع من الاستئذان وعتاب النبي ﷺ على اذنه إنما هو في مورد عدم تميز الصادق من الكاذب. وقد بين سبحانه وتعالى أن غير المؤمنين كانوا يستأذنون النبي ﷺ في البقاء فراراً من الجهاد بين يديه، فأمره بأن لا يأذن لأحد إذا لم يتبين حاله. أما إذا تبين الحال، فقد أجاز الله المؤمنين أن يستأذنوا النبي ﷺ في بعض شأنهم. وأجاز للنبي ﷺ أن يأذن لمن شاء منهم. وإذن فلا منافاة بين الآيتين لتكون إحداهما ناسخة للأخرى.

٢٦- ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ  
وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (٥).

فمن ابن زيد: انها منسوخة (٦) بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ﴾ (٧).  
والحق: أنه لانسخ فيها. فان الآية الثانية قرينة متصلة بالآية الاولى. وحاصل المراد منهما: أن وجوب النفر إنما هو على البعض من المسلمين على نحو الكفاية، فلا تكون ناسخة. نعم قد يجب النفر الى الجهاد على جميع المسلمين إذا اقتضته ضرورة وقتية،

٢. سورة التوبة: الآية ٤٣-٤٥.

٤. سورة التور: الآية ٦٢.

١. سورة التوبة: الآية ١٢٢.

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٧٠.

٥. سورة التوبة: الآية ١٢٠.

٦. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٨٧، ونسب القرطبي القول بالنسخ فيها الى مجاهد أيضاً ج ٨ ص ٣٩٢.

٧. سورة التوبة: الآية ١٢٢.

أو طلبه الولي العام الشرعي، أو لما سوى ذلك من الطوارئ. وهذا الوجوب هو غير وجوب الجهاد كفاً الذي ثبت بأصل الشرع على المسلمين بذاته. وكلا الوجوبين باق، ولم ينسخ.

٢٧- ﴿وَأَتَيْعَ مَا يُوَحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُضَمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١).

فمن ابن زيد: أن هذه الآية منسوخة بالأمر بالجهاد، والغلظة على الكفار (٢)، وبطلان هذا القول يظهر مما قدمناه في ابطال دعوى النسخ في الآية الأولى من الآيات التي نبحت عن نسخها. فلا حاجة إلى الاعادة، أضف إلى ذلك: أنه لا دلالة على أن المراد من الصبر في هذه الآية هو الصبر على الكفار. نعم الصبر عليهم يشمل اطلاق الآية. وعليه فلا وجه لدعوى النسخ فيها.

٢٨- ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٣).

فمن ابن عباس، وسعيد، وقتادة: أنها منسوخة بآية السيف (٤): وغير خفي أن الصفح المأمور به في الآية المباركة هو الصفح عن الأذى الذي كان يصل من المشركين إلى النبي ﷺ على تبليغه شريعة ربه، ولا علاقة له بالقتال. ويشهد لهذا قوله تعالى بعيد ذلك:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٥).

وحاصل الآية: أن الله سبحانه يحرض النبي ﷺ على المصابرة في تبليغ أوامره، ونشر أحكامه، وأن لا يلتفت إلى أذى المشركين واستهزائهم. ولا علاقة لذلك بحكم القتال الذي وجب بعد ما قويت شوكة الاسلام، وظهرت حجته. نعم إن النبي الأكرم لم يؤمر بالجهاد في باديء الأمر، لأنه لم يكن قادراً على ذلك حسب ما تقتضيه الظروف من غير طريق الإعجاز، وخرق نوااميس الطبيعة. ولما أصبح قادراً على ذلك، وكثر المسلمون، وقويت شوكتهم، وتمت عدتهم وعدتهم أمر بالجهاد. وقد أسلفنا أن تشريع الأحكام الاسلامية كان على التدرج، وهذا ليس من نسخ الحكم الثابت بالكتاب

٢. التاسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٧٨.

٤. نفس المصدر ص ١٨٠.

١. سورة يونس: الآية ١٠٩.

٣. سورة الحجر: الآية ٨٥.

٥. سورة الحجر: الآية ٩٤ و ٩٥.



والهامه . واذن فليس في الآية دلالة على اباحة شرب المسكر أصلاً . على أن في الآية إشعاراً - لو سلم إرادة المسكر من لفظ سكرأ - بعدم جواز شرب المسكر ، فانها جعلت المسكر مقابلاً للرزق الحسن . ومعنى هذا : أن المسكر ليس من الرزق الحسن ، فلا يكون مباحاً . وتدلل على ما ذكرناه الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام ؛ فانها دلت على أن الخمر لم تزل محرمة .

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن محمد بن مسلم :

قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الخمر . فقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أول ما نهاني عنه ربي عز وجل عبادة الأوثان وشرب الخمر ...» .  
وروي عن الريان عن الرضا عليه السلام :

قال: «ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر» وقد تقدم في بحث الإعجاز تحريم الخمر في التوراة ، ولكن الشيء الذي لا يشك فيه أن الشريعة الإسلامية لم تجهر بحرمة الخمر برهة من الزمن ، ثم جهرت به بعد ذلك . وهذا هو حال الشريعة المقدسة في جميع الأحكام . ومن البين أنه ليس معنى ذلك أن الخمر كان مباحاً في الشريعة ثم نسخت حرمة .

٣٠- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

فمن سعيد بن المسيب . وأكثر العلماء : أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (٢)

فدخلت الزانية في - أيامى المسلمين (٣) .

والحق : أن الآية غير منسوخة ، فان النسخ فيها يتوقف على أن يكون المراد من لفظ النكاح هو التزويج ، ولا دليل يثبت ذلك . على أن ذلك يستلزم القول بإباحة نكاح المسلم الزاني المشركة ، وإباحة نكاح المشرك المسلمة الزاني . وهذا مناف لظاهر

٢ . سورة التور : الآية ٣٢ .

١ . سورة التور : الآية ٣ .

٣ . النسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٩٣ .

الكتاب العزيز ، ولما ثبت من سيرة المسلمين ، وإذن فالظاهر ، أن المراد من النكاح في الآية هو الوطء ، والجملة خبرية قصد بها الاهتمام بأمر الزنا . ومعنى الآية : أن الزاني لا يزني إلا بزانية ، أو بمن هي أحسن منها وهي المشركة ، وأن الزانية لا تزني إلا بزنان ، أو بمن هو أحسن منه وهو المشرك . وأما المؤمن فهو ممنوع عن ذلك ، لأن الزنا محرم ، وهو لا يرتكب ما حرم عليه .

٣١- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (١)

فذهبت جماعة الى أن هذه الآية الكريمة منسوخة بأية السيف . وقالوا: إن هذه الآية مكية ، وقد نزلت في عمر بن الخطاب حين شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة ، فأراد عمر أن يبطش به ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ اللَّهِ الَّذِي كَفَىٰ لَعْنَةَ الْكٰفِرِينَ﴾ (٢)

واستندوا في ذلك الى ما رواه عليل بن أحمد ، عن محمد بن هشام عن عاصم بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك عن ابن عباس (٣) ولكن هذه الرواية ضعيفة جداً ، ولا أقل من أن في سندها عاصم بن سليمان وهو كذاب وضاع (٤) ، مع أن الرواية ضعيفة المتن ، فإن المسلمين قبل الهجرة كانوا ضعفاء ، ولم يكن عمر مقدماً في الحروب ، ولم يعد من الشجعان المرهوبين ، فكيف يسعه أن يبطش بالمشرك؟! على أن لفظ الغفران المذكور في الآية يدل على التمكن من الانتقام . ومن المقطوع به أن ذلك لم يكن ميسوراً لعمر قبل الهجرة فلو أراد البطش بالمشرك لبطش به المشرك لامحالة .

والحق : أن الآية المباركة محكمة غير منسوخة ، وأن معنى الآية : أن الله أمر المؤمنين بالعرفو والاعضاء عما ينالهم من الأيذاء والاهانة في شؤونهم الخاصة ممن لا يرجون أيام

١. سورة المجاثية: الآية ١٤ .

٢. سورة التوبة: الآية ٥ .

٣. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٦٨ .

٤. قال ابن عدي: «يعد بمن يضع الحديث» . وقال أيضاً: «عامة أحواله متاكر متناً واستناداً . والضعف على رواياته بين» . وقال الفلاس: «كان يضع الحديث ، ما رأيت مثله قط» . وقال أبو حاتم والنسائي: «متروك» . وقال الدارقطني: «كذاب» . وقال أيضاً في الملل: «كان ضعيفاً آية من الآيات في ذلك» . وقال ابن حبان: «لا يجوز كتب حديثه إلا تمجباً» . وقال أبو داود الطيالسي: «كذاب» . وقال الساجي: «متروك يضع الحديث» . وقال الأزدي: «ضعيف مجهول» . لسان الميزان ج ٣ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

اللَّهُ . ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك :

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١).

فان الظاهر منه : أن جزاء المسيء الذي لا يرجو أيام الله ولا يخاف المعاد ، سواء أكان من المشركين ، أم من الكتابيين ، أم من المسلمين الذين لا يبالون بدينهم إنما هو موكل الى الله الذي لا يفوته ظلم الظالمين وتفريط المفرطين . فلا ينبغي للمسلم المؤمن بالله أن يبادر الى الانتقام منه ، فان الله أعظم منه نقمة وأشد أخذاً . وهذا الحكم تهذيبي أخلاقي ، وهو لا ينافي الأمر بالقتال للدعوة الى الإسلام أو لأمر آخر ، سواء أكان نزول هذه الآية قبل نزول آية السيف أم كان بعده .

٣٢- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرُّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَسْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَابَكُمْ وَأُولَٰئِكَ فَسَادٌ مِّنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فَادُونَ﴾ (٢).

فذهبت جماعة الى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف . وذهب آخرون الى أنها ناسخة لها (٣).

والحق : أنها ليست ناسخة ولا منسوخة . وتحقيق ذلك يحتاج الى مزيد من البسط في الكلام .

#### أحكام الكافر المقاتل :

المعروف بين الشيعة الإمامية أن الكافر المقاتل يجب قتله ما لم يسلم ، ولا يسقط قتله بالأسر قبل أن يشن المسلمون الكافرين ، ويعجز الكافرون عن القتال لكثرة القتل فيهم . وإذا أسلم ارتفع موضوع القتل ، وهو الكافر . وأما الأسر بعد الانحياز فيسقط فيه القتل ، فان الآية قد جعلت الانحياز غاية لوجوب ضرب الرقاب .

ومن الواضح : أن الحكم يسقط عند حصول غايته . ويتخير ولي الأمر في تلك الحال بين استرقاق الأسير ، وبين مفادته ، والمن عليه من غير فداء ، من غير فرق في ذلك بين

٢. سورة القتال : الآية ٤ .

١. سورة المجاثية : الآية ١٤ - ١٥ .

٣. النسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٢٠ .

المشرك وغيره في فرق الكفار . وقد ادعى الإجماع على ما ذكرناه من الأحكام .  
والمخالف فيها شاذ لا يعبأ بخلافه . وسيظهر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وهذا الذي ذكره يوافق ظاهر الآية الكريمة من جميع الجهات إذا كان شد الوفاق هو الاسترقاق ، باعتبار أن معنى شد الوفاق هو عزله عن الاستقلال مالم يمنّ عليه أو يفاد .  
وأما إذا لم يكن شد الوفاق بمعنى الاسترقاق ، فلا بد من إضافة الإسترقاق الى المفاداة والمنّ للعلم بجوازه من أدلة اخرى ، فيكون ذلك تقييداً لاطلاق الآية بالدليل .

وقد وردت الأحكام المذكورة فيما رواه الكليني ، والشيخ الطوسي بأسنادهما عن  
طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام :

« قال : سمعته يقول : كان أبي يقول : إن للحرب حكيمين : إذا كانت الحرب قائمة لم  
تضع أوزارها ، ولم يتخن أهلها ، فكل أسير أخذ في تلك الحال فان الإمام فيه بالخيار إن  
شاء ضرب عنقه ، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم ، وتركه يتشطح في  
دمه حتى يموت وهو قول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ  
يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا  
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

ألا ترى أنه التخيير الذي خيّر الله الإمام على شيء واحد هو الكفر وليس هو على  
أشياء مختلفة ، فقلت لجعفر بن محمد عليه السلام قول الله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .  
قال ذلك الطلب أن يطلبه الخيل حتى يهرب ، فان أخذته الخيل حكم ببعض الأحكام  
التي وضعت ذلك . والحكم الآخر إذا وضعت الحرب أوزارها واتخن أهلها ، فكل أسير  
أخذ على تلك الحال وكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار ، إن شاء منّ عليهم فأرسلهم ،  
وإن شاء فاداهم أنفسهم ، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً (٢) .

ووافقنا على سقوط القتل عن الأسير بعد الاثنان : الضحاك وعطاء . وصرح الحسن

١. سورة المائدة : الآية ٢٣ .

٢. الوافي ج ٩ ص ٢٣ .

بذلك ، وان الامام بالخيار إما أن يمنّ أو يفادي أو يسترق<sup>(١)</sup>.

وعلى ما ذكرناه فلا نسخ في الآية الكريمة . غاية الأمر أن القتل يختص بمورد . ويختص عدم القتل بمورد آخر من غير فرق بين أن تكون آية السيف متقدمة في النزول على هذه الآية ، وبين أن تكون متأخرة عنها .

ومن الغريب : أن الشيخ الطوسي - في هذا المقام - نسب الى أصحابنا أنهم روى تخيير الإمام في الأسير بعد الاثخان بين القتل وبين ما ذكر من الامور .

قال : « والذي رواه أصحابنا : أن الأسير إن أخذ قبل انقضاء الحرب والقتال - بأن تكون الحرب قائمة ، والقتال باق - فالامام مخير بين أن يقتلهم ، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ، وليس له المنّ . ولا الفداء ، وإن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب والقتال كان - الامام - مخيراً بين المنّ والمفاداة إما بالمال أو النفس ، وبين الاسترقاق - وضرب الرقاب - . وتبعه على ذلك الطبرسي في تفسيره<sup>(٢)</sup> مع أنه لم ترد في ذلك رواية أصلاً .

وقد نص الشيخ الطوسي بنفسه في كتاب المبسوط<sup>(٣)</sup> : « كل أسير يؤخذ بعد أن تضع الحرب أوزارها ، فانه يكون الامام مخيراً فيه بين أن يمنّ عليه فيطلقه . وبين أن يسترقه وبين أن يفاديه ، وليس له قتله على ما رواه أصحابنا . وقد ادعى الإجماع والأخبار على ذلك : في المسألة السابعة عشرة من كتاب الفقيه ، وقسمة الغنائم من كتاب الخلاف .

ومن الذين ادعوا الإجماع على ذلك صريحاً العلامة في كتابي « المنتهى والتذكرة » في أحكام الاسارى من كتاب الجهاد .

وفي ظني : أن كلمة « ضرب الرقاب » في عبارة « التبيان » إنما كانت من سهو القلم . وقد جرى عليه الطبرسي من غير مراجعة .

هذا هو مذهب علماء الشيعة الإمامية ، والضحاك ، وعطاء ، والحسن .

١. القرطبي ج ١٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ . ونقله النحاس في الناسخ والمنسوخ عن عطاء ص ٢٢١ .

٢. تفسير التبيان ج ٩ ص ٢٩١ ط النجف .

٣. المبسوط - كتاب الجهاد فصل في أصناف الكفار وكيفية قتالهم .



آراء أخرى حول الآية :

وأما بقية علماء أهل السنة فقد ذهبوا الى أقوال :

١- منهم من قال : « إن الآية نزلت في المشركين ، ثم نسخت بآيات السيف » . نسب ذلك الى قتادة ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريح ، وابن عباس ، والى كثير من الكوفيين . فقالوا : « إن الأسير المشرك يجب قتله ، ولا تجوز مفاداته ، ولا المن عليه باطلاقه » <sup>(١)</sup> .

ويرده :

أنه لا وجه للنسخ على هذا القول ، فان نسبة هذه الآية الى آيات السيف نسبة المقيد الى المطلق ، سواء أكانت متقدمة عليها في النزول أم كانت متأخرة عنها . وقد أوضحنا - فيما سبق - أن العام المتأخر لا يكون ناسخاً للخاص المتقدم . فكيف بالمطلق إذا سبقه المقيد ؟ .

٢- ومنهم من قال : « إن الآية نزلت في الكفار جميعاً فنسخت في خصوص المشرك » . نسب ذلك الى قتادة ، ومجاهد ، والحكم . وهو المشهور من مذهب أبي حنيفة <sup>(٢)</sup> .

ويرده :

أن هذا القول واضح البطلان كالقول السابق ، فان ذلك موقوف على أن تكون آيات السيف متأخرة في النزول عن هذه الآية . ولا يمكن القائل بالنسخ إثبات ذلك ، ولا سند له غير التمسك بخبر الواحد . وقد أوضحنا أن خير الواحد لا يثبت به النسخ إجماعاً . ولو فرضنا ثبوت ذلك ، فلادليل على كون آيات السيف ناسخة لها ، ليصح القول المذكور ، بل تكون هذه الآية مقيدة لآيات السيف ، وذلك : لاجتماع الأمة على ان هذه الآية قد شملت المشركين أو أنها مختصة بهم . وعلى ذلك كانت الآية المباركة قرينة على تقييد آيات السيف لما أشرنا اليه آنفاً من أن المطلق لا يصلح أن يكون ناسخاً للمقيد ، وإذا أغمضنا عن ذلك كانت هذه الآية الكريمة معارضة لآيات السيف بالعموم من وجه . ومورد الاجتماع هو المشرك الأسير بعد الاثخان ، ولا مجال للالتزام بالنسخ فيه .

١- تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٢٧ .

٢- تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٢٧ .

٣- ومنهم من قال: «إن الآية ناسخة لآية السيف» نسب ذلك الى الضحاك وغيره<sup>(١)</sup>.  
ويرده:

أن هذا القول، يتوقف على إثبات تأخر هذه الآية في النزول عن آيات السيف. ولا يمكن هذا القائل إثبات ذلك. على أن نقد أوضاعنا - فيما تقدم - أنه لا موجب للالتزام بالنسخ، تأخرت الآية في النزول عن آيات السيف، أم تقدمت عليها.

٤- ومنهم من قال: «إن الإمام مخير في كل حال بين القتل والاسترقاق والمفاداة والمن». رواه أبو طلحة عن ابن عباس، واختاره كثير: منهم ابن عمر، والحسن، وعطاء. وهو مذهب مالك، والشافعي، والثوري والأوزاعي، وأبي عبيد، وغيرهم. وعلى هذا القول فلا نسخ في الآية<sup>(٢)</sup>، قال النحاس بعدما ذكر هذا القول: «وهذا على أن الآيتين محكمتان معمول بهما. وهو قول حسن، لأن النسخ إنما يكون بشيء قاطع. فاما إذا أمكن العمل بالآيتين، فلامعنى في القول بالنسخ... وهذا القول يروى عن أهل المدينة، والشافعي، وأبي عبيد»<sup>(٣)</sup>.

ويرده:

أن هذا القول وإن لم يستلزم نسخاً في الآية، إلا أنه باطل أيضاً. لأن الآية الكريمة صريحة في أن المن والغداء إنما هما بعد الإثخان فالقول بثبوتها - قبل ذلك - قول بخلاف القرآن. و الأمر بالقتل في الآية مغنياً بالإثخان، فالقول بثبوت القتل بعده قول بخلاف القرآن أيضاً. وقد سمعت أن آيات السيف مقيدة بهذه الآية.

وأما ما استدل به على هذا القول من أن النبي ﷺ قتل بعض الاسارى وفادي بعضاً، ومن على آخرين، فهذه الرواية - على فرض صحتها - لا دلالة لها على التخيير بين القتل وغيره، لجواز أن يكون قتله للأسير قبل الإثخان وفداؤه ومنه في الأسراء بعده. وأما ما روي من فعل أبي بكر وعمر فهو - على تقدير ثبوته - لاحجية فيه، لترفع اليد عن ظاهر الكتاب العزيز.

٢. نفس المصدر ص ٢٢٨.

١. تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٢٧.

٣. الناسخ والمنسوخ ص ٢٢١.

٣٣- ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١)

٣٤- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّقْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢)

فقد وقع الاختلاف في نسخ الآيتين وإحكامهما. ووجه الاختلاف في ذلك: أن الحق المعلوم الذي أمرت الآيتان به قد يكون هو الزكاة المفروضة، وقد يكون فرضاً مالياً آخر غيرها، وقد يكون حقاً غير الزكاة ولكنه مندوب وليس بمفروض. فإن كان الحق واجباً مالياً غير الزكاة فالآيتان الكريمتان منسوختان لامحالة، من حيث إن الزكاة نسخت كل صدقة واجبة في القرآن، وقد اختار هذا الوجه جماعة من العلماء. وإن كان الحق المعلوم هو الزكاة نفسها، أو كان حقاً مستحباً غير مفروض، فالآيتان محكمتان بلا ريب. والتحقيق: يقتضي اختيار الوجه الأخير، وأن الحق المعلوم شيء غير الزكاة، وهو أمر قد ندب إليه الشرع. فقد استفاضت النصوص من الطريقتين بأن الصدقة الواجبة منحصرة بالزكاة، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام بيان المراد من هذا الحق المعلوم.

روى الشيخ الكليني بإسناده عن أبي بصير:

قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزكاة. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، وإنما هو شيء ظاهر إنما حقن بها دمه وسمي بها مسلماً، ولو لم يؤدها لم تقبل صلاته. وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة»، فقلت: أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال: «سبحان الله! أما تسمع الله يقول في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ...﴾»، قال: قلت: فماذا الحق المعلوم الذي علينا؟ قال: «هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله يعطيه في اليوم، أو في الجمعة، أو الشهر قل أو أكثر غير أنه يدوم عليه».

وروي أيضاً بإسناده عن اسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ﴾ (٣) «أهو سوى الزكاة؟». فقال: «هو الرجل يؤتبه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف، والألفين، والثلاثة آلاف، والأقل، والأكثر، فيصل به رحمه،

١. سورة الذاريات: الآية ١٩.

٢. سورة المعارج: الآية ٢٤-٢٥.

٣. سورة المعارج: الآية ٢٤.

ويحتمل به الكلّ عن قومه « وغير ذلك من الروايات عن الصادقين عليهم السلام »<sup>(١)</sup>.

وروى البيهقي في شعب الايمان، باسناده عن غزوان بن أبي حاتم : قال : بينا أبوذر عند باب عثمان لم يؤذن له إذ مرّ به رجل من قريش . فقال : يا أباذر ما يجلسك هنا ؟ فقال : يا بني هؤلاء أن يأذنوا لي ، فدخل الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ما بال أبي ذرّ على الباب لا يؤذن له ، فأمر فأذن له فجاء حتى جلس ناحية القوم .. فقال عثمان لكعب : يا أبا اسحق أرايت المال إذا أدي زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعة . قال : لا ، فقام أبوذر ومعه عصا فضرب بها بين أذني كعب . ثم قال : يا ابن اليهودية ، أنت تزعم أنه ليس حق في ماله إذا أدى الزكاة . والله تعالى يقول : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والله تعالى يقول : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

والله تعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فجعل يذكر نحو هذا من القرآن...<sup>(٥)</sup>

وروى ابن جرير باسناده عن ابن عباس : « أن الحق المعلوم سوى الصدقة يصل بها رحماً ، أو يقري بها ضيفاً أو يحمل بها كلاً ، أو يعين بها محروماً »<sup>(٦)</sup>.

وتبع ابن عباس على ذلك جملة من المفسرين . وعلى هذا فلا نسخ في الآية المباركة .

٣٥- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنِ اللَّهُ فَهُوَ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٧)</sup>.

فقد ذهب أكثر العلماء الى نسخها بقوله تعالى :

﴿ أَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>.

فقد استفاضت الروايات من الطريقتين : أن الآية المباركة لم تنزلت لم يعمل بها غير

١. الوافي باب الحق المعلوم وما قبله ج ٦ ص ٥٢ .

٢. سورة الحشر : الآية ٩ .

٣. سورة الانسان : الآية ٨ .

٤. سورة المعارج : الآية ٧٤ - ٧٥ .

٥. كنز العمال ج ٣ ص ٣١٠ .

٦. تفسير القرطبي ج ٢٩ ص ٥٠ .

٧. سورة المجادلة : الآية ١٢ .

٨. سورة المجادلة : الآية ١٣ .

علي عليه السلام فكان له دينار فباعه بعشرة دراهم ، فكان كلما ناجى الرسول ﷺ قدم درهماً حتى ناجاه عشر مرات .

### أحاديث العمل بأية النجوى :

روى ابن بابويه باسناده عن مكحول قال : « قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد ﷺ أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا قد شركته فيها وفضلته ، ولي سبعون منقبة لم يشركني أحد منهم » ، قلت : يا أمير المؤمنين فأخبرني بهن ، فقال عليه السلام : « وإن أول منقبة - وذكر السبعين - وقال في ذلك : وأما الرابعة والعشرون فإن الله عز وجل أنزل على رسوله : ﴿ إذا ناجيتم .. ﴾ فكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكننت إذا ناجيت رسول الله اتصدق قبل ذلك بدرهم . والله ما فعل هذا أحد غيري من أصحابه قبلي ولا بعدي فأنزل الله عز وجل : « أشفقتهم .. » <sup>(١)</sup> .

وروى ابن جرير باسناده عن مجاهد : « قال : قال علي رضي الله عنه آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكننت إذا جئت إلى النبي ﷺ تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي : إذا ناجيتهم .. » <sup>(٢)</sup> قال الشوكاني : وأخرج عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عنه - علي بن أبي طالب - قال : « ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت ، وما كانت إلا ساعة يعني آية النجوى » .

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن راهويه ، وابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عنه أيضاً . قال : « إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى : إذا ناجيتهم .. كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكننت كلما ناجيت رسول الله ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهماً ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ، فنزلت : « أشفقتهم .. » <sup>(٣)</sup> .

وتحقيق القول في ذلك : أن الآية المباركة دلت على أن تقديم الصدقة بين يدي

٢ . تفسير الطبري ج ٢٨ ص ١٥ .

١ . تفسير البرهان ج ٢ ص ١٠٩٩ .

٣ . فتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ والروايات في هذا المقام كثيرة فليراجع تفسير البرهان وتفسير الطبري وكتب الروايات . وقد تعرض لنقل جملة منها شيخنا المجلسي في المجلد التاسع من البحار ص ١٧٠ .

مناجاة الرسول ﷺ خير، وتطهير للنفوس، والأمر به أمر، بما فيه مصلحة العباد .  
ودلت على أن هذا الحكم إنما يتوجه على من يجد ما يتصدق به، أما من لا يجد شيئاً فإن  
الله غفور رحيم .

ولاريب في أن ذلك مما يستقل العقل بحسنه ويحكم الوجدان بصحته فإن في  
الحكم المذكور نفعاً للفقراء، لأنهم المستحقون للصدقات وفيه تخفيف عن النبي ﷺ ،  
فانه يوجب قلة مناجاته من الناس، وأنه لا يقدم على مناجاته . بعد هذا الحكم - إلا من  
كان حبه لمناجاة الرسول أكثر من حبه للمال .

ولاريب أيضاً في أن حسن ذلك لا يختص بوقت دون وقت . ودلت الآية الثانية على  
أن عامة المسلمين - غير علي بن أبي طالب عليه السلام - أعرضوا عن مناجاة الرسول ﷺ  
إشفاقاً من الصدقة، وحرصاً على المال .

سبب نسخ صدقة النجوى :

ولاريب في أن إعراضهم عن المناجاة يفوت عليهم كثيراً من المنافع والمصالح  
العامة . ومن أجل حفظ تلك المنافع رفع الله عنهم وجوب الصدقة بين يدي المناجاة  
تقديماً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وعلى النفع الخاص بالفقراء . وأمرهم  
بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله .

وعلى ذلك فلا مناص من الالتزام بالنسخ، وأن الحكم المجعول بالآية الأولى قد  
نسخ وارتفع بالآية الثانية . ويكون هذا من القسم الأول من نسخ الكتاب - أعني ما كانت  
الآية الناسخة ناظرة الى انتهاء أمد الحكم المذكور في الآية المنسوخة - ومع ذلك فنسخ  
الحكم المذكور في الآية الأولى ليس من جهة اختصاص المصلحة التي اقتضت جعله  
بزمان دون زمان، إذ قد عرفت انها عامة لجميع أزمنة حياة الرسول ﷺ إلا أن حرص  
الامة على المال، وإشفاقها من تقديم الصدقة بين يدي المناجاة كان مانعاً من استمرار  
الحكم المذكور ودوامه، فنسخ الوجوب وأبدل الحكم بالترخيص .

وقد يعترض :

انه كيف جعل الله الحكم المذكور « وجوب التصديق بين يدي النجوى » مع علمه  
منذ الأزل بوقوع المانع ؟!

والجواب :

إن في جعل هذا الحكم ثم نسخه - كما فعله الله سبحانه - تنبيهاً للامة ، وإتماماً للحجة عليهم . فقد ظهر لهم ولغيرهم بذلك أن الصحابة كلهم أثروا المال على مناجاة الرسول الأكرم ، ولم يعمل بالحكم غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وترك المناجاة وإن لم يكن معصية لله سبحانه ، لأن المناجاة بنفسها لم تكن واجبة ، ووجوب الصدقة كان مشروطاً بالنجوى ، فإذا لم تحصل النجوى فلا وجوب للصدقة ولا معصية في ترك المناجاة ، إلا أنه يدل على أن من ترك المناجاة يهتم بالمال أكثر من اهتمامه بها .  
حكمة تشريع صدقة النجوى :

وفي نسخ هذا الحكم بعد وضعه ظهرت حكمة التشريع ، وانكشفت منة الله على عباده ، وبان عدم اهتمام المسلمين بمناجاة النبي الأكرم ، وعرف مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام من بينهم . وهذا الذي ذكرناه يقتضيه ظاهر الكتاب ، وتدلل عليه أكثر الروايات . وأما إذا كان الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى أمراً صورياً امتحانياً - كأمر إبراهيم بذيح ولده - فالآية الثانية لا تكون ناسخة للآية الاولى نسخاً اصطلاحياً ، بل يصدق على رفع ذلك الحكم الامتحاني : النسخ بالمعنى اللغوي .

ونقل الرازي عن أبي مسلم : أنه جزم بكون الأمر امتحانياً ، لتمييز من آمن إيماناً حقيقياً عن من بقي على نفاقه فلا نسخ . وقال الرازي ، « وهذا الكلام حسن ما به بأس »<sup>(١)</sup> . وقال الشيخ شرف الدين : إن محمد بن العباس ذكر في تفسيره سبعين حديثاً من طريق الخاصة والعامّة تتضمن ان المناجى للرسول هو أمير المؤمنين عليه السلام دون الناس أجمعين ... ونقلت من مؤلف شيخنا أبي جعفر الطوسي هذا الحديث ، ذكره أنه في جامع الترمذي ، وتفسير الثعلبي بإسناده عن علقمة الأنماوي يرفعه الى علي عليه السلام أنه قال : « بي خفف الله عن هذه الامة لأن الله امتحن الصحابة ، فتقاعسوا عن مناجاة الرسول ، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق بصدقة ، وكان معي دينار ، فتصدقت به ، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية ، ولولم

١ . تفسير الرازي ج ٨ ص ١٦٧ طبع المطبعة العامرة .

يعمل بها أحد لنزل العذاب، لامتناع الكل من العمل بها»<sup>(١)</sup>.

أقول: إن هذه الرواية لا وجود لها في النسخة المطبوعة من جامع الترمذي ولم أظفر بشيء من نسخه القديمة المخطوطة، ولم أظفر أيضاً بتفسير الثعلبي الذي نقل عنه قبي جملته من المؤلفات. ولا أعلم بوجوده في مكان. وكيف كان، فلاريب في أن الحكم المذكور لم يبق إلا زمناً يسيراً ثم ارتفع، ولم يعمل به أحد غير أمير المؤمنين عليه السلام وبذلك ظهر فضله، سواء أكان الأمر حقيقياً أم كان امتحانياً.

تعصب مكشوف:

اعتذر الرازي عن ترك شيوخ الصحابة العمل بالآية المباركة، اذا كانوا قد وجدوا الوقت لذلك ولم يفعلوا. فقال ما نصه: «وذلك الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير، فانه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه، ويوحش قلب الغني، فانه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سبباً للطعن في من لم يفعل. فهذا الفعل لما كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء لم يكن في تركه كبير مضرة، لأن الذي يكون سبباً للالفة أولى مما يكون سبباً للوحشة. وأيضاً فهذه المناجاة ليست من الواجبات، ولا من الطاعات المنذوبة. بل قد بينا أنهم إنما كانوا كلفوا بهذه الصدقة لتركوا هذه المناجاة. ولما كان الاولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن»<sup>(٢)</sup>.

تعقيب:

أقول: هذا عذره، وأنت تجد أنه تشكيك لا ينبغي صدوره ممن له أدنى معرفة بمعاني الكلم. هب ان في هذا المقام لم ترد فيه رواية أصلاً. أفلا يظهر من قوله تعالى: ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup> أنه عتاب على ترك المناجاة خوفاً من الفقر أو حرصاً على المال؟ وأن الله تعالى قد تاب عليهم عن هذا التقصير، إلا أن التعصب داء عضال. ومن الغريب انه ذكر هذا، وقد اعترف - قبيل ذلك - بان من فوائد هذا التكليف أن يتميز به محب الآخرة من محب الدنيا، فان المال محك الدواعي!!

وأما ان الفعل المذكور يكون سبباً لحزن الفقراء، ووحشة الأغنياء فيكون تركه

١. البحار ج ٩ ص ٧٢، وتفسير البرهان ج ٢ ص ١١٠٠.

٢. سورة المجادلة: الآية ١٣.

٣. تفسير الرازي ج ٨ ص ١٦٧.



الموجب للالفة أولى ، أما هذا الذي ذكره فلو صح لكان ترك جميع الواجبات المالية أولى من فعلها ، وكان أمره تعالى بالفعل أمراً بما يحكم العقل بأولوية تركه ، وليس بعيد أن يلتزم الرازي بهذا ، وبما هو أدهى منه ؛ لينكر فضيلة من فضائل علي عليه السلام .

ومن المناسب - هنا - أن أنقل كلاماً لنظام الدين النيسابوري . قال مانصه : قال القاضي : « هذا - تصدق علي بين يدي النجوى - لا يدل على فضله على أكابر الصحابة ، لأن الوقت لعلة لم يتسع للعمل بهذا الفرض » . وقال فخر الدين الرازي : سلمانان الوقت قد وسع إلا ان الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير الذي لا يجد شيئاً ، وينفر الرجل الغني ، ولم يكن في تركه مضرة ، لأن الذي يكون سبباً للالفة أولى مما يكون سبباً للوحشة . وأيضاً الصدقة عند المناجاة واجبة . أما المناجاة فليست بواجبة ولا مندوبة . بل الأولى ترك المناجاة ، لما بينا من انها كانت سبباً لسأمة النبي صلى الله عليه وآله . قلت :

هذا الكلام لا يخلو عن تعصب ما . ومن اين يلزم أن ثبت مفضولية علي رضي الله عنه في كل خصلة ؟ ولم لا يجوز أن يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصحابة ؟ . فقد روي عن ابن عمر :

كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم : تزويجه فاطمة رضي الله عنها ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى . وهل يقول منصف : إن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله نقيصة . على أنه لم يرد في الآية نهي عن المناجاة ، وإنما ورد تقديم الصدقة على المناجاة فمن عمل الآية حصلت له الفضيلة من جهتين : سد خلة بعض الفقراء ، ومن جهة محبة نجوى الرسول صلى الله عليه وآله ففيها القرب منه ، وحل المسائل العويصة ، وإظهار أن نجواه أحب الى المناجى من المال <sup>(١)</sup> .

٣٦ - ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فقد نقل عن قتادة : أنها منسوخة ، وأنه قال : الضياء والغنيمة واحد وكان في بدو

١ . تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج ٢٨ ص ٢٤ .

٢ . سورة المشر : الآية ٧ .

الإسلام تقسيم الغنيمة على هذه الأصناف، ولا يكون لمن قاتل عليها شيء إلا أن يكون من هذه الأصناف. ثم نسخ الله ذلك في سورة الأنفال، فجعل لهؤلاء الخمس، وجعل الأربعة الأخماس لمن حارب قال الله تعالى (١):

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لَهُ حُصْمَهُ﴾ (٢).

وقد رفض المحققون هذا القول، وقالوا: إن ما يغنمه المسلمون في الحرب يغير موضوعاً ما أفاء الله على رسوله بغير قتال، فلا تنافي بين الآيتين لتنسخ إحداهما الأخرى.

أقول: إن ما ذكره المحققون بين لا ينبغي الجدل فيه. ويؤكد أنه لم ينقل من سيرة النبي ﷺ أن يخص بالفنائم نفسه وقرابته دون المجاهدين. ومما يبطل النسخ ما قيل من أن سورة الأنفال نزلت قبل نزول سورة الحشر (٣)، ولا أدنى من الشك في ذلك. ومما لا ريب فيه أن الناسخ لا بد من تأخره عن المنسوخ (٤).

١. سورة الأنفال: الآية ٤١.  
٢. البيان ج ١ ص ٢٠٦-٤٠٣.

١. الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٣١.  
٢. تفسير القرطبي ج ١٨ ص ١٤.



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## البداء في التكوين

قال الخوئي قدس سره :

بمناسبة الحديث عن النسخ في الأحكام وهو في أفق التشريع . وبمناسبة أن النسخ كالبداء وهو في أفق التكوين . وبمناسبة خفاء معنى البداء على كثير من علماء المسلمين ، وأنهم نسبوا إلى الشيعة ما هم براء منه ، وأنهم لم يحسنوا في الفهم ، ولم يحسنوا في النقد . وليتهم إذ لم يعرفوا تثبتوا ، أو توقفوا<sup>(١)</sup> كما تفرضه الأمانة في النقل ، وكما تقتضيه الحيطة في الحكم ، والورع في الدين . بمناسبة كل ذلك وجب أن نذكر شيئا في توضيح معنى البداء ، وإن لم تكن له صلة - غير هذا - بمدخل التفسير .

تمهيد : لا ريب في أن العالم بأجمعه تحت سلطان الله وقدرته ، وأن وجود أي شيء من الممكنات منوط بمشيئة الله تعالى ، فإن شاء أوجده ، وإن لم يشأ لم يوجده . ولا ريب أيضا في أن علم الله سبحانه قد تعلق بالأشياء كلها منذ الأزل ، وأن الأشياء بأجمعها كان لها تعين علمي في علم الله الأزلي وهذا التعين يعبر عنه بـ «تقدير الله» تارة وبـ «قضائه» تارة أخرى ، ولكن تقدير الله وعلمه سبحانه بالأشياء منذ الأزل لا يزاحم ولا ينافي قدرته تعالى عليها حين إيجادها ، فإن الممكن لا يزال منوطا بتعلق مشيئة الله

١ . انظر التليقة رقم (٩) للوقوف على اختلاق الفخر الرازي نسبة الجهل إلى الله على لسان الشيعة - في البيان ص ٥١٢ .

بوجوده التي قد يعبر عنها بالاختيار، وقد يعبر عنها بالارادة. فان تعلق المشيئة به وجد وإلا لم يوجد. والعلم الالهي يتعلق بالأشياء على واقعه من الاناطة بالمشيئة الالهية، لأن انكشاف الشيء لا يزيد على واقع ذلك الشيء، فاذا كان الواقع منوطا بمشيئة الله تعالى كان العلم متعلقا به على هذه الحالة، وإلا لم يكن العلم علما به على وجهه. وانكشافه على واقعه. فمعنى تقدير الله تعالى للأشياء وقضائه بها: أن الأشياء جميعها كانت متعينة في العلم الألهي منذ الأزل على ما هي عليه من أن وجودها معلق على أن تتعلق المشيئة بها. حسب اقتضاء المصالح والمفاسد التي تختلف باختلاف الظروف، والتي يحيط بها العلم الإلهي.

موقف اليهود من قدرة الله:

وذهبت اليهود الى أن قلم التقدير والقضاء حينما جرى على الأشياء في الأزل استحال أن تتعلق المشيئة بخلافه. ومن أجل ذلك قالوا: يد الله مغلولة عن القبض والبسط والأخذ والاعطاء، فقد جرى فيها قلم التقدير ولا يمكن فيها التغيير<sup>(١)</sup>. ومن الغريب أنهم - قاتلهم الله - التزموا بسلب القدرة عن الله، ولم يلتزموا بسلب القدرة عن العبد. مع ان الملاك في كليهما واحد، فقد تعلق العلم الأزلي بأفعال الله تعالى، وبأفعال العبيد على حد سواء.

موقع البداء عند الشيعة:

ثم إن البداء الذي تقول به الشيعة الامامية إنما يقع في القضاء غير المحتوم. أما المحتوم منه فلا يتخلف، ولا بد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء. وتوضيح ذلك أن القضاء على ثلاثة أقسام:

أقسام القضاء الالهي: الأول: قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحدا من خلقه، والعلم المخزون الذي استأثر به لنفسه. ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام: أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم.

روى الشيخ الصدوق في «العيون» باسناده عن الحسن بن محمد النوفلي: أن

١. انظر التعليقة رقم (١٠) لمعرفة بعض الأخبار الدالة على مشيئة الله تعالى - في البيان ص ٥١٣.

الرضا عليه السلام قال لسليمان المروزي: «رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن لله عز وجل علمين علما مخزوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلما علما ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه..» (١).

وروى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في «بصائر الدرجات» باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، ومن ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه، ونحن نعلمه» (٢).

الثاني: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتماً. ولا ريب في أن هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء، وإن افرق عن القسم الأول، بأن البداء لا ينشأ منه.

قال الرضا عليه السلام لسليمان المروزي - في الرواية المتقدمة - عن الصدوق: «إن علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فانه يكون، ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدم منه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء» (٣).

وروى العياشي عن الفضيل. قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من الأمور أمور محتومة جانية لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً - يعني الموقوفة - فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه، ولا نبيه، ولا ملائكته» (٤).

الثالث: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه. وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا

١. عيون أخبار الرضا باب ١٣ في ذكر مجلس الرضا مع سليمان المروزي. والبحار: باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٢ ط كمياني.

٢. نقلاً عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ ط كمياني. ورواه الشيخ الكليني عن أبي بصير أيضاً. الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣.

٣. عيون أخبار الرضا باب ١٣ ورواه الشيخ الكليني عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣.

٤. نقلاً عن البحار: باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٣ ط كمياني.

يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١﴾ ، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (٢).

وقد دلت على ذلك روايات كثيرة منها هذه :

١- ما في « تفسير علي بن ابراهيم » عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتابة الى سماء الدنيا ، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة ، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره ، أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء ، ثم أثبت الذي أراده . قلت : وكل شيء هو عند الله مثبت في كتاب ؟ قال : نعم . قلت : فأى شيء يكون بعده ؟ قال : سبحان الله ، ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى » (٣).

٢- ما في تفسيره أيضاً عن عبدالله بن مسكان عن أبي جعفر وأبي عبدالله ، وأبي الحسن عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (٤) .  
أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل ، وما يكون في تلك السنة ، وله فيه البداء والمشية . يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء .. » (٥).

٣- ما في كتاب « الاحتجاج » عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنه قال : « لولا آية في كتاب الله ، لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن الى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : يمحو الله .. » (٦).

وروى الصدوق في الأمالي والتوحيد باسناده عن الأصمغ عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله .

٤- ما في « تفسير العياشي » عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون الى يوم القيامة . فقلت : آية آية ؟ قال : قول الله : يمحو الله .. » (٧).

٥- ما في « قرب الاسناد » عن البزنطي عن الرضا عليه السلام قال : « قال أبو عبدالله ، وأبو جعفر ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي ، والحسن بن علي ، وعلي بن أبي

١ . سورة الزُّمَرُ : الآية ٢٩ . ٢ . سورة الزُّمَرُ : الآية ٤ .

٣ . نقلاً عن البحار . باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٣ ط كمياني .

٤ . سورة الدُّخَانُ : الآية ٤ . ٥ . نفس المصدر ص ١٣٤ .

٦ . الاحتجاج للطبرسي ص ١٣٧ المطبعة المرتضوية النجف الأشرف .

٧ . نقلاً عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٩ ط كمياني .

طالب عليه السلام : «والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون الى أن تقوم الساعة : يمحو الله ..» <sup>(١)</sup> الى غير ذلك من الروايات الدالة على وقوع البداء في القضاء الموقوف .  
 و خلاصة القول : أن القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ ، وبأم الكتاب ،  
 والعلم المخزون عند الله يستحيل أن يقع فيه البداء . وكيف يتصور فيه البداء ؟ وأن الله  
 سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأزل ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في  
 السماء .

روى الصدوق في « إكمال الدين » بإسناده عن أبي بصير ، وسماعة عن  
 أبي عبدالله عليه السلام قال : « من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابراً أو  
 منه » <sup>(٢)</sup> .

وروى العياشي عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام يقول : « إن الله يقدم ما يشاء ،  
 ويؤخر ما يشاء . ويمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب » . وقال : « فكل أمر  
 يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه . إن الله  
 لا يبدو له من جهل » <sup>(٣)</sup> .

وروى أيضاً عن عمار بن موسى عن أبي عبدالله عليه السلام : « سئل عن قول الله : يمحو الله ..  
 قال : إن ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ، فمن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء .  
 وذلك الدعاء مكتوب عليه الذي يرد به القضاء ، حتى إذا صار الى أم الكتاب لم يغن الدعاء  
 فيه شيئاً » <sup>(٤)</sup> .

وروى الشيخ الطوسي في كتاب « الغيبة » بإسناده عن البنزطي ، عن أبي الحسن  
 الرضا عليه السلام : « قال علي بن الحسين ، وعلي بن أبي طالب قبله ، ومحمد بن علي ، وجعفر  
 بن محمد :

« كيف لنا بالحديث مع هذه الآية يمحو الله .. فأما من قال بأن الله تعالى « لا يعلم  
 الشيء إلا بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد » <sup>(٥)</sup> .

١ . نقل عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٩ ط . كمباني .

٢ . نقل عن البحار . باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ . ٣ . نقل عن نفس المصدر ص ١٣٩ .

٤ . نقل عن نفس المصدر ص ١٣٩ .

٥ . نقل عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ ط كمباني ، وروى الشيخ الكليني بإسناده عن عبدالله بن سنان  
 عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « ما بدا الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له » . الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣ .



والروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام أن الله لم يزل عالما قبل أن يخلق الخلق، فهي فوق حد الاحصاء. وقد اتفقت على ذلك كلمة الشيعة الامامية طبقا لكتاب الله وسنة رسوله، جريا على ما يقتضيه حكم العقل الفطري الصحيح.

ثمرة الاعتقاد بالبداء :

والبداء : إنما يكون في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والاثبات. والالتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل الى الله سبحانه، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله.

فالقول بالبداء : هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن ارادة الله نافذة في الأشياء أزلا وأبدا، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين - وإن كانوا أنبياء أو أوصياء - لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فان بعضا منهم وإن كان عالما - بتعليم الله إياه - بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فانه لم يعلم بمشيئة الله تعالى - لوجود شيء - أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو المحتم.

والقول بالبداء : يوجب انقطاع العبد الى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فان إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة - دون استثناء - يلزمه بأس المعتقد بهذه العقيدة عن اجابة دعائه. فان ما يطلبه العبد من ربه إن كان قد جرى قلم التقدير بانفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة الى الدعاء والتوسل. وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبدا، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرع. وإذا ينس العبد من اجابة دعائه ترك التضرع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك، وكذلك الحال في سائر العادات والصدقات التي ورد عن المعصومين عليهم السلام أنها تزيد في العمر أو في الرزق أو غير ذلك مما يطلبه العبد.

وهذا هو سر ما ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بشأن البداء. فقد روى الصدوق في كتاب « التوحيد » باسناده عن زرارة عن احدهما عليهما السلام قال :

« ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء »<sup>(١)</sup>.  
 وروى باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ما عظم الله عز وجل  
 بمثل البداء »<sup>(٢)</sup>.

وروى باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « ما بعث الله عز وجل  
 نبيا حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وأن الله يقدم  
 ما يشاء، ويؤخر ما يشاء »<sup>(٣)</sup>.

والسر في هذا الاهتمام: أن إنكار البداء يشترك بالنتيجة مع القول بأن الله غير قادر  
 على أن يغير ما جرى عليه قلم التقدير. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فان كلا القولين  
 يؤيس العبد من إجابة دعائه، وذلك يوجب عدم توجهه في طلباته الى ربه.

حقيقة البداء عند الشيعة:

وعلى الجملة: فان البداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الامامية هو من الابداء  
 « الاظهار » حقيقة، واطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والاطلاق بعلاقة المشاكلة.  
 وقد اطلق بهذا المعنى في بعض الروايات من طرق أهل السنة.

روى البخاري باسناده عن أبي عمرة، أن أبا هريرة حدثه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله  
 يقول: « إن ثلاثة في بني اسرائيل: أبرص، وأعمى، وأقرع بدلا لله عز وجل أن يبتليهم  
 فبعث اليهم ملكا فأنى الأبرص .. »<sup>(٤)</sup>.

وقد وقع نظير ذلك في كثير من الاستعمالات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْ  
 لِيَكُنَّ فَسَقًا﴾<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿لِنَنْظِمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَخَصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾<sup>(٦)</sup>. وقوله  
 تعالى: ﴿لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٧)</sup>.

١. أفضل من البداء - نسخة أخرى.

٢. التوحيد للصدوق باب البداء ص ٢٧٢ ط سنة ١٣٨٦، ورواه الشيخ الكليني أيضا. الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣.

٣. نفس المصدر ص ٢٧٢، ورواه الشيخ الكليني أيضا. الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣.

٤. صحيح البخاري ج ٤ باب ما ذكر عن بني اسرائيل ص ١٤٦.

٥. سورة الانفال: الآية ٦٦.

٦. سورة الكهف: الآية ١٢.

٧. سورة الكهف: الآية ٧.

وما أكثر الروايات من طرق أهل السنة في أن الصدقة والدعاء يغيران القضاء<sup>(١)</sup>.  
 أما ما وقع في كلمات المعصومين عليهم السلام من الأنباء بالحوادث المستقبلية فتحقيق الحال  
 فيها: أن المعصوم متى ما أخبر بوقوع أمر مستقبل على سبيل الحتم والجزم، ودون  
 تعليق فذلك يدل ان ما أخبر به مما جرى به القضاء المحتوم وهذا هو القسم الثاني  
 « الحتمي » من أقسام القضاء المتقدمة .

وقد علمت أن مثله ليس موضعاً للبداء ، فإن الله لا يكذب نفسه ولا نبيه . ومتى  
 ما أخبر المعصوم بشيء معلقاً على أن لا تتعلق المشيئة الإلهية بخلافه ، ونصب قرينة  
 متصلة أو منفصلة على ذلك فهذا الخبر إنما يدل على جريان القضاء الموقوف الذي هو  
 موضع البداء . والخبر الذي أخبر به المعصوم صادق وان جرى فيه البداء ، وتعلقت  
 المشيئة الإلهية بخلافه . فان الخبر - كما عرفت - منوط بأن لا تخالفه المشيئة .

روى العياشي عن عمرو بن الحمق . قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضرب  
 على قرنه ، فقال لي : « يا عمرو إني مفارقكم » ، ثم قال : سنة السبعين فيها بلاء ... «  
 فقلت : بأبي أنت وأمي قلت : الى السبعين بلاء ، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال : « نعم  
 يا عمرو إن بعد البلاء رخاء » ... وذكر آية يمحوا الله<sup>(٢)</sup>.

- الى هنا انتهى المجلد الثاني من كتاب علوم القرآن عند المفسرين ، وفيه ابحاث  
 حول القراءات ، وحديث الاحرف السبعة ، والتلاوة ، واعجاز القرآن ، والناسخ  
 والمنسوخ . وستأتي انشاء الله في المجلد الثالث ابحاث المحكم والمتشابه والتفسير  
 والمفسرون .

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد سيد المرسلين واهل بيته الطاهرين  
 المكرمين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين .

### مركز الثقافة والمعارف القرآنية

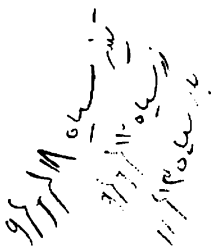
١. انظر التعليقة رقم (١١) للوقوف على روايات تفيد ان الدعاء يغير القضاء - في البيان ص ٥١٥ .

٢. البيان ص ٤٠٧ - ٤١٧ .

## فهرس المواضیع



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های علوم اسلامی



## الفهرس الأجمالي للمجاد الثاني

الاحاديث الموضوعية فى فضل	١- مقدمة الكتاب .....	٧
التلاوة .....	٢- القراءات .....	٩
٢٨٧	علم القراءات .....	١١
٢٩٣ فضل تعليم القرآن .....	نشأة علم القراءات وسببها .....	١٣
٢٩٧ فضل حفظ القرآن .....	وجوه اختلاف القراءات .....	٢٧
٣٠١ حكم ترك تلاوة القرآن لحافظه .....	ثمرة اختلاف القراءات .....	٣٣
٣٠٥ آداب التلاوة .....	اعداد القراءات .....	٣٧
٣٦٣ علم التجويد .....	القراء المشهورون ورواتهم .....	٣٩
٣٧٩ ٥- اعجاز القرآن .....	احسن القراءات .....	٤٩
٣٨١ معنى الاعجاز وشرائطه .....	ضابط قبول القراءات .....	٥٥
٣٩٧ لا بد للنبي من اقامة المعجز .....	القراءة الشاذة والمدرج .....	٦٣
٤٠١ اقسام المعجزة .....	هل تجوز القراءة بالشاذ ؟ .....	٦٧
٤٠٧ حكمة تنوع المعجز .....	هل تصح الصلاة بالشاذة ؟ .....	٧١
٤١٣ حكمة كون القرآن هو المعجز للعرب .....	هل يجوز جمع القراءات ؟ .....	٧٣
٤٢٧ وجوه اعجاز القرآن .....	الآراء حول تواتر القراءات .....	٧٥
٥٦٩ ٦- الناسخ والمنسوخ .....	٣- حديث الاحرف السبعة .....	١٢٥
٥٧١ معنى النسخ .....	اهل السنة والاحرف السبعة .....	١٢٧
٥٧٧ امكان النسخ .....	الامامية والاحرف السبعة .....	٢٠٩
٦٠١ اقسام النسخ .....	٤- التلاوة .....	٢٣٩
٦٠٥ الآيات النسخة والمنسوخة .....	فضل تلاوة القرآن .....	٢٤١
٦٩١ البدء فى التكوين .....	خواص تلاوة الآيات والسور .....	٢٦٩
٧- فهرس المواضيع .....		



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

## الفهرس التخصيل للمجد الثاني

٢٣.....	كلام الزمخشري
٢٣.....	كلام المدرس
٢٤.....	كلام الزرقاني
٢٤.....	كلام الخفاجي
٢٥.....	كلام ابن حجر
٢٧.....	٣- وجوه اختلاف القراءات
٢٧.....	كلام الطوسي
٢٨.....	كلام ابن جزري
٢٩.....	كلام ابن عاشور
٣٠.....	كلام ابي حيان
٣١.....	كلام المحققين
٣٣.....	٤- ثمره اختلاف القراءات
٣٣.....	كلام القاسمي
٣٤.....	كلام ابن عاشور
٣٤.....	كلام المدرس
٣٧.....	٥- أعداد القراءات
٣٧.....	كلام المحققين

٧..... مقدمة الكتاب

### القراءات

١١.....	١- علم القراءات
١١.....	كلام المحققين
١٣.....	٢- نشأة علم القراءات وسببها
١٣.....	كلام المحققين
١٣.....	كلام النوري
١٤.....	كلام ابن تيمية
١٦.....	كلام القاسمي
١٧.....	كلام ابن الجوزي
٢١.....	كلام وجددي
٢١.....	كلام ابن عاشور
٢٢.....	كلام ابن اسحاق الزجاج
٢٢.....	كلام شمس الدين الاصفهاني
٢٢.....	كلام البغوي
٢٣.....	كلام الفخر الرازي



- ٦٠..... كلام ابن عاشور
- ٦٠..... كلام ابي بكر ابن العربي
- ٦٢..... كلام المحققين
- ٦٣..... ٩ - القراءة الشاذة والمدرج
- ٦٣..... كلام القاسمي
- ٦٣..... كلام ابي عبيد
- ٦٣..... كلام القراب
- ٦٤..... كلام ابن الجوزي
- ٦٤..... كلام ابن الاباري
- ٦٤..... كلام وجددي
- ٦٥..... كلام المحققين
- ٦٥..... كلام ابن الحاجب
- ٦٥..... كلام ابن الساعاني
- ٦٥..... كلام ابي الحسن البخاري
- ٦٧..... ١٠ - هل تجوز القراءة بالشاذ؟
- ٦٧..... كلام المحققين
- ٦٧..... كلام النووي
- ٦٧..... كلام ابن عبدالبر
- ٦٧..... كلام الفخر الرازي
- ٦٨..... كلام ابن الصلاح
- ٦٨..... كلام الرافعي
- ٦٨..... كلام ابن الحاجب
- ٦٨..... كلام ابن عبدالبر
- ٦٩..... كلام السجاوندي
- ٣٧..... كلام الخفاجي
- ٣٩..... ٦ - القراء المشهورون ورواتهم
- ٣٩..... كلام الطبرسي
- ٤١..... كلام النيشابوري
- ٤٦..... كلام ابن جزري
- ٤٦..... كلام ابي حيان
- ٤٧..... كلام المحققين
- ٤٩..... ٧ - أحسن القراءات
- ٤٩..... كلام هود بن محكم
- ٥٠..... كلام ابن جزري
- ٥٠..... كلام الفيض الكاشاني
- ٥١..... كلام ابن عاشور
- ٥١..... كلام ابن رشد
- ٥٥..... ٨ - ضابط قبول القراءات
- ٥٥..... كلام ابن جزري
- ٥٥..... كلام القاسمي
- ٥٥..... كلام النويري
- ٥٦..... كلام القسطلاني
- ٥٦..... كلام الداني
- ٥٦..... كلام ابن الجوزي
- ٥٦..... كلام ابي محمد مكّي
- ٥٧..... كلام ابن الجزري
- ٥٨..... كلام القاضي ابوبكر
- ٥٩..... كلام ابن الجوزي

- ٧٨..... كلام الشهد الثاني
- ٧٨..... كلام العلامة.
- ٧٩..... كلام جمال الدين الخونساري
- ٨٠..... كلام الباغوري
- ٨٠..... كلام جمال الدين الخونساري
- ٨٢..... كلام السيد نعمة الله
- ٨٢..... كلام جمال الدين السيوطي
- ٨٢..... كلام محمد بن بحر الرهني
- ٨٢..... كلام الرازي
- ٨٢..... كلام العلامة الشيرازي
- ٨٤..... كلام البلاغي
- ٨٦..... كلام ابن عاشور
- ٨٦..... كلام ابي بكر بن العربي
- ٨٦..... كلام امام الحرمين
- ٨٦..... كلام الايباي
- ٨٦..... كلام المازري
- ٨٨..... كلام المحققين
- ٨٨..... كلام ابن الجزري
- ٨٩..... كلام ابن الحاجب
- ٨٩..... كلام ابن القاسم الهذلي
- ٨٩..... كلام العراقي
- ٨٩..... كلام الداني
- ٩٠..... كلام الهذلي
- ٩١..... كلام الباقلاني
- ٦٩..... كلام الجعري
- ٧٠..... كلام الهذلي
- ٧٠..... كلام النهاوندي
- ١١ - هل تصح الصلاة بالشاذة ؟
- ٧١..... كلام النشابوري
- ٧١..... كلام المحققين
- ٧١..... كلام السرخسي
- ٧٢..... كلام السراج الهندي
- ٧٢..... كلام الفارابي
- ١٢ - هل يجوز جمع القراءات ؟
- ٧٣..... كلام ابن تيمية
- ٧٣..... كلام الخوئي
- ١٣ - الآراء حول تواتر القراءات.
- ٧٥..... كلام النشابوري
- ٧٥..... كلام الفيض الكاشاني
- ٧٦..... كلام القاسمي
- ٧٦..... كلام الزركشي
- ٧٦..... كلام السروجي
- ٧٦..... كلام القسطلاني
- ٧٦..... كلام السخاوي
- ٧٧..... كلام ابن الجزري
- ٧٧..... كلام ابن الحاجب
- ٧٧..... كلام ابن خلدون
- ٧٨..... كلام السيد محمد الطباطبائي

- ١١٩.....كلام الجزائري.....
- ١١٩.....كلام القراب.....
- ١١٩.....كلام ابي محمد مكي.....
- ١١٩.....كلام الشرف المرسي.....
- ١٢٠.....كلام القرطبي.....
- ١٢٠.....كلام الداودي.....
- ١٢٠.....كلام ابن ابي صفرة.....
- ١٢٠.....كلام ابن الجزري.....
- ١٢١.....كلام ابي شامة.....
- ١٢٢.....كلام ابن ابي هاشم.....
- ١٢٢.....كلام الزرقاني.....
- ٩٢.....كلام ابن السبكي.....
- ٩٣.....كلام ابو شامة.....
- ٩٤.....كلام محمد بن الجمالي.....
- ٩٥.....كلام ابي نصر الشيرازي.....
- ٩٥.....كلام ابي عمر الداني.....
- ٩٦.....كلام ابي شامة.....
- ٩٧.....كلام السخاوي.....
- ٩٨.....كلام الجعيري.....
- ٩٨.....كلام ابن الجزري.....
- ٩٨.....كلام السجستاني.....
- ٩٨.....كلام ابي سعيد خليل.....
- ٩٩.....كلام ابي المعالي.....
- ٩٩.....كلام الخونوي.....
- ١٠٠.....كلام السيوطي.....
- ١٠٠.....كلام القاضي ابي بكر.....
- ١١٣.....كلام ابن الجزري.....
- ١١٣.....كلام ابي شامة.....
- ١١٤.....كلام ابن الجزري.....
- ١١٤.....كلام ابي شامة.....
- ١١٤.....كلام السيوطي.....
- ١١٥.....كلام ابي شامة.....
- ١١٥.....كلام مكي.....
- ١١٥.....كلام محمد سعيد.....
- ١١٨.....كلام الزركشي.....
- حديث الاحرف السبعة**
- ١- اهل السنّة والأحرف السبعة..... ١٢٧
- كلام هود بن محكم..... ١٢٧
- كلام الطبري..... ١٢٩
- كلام الماوردي..... ١٥٦
- كلام ابن عطية..... ١٥٧
- كلام ابن شهاب..... ١٥٨
- كلام ابي بكر بن الطيب..... ١٥٨
- كلام ابي محمد عبدالحق بن عطية..... ١٦١
- كلام ثابت بن قاسم..... ١٦٢
- كلام ابن تيمية..... ١٦٦
- كلام القرطبي..... ١٧٠

- ١٨٩.....كلام ابن جرير  
 ١٩٠.....كلام ابي شامة  
 ١٩٠.....كلام الداني  
 ١٩٠.....كلام ابن تيمية  
 ١٩١.....كلام ابن الجزري  
 ١٩١.....كلام المحاسبي  
 ١٩١.....كلام ابن التين  
 ١٩١.....كلام القاضي ابوبكر  
 ١٩٢.....كلام ابن جرير  
 ١٩٤.....كلام عبدالقادر  
 ١٩٥.....كلام ابن عاشور  
 ١٩٥.....كلام ابي بكر الباقلامي  
 ١٩٥.....كلام ابن عبدالبر  
 ١٩٥.....كلام ابي بكر بن العربي  
 ١٩٥.....كلام ابن عيينة  
 ١٩٥.....كلام ابن وهب  
 ١٩٦.....كلام ابي عبيدة  
 ١٩٦.....كلام ابن عطية  
 ١٩٦.....كلام ابي حاتم  
 ١٩٦.....كلام البافلامي  
 ١٩٦.....كلام ابي عمرو بن العلاء  
 ١٩٦.....كلام ابي على الالهوازي  
 ١٩٦.....كلام ابن عبدالبر  
 ١٩٦.....كلام ابن قتيبة  
 ١٧١.....كلام ابي حاتم محمد بن حيان  
 ١٧١.....كلام سفيان بن عيينة  
 ١٧١.....كلام عبدالله بن وهب  
 ١٧١.....كلام الطري  
 ١٧١.....كلام الطحاوي  
 ١٧١.....كلام ابن عبدالبر  
 ١٧٢.....كلام ابن الطيب  
 ١٧٢.....كلام الخطابي  
 ١٧٢.....كلام ابي عبيد  
 ١٧٢.....كلام ابن عطية  
 ١٧٣.....كلام ابن عبدالبر  
 ١٧٣.....كلام ابن الطيب  
 ١٧٥.....كلام ابن عطية  
 ١٧٥.....كلام الداودي  
 ١٧٥.....كلام ابن ابي صفرة  
 ١٧٥.....كلام ابن النحاس  
 ١٧٨.....كلام البغدادي  
 ١٧٩.....كلام ابي عبيدة  
 ١٨١.....كلام النيشابوري  
 ١٨٤.....كلام الثعالبي  
 ١٨٤.....كلام الألو سي  
 ١٨٧.....كلام القاسمي  
 ١٨٨.....كلام ابن قتيبة  
 ١٨٨.....كلام ابي شامة

٢١٣.....	كلام الطبرسي	١٩٧.....	كلام البيهقي
٢١٤.....	كلام البحراني	١٩٧.....	كلام ابي الفضل الرازي
٢١٤.....	كلام الجنابذي	١٩٧.....	كلام ابي عبيد
٢١٩.....	كلام البلاغي	١٩٧.....	كلام ثعلب
٢٢١.....	كلام الطباطباني	١٩٧.....	كلام الازمري
٢٢١.....	كلام الخونئي	١٩٨.....	كلام السيوطي
٢٢٦.....	كلام الطبري	١٩٩.....	كلام ابن العربي
٢٢٦.....	كلام القرطبي	١٩٩.....	كلام الزحيلي
٢٣٨.....	كلام المدرسي	٢٠١.....	كلام الخفاجي

## القلوة

٢٤١.....	١ - فضل تلاوة القرآن	٢٠٣.....	كلام الطحاوي
٢٤١.....	كلام البغوي	٢٠٤.....	كلام الزمري
٢٤٥.....	كلام ابن عطية	٢٠٤.....	كلام الطحاوي
٢٥٠.....	كلام الطبرسي	٢٠٥.....	كلام ابن عطية
٢٥٠.....	كلام القرطبي	٢٠٥.....	كلام ابي الفضل الرازي
٢٥٤.....	كلام البغدادي	٢٠٦.....	كلام الزرقاني
٢٥٦.....	كلام النيشابوري	٢٠٧.....	كلام ابن عطية
٢٥٧.....	كلام الفيض الكاشاني	٢٠٩.....	٢ - الامامية والاحرف السبعة
٢٥٩.....	كلام الكاشاني	٢٠٩.....	كلام العياشي
٢٥٩.....	كلام البحراني	٢٠٩.....	كلام الطوسي
٢٦٠.....	كلام الجنابذي	٢١٠.....	كلام الطبرسي
٢٦١.....	كلام النهاوندي	٢١١.....	كلام الطوسي
٢٦٣.....	كلام عبدالقادر	٢١١.....	كلام الفيض الكاشاني
		٢١٣.....	كلام ابن الاثير

- ٣٠٣.....كلام النهاوندي
- ٣٠٥.....٧- آداب التلاوة
- ٣٠٥.....كلام الطبرسي
- ٣٠٦.....كلام القرطبي
- ٣٢٦.....كلام ابن تيمية
- ٣٢٨.....كلام الثعالبي
- ٣٢٨.....كلام القرطبي
- ٣٢٩.....كلام ابن عطية
- ٣٣٠.....كلام الغزالي
- ٣٣٠.....كلام الفيض الكاشاني
- ٣٣٢.....كلام الطبرسي
- ٣٣٤.....كلام الكاشاني
- ٣٣٧.....كلام الجنابذي
- ٣٤٢.....كلام مغنية
- ٣٤٢.....كلام النهاوندي
- ٣٥٣.....كلام البازوري
- ٣٥٦.....كلام المدرس
- ٣٥٧.....كلام النروي
- ٣٦٣.....٨- علم التجويد
- ٣٦٣.....كلام المدرس
- ٣٦٣.....مخارج الحروف
- ٣٦٥.....صفات الحروف
- ٣٦٦.....احوال الحروف واحكامها
- ٣٧١.....اقسام الوقف
- ٢٦٤.....كلام البازوري
- ٢٦٤.....كلام الخوئي
- ٢٦٦.....كلام الصادقي
- ٢٦٧.....كلام البازوري
- ٢٦٩.....٢- خواص تلاوة الآيات والسور
- ٢٧٠.....كلام النهاوندي
- ٢٨٣.....كلام الكروي
- ٢٨٣.....كلام ابي المنذر
- ٢٨٣.....كلام الليث
- ٣- الاحاديث الموسوعة في فضل  
التلاوة.....٢٨٧
- ٢٨٧.....كلام القرطبي
- ٢٨٩.....كلام صديق حسن خان
- ٢٩٠.....كلام الخوئي
- ٢٩٣.....٤- فضل تعليم القرآن
- ٢٩٣.....كلام البغوي
- ٢٩٣.....كلام الطبرسي
- ٢٩٤.....كلام النهاوندي
- ٢٩٧.....٥- فضل حفظ القرآن
- ٢٩٨.....كلام الطبرسي
- ٢٩٨.....كلام النهاوندي
- ٣٠١.....٦- حكم ترك تلاوة القرآن لمخالفه
- ٣٠١.....كلام البغدادي
- ٣٠٢.....كلام عبدالقادر

٤١٤.....	كلام النهاوندي
٤١٨.....	كلام الطبري
٤١٩.....	كلام الخفاجي
٤٢٧.....	٦- وجوه اعجاز القرآن
٤٢٧.....	كلام الماوردي
٤٣٠.....	كلام الراغب
٤٣٥.....	كلام ابن عطية
٤٣٦.....	كلام ابن تيمية
٤٤٥.....	كلام القرطبي
٤٤٦.....	كلام ابن الحصار
٤٤٦.....	كلام ابن الطيب
٤٤٨.....	كلام ابن عطية
٤٥٠.....	كلام ابن جزري
٤٥١.....	كلام ابي حيان
٤٥٣.....	كلام الألويسي
٤٥٦.....	كلام الأمدي
٤٦٤.....	كلام القاسمي
٤٦٤.....	كلام الدهلوي
٤٦٦.....	كلام النهاوندي
٤٧١.....	كلام البلاغي
٤٨٤.....	كلام ابن عاشور
٤٨٨.....	كلام عياض
٤٨٩.....	كلام ابي عبيدة
٤٨٩.....	كلام التفتازاني
٤٩٠.....	كلام السيد الجرجاني

٣٧٢.....	كلام النيشابوري
٣٧٣.....	كلام ابن جزري
٣٧٤.....	كلام ابن عاشور

## اعجاز القرآن

٣٨١.....	١- معنى الاعجاز وشرائطه
٣٨١.....	كلام البلاغي
٣٨١.....	كلام الخوثي
٣٨٢.....	كلام الطباطبائي
٣٩٤.....	كلام القرطبي
٣٩٧.....	٢- لا بد للنبي من اقامة المعجز
٣٩٧.....	كلام الخوثي
٤٠١.....	٣- اقسام المعجزة
٤٠١.....	كلام الراغب
٤٠٣.....	كلام القرطبي
٤٠٣.....	كلام النهاوندي
٤٠٧.....	٤- حكمة تنوع المعجز
٤٠٧.....	كلام ابن عطية
٤٠٧.....	كلام البحراني
٤٠٨.....	كلام البلاغي
٤٠٩.....	كلام الخوثي
	٥- حكمة كون القرآن هو المعجز
٤١٣.....	للعرب
٤١٣.....	كلام البلاغي

٥٨٢.....	كلام عبدالقادر	٤٩٤.....	كلام ابن عرفة
٥٨٨.....	كلام وجدى	٤٩٤.....	كلام عياض
٥٩٠.....	كلام النهاوندى	٤٩٥.....	كلام الشاطبي
٥٩٠.....	كلام الطباطبائي	٤٩٨.....	كلام الطباطبائي
٥٩٣.....	كلام الصادقي	٥١٣.....	كلام الخوني
٥٩٦.....	كلام الخوني	٥٥٤.....	كلام الخفاجي
٦٠١.....	٣- اقسام النسخ	٥٦٥.....	كلام الزحيلي

٦٠١.....	كلام الطوسي
٦٠١.....	كلام ابن جزى
٦٠٢.....	كلام النهاوندى

٦٠٣.....	كلام الخوني
٦٠٥.....	٤- الآيات النسخة والمنسوخة

٦٠٥.....	كلام القمي
٦٠٦.....	كلام الراغب
٦٠٨.....	كلام ابن جزى
٦١١.....	كلام النهاوندى

٦١١.....	كلام القمي
٦١٣.....	كلام الفخر الرازي

٦٢٠.....	كلام الطباطبائي
٦٢١.....	كلام الخوني

٦٢٢.....	كلام الرازي
٦٢٤.....	كلام القرطبي

٦٩١.....	٥- البدهاء في التكوين
٦٩١.....	كلام الخوني

٦٩٩.....	- فهرس المواضع
----------	----------------

## الفاسخ والمنسوخ

٥٧١.....	١- معنى النسخ
٥٧١.....	كلام العياشي
٥٧١.....	كلام الطوسي
٥٧٢.....	كلام الراغب
٥٧٣.....	كلام ابن جزى
٥٧٣.....	كلام الجنابذي
٥٧٤.....	كلام الطباطبائي
٥٧٤.....	كلام الخوني
٥٧٧.....	٢- امكان النسخ
٥٧٧.....	كلام الطوسي
٥٧٧.....	كلام البلخي
٥٧٨.....	كلام القاسمي
٥٧٨.....	كلام ابن القيم
٥٧٩.....	كلام الدهلوي
٥٧٩.....	كلام الشاطبي
٥٨٠.....	كلام مكّي





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

## چکیده

علوم قرآنی یکی از دانش‌های پایه‌ای در تفسیر قرآن و راه‌یابی به ساحت کلام الهی است. در این باره بحث‌های گوناگونی از سوی دانشوران اسلامی - به ویژه مفسران قرآن کریم - صورت گرفته، اما مطالب آنان به صورت پراکنده در مقدمه‌های تفسیر یا در ضمن مباحث تفسیری بیان شده است. جمع‌آوری آنان اینک در اثر حاضر به کوشش جمعی از پژوهش‌گران مرکز فرهنگ و معارف قرآن، به شکل منطقی و منظم در سه جلد سامان یافته است.

مؤسسه بوستان کتاب

مؤسسه بوستان کتاب

(مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیة قم)

پرافتخارترین ناشر برگزیده کشور

نشانی دفتر مرکزی: ایران، قم، اول خیابان شهدا، نبش کوچه ۱۷، ص پ: ۹۱۷

تلفن: +۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۵، فاکس: +۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۴، پخش: +۹۸۲۵۱۷۷۴۳۴۲۶

# علوم القرآن عند المفسرين

جلد دوم



مرکز فرهنگ و معارف قرآن

بیتنا

۱۳۸۶

## **Abstract**

Qur'ānic sciences are one of the fundamental groups of knowledge that are instrumental in the exegesis of the Glorious Qur'ān and hence, highly influential in understanding the Word of God and the Divine Revelation. Although a great deal of discussion has been conducted by the Muslim scholars, and in particular the commentators of the Glorious Qur'ān, on Qur'ānic sciences throughout past centuries, such discussions, mostly in the form of written materials, are often randomly placed in introductions to Qur'ānic interpretations or included in between the lines of exegetical texts and articles.

This work prepared in three volumes and made possible through efforts by the researchers of Markaz-e Farhang va Ma'āref-e Ghor'ān, has embarked on a logical and categorical compilation of a large amount of material related to Qur'ānic sciences that have been included in Qur'ānic commentaries since early times.

**The Publisher**

## **Būstān-e Ketāb Publishers**

Frequently selected as the top publishing company in Irān, Būstān-e Ketāb Publishers is the publishing and printing house of the Islāmic Propagation Office of Howzeh-ye Elmīyeh-ye Ghom, Islāmic Republic of Irān.

P.O. Box: 37185-917

Telephone: +98 251 774 2155

Fax: +98 251 774 2154

E-mail: [info@bustaneketab.com](mailto:info@bustaneketab.com)

Web-site: [www.bustaneketab.com](http://www.bustaneketab.com)

# **‘Ulūm-u l-Ghur’ān ‘ind al-Mufasssirīn**

Qur’ānic Sciences and Exegetists

Volume 2

Markaz-u th-Thighāfa(h)t-i va l-Ma’ārif-i l-Ghur’ānīyyah

**Būstān-e Ketāb Publishers**

1386/2007